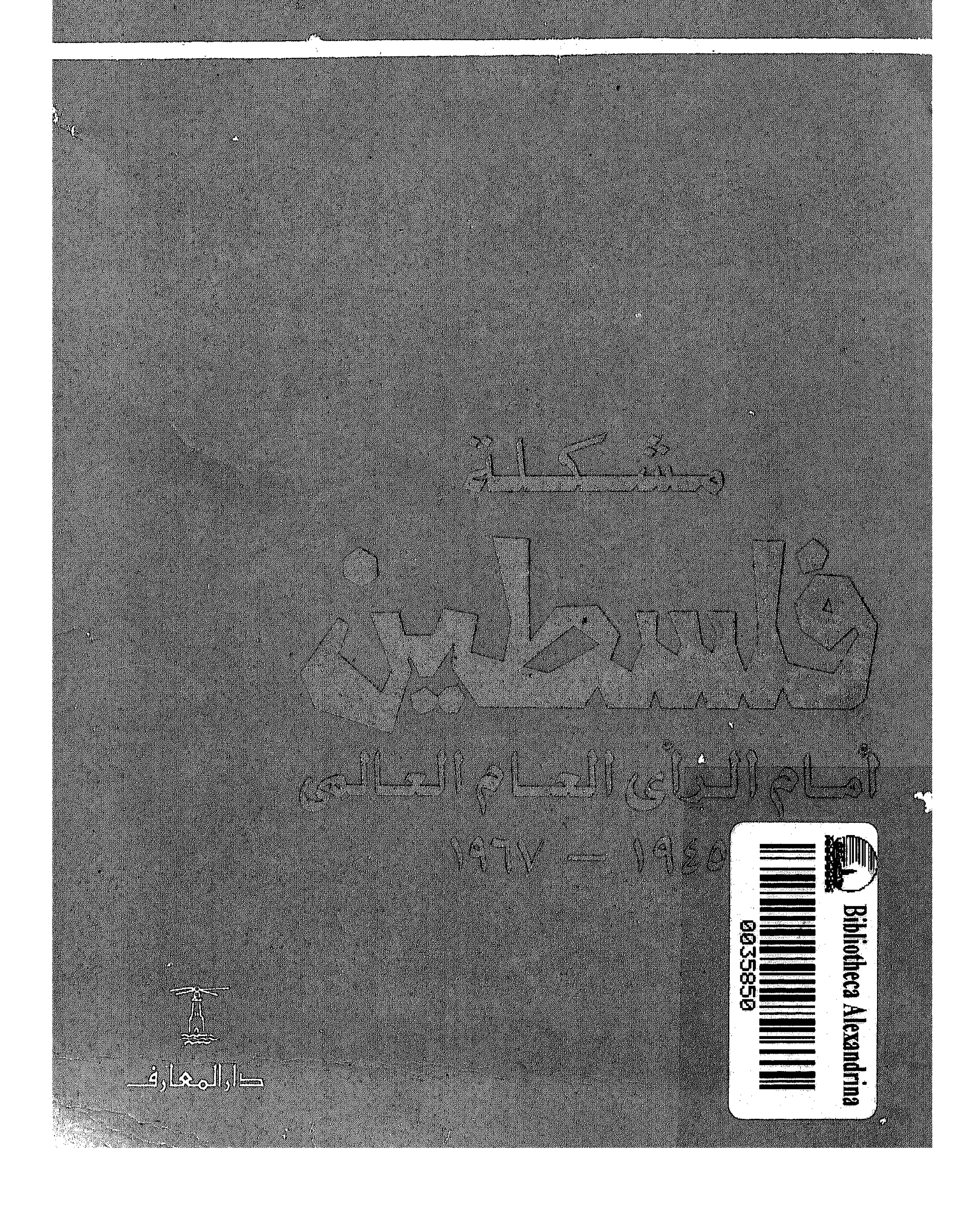
دكتور محمد نصر مهنا





مشكلة فلسطين
أمام الرأى العام العالمى
١٩٤٥ - ١٩٦٧

تأليف

دكتور محمد نصر مهنا

مدرس العلوم السياسية
كلية التجارة — جامعة أسيوط

١٩٧٩



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - ج . م . ع .

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . »

(الآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة الحج)

« قرآن كريم »



إهداء

إلى الشعب الفلسطينى الشقيق والعريق والذى تحمل أعباء القضية الفلسطينية باعتبارها مشكلة القرن العشرين الفذة .

أقدم هذه الدراسة

المؤلف



مقدمة

يعالج هذا البحث مشكلة فلسطين أمام الرأى العام العالمى خلال الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٦٧ ، وتعتبر هذه الفترة من أخصب وأصعب فترات تاريخ المشكلة الفلسطينية الفذة التى شغلت ليس فقط الكتّاب والمعلقين والساسة وإنما وأيضا الرأى العام العالمى عموما والرأى العام العربى على وجه الخصوص الذى لم يشغله موضوع آخر على امتداد فترة الدراسة .

وقد اخترت فتره البحث بحيث تبدأ بتكوين جامعة الدول العربية بعد فترة زمنية قصيرة من نهاية الحرب العالمية الثانية ثم تصاعد الأحداث بإعلان قيام الدولة اليهودية فى فلسطين ، ومنذ ذلك التاريخ ومشكلة فلسطين لا تغيب عن بؤرة الرأى العام العالمى حيث تلاحقت الأحداث التاريخية بسرعة فحدثت ثلاثة حروب فى هذه الفترة الزمنية القصيرة .

وقد نتج الرأى العام تجاه مشكلة فلسطين من تفاعل آراء المجتمع الدولى واحتكاك أفكاره وبالتالى فإن دول المجموعة الدولية أو المنظمات العالمية هى المحصلة التى انعكست عليها أحداث المشكلة الفلسطينية ونتجت هذه المحصلة من الاتجاهات المتباينة للرأى العام العالمى الذى تحدد كالآتى : —

١ — إتجاه مؤيد .

٢ — إتجاه معارض .

٣ — إتجاه محايد التزمته الدول التى لم تمسها هذه المشكلة مباشرة أو لم تؤثر على مصالحها . أو بقصد محاولة تقريب وجهات النظر ، وقد وقفت مجموعة من الدول موقف الحياد فى التعبير عن آرائها نتيجة لارتباطات سياسية أو وجود مصالح مع كل من أطراف المشكلة حيث صاحبتها تطورات

وتغييرات لم تكن منتظرة فى اتجاهات الرأى العام العالمى منذ عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٦٧ وهو ما أدى إلى اختلاف هذه الاتجاهات من مرحلة إلى أخرى من مراحل المشكلة ، بل لقد اختلفت مواقف الدول ذاتها فى خلال هذه المراحل .

وقد كادت مشكلة فلسطين تتحول إلى مأساة للعالم بأسره لديمومة الصراع القائم فى الشرق الأوسط الذى حمل فى ثناياه بذور حرب عالمية ، ومن هنا كانت أهمية هذا البحث لتقديم الحقائق كاملة للرأى العام العالمى ومن ناحية أخرى فإن تقديم هذه الحقائق للرأى العام العربى ليوضح جدوى الموقف العربى الذى استمر طوال هذه الفترة يرفض كل شئ من منطلق الضعف ثم يعود بعد ذلك ليقبل الأمر الواقع ، ومن ثم فإن أهم النتائج التى توصلت إليها : أن كافة الأنظمة العربية قد استخدمت مشكلة فلسطين فى هذه الفترة كجسر للعبور من تناقضاتها ، ولذلك فسوف أبرز فى أماكن عديدة من هذا البحث نواحى التقصير والضعف التى أصيب بها القادة العرب على الصعيدين السياسى والعسكرى ، كذلك فقد أصبح ما يزيد على مليون شخص من اللاجئين العرب الفلسطينيين وبيوت آبائهم وأجدادهم فى قبضة الإسرائيليين وهذه أقوى حجة على انزلاق العالم العربى خلال هذه الفترة من سئ إلى أسوأ .

وقد قدم الشعب الفلسطينى كثيراً من التضحيات فى معارك غير متكافئة ضد قوى عالمية — أو على حد قول أحد الباحثين الفلسطينيين فقد كانت قوته كلدرهم أمام قنطار فى مواجهته للصهيونية العالمية ، ولو أن شعبا آخر غير الشعب الفلسطينى ذاق مرارة الصهيونية (١) لأدرك الرأى العام العالمى

(١) وافقت الأمم المتحدة فى ١٨/١٠/١٩٧٥ بأغلبية ٧٠ صوتا ضد ٢٩ وامتناع ٢٧ صوتا ع قرار باعتبار الصهيونية من بين أشكال العنصرية والتمييز العنصرى .

كله أن هناك ظلما فادحا تم ارتكابه بحق ضحايا لم يقترفوا شيئا يستحقون عليه مثل هذا العقاب .

وبالرغم من أن الشعب الفلسطيني لم ينس حقوقه المشروعة فى فلسطين ولم يترك وسيلة إلا اتبعها لتأكيد هذه الحقوق فى فترة التشرد بين ١٩٤٨ — ١٩٦٧ فإن هناك مجموعة من الحقائق أكدت نظريا الانطباع الدولى للمشكلة الفلسطينية ، إذ أنه فى نفس الفترة الزمنية قامت بعض الدول العربية بالمبادرة فى محاولة المجابهة لإسرائيل سواء على الصعيد العربى أو على الصعيد الدولى ، وساهمت قطاعات متعددة من الرأى العام الفلسطينى بتأييد هذه المبادرة عن طريق مشاركتها للحركات السياسية العربية الهادفة إلى تحرير فلسطين ، مما ساعد على تصور الصراع بأنه فى الدرجة الأولى صراع عربى إسرائيلى وليس فلسطينيا صهيونيا ، فكان هناك إنسجام كاد يكون تاما بين التصور الدولى والتصور العربى الرسمى لحقيقة مشكلة فلسطين ، ومن هنا فقد أصم الرأى العام العالمى أذنيه عن أصوات الضحايا وأعار سمعه للطرف الذى اقترف الأثم مما أضفى على مشكلة فلسطين طابعا فذا بسبب حصول إسرائيل على عطف وتأييد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى الذى أسهبت فى توضيح موقفه بالتفسير والتحليل .

وقد بدأت عملى فى هذا البحث بإعداد ببلوجرافيا عن المؤلفات والمراجع التى تتناول تلك الفترة وشملت هذه المراجع مراجع عربية من وثائق وكتب ودوريات وأيضاً مراجع أجنبية رئيسية وخاصة تلك التى كتبها الزعماء والباحثون الإسرائيليون ، كذلك فقد تمكنت من الإطلاع على عدد من هذه الأوراق والمذكرات الخاصة ذات الصفة الوثائقية لبعض القيادات العربية والفلسطينية الذين أتيح لهم أن يسهموا فى أحداث تلك الفترة ،

كذلك فقد اعتمدت أيضاً فى استخلاص مادة هذه الدراسة على عدد من المصادر منها وثائق غير منشورة رجعت إليها فى جامعة الدول العربية ومعهد

البحوث والدراسات العربية ومركز تاريخ مصر المعاصر - هذا فضلا عن الوثائق المنشورة فى مطبوعات مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسسة الدراسات الفلسطينية فى بيروت ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام ومركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد .

كذلك التقيت فى فترة إعداد البحث بشخصيات فلسطينية وعربية عديدة من المسئولين السياسيين والعسكريين والمطلعين على كثير من أسرار هذه المشكلة الفذة وتناقشت معهم طويلا فى أحداث تلك الفترة واستوضحتهم كثيراً من النقاط الغامضة غير أن عدة صعوبات قد واجهتنى فى إعداد الدراسة ومنها :

أولا :

قلة الكتابات العربية العميقة فى بعض النقاط فضلاعن وجود تضارب فى ذكر وتفسير بعض الأحداث فى الكتابات العربية المعاصرة وما يشوبها من حماسة وأفتقارها إلى النظرة الموضوعية لتحليل أحداث المشكلة الفلسطينية .

ثانيا :

أن المراجع الصهيونية تقدم أحداث المشكلة وتفسرها بطريقة تحمل فى ثناياها تشويها للحقائق ، لكنى حاولت قد المستطاع توخى الحذر حتى أكون أمينا مع نفسى فيما قدمته ، بدليل أنى قد أبرزت رد فعل الرأى العام الإسرائيلى تجاه المشكلة وهو شئ جديد فى الدراسات العربية ، وقد حرصت على ذلك حتى أكون محايدا فى إبراز كافة الآراء - حتى المعادية منها - وهو ما يتضح من المصادر العديدة التى أطلعت عليها لمؤرخين صهاينة مما كلفنى جهداً خاصا لأن مثل هذه المؤلفات كانت محظورة لدى الرأى العام

العربى فى هذه الفترة وقد كان ذلك خطأ كبيراً ارتكبه العرب فى معالجة مشكلة فلسطين

ثالثا :

لعل من أصعب ماواجهنى فى إعداد هذا البحث هو محاولة تفسير وتعليل الموقف السوفييتى المتذبذب حيال المشكلة الفلسطينية نظراً لغياب الرواية السوفييتية ، اللهم إلا باستثناء المواقف الرسمية فى الأمم المتحدة أو مانشرته وكالات الأنباء أو الصحف السوفييتية وكلها تبرز وجهة نظر السوفييت الرسمية ، والمعروف أن للسوفييت سياسة أخرى غير معلنة .

رابعا :

إن المذكرات العربية الشخصية التى لها الصفة الوثائقية لمن عاصروا هذه الفترة ، قد اهتمت بنقد الخصوم وبالتالى فقد جاءت معالجة مشكلة فلسطين ذاتها هامشية بالنظر إلى التجريح بأقذع العبارات كتلك التى وجهها الأستاذ أحمد الشقيرى للملوك والرؤساء العرب عموما ، ومن الثابت أن الأستاذ أحمد الشقيرى قد أسهم فى تطور أحداث المشكلة خاصة فى الفترة من ١٩٦٣ حتى ١٩٦٧ غير أن هناك نقاطا غامضة قد واجهتنى بخصوص دوره منها : لماذا تخاصم الشقيرى مع الرئيس بورقيبة عام ١٩٦٥ وهل جره الاستقطاب المصرى لذلك ؟ وأعتقد أنه لو كان الشقيرى اتخذ جانبا مرنا حينئذ لتغير مجرى المشكلة الفلسطينية وكذلك فقد كان الشقيرى مسرفا فى مواقفه مع الملوك والرؤساء العرب سواء فى تودده أو فى خصامه فى هذه الفترة ، وأخيرا فلماذا انسحب الشقيرى من مؤتمر الخرطوم فى نوفمبر ١٩٦٧ ؟ وعموما فإن مواقف الشقيرى فى هذه الفترة تحتاج إلى تحليل ودراسة مستفيضة من كافة جوانبها .

خامسا :

لازالت كثير من الوثائق العربية — التى يمكن أن تشكل مصدراً هاماً آخر للمؤرخين والباحثين — لم تنشر بعد ، وما تزال محجوبة عن الرأى العام العربى ، اللهم إلا تلك القرارات التى لها أهمية ثانوية والسبب فى ذلك هو أن هذه الوثائق شأنها فى ذلك شأن الوثائق الرسمية التى لاتنشر إلا بعد زمن كاف على وقوع الأحداث .

وبالرغم من هذه الصعوبات فإننى حاولت قدر المستطاع أن أواجه تلك العقبات وأن أذللها وأن أكون أمينا مع نفسى كباحث فيما قدمته وأن أتجنب مواطن الزلل فيما تحويه بعض الدراسات ، ولعل من اهم النتائج التى توصلت إليها فى هذا البحث أن الفلسطينيين قد تحملوا — بحق — أعباء هذه المشكلة الفذة لحما ودما وعظما .

وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى خمسة أبواب وخاتمة .

— الباب الأول وعنوانه «التيارات الدولية ومشكلة فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية عام ١٩٤٨» وقسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول .

— الباب الثانى وعنوانه «تطورات مشكلة فلسطين من اتفاقيات الهدنة إلى العدوان الثلاثى» وقسمته إلى ثلاثة فصول

— الباب الثالث وعنوانه «من انسحاب قوات العدوان الثلاثى إلى حرب يونيو ١٩٦٧» وقسمته إلى فصلين .

— الباب الرابع وعنوانه « حرب يونيو ١٩٦٧ » وقسمته إلى فصلين .

وقبل أن أنهى هذه المقدمة يطيب لى أن أوجه شكرى لكل من تعاون معى بشكل أو بآخر حتى أنتهيت من هذه الدراسة

القاهرة فى ١٥ يوليو سنة ١٩٧٩

دكتور محمد نصر مهنا

الباب الأول

التيارات الدولية ومشكلة فلسطين

بعد الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية عام ٩٤٨



التيارات الدولية ومشكلة فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية

أثر توتر العلاقات بين دول المعسكر الغربي ودول المعسكر الشرقي عقب الحرب العالمية الثانية على مشكلة فلسطين إلى أبعد الحدود، حيث بدأ الاتحاد السوفييتي يمارس الضغط على كل من اليونان وتركيا لانضمامهما إلى الجانب الشيوعي كما أن فرنسا وبريطانيا انسحبتا من سوريا ولبنان تماما فى١٩٤٦، وأشارت مفاوضات صدقى – بيفن إلى احتمال انسحاب بريطانيا من منطقة الشرق الأوسط ؛وعلى هذا كانت الرغبة الجامحة من الاتحاد السوفييتى لخروج بريطانيا من منطقة الشرق الأوسط كان يقابلها رغبة جامحة من بريطانيا للبقاء ولكن بريطانيا لم تكن فى حالة تسمح لها بأن تقوم بدورها ونشاطها فى منطقة شرق البحر المتوسط كما أن موقفها الاقتصادى الذى بلغ ذروته فى شتاء ٤٦- ١٩٤٧ أدى بها إلى إيقاف مساعداتها الاقتصادية والعسكرية لكل من اليونان وتركيا فى مارس ١٩٤٧ وحلت محلها الولايات المتحدة الأمريكية .

كما أن بريطانيا كانت ترى أن مصالحها الاستراتيجية فى كل من قواعدها البحرية فى الإسكندرية والسويس مهددة مما جعل أنظارها تتجه إلى حيفا كقاعدة جديدة لها .

وقد أدت هذه التيارات الدولية إلى مجموعة من العوامل المتشابكة والمتداخلة انعكست جميعها على عدم استطاعة بريطانيا حل المشكلة الفلسطينية كما أدى ضعف بريطانيا سياسيا واقتصاديا إلى دخول الولايات المتحدة – أقوى وأغنى دولة عرفها التاريخ بعد الحرب الثانية – كقوة جديدة كان لها الأثر البالغ والعميق فى الصراع الدائر حول فلسطين وأدى ذلك إلى التجاء بريطانيا إلى إحالة المشكلة برمتها إلى الأمم المتحدة وطلبت فى ٢ أبريل ١٩٤٧ من السكرتير العام للأمم المتحدة إدراج مشكلة فلسطين فى جدول أعمال الجمعية العامة. (١)

---

(١) D/B, G·M·, The Arab Block in the United Nations International Educational publication House, Amsterdam, 1956 p. 36

كذلك انعكست مجموعة العوامل المتشابكة والمتداخلة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية على خشية بريطانيا الشديدة من الخطر السوفييتى فحينما وصل حزب العمال البريطانى إلى مقاعد الحكم عقب انتخاب مايو عام ١٩٤٥ شرع رئيس الوزراء آتلى (Attlee) فى شهر أغسطس فى دراسة مشكلة فلسطين مع وزير خارجيته بيفن وتحقق له أن الوعود التى قطعها حزبه من قبل فى هذا الصدد خبط عشواء ، فإذا كان الخطر الألمانى قد زال فإن الخطر السوفييتى قد جاء ليحل محله ، ذلك أن الاتحاد السوفييتى كان يمارس ضغوطا على تركيا وعلى إيران وكان من العسير مقاومتها لو أن العرب انضموا إلى معسكره وانحازوا إليه ، ومما زاد من العنت الذى تواجهه الحكومة البريطانية فى هذا الصدد ما بدا من الحكومة الأمريكية التى بعد أن تدخلت تدخلا فعليا فى المشكلة الفلسطينية ظهرت وكأنها راغبة فى الإفلات من المغامرات الشرقية تحت ضغط الرأى العام الأمريكى الذى راح يطالب بالعودة سريعا إلى حالة السلم .

وفيما يلى بيان التطورات التى حدثت فى سياسة الاتحاد السوفييتى حيال الشرق :

فى عام ١٩٤٥ بدأ الاتحاد السوفييتى هجومه فى الشرق الأوسط بعد أن عمل على إحداث تمرد فى اليونان ، وفى شهر مارس ألغى السوفييت معاهدة الصداقة والحياد المعقودة بينهم وبين تركيا منذ عام ١٩٤٥ وأخذوا يتهمون تركيا بأنها تدور فى الفلك الأمريكى وفى يونيو من نفس العام قدم السفير السوفييتى فى تركيا (فينوجرادوف) مذكرة من حكومته لإعادة النظر وضع المضايق .

وبالنسبة لإيران فقد رفض السوفييت سحب قواتهم من ايران والتى كانت قد جاءت طبقا للاتفاق المبرم عام ١٩٤١ بين كل من انجلترا والسوفييت وإيران إلا أنه فى مايو ١٩٤٦ تم سحب السوفييت لقواتهم نهائيا من إيران واحتلت القوات الإيرانية المناطق التى انسحب منها السوفييت .

وبالنسبة للعرب ، فقد كانت الصورة السوفييتية عن العرب قد تكونت

منذ سنوات من عنصرين أساسيين : تبعية الحكومات العربية . للاستعمار الغربي وضعف الحركات الشعبية عموما واليسارية منها على وجه الخصوص ، (١) ومعنى هذا أنه لا حاضر العرب أو مستقبلهم القريب كان يساوى الكثير فى الحسابات السوفييتية ، وزاد الأمر سوءا ماشاع خلال الحرب الثانية وقبلها عن مشاعر عربية موالية للمحور ؛

ورغم مشاعر الاحترام للاتحاد السوفييتى والاعجاب وخصوصا من أوساط المثقفين العرب بعد الحرب العالمية الثانية « نتيجة لرفع الحظر الغربى » عليه فى العالم العربى بعد دخوله الحرب إلى جانب الحلفاء أولا ؛ ثم — وهذا هو الأهم — نتيجة للدور الذى لعبه فى هزيمة ألمانيا فى هذه الحرب (٢) وما أدى اليه ذلك من ازدياد لقوة الحركة الشيوعية فى العالم العربى فى هذه الفترة ؛

كذلك رغم ازدياد المشاعر المعادية للغرب فى نفس الفترة فى المنطقة العربية إلا أن الصورة السوفييتية السالبة عن العرب لم تتغير ولو كان لروسيا السوفييتية أن تهتم بمستقبل الشرق الأوسط — على حد رأى أحد الدبلوماسيين السوفييت — فمن الواضح أن اليهود التقدميين فى فلسطين يمثلون تشجيعا لنا أكبر بكثير من العرب المتخلفين الذين تحكمهم عصابات اقطاعية من الملوك والأفندية (٣) .

---

(١) الياس مرقص : تاريخ الأحزاب الشيوعية فى الوطن العربى ، بيروت : دار الطليعه ١٩٦٤ ص ٣٩

ولنشوفسكى ، جورج : الشرق الأوسط فى الشئون العالمية ترجمة جعفر خياط مراجعة د / محمود الامين د / ابراهيم أحمد السمرائى تصدير د / حسن على الذنوت بغداد : دار الكشاف بدون تاريخ اصدار ج٢ ص ٥٨٤ .

(2) Laqueur, Walter Z,
Communism and Nationalism in middle east' London :
Routledg and Kegan paul, 1956 p. 112.

(3) Karammer, Soviet Motives in partition of palestine in :
Journal of palestine Studies, Vol,II, no. 2 (Winter 1973)

وانظر مقالا فى هذا الموضوع .

Middle East Journal July 1644 : Commnnist tacties in Palestine.

وذلك بالرغم من ظهور عديد من الدراسات أظهرت نوعاً من التفاؤل بامكانيات الحركة الثورية العربية (١) وامكانيات حقيقية للحركة العربية وبالذات الجناح اليسارى فيها وأن نسب إلى هذه الحركة الفضل دائماً فى أية بادرة إيجابية فى العالم العربى وهـذا يفسر أن التأييد السوفييتى فى الأمم المتحدة لمطالب العرب المتعلقة بجلاء القوات البريطانية والفرنسية عن أراضيهم كما ظهر فى ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ قد صيغ أساساً فى عبارات تتحدث عن « النضال الشعبى » وتؤيده ، وأن هذا التأييد جاء أحياناً عبادرة من الاتحاد السوفيتى أى دون عرض رسمى من قبل الحكومات العربية المعنية فى الأمم المتحدة ، وعلى سبيل المثال فقد أثار جروميكو فى خطابه أمام مجلس الأمن بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٤٦ مسألة انسحاب القوات البريطانية من مصر قبل أن تقرر الحكومة المصرية عرضاً رسمياً على المجلس بقرابة عام ، واستشهد جروميكو فى هذا الصدد بتصريحات لحافظ رمضان وتقارير صحفية عن المظاهرات الشعبية ضد الاحتلال البريطانى .

وتحدث جروميكو أيضا عن وجود القوات البريطانية فى العراق حيث استشهد فى هذا الشأن باذاعة بغداد وبجريدة صوت الأهالى ثم دعا مجلس الأمن إلى بحث هذه المسائل عموماً وتساءل : «هل من الممكن أن نبقى غير مبالين بصوت الشعوب فى هذه البلدان (١) ؟

وكذلك اشتد تنديد السوفييت بالجامعة العربية عقب إنشائها ووصفها بأنها عميلة بريطانية وجبهة رجعية وأداة لمحاربة معـركة التحرير

---

(1) Dagan ‘Avigdor, Moscow and jerusalem – Twenty years of Relations petween Israel and Soviet union‘ New York : Abe Lard–Schuman 1970 ·

(1) From the speech by Soviet Representative A. A. Gromyko at U . N . security council on Presence of Armed

الوطنى فى الشرق الأوسط ، وعموماً فقد كان أمراً طبيعياً من وجهة نظر السوفييت أن تعمل أية صيغة للوحدة العربية فى ظل الاستعمار والتجزئه الاستعمارية لخدمة الأهداف الرجعية للاستعمار الأمريكى والبريطانى(٢) .

---

forces of U . N . Member – States on Terettories of other countries septemper 23'1946 ' in : The U.S.S.R and the Middle East Proplems of Peace and Security, 1947 – 1971 (Documents andother materials, Moscow : Novosti Press Agency Publishing house 1973 PP 34-38 .

(2) Lequeur, Walter, The Struggle for the Middle Fast, The Soviet Union and the Midlle East, London : Routledge and Kagan Paul, 1969 PP 154-166.

راجع أيضاً : دراسة قيمة حول : سياسة إسرائيل الخارجية تجاه الاتحاد السوفيتى ١٨٤٨– ١٩٥٦ إعداد دكتور أحمد يوسف أحمد – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة ١٩٧٤ .



الفصل الأول

مواقف طرفى النزاع والدول الكبرى حتى ابريل ١٩٤٧ وردود الفعل

الموقف العربى :

الأوضاع السياسية فى فلسطين :

وانعكاسها على الرأى العام العربى :

منذ اندلاع الثورة الوطنية فى فلسطين سنة ١٩٣٨ أو على حد قول بعض المستشرقين (١) « اندلاع الحرب الأهلية » والسلطات البريطانية تقوم بتشتيت الزعماء العرب بنفيهم أو ترحيلهم أو جعلهم تحت الرقابة الدقيقة فى فلسطين ومنعهم من القيام بأى نشاط سياسى ، ولم تبذل الحكومة البريطانية « دولة الانتداب » أى محاولة لمصادقة أولئك الفلسطينيين البارزين والفوز بتأييدهم الأمر الذى أدى إلى ازدياد كراهية السكان العرب للإنجليز وتعاطفهم المتزايد للألمان ، وقد أدى قيام الحرب الثانية وانشغال بريطانيا بها إلى تشديد قبضة الأحكام العرفية تجاه السكان العرب وخصوصاً

---

(١) Rodinson, Maxime, Israel et le Refus Arabe, 75 Ans d' histoire, Editions de sauil, paris 1968, p· 26

ومكسيم رودنسون كاتب فرنسى من أصل يهودى يهتم بقضايا الشرق الأوسط وقد أعلن مراراً عن رغبته فى الالتزام بالموضوعية فى دراسة المشكلة الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى دون التحيز لاسرائيل ، كذلك عرف عنه اشتراكه فى ندوات عديدة عن الشرق الأوسط حاول خلالها التقريب بين وجهات نظر كل من اليهود والعرب بصفة عامة والفلسطينيين بصفة خاصة وتتميز كتاباته بالطبع الفلسفى العميق المستند إلى الوثائق والأحداث التاريخية .

بعد أن تعمدت الصهيونية إبراز الحركة الوطنية العربية وكأنها حليف لألمانيا النازية .

واستمرت الصهيونية تضرب على هذه النغمة حتى بعد نهاية الحرب حيث كان مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى قد فر من طهران إلى ألمانيا النازية عند بداية الحرب وصار يعمل هناك مع زعماء النازى ضد « الامبريالية البريطانية » (١) والذى يروى بعد مقابلة مع أدولف هتلر فى ٢١ نوفمبر ١٩٤١ فى مذكراته قول هتلر :

« أن خطط كفاحى واضحة وهى أولا : أنى أكافح اليهود بدون هوادة ويدخل فى هذا الكفاح ما يقال له الوطن القومى اليهودى بفلسطين لأن اليهود إنما يريدون أن يؤسسوا دولة مركزية لأجل مقاصدهم التدميرية ونشاطهم الهدام ازاء دول العالم وشعوبه ... وسأستمر فى كفاحى إلى أن تدمر الصهيونية الدولية تماماً ... وان المانيا ليس لها فى البلاد العربية اى مطامع إلا القضاء على القوى التى تحمى الصهيونية (٢) .

كذلك أصدرت ألمانيا تصريحا رسميا فى ٢٨ فبراير ١٩٤٢ بموافقتها مع إيطاليا على تقديم كل ما تستطيعانه من مساعدة للأقطار العربية . . . الرازحة تحت نير الإضطهاد البريطانى وأن تعترف بسيادتها واستغلالها وتوافق على وحدتها . . . . وعلى القضاء على الوطن اليهودى فى فلسطين (٣) .

وقد كان العرب فى تلك الفترة يميلون إلى التريث والأناة آملين فى البداية هزيمة الحلفاء التى قد تفتح أمامهم إمكانية التخلص من الوصاية الإنجليزية

---

(١) Lenczawoki, George, the Middle East in World Affairs, New York, 1957 pp 272–273.

(٢) انظر مذكرات مفتى فلسطين : أخبار اليوم – القاهرة ١٩٥٧/١٢/٢٨ و يرجع فى تفصيل ذلك إلى : الدكتور / محمد أنيس و الدكتور/ السيد رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث – دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٧ ص ٥٣٥ – ٥٩١ .

(٣) المرجع السابق .

والفرنسية ،وفشلت ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ضد بريطانيا (إبريل — مايو ١٩٤١) التى قامت نتيجة لعدة أسباب ومنها عدم رضاء العراق عن سياسة انجلترا العربية فى فلسطين أكثر منها لحب العراقيين لدول المحور ، وأدى ذلك إلى لجوء مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى الذى كان مشتركا فيها إلى ألمانيا واشتراكه فى الدعاية للنازى ، وهذا ما جعل الصهيونية تستشهد بهذا المسلك حتى أن أحدهم أدعى أيضاً أن وزير الحربية المصرى سلم خطة الدفاع عن مصر إلى إيطاليا سنة ١٩٤١ (١) وقد برر فريق من المؤرخين العرب المعاصرين (٢) . موقف عرب فلسطين من الحرب الثانية بأنه لا يمثل اتجاه الرأى العام العربى وليس له أى أساس فى تشابه آيديولوجى بين الوطنية العربية والنازية ، ومن هنا حاولت بريطانيا استعادة الصداقة العربية ، ففى مايو ١٩٤١ أعلن أنتونى ايدن تعاطف بريطانيا من أجل تحقيق الوحدة العربية وكانت بريطانيا تقدم مساعدات كبيرة من أجل القضاء على الإنتداب الفرنسى فى لبنان (عام ١٩٤٣) وفى سوريا (عام ١٩٤٥) وكذلك من أجل التحرر الكامل لهذه الدول تحت رعاية بريطانيا وهو ماتم فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ بتوقيع ميثاق جامعة الدول العربية ، ولذلك ظلت بريطانيا هى القوة السائدة فى المنطقة خلال هذه الفترة وكان من نتيجة ذلك ان خرج العرب من الحرب وقد افتقدوا زعامة محددة يلتفون حولها ، ولعل هذا الوضع هو الذى ساعد على انتقال المشكلة الفلسطينية إلى أروقة الجامعة العربية بدل أن تستند على النضال المسلح من جانب الشعب الفلسطينى وفوق أرض فلسطين .

وقد شعرت بريطانيا قبل ذلك بتنظيمات العرب ورأت استحالة اهمال الرأى العام العربى ،ومن هنا استحوذت المشكلة الفلسطينية باهتمام بريطانيا

---

(١) Sacher, Israel, Establishment of a State' London 1949, p. 21

(٢) الدكتور جلال يحيى ، العالم العربى الحديث ، الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين — دار المعارف بمصر — القاهرة ١٩٦٦ ص ص ٤٦٧—٤٧٢

الدكتور صلاح العقاد ، العرب والحرب العالمية الثانية ، اصدار معهد البحوث والدراسات العربية — القاهرة ، ١٩٦٨ ص ص ١٢٣ — ١٤٢

حيث خشيت من أن تتأثر سياستها التى كانت فى حاجة إلى تأمين الاستقرار فى وجه حركة صاعدة من القومية العربية التى أخذ صوتها يزداد ارتفاعا حيث دعت الدول العربية إلى عقد مؤتمر لندن منذ سنوات لبحث المشكلة الفلسطينية ، كما شغلت المشكلة المفكرين فى الوحدة العربية :

أن حيوية القومية العربية فى هذه الفترة ومطالبها فى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة قد أسئ تقديرها من جانب البريطانيين والصهيونيين على السواء ، والواقع أن كثيرين من الصهيونيين رأوا فى الوجود البريطانى ذلك المحرك الرئيسى للقومية العربية ، فالدول المستقلة التى انبثقت فى النهاية عن الانتدابات فى الشرق العربى نظر إليها الكثير من الصهيونيين على أنها تؤلف إلى حد كبير صنائع للدول الغربية لاسيما فرنسا وبريطانيا (١) وقد أيد بعض الساسة العرب فى هذه الفترة التفسير القائل بأن القومية العربية كانت فى الموجة الأولى حركة مناوئة للاستعمار « وتأتى معاداتها للصهيونية فى المقام الثانى فقط » (٢) . وكان هؤلاء الساسة العرب الذين أسماهم البريطانيون بالسياسيين المعتدلين مثل نورى السعيد ، يرون فى مشروع الهلال الخصيب فعلا وسيلة لحل المشكلة الفلسطينية حلا وسطا ، وأن أقامة دولة اتحادية كبيرة تشمل العراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ولن تتأثر هذه الدولة بوجود أقلية يهودية داخل أراضيها حتى ولو تمتعت هذه الأقلية باستقلال ذاتى فى إدارة شئونها الداخلية ، إلا أن الرأى العام العربى آنئذ كان يتهم أصحاب مثل هذه

---

(١) تحدث أبا إيبان عن الاستقلال العربى معتبرا حدوثة قد جاء « أقل منه ثمرة » لتضحياتهم وجهودهم مما جاء نتيجة للنفوذ الدولى فى حربين عالميتين » وذلك أمام معهد اللاهوت اليهودى بنيويورك فى ٢٩ فبراير ١٩٥٢ : أنظر كتابه .

Eban, Abba, Voice of Israet, New York Horizon Press 1957. Weizmann, chaim,]Trail and Error: The Autobiography of Chain Weizmaun, philadelphia 1949, P 235.

(٢) جانيس تيرى : سياسة إسرائيل تجاة الدول العربية ، : فى تهويد فلسطين إعداد وتحرير دكتور / إبراهيم إبو لغد ترجمة دكتور / أسعد مرزوق ، إصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت .

الأراء بالخيانة العظمى (١) ويأبى إلا أن يحل المشكلة الفلسطينية حلا جذريا بقيام دولة عربية موحده فى فلسطين وعدم الاعتراف بأى حق للمهاجرين اليهود ، اللهم إلا إمكانية استخدام لغتهم العبرية فى التعليم وذلك على أساس تحديد عددهم بحيث لا يوئثر على كيان الدولة العربية .

(١) الدكتور / صلاح العقاد ، قضية فلسطين – المرحلة الحرجة (١٩٤٥ – ١٩٥٦) إصدار معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٨ ، صص ٩ – ١١ .

أوضاع الأحزاب العربية فى فلسطين فى هذه الفترة :

انتقل زمام المبادرة فى مشكلة فلسطين إلى خارج البلاد تاركا هوة تتزايد بين الشعب ومركز السلطة السياسية والزعامات الحزبية الفلسطينية وكان مرد هذا إلى الحاج أمين الحسينى الذى اتجهت أنظاره - كما سبق أن أشرنا - صوب ألمانيا طلبا للمساعده فى محاولة مبذولة بقصد إزاحة التحديات - ومنها الزعامات السياسية للاحزاب الأخرى - من أمام توجيهه الشخصى لشئون فلسطين (١) ، ولعل أهم الأحزاب العربية التى كانت موجودة فى فلسطين حتى منتصف الثلاثينات (٢) هى الحزب العربى الفلسطينى برئاسة جمال الحسينى وبرنامجه هو الاستقلال التام لفلسطين والاحتفاظ بصفتها العربية دون منازع ، ثم حزب الدفاع الوطنى الذى تزعمه راغب النشاشيبى وهو يعطى الأولوية للقضايا الاجتماعية ويرى أن مقاومة السكان العرب للهجرة اليهودية هو سبب ضعفهم ، وقد تشكك الرأى العام لعرب فلسطين فى تنفيذ هذا البرنامج بل وارتاب فى أخلاقيات أعضائه نظر لأثرائهم عن طريق السمسرة فى عمليات نقل الأراضى من الملكية العربية إلى اليهودية ، وانعكس الصراع الأسرى الاقطاعى بين زعماء الحزبين على المشكلة الفلسطينية فبينما كان حزب الاستقلال - الذى تزعم الحركة العربية فى فلسطين بعد نفى أفراد أسرة الحسينى وزوال سطوة أفراد أسرة النشاشيبى - يطالب بتنفيذ الكتاب الأبيض تنفيذا كاملا كان الحزب العربى الفلسطينى (الحسينى) بعد أن قرر استرداد مافاته - مستخدما فى ذلك طريق المزايدات - يطالب بالاستقلال داخل نطاق اتحاد عربى مع تصفية الوطن القومى اليهودى (٣)

---

(١) دكتور إبراهيم أبو لغد - تهويد فلسطين ، مراجع سابق ص ٤١ .

(٢) توجد مؤلفات عربية كثيرة فى ذلك ولكننا نرى أن من أفضلها كتاب الدكتور جلال يحيى - العالم العربى الحديث - الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين - دار المعارف بمصر - مرجع سابق ص ٤٦٧ - ٤٨٦ حيث تعرض سيادته تفصيلا لفلسطين وتكالب كل من بريطانيا والصهيونية العالمية عليها .

(٣) Aleum, Jean pierrer Juifs et Arabes, 3000 Ans d, historie, paris 1971 pp 350 - 540 =

ولما كان حزب الاستقلال هو الحزب الثالث فى فلسطين آنئذ يرأسه عونى عبد الهادى وهو من أعوان فيصل الأول ، ولذلك كان يعتقد بأن إدماج فلسطين مع الأردن أو العراق من شأنه أن يحفظ لفلسطين عروبتها ، وكانت الأحزاب (١) الأخرى أقل أهمية من الأحزاب الثلاثة السابقة ونذكر منها حزب الإصلاح ورئيسه / حسين الخالدى والكتلة الوطنية وقد أسسها محام من نابلس يدعى عبد الله لطيف ثم الشبيبة الوطنية وكانت برامج هذه الأحزاب متشابهة تقريبا وتضمنت مع الأحزاب الفلسطينية الأخرى (حزب الاستقلال العربى وحزب الدفاع الوطنى والحزب العربى وحزب الاصلاح وحزب الكتلة الوطنية) تضمنت الأهداف ذاتها مع تأكيد الدعوة لمنع بيع الأراضى للصهيونيين (٢) .

وكان الأمر الحيوى هو التمزق الذى ساد بين الأحزاب الكبرى عن طريق القضاء على الخلافات الشخصية بين زعمائها وذلك لمواجهة اتساع الهجرة بعد قيام النازية فى ألمانيا مما أشعر عرب فلسطين بمدى الخطورة التى تهدد كيانهم والذلك تغلبوا موقتاً على خلافاتهم وكونوا اللجنة العربية العليا (٣) بقيادة الحاج أمين الحسينى إلا أنها اصطدمت بسلطات الإنتداب أكثر مما اصطدمت مع المستعمرات اليهودية وكانت النتيجة هى فرار معظم الزعماء

= ويبالغ هذا المؤلف اليهودى - كؤرح - فى تمجيد اليهود ويهون من شأن العرب ويدافع باستمرار عن إسرائيل حتى أنه يبرز اعتداءاتهم المتحروه بأنها دفاع عن النفس .

(١) Hure Weitz, The Struggle for Palestine, New Aork, **1951** p, 2.

(٢) أنظر قرارات مؤتمر الشباب العربى الفلسطينى الثانى الذى عقد فى حيفا فى ١٠ مايو ١٩٣٥ فى كتاب مؤسسة ايسكو لفلسطين ، دراسة لسياسة اليهود والبريطانيين والعرب ، حـ ١ نيوهيفين ، مطبعة جامعة بيل ١٩٤٨ ص ٤٠٣ بالإنجليزية وذلك نقلا عن : سفرى ، عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ، مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة ص ٣٤ - ٤٨ .

(٣) يرجع إلى دكتور جلال يحيى ، العالم العربى الحديث ، الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين - مرجع سابق ص ٤٧٥ - ٤٨٠ .

الفلسطينيين خارج فلسطين ثم توقف الحياة السياسية أثناء الحرب ، وحينما خفت القبضة عن العرب تجددت الخلافات مرة أخرى بينهم واتهم الحسينيون حزب الاستقلال ورجال عونى عبد الهادى وأحمد حلمى باشا لأنهم قبلوا الكتاب الأبيض كحد أقصى للتنازلات .

إن الزعماء الفلسطينيين فى هذه الفترة لم يستطيعوا ردع الأطماع الصهيونية عن طريق تعبئة الشعب الفلسطينى ، وإن هؤلاء الزعماء بالتالى يعتبرون مسئولين إلى حد ما عن ذلك التمنع المضطرد من جانب الشعب الفلسطينى عن التسليم بالمصير الذى هيأته لهم الحركة الصهيونية .

ومن الانصاف لهذه الزعامات أن نذكر لها الدور الجوهرى الذى لعبته فى الحركة الوطنية العربية قبل الحرب العالمية الثانية عندما أداروا دفة العمل الوطنى فى بعض العواصم العربية (فى بغداد بالدرجة الأول وفى دمشق والقاهرة بدرجة أقل) ، وقد انعكس ذلك بالتالى على المشكلة الفلسطينية التى تعتبر السبب الرئيسى فى الحركات والثورات العربية القومية فى المنطقة العربية آنذاك ، ويذهب أحد المهتمين بدراسة المشكلة الفلسطينية (٢) إلى القول بأن تلك الثورات والحركات كانت انعكاسا مباشراً ونتيجة ضرورية لأحداث فلسطين .

الهيئة العربية العليا :

استرد أنصار الحاج أمين الحسينى زعامة الحركة الوطنية الفلسطينية بأحيائهم للحزب العربى الفلسطينى ومطالبتهم بالاستقلال داخل اتحاد عربى وقد تدخلت الجامعة العربية للتوفيق بين جميع الشخصيات المتطلعة للزعامة وأوفدت جميل مردم عام ١٩٤٥ للوساطة بينها ، وقد تمكن فى النهاية من تكوين هيئة موحدة عرفت باسم الهيئة العربية العليا من ١٢ عضو اتمثل مختلف

---

(١) الدكتور / أنيس صايغ ، فلسطين والقومية العربية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٦ . ص ٤٦ .

اتجاهات الرأى العام للشعب الفلسطينى ولكن الانقسام استمر ، والخلاف تفاقم حول اختيار رئيس الهيئة ،وهل يترك الاختيار للفلسطينيين ؟، وبالفعل تركت الجامعة العربية أمر اختيار رئيس الهيئة للفلسطينيين الذين لم يتفقوا على شخص معين ، ومن هنا قررت الجامعة العربية أن ترشح الهيئة عدة أسماء وتختار الجامعة أحدهم ارئاستها ؛ ومما يؤكد هذا الإنقسام ترك منصب رئيس الهيئة العربية العليا شاغرا احتراما للحاج أمين الحسينى الذى كان ما يزال مختفياً فى أوروبا لاتهامه بالتعاون مع النازى .

وقد اعترفت الحكومة البريطانية والأمم المتحدة بالهيئة العربية العليا كممثلة للشعب الفلسطينى إلا أن الحكومة البريطانية والمنظمة الدولية نظرتا إليها كطرف على قدم المساواة مع الوكالة اليهودية وذلك انطلاقا من مبدأ خاطىء وضعه الإنتداب البريطانى وهو أن لليهود حقوقا فى فلسطين مثل العرب ، وقد اقتضى هذاالمطق الوقوف موقف الحكم بين الطرفين وكأنهما على قدم المساواة ، ولعل ما يوجه من انتقادات لهذه الهيئة اتباعها سياسة المقاطعة والوقوف موقفا سلبيا أمام اللجان الدولية — وهو ما سيتضح تفصيلا فيمابعد —الأمر الذى أتاح لليهود فرصة أعظم لإظهار وجهة نظرهم ، «ومهما قيل فى انتقاد الهيئة العربية العليا فقد سدت فراغا فى حينها » على حد قول أحد المؤرخين (١) المعاصرين .

جامعة الدول العربية ومشكلة فلسطين :

انتهت مشاورات الدول العربية بالتوقيع على بروتوكول الاسكندرية فى ٧ أكتوبر عام ١٩٤٤ ووقع عليه ممثلون عن الحكومات المصرية والعراقية

---

(١) الدكتور صلاح العقاد ، قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ١٣ .

والسعودية والسورية واللبنانية وقد ألحق بهذا البروتكول (١) قرار خاص بفلسطين جاء فيه :

« ترى اللجنة أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية ، وأن حقوق العرب لايمكن أن تمس من غير اضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى » .

وقد كانت أمنية منشئ الجامعة العربية أن يضم محيطها جميع العالم العربى ، ولما كانت فلسطين حينئذ لاتستطيع بحكم مركزها السياسى أن تشترك رسميا كعضو فيها فقد روئى أن يكون اتصالها بالجامعة عن طريق اشتراكها فى اللجان الخاصة .

وعندما نشأت الجامعة العربية جاء فى الملحق الثانى للميثاق الذى وضع فى ٢ مارس عام ١٩٤٥ (٢) :

« ولان أمانى البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغى له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها ، فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة يعنيها بوجه خاص أن توصى مجلس الجامعة عند النظر فى اشتراك تلك البلاد فى اللجان المشار اليها فى الميثاق بأن يذهب فى التعاون معها إلى أبعد مدى » .

وهكذا استأثرت مشكلة فلسطين باهتمام الجامعة العربية منذ نشأتها وانعكس ذلك على الملحق الخاص بفلسطين حيث اعتبرت فلسطين من الاقاليم العربية التى لها حق الانضمام لجامعة الدول العربية بعد أن تصبح دولة مستقلة .

ويرى أحد المؤرخين المعاصرين (٣) : « أن هذا الموقف من الدول

(١) ملف وثائق فلسطين — مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية القاهرة وزارة الإرشاد القومى — الهيئة العامة للاستعلامات — بدون تاريخ إصدار ، جـ ١ ص ٧٥١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية — دار المعارف القاهرة ١٩٦٧ ص ١٧٢ — ١٧٣ .

العربية التى دخلت الجامعة .يعتبر موقفا صريحا من ناحية القانون الدولى ، ولكن هذا الموقف القانونى لم يكن له من القوة المادية مايسمح بفرضه على دولة الانتداب أو بفرضه على القوى المادية الموجودة داخل فلسطين نفسها فى ذلك الوقت وكان المبدأ والقانون فى حاجة إلى قوة لتدعيمه وذلك لمواجهة الصهيونية السياسية باعتبارها قوة توسعية مفرقة » وهو مارآه فريق آخر (١) من المؤرخين .

لقد كان عمر المشكلة الفلسطينية عندما نشأت الجامعة العربية ثمانية وثلاثين عاما وكان الاستعمار العالمى بقيادة بريطانيا قد عمل طوال تلك الإعوام على تطوير هذه المشكلة ووضع الوطن العربى عامة وفلسطين بشكل خاص فى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكريه الملائمة لتنفيذ مخطط إقامة الدولة الصهيونية فى قلب الوطن العربى على أنقاض الشعب العربى الفلسطينى والقضاء على عروبة فلسطين ، ولم يكن أمام الجامعة العربية منذ اليوم الأول لقيامها الا أن تعطى اهتمامها لهذه القضية المصيرية فقد كانت الحرب العالمية الثانية فى أيامها الأخيرة تقترب بسرعة من نهايتها وكانت زعامة الاستعمار العالمى بفعل هذه الحروب قد غدت للولايات المتحدة الامريكية صاحبة المصالح الهائلة فى الوطن العربى ، وكانت الصهيونية العالمية بتخطيط مع القياده الأستعمارية الجديدة قد بدأت فى تفجير وتصعيد الصراع الدموى فى فلسطين الأمر الذى أدى إلى انشغال الرأى العام العربى بالأحداث الخطيرة التى كانت بوادرها الدموية قد بدأت فى الظهور والتفاقم ، وهكذا ولدت الجامعة العربية لتواجه منذ اللحظة الأولى مسئولية الحكومات العربية تجاه المشكلة الفلسطينية بما يعنية ذلك من التصدى للقوى الاستعمارية والصهيونية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية التى خرجت من الحرب الثانية أقوى وأغنى دولة عرفها التاريخ .

---

(1) Hitte, Philip : A Histoıy of Syria, Macmlilan Company, New York, 1951 pp 300-354.

ولابد أن نضع فى الاعتبار كافة الظروف التى سادت الواقع العربى (١) الرسمى آنئذ عند تقييم دور الجامعة العربية تجاه المشكلة الفلسطينية فى هذه الفترة ، فمن جهة قامت الجامعة العربية أيام كان الوطن العربى كله تحت السيطرة الاستعمارية أو غير المباشرة ، ومن جهة أخرى لم تكن فى الوطن العربى قوة نضالية قادرة على التأثير فى سير الأحداث والارتفاع إلى مستوها المتطور بسرعة كبيرة ، ومن جهة ثالثة كانت الولايات المتحدة الامركية ترمى بكل ثقلها لتنفيذ آخر مراحل السياسة الاستعماوية التى تولتها بريطانيا على مدى ثمانية وثلاثين عاما — قبل انشاء الجامعة العربية — لاقامة الدولة الصهيونية فى فلسطين ، وفى هذا الواقع العربى والدولى — خاصة وأن جميع القوى العالمية كانت قد بدأت تلتقى على مبدأ أقامة الدولة الصهيونية فى فلسطين — أنشئت الجامعة العربية وتولت التصدى لأكبر وأبشع مؤامرة لا انسانية عرفها التاريخ تنفذها أقوى القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية بامكانات هائلة أكبر بكثير من طاقة الواقع العربى .

وقد احتوت الجامعة العربية الواقع العربى بكل مافيه ومثلت انعكاسا لهذا الواقع العربى الرسمى فلم تكن قوة تنفيذية ولم تتوافر لها الامكانات التنفيذية وبالتالى فلا يجوز تحميلها مسئولية عدم تنفيذ أية قرارات أو توصيات اتخذت فى نطاقها ، فهذه المسئولية يتحملها الواقع العربى الرسمى ، ولقد حاولت الجامعة العربية بما تعنيه من اطار ومحتوى أن تكون فى مستوى المشكلة الفلسطينية وقد كانت المشكلة الأولى (٢) التى واجهتها الجامعة العربية هى التوفيق بين مختلف الزعماء والأحزاب العربية فى فلسطين حيث كانت هذه الانقسامات معروفة منذ الثلاثينات ، وكذلك التوفيق بين التنافس

---

(١) عوده بطرس عوده ، الجامعه العربية والقضية الفلسطينية فى : المجلة المصرية للعلوم السياسية ، عدد خاص عن جامعة الدول العربية بمناسبة مرور ٢٥ عاما على انشائها — العدد ٦٧ يونيو ١٩٧٠ ص ١٤١ .

(٢) الدكتور / صلاح العقاد : قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ١٠ — ١٢ .

الواضح (١) بين القيادات العربية الهاشمية والسعودية والمصرية والسورية في وقت تكتلت فيه قوى اليهود ومساندة الولايات المتحدة الأمريكية لها هزيمة العرب .

ويدعم أحد المؤرخين اليهود (٢) آراء فريق من المؤرخين العرب المعاصرين (٣) ، فيذكرا « أن حالة التمزق في الوطن العربي كانت واضحة للغاية حينئذ حيث كان العالم العربي مسرحا لكثير من الأزمات والمنازعات والتمردات التي اعتملت في الأفق في كل مكان » . فرغم أن الظروف كانت ملائمة وتساعد على تقديم دفاع مفيد عن مشكلة فلسطين ورغم أنه قد أتيحت أمام كل من العراق ومصر وسوريا والعربية والسعودية ولبنان — وهم الذين أعلنوا الحرب على دول المحور — الأولى منها في سنة ١٩٤٣ والأخريات في سنة ١٩٤٥ — رغم ذلك فقد أتيحت أمام هذه الدول الفرصة لاسماع صوتها أثناء مفاوضات الصلح .

وبخصوص دور الجامعة العربية في المشكلة الفلسطينية آنئذ ، فقد كانت أقوى أداة سياسية أمكن للعرب الحصول عليها منذ أن تحرروا وقد تكونت بذلك عقب مارس عام ١٩٤٥ مجموعة من الدول الأعضاء في أعلى المنظمات الدولية وتولت الدفاع عن فلسطين بدلا من « الجاليات » (٤) . الفلسطينية المحلية ولكن كان على تلك الدول أن تتفق فيما بينها على ما تدافع عنه ولم يكن هذا الاتفاق موجودا ، وكثرت الخلافات والمنازعات بين عرب فلسطين أنفسهم

---

(١) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ٤٠ — ٦٣ .

(٢) Aleum, op. cit, P 239.

(٣) الدكتور / جلال يحيى — العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ص ٥٠ — ٦٣ .

الدكتور / صلاح العقاد : قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ١١ — ١٢ .

(٤) Aleum op, cit. P 237.

فى الوقت الذى كان فيه الإنجليز والأمريكيون يعدون ثم يخلفون ما وعدوا به؛ فقد اقترح موسى العلمى مندوب الفلسطينيين لدى الجامعة العربية مشروعا مفيدا لحماية الأراضى العربية ضد المحاولات التى يبذلها اليهود لشرائها ووافقت الجامعة العربية على الاقتراح ووعدت بتدبير الأموال اللازمة لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ ، وإذ فشل حزب الاستقلال فى الحصول لنفسه دون سواه على سلطة الإشراف على تنفيذ هذا المشروع ، بادر إلى سحب الوكالة التى كان قد أعطاها لموسى العلمى وبذلك ترك الموضوع تماما .

كذلك فإن أشد الأعمال فعالية قامت بها الجامعة العربية هى مقاطعة المنتجات اليهودية اقتصاديا وقد بدأت هذه المقاطعة فى شهر ديسمبر ١٩٤٥ للحيلولة دون التهريب اليهودى إلى فلسطين تحت الانتداب حيث صدر قرار الجامعة العربية (١) فى ٢ ديسمبر ١٩٤٥ بأنه « من غير المرغوب فيه أدخال المنتجات والمصنوعات اليهودية فى فلسطين إلى بقية البلاد العربية خشية تحقيق الأهداف السياسية للصهيونية » .

ولعل أكبر ما حققته الجامعة العربية تجاه المشكلة الفلسطينية فى ذلك الحين أنها أعتبرت المسئولية تجاه فلسطين هى مسئولية الأمة العربية كلها وليست مسئولية الشعب العربى الفلسطينى وحده — وتأكد ذلك عندما غدت الجامعة العربية طرفا أساسيا فى المشكلة الفلسطينية فصارت منذ عام ١٩٤٥ تشارك فى كافة النشاطات التى تقضتها تطورت المشكلة بإمكانات وظروف الواقع العربى ، بما حمله الواقع العربى من انقسامات بين القادة العرب الذين استغلوا جميعاً المشكلة الفلسطينية للعبور من متناقضاتهم .

وكان أول ما فعلته الجامعة العربية على نطاق الرأى العام العالمى

---

(١) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية — مرجع سابق ص ١٧١ — ٨١ حيث عرض سيادتة عرضا ممتازا لدور الرأى العام العربى فى إنشاء الجامعة العربية .

الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الأولى (١٩٥١ — ١٩٤٦) نشر الأمانة العامة للجامعة العربية — القاهرة ١٩٥٧ .

أنها طرحت الموقف العربي أو بالأخرى موقف الحكومات العربية من مشكلة فلسطين على لجان التحقيق التي تشكلت بعد قيامها وكان أهمها لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية ولجنة التحقيق الدولية التي انبثقت عن الأمم المتحدة في عام ١٩٤٦ هذا بالإضافة إلى مشاركتها مؤتمر لندن في ذلك العام الذي تقدمت فيه بريطانيا بمشروع موريسون الذي اقترح استقلالا إقليميا لفلسطين على أن يؤدي إلى دولة ثنائية القومية أو إلى التقسيم وكان ما طرحته الجامعة العربية في هذه المجالات يقوم على أساس التمسك بعروبة فلسطين ورفض أي مشروع يمكن أن يؤدي إلى إقامة دولة صهيونية فيها ، ولم يكن في وسع الواقع العربي أن يفعل أكثر من ذلك لأن ترجمة هذا الموقف إلى عمل كانت تحتاج إلى واقع عربي آخر (١) .

وقد كان نقل الاهتمام بشئون فلسطين سياسيا إلى الجامعة العربية فيه إنجاز سياسي على حد رأي أحد المؤرخين اليهود المعاصرين (٢) ولكن هذا الانجاز كان خياليا من نواحي عديدة أدى إلى أضعاف نشاط عرب فلسطين السياسي المستقل ، ويبدو أن الخسارة في النهاية كانت أكثر من

---

(١) عوده بطرس عوده ، الجامعة العربية والقضية الفلسطينية في : المجلة المصرية للعلوم السياسية – مرجع سابق ص ١٤٤ – ١٤٥ .
الدكتور / جلال يحيى / العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية – مرجع سابق ص ١٣٥ – ١٤٦ .
(٢) وهو البروفسير بن تسيون ديلور (دنييورج) في كتابه تاريخ الهاجاناه « سيفر تولدوت هاهاجاناه – تل أبيب عام عوفيد ١٩٧٣ القسم الثالث باللغة العبرية .
أنظر : مراجعات مجلة دراسات فلسطينية ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت. مارس ١٩٧٤ ص ١٥٠ – ٦ والبروفسير بن تسيون دينور هو عميد قسم التاريخ اليهودي المعاصر في الجامعة العبرية بالقدس سابقاً ومن واضعي المؤلفات العديدة في مجال تخصصه وقد توفي في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٧٤ ويعالج كتابه النشاط الصهيوني في فلسطين منذ خطواته الأولى خلال الثلث الأول من القرن التاسع عشر وحتى سنة ١٩٤٨ ويقع القسم الثالث من الكتاب ضمن مجموعة من ٨ مجلدات تقع في ٤٥٣٦ صفحة من القطع الكبير منها ٤٦٥ صفحة من المصادر والهامش .

الربيع ففى نفس الوقت الذى حدث فيه تطور حاسم داخل الحركة القومية اليهودية أدى إلى نقل مركز العمل السياسى من الحركة الصهيونية العالمية إلى اليشوف (المستوطنين اليهود) فى فلسطين مما منحهم قدرة وحيوية لم يعرفوا مثلها خلال كل السنوات السابقة ، وحدث بين الجماهير العربية فى فلسطين تطور عكسى فانتقل مركز نشاطهم السياسى واتخاذ القرارات السياسية الرئيسية بشأن الأساليب المستخدمة ضد الانتداب إلى هيئة سياسية موجودة خارج فلسطين (الجامعة العربية) ومما لا ريب فيه أن هذا التطور قد أعطى للفلسطينيين منفذا هاما كى تصل من خلاله أراؤهم إلى المجتمع الدولى والرأى العام العالمى ، لكنه لم يأت بشئ ملموس على صعيد تقوية المجتمع العربى الفلسطينى أو جعله أشد تماسكا حيث تميزت هذه السنوات الأخيرة من الانتداب بالتدويل التام لمشكلة فلسطين . فالفلسطينيون توجهوا صوب المجتمع الدولى عن طريق الجامعة العربية والصهيونيون سلكوا الطريق ذاتها عبر حكومة الولايات المتحدة(١) .

الجامعة العربية وتمثيل فلسطين فيها :

عند بداية أعمال اللجنة التحضيرية المنعقدة فى الاسكندرية أثيرت مشكلة فلسطين وضرورة تمثيلها واشتراك ممثلها فى مجلس الجامعة وناشد عبد الرحمن عزام (٢) اللجنة ألا تقفل باب الأمل والرجاء فى وجه العناصر العربية الأخرى غير المستقلة فى الجامعة لأن هذا الميثاق يعمل لأمة آتية وأنه ليس هناك معنى

---

(١) أن دراسة ممتازة للنشاطات الدبلوماسية الصهيونية فى الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية توجد فى الكتاب التالى :

Stevens, S, Richard. American Zionism and U. S Foreign policy 1942 – 1947 New York 1962

(٢) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية – مرجع سابق ص ١٤٩ – ١٥٠ .

محمود كامل المحامى : الدولة العربية الكبرى ، دار المعارف القاهرة ص ٥٦١ .

لحرمان ثلاثين مليونا من هذه الشعوب من الاشتراك فيها ، واستقر الرأى على وضع نصوص خاصة بفلسطين . وكان اجتماع اللجنة التحضيرية فى شكل مؤتمر جلسات علنية لتوقيع الميثاق فى يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ :

وفى الاسكندرية تم اختيار موسى العلمى بواسطة جميع الأحزاب العربية فى فلسطين للأشتراك فى أعمال اللجنة باعتباره عضوا يمثل فلسطين وقد ألقى بيانا مطولا فى الجلسة السابقة يوم ٥ أكتوبر ١٩٤٤ حيث اقترح فى هذه الخطاب تأسيس صندوق قومى عربى تشترك فيه جميع البلدان العربية وتشرف على إدارته كى تصون للعرب أراضى فلسطين ، واقترح إرسال وفد يمثل جميع الدول العربية إلى لندن وواشنطن وموسكو لبيان أخطاء السياسة المزمع انتهاجها بشأن فلسطين وهى أما تقسيم فلسطين أو فتح باب الهجرة الواسعة أمام اليهود فى حالة إبقاء فلسطين وحدة كاملة .

وقد وافقت اللجنة التحضيرية على اقتراح قدمه ينص على أن اللجنة ترى أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية وأن حقوق العرب لايمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى (١) .

وبالطبع كان هذا كلاما منمقا ومجرد خطب و أحاديث ولكن عند نظر اللجنة فى الأوضاع الفعلية نجد أنها قد أحالت موضوع الصندوق العربى لانقاذ أراضى فلسطين إلى أحد اللجان ، ولم ير هذا الاقتراح النور إلا قبل دخول القوات العربية فلسطين فى سنة ١٩٤٨ مما أفقده قيمته وحقيقته .

أما اقتراح تأليف وفد عربى لشرح المشكلة الفلسطينية فى الخارج فلم توافق عليه اللجنة بحجة « أن هذا ليس من المصلحة » وهكذا ظهر عدم فعالية أو قدرة الجامعة العربية على مواجهة المشكلة منذ البداية .

---

(١) أنظر الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الأولى (١٩١٥ - ١٩٤٦) نشر الأمانة العامة بجامعة الدول العربية - مرجع سابق .

وعند انعقاد اللجنة الفرعية الخاصة بوضع ميثاق جامعة الدول العربية بحـ
موضوع دعوة موسى العلمى مندوب فلسطين لحضور اجتماعاتها وقد اعتر
هنرى فرعون مندوب لبنان على ذلك بأن وجود دولة غير مستقلة يدعـ
حجة مكونى الجامعة وأخيراتم الرأى على دعوة موسى العلمى بحيث تكو
له صفة استشارية فقط ولايكون له حق التصويت لأن ذلك يترتب ع
التزام لايستطيع تنفيذه ، ثم ناقش المجتمعون ماذا يقال بشأن الدعوة .. ،
يطلق عليه مندوب فلسطين أومندوب عرب فلسطين ؟ وأخيرا تقرر دعـ
إلى حضور الاجتماعات بدون الأشارة إلى صفته وكان هذا الوضع هو أ
العلامات المميزة للجامعة العربية «فكثيرا ما تدفن رأسها فى الرمال وتهرب
مواجهة المشكلات بالتغاض وأغماض العين عنها » ، ثم أثيرت مشـ
اشتراك مندوب فلسطين فى مجلس الجامعة وقد اقترح عبد الرحمن عز
فى الجلسة الرابعة عشر المجنة الفرعية فى أول مارس ١٩٤٥ أن تطلب اللـ
الفرعية من اللجنة التحضيرية الاعتراف بحق فلسطين فى الاشتراك فى جا
الدول العربية على قدم المساواة مع الدول المستقلة ؛ على أنه لما كا
فلسطين لأسباب قاهرة لم تمارس فعلا حقوقها فى الاستقلال المعترف له
طبقا للمادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم وكان الاعتراف بهذا الحق مايز
قائما من الناحية الشرعية . . لذلك تقترح اللجنة أن يتولى مجلس الجامعة أ
اختيار مندوب عربى عن فلسطين لتمثيلها فى مجلس الجامعة إلى أن يتمتع ه
القطر بممارسة استقلاله ، وقد أخذت اللجنة التحضيرية بهذا الرأى وأفرد
لفلسطين ملحقا خاصا(١) .

وعندما اجتمع مجلس الجامعة فى ١٢ نوفمبر ١٩٤٦ ناقش موضوع الطر
التى ينتخب بها العضو الذى يمثل فلسطين فى مجلس الجامعة وموعد انـ
مدته وكيف تنتهى ، فالحكومات العربية هى التى تمثل فى المجلس وهى الـ

---

(١) المرجع السابق .

تعين ممثليها وتغيرهم ، أما فلسطين فمركزه مختلف إذ سيعينه المجلس ولذلك يجب تحديد هذا المركز .

وتكونت لجنة من حافظ رمضان ونوري السعيد وعبد الرازق السنهوري وحبيب أبو شهلا ومحمد الشريقي وعبد الرحمن عزام للبحث في موضوع تمثيل فلسطين في مجلس الجامعة . وقد اقترحت اللجنة ووافق المجلس على اقتراحها في ٤ ديسمبر ١٩٤٥ على أن تمثل فلسطين بمندوب واحد أو أكثر بحيث لا يزيد عدد الفلسطينيين عن ثلاثة ويشترك الوفد في جميع أعمال المجلس . . ويكون مفهوما أن اشتراك الوفد الفلسطيني معناه أن يكون له حق التصويت في قضية فلسطين وفي الأمور التي يستطيع أن يلزم فلسطين بتنفيذها وطريقة اختيار المندوبين تتم بترشيحهم من قبل اللجنة العربية العليا ثم بتعيينهم من قبل مجلس الجامعة وإذا تعذر الترشيح يرد الأمر كله للمجلس ، وقد نوقش هذا القرار مرة أخرى في الجلسة الثانية لمجلس الجامعة التي عقدت في ٢٨ مارس ١٩٤٦ وانتهى الرأي إلى أن يكون تمثيل فلسطين في مجلس الجامعة بمندوب عربي واحد وأن لا يشترك إلا في المسائل الخاصة بفلسطين وقرر المجلس أنه يعهد إلى الأمانة العامة بوضع الأسس التي تراها مناسبة للتصويت .

موقف الصهيونية :

بدء الأرهاب :

رأى الصهيونيون أن من واجبهم الاشتراك بقدر المستطاع فى الكفاح ضد هتلر ، وقد لعب الكثيرون منهم دورا هاما فى الجيش البريطانى فى الشرق الأدنى ولكن ذلك لم يمنعهم من مواصلة احتجاجهم على الكتاب الأبيض الذى صدر فى مايو ١٩٣٩ نظرا لما تضمنه من بقاء فلسطين تحت حكم بريطانيا ومناقشة فكرة الدستور خلال خمسه أعوام وأن حصول فلسطين على استقلالها سيتم خلال عشرة أعوام ومن الممكن أن يهاجر ٧٥٠٠٠ يهودى خلال الأعوام الخمسة التالية ثم تصبح الهجرة خاضعة لموافقة الأغلبية العربية كما نص على أن فلسطين لن تكون دولة عربية ولا دولة يهودية .

وفى الواقع سوف يبقى اليهود طبقا لهذا الكتاب فى الدولة ذات القوميتين طبقا لأراء أحد المؤرخين الغربيين (١) — يتراوح فى حدود ثلث المواطنين ، وبلغ غضب الصهيونيين قمته لاسيما وأن مئات الألوف من المهاجرين اليهود اتجهوا بأنظارهم إلى فلسطين أثر أجتياح القوات الألمانية لأوربا مما جعل المهاجرين اليهود يزاولون الهجرة الخفية مستخدمين فى ذلك المجازفات التى انتهت بالكوارث أحيانا مثل ما حدث عندما غرقت الباخرة شتروما فى البحر الأسود الذى راح فيه ٧٦٨ غريقا حسب الرواية الصهيونية (٢) .

وخطى الصهيونيون خطوات واسعة سريعة للامام فى أعقاب الحرب وكان بينهم أقليات عاملة تنتمى للمجموعات اليمينية المتطرفة وقررت أن تبدأ العمليات الأرهابية ضد بريطانيا التى كانوا يعتبرونها بمثابة دولة مستعمرة وكانت منظمة « آرجون » (٣) هى الأولى الرائدة فى

(1) Rodinson, Op. cit, PP 27 -30.

(2) Aleum op, cit, pp 223 – 225.

(٣) منظمة آرجون هى منظمة عسكرية وطنية حسب مفهوم الصهيونية .

ميدان النشاط الأرهابي وهي المتفرعة من الحزب الذي انفصلت عنه مجموعة « اشترن »(١) ولم توافق هذه الأخيرة على الهدنة التي قررتها « آرجون » للانجليز في بداية الحرب ولكن المجموعة توقفت بموت زعيمها (أولا بالأصح إغتيالة) .

واستؤنف القتال بصورة جدية في بداية عام ١٩٤٤ الذي استنكرته الوكالة اليهودية والهاجاناة ، وكانت الهاجاناه قد أدت بعض العمليات العسكرية الهامة إلى جانب الحلفاء خاصة في الحملة على سوريا ولبنان ، إذ قامت فرقة بقيادة موشي ديان بأعمال التجسس والاستطلاع قبل قيام الحملة في ٨ يونيو عام ١٩٤١ وكان ديان من المشاغبين للسلطات البريطانية قبل الحرب وقد اعتقل في عام ١٩٣٩ ثم أطلق سراحه مثل كثيرين من المشاغبين اليهود الذين أبدوا استعداداً لمحاربة الألمان كمرحلة فقط في سبيل بناء الدولة اليهودية .

وقد استنكرت الوكالة اليهودية أيضاً أعمال العنف من جانب المتطرفين في الآرجون والذين عبروا عنه بواسطة الحركات السرية؛ وبذلك ساندت الوكالة اليهودية الرأي العام اليهودي الذي كان مستاءاً من رفض بريطانيا التصريح بحرية دخول يهود أوربا الهاربين من الهتلرية إلى فلسطين الأمر الذي أكسب الوكالة اليهودية ميزات عدة وسيطرت العناصر المتطرفة ممثلة في يهود فلسطين والويالات المتحدة على الحركة الصهيونية حيث انتقل ثقل الصهيونية إلى الولايات المتحدة .

تحول الصهيونية إلى الولايات المتحدة :

حينما لم تف الحكومه البريطانية بوعدها للصهاينة بأنشاء القوة المقاتلة اليهودية حتى لاتغضب العرب في أواخر عام ١٩٤٠ وأوائل عام ١٩٤١ اندفع بن جوريون بناء على نصائح أصدقائه من البريطانيين وعلى رأسهم

---

(١) واسمها : المناضلين من أجل حرية اسرائيل حسب المفهوم الصهيوني .

أورد وينجييت للتوجه إلى الولايات المتحدة للاستعانة بالأمريكين فى المطالبة بإنشاء القوة المقاتلة اليهودية (١) ، وقد عكف بن جوريين – باعتبـــاره رئيساً للجنة التنفيذية الصهيونية – على وضع مخطط لنشاطة المقبل فى الولايات المتحدة والذى أدى إلى ظهور مايسمى «ببرنامج بلتمور عام ١٩٤٢» كما سيأتى ذكر ذلك . وكان الهدف الأساسى للخطة الصهيونيه الجديدة هو « الإعداد لإقامة الدولة اليهودية» وفى اجتماع اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية ، شرح بن جوريون أبعاد المخطط الصهيونى فى سلسلة من الاجتماعات الحربية التى عقدها خلال شهر مارس ١٩٤١ وحدد خلالها عدة نقاط (٢) بارزة منها العمل على إقامة حكم يهودى فى فلسطين بواسطة تعبئة القوى اليهودية العالمية وخاصة فى بريطانيا والولايات المتحدة وتكوين الجيش اليهودى بإستغلال حالة الحرب تكون مهمتة الأولى الدفاع عن فلسطين وتنظيم الهجرة بحيث يمكن نقل عدة ملايين من يهود أوربا إلى فلسطين بعد الحرب وتحويل فلسطين إلى كومنولث يهودى (٣) وتفريغ فلسطين من سكانها العرب .

وقد حمل بن جوريون خطته وتوجه فى مستهل عام ١٩٤١ إلى الولايات المتحدة بدلاً من بريطانيا ، إذ قدرت المنظمة الصهيونية أن بريطانيا لن تتمكن من الاحتفاظ بالانتداب بعد الحرب لأنها وإن كانت

---

(١) Sykes Christopher' Order Wingat – London. Collins, 1959 pp 222 – 234.

(٢) مذكرات بن جوريون « جويش أوبزرفر » عددى ١١ فبراير و ٦ مارس سنة ١٩٦٤ .

(٣) عرف بن جوريون كلمة « كومنولث يهودى » فى مذكراته بقوله :

« أن كلمة كومنولث الانجليزية تعنى جمهورية ويمكن استخدامها بالنسبة لدولة مستقلة ذات سيادة أو بالنسبة لدولة ضمن اتحاد فيدرالى يضم دول أخرى بل ويمكن أن نطلقها على ما يسميه البريطانيون « ممتلكات » أن كل مانريد هو تعريف يشمل هذه الاحتمالات الثلاث « أنظر مذكرات بن جوريون – المرجع السابق .

ستخرج منتصرة إلا أنها ستخرج وقد أضعفها الصراع بما لا يمكنها من الاستمرار فى القيام بأعباء الانتداب أو المناداة بمشروع التقسيم مرة أخرى ويقول بن جوريون :

« لم أعد أشك فى أن مركز ثقل عملنا السياسى فى حلبه الصراع الدولى يجب أن يتحول من بريطانيا إلى الولايات المتحـــدة الأمريكية التى أمسكت بالزعامة الـــدولية بقوة ، وبها أقوى حشد لليهود خارج أرض فلسطين وأكثر اليهود نفوذاً : كما أن الحرب ستضعف من قوة أوربا وبالتالى سيتوقف وجودها لسنوات كثيرة قادمة على المعونات الأمريكية الاقتصادية وبذلك يتحول أى قرار للمشكلة السياسية إلى الجانب الأمريكى الإيجابى النشط فى القتال وفى التسوية للسلم » (١) .

وقد جاءت الحرب العالمية الثانية لتوقف نشاط المؤتمرات العالمية التى كان يعقدها اليهود من حين لآخر لبحث موضوع الوطن القومى وحلت محل هذه المؤتمرات لجنة تنفيذية تخضع للعناصر المتطرفة ، وهذه اللجنة هى التى دعت فى ذكرى مضى ربع قرن على وعد بلفور إلى مؤتمر بلتمور التاريخى ، ونظراً لأهمية هذا المؤتمر فى صياغة الأهداف النهاية للحركة الصهيونية واستقطابه للرأى العام اليهودى قبل نهاية الحرب فسوف تتعرض للظروف التى صدرت فيها قرارات هذا المؤتمر والتى أطلق عليها : « برنامج بلتمور » .

(١) شرح بن جوريون أبعاد هذا البرنامج فى سلسلة الاجتماعات التالية :

١ – اجتماع اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية فى ٩ مارس ١٩٤١ .

٢ – اجتماع حزب « يو على صهيون » فى ١٧ مارس ١٩٤١ .

٣ – اجتماع اللجنة التنفيذية للمهاجرين الألمان فى ٢٠ مارس ١٩٤١ .

أنظر فى تفصيل ذلك : العسكرية الصهيونية – المجلد الأول (المؤسسة العسكرى الاسرائيلية) – النشأة والتطور – (١٨٧٧ – ١٩٧٧) اصدار مؤسسة الأهرام – القاهرة ١٩٧٢ ص ١٢٥ وبعدها .

وأنظر أيضاً :

Ben – Gurion, David: Israel Years of challenge N. Y. Holt, Rien hart Winston, 1963.

برنامج بلتمور : Biltmore

فى سنة ١٩٤١ جاءت الأنباء الأولى التى تواترت عن أعمال الاضطهاد التى يتعرض لها اليهود فى ألمانيا حافزة للمسئولين الصهيونيين بأن يتجهوا بتفكيرهم إلى النصر الذى سوف يحققه الحلفاء ، والذى لم يكن موضع شك لديهم قط ، لن يأتى بالحل النهائى للمشكلة اليهودية . وقد قوى الاعتقاد لدى الرأى العام اليهودى أن اليهود لن يكونوا فى مأمن إلا داخل بلد يكون لهم وحدهم برمته ، يستطيعون فى داخله أن ينظموا وسائل حمايتهم فى ظل سلطان كامل ، وعلى ذلك لم يكن الوطن القومى بالشىء الذى يكفى لتحقيق هذا الغرض الملح دائماً كان لابد للأمة اليهودية من دولة يهودية وكان ذلك مجالا جديداً للتفكير فحتى هذه الفترة كان هناك فريق اليهود يطلق عليهم التعديليون هم وحدهم الذين طالبوا بإقامة الدولة اليهودية ، وكان هناك فريق آخر من غير الصهيونيين — فكانوا يعارضون هذا الاتجاه وكانت الغالبية من الصهيونيين على استعداد للاكتفاء بالوطن القومى ، ويؤكد بعض المؤرخين الغربيين(١) أن الاحتمالات التى أقامها مشروع التقسيم فى عام ١٩٣٧ كانت قد أغرتهم بما فيها من آمال ولكن العدول عن مشروع التقسيم هذا لم يكن العامل الرئيسى فيما يضمرونه من حقد على انجلترا .

ففى نهاية عام ١٩٤١ صدر عن وايزمان تحديد صريح لما يطالب به الصهيونيون كان فيه الدليل على بدء التحول الذى حدث فى الصهيونية فقد قال : (٢) :

« يجب أن يقال بوضوح للعرب أن اليهود سوف يلاقون كل تشجيع من أجل استقرارهم فى فلسطين وأنهم سوف يتولون هم أنفسهم الرقابة على هجرتهم ، ويجب أن يقال لهم فى وضوح أن من شاء من اليهود القدوم

(1) Aleum, op. cit, pp 225 – 227.

(2) Weizmann, chaim, Naissance d'Israel paris 1957. d. 500–505

إلى فلسطين سيكون فيها حراً وسيباشر الحكم فيها داخل دولة خاصة باليهود ولذلك ينتهى العهد الذى كان فية اليهود أقلية خاضعين لمشيئة الأمم الأخرى » .

وكان من شأن هذا التعريف الجديد للصهيونية أن يلقى التأييد والموافقة من قبل اليهود الغربيين وبينهم أغنى المصرفيين قاطبة بين يهود العالم ، وتمت هذه الموافقة وصدر هذا التأييد قبل عرض فكرة هذا التحول فى معنى الصهيونية على الجمعية العمومية فى القدس ، وكان هذا هو الغرض الذى من أجله اجتمعت « لجنة الطوارئ الأمريكية للشئون الصهيونية » وهى منبثقـــة عن الوكالة اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية وكان اجتماعها هذا فى مدينة نيويوك فى خلال شهر مايو عام ١٩٤٢ وتكون من الاجتماع مؤتمر صهيونى ضم ٦٠٠ عضو . وكانت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ممثلة فى هذا المؤتمر بشخص وايزمان وبن جوريون .

وأصدر المؤتمر قراراته(١) التى أطلق عليها « برنامج بلتمور » ووجد المؤتمر أن الحل الكامل للمسألة اليهودية يتطلب نقل نسبة كبرى من يهود أوربا ولايمكن أن يتم ذلك إلا بمنح الوطن القومى اليهودى استقلاله اللازم كدولة يهودية(٢) وتكليف الوكالة اليهودية بممارسة الرقابة على الهجرة اليهودية وأصبح بن جوريون بطل برنامج بلتمور الذى أصدرت هيئة « القاعاد اليومى »(٣) موافقتها عليه فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بأغلبية ٢١ صوتا ضد أربعة أصوات ، ومن نافلة القول أن أحد الأصوات المعارضة وهو حاييم كالفاريسكى رئيس موسسة الرابطة من أجل التقارب والتعاون بين اليهود والعرب ومن أنصار القومية المزدوجة . الذى يرى أفرادها إقامة دولة عربية صرح بقوله(٤) :

---

(١) أنظر النص الأصلى فى : Zionist Review, May 25, 1942

(٢) أنظر : Cohen, Israel: A Short History of Zionism. London Eredreich Muller 1957.

(٣) هيئة القاعاد اليومى هى الهيئة الحكومية اليهودية فى فلسطين .

« لو أننا خصصنا فقط جزءاً من الموارد التى اقتنيناها فى السعى وراء الحصول على العطف من قبل الأمم والأفراد البعيدين عنا .. ووجهناه لكسب عطف الأمة العربية ... عن طريق إنشاء روابط اقتصادية وسياسية وأخلاقية وثقافية معها لكان وضعنا الحالى فى كل من فلسطين وأوربا غير ما هو عليه الآن »

كذلك فقد نشطت الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة فتأسس منذ عام ١٩٤٣ المجلس الصهيونى الأمريكى للطوارئ(١) وكان يشمل جميع التنظيمات الصهيونية وتركزت وظيفة هذا المجلس على تنسيق العمل والجهود فى كافة المجالات والعلاقات الأمريكية لصالح الحركة الصهيونية .

---

(1) Snetsinger John, Truman, The jewish Vote and the Creation of Israel, Hoover Institution studies "19" London 1974.

إيجاد القوة العسكرية الصهيونية فى فلسطين :

جاء تركيز الصهيونية – حتى قبل بداية الحرب العالمية الثانية – على ضرورة إنشاء « قوة مقاتلة يهودية » بصفة رسمية وبتأييد كامل من الحكومة البريطانية وقد توجه بن جوريون إلى انجلترا فى مايو ١٩٤٠ لمعاونة حاييم وايزمان فى مسعاه « لإنشاء الجيش اليهودى » وما أن وصل إلى لندن حتى عكف على وضع خطة صهيونية اشتملت على نقاط أهمها :

١ – عدم تعرض القوات البريطانية فى فلسطين لقوات الهجاناه السرية وإصدار التعليمات اللازمة بذلك .

٢ – الإسراع بإنشاء قوتين مقاتلتين من اليهود إحداهما من يهود فلسطين والأخرى من يهود الدياسبورا .

٣ – إنشاء مصنع للأسلحة فى فلسطين .

٤ – إعداد مائتى يهودى فلسطينى (من الضباط وضباط الصف) ليشكلوا كادر القيادة اللازم للجيش اليهودى (١).

وفى ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ وافقت الحكومة البريطانية برئاسة ونستون تشرشل على إنشاء « القوة المقاتلة اليهودية » من عشرة آلاف رجل ، على أن يجند منهم ثلاثة أو أربعة آلاف رجل من يهود فلسطين « وفى هذا اليوم صرح وايزمان(٢) :

« أنه ليوم عظيم ، لا يقل عن يوم وعد بلفور »

غير أن الحكومة البريطانية لم تف بوعدها حتى لا تغضب العرب مما دفع بن جوريون بناء على نصائح أصدقائه من البريطانيين وعلى رأسهم أورد – وبينجيت ، أن يتوجه إلى الولايات المتحدة للاستعانة بالأمريكيين

(1) Cohen, Israel, A short History of Zionism, op, cit, The jewish chronicle, Friday, May, 15, 1942.

(2) Sykes, Christopher, Order Wingate, op. cit, pp 221-230.

فى المطالبة بإنشاء القوة المقاتلة اليهودية(١) ويقول بن جوريون (٢) بهذا الخصوص :

« لم أعد أشك فى أن مركز ثقل عملنا السياسى فى حلبة الصراع الدولى يجب أن يتحول من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ... »

وقد أقر برنامج بلتمور — كما سبق أن اشرنا — العمل على انشاء الجيش اليهودى ولم تتوقف جهود وايزمان — الذى بقى فى لندن — لمتابعة تحقيق الأمل الصهيونى بانشاء القوة اليهودية وبعد أشهر من المطالبة المستمرة بإنشاء قوة يهودية أعلنت الحكومة البريطانية فى أغسطس ١٩٤٢ موافقتها ؛ إلا أن القيادة الصهيونية لم تقتنع بذلك وواصلت مسعاها لتشكيل وحدات يهودية مقاتلة تشترك فى العمليات الحربية حتى يمكن توفير الجيش الصهيونى النظامى المدرب والمطعم بالخبرة القتالية الواقعية ، وبعد مضى ثلاث سنوات من التسويف أعلنت الحكومة البريطانية فى ١٩ سبتمبر ١٩٤٤ موافقتها على انشاء « لواء يهودى » للإشتراك فى العمليات الحربية بعد أن اطمأنت على الموقف فى الشرق الأوسط وانهى القتال بهزيمة القوات الألمانية فى شمال أفريقيا وضعفت الحاجة إلى تأييد الشعوب العربية .

ويعترف بن جوريون بفضل ونستون تشرشل فيقول : (٣)

« ان اقتراح إنشاء جيش يهودى كان قد تأجل عدة مرات ، إلا أن حكومة تشرشل هى التى تبنته فى النهاية ، وأشك فى إمكان حدوث ذلك فى ظل رئيس وزراء آخر غير تشرشل » .

وقد وقف تشرشل فى مجلس العموم يدافع عن قراره بشأن إنشاء قوة يهودية محاربة تشارك فى النصر الذى لاحت بوادره قائلا (٤):

(1) Ibid p. 231.

(2) Ibid p. 235.

Ben Garion, David, Israel Years of challenge op, cit.

(3) Ben. Gurion, David, Looks back, in talks with Moshé Pearman. N.Y. Simon and Schuster, 1965.

(4) Cohen, Israel, A short History of Zionism, op. cit.

« لقد قررت حكومة صاحبة الجلالة أن توافق على الطلب الذى تقدمت به الوكالة اليهودية لإنشاء لواء يهودى يشترك فى القتال .. ويبدو لى أنه من المناسب أن تشكل وحدة يهودية خاصة تمثل ذلك الجنس الذى قاسى من اضطهادات النازى بدرجة لا توصف ،وتكون كتشكيل متميز بين القوات التى حشدت لتحقيق النصر النهائى ، ولا يساورنى الشك فى أنهم لن يشتركوا فى هذا النضال فحسب ، ولكن كذلك فى احتلال أرض العدو فيما بعد » .

وتم تشكيل القوة اليهودية المعترف بها رسميا التى ترفع العلم اليهودى ويضع أفرادها شريطا من اللونين الأبيض والأزرق على أكتافهم يتوسطه درع داود ، كما عين البريجادير أرنست بنيامين قائد اللواء اليهودى وقد اشترك هذا اللواء فى القتال على الجبهة الإيطالية وفى النمسا وبلجيكا .

وهكذا تم للقيادة الصهيونية ما أرادت حيث اعتبرت ذلك بمثابة مناسبة لتدريب الآلاف من شبابنا (١)على حساب الامبراطورية البريطانية .

ثم لجأت القيادة الصهيونية إلى تنظيم عمليات التطوع موعزة للكثيرين من أعضاء الهاجاناه للقيام بذلك . ولقد ثبت فيما بعد أن هذه الخطوة كانت من الخطوات الهامة التى أقدمت عليها الصهيونية خلال الحرب ، إذ اتضح بعد نهاية الحرب وتسريح الجيوش أن ٢٦٦٢٠ يهودياً فى فلسطين كانوا قد خدموا فى الجيش البريطانى أثناء الحرب (منهم ٤٨٦٧ جنديا فى سلاح المشاة و ٤٣٢٠ جنديا فى سلاح المهندسين ، ١٨٦٣ فى السلاح الجوى ، ١١٠٥فى السلاح البحرى ، ٦٧٠ فى المدفعية) وذلك بالإضافة إلى ٨٠٠شخص تجندوا للفرقة اليهودية رأساً ، ستة آلاف من الخفراء (نوطريم) كانوا يعملون فى فلسطين . (٢) وبعبارة أخرى تم خلال الحرب تدريب مايقارب

---

(١) بن – تسيون دينور ، تاريخ الهاجاناه فى مجلة دراسات فلسطينية العدد ٣١ مارس ١٩٧٤ مرجع سابق ص ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق .

من ٣٠ ألف يهودى فى فلسطين على استعمال السلاح بكافة أنواعه بفضل تعاون الصهيونيين مع بريطانيا ، ولقد كانت تلك القوى البشرية خير نواة للجيش الإسرائيلى الذى أقيم بعد حوالى السنتين من تسريح الدفعات الأخيرة من أولئك المجندين .

وعلى أرض فلسطين ذاتها استفادت الهاجاناه (١) من ظروف الحرب العالمية الثانية حيث نشأ تعاون أوثق بينها وبين السلطات العسكرية البريطانية كما سبق أن أشرنا — وفى نهاية الحرب كانت الهاجاناه لديها : (٢) .

١٠٠٧٣ بندقية عادية ، ١٩٠٠ بندقية أوتوماتيكية ، ١٨٦ مدفع رشاش و ٩٢٩ مدفع رشاش خفيف ، ٦٧٢ مدفع مورتر عيار بوصتين ، ٩٦ مدفع عيار ٣٠ بوصة .

وتذكر مصادر أخرى (٣) أن الهاجاناه قد دربت ستين ألف رجل على أحدث أساليب القتال لتكون نواة للجيش الإسرائيلى فيما بعد .

وعند نهاية الحرب طرح موضوع إعادة فتح باب الهجرة دون قيد إلى فلسطين ولما لم تستجب بريطانيا لهذا الطلب مال كثيرون من أعضاء الوكالة اليهودية إلى التعاون مع العناصر المتطرفة من التنظيمات العسكرية السرية لليهود

---

(١) الهاجاناه كلمة عبرية تعنى الدفاع وقد تحولت إلى منظمة عسكرية تتبع الوكالة اليهودية المعترف بها من بريطانيا ويقول بن جوريون أن نواتها الأولى نشأت فى العصر العثمانى بقصد حماية المستعمرات الأولى من غارات البدو ثم اتسع شأنها حيث أصبح اليهود الروس يشكلون العنصر الفعال فى الهاجاناه وقد درب بن جوريون فى صفوف تلك المنظمة واشترك فى حملة الإنجليز لغزو فلسطين سنة ١٩١٧ وفى بداية عهد الانتداب سحبت السلطات البريطانية السلاح من أيدى الهاجاناه ر مالبثت أن ردته اليها مع مزيد من المعونات بسبب ثورات العرب المتكررة والتى ترجع إلى سنة ١٩٢١ . أنظر :

Ben Gurion, David : Israel Years of challenge, op, cit, p 195.

(2) Aleum, op. cit p. 227.

(٣) أنظر : أحمد بهاء الدين — اسرائيليات — دار الهلال — القاهرة بدون تاريخ اصدار ص ١١٢ .

وهى آرجون زفاى ليومى واشترن ، ومما مهد لهذا التعاون تولى قائد جديد للهاجاناه يدعى سنيخ وكان ميالا لعصابة الآرجون (١) وهكذا عينت الوكالة فى لجنة للتنسيق مسئول خاص للاتصال بتلك العصابات ، ويعترف ساشر الكاتب الصهيونى الذى وضع مؤلفاً عن قيام إسرائيل بأن سنيخ كان على علم بحادث تدمير فندق الملك داود بالقدس (٢) وهو مقر مكاتب الإدارة البريطانية فى فلسطين ، وقد وقع الحادث فى ٢٢ يوليو عام ١٩٤٦ – كما ستأتى الإشارة إليه – وتنصلت الوكالة اليهودية من المسئولية .

وحقيقة الأمر (٣) أن الخلاف بين الهاجاناه وبين الآرجون لم يكن على حادث نسف الفندق بل على توقيته فأرادت الهاجاناه أن يتم التدمير وقت غياب الموظفين واستخفت الآرجون بهذه الدعوة لأنها كانت واثقة من أن الهاجاناه تتستر على أعمالها ، وعلى أى حال فان الوكالة نفسها وافقت على مبدأ الاصطدام بالإنجليز منذ أكتوبر ١٩٤٥ ، وقد أحدثت هذه الأعمال كثيراً من الآثار التى توقعها الصهاينة وكانوا يهدفون – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – إلى تدعيم اشتراك الولايات المتحدة فى المشكلة الفلسطينية ، وكانت الولايات المتحدة بالفعل قد ظهر اهتمامها بالمشكلة الفلسطينية لأسباب أخرى أيضاً لها حيويتها وهى البترول العربى والهجرة اليهودية وذلك بالإضافة لى انتقال ثقل الصهيونية إليها .

---

(١) الدكتور محمد أنيس والدكتور السيد رجب حراز ، الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر – دار النهضة العربية ص ٥٥٩ – ٥٦٢ وقد كانت الآرجون هى المنظمة العسكرية الأولى فى ميدان النشاط الإرهابى وهى المنفرغة عن الحزب الذى انفصلت عنه مجموعة أشترن « المناضلين من أجل حرية إسرائيل » كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى المتن :
Rodinson, Maxime, op, cit. p 27.

(2) Sacher, Israel. Establishment of a State, London, 1949 p. 290.

(٣) الدكتور صلاح العقاد ، قضية فلسطين « المرحلة الحرجة » مرجع سابق ص ص ١٨ – ١٩ .
الدكتور جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق .

طبيعة الاستعمار الصهيونى فى فلسطين
فى الفترة من ١٩٤٥ — ١٩٤٧ :
الضغط لفرض الدولة :

لم يتخل زعماء الحركة الصهيونية عن أعتقادهم بأن سياسة الدولة اليهودية المستقبلة لن تلق معارضة تستحق الذكر من جانب الشعوب العربية متى تم وضعها موضع التنفيذ بحزم ، فلا تزال حدود الانتداب فى عرفهم تشمل فلسطين التاريخية على ضفتى الأردن : الشرقية والغربية ، لذلك كان مطالبهم الذى جاء فى تصريح زعماء الحركة الصهيونية فى يوليو ١٩٤٥ مايلى :

« أن مطلبنا من بريطانيا هو أقدامها بالاشتراك مع الدول الكبرى على أعلان عزمها على الاعتراف بفلسطين الأنتداب كدولة يهودية تحكم نفسها بنسفها — ويجب أن تقوم حكومة يهودية موقتة تتمتع بسلطات تخولها تنفيذ شتى الاجراءات التى تتيح المجال أمام أعلان الدولة اليهودية فى أقرب فرصة ممكنة ... وتنظيم عملية نقل اليهود طوعا من أوروبا وغيرها إلى فلسطين » . (١)

كذلك كانت الوكالة اليهودية قد قدمت مذكرة لمؤتمر سان فرنسيكو فى فى مطلع مايو عام ١٩٤٥ ضمنتها برنامجا من خمس نقط يقصد « الحفاظ على الحقوق القومية اليهودية فى فلسطين وعرض موقع المذكرة — حاييم وايزمان — ضروة أتخاذ الخطوات الخمس التالية لتحقيق غايات الانتداب وسد حاجات الشعب اليهودى :

أولا : أن تعلن الدول الكبرى فى الحال قرارها القاضى بجعل فلسطين كومنولثا يهوديا حرا وديموقراطيا .

ثانيا · أن تلغى بسرعة جميع القيود على الهجرة وبيع الأراضى وتوظيف اليهود بفلسطين .

---

(1) Thc Jewish Standard July 20, 1945

ثالثا : أن تناط بالوكالة اليهودية سلطات للإشراف على الهجرة إلى فلسطين وبناء البلاد وتطوير الأراضى المتروكة .

رابعا : أن تمد الوكالة اليهودية بمساعدات مالية وفنية من الحكومات لكى تؤمن الهجرة اليهودية على نطاق واسع .

خامسا : أن تمنح الوكالة اليهودية حق الاستشارة والتمثيل فى المحافل والهيئات الدولية شئونا متعلقة بفلسطين . (١)

وقد ظهرت بين اليهود فى فلسطين فى هذه الفترة أتجاهات متباينة أختلفت آراؤها حول مستقبل اليهود فى فلسطين ، فقد كانت هناك جماعة حايم جالفيرسكى التى تعتنق الماركسية رسميا وجماعة هاشومير هاتساعير والحارس الشاب اليسارية ، وكلتاهما تعتنقان فكرة دولة ثنائية فى فلسطين تشترك فى تأسيسها العناصر التقدمية من العرب واليهود ، ومما يدعو للدهشة أن فريقا من الكتاب الصهاينة يدعون أن هذه الأفكار لم يتسع نطاقها لأنها لم تجد أية أستجابة لدى العرب ربما من قبيل التأثير والدعاية والظهور أمام الدولة الأشتراكية بمظهر المتسامح ، وقد خدع بعض الشيوعين العرب فاستجابوا لهذه الفكرة وأعترضوا على الحرب ضد أسرائيل فى ذلك الوقت ، كذلك ظهرت بين اليهود أحزاب دينية بعضها أتخذ من الدين منطلقا إلى المساومة واتهم الوكالة اليهودية بالإلحاد ، بينما كان الدين بالنسبة للاخرين دافعا إلى التعصب والتطرف ، وعلى أى حال فإن هذه الجماعات لم ترق إلى مركز القيادة فى الحركة الصهيونية (٢) .

وكان يعقوب شمعونى (٣) أحـــد المستشرقين اليهود البارزين فى نهاية

---

(1) The Jewish standar– May, 11, 1945.

(٢) الدكتور صلاح العقاد ، قضية فلسطين « المرحلة الحرجة » مرجع سابق ص ١٩ .

(٣) يعقوب شمعونى هو مؤلف كتاب « عرب فلسطين » – تل أبيب عام عوفيد ١٩٤٧ وقد تولى رئاسة الدائرة العربية فى الهاجاناه التى افتتحت عام ١٩٤٠ .

الثلاثينات وأوائل الأربعينات قد كلف بتأسيس أرشيف للمعلومات عن التركيب الاجتماعى المدن والقرى العربية فى «فلسطين واستمر نشاطه فى جمع المواد « للملفات القرى » وبعد ذلك كلفت وحدات الاستطلاع التابعة للبالماخ(١) بالاهتمام بالنواحى الطبوغرافية لتلك القرى (٢) وبالإضافة إلى ذلك أقيم أرشيف عربى منظم مع بطاقات جمعت فيه التفاصيل الشخصية عن الزعماء العرب القطريين والمحليين ، قادة العصابات ، المحرضين وما شابه ذلك ، كذلك فتحت ملفات مماثلة للمدن وتم القيام بأعمال استخبارات واسعة بشأن بعض الأشخاص الذين ظهر أنهم سيكونون زعماء المستقبل بما فى ذلك جميع التفاصيل عن أماكن سكناهم وتسليتهم وتحركاتهم وأماكن عملهم « وحتى طريقة الوصول إلى أماكن نومهم » (٣) .

ومع نهاية سنوات الحرب الثانية وصلت الدائرة العربية بصورة أو بأخرى لأهم متطلبات (٤) الهاجاناه ، ثم ابتدأ زعماء الصهيونية يوزعون نشاطهم بين العمل السياسى فى الخارج الذى تولاه وايزمان وشرتوك (شاريت) والعمل العسكرى فى الداخل والخارج وقد تفرغ له بن جوربون تماماً (٥).

---

(١) البالماخ هى القوة الضاربة النظامية التابعة للهاجاناه وهى اختصار لعبارة بلوجوث ماشار ومعناها « فرقة الهجوم » وقد انشئت فى عام ١٩٤٢ بموافقة البريطانيين فى الفترة التى كان فيها روميل يتقدم فى هجومه على مصر بغرض الحرب فى مؤخرة العدو فى حالة ما إذا احتل هذا العدو فلسطين وكان على جنود البالماخ أن يؤدى كل منهم سنتين فى الخدمة نصفها تحت السلاح والنصف الآخر فى الزراعة وهى الصورة التى عليها الناحال فى اسرائيل اليوم .

أنظر
Aleum, op., cit, p 552.

وانظر أيضاً
Perlmntter, Amos : Military and Politics in Israel nations building, role expansion. London Frande Cass, 1969 p 33.

(٢) مجلة دراسات فلسطينية — العدد ٣١ — مرجع سابق ص ١٥٠-١٥٦

(٣) المرجع السابق .

(٤) بن تسبون دينور ، تاريخ الهاجاناه فى : مجلة دراسات فلسطينية — العدد ٣١ — مرجع سابق ص.ص ١٥-١٦

(٥) العسكرية الصهيونية — المجلد الأول (المؤسسة العسكرية الإسرائيلية (النشأة والتطور

ومن كتائب البالماخ شكلت الوحدات التي قامت « باصطياد » أعضاء اتسل « المنظمة المناوئة للهاجاناه » وتسليم العديد منهم للسلطات البريطانية (١) ضمن ماعرف بخطة السترون « في أواخر عام ١٩٤٤ وأوائل عام ١٩٤٥ وذلك بعد أن فاق ارهاب اتسل بقيادة مناحم بيجن الحد المسموح التي أسفرت عن أضعاف اتسل عسكرياً واقتصادياً بعد اعتقال العديد من أعضائها ومنع التبرعات عنها وكان من بين كتائب البالماخ أيضا الوحدات التي شنت الهجوم عدة مرات على القوات البريطانية في فلسطين ومرافقها الحيوية .

وتوجد عدة أدلة تشير إلى حدوث ثلاث عمليات من العنف الرئيسية وقعت في ٣١ أكتوبر ، ١ نوفمبر ١٩٤٥ — ٢٠ : ٢٥ فبراير ١٩٤٦ وقد اشتركت فيها المنظمات الشبه عسكرية الثلاثة ، والتي لم يؤد فقط إلى تدمير كبير . بل إلى خسارة في الأرواح (٢) واشتركت اتسل أيضاً فيها وهـــو ماسمى « بحركة العصيان العبرى » التي نشطت بهدف العمل على حمل

١٨٨٧ —١٩٧٧ ، إصدار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام— القاهرة ١٩٧٢ ص ص ١٢٦ — ١٢٩ .

(١) بن تسيون دينور ، تاريخ الهاجاناه في مجلة دراسات فلسطينية — العدد ٣١ —مرجع سابق .

(٢) بيان اعلامى بشأن أعمال العنف رقم ٦٧٧٣) — اصدار الحكومة البريطانية — وزارة المستعمرات بعنوان « فلسطين » يوليو ١٩٤٦ ص ٣ والادلة التي تستند اليها هي المصادر الثلاثة الآتية :

(أ) سبعة برقيات تيوذلت بين لندن والقدس في الفترة ما بين ١٣ سبتمبر ١٩٤٥ ، ٣ نوفمبر ١٩٤٥ وبرقية أخرى في ١٢ مايو ١٩٤٦ .

(ب) إذاعات متعددة لصوت اسرائيل « كول إسرائيل » في الفترة ما بين ٣١ أكتوبر ١٩٤٥ ، ٢٣ يونيو ١٩٤٦ تشير إلى أعمال العنف والتخريب .

(ج) معلومات في تواريخ متفرقة من نشرة حاس (نشرة اشترن) وجودت (نسرة الارجون) وعشتاف (نشرة حركة المقاومة اليهودية) .

ويؤخذ من الوثائق السابقة ان ارتكاب جميع جرائم الإرهاب والإغتيالات التي سوف يرد ذكرها بالمتن كانت بالتواطؤ مع جميع التنظيمات الشبه عسكرية الشهيونية حيث تدلنا أن الزعماء الصيونيين كانوا يطلبون الحصول على تصريحات بارتكاب جرائم الإرهاب والإغتيالات

بريطانيا عنوة على تغيير سياستها تجاه المستوطنين اليهود في فلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والاستجابة لطلبات الحركة الصهيونية ، وقد جاءت عملية العنف السابقة في الفترة من ٢٠ – ٢٥ فبراير ١٩٤٥ رداً على التصريح الثاني ليبفن حول شرقي الأردن أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٧ يناير ١٩٤٦ حيث ثارت ثائرة الصهيونيين « لسلخ (١) ذلك الجزء من فلسطين إلى الشرق من نهر الأردن » وجعله دولة مستقلة ذات سيادة ، فأعلنوا وقوفهم صفاً واحداً خلف الوكالة اليهودية في قيادتها لمعركة الكفاح في سبيل « الحقوق القومية اليهودية » ونقل القضية إلى الأمم المتحدة .

وكتب أحد المعلقين الصهيونيين حول الناحية القانونية لمسألة فصل شرقي الأردن ليعلن أن السيد الأوحد على فلسطين التاريخية هو الشعب اليهودي بلامنازع ، واعتبر إنشاء شرقي الأردن كدولة مستقلة (٢) دون الحصول على موافقة الشعب اليهودي خرقاً للقانون الدولي .

بينما راحت صحيفة خلفاء جابوتنسكي تتحدث في افتتاحيتها عن أردننا Our Jordan مستخفة بدولة شرقي الأردن ومؤكدة أن وعد بلفور اعتبر نهر الأردن بمثابة « النهر الفلسطيني » وليس حدود دولة يرسمها البريطانيون لإرضاء رغبات أصدقائهم من العرب وناشد البروفيسور كلاوسنر (Klausner)

---

(1) The jewish Standard, Friday, January, 25, 1946.

(٢) يذكر الدكتور / فيليب حتي أنه في سنة ١٩٢١ اقتطعت من فلسطين الإنتدابية المنطقة التي عرفت في التوراة بشرقي الأردن والتي لم تكن حتى آنذاك واقعا تاريخيا ، وولى عبدالله ابن الحسين أميرا عليها ثم نصب ملكا سنة ١٩٤٦ وكان في ذلك الحين يهدد بالانتقام لأخيه فيصل إذ أزيل عن عرش سوريا بعد ولاية قصيرة قبل أن يتسلم عرش العراق وقد كانت هذه الإمارة – على حد قوله – بمثابة دولة حاجزة ما بين منطقة الإنتداب البريطاني وربوع القبائل البدوية الثائرة .

أنظر تفصيلا Hitti K. Philip, History of Syria, op, cit, p, 110

وكذا : Kohn, hans : Nationalism and Imperialism in the Hither East, London 1932 pp. 162-164, 167-178.

اليهود أن لا ينسوا هذه الفعلة الأثيمة وانضم حزب مزراحي والصهيونيون العاملون إلى المنظمة الصهيونية في الموافقة على إتخاذ القرار التالي :

« أن الأمة اليهودية لن توافق مطلقاً على سلخ شرقي الأردن عن فلسطين الذي تربطها به صلات تاريخية وجغرافية واقتصادية ، ولا يستطيع أي تصريح أن يغير من اعتقاد كل فرد يهودي بأن الأرض الواقعة شرقي نهر الأردن تؤلف جزءاً لا يتجزأ من وطنه الأمم ودولة المستقبل » .(١)

وجرى توزيع عشرات آلاف النسخ من قصيدة جابوتنسكي بعنوان « شمال الأردن (Samal Hagardon) فقد تضافر الشعور الديني وتناسى الصهيونيون خلافاتهم في سبيل الإعراب عن رفض اليهود أجمعين لفصل « فلسطين الشرقية » عن جسد الأرض التي يطمعون بالاستيلاء عليها تحت راية مزاعم الثورة والتاريخ والتراث والوطن القومي اليهودي ، وأخذت الصحافة الصهيونية تتحدث صراحة عن « حركة المقاومة اليهودية » التي تتألف من الهاجاناه والآرجون زفاي ليومي واشترن ؛ فأنذرت بريطانيا لكي تعتبر كل يهودي في فلسطين ينتمي إلى « حركة المقاومة » بينما كان الجنرال دارسي قائد القوات البريطانية في فلسطين يدلي بالشهادة التالية(٢) أمام لجنة التحقيق الانجليزية الأمريكية :

وفي حال خروج القوات البريطانية من البلاد سوف تتمكن الهاجاناه التي يقدر عدد أفرادها بسبعين ألف جندي من احتلال فلسطين والحفاظ على مكاسبها لثلاث سنوات دون الحصول على أية مساعدة خارجية وإذا حصلت الهاجناه على الذخيرة من الخارج ؛ استطاعت البقاء في مراكزها المحتلة إلى الأبد .

وكانت قوات البالماخ قد نفذت سلسلة من العمليات الارهابيـــة

(1) The Jewish Standard, Friday, January 25, 1946.
(2) The Jewish Standaɹd, Friday, January 25, 1946.

بالاشتراك مع الهاجاناه ، اشترن ، الآرجون وآخرها ماقامت به ليلة ١٩٤٦/٦/١٦ من نسف الجسور الرئيسية التى كانت بين فلسطين والدول المجاورة وخطوط السكك الحديدية والمطارات وشبكات الرادار هى العمليات التى أثارت حنق السلطات البريطانية ودفعتها إلى إتخاذ إجراءات مضادة فقامت يوم ١٩٤٦/٦/٢٩ وهو ماسمى فيها بعد « السبت الأسود باعتقال زعماء الحركة اليهودية مع بعض الزعماء الآخرين من بين المستوطنين اليهود فى فلسطين والزج بهم فى السجن ، وقد كانت تلك الإجراءات سبباً فى قيام اتسل بنسف فندق الملك داود فى القدس حيث كانت المكاتب الرئيسية لحكومة الانتداب يوم ١٩٤٦/٤/٢٢ مما أسفر عن مقتل ٨٠ شخصاً(١) من كبار الموظفين وأصدرت عصابة الآرجون بياناً اعترفت فيه بمسئوليتها عن الاعتداء .

وحاولت الوكالة اليهودية ومنظمتها العسكرية الهاجاناه التنصل من هذا العمل الإرهابى ، غير أن الحكومة البريطانية أعلنت أتهامها لعصابتى « الآرجون واشترن » بالتعاون مع الهاجاناه ، وأصدرت الحكومة البريطانية كتابا أبيض عن الأرهاب الصهيونى فى فلسطين باسم « تقرير اعلامى حول أعمال العنف » (٢) وقد تضمن هذا الكتاب من التفاصيل عن أعمال الأرهاب الصهيونى فى فلسطين ، وقدم الأدلة القاطعة على التعاون الكامل بين جميع المنظمات الصهيونية واشتراكها فى أعمال العنف والتخريب فى فلسطين ، وقد أيد مناحم بيجن رئيس عصابة الآرجون القول الذى ذهبت إليه السلطات البريطانية فى هذا الصدد :

وجاء حادث تدمير فندق الملك داود مذكراً بالنتائج الرهيبة التى يوشك أن ينتهى إليها الاستمرار فى هذا الخلاف وأراد الانجليز الخروج من هذا الموقف فقرروا فى نهاية (شهر يوليو الأخذ باجراءين : من جهة أعلنوا التزامهم عقد مائدة مستديرة يدعون إليها ممثلى اليهود وعرب

(١) تخلف عن هذا الإنفجار – طبقا لمصادر أخرى – ١١٠ من القتلى ، أربعون من الجرحى أنظر Aleum, op, cit, pp. 245–246

(٢) بيان أعلامى بشأن أعمال العنف رقم ٦٨٧٣ – اصدار الحكومة البريطانية مرجع سابق

فلسطين والدول العربية ومن جهة أخرى أعلنوا مشروعاً جديداً من إعداد الخبراء الأمريكيين والإنجليز فى لندن باسم « مشروع موريسون جرادى — كما سيأتى مناقشة ذلك تفصيلا .

كذلك اتخذ الاستعمار الصهيونى فى فلسطين فى هذه الفترة إجراءات عديدة لتسهيل الهجرة اليهودية ألى فلسطين وتشجيعها سواء الشرعية أو غير الشرعية ، واستمر تدفق الأفواج اليهودية على فلسطين سواء برضاء دولة الانتداب وموافقتها أو بدون موافقتها وبدون رضاها (١) وقد قام اللواء اليهودى الذى حارب فى إيطاليا بتقديم معاونة فعالة إلى جميع المهاجرين اليهود من أوربا وترحيلهم إلى فلسطين حتى بلغ عدد اليهود الذين دخلوا فلسطين خلال سنوات الحرب خمسين ألف يهودى ، وامتد التعاون بين القوات البريطانية والصهيونية فى فلسطين فشمل عدة مجالات مدنية وعسكرية إذ استخدمت معامل الجامعة العبرية وغيرها فى الابحاث اللازمة للقوات البريطانية كما أنشئت الورش والمصانع اليهودية للإصلاح والتصنيع . وبذلك تكون السلطات البريطانية قد أسهمت ليس فقط فى تنمية القوة المسلحة الصيونية وزيادتها عدة وعدداً ، بل أنها أتاحت الفرصة كذلك لتطوير وتنمية الإمكانيات الحربية الصهيونية فى مجالات الأبحاث العلمية والصناعات الكيماوية والاصلاحات العملية وغيرها من النواحى التى تعكس تأثيراً مباشراً على القوى العسكرية .

غير أن الحكومة البريطانية أعلنت فى أغسطس ١٩٤٦ أنها لن تسمح فى المستقبل بدخول المهاجرين الجدد ، وأنشأت فى قبرص معسكرات لجمع المهاجرين الذين يضبطون أثناء دخولهم فلسطين وقد واجهت الصهيونية ذلك فيما بعد بتحويلها هذه المعسكرات إلى مراكز لتدريب اليهود سراً على استخدام الأسلحة استعداداً للحرب المقبلة .

---

(1) Ben Gurion, David : Israel Years of challenge N. Y. holt Rienhort winston and Schuster p. 16,

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى نفس الوقت دعت الحكومة البريطانية إلى عقد مؤتمر لندن لمناقشه المشكلة كما سيأتى مناقشة ذلك - واشترطت اللجنة التنفيذية الصهيونية لحضور المؤتمر موافقة الحكومة البريطانية على دخول مائتى ألف مهاجر والسماح بمناقشة مشروع إنشاء دولة يهودية فى فلسطين (١).

وفى أواخر سبتمبر عام ١٩٤٦ عقد المؤتمر مع مندوبى الدول العربية فقط ،ولكن العرب رفضوا مناقشة أى مشروعات خاصة بالهجرة أوالتقسيم وتأجل الإجتماع حتى يوافق اليهود على حضور المؤتمر وينتهى الصراع الذى نشب بين فئات الرأى العام اليهودى فى المنظمة الصهيونية العالمية حول هذا الموضوع .

وقد قام هذا الصراع أساساً بين وايزمان الذى كان يدعو إلى التفاوض مع بريطانيا على أساس مشروع « بيل للتقسيم » وبن جوريون الذى كان ينادى بالإستيلاء على كل فلسطين منذ مؤتمر « بلتمور » وقد انتقل الصراع إلى المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين الذى عقد فى بال (ديسمبر ١٩٤٦) حيث أعلن بن جوريون أن تخليص اليهود الألمان وإعادة اسكانهم فى فلسطين يتطلب هجرة غير مقيدة وهذه لن يضمنها إلا دولة يهودية . كما هاجم وايزمان بقوله أن تغيير بريطانيا لسياستها انما يحرر وايزمان من أن يبقى سجين اعتداله وولائه لها . (٢)

ومع اشتداد الصراع ترك وايزمان المؤتمر ورفض أن يعود إلى رئاسة المنظمة ما لم يؤخذ برأيه ، وهكذا انفرد بن جوريون بالزعامة وفرض على المؤتمر رأيه بضرورة اعتبار الحرب هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق الدولة. وعلى ذلك وافق المؤتمر على إنشاء منصب وزارى جديدللدفاع وتعيين بن جوريون فيه بالإضافة لرئاساته اللجنة التنفيذية .

---

(1) Cohen Israel, A short History of Zionism, op. cit,

(2) Bar Zahar, Michael, The Armed Prophet, London Arther Barker L.t.d., 1959 p 93.

وكان واجب بن جوريون الأول : العمل على انشاء الجيش اليهودى وتدعيم القدرة القتالية للهجاناه لامكان مواجهة «التحدى الذى لا مفر منه»(١) وانتهى المؤتمر بإعلان برنامج يدعو إلى تكوين دولة يهودية فى فلسطين .

وفى يناير ١٩٤٧ عاد مندوبو الدول العربية للإجتماع فى لندن ـــ ورفض الصهيونيون حضور المؤتمر ، ولكنهم فى الوقت نفسه قاموا بمباحثات جانبية خارج المؤتمر مع الحكومة البريطانية ، ومثل المنظمة بن جوريون ، كما مثل الحكومة البريطانية بيفن الذى عقد اقتراحا بعقد اتفاقية مدتها خمس سنوات يصدق عليها مجلس الوصايا فى الأمم المتحدة وسوف نتعرض لهذه النقاط تفصيلا فى موضع لاحق من هذه الدراسة إلا أنه يمكن ايجازها فى النقاط التالية (٢) :

١ ــ إنشاء نظام للإدارة المحلية للمناطق العربية والمناطق اليهودية .

٢ ــ تكوين مجلس استشارى عربى يهودى يساعد المندوب السامى فى الإدارة .

٣ ــ السماح بالهجرة اليهودية بمعدل ٤٠٠٠ مهاجر شهرياً لمدة سنتين (أى ٩٦ ألف مهاجر على أن يتفق العرب واليهود فيما بينهم على مبدأ الهجرة خلال هذه المدة .

٤ ــ التمهيد لإنشاء دولة فلسطينية ثنائية مستقلة .

وقد رفض الرأى العام العربى هذه الاقتراحات كما رفضها اليهود وأصر العرب على اعلان استقلال فلسطين وايقاف الهجرة اليهودية واتخاذ تدابير حماية الأراضى العربية ، أما اليهود فقد تمسكوا بالدولة اليهودية وازاء ذلك أعلنت الحكومة البريطانية فى فبراير ١٩٤٧ أنها قد اتخذت قرارا نهائياً بعرض المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة .

---

(1) Ben, Gurion. David, Israel Years of Challenge, op. cit. p 21.

(2) Jewih Standard, March 15, 1946.

وهكذا جاء عام ١٩٤٧ ليشهد تضافر الجهود الصهيونية ووقوفها صفا واحداً في سبيل تحقيق حلم هرتزل ونوردو ونقل تعاليم جابوتنسكي إلى صعيد الواقع العملي وجمعت بين الصهيونيين على اختلاف فئاتهم « وحدة الكفاح » في سبيل نصرة الصهيونية وعادوا إلى حظيرة المؤتمر الصهيوني وفي نيتهم تحويله إلى « برلمان للشعب اليهودي تجرى انتخاب أعضائه ديموقراطياً بالتصويت العام والحر لجميع اليهود الراغبين في ذلك (١) »

وهكذا تميزت هذه السنوات خصوصاً من فترة الانتداب باصرار ثابت من المنظمة الصهيونية على متابعة السعي في سبيل الوطن القومي اليهودي وفرض الدولة اليهودية المستقبلة .

(١) سوف نتعرض لهذه النقاط تفصيلا عند التعرض للمرحلة الثانية من مؤتمر لندن وذلك لتوضيح استئناف مؤتمر لندن وظروف فشله وانفضاضه ثم ردود فعله.

الصهيونية ونغمة اليهود المشردين :

أدلى زعماء الحركة الصهيونية فى يوليو ١٩٤٥ بتصريح رسمى يتضمن قواعد السياسة التى قرروا المضى بها حتى النهاية ومن جملة مطالبهم التى كانت منظمة الآرجون أداة تنفيذها على الصعيد العسكرى والارهابى : السعى لحمل بريطانيا على احداث تغيير كلى فى سياستها الكبرى نحو الصهيونية ، كى لا تسوء العلاقات البريطانية-اليهودية وتختفى آثار المرارة من النفوس ، تحذير الدول الكبرى الثلاث من عاقبة ترك مشكلة التشرد اليهودى بلا حل دائم ودعوة بريطانيا لاستخدام نفوذها فى « العالم العربى المزعوم » وتنفيذ سياسة اقامة الدولة اليهودية بفلسطين بغض النظر عن « خرافة المعارضة العربية » .(١)

وقد اتجهت الحركة الصهيونية فى أعقاب الحرب إلى طلب فتح باب الهجرة دون قيد وأعطت لذلك الأولوية على طلب انهاء الانتداب البريطانى لأن خطتها هى ايجاد مبرر للمطالبة بقسم أكبر من فلسطين أو كلها باعتبار أن اليهود سيصبحون فى وقت ما أغلبية واتخذوا من وجود بعض اللاجئين اليهود فى أوربا نتيجة لحكم النازى مبررا لهذا المطلب وبالغوا فى تقرير عدد هؤلاء المشردين فادعوا أنه يصل إلى ستة ملايين بينما لم يزد فى حقيقة الأمر عن مليون وربع .

واتخذت الحركة الصهيونية من جرائم هتلر ضد اليهود ذريعة لكسب عطف الرأى العام العالمى تجاه «المشكلة اليهودية فى أوربا » خصوصا وأن «دولة هتلر وهملر وهيدرنج قد أجهزت على ملايين اليهود وأذاقوهم الموت جوعا وعطشا وأطلقوا عليهم المدافع الرشاشة وقتلوا بفعل الطلقات النارية وبالخنق وبالغاز وأشعلت فيهم النيران ..» على حد قول أحد المؤرخين الصهيونيين المعاصرين .(٢)

---

(1) The Jewish Standard, July 20, 1945.

(٢) Andics, Hellmut : Histoire de L'Antisémitisme.

ويعتبر هذا الكتاب أحد صور الوسائل الدعائية الصهيونية التى تستهدف عطف الرأى العام العالمى على العنصر اليهودى بصفة عامة وقد حرص المؤلف هلموت أندكس أن يضخم=

الا أنه فى مطلع عام ١٩٤٦ كشف الجنرال السير فردريك مورجان رئيس منظمة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين النقاب عن « عصابة يهودية سرية » تمارس شتى النشاطات الارهابية لحمل اليهود البولنديين على الهرب بصورة جماعية إلى منطقة الاحتلال الامريكى فى ألمانيا وأكد أن مظهر الذين يعبرون الحدود والمال الذى يحملونه لا يدل على ترحيل أو طرد بل يؤكد أن الدافع لمغادرة بولونيه يرجع إلى منظمة سرية تعمل على اخراج اليهود من أوروبا وتهجيرهم إلى فلسطين(١) .

وبالرغم من هذه الشهادة الرسمية التى تهدم أسس ادعاءات الصهيونية حول اليهود المشردين لكسب عطف الرأى العام العالمى ، الا أن قصة اليهود المشردين ظلت هى النغمة المفضلة للصهاينة ، وكلما فكر أحد من رجال الاعلام الغربيين فى تقرير هذه الحقيقة كانت تثار حوله ضجة من الاتهامات كما حدث لمراسل اسوشيتدبرس الذى حاول أن ينفى نغمه التشريد ، فاذا به يتهم بالنازية

كذلك فقد ذكر أحد أصدقاء اليهود — جارسيا جرانادوس — (٢) . رئيس لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة والذى عمل كثيراً من أجل إصدار قرار التقسيم — ذكر أن اليهود الذين تدفقوا من شرق أوروبا إلى المناطق التى احتلها الحلفاء الغربيون فى ألمانيا كانوا يرتدون ملابس أنيقة ويحملون معهم ما أمكن حمله من الثروات المنقولة وفيهم كثيرون من مقاولى رومانيا الذين

= من مواقف عديدة عن مدى ما تحمله الشعب اليهودى من اضطهاد . ومنها تلك العبارة التى اقتبسناها فى المتن — كذلك فهو يستهدف تأييد العقيدة الصهيونية باعتبارها مخرجا لحل المشكلة اليهودية فى أوروبا فى ضوء تكرار صورة اليهودى الذى ظل مكروها من مواطنيه على مر العصور وادارته إلى أن ذلك اليهودى لم يشعر فى أى مكان وجد فيه باحساس وطنى وينتهى الباحث المذكور إلى القول بضرورة وضع حد لما تقضى اليه ما أسماه بمعاداه السامية الحديثة من نتائج مروعة مما يستدعى انشاء دولة يتجمع فيها يهود المنفى من جميع انحاء العالم على أرض فلسطين باعتبارها أرض الميعاد .

(1) The Jewish Standard, Jonuary 4 : 1946.

(2) Granddos, Gracia : The Establishment of Israel, New York, 1948 pp. 225-226.

نزحوا فرارا من الزحف الشيوعى خوفا على ثرواتهم ، وإذن لم يكن هؤلاء من ضحايا النازية ، بل أنهم يمثلون الطبقة البورجوازية التى كانت تستغل أوروبا الشرقية وكان فرارها بسبب الخوف على ثرواتها من الأنظمة الاشتراكية التى أقيمت هناك .

وهنا يتساءل أحد المؤرخين العرب المعاصرين(١) : هل كان هؤلاء اليهود الذين انتقلوا من أوروبا الشرقية الاشتراكية إلى أوروبا الغربية الرأسمالية يريدون حقاً الهجرة إلى فلسطين ، لقد كان لدى الكثيرين منهم أمنية الهجرة إلى الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية حيث يوجد مجال أوسع لاستثمار الأموال ولكن بنى دينهم فى تلك الأقطار خشوا من أن يزداد عدد المهاجرين اليهود فيثير عليهم سخط البلاد التى يقيمون فيها ، ولذلك ارتبطت مصالح يهود الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية بالحركة الصهيونية .

ومن جهة أخرى نشأت فى أوروبا الغربية نفسها حكومات جديدة على أنقاض النازيين شارك بعض اليهود فى تشكيلها ، وتهيأ الجو لكى يعيشوا فيها عيشة رغدة لا شك أن اقتصاديات أوروبا أقدر على امتصاص هذا العدد البسيط من فلسطين ، غير أن بن جوريون يبرز العامل القومى فيدعى بأن المسألة لا تتعلق بعوامل اقتصادية بل بمبدأ قومى ، فاليهود يريدون الهجرة لى فلسطين لأنهم يرون فيها وطنهم القومى (٢) بحكم العوامل التاريخية والدينية ولا حاجة إلى البحث فى صحة أو خطأ تقرير لود رميلك ، واحتج بن جوريون لمجرد أن اللجنة الانجليزية الأمريكية—كما سيأتى مناقشة ذلك— تخير اليهود بين فلسطين وبين غيرها من الأقطار حينما توجه إليهم أسئلة التحقيق .

---

(١) الدكتور / صلاح العقاد ، قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ص ٢٠ — ٢٢

(٢) Ben-Gurion, David, Rebearth and Densting of Israel New York 1954 pp 141-143.

وهكذا استغلت الصهيونية فترة الحكم النازى استغلالا بشعاً واستندوا على المجازر التى ارتكبت ضد اليهود فى ألمانيا فى سبيل كسب عطف الرأى العام العالمى وتأييده فى هجرة اليهود إلى فلسطين .

أنه لمأساة من مآسى البشرية ووصمة عار فى تاريخها أن يصار إلى تصحيح الظلم بظلم أكبر ورفع الاضطهاد باضطهاد شعب آخر خاصة وأن هذا شعب لم يكن أبدا طرفاً فى اضطهاد إنسان لا بسبب دينه ولا عرقه ولا لونه .

لقد كانت قضية الاضطهاد واليهود المشردين أوربية بحتة ولفرط الأسى أن الشعب الفلسطينى هو الذى دفع ثمن هذا الاضطهاد . . . وكان الثمن غاليا حقاً .

مواقف الدول الكبرى

١ – موقف بريطانيا

التخلص من تحمل مسئولية المشاركة الفلسطينية :

ما أن لاحت بشائر انتهاء الحرب العالمية الثانية فى أفق الشعوب الممكن المتحاربة حتى أصبح واضحا فى نظر الجميع أن حل مشكلة فلسطين لم يعد من الممكن أرجاؤه طويلا بعد حلول السلم وكان مقدرا لهذا السلم أن يصطحب باقرار المبادئ التحررية ، و أن يؤدى تبعا لذلك إلى بلوغ الشعوب الموضوعة تحت الوصاية سن الرشد ، ولم يعد من المتصور إمكان استمرار الانتداب البريطانى على فلسطين ونتج عن ذلك على حد قول أحد المؤرخين الغربيين (١) « هبوب دوامة سياسية تلاطمت فيها طوال فترة أربع سنوات المناورات والمحاولات والمناقشات والبيانات من قبل أطراف أربعة متقابلة هم اليهود والعرب والإنجليز ثم فريق القادمين الجدد على مسرح الأحداث الفلسطينية وهم الأمريكيون » .

أن تاريخ هذه الفترة من مشكلة فلسطين هو تاريخ معقد أشد التعقيد حيث الطابع المميز لها هو العنف المنظم من قبل اليهود والخلافات المتواترة فى صفوف العرب وحالات التردد والتحول المتكررة من جانب الإنجليز والأمريكيين .

ومن المفيد أن نذكر أن إنجلترا قد عمدت عندما اقترب وقوع الحرب إلى التخلى عن مشروع التقسيم وإلى إصدار الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ وكان هدفها من ذلك هو الحرص على أن ترضى العرب ، أما فى عام ١٩٤٣ فقد كانت الحرب فى حكم المكسوبة عملا وأصبحت معاونة العرب (٢) لإنجلترا أمرا لا تدعو إليه حاجة ، عندئذ عادت إنجلترا إلى مشروع التقسيم ،

---

(1) Aleum, op. cit. pp. 220–231.

(2) Monroe Elizabeth, Britain's in the Middle East 1914–1956 chatto and Windus, London 1963 p 178.

وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٣ بينما كان الأرهاب يسود أرجاء فلسطين ، قام تشرشل بابلاغ وايزمان قرار حكومته بمنح اليهود السيادة الكاملة على جزء من فلسطين .

وفى شهر إبريل عام ١٩٤٤ ، اتخذ المجلس التنفيذى لحزب العمال قرارا صار تأييده من قبل مؤتمر بلاكبول ؛ ما كان ليصدر خيرا منه لو أن أشد الصهيونيين تطرفا أرادوا اتخاذ قرار ، فقد جاء فيه ما يأتى : (١)

« رغبة فى تحقيق استعمار مستقر فى فلسطين ، نرى واجبا علينا أن نوصى بوضع اتفاق دائم ينص فيه على هجرة السكان وأن نشجع ذهاب العرب وقدوم اليهود ، ويجب تعويض العرب تعويضا واسعا ثم توجيههم بعناية وتحويل استقرارهم فى أماكن أخرى تحويلا سخيا : أن لدى العرب مساحات واسعة من الأرض ويجب عليهم ألا يطلبوا طرد اليهود من تلك المنطقة التى تقل مساحتها عن مساحة ويلز (مقاطعة إنجليزية) ، بل ويجب فى الحقيقة النظر مرة أخرى فى إمكان توسيع الحدود الفلسطينية عن طريق الاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الأردن »

اما المذكرة التى قدمتها الوكالة اليهودية فى شهر أكتوبر عام ١٩٤٤ فلم تبلغ مثل هذا الحد من الطموح وإنما اقتصرت على المطالبة بفلسطين وحدها وإذا كان قد ورد فيها ذكر لعملية إجلاء العرب عن مواطنهم فقد جاء ذلك فى حذر شديد وتحفظ إذ قالت المذكرة فى شأن ذلك : (٢)

« لن يترتب على تنفيذ المشروع اليهودى حرمان العرب من المكان الذى هو حق لهم لأنهم يمتلكون الآن عددا من الدول التى بها ثروات ضخمة لم تمس بعد » .

أما عن الهيئة الحكومية اليهودية — اليشوف — فقد بدا عليها الحرج

---

(١) Ben–Gurion, David, Israel Years of Challenge, op. cit, pp. 16–17.

(٢) Aleum, op. cit. pp 228–229.

الشديد من جراء الإعلان المغالى فيه الذى أصدره حزب العمال ، حتى أن بن جوريون رأى من الضرورى الأفصاح عن أن المخططات اليهودية لاتتضمن إجلاء عربي واحد من مكانه ، وأن كان قد أضاف إلى ذلك فى الحقيقة قوله : (١)

« أما إذا شاء العرب أن يهاجروا فهذا من شأنهم »

وفى أثناء الحملة الانتخابية التى جرت فى شهر مايو عام ١٩٤٥ عاد حزب العمال يؤكد موقفه الموالى لليهود والذى سبق أن أفصحوا عنه العام الماضى ، وبذا صار حزب العمال أكثر تحيزا للصهيونيين من حزب المحافظين بالرغم من أن تشرشل كان صديقا شخصيا لزعماء الحركة الصهيونية .

كذلك اعترض حزب العمال بشدة على الكتاب الذى أصدرته حكومة المحافظين عام ١٩٣٩ فقال موريسون النائب العمالى إننا ننظر إلى الكتاب الأبيض على أنه نكث مخجل للوعود التى قطعتها بريطانيا على نفسها ، وقد استعرضنا كيف أن حزب العمال قد غالى أثناء المعركة الانتخابية فى تعضيده لليهود غير مبال بعرب فلسطين حيث نص على أن(٢) « يشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون »

ومن الناحية الرسمية كانت بريطانيا حتى عام ١٩٤٥ ما تزال ملتزمة بالكتاب الأبيض وإذن فقد كان عليها أن توقف الهجرة خصوصاً وأن الهجرة غير الشرعية انتشرت أثناء الحرب وتجاوزت العدد المقرر فى هذا الكتاب ويعالج البعض(٣) هذه النقطة من زاوية المصالح البريطانية لدى العرب فى هذه الفترة حيث خرج » الاقتصاد البريطانى من الحرب فى حالة

---

(١) ملف وثائق فلسطين — مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق ص ص ٧٤٠ — ٧٤٢ .

(٢) Monroe, Elizabeth, op. cit. pp. 73–75.

(٣) Aleum (pp. cit). pp 231–234.

ضعف شديد ولم تكن بريطانيا فى حالة تسمح لها «بمواجهة سياسة قد تؤدى إلى الإضرار بمصالح كبيرة لها فى السوق » .

وليس التزام بريطانيا رسميا بما جاء فى الكتاب الأبيض – كما يرى فريق من المؤرخين(١) العرب – هو الذى حملها على نسيان تصريحاتها التى صدرت خلال الحملة الانتخابية والعودة بسياسة من سبقوها فى الحكم بحيث تظل الأحكام الواردة فى الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ تطبق كما كانت وإنما المصالح الشخصية لبريطانيا هى التى تجعلها تحل نفسها من الوعد الخاص بالهجرة التى لا حدود لها إلى إعطاء تصريح يبيح معدل الهجرة بـ ١٥٠٠ يهودى فقط فى الشهر إلى فلسطين ، وعادت أعمال القمع ضد الهجرة الخفية تمارس فى عنف متجدد ، وكان من آثار هذه السياسة التى زاد من مضاعفاتها سلوك كل من الامريكين والعرب واليهود أن منيت المحاولات البريطانية بالفشل وكان مظهر هذا الفشل وفقا للأسلوب الذى أصبح عادياً معروفاً ؛ أنفجار الأعمال الآرهابية ، وتعيين لجنة للتحقيق وهو ماسوف نتعرض له بعد قليل :

أما عن أتجاهات الرأى العام البريطانى فى ذلك الوقت عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين فليس أدل على ذلك ماأعلنه هارولد لاسكى الفيلسوف الاشتراكى لحزب العمال البريطانى عن أشادته بفكرة الوطن القومى على أنها نشر للعنصر التقدمى الديموقراطى فى الشرق الأوسط وتأييده رأى أحد الخبراء الأمريكيين باقتراح تهجير مائة ألف يهودى إلى فلسطين فوراً .

ولم ينظر حزب العمال إلى المشكلة من خلال مبادئ العدل والحق ، بل كان ما يعنيه هو النتائج المالية قد تترتب على تهجير هذا العدد ، وقد قدر بيفن وزير الخارجية ما قد تخسره بريطانيا من أجل المحافظة على النظام

---

(١) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق .
الدكتور / صلاح العقاد – قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ٢٣

بنحو ٢٠٠ مليون دولار ، أما ما سيخسره العرب(١) نتيجة تهجير هذا العدد الهائل دفعة واحدة ، فلم يكن موضع بحث حزب العمال البريطانى ، وحتى هارولد رسلكى فقد عبر عن رأيه بأن الإنسانية لا تستطيع أن تقف جامدة أمام مائة ألف من اليهود المشردين .

وكانت وزارة المستعمرات هى المختصة بمعالجة المشكلة الفلسطينية ومن حسن حظ الصهيونية أن حل كرتشى جونس الأكثر تحيزا محل هول فى تلك الوزارة ، غير أن وزارة الخارجية أصبح لها دور أساسى فى مشكلة فلسطين منذ أن حاولت بريطانيا إشراك الولايات المتحدة فى المسئولية ، وقد صار أرنست بيفن وزيراً للخارجية فى حكومة العمال الجديدة وأثارت الصهيونية عاصفة حول هذه الشخصية فادعت بأنه خصم لليهود وأنه عرقل كثيراً من مخططات الصهيونية فرغم تشجيعه الهستدروت حينما كان وزير عمل فى الحكومة الائتلافية أثناء الحرب ، إلا أنه كان يرفض الرضوخ لسياسة الصهيونية دون مناقشة ، يدل على ذلك قبول لوايزمان(١) :

« إذا كنتم تريدون اجبارنا على الدخول فى صراع فنحن مستعدين له »

كما أن بيفن حذر الصهيونية من أن سياستها ستؤدى باليهود إلى العيش كجماعات منفصلة فى الأقطار المختلفة ، ولم يوافق على رفع قيود الهجرة لأنه لم يقتنع بصحة ماجاء فى تقرير لودرميلك عن أمكانيات استيعاب المهاجرين فى فلسطين .

على أن إشراك الولايات المتحدة فى لجنة التحقيق التى أعلن عن قيامها فى ١٣ نوفمبر يعد فى حد ذاته خطوة جديدة لتأييد الصهيونية ففى الماضى كانت بريطانيـــا تشكل لجانا ملكية أثر وقوع أية اضطرابات فى فلسطين أما فى هذه المرة فقد تكونت اللجنة الإنجليزية الأمريكية على أثر قرار الهاجاناه باللجوء إلى العنف بالإشتراك مع الآرجون — وسنناقش فيما بعـــد

(1) Weizmann, Chaim, Naissance d'Israel, Paris 1957, pp 500–505.

أعمـال اللجنة وتوصياتها ــ ويكفى الإشارة الآن إلى أن بيفن(١) صرح بأنه « سيلتزم بقرار اللجنة إذا كان إجماعيا » .

واسترسل بيفن فى بيانه الذى أعلنه فى ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ قرار حكومته بدعوة الولايات المتحدة إلى المشاركة فى لجنة تحقيق يعهـد إليها بتحرى أوضاع اليهود الأوربيين وبحث إمكانية إيواء جانب منهم فى فلسطين .

وكان ذلك منعطفا حاسما فى السياسة البريطانية ، فبعد خمس وعشرين سنة قضتها دولة الانتداب فى جهود لا طائل منها ، قبلت النزول عن تمسكها بتحمل مسئولية المشاركة الفلسطينية وحدها وإخضاع عناصر هذا النزاع لحكم الهيئة الدولية التى سبق لها أن ضاعفت هى نفسها مكوناته العسيرة وهو ما اتضح فى إعلان بيفن عما تنوى حكومته أن تقوم به وهو :

أولا : الاحتفاظ للهجرة بمعدلها الحالى فى انتظار ماتسفر عنه أعمال لجنة التحقيق .

ثانياً : بعد دراسة النتائج التى تنتهى إليها تلك اللجنة يتم إعداد اتفاق مؤقت فى ظل نظام للوصاية .

ثالثاً : اقتراح حل نهائى على الأمم المتحدة على أن يفوز هذا الحـل بموافقة جميع الأطراف المعنية فى النزاع إذا أمكن الحصول على تلك الموافقة .

وهكذا أشار بيفن إشارة واضحة إلى نوع الحل النهائى الذى يقصد إليه وهو تحويل فلسطين إلى بلد مشاع لطائفتين تسوده الديمقراطية ، ولما كان فى ذلك التصريح مايعنى ضمنا القضاء على فكرة الدولة اليهودية المستقبلة فقد جاء الرد سريعاً من جانب طوائف الرأى العام الصهيونى على هيئة سيل من الاحتجاجات وأعقب ذلك وقوف بن جوريون أمام الجمعية العمومية للهيئة

---

(1) Kirk, George, The Middle East 1945–1950 London, 1954. pp. 1985–1988.

الحكومية اليهودية (الييشوف) ليعلن(١) :

« نحن على استعداد للموت فى سبيل حـــق المجيء إلى فلسطين وإقامة وطننا فيها » .

كذلك أصدرت الوكالة اليهودية بياناً أعلنت فيه .

« لن يترك الشعب اليهودى كفاحه فى سبيل الحصول على مرتبة الأمة ذات السياده ، وفى سبيل أن يحقق لنفسه حياة جديدة من الحرية والكرامة فى بلده الخاص ، وهو لن يوفر جهداً ولاتضحية حتى يتم انشاء الدولة اليهودية فى فلسطين » .

وتعهدت جميع السلطات اليهودية — حتى أكثرها اعتدالا — بتيسير سبل الهجرة غير الشرعية ، وفى تل أبيب نشبت اضطرابات اسفرت عن عدة قتلى وعشرات من الجرحى وقامت حملات نظمتها عصابة الآرجون بمهاجمة مراكز الشرطة فى القدس وفى يافا وقتلت وجرحت عشرات من رجال الشرطة البريطانيين .

وقد أثار تصريح بيفن لدى الرأى العام العربى مزيدا من الاحتجاجات فقد جاء البيان الذى أعلنه بيفن مناقضا لما نص عليه فى الكتاب الأبيض الذى تقرر فيه أن تخضع الهجرة اليهودية بعد أول أبريل عام ١٩٤٥ لموافقة العرب ولكن البيان فى مجموعة كان مقبولا على حد رأى البعض(٢) »

وانصرف هم العرب أساسا إلى تنظيم أنفسهم للتقدم بجبهة متحدة إلى لجنة التحقيق ، فارسلوا إلى القدس واحدا من أمهر رجال السياسة السوريين هو جميل مردم بك رئيس مجلس الجامعة والملقب « بالثعلب » واستطاع هذا الرجل أن ينجح خلال بضعة أيام فى الوساطة التى استغرقت محاولاتها قبل ذلك عبثا بضع سنوات فكون لجنة عربية عليا من أثنى عشر عضواً ، يمثلون

(1) Ben, Gurion, David, Israel, Years of challenge, op. cit, p 20–22.

(2) Aleum, op. cit, pp 240–241.

السكان الفلسطينيين العرب فى مجموعهم ، وكان أعضاء تلك اللجنــة ثم خمسة من الحزب الفلسطينى العربى (حزب الحسينى) إلى جانب رؤساء الأحزاب الأخرى ومعهم شخصيتان محايدتان من بينهما موسى العلمى .

موقف الهيئة العربية العليا من بيفن :

عندما أعيد تشكيل اللجنة العربية العليا باسم الهيئة العربية العليا ، دعت لعقد مؤتمر عربى فى فلسطين ، وفندت بيان بيفن وشرحت أنه مناقض لسياسة بريطانيا التى أعلنتها سلفا بألا تستأنف الهجرة اليهودية إلى فلسطين إلا بموافقة السكان العرب ، وأظهرت الهيئة العليا أن استمرار الهجرة فيه اجحاف واضح بحقوق العرب ومصالحهم « والعرب يعتبرون أن قضية فلسطين قضية قائمة بينهم وبين بريطانيا ولا يعترفون لأى فريق بحق التدخل فى هذه القضية » .

وقد ظل الحاج أمين الحسينى رئيسا للهيئة العربية العليا واجتمعت فى شخصه صفات ثلاثة (١) : رياسة اللجنة والهيئة العربية العليا ورياسة المجلس الإسلامى والأعلى والاتقاء ولكنه ظل بالقاهرة ولم يتمكن من دخول فلسطين بسبب منع الإنجليز له من دخولها ، وهو ما أضعف موقف عرب فلسطين نظراً لوجود معظم أعضاء الهيئة العربية العليا خارج فلسطين — حيث لم يبق بها سوى عضوان فقط هما أحمد حلمى باشا والدكتور حسين فخرى الخالدى مما أضعف من موقف المجاهدين العرب فى فلسطين ، وذلك بعكس القيادة اليهودية التى كانت داخل ميدان المعركة تشترك فيها إلى أقرب

---

(١) مقابلة شخصية مع الاستاذ /أحمد فراج طايع فى ١٩٧٤/١٠/٨ بالقاهرة وقد عمل سيادته خلال هذه الفترة قنصلا عاما لمصر بفلسطين حتى أكتوبر ١٩٤٨ ، ويرجع فى تفصيل ذلك إلى كتابه :

« صفحات مطوية عن فلسطين » — دار مطابع الشعب — بدون تاريخ اصدار ص ص ٥٢ — ٥٣ .

محمد فيصل عبد المنعم — فلسطين والغزو الصهيونى — مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٧٠ ص ص ٢٢٥ — ٢٢٧ .

مدى و نشعر بتطوراتها إلى أقصى حد فأخذوا يمارسون الهجرة غير الشرعية، ثم لجأوا كعادتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ورأت بريطانيا اهتماما من أمريكا فدعتها إلى أن تتعاون معها فى تشكيل لجنة انجليزية أمريكية .

لجنة التحقيق الانجليزية الأمريكية :

تكونت(١) اللجنة الانجليزية الأمريكية برياسة مشتركة بين الانجليزى سنجلتن والأمريكى هيتشون وعقدت اجتماعها الأول فى واشنطن فى شهر يناير ١٩٤٦ وقامت بتحقيقها فى أوروبا فى البلاد العربية وانتقلت فى شهر مارس من تلك السنة إلى فلسطين، ومن فلسطين توجهت إلى لوزان ثم سلمت تقريرها فى اليوم الأول من شهر مايو ١٩٤٦ إلى الحكومتين اللتين عهدتا اليها بعملية التحقيق .

ومن الأهمية بمكان — فى هذه الدراسة — مناقشة الظروف التى عملت فيها هذه اللجنة فى البلدان المختلفة قبل مناقشة تقريرها :

فقد كان التقاء أعضاء اللجنة فى نيويورك وواشنطن بداية غير عادلة لأنها تمت فى أكثر مدن العالم تأثراً بالصهيونية ومن الطبيعى أن يستحوذ اليهود فى أمريكا على اهتمام هذه اللجنة حيث استمعت اللجنة فى أمريكا إلى شهادة اليهود وخاصة أولئك الذين يطالبون بفتح باب الهجرة إلى فلسطين وبإنشاء دولة يهودية ، ومن ناحية أخرى جاءت آراء متفرقة من بعض عرب المهجر

---

(١) يذكر عبد الله التل أن أربعة من ممثلى الولايات المتحدة فى اللجنة من اليهود والباقين يعطفون على اليهود كذلك اعترف مناحم بيجن بأنه التقى بعدد من أعضاء اللجنة وأنهم شاركوه آرائه ، أما عن الأعضاء الانجليزى فيذكر الدكتور صلاح العقاد أنه ظهر بينهم أحد النواب العماليين الذين اشتهروا بالتحمس للصهيونية وهو ريتشارد كروسمان الذى كان استاذا فى الجامعة ثم استقال ورشح نفسه فى مجلس العموم كى يتسنى له الدفاع بصورة أفضل عن تحقيق الوطن القومى اليهودى فى فلسطين أنظر :

عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، القاهرة دار القلم ١٩٦٤ ص ص ٢٨٨ — ٢٩١ .

الدكتور صلاح العقاد ، قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ٣٠ — ٣٢ .

الذين فندوا مزاعم اليهود وأثبتوا شرعية حقوق العرب ولكن هذه الآراء المتناثرة غابت أمام الاستحواذ الصهيوني على نيويورك .

ومن نيويورك انتقلت اللجنة إلى أوروبا لكي تدرس أحوال اليهود المشردين فاستمعت اللجنة — بعد انقسامها إلى لجان فرعية تعمل في ألمانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وإيطاليا واليونان — إلى أحوال اليهود المشردين وكذلك كانت اللجنة قد استمعت في لندن إلى ممثلي الحكومات العربية لدى الأمم المتحدة التي اجتمعت في هذا العام هناك ، كذلك سمعت اللجنة آراء عدد من العرب ومن الشخصيات اليهودية أي أن اللجنة جاءت إلى أقطار الشرق ، وهي واقعة تحت تأثير الدعاية الصهيونية التي أحسن استخدامها على حد قول فريق من المؤرخين المعاصرين (١).

وفي الشرق العربي استمعت اللجنة إلى تصريحات الأمين العام للجامعة العربية في القاهرة وإلى غيره من رجالات العرب سواء كانوا من المسئولين في الحكومات أو بعض الهيئات غير المسئولة وواجه بعض الساسة العرب اللجنة بمنطق سليم ، فقالوا إن أوروبا هي المسئولة عن تشريد اليهود فلماذا يسأل العرب عن ايجاد حل للمشكلة ؟ (٢) وفضلت الهيئة العربية العليا وهي المعني الأول بالمشكلة الفلسطينية ، مقاطعة اللجنة ، أما عبد الله أمير شرق الأردن فأخذ يسرد للجنة حقه في عرش سوريا الكبرى وكيف أن إيجاد دولة كبيرة في المنطقة يمكن أن يساعد على التوفير بين مبدأ الوطن القومي وبين حق العرب في فلسطين ، أي أنه ابتعد عن الموضوع الأصلي للقضية ، كذلك اتصلت اللجنة باليهود الذين يعيشون في البلاد العربية وسجلت إجماعهم تقريباً على معارضة قيام دولة يهودية في فلسطين : والواقع أنهم لم يتخذوا هذا الموقف نتيجة ضغط أو خوف من الحكومات العربية وإنما كانوا بالفعل

(١) المرجع السابق .

(٢) سايكس — كريستوفر . مفارق الطرق إلى إسرائيل ترجمة خيري حماد — بيروت ١٩٦٦ ص ص ٤٧٨ — ٤٧٩ .

يدركون خطورة قيام هذه الدولة على مصالحهم الاقتصادية الهائلة التى حققوها فى الدول العربية و اتصلت اللجنة أيضاً بزعماء اليهود فى فلسطين وكانت حريصة على التعرف على حقيقة الجيوش غير الرسمية وقد راوغ بن جوريون بحيث لم يكشف لها طبيعة العلاقات بين الوكالة اليهودية والهاجاناه .

وكان تقرير اللجنة محتويا على توصيات عشرة تتعلق بالمشكلة الأوروبية لهجرة اللاجئين إلى فلسطين وبمبادىء الحكم فى هذا الإقليم وبالانتداب ووصاية الأمم المتحدة وبالمساواة فى مستوى المعيشة بين العرب واليهود وبسياسة الهجرة المستقبلة وبسياسة الأراضى وبالتطور الاقتصادى وبالتعليم وأخيراً بالحاجة إلى استتباب السلم فى فلسطين وظهر من ذلك أنهـا تمهد بالمشكلة الأوروبية « كمدخل » (١) للوصول إلى فلسطين وأنها تربط بين المشكلتين وفى صالح اليهود بشكل يستمر فى وضع فلسطين فى خدمة الصهيونية وكأقليم يخدم إنشاء الدولة اليهودية .

وهكذا جاء هذا التقرير عادياً فارغاً محتوياً على توصيات أهم ما فيها كان معروفاً سلفاً من الجميع ، فقد كان ترومان يطالب بهجرة مائة ألف من اليهود بينما كان بيفن يطالب بفلسطين بلداً عاماً مشاعاً غير مقسم وقد أخذت اللجنة بهاتين الرغبتين وذكرت فيما يتعلق بالرغبة الأولى أن فلسطين بمفردها لا تستجيب لما يقتضيه تهجير الضحايا اليهود الذين أصابهم اضطهاد النازية والفاشية ، كما ذكرت فيما يتعلق بالرغبة الثانية أن فلسطين يجب ألا تصبح دولة يهودية ولا دولة عربية بل يجب أن تضمن الهيئة الحاكمة فيها تحت الرقابة الدولية الحماية فى الأراضى المقدسة للديانات الثلاث .

وطالبت اللجنة بالغاء مانص عليه فى الكتاب الأبيض والتصريح بالهجرة بالمعدل المناسب وأخيراً — فيما يخص بريطانيا — قالت اللجنة أنه يجب على

---

(١) الدكتور جلال يحيى ، العالم العربى منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ص ١٩٢ — ١٩٣ وقد تعرض تفصيلا بعد ذلك لمناقشة توصيات اللجنة

وانظر أيضاً Report of the Angla – American commity of enquairy Department of state U. S. 1946.

الدولة صاحبة الانتداب أن تحتفظ لنفسها بالرقابة على الحكومة طالما حالت المنازعات الناشبة بين اليهود والعرب دون إبرام اتفاق خاص بالوصاية مع الأمم المتحدة »

رد الفعل لدى الرأى العام العربى :

ما أن أذيعت هذه التوصيات التى أوردتها اللجنة فى تقريرها حتى ساد الغليان فى أرجاء العالم العربى وساد السخط العلنى والنقمة فأضربت المدن فى فلسطين وفى غيرها من البلاد العربية وأعربت اللجنة العربية العليا عن خشيتها وقلقها فى برقية منها أوسلتها إلى ستالين (١) فى حين بعث الكاثوليك برسالة فى هذا المعنى إلى البابا ، وأخذت البرلمانات العربية تندد بهذا التقرير وتطالب الحكومات بموقف حازم واضطرت هذه الحكومات إلى الاحتجاج لدى بريطانيا والولايات المتحدة وأبرق الملوك والرؤساء العرب باستنكارهم الشديد إلى ملك الانجليز وإلى ترومان .

واجتمع رؤساء الدول العربية فى أنشاص بناء على مبادرة من جانب الملك فاروق فى أواخر شهر مايو وتدارس المجتمعون المشكلة الفلطينية وأبلغوا نتائج مباحثاتهم إلى مجلس جامعة الدول العربية الذى عقد اجتماعا غير عادى فى بلودان بلبنان من ٨ إلى ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ .

وقد وافق مجلس جامعة الدول العربية على المقترحات التى وضعت فى انشاص واتخذ عدة قرارات (٢) ظل جانب منها سريا ، أما القرارات التى أعلنت فكانت تتعلق بتنسيق العمل العربى فى مختلف الميادين عن طريق تكوين «لجنة فلسطين » تمثل فيها جميع الدول العربية مع انشاء صندوق خاص لذلك وطلب تسريح القوات اليهودية ونزع سلاح الارهابيين .

---

(1) Aleun, p. cit, pp. 242 – 245.

(٢) أنظر : ملاحظات وتعليقات مجلس جامعة الدول العربية على توصية اللجنة الانجليزية الأمريكية التى أقرها المجلس فى ١٢ / ٦ / ١٩٤٦ .
فى : ملف وثائق فلسطين – مرجع سابق ص ص ٧٨١ – ٧٨٨ .

كذلك أرسلت الجامعة العربية مذكرتين (١) إلى كل من الولايات المتحدة وانجلترا ، جاء فى المذكرة الأولى أنه ليس للأمريكيين أى حق فى التدخل فى المشكلة الفلسطينية ، أما المذكرة الثانية فقد طالبت بوقف الهجرة اليهودية ثم تلتها مذكرات أخرى من الدول الأعضاء فى الجامعة العربية تقترح فيها على انجلترا أن تقوم بمفاوضات مباشرة للوصول إلى اتفاق قبل حلول ميعاد الدورة التالية للأمم المتحدة ،

وقد شد من أزر العرب قدوم المفتى الحاج أمين الحسينى إلى القاهرة بعد أن تمكن من الهرب من فرنسا فى شهر مايو من تلك السنة ، وظهر المفتى أمام الجمهور فى شهر يونيو ، وقررت الجامعة العربية فى الحال تصفية اللجان الفلسطينية (اللجنة العليا والجبهة العربية) وتكونت الهيئة العربية العليا برئاسة المفتى الذى أكسبته تسع سنوات من الاضطهاد البريطانى العنيف نفوذا لا يدانيه نفوذ ،

وأجتمعت فى شخصه رياسة اللجنة والهيئة العربية العليا ورياسة المجلس الاسلامى والانقاء « الا أن مكوثه بالقاهرة (٢) أضعف من موقف عرب فلسطين » .

وفى تقييم دور الجامعة العربية آنئذ نسوق العبارات التالية من دراسة للأستاذ الدكتور / جلال يحيى قوله : (٣)

أن هذا النشاط الفوار فى الكلمات ، لم يكن الا من الأسلحة السياسية التى لوح العرب باستخدامها فى وجه الغرب المستعمر ، وكانت هناك صعوبات

---

(١) أنظر نص المذكرة التى أرسلتها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى الحكومة الأمريكية عملا بقرار مجلس الجامعة فى ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ فى : الدكتور / عبد العزيز محمد الشناوى والدكتور / جلال يحيى ، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ص ٣٧١

(٢) أحمد فراج طايع ، مقابلة شخصية مع سيادته ٨ / ١٠ / ١٩٧٤ بالقاهرة وأنظر كتابه: صفحات مطوية عن فلسطين — مرجع سابق ص ص ٣٥ — ٣٧ .

(٣) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية — مرجع سابق ص ص ٢١٢—٢١٣ .

كبيرة من أجل تطبيق الاجراءات المادية الحاسمة — الأمر الذى أضعف من موقف العرب فى الوقت الذى عملت فيه مشكلة فلسطين على تجميع آرائهم وتقريب بين مصالح ملوكهم ورؤسائهم والتى كانت تشتمل على كثير من التناقضات والمناقشات، أضف إلى ذلك سوء التنظيم وعدم التنسيق بين السياسات العربية مما لم يجعل هذه اللجنة تعير الاهتمام الكافى بالنقاط الأساسية الخاصة بالموقف فى فلسطين ، كذلك لم تلتفت اللجنة إلى حركة نشوء اليومية العربية وحقها فى الحياة والازدهار ولم تهتم على الاطلاق بالجامعة العربية كمنظمة اقليمية لها دورها فى تنظيم العلاقات والمصالح الاقليمية لدولها ، وثبت ذلك من أن اللجنة قد تقدمت بتوصياتها « وهى تعلم أنها تتعارض(١) ومصلحة كل دولة من دول الجامعة العربية » .

رد الفعل لدى الصهيونية :

رحب اليهود بتقرير اللجنة وطالبوا بسرعة تنفيذه، وخاصة التوصيات المتعلقة بالهجرة وبالأراضى ، الا أن أحد المؤرخين الغربيين (٢) يرى أن اليهود قد توجسوا القلق من جراء توصيات لجنة التحقيق وخشوا من أمتداد الانتداب لمدة طويلة وكان رد الفعل [الذى صدر عن البيشوف (الهيئة الحكومية اليهودية فى فسلطين) عنيفا ، فبعد الاغتيالات التى وقعت يوم ٣١ من أكتوبر عام ١٩٤٥ قامت عصابة الهاجاناه والآرجون واشترن فى يوم ٢ من فبراير ١٩٤٦ بعملية مشتركة جديدة ضد المعسكرات الحربية الانجليزية والمطارات . وبعد أعلان النتائج التى أنتهت اليها لجنة التحقيق فى تقريرها وجه اليهود الانجليز أنذارا وقامت عصابه الهاجاناه فى المدة من (٢) ١٦ إلى

(١) المرجع السابق .

(2) Aileum, p. cit. p **243**.

(٢) أنظر فى تفصيل ذلك : Cohen, Israel, A short History of Zionism, Loudon, Fredreick Muller, **1951**

حيث اتحدت المنظمات العسكرية الإرهابية فى عمل مشترك لأول مرة فى تاريخ البيشوف فى فلسطين على هيئة تكوين قوة عسكرية مشتركة من الهاجاناه والأرجون واشترن اشن حرب العصابات ضد البريطانيين ووزعت الادوار فيما بينها وتولت كل منها عملية معينة . =

٢٨ من يونيو بنسف عدد من الجسور التى تمر عليها الطرق العامة وخطوط السكك الحديدية ، وأختطفت عصابة الآرجون ستة من الضباط الانجليز فى حين عمدت عصابة أشترن إلى مهاجمة ورش السكك الحديدية وذهب معلق صحيفة « الجويش ستاندرد » إلى حد تحذير الشعب البريطانى من مخاطرة الدخول فى نوع من الحرب مع الشعب اليهودى « بقصد تهدئة الغول الذى ليس غولا بأى حال من الأحوال » (١)

كذلك أتهمت المنظمة الصهيونية الأعضاء البريطانيين فى اللجنة بأنهم لا يهتمون حتى لمسألة « جمع الحقائق » جاعلين من اللجنة « مهزلة كاملة »

وهكذا أعلن الصهيونيون رفضهم لما جاء فى تقرير اللجنة لاعتراضة على مبدأ قيام دولة يهودية رغم سماح التقرير بدخول مائة ألف يهودى إلى فلسطين (٢)

وكان واضحا منذ عجزت لجنة التحقيق الإنجليزية الإمريكية عن أيجاد حل سياسى واضح لمشكلة فلسطين أن بريطانيا ستتخلى عن مسوليتها فى الوقت الذى يصبح فيه اليهود قادرين على الدفاع عن أنفسهم وقد صرح آتلى على أثر نشر التقرير فى أوائل مايو عام ١٩٤٦ بأن بريطانيا لا يمكن أن تتحمل وحدها المسئولية ، ولكن إلى أن تحين الساعة التى تحول فيها بريطانيا القضية إلى الأمم الأمم المتحدة ، أمضت الوقت فى التقدم بمشروعات مختلفة وقالت إنها مستعدة لتنفيذ ذلك المشروع الذى يقبله الطرفان المعنيان فى فلسطين : العرب واليهود وهى على علم أكيد بأن الطرفين لن يتفقا على أى مشروع .

كذلك بقيت الحكومتان الإنجليزية والأمريكية كل منهما تتمسك بموقفها فى عناد ، فالحكومة الأمريكية تحث بريطانيا على اتخاذ الإجراءات

وانظر أيضا : تقرير اعلامى حول أعمال العنف — اصدار وزارة المستعمرات الحكومة البريطانية — مرجع سابق .

(1) The Jewish Standard, November, 16, 1945,

(2) Bar Zahar, Michael, The Armed Prophet op. cit, pp 90-92.

لتسهيل هجرة مائة ألف يهودى أوروبى إلى فلسطين والحكومة البريطانية تطلب من الحكومة الأمريكية عوناً مالياً أومساعدة عسكرية (١) لتنفيذ ذلك الإجراء ، وجاء حادث تدمير فندق الملك داود فى مدينة القدس فى يوم ٢٢ يوليو ١٩٤٦ وكان فيه مقر أركان حرب الجيش البريطانى ومقر سكرتارية الحكومة وما تخلف عنه من مائة وعشرة من القتلى وسبعة وأربعين من الجرحى واعتراف عصابة الآرجون فى بيان رسمى عن مسئوليتها عن الاعتداء — جاء هذا الحادث مذكراً بالنتائج الرهيبة التى يوشك أن ينتهى إليها الاستمرار فى هذا الخلاف بين البريطانيين والأمريكيين ، وأراد البريطانيون الخروج من هذا الموقف الصعب فقرروا فى نهاية شهر يوليو الأخذ باجراءين : من جهة ، أعلنوا عن اعتزامهم عقـد مؤتمر مائدة مستديرة يدعون إليها ممثلى اليهود وعرب فلسطين والدول العربية ومن جهة أخرى أعلنوا مشروعاً جديداً من إعداد الخبراء الإنجليز والأمريكيين فى لندن عرف باسم مشروع « مرريسون جرادى » .

مشروع موريسون جرادى : (٢) Plan Morrison Grady

يعزى هذا المشروع إلى هربرت موريسون وقد قام على فكرة اقتراح تحويل فلسطين إلى محمية بريطانية ذات كيان فيدرالى تشتمل على إقليم عربى وإقليم يهودى مع بقاء القدس والنقب تحت إدارة مباشرة يتولاها المندوب السامى . على أن تستقبل البلاد مائة ألف من اليهود بمعاونة مالية من الولايات المتحدة وعلى أن تحصل فلسطين فيما بعد على الاستقلال الكامل فى الشكل الذى تتيحه الظروف ، فإما أصبحت دولة فيدرالية ، وإما انقسمت إلى دولتين منفصلتين إحداهما يهودية والأخرى عربية ، واشتمل المشروع على ما يأتى :

(١) أنظر كتاب « وثائق القضية الفلسطينية » اصدار جامعة الدول العربية ملف وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ، مرجع سابق ص ص ٧٩٥ — ٨٠١

(٢) قدم هذا المشروع للبرلمان اللورد هربرت موريسون — رئيس الوزراء فى ٣١ يوليو عام ١٩٤٦ .

يتكون الإقليم العربى من ٤٠ ٪ من مساحة الأرض ويضم ٨٠٠,٠٠٠ عربى و ١٥,٠٠٠ يهودى ؛ ويتكون الإقليم اليهودى من ١٧ ٪ من مساحة الأرض ويضم ٣٠٠,٠٠٠ عربى ، ٤٨٥,٠٠٠ يهودى ، أما الأقاليم الخاضعة مباشرة لإدارة المندوب السامى فتتكون من ٤٣ ٪ من مساحة الأرض وبها ١٧٠,٠٠٠ عربى و ١٠٠,٠٠٠ يهودى ويتمتع كل أقليم من هذه الأقاليم بالحكم الذاتى الداخلى وينتخب لنفسه جمعيتة التشريعية وعلى أن يكون تعيين رئيس الجمعيتين من حق المندوب السامى ولمدة خمس سنوات ، وعلى ألا تكون قرارات الجمعيتين نافذة إلا بموافقة المندوب السامى أيضاً » وتختص الحكومة المركزية وحدها بشئون الدفاع والعلاقات الخارجية والجمارك ، كما أنه يكون الاختصاص لها كذلك لفترة مرحلية فى مسائل العدل والشرطة والمواصلات والآثار .

رد الفعل العربى :

يقال (١) أن أصدقاء الإنجليز من العرب من أمثال نورى السعيد كانوا وراء هذا المشروع الذى رفضه العرب لأنهم وجدوا فى مقترحات موريسون اتجاها نحو فكرة التقسيم وكان احتجاج العرب مبنياً على أساس بقاء الانتداب بدون أجل، وهو ماعبر عنه رئيس الوفد المصرى عبد الرازق السنهورى ورئيس الوفد العراقى الدكتور فاضل الجمالى ورئيس الوفد اللبنانى كميل شمعون ورئيس وفد المملكة الأردنية الهاشمية سمير الرفاعى والأمراء عادل أرسلان وفيصل آل سعود وكذا سيف الإسلام عبد الله مندوب اليمن، وأيضاً عبد الرحمن عزام مندوب الجامعة العربية (٢) .

---

(١) الدكتور / صلاح العقاد ، قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) موجع سابق ص ص ٢٧ — ٢٨ .

(٢) أنظر : خطاب عبد الرازق السنهورى. باشا فى مؤتمر فلسطين بلندن فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٦ فى :

دكتور/ عبد العزيز محمد الشناوى ، دكتور / جلال يحيى : وثائق ونصوص =

ويشرح الدكتور/ جلال يحي أثر هذا الإجماع العربى على موقف بريطانيا آنئذ قائلا (١):

«وكان لموقف الوفود العربية تأثير على البريطانيين إذ أنهم وجدوا أنهم مهددون بالاصطدام بالشرق العربى كله نتيجة لتعضيدهم مشروع موريسون ، فأعلن الإنجليز أنهم لا يتمسكون بهذا المشروع وإن كانوا يرونه حلا عملياً للمشكلة».

= التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ص ص ٣٨٧-٣٩٤ .

وانظر بقية خطابات رؤساء الوفود العربية فى :

ملف وثائق فلسطين – مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية موجع سابق ص ص ٨١٩ – ٨٤٩ .

(١) الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية – مرجع سابق ص ٢٣٣ .

رد الفعل الأمريكى :

رفضت الحكومة الأمريكية التصديق على هذا المشروع فى شهر أغسطس واقترح الرئيس ترومان وهو يبلغ الرفض إلى لندن تسوية أخرى فيها مزايا أكثر لليهود ، هذه التسوية هى مشروع « أتنسون » (١) وكان هذا المشروع الذى أعده دين أتشسون — نائب وزير الخارجية الأمريكية يرمى إلى إيجاد إقليم يهودى يشتمل منطقة الجليل ويمتد على المجرى الأوسط لنهر الأردن ، وفى مقابل ذلك يأخذ العرب حيفا على أن يتولى المشرفون على الإقيم اليهودى وعلى الدولة اليهودية فيما بعد تنظيم مسألة الهجرة بحرية كاملة ، وعلى أن يتم بموجبه معاهدة تأمين استخدام بريطانيا لبعض القواعد .

على أنه بحكم التردد الذى كان طابع السياسة الأمريكية تجاة المشكلة الفلسطينية آنئذ ، عاد ترومان فى شهر سبتمبر — كما سيتضح ذلك تفصيلا عند التعرض لدور الولايات المتحدة الأمريكيه — يعلن أنه إذا كان يفضل الأخذ بمشروع « اتشسون » فهو لا يرفض مشروع « موريسون » كله .

رد الفعل الصهيونى :

يبدأ مشروع موريسون جراوى وكأنه تأكيد لنية الإنجليز البقاء فى فلسطين ومن هنا أحس المسئولون الصهيونيون بالتوجس عندما أعلن المشروع البريطانى ، وقد انقب الأسلوب القائم على وسائل الإرهاب على الصهيونيين أنفسهم حيث أثار حادث فندق الملك داود موجة من الحنق والاستنكار فى أرجاء انجلترا كلها وأدت هذه المخاوف بالمسئولين اليهود إلى اتخاذ بعض القرارات التى وصفها وايزمان(٢) بأنها « قرارات تدعو إلى التمزق لثقل

---

(١) أنظر جريدة لوموند بتاريخ ١٣ من أغسطس عام ١٩٤٦ وكذا كتاب جيمس مكدونالد بالانجليزية بعنوان « مهمتى فى اسرائيل » ص ١٠ .

(2) Aleum, op. cit. pp 248 – 243.

وقعها على قلوب زعماء الصهيونية » فقد اجتمعت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية وعقدت اجتماعها فى باريس نظراً لأن رئيسها بن جوريون كان ما زال مهدداً بأمر القبض الصادر ضده من السلطات البريطانية واتخذت اللجنة فى هذا الاجتماع قرارا سريا يقضى بترك برنامج بلتمور وبإنشاء دولة يهودية فى جزء فقط من فلسطين وطلبت أن تكون الدولة قادرة — على الأقل — على الحياة ، وإذن فإن الصهيونية ظهرت بمظهر المستعد للتنازل وذلك بعد أن وقفت موقفا متشددا فى بلتمور ، ومن المؤكد — على حد قول بعض المؤرخين المعاصرين— (١) أنها تعمدت هذا الأسلوب للظهور أمام العالم بمظهر المستعد للتفاوض » .

ونحن هنا نؤيد هذا التحليل بدليل ماقاله وايزمان وهو يبلغ هذه المقترحات إلى حكومتى لندن وواشنطن : « مامن ممثل يهودى يستطيع أن يقدم على ماهو أبعد من ذلك إلا وتعرض لإنكار شعبه له » .

المرحلة الأولى لمؤتمر المائدة المستديرة فى لندن وردود فعله :

أجابت الحكومة البريطانية طلب الدول العربية ببدء المفاوضة لحل مشكلة فلسطين وحددت يوم ١٠ سبتمبر ١٩٤٦ موعدا لانعقاد المؤتمر . ولكن المجتمعين حول المائدة المستديرة لم يكونوا غير ممثلى بريطانيا وممثلى الدول السبع أعضاء الجامعة العربية ، أما عرب فلسطين واليهود فقد رفضوا قبول الدعوة الموجهة إليهم ، فقد رفضها العرب بسبب رفض الحكومة البريطانية لوجود المفتى الحاج أمين الحسينى من ناحية ، ولامتناعهم أن يجلسوا (٢) مع ممثلى اليهود على مائدة واحدة من ناحية أخرى ، ورفضها اليهود بسبب أبعاد المسئولين عن شئون الوكالة اليهودية وكان قد القى القبض عليهم قبل ذلك

---

(١) الدكتور صلاح العقاد ، قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ص ٢٧-٢٩ .

(٢) احمد فراج طايع ، صفحات مطوية عن فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٣٨ — ٣٩ .

بشهرين ، كما رفضوها لسبب آخر أهم من ذلك هو رغبتهم فى أن يكون أساس المناقشة مقصورا على مشروع التقسيم (١) الذى أعدته لجنتهم التنفيذية فى حين رفض (٢) رئيس الوزراء البريطانى آتلى هذا الطلب وأصر على أن يبدأ المؤتمر بنظر مشروع موريسون .

على أن ممثلى الوكالة اليهودية توجهوا إلى لندن وأجروا مع البريطانيين محادثات جانبية ولم يحضر أحد من الأمريكيين بعد أن كانت الآمال معلقة على حضورهم .

وهكذا تولى الإنجليز عرض مشروع موريسون فى غيبة الأطراف الأساسية المعنية فى النزاع ، وأيد ممثلوا الدول العربيـــة — رفضهم للمشروع وتقدموا باقتراحات مضادة لهـــذا المشروع تقضى بأن يعين المندوب السامى حكومة مؤقتة من عشرة أعضاء ، سبعة منهم من العرب وثلاثة من اليهود مع إجراء انتخابات عن طريق التصويت العام لاختيار جمعية تأسيسية تضطلع بإعداد دستور ديموقراطى على أن توقف الهجرة ويستمر العمل باللوائح المنظمة لبيع الأراضى ويتم الاعتراف باليهودية باعتبارها دينا من الأديان ، وعلى أن يتم إعلان الدولة العربية المستقلة فيتسلم رئيس الدولة الفلسطينية لمقاليد منصبه فى تاريخ أقصاه ٣١ من ديسمبر ١٩٤٨ (٣) .

---

(1) Sacher. Israel' , Establishment of a State, op., cit., pp 68–69.

(٢) أنظر تلخيصا لخطاب آتلى عند بدء المؤتمر فى دكتور / جلال يحيى العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ص ٧٠١ — ٨٠٤ .

ملف وثائق فلسطين— مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق ص ص ٨٠١ — ٨٠٤ .

(٣) أنظر نص مقترحات الوفود العربية فى مؤتمر فلسطين بلندن عام ١٩٤٦ فى :

ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق ص ص ٨٤٩ — ٨٥١ .

وقد أعلن الإنجليز تأجيل المؤتمر بحجة دراسة المقترحات العربية وكانوا بذلك فى الواقع ينتحلون الأعذار وينتهزون فرصة توقف اجتماعات المؤتمر للسعى وراء تحقيق أهداف أخرى ، فقد كانوا ينتظرون من جهة قرب حلول نهاية الدورة العادية للجمعية العامة للأمم المتحدة ، ويحولون بذلك بين العرب وبين عرض المشكلة الفلسطينية على الهيئة الدولية وفقا لما سبق لهم أن أعلنوه هم أنفسهم ووفقا لما كان قد طالب به الاتحاد السوفييتى — كما كانوا من جهة أخرى يأملون فى أن يجدوا بعد الانتخابات الأمريكية الخاصة بالمجالس النيابية وبالرياسة حكومة أمريكية تحررت من الاهتمامات الانتخابية وفيما يتعلق بالنقطة الأولى من هذه التوقعات تحقق ما كان يرمى إليه البريطانيون على العكس من ذلك إلى وقوع حادث التصريح العلنى من الرئيس ترومان لتهجير مائة ألف يهودى إلى فلسطين ، مما كان له أسوأ الأثر على خط سير المفاوضات التى كانت دائرة فى لندن ؟

وهكذا أنفض المؤتمر بدون الوصول إلى اتفاق وأعلن بيفن أنه سيضطر إلى رفع المشكلة إلى الأمم المتحدة حيث لن تفرض بريطانيا التقسيم بالقوة ، وقد اعتبر الصهيونيون هذا الموقف تحيزا من جانب بريطانيا للعرب وكأن العرب يقبلون بالتقسيم وهو مجافاة تامة للوقائع ، ويجمع الباحثون العرب (١) المهتمون بالمشكلة الفلسطينية أن هذا يعتبر تملصا من المسئولية من جانب بريطانيا إزاء عرب فلسطين .

---

(١) أنظر على سبيل المثال :

الدكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ص ص ٢٢٤ — ٢٥٥ .

وأكرم زعيتر ، القضية الفلسطينية ، القاهرة ١٠٥٥ ص ص ١١١ — ١١٢ .

دكتور / محمد حافظ غانم ، المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولى — إصدار معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ص ص ٩٦ — ٩٧ .

دكتور نجيب صدقة ، قضية فلسطين ، بيروت ١٩٥٣ ص ص ١٩٢ — ٢٠١ .

وعند هذا المنعطف كان النفوذ البريطانى آخذ فى الأفول وهو ما أدركته المنظمة الصهيونية العالمية وأن هذا الانخفاض يقابله على الجانب الآخر ارتفاع فى النفوذ الأمريكى .

وهكذا غدت الولايات المتحدة الأمريكية أفضل من يدعم التطلعات الصهيونية نحو إقامة دولة مستقلة والجهة التى بمقدورها - إذا أمكن - انتزاع قبول العرب بمثل هذه الدولة .

دور الولايات المتحدة

موقف روزفلت :

أبتداء من عام ١٩٤٣ وجدت أمريكا نفسها مشتركة فى المشكلة الفلسطينية على أثر ما أعرب عنه الصهيونيون طلبات ملحة ، وما صدر عن العرب من أعمال مضادة وعلى أثر تطور المصالح الاستراتيجية والاقتصادية الأمريكية فى الشرق الأوسط وهو ماجعلها تساهم ماليا فى خط أنابيب يخترق الدول العربية ليصل ما بين حقول البترول فى شبه الجزيرة العربية والبحر المتوسط وهكذا كان اهتمامها ببترول العرب كى تدعم احتياطيات البترول فى الولايات المتحدة خوفا من الرأى المتشائم للفنيين الأمريكيين فى نهاية الحرب الثانية (١)

ولم تكن هذه العوامل كلها تعمل فى اتجاه واحد أو تؤثر بنفس القوة على مختلف فئات الرأى العام الأمريكى ، فلقد كان الكونجرس منغمسا فى تأييده للصهيونية (٢) ، أما وزارة الحرب فكانت ترى ضرورة مراعاة جانب العرب وكان الديموقراطيون بوجه عام أميل إلى مساندة قضية اليهود على الجمهوريين ولكن كان فى استطاعة الاستراتيجية الانتخابية دائما أن تعكس هذه الأوضاع .

وكان الرئيس رووفلت يتأرجح بين تيارات مختلفة ففى شهر مايو ١٩٤٣

---

(1) Aleun, p, cit, pp, 131 – 233.
Monroe, Elizebeth, Britain's in the Middle East, 1914–1956, Chutto and windus. London 1963 pp 95–116.

أنظر :

(٢) دكتور / جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ص ١٨١ – ١٨٢ .

حرصا منه على حماية المصالح البترولية الأمريكية فى العربية السعودية فى وقت بلغت فيه هذه المصالح حداً كبيراً ، أرسل روزفلت(١) إلى الملك سعود رسالة سرية يطمئنه فيها أن قرارا ما يتعلق بالوضع السياسى فى فلسطين لن يتخذ إلا بعد استشارة عامة لدى العرب واليهود على السواء

وفى سنة ١٩٤٤ راح يؤكد للصهيونيين عدم موافقة أمريكا على الكتاب الأبيض الصادر فى سنة ١٩٣٩ ، وبأن العدل والانصاف سوف يقدمان لأولئك الذين يسعون إلى تشييد وطن قومى لهم ، وفى أثناء الحملة من أجل انتخابات الرياسة أدت به الحاجة إلى اكتساب ما اشتهر باسم «أصوات اليهود Vote Jiwif. إلى جانبه إلى اتخاذ موقف أكثر من هذا ميلا نحو الصهيونيين فراح يلقى الوعود بأنه إذا ما أعيد انتخابه فإنه سوف يعمل جاهداً على الإسراع بتنفيذ البرنامج الديمقراطى الخاص بفلسطين ، وكان هذا البرنامج يرمى إلى تحويل تلك البلاد إلى دولة حرة ، وديمقراطية ويهودية ، ولكن بعد أن تم انتخابه للمرة الثانية ، وفى شهر فبراير من عام ١٩٤٥ عند عودته من يالتا ، تقابل مع الملك سعود عاهل العربية السعودية على ظهر الطرادة كونسى فى المنطقة الشرقية من البحر المتوسط ، وأظهر تأثره العميق بما دار من حديث بينه وبين هذا الرجل السياسى العربى الكبير ، وعندما عاد إلى واشنطن أخبر للصهيونيون أن موقفه منهم لم يطرأ عليه أى تغيير وذلك فى الوقت الذى راح فيه يعلن أمام الكونجرس الأمريكى أن » خمس دقائق من الحديث مع ابن سعود قد أمدته بمعلومات عن المشكلة العربية اليهودية تفوق كثيرا من المعلومات التى تتحصل من تبادل سنتين أو ثلاث من الرسائل » على أن الرسائل بين روزفلت وابن سعود جاءت على أثر الحديث بينهما مباشرة ومنها الرسالة التى وجهها الملك ابن سعود إلى روزفلت يوم ١٠ من مارس

---

(١) نصوص الخطابات المتبادلة بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس روزفلت عليه .

فى ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينيه مرجع سابق ص ص ٧٤٥ — ٧٤٨ ، ٧٤٩ — ٧٥١ .

١٩٤٥ والتى تعتبر « عرضا رائعا لوجهات النظر العربية » على حد قول أحد المؤرخين الغربيين (١) ثم رد روزفلت على هذه الرسالة بتاريخ ٦ من إبريل ١٩٤٥ ؛ قبل موت روزفلت بأسبوع واحد وفيه أخذ الرئيس الأمريكى يؤكد ما جاء فى مايو ١٩٤٣ ويضيف إلى ذلك أن حكومته « لن تؤيد أى عمل قد تبدو معاديا للشعب العربى » .

موقف ترومان :

انقطع تبادل وجهات النظر بين الملك سعود ورئيس الولايات المتحدة بسبب وفاة روزفلت وجاء خليفته ترومان منحازا كل الانحياز إلى جانب الصهيونية وكان عهد حكومة ترومان هو الذى ثارت فيه مشكلة « الأشخاص المطرودون من أوطانهم » التى سوف تزيد المشكلة الفلسطينية تعقيدا ، وذلك أن هاريسون الممثل الأمريكى فى اللجنة الحكومية الخاصه بشئون اللاجئين الأوروبيين الذين شردتهم الحرب ، بعث بتقرير إلى الرئيس ترومان يعرض عليه أوضاع اللاجئين الأوروبيين القاسية ، وفيما يتعلق باليهود قال التقرير أن حالتهم تتحسن كثيرا لو أن مائة ألف منهم تلقوا التصريح بالهجرة وأن غالبيتهم تتمنى الاستقرار فى فلسطين .

على أن ليلنتال (٢) يرى أن الغالبية العظمى من هؤلاء اليهود كانوا على العكس من ذلك يأملون فى الذهاب إلى الولايات المتحدة وان طلبات الهجرة إلى فلسطين لم تأت إلا نتيجة للضغوط الأدبية والإجتماعية والمادية التى مارستها عليهم الوكالة اليهودية حيث معهد « سونيورم » هو الذى يمول

---

(1) Aleum, op. cit., PP 233-235 .

وأنظر أيضاً نص الكتاب الذى وجهة الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس روزفلت فى ١٠ مارس ١٩٤٥ ونص الرد فى ابريل ١٩٤٥ .

الدكتور عبد العزيز الشناوى ؛ الدكتور جلال يحيى : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر – مرجع سابق ص ٣٣٣ – ٣٣٨ .

(2) Lilienthal, Alfred, what price Israel ? chicayo: Henry Regnery 1953..

الوكالة اليهوديه وكان يضم نخبة من رجال الأعمال اليهود ممن كرسوا حياتهم لصالح الصهيونية وتولوا مهمة تزويد اليهود على أرض فلسطين بكل ما يحتاجون اليه من معونة مدنية وعسكرية .

ويؤكد « جون سنترنجر »(١) أن العوامل التى ساعدت على نجاح الأهداف الصهيونية أن الراى العام الأمريكى كان يعيش فى جهل بأبسط الظروف المتعلقة بفلسطين مما سهل على الحركة الصهيونية تطويع هذا الجهل إلى تأييد لتحقيق أغراضها .

وترجع أولى اتصالات ترومان بالحركة الصهيونية إلى الفترة التى كان فيها عضواً فى مجلس الشيوخ أى فيما بين ١٩٢٥ ، ١٩٣٥ حيث شارك مع أغلبية أعضاء الكونجرس تأييدهم لفكرة إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين ولكن سرعان ماحد قيام الحرب العالمية الثانية من هذا الحماس ، حيث امتنعت الولايات المتحدة عن إتخاذ موقف رسمى ، ففى عام ١٩٤٤

---

(١) جون سنترنجر J ohn senteringer هو مؤلف كتاب ترومان ، أصوات اليهود وقيام اسرائيل .

Trumau, The Jewish Vote and the creati on of Israel

الذى أصدرته مؤسسة هوفر للحرب والثورة والسلام وهى مؤسسة قامت منذ ١٩٤٩ فى جامعة ستانفورد لتكون مركزا متفرغا للابحاث والدراسات المتعلقة بالشئون و القضايا الدولية المعاصرة ، و يرى هذا الكاتب أن الاسطورة التى تصور ترومان فى دور المناصر الكبير والمتبنى لقضية اسرائيل ليست لها أساس من الصحة ، فقد كان الرئيس الأمريكى رجلا سياسيا قبل كل شيء و لم تكن لديه فى بادىء الأمر أية معتقدات ثابتة عن الصهيونية ولا عن مشكلة فلسطين و لكنه وجد نفسه حبيسا لاتجاهين كانا يتنازعان – عندما تولى الرياسة – السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط كان التيار الأول نابعا عن اعتبارات اقتصادية واستراتيجية و يمثله مسئولون عديدون فى أوساط وزارتى الخارجية والدفاع وكانوا يحذرون الرئيس من التخلى عن المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ، أما الثانى فكانت تبررة اعتبارات انتخابية ويمثله أعضاء اللجنة القومية للحزب الديموقراطى و مسئولون محيطون به فى البيت الأبيض وكانوا يحثونه على تلبية مطالب الصهيونية للحصول على أصوات تتيح له اعادة انتخابه أنظر : السياسة الدولية العدد ٣٨ – أكتوبر ١٩٧٤ مكتبة السياسة الدولية ص ص ١٩٢ – ١٩٦ .

تقدم بعض الشيوخ فى الكونجرس باقتراح لإصدار تصريح بأن الولايات المتحدة تؤيد فكرة إنشاء دولة يهودية فى فلسطين فاعترض جورج مارشال وزير الحربية بأن ذلك يعطل المجهود الحربى للحلفاء فى الشرق الأوسط ، وإذن فقد زال هذا الحاجز بانتهاء الحرب وقد سبق أن تردد ترومان بالفعل فى مؤتمر بوتسدام فى إتخاذ موقف صريح يؤيد الصهيونية لأن الحرب لم تكن قد انتهت بعد مع اليابان ، وقد قرر ترومان الالتفات إلى مصالح الولايات المتحدة فرأى تأجيل هذا الحل إلى أن يتحقق النصر للحلفاء . وقد صرح فى ذلك الوقت : « بأننا نريد أن تساعد اليهود ، ولكننا لن نفعل ذلك على حساب تحركاتنا العسكرية » ، وبعد مرور ما يقرب من عام أدلى ترومان بتصريح آخر مفاده أن موضوع إقامة دولة يهودية لا تعدله أولوية قصوى بالنسبه لبلاده وأنه يرغب فى معاونة الذين يناضلون فى سبيل إقامة وطن يهودى فى فلسطين ولكن عندما يحين الوقت المناسب .

كذلك فإن من العوامل التى ساعدت ترومان على إتخاذ هذا الموقف المتردد إزاء اليهود هو الوقت المبهم الذى اتخذه سلفه الرئيس السابق تيودور روزفلت ، الذى كان قد مجد علنا الصهاينة وتبنى هدفهم(١) بإقامة دولة يهودية ولكنه فى الوقت نفسه أكد للزعماء العرب أنه لن يكون هناك أى تغيير فى الوضع الأساسى فى فلسطين دون استشاره كاملة مع اليهود والعرب على السواء » ، ولهذا امتثل ترومان لنصيحة وزارة الخارجية خلال الأشهر الأولى من توليه الرئاسة وكرر ما أعلنه روزفلت ، ولكن خلال صيف عام ١٩٤٥ بدأ يسأل وزارته عما إذا كان لديها أى تقدير للعواقب الإنسانية الناتجة عن هذه السياسة ومصير اللاجئين اليهود فى أوروبا الذين كانوا يتطلعون إلى حياة جديدة ، وصرح ترومان بأن السياسة الأمريكية تعمل على إتاحة الفرصة

---

(١) أنظر : تصريح صحفى رسمى لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية فرنكلين د. روزفلت صدر فى واشنطن يوم ١٦ مارس ١٩٤٤ فى : ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ، مرجع سابق ص ٧٣٥ .

لأكبر عدد من اليهود لإمكان نزوحهم إلى فلسطين ، وعلى الجانب الآخر كان الصهيونيون قد وضعوا برنامجا يتيح لعدد آخر من اليهود (مائة ألف) للهجرة إلى فلسطين ، لهذا رأى ترومان أن الوسيلة فى إقناع بريطانيا بهذا الطلب عندما اقترحت هذه الأخيرة تشكيل لجنة بريطانية أمريكية للبحث فى مشاكل فلسطين ومن بينها موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وكما سبق أن أشرنا فقد تضمن تقرير اللجنة الصادر فى ٢٠ إبريل ١٩٤٦ اجماع أعضائها على « التصريح(١) مباشرة بقبول مائة ألف يهودى فى فلسطين » .

أن الأمر الذى يشير الدهشة المحيرة حقا هو ما أقدم عليه الرئيس ترومان من توجيه النداءات الملحة إلى الرأى العام ليضع حدا للآلام التى يعانى منها اليهود عن طريق تهجير مائة ألف منهم إلى فلسطين ، من غير أن تشير هذه النداءات لحظة واحدة إلى قبول هؤلاء البؤساء فى بلاد أصحاب تلك النداءات لقد كانت فلسطين فى نظر ترومان تستطيع بمساحتها التى لاتتجاوز ... ٢٦ كيلو متر مربع من الأراضى الفقيرة وبسكانها البالغ عددهم مليونين ، وبكثافتها السكانية التى تبلغ ١٢٣ فردا فى الكيلومتر المربع ، وبالعداوة الدامية التى تفرق ما بين الطائفتين فيها بسبب المشكلة الفلسطينية ، أن تقبل بسهولة مائة ألف من اللاجئين اليهود ، فى حين لم يكن يبدو فى نظر ترومان ، أن العملاق الأمريكى قادر على هذا الجهد — ففى عام ١٩٤٣ قبلت الولايات المتحدة التى يبلغ عدد سكانها ١٤٠ مليون نسمة وتبلغ مساحتها ٧٨٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع ٢٣٧٢٥ من المهاجرين منهم ٤٧٠٥ فقط من اليهود ، وفى سنة ١٩٤٥ بلغ عدد المهاجرين إلى داخل الولايات المتحدة ٣٨١١٩ نسمة فقط من اليهود(٢) .

---

(١) انظر : توصيات وتعليقات لجنة التحقيق الانجليزية — الأمريكية بشأن مشاكل اليهود فى أوروبا وقضية فلسطين سنة ١٩٤٦ فى : ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٧٦٥ — ٧٨٠ .

(2) Aleum Op., cit pp 332–33.

ولقد أشارت الصحف البريطانية إلى هذه المقارنة حيث كتبت تقول أن ما تطالب أمريكا العالم به قد يكون أكثر إقناعا لو أن تلك الدولة فتحت هي نفسها قليلا أبوابها أمام ضحايا هتلر ، كذلك أشار إلى هذا التضارب أحد السياسيين العرب الذى قال فى تهكم مرير ، « ربما كان السبب فى أن يطلب إلى فلسطين بذل هذا الجهد الاستيعابى هو عدم إمكان طلبه من الولايات المتحدة أو من كندا أو من إستراليا خوفا من اختلال للتوازن داخل حدود هذه الأمم الرقيقة »(١) .

ومن جهة أخرى رأت بريطانيا أن تعلن رسميا أمام المسئولين العرب أنه ليست لديها أية نية فى التصريح بالهجرة لهذا العدد الجديد من اليهود فكانت النتيجة تصاعد أعمال الارهاب التى قادتها القوات المسلحة اليهودية فى فلسطين ضد سلطات الانتداب ، وفى ظل هذه الظروف المتأزمة اجتمعت لجنة ثلاثية أمريكية تابعة للحكومة بالمسئولين البريطانيين لايجاد تسوية للمشكلة الفلسطينية ولكن مضى أسبوع تفرقت بعده اللجنة دون التوصل إلى نتيجة فيما يختص بالتصريح بالهجرة اليهودية .

وحدث فى ٢١ يونيو ١٩٤٦ أن أعلنت اللجنة مقترحاتها (٢)، وكان ترومان قد تنبه إلى أن تبنيه مقترحات اللجنة سيؤدى إلى نفوذ الناخبين اليهود ضده وضد حزبه مما يعنى نهاية حكم الديموقراطيين فى الولايات المتحدة لهذا

---

(١) Ibid, pp 333–334.

وأنظر أيضاً: دكتور جلال يحيى : مشكلة . فلسطين والاتجاهات الدولية منشأة المعارف – الاسكندرية ص ص ٢٢٧ – ٢٢٩ .

(٢) انظر المقترحات المقدمة على أثر المناقشات بين مندوبى الحكومة البريطانية والولايات المتحدة فى يوليو عام ١٩٤٦ ، مذكرة المملكة المتحدة فى : الدكتور / عبد العزيز محمد الشناوى والدكتور / جلال يحيى وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر مرجع سابق ص ص ٣٧٦ – ٣٨٦ . .

أبلغ ترومان المسئولين البريطانيين فى ١٢ أغسطس ١٩٤٦ رفضه لهذه المقترحات .

وعند هذا الحد يمكن أن نقول بأن سياسة ترومان خلال هذه المرحلة الأولى من حكمه قد أدت بالعرب واليهود وبريطانيا إلى معاداته ، وهكذا وصلت معالجة ترومان للمشكلة الفلسطينية إلى مأزق .

انحياز ترومان للجانب الصهيوني :

عهد الرئيس ترومان ٤ من أكتوبر عام ١٩٤٦ رغبة منه في اكتساب أصوات اليهود إلى جانب حزبه ، وخصوصا أصوات اليهود في ولاية نيويورك ذات الأهمية الكبرى ، ورغبة منه في الوصول بهذا الطريق إلى ضمان انتخاب رئيس لهذه الولاية يكون من الديمقراطيين ؛ بدلا من الحاكم الجمهوري ديوي ، — عهد ترومان إلى اصدار تصريح علني أعاد فيه التذكير بالجهود التي بذلتها حكومته من أجل قبول تهجير مائة ألف يهودي إلى فلسطين ، وراح يكرر مطالباته الاولى بهذا الصدد إلى الحكومة البريطانية ويؤكد لسامعيه أن مشروع التقسيم الذي وضعته الوكالة اليهودية سوف يحظى بالتأييد من قبل الرأي العام الأمريكي بفضل استمرار الصهيونية في ممارسة ضغوطها على الرئيس الأمريكي للحصول على تأييده ، فلم تترك مجالا إلا وطرقته (١) وكانت تشتري الاعلانات من الصحف وتنصب منها مبرزا للدفاع عن أهدافها ، يتسنى لها — من خلالها — الحصول على مساندة الرأي العام وتوجيهه بالتالي للضغط على البيت الأبيض .

وفي صفوف الكونجرس ضاعف الصهيونيون جهودهم ، ولكن أهم ورقة في يد الصهيونية كانت تتمثل في وجود مناصر لها في شخص عضو من مكتب الرئيس هو : دافيد . ك . نايلز الذي لجأ إلى نفوذه الكبير داخل البيت الأبيض التوسع في المساندة العامة لترومان باسم البرنامج الصهيوني .

وكان خبراء البيت الأبيض وخبراء وزارة الخارجية قد نصحوا الرئيس ترومان بعدم اصدار مثل هذا التصريح في ذلك الوقت ، وقالوا ان كلمات كهذه المقصود بها التوجه إلى الرأي العام الأمريكي وحده يحتمل أن تحدث في خارج البلاد رد فعل يؤسف له ، نظرا لحالة التوتر التي تحدثها تلك المفاوضات

---

(١) Senteringer, John : Truman، The Jewish Vote and the Creation of Israel, op. cit.,

مع ماقد تسفر عنه هذه من نتائج حاسمة ، ولكن الرئس ترومان لم يلتفت إلى تلك النصائح :

ويرى فريق من المؤرخين الغربيين والعرب المعاصرين (١) — على السواء — أن ترومان كان يختلف فى سياسته المتحيزة للصهيونية عن خبراء وزارة الخارجية الأمريكية وخبراء البيت الأبيض الذين كانوا يتأثرون بمصالح الولايات المتحدة النفطية فى العالم العربى .

وقد علق وايزمان (٢) على ذلك بأنه قد قدم خبرته العلمية لكى يوجد للعالم بديلا عن البترول فى توليد الطاقة ، وبالتالى يقضى على التردد الذى تواجهه السياسة الأمريكية وغيرها من دول أوربا الغربية عند معالجة المشكلة الفلسطينية — هذا على افتراض أن البترول كان فى وقت ما سلاحا فعالا فى أيدى العرب .

والواقع أن عدة عوامل تدخلت لكى تحول ترومان إلى سياسة التحيز التى اشتهر بها ومنها :

أولا :

اجتماع ثمانية وثلاثون حاكما من حكام الولايات ومطالبتهم بفتح باب

---

(١) Aleum op. cit., pp 251–253.

حيث وصف آراء هؤلاء الخبراء بأن « الظروف قد أثبتت فيما بعد مقدار ما احتوت عليه نصائحهم من حكمة وتبصر بعواقب الأمور ، وكذا الدكتور جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالميه الثانيه ، مرجع سابق ص ص ١٨١ — ١٨٣ حيث يشرح سيادته دور ترومان فى تحيز أمريكا تماما إلى جانب اليهود ، وكذا دكتور / صلاح العقاد ، قضيه فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ص ٣٠ — ٣٣ حيث يقول « والشائع أن — ترومان كان يختلف فى سياسته هذه مع وزارة الخارجية الأمريكية » وقد فهمنا أن ذلك يعنى تأييده للخلاف بين ترومان وخبرائه فى وزارة الخارجية .

(٢) عبر وايز مان عن ذلك بفصل عنوانه (خدمة الصهيونية عن طريق العلم) أنظر تفصيل ذلك فى :

Weizmann, chaim, Naissance d'Israel, Paris 1957 p. 500,

الهجرة لليهود وليس من المألوف أن ينعقد مؤتمر لحكام الولايات بقصد البحث فى قضية من قضايا السياسة الخارجية . (١)

ثانيا :

وصل ترومان إلى السلطة لا عن طريق الانتخاب بل لأنه كان نائب رئيس ولذلك كان يسعى للحصول على شعبية وهو يعترف بأنه أراد أن يسبق منافسة ديوى إلى إصدار تصريح ممالىء لليهود فى ٤ من أكتوبر ١٩٤٦ —(٢) وهو التصريح الذى أشرنا إليه آنفاً —والذى تضمن رفض مشروع موريسون، وقد صدر هذا التصريح قبل إجراء انتخاب مجلس النواب والتجديد الجزئى لمجلس الشيوخ، يضاف إلى ذلك أن الحزب الديمقراطى بصفة عامة يمتص الأقليات الدينية والعنصرية وكثيراً ما قدم اليهود له مساعدات فى الحملات الانتخابية.

ثالثا :

خلال سبتمبر عام ١٩٤٦ عندما بدأت الولايات المتحدة تستعد لخوض الانتخابات التى ستجرى بعد شهرين لاختيار أعضاء الكونجرس ساد الاعتقاد فى صفوف الحزب الديموقراطى بأن بقاء الديموقراطيين فى الحكم يتوقف على ضرورة إحداث تقارب مع الجماعة اليهودية وكان ترومان يتعرض للضغوط الصهيونية التى كانت تزداد عليه ، وهنا جاء العمل الحاسم الذى رجح كفة الميزان لصالح الصهيونية وهو فشل مؤتمر لندن بعد أن عاد إلى الانعقاد بناء على دعوة بريطانيا لجميع أطراف المشكلة الفلسطينية فى يوم

---

(١) Lilienthal, Alfred, The other side of the coin, New York, Deuin-Adair 1955.

(٢) أنظر : نص تصريح رئيس الولايات المتحدة (مستر ترومان) فى ٤ أكتوبر ١٩٤٦ فى : ملف وثائق فلسطين — مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ج ١ مرجع سابق ص ص ٨٥٢ — ٨٥٥ .

٢٧ من يناير عام ١٩٤٧ ثم فشله وانفضاضه فقد فشل المؤتمر فى التوفيق بين أطراف المشكلة الفلسطينية ، وهنا أخذت العناصر الصهيونية تلوح لترومان بأن هذا الفشل يجعله خالى المسئولية إذا اتخذ الإجراءات التى تطلبها منه الجماعة اليهودية ، وكان ترومان يبحث عن مبرر ما ليلبى مطالب الصهيونية ، ولذا جاء تصريحه الشهير فى ٤ اكتوبر ١٩٤٦(١)ــ الذى دعا فيه إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين .

---

(١) المصدر السابق.

ردود فعل التصريح المشئوم لترومان :

رد الفعل العربي :

ما إن صدر تصريح ترومان في يوم ٤ من أكتوبر عام ١٩٤٦ حتى سارعت كل من سوريا والعراق إلى ترك المناقشة حول الاتفاقيات الجديدة التي كانت الولايات المتحدة قد عرضتها على الدولتين ، ورفضت سوريا منح شركة A.R.A.M.C.O. الأمريكية حق استخدام أراضيها في مرور خط أنابيب البترول العظيم الذي يخترق البلاد العربية .

كذلك بعث الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس ترومان في ١٥ أكتوبر يعرب عن دهشته لهذا التصريح والذي « يتناقض مع البيان الأمريكي السابق لحل مشكلة فلسطين بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية والفريق الثالث » .

وذكر الملك عبد العزيز آل سعود في خطابه كذلك بأن هذا البيان يعني ظلماً يمكن أن يحيق بالعرب .

ومن الغريب أن يرد الرئيس ترومان(١) على الملك عبد العزيز آل سعود في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٦ وهو يصر على تشجيع حكومة الولايات المتحدة بدخول هذا العدد الهام من اليهود إلى فلسطين « ليتمكنوا من المساهمة في تشييد الوطن القومي اليهودي » .

رد الفعل البريطاني :

أحدث هذا التصريح رد فعل عنيف سواء في البرلمان أو لدى الحكومة

---

(١) أنظر كتاب الملك عبد العزيز آل سعود إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في ١٥ أكتوبر ١٩٤٦ وكذا رد الرئيس ترومان إلى الملك في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٦ في :

ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق ص ٨٥٧ — ٨٦٢ .

البريطانية التى لجأت إلى استخدام عبارات غير مألوفة فى وصف هذا العمل الصادر عن رئيس إحدى الدول الصديقة فقالت إن تصريح ترومان « سيء الحظ جداً » Most Unfortunate وأضافت إلى ذلك قولها إن هذا التصريح قد يؤدى إلى إفساد تسوية المشكلة الفلسطينية العويصة .

وقد أبدى بعض المؤلفين موافقتهم على هذا الرأى من جانب الحكومة البريطانية وكتبوا يقولون أن ذلك الخريف من تلك السنة كان من المحتمل أن يشهد وضع أسس للاتفاق لولا هذا التدخل من جانب ترومان ، وهم يقيمون رأيهم هذا على تصريح أدلى به عزام باشا — الأمين العام للجامعة العربية جاء فيه أن الحل كان فى تلك الفترة قريب المنال .

غير أن هناك من (١) يرى أن كلمات عزام باشا فى هذا الصدد إنما كانت تشير فقط إلى اتفاق قد ظن هو — إن خطأ أو صوابا — أنه كان من الممكن الوصول إليه بين العرب والبريطانيين ، ذلك أن مشروع التقسيم المقدم من قبل الوكالة اليهودية والمشروع المقدم من العرب والذى عرضا فى لندن بينهما من الفوارق والبعد مالا يمكن معه أن يتجه تفكير هذا الرجل السياسى المصرى إلى إتفاق مما يعقد بين العرب واليهود وهو وحده الاتفاق الذى له فى نهاية الأمر كل القيمة .

رد الفعل الصهيونى :

أفتتح المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين فى شهر ديسمبر ١٩٤٦ فى مدينة بال بسويسرا ومنذ لحظاته الأولى وايزمان يناشد المسئولين الصهيونيين أن يقبلوا المشاركة فى مؤتمر لندن من أجل التفاوض هناك فى إقامة دولة يهودية على جزء مناسب من الأرض الفلسطينية ، وقد انهال باللوم والتقريع على حركة الإرهاب التى أطلق عليها وصف « ذلك السرطان المتفشى فى جسم

---

(1) Aleum op. sit. pp 252–253,

اليشوف » واتهمها بأنها توشك أن تقضى على كل ما قامت الصهيونية بتشييده طوال تسع وعشرين سنة ، وأنذر المؤتمر أنه على استعداد إلى التخلى عن رياسة العالم اليهودى وحركته اذا ما اتبعت سياسة لايمكن تطبيقها .

وعلى الرغم من سطوة وايزمان (١) ونفوذه ، وعلى الرغم من التحذير الذى أعلنه ؛ فقد انتصرت وجهة النظر الخاصة بالمتطرفين وكان يقودهم بن جوريون وقويت صفوفهم لذلك وطالب المؤتمر بفتح أبواب فلسطين على مصاريعها أمام هجرة يهودية لايكون عليها رقيب إلا من الوكالة اليهودية وحدها ، وقرر بأغلبية ١٧١ صوتا ضد ١٥٤ رفض فكرة المساهمة فى اجتماعات مؤتمر لندن ، وبر وايزمان بما وعد به وتنحى عن رياسة المنظمة الصهيونية العالمية واعيد انتخاب بن جوريون رئيساً للجنة التنفيذية .

ثم تقرر فى هذا المؤتمر الصهيونى أنه من الممكن النظر فى أمر المشاركة فى اجتماعات مؤتمر لندن فى حالة ما إذا طرأ تغير فى الأوضاع ، وأخيراً قرر المؤتمر موافقته على مشروع التقسيم الذى أعدته الوكالة اليهودية فى شهر أغسطس السابق ، ولكن تلاشت منذ شهر يناير عام ١٩٤٧ هذه الآمال فقد أعلن موشى شرتوك — موشى شاريت فيما بعد — رئيس القسم السياسى لدى الوكالة اليهودية أمام مؤتمر صحفى عقده لهذا الغرض أنه مادامت الحكومة البريطانية لم تستجب لما عرضته الوكالة من اقتراح تصالحى فإن تلك الوكالة لن ترضى منذ تلك اللحظة إلا بدولة مستقلة فى فلسطين كلها وتحقيق أغلبية يهودية فى البلاد بادخال سبعمائة ألف مهاجر إليها .

وفى الوقت نفسه راح الارهابيون يمارسون نشاطهم من جديد والذى كانوه قد توقفوه أثناء فترة إنعقاد المؤتمر الصهيونى ، وعمدوا فى يوم ٢٩ من ديسمبر عام ١٩٤٦ انتقاما منهم لضرب أحد الشبان الإرهابيين اليهود إلى

---

(١) Bar Zahar, Michael, The Armed Prophet, op., cit., pp 93 – 95.

خطف عشرة من الضباط الإنجليز وثلاثة من صف ضباطهم بوساطة عصابة الآرجون التى أوسعهم أفرادها ضربا بالسياط ، وفى يوم ١٢ من يناير عمدت عصابة أشترن إلى نسف مبانى الشرطة فى حيفا مما تسبب عنه قتل خمسة من رجال الشرطة وجرح ثلاثة وأربعين منهم . (١).

---

(١) Ben-Gurion, David, Israel Years of challenge op., cit, pp 21 – 25.

وانظر مقاله Irgun and partition Jewish Standard October 31, 1947

وفى تفصيلى الارهاب الصهيونى فى فلسطين فى هذه الفترة أنظر : ---

دكتور/أسعد رزق، اسرائيل الكبرى ، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى سلسلة كتب فلسطينية (١١٣ – اصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث بيروت ، يوليو ١٩٦٨ ص ص ٥٢٦ – ٥٢٨ .

بريطانيا ونهاية الانتداب

المرحلة الثانية لمؤتمر لندن :

استئناف المؤتمر ثم فشله وانفضاضه :

وهكذا استؤنف مؤتمر لندن فى ٢٧ يناير عام ١٩٤٧ فى ظروف (١) سيئة فلم تشترك فيه الوكالة اليهودية لأن العرب رفضوا أن يجلسوا معها على مائدة واحدة ، وقبلت اللجنة العربية العليا حضور اجتماعاته إستجابة منها إلى طلب ملح من قبل الملكين سعود وعبد الله ، وتقدم وزير المستعمرات البريطانى إلى المندوبين بمشروع إنجليزى جديد مستوحى من مشروع موريسون بعد إدخال تعديلات فى أجزاء كثيرة منه بناء على رغبة العرب وكانت خطوط هذا المشروع الجديد على الوجه الآتى :

تظل فلسطين مقسمة إلى اقليم عربى وإقليم يهودى وإقليم خاضع خضوعا مباشراً لسلطة المندوب السامى ، ولكن من الواضح أن هذه الأقاليم لاتتكون منها دول ، فهى بذلك تقبل عدم الاتصال بين أجزائها — بمعنى أن تتكون كل منها من أجزاء متعددة — وفى ذلك مايسمح بضبط وتنسيق حدود كل دولة وفقا لمناطق السكنى ، سواء أكانت عربية أو يهودية ، وكان الظاهر أن مثل هذا الوضع من شأنه أن يؤدى إلى الحل النهائى أو أن يعد للوصول إلى هذا الحل النهائى القائم على فكرة الدولة الفيدرالية لا على فكرة التقسيم .

وقد نص هذا المشروع أيضا على تحديد فترة الانتداب البريطانى بمدة خمس سنوات يقوم خلالها باعداد البلاد للاستقلال ، ويعاون المندوب السامى مجلس تنفيذى يزداد فيه تدريجيا عدد الوظائف التى تسند إلى الفلسطينيين

---

(١) أحمد فراج طايع ، صفحات مطوية عن فلسين ، مرجع سابق ص ص ٤٢ — ٤٣

ومجلس تشريعى يتكون من ممثلين عن العرب وعن اليهود وعن النقابات وعن المنظمات الاقتصادية .

كذلك تضمن المشروع تحديد الهجرة اليهودية بعدد أربعة آلاف مهاجر كل شهر ولمدة سنتين . وفى نهاية هذه المدة يتولى المندوب السامى تنظيمها بعد استشارة مجلسه الاستشارى على أن يبنى قراره على إمكانية الاستيعاب الاقتصادى للبلاد ، وفى حالة قيام نزاع حول هذا الموضوع يعرض الأمر على هيئة تحكيم تعينها الأمم المتحدة .

وفى نهاية أربع سنوات يجرى انتخاب جمعية تأسيسية ، فاذا أمكن التوصل إلى تفاهم بين القطاعين العربى واليهودى اتخذ المندوب السامى الإجراءات اللازمة من أجل تطبيق النظم التى يتم اختيارها ويتم إعلان الاستقلال فى السنة الخامسة فاذا تعذر بلوغ الاتفاق فى داخل الجمعية التأسيسية عرضت القضية برمتها على مجلس الوصاية التابع للامم المتحدة .

وجاء رد الفعل العربى والصهيونى برفض هذا المشروع بغير شروط ، وكان رد الفعل العربى (١) متوقعا ، أما بالنسبة لليهود فقد كانت التعديلات السابقة لمصلحتهم إذ ضمت لمنطقتهم بعض أقسام النقب ، وكان الصهيونيون يقومون فى نفس الوقت بمباحثات جانبية خارج المؤتمر مع الحكومة البريطانية(٢) « فضلا عن أن كلا من العرب واليهود كانوا يتفاوضون فيما بينهم على هامش المؤتمر » (٣) ، وأصر العرب على اعلان استقلال فلسطين وايقاف الهجرة اليهودية واتخاذ تدابير حماية الأراضى العربية ،

---

(١) دكتور / جلال يحيى ، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ص ٢٣٠ – ٢٤٢ .

(٢) دكتور محمد طلعت الغنيمى ، قضية فلسطين أمام القضاء الدولى ، مرجع سابق ص ص ١٢٥ – ١٤٢ وانظر أيضا : العسكرية الصهيونية المجلد الأول ، المؤسسة العسكرية الإسرائيلية (النشأة والتطور ١٨٨٧ – ١٩٧٧) ، مرجع سابق ص ص ١٣١ – ١٣٤ .

(٣) Aleum Op. cit pp 253-255.

أما اليهود فقد تمسكوا بالدولة اليهودية(١)

عندئذ اقترح بيفن وزير الخارجية البريطانية على المندوبين العرب الدخول فى مفاوضات مباشرة مع الوكالة اليهودية ولكن اقتراحه هذا رفض وعلى ذلك أعلن الوزير البريطانى فى ١٤ فبراير عام ١٩٤٧ أن حكومة صاحب الجلالة قد قررت عرض المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة .

وحينما أعلن وزير المستعمرات السير كيرك جونس هذا القرار الذى أتخذته حكومته حرص على أن يقول(٢) : « نحن لا نذهب إلى هيئة الأمم لكى نرد إليها توكيل الانتداب وإنما نذهب إلى هناك لكى نثير أمامها المشكلة ونتلمس رأيها فى كيفية مباشرة هذا الانتداب ، فإذا كانت الصيغة الحالية غير جديرة بالحياة طلبنا تعديلها »

وهكذا وضع مستقبل فلسطين فى مهب الريح(٣) حينما تقرر رفع القضية أمام الأمم المتحدة ذلك لأنه يدل على أن مبدأ تقرير المصير بدل أن يطبق على الشعب العربى الفلسطينى وهو الحل المنطقى لإنهاء الانتداب البريطانى ، ترك هذا المستقبل لأهواء مندوبى الدول الذين لا يعرفون عن حقيقة مشكلة فلسطين شيئاً يذكر ، لاسيا وأن العرب لم يصلوا إلى درجة اليهود فى التغلغل بأجهزة الدعاية فى مختلف أنحاء العالم بل وفى الأجهزة الإدارية التابعة للأمم المتحدة ذاتها ، وقد سبق لليهود أن تسللوا إلى أجهزة عصبة الأمم وورثت هذه المنظمة الدولية الجديدة كثيراً من تلك الأجهزة .

---

(١) Ibid pp 255–257.

(٢) Kirk, George, The Middle East 1945–1950. London 1959. pp 235–236.

(٣) الدكتور محمد أنيس ، السيد رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق .

وقد كانت الحجة التى برر بها بيفن نقل المشكلة الفلسطينية إلى الأمم المتحدة أن الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩ يعتبر وثيقة دولية ولا يستطيع إلغاءه إلا بواسطة هيئة دولية وهو ما ذكرة بيفن ضمن خطاب ألقـاه فى مجلس العموم البريطانى فى ٢٣ فبراير عام ١٩٤٧ ومما جاء فيه(١) :

« لقد عجزت بريطانيا عن التوفيق بين السماح لليهود بغزو فلسطين وبين مراعاة صك الانتداب فى عدم الإضرار بمصالح سكانها الآخرين . وقد أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الذى حدد الهجرة إلى فلسطين ليوقفها فيما بعد ، وأقر المجلس الموقر هذا الكتاب الذى أثار معارضة اليهود وتشدد العرب وإصرارهم على الاستقلال الناجز ، ومما زاد من تعقيد المشكلة أن أمريكا زجت بنفسها فيها وأخذ الرئيس ترومان يوالى تصريحاته عنها ، ولو وقف أمر هذا التدخل الأمريكى عند حد إدخال مائة ألف مهاجر يهودى إلى فلسطين لكان فى الإمكان معالجته ، ولكن الحديث يدور حول المجئ بالملايين ، وليس من العدل المساواة بين مصالح العرب أصحاب البلاد وبين اليهود الطارئين على فلسطين إلا أن بريطانيا لا تستطيع أن تفرض حلاً نهائياً بالقوة لأنها دولة منتدبة ولذا فقد أصبح من واجبها أن ترفع الأمر إلى الأمم المتحدة لتقرر وتفرض الحل الذى تراه ».

أما وقد اتجهت سياسة بريطانيا إلى التقسيم كحل لمشكلة فلسطين فإنه يثور هنا تساؤل جوهرى عن مدى مشروعية ذلك الاتجاه وهل تسند قواعد القانون الدولى والرأى العام العالمى هذا الرأى .

---

(١) Aleum, op. cit. p 257.

Kirk, George op. cit. p 257.

Kirk George A short History of the Middle East:

الترجمة العربية لعمر الاسكندرانى بعنوان موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الاسلام إلى الوقت الحاضر مجموعة الألف كتاب (١١٤) اصدار مركز كتب الشرق الأوسط بدون تاريخ اصدار .

يرى فريق من الباحثين أن فكرة التقسيم والمشروعات التى عرضت لتحقيقها باطلة جميعها لأن القائلين بالتقسيم برروا فكرتهم بأنه من المتعذر جمع العرب واليهود فى دولة موحدة بسبب ما يكنه الفريقان بعضهما لبعض من عداوة وبغضاء ، والحقيقة أن العداوة بين العرب واليهود لا ترجع إلى أن هؤلاء عربا وأولئك يهوداً بل سببها مشكلة فلسطين بالذات ، فضلا عن أن مشروعات التقسيم لم تنجح فى فصل العرب عن اليهود ، وكانت بريطانيا على علم منذ البداية بمدى كراهية العرب للصهيونية ولفكرة إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وقد سبقت التصديق على صك الانتداب ثورات عربية ضده وبالتالى لم يكن خفياً على بريطانيا أن تنفيذ البرنامج الصهيونى فى فلسطين ليس له من أثر إلا تزايد المقت فضلا عن أن بريطانيا قد اتخذت من عداوة العرب واليهود سببا لتقسيم فلسطين ، وهو تصرف مبنى على الغش ، والغش فى حكم القانون الدولى مبطل لسائر التصرفات (١) وينعكس هذا على التصرف البريطانى فى نهاية سبتمبر ١٩٤٧ حين أعلن وزير المستعمرات البريطانى أن بلاده تقبل التوصية الخاصة بوضع حد للانتداب التى أشارت بها اللجنة من قبل الأمم المتحدة باجراء التحقيق فى فلسطين — ولكن وزير المستعمرات البريطانية أضاف « لن نقدم حتى حلول ذلك الميعاد على أى عمل من شأنه فرض حل لم يحظ بالقبول من قبل اليهود ومن قبل العرب معا » كما رفض

---

(١) الدكتور /محمد طلعت الغنيمى ، قضية فلسطين أمام القضاء الدولى مرجع سابق ص ص ١٥١ — ١٥٣ حيث أوضح أن الحكمة القانونية« الغش يبطل سائر التصرفات .

Fraus omins corrumpit.

تعتبر من الأسس العامة الجوهرية لدى مختلف القوانين المتمدينة ، وتبعاً فهى قاعدة من قواعد القانون الدولى وكذلك تتفق مع الرأى العام العالمى .

فى الوقت ذاته تحديد موعد لإنهاء الانتداب وسحب القوات البريطانية من فلسطين .

وحين اقترعت الأمم المتحدة على مشروع التقسيم فى يوم ٢٩ من نوفمبر عام ١٩٤٧ وتكونت لجنة جديدة هى اللجنة الخماسية للعمل على تنفيذ هذا القرار رفضت دولة الانتداب التعاون مع هذه اللجنة كما رفضت أن تنقل إليها اختصاصاتها تدريجيا ، كما كان مطلوبا منها فى القرار ، كذلك امتنعت القوات البريطانية عن الفصل بين اليهود والعرب عندما نشبت الحرب الحقيقية بين الطائفتين .

وفى شهر يناير عام ١٩٤٨ أعلنت بريطانيا أنها سوف تضع حـــدا للانتداب فى منتصف ليلة ١٥ من مايو عام ١٩٤٨ وكان هذا اليوم هو الذى أبحر فيه آلان كننجهام من غير أن يخلف وراءه لا سلطة ولا إدارة تاركاً البلاد فريسة للحقد والفوضى وكان آلان كننجهام قد لعب دوراً هاماً فى القضاء على المقاومة الثورية التى أظهرها شعب فلسطين(١) أثناء توليه منصب المندوب السامى البريطانى فى فلسطين فى الفترة من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨ وكانت مهمته تهدئة ثورة العرب من الناحية العسكرية وهو واضح من رتبته العسكرية « جنرال » كذلك ففى فترة توليه هذا المنصب جاءت اللجنة الإنجليزية الأمريكية .

وقد غادر آلان كننجهام ميناء حيفا معلناً نهاية الانتداب البريطانى بعد أن كانت المنطقة المخصصة لليهود فى التقسيم وقسم كبير من المخصص للعرب (مثل يافا) قد أصبح تحت سيطرة اليهود .

وهكذا تخلت بريطانيا عن مسئولية الانتداب دون أن تقيم حكومة وطنية تتسلم مقاليد الأمور ودون أن تحصل على موافقة بذلك من الأمم المتحدة وكأن

(١) دكتور / اسحق الحسينى ، مذكرات عن المشكلة الفلسطينية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٦ ص ص ٤٥ — ٤٨ .

فلسطين وشعب فلسطين كلأ مباح ودم مباح لا قيمة له ولا اعتبار ، وكأن الانتداب كان لعبة تلهو بها (١) بريطانيا كما تشاء ، فبعد انقضاء ثلاثين عاماً على انتصار اللنبي فى موقعة مجيد وعمدت بريطانيا إلى انهاء مغامرتها الفلسطينية من غير مجد أو كرامة وقليلا ما صادف التاريخ مثل كهذا المثل لدولة عظمى تتنكر لمسئوليتها فى مثل هذا الاستهتار واللامبالاة .

ومما يثير العجب أيضاً كون بريطانيا قد أظهرت اعتزازاً خاصاً بانتدابها على فلسطين وكانت قد درست مشكلات هذا الانتداب فى دأب وعناية فما الذى حملها إذن على اتخاذ هذا القرار الجاف الذى يتنافى مع ما التزمت به من تعهدات عندما أسندت إليها مهمة الانتداب ؟

لقد قيل أحيانا أن هذا الانسحاب المفاجئ المتعجل من قبل بريطانيا كان بغرض الاستقرار فى فلسطين ، وهو قول مبنى على التناقض ، ولكن أصحاب هذا الرأى يبررونه بأن بريطانيا وقدتعذرعليها البقاء فى تلك البلاد بسبب المشكلات الداخلية والدولية التى يثيرها العداء المستحكم بين العرب واليهود ، قد أقبلت عمداً على ترك البلاد للفوضى اقتناعا منها بأن أعمال الاضطرابات والذبح سوف تنتشر بعد رحيلها وتبلغ حدا يحمل العرب واليهود معا كما يحمل الأمم المتحدة على دعوتها إلى العودة ثانية ، وفى هذه الحالة تستطيع فى ظل الظروف الجديدة أن تمارس سلطانا لا يعارضها فيه أحد وأن تفرض الحل الذى يروق لها هى .

والأخذ بهذا القول من شأنه أن ينسب إلى بريطانيا سياسة مكيافيلية الأمر الذى ربما يصدق عليها فى ظروف أخرى غير تلك الظروف ، ففى أثناء قيام الانتداب افترض الكثيرون من الزعماء العرب والصهيونيين

---

(١) دكتور محمد طلعت الغنيمى ، قضية فلسطين أما القضاء الدولى مرجع سابق ص ١٥٤ — ١٥٥ .

محمد رفعت ، التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ ص ص ٤٠٠ — ٤٠٢ .

افتراضات من هذا القبيل ، زاعمين أن الدولة المنتدبة إنما تعمل على إثارة الحقد والعداوة بين العرب اليهود بغرض تهيئة الظروف التي تساعدها على زيادة تثبيت سلطانها على فلسطين(١) .

ومما يؤيد هذا الرأي ما عمد إليه بعض الضباط أو الموظفين البريطانيين من تصرفات غريبة عند مغادرتهم البلاد ، فقد عمد البعض منهم إلى زيادة نار الحقد بارتكابهم أعمال الاستثارة التي لا مبرر لها ، وقد ذكرت حالات بعض الضباط الإنجليز الذين كانوا يحاربون في الصباح في صفوف العرب ويحاربون في المساء في صفوف اليهود ضد العرب(٢) .

على أن هناك رأياً آخر (٣) يرى أن الإنجليز قد تخلوا عن مهمتهم في فلسطين بسبب ما صادفوه من أعباء وما قاسوه من مرارة فاستسلموا فجأة إلى اليأس ودفعهم إلى ذلك كثرة ما بذلوه من جهد في سبيل الوصول إلى حل لمشكلة فلسطين ، فلقد كلفوا بوكالة تضاربت أحكامها وتناقضت شروطها وحاولوا عبثاً عرض مختلف صور التوفيق التي تخطر على البال لهذا الفريق وللفريق الآخر تارة أخرى وكانوا في كل يوم يتعرضون للهجمات من قبل اليهود وللإهانات الجارحة من قبل العرب ، ثم جاء دور الأمريكيين فأشبعوهم نصائح وأثقلوهم باللوم والانتقاد ثم تركوهم بغير سند ، وفي الأمم المتحدة أعلن الاتحاد السوفييتي أن الفشل الذي مني به الإنجليز في فلسطين قد زال عنهم كل صلاحية للاستمرار في تلك المهمة ، ثم جاءت لجنة التحكيم تشير عليهم بسرعة الانسحاب ، كل ذلك بغير

---

(١) أكرم زعيتر ، القضية الفلسطينية ، القاهرة ١٩٥٥ ص ص ١٩٥ - ١٩٧ .
الدكتور / أحمد سويلم العمري ، الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين القاهرة ١٩٥٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٦
محمد عزه دروزه - حول الحركة العربية الحديثة ح٣ القاهرة ١٩٥١ ص ص١٠-١٢
(٢) عبد الله التل ، كارثة فلسطين، مذكرات - القاهرة ١٩٥٩
(3) Aleum, Op. cit., pP 260_261

شك يدعم هذا الرأى (١) الذى ذهب إلى حد أن استسلام الحكومة البريطانية جاء نتيجة لأسباب اليأس وخيبة الآمال مما جعلها تستجيب إلى مطالب الرأى العام فى بلادها وقد راح منذ زمن طويل يلح فى طلب إنهاء المغامرة الفلسطينية حتى أنه اتخذ لنفسه شعارا يردده هو « أعيدوا الينـــا أبنائنا »

Brings the boys home

وأخيرا يتعين أن نضيف إلى تلك الأسباب سببا آخر يرجع إلى اعتقاد رسخ فى ذهن الحكوة البريطانية ، هو أن قرار مجلس الأمن قد أخل — فى صالح اليهود — بالتوازن الذى طالما أجهدت الدولة المنتدبة نفسها فى الاحتفاظ به بين كل من العرب واليهود ، ولم يكن من شأن اندلاع أعمال الإرهاب المجنونة التى يرتكبها الصهيونيون والتى أوشكت أن تنتشر داخل انجلترا نفسها محدثة فيها مظاهرة المعاداة للسامية ، لم يكن من شأن ذلك أن عهد السبيل أمام ممثلى انجلترا فى فلسطين لإعادة النظر فيما وقر فى أذهانهم حيال قضية الصهيونية ليصبحوا اكثر ميلا نحوها ، فلقد اقترن هذا الخصام العاطفى بين الانجليز والصهيونية بخصام سياسى ، وانصرف الصهيونيون محولين وجوههم ناحية الدولة التى بدت وكأن مصيرها يقودها إلى سيادة العالم كله ، فعهدوا إلى أمريكا بآمالهم ورجائهم وقرروا أن لايشركوا غيرها من الدول بعد الآن فى أقدارهم ، ومصائرهم ، فكانت جميع التنظيمات الصهيونية قد رتبت فى ذلك الوقت هيئات لتمثلها فى الولايات المتحدة ، ولم يقتصر فى ذلك على المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية وإنما شمل أيضا مختلف الاحزاب الصهيونية والهستدروت وعصابتى الآرجون وأشترن وكانت الأموال التى تجمع فى الولايات المتحدة من أجل تصعيد أعمال الإرهاب تعفى من الضرائب باعتبارها إعانات مدفوعة لأعمال البر (٢) وشرح بن جوريون هذا الاتجاه الجديد الذى ظهر فى السياسة الصهيونية شرحا وافيا حيث قال : (٣)

---

(1) ibid p 261–262.

(2) ibid p 254.

(3) Ben–Gurion, David, Israel, Years of challenge Op., cit., p 23.

فيما يتعلق بى لم يكن قد بقى لدىَّ شك فى أن مركز الثقل لنشاطنا السياسى كان قد انتقل من بريطانيا إلى أمريكا التى ضمنت لنفسها المكان الأول فى العالم » .

كذلك ينبغى أن نشير ونحن بصدد تقييم دور الدول الكبرى عموما وبريطانيا على وجه الخصوص فى هذه الفترة أن بريطانيا (١) هى التى انصرفت إلى رعاية الخطوات الأولى التى راحت تخطوها الدول العربية وعنيت بمشروعها الخاص بسوريا الكبرى وربما كان ذلك يعنى أن مصالحها أصبحت لاتدفع بها فى اتجاه الجانب اليهودى وإنما فى اتجاه الجانب العربى ، ومن المعلوم أن المصالح وحدها هى التى تخطط اتجاهات الضمير فى عالم السياسة .

وربما يكون تقييمنا هذا أقرب إلى الصواب بدليل ما أشار إليه ممثل بريطانيا فى الأمم المتحدة حينما قام ليشرح الأسباب التى حملت بلاده على الانسحاب من فلسطين قال :

« أننا نرفض مسئولية فرض العمل الذى لايرضى به الطرفان والذى لايرضى عنه ضميرنا »

كذلك فإننا نجد أن حكم الصهيونيين فيما بعد جاء قاسياً على ما قامت به دولة الانتداب فى فلسطين ، واستغل الصهيونيون حادث السفينة اكسودس (Exodus) فى يوليو ١٩٤٧ والتى كان الصهيونيون قد جمعوا على ظهرها أربعة آلاف وخمسمائة من المهاجرين بغرض لفت نظر اللجنة المكلفة من قبل الأمم المتحدة بإجراء التحقيق فى فلسطين عن طريق إحدى العمليات التى لم يسبق لها مثيل من حيث الخطورة والجسامة ، وهو الحادث الذى استغلته الصهيونية ضد بريطانيا من حيث أن دولة الانتـــداب قد اعترضت فى السنوات الأخيره من مهمتها سبيل التطور أمام الوطن القومى اليهودى ومنعت

(١) جالينا تبكيتيبا ، دولة إسرائيل ، خصائص التطور السياسى والاقتصادى دار الهلال ، القاهرة ، بدون تاريخ إصدار ص ص ٣٢-٣٨ .

دائماً الهجرة الخفية ولم تتردد فى إعادة الناجين من سفينة أكسودس الغارقة إلى ألمانيا بعد أن أصبحوا ذات صباح وهم على مرمى النظر من فلسطين .

إلا أننا فى النهاية ندين بريطانيا بدون تردد ، فهى التى أشرفت على مولد الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، وهى التى سهرت على بعثه وهى التى أحاطت براعمه الأولى بعنايتها ورعايتها الواعية التى انعكست على تعيين سبعة مندوبين ساميين (١) تعاقبوا منذ أبريل ١٩٢٠ حتى مايو ١٩٤٨ على حكم فلسطين حكماً مباشراً وساندوا فى إقامة الدولة اليهودية من حيث الإدارة والتنظيم بدليل زيادة عدد المهاجرين من اليهود فى عهد الانتداب فارتفع من ٨٠,٠٠٠ إلى ٦٤٠,٠٠٠ نسمة ، وعندما تملصت بريطانيا من مسئوليتها فى فلسطين كان هذا الوطن القومى ذا مدن خاصة به ، يمتلك أراضيه ، ويمتلك صناعته ، وله جيشه الخاص .

ولم يعرف تاريخ الانتداب حالة واحدة أخرى — عدا حالة فلسطين ، تنكرت فيها دولة الانتداب للمدنية كما فعلت بريطانيا فى فلسطين ، ففى مواجهة عرب فلسطين الذين لم يلحقوا قط الأذى لا بأرواح البريطانيين ولا بأموالهم ، لم تتردد الدولة المنتدبة فى استخدام العمليات العسكرية التى أسفرت عن ألوف القتلى منهم ، أما فى مواجهة اليهود الذين نسفوا مبانيها وقتلوا جنودها (٢) وشرطييها بالمئات والذين ضربوا ضباطها بالسياط والذين

---

(١) وهؤلاء المندوبون هم ، هربرت ، صمويل ، والفيلد مارشال لورد بلومر والسير جون تشنسلر واللفتانت جنرال آرثر واكهوب والسير هارولد مكمايكل ، والفيلد مارشال فيكونت جوزت والجنرال سير آلان كننجهام . ويرى الدكتور اسحق الحسينى — أحد الخبراء الفلسطينيين المعاصرين للمشكلة الفلسطينية — أن هربرت صمويل كان أبرز هؤلاء المندوبين بل إنه أتم ما بدأ هرتزل ووايزمان — انظر فى تفصيل ذلك : الدكتور اسحق موسى الحسينى ، مذكرات فى المشكلة الفلسطينية ، مرجع سابق ص ص ٣٠—٣٩.

(٢) منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى تاريخ ٢٠ من أكتوبر عام ١٩٤٧ فقد الجيش البريطانى ١٢٧ قتيلا ، ٣٣١ جريحاً بسبب أعمال الارهاب التى قام بها اليهود أنظر فى تفصيل ذلك : KirK, Gbeorge, Thd Middle East 1945–1650 Op., cit pp 250–252.,

شنقوا الرهائن من رجالها ، فقد اكتفت سلطة الانتداب بإصدار بعض أحكام الإعدام التى لم ينفذ منها غير سبعة فقط .

والأمر الذى يثير مزيداً من العجب هو ما أشار إليه السير آلان كننجهام آخر مندوب سامى بريطانى – فى اللحظة التى غادر فيها فلسطين وكانت حراستها مسندة إليه قوله : (١)»

« لقد كان من اليسير القضاء على الإرهاب اليهودى فى فلسطين فى بضع ساعات لو أن قواتنا تلقت التصريح باستخدام طاقة أسلحتها ضد الجالية اليهودية فى مجموعها ، ولكن إجراء كهـذا لم يخطر قط على بال حكومة صاحبة الجلالة ، كما أن جيشنا لم يرغب قط فيه ولم يرض به أبداً . وما من قوات أخرى فى العالم تستطيع أن تحتفظ بمثل هذا التحكم فى حسابها وبمثل هذا الاعتدال والتسامح أمام تلك التحديات المستمرة » .

الموقف السوفيتى :

تعتبر الصورة السوفيتية تجاه المشكلة الفلسطينية سواء فى الفترة من دخول الاتحاد السوفيتى الحرب العالمية الثانية أو فى الفترة التى تلت الحرب – تعتبر مسألة بالغة التعقيد إن لم تكن من أعقد الأمور – بصدد هذا البحث – فليس ثمة دراسة جادة تعرضت لهذه النقطة إلا وأحجمت عن تقديم تقييم علمى عن الصورة السوفيتية تجاه المشكلة الفلسطينية فضلا عن تضارب هذه الصورة كما يتضح مما يلى :

أولا : قبل الحرب العالمية الثانية :

أوضح ستالين فى دراسته المشهورة(٢) التى ظهرت عام ١٩١٣ حول الماركسية والمسألة القومية حيث أوضح ستالين أن اليهود لا يؤلفون أمة

(1) Aleum, OP. cit., pp 268–269.

(2) Stalin, Joseph, Marxism and the National and Colonial Question «Moscow, Co-operative Publishing society, 1935, pp 4-10.

وكذلك هاجم ستالين الحركة الصهيونية واتهمها بالشوفينية ، إلا أنه من ناحية أخرى اتخذت العقيدة الشيوعية موقفاً فكرياً معيناً من المسألة اليهودية الناجمة عن التمييز العنصرى والدينى واضطهاد اليهود فى أوربا — والذى له تاريخ حافل طويل — وهو ما لا يتعلق بموضوع هذا البحث — ففى البداية صدر عام ١٩١٨ بيان عن مجلس مفوض الشعب ونشر فى الأزفستيا بتاريخ ٢٧ يوليو عام ١٩١٨ بضرورة اتخاذ الإجراءات التى من شأنها أن تقضى بصورة فعالة عن الحركة اللاسامية فى جذورها وملاحقة من يقومون بالمذابح ضد اليهود ويثيرون الناس للقيام بها(١) .

إلا أنه حدث فى يونيو عام ١٩١٩ أن اتخذ الحزب الشيوعى السوفيتى قرارا نص فيه على وقف نشاطات الحزب الصهيونى فى الاتحاد السوفيتى لقيامه بدور مضاد للثورة الشيوعية وحل النوادى والمنظمات الصهيونية فى الاتحاد السوفيتى واعتقال الكثيرين من زعماء الحركة الصهيونية فى بتراوجراد وكييف وموسكو ، وتغالى المصادر الصهيونية(٢) فى عدد المعتقلين من هؤلاء الزعماء .

وفى عام ١٩٢٧ وصل مبعوثان صهيونيان من فلسطين سراً إلى الاتحاد السوفيتى بهدف الاتصال بالعناصر الصهيونية وتنظيمها ولكنهما اعتقلا (٣).

---

(1) Schwarz, Solomon, The Jews in the Soviet Union Syracuse University Press 1951, pp 247–257. Goldberg B. Z., The Jewish problom in the Soviet Union, New York. Crown Publishers, 1961 pp 357–358.

(2) West, Bengamin : Struggles of a Generatiou. Tel Aviv, Masadah publishing. Co. 1959– pp 50–5.

(3) Teller, Judd, The Kremlin, the jews and the Middle East New York, Thomas Yaseloff, 1957 p 15.

ثانيا : موقف الرأى العام اليهودى السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية :

فى يونيو/ ١٩٣٧ أعدم ستالين (١) بعض الزعماء اليهود العسكريين فى الإتحاد السوفييتى ومنهم توخاتشفسكى ويا كير وفيلامان وايدمان وحجارتك ويونتا اللتوانى والبولندى بوبورفتش وبريماكوف الروسى ، ولم يبق على قيد الحياة سوى جريجورى شيسهى من بين الزعماء العسكريين اليهود ، وعند عودته من أسبانيا عين رئيساً لمستشارى الجيش الجمهورى عام١٩٣٧ ثم فى أقصى الشرق عين كرئيس أركان للماريشال فاسيلى بلوخر وعندما قرر اليابانيون عام ١٩٣٨ اختبار مدى تصميم الكرملين على مقاومة العدوان على بلدهم واحتلال المرتفعات الهامة على الجانب السوفييتى من بحيرة قازان فوض بلوخر شترن فى قيادة قوات الجيش الأحمر لمواجهة العدو حيث أنه كان مدركاً تماماً لأهمية هذه العملية ، كذلك أرسل ستالين لازار فليس نائب قوميسار الدفاع اليهودى ليعمل مشرفاً على اشترن ، وفى أغسطس ١٩٣٨ أخرج اشترن اليابانين ومنح وسام اللواء الأحمر ورقى إلى رتبة قائد جيش حديث .

ومن ناحية أخرى فقد ظهر الحلف السوفييتى — الألمانى فى لحظة حرجة للغاية من تاريخ اليهود السوفييت . ولا شك أن أغلبية الروس والأكرانيين والبيلورسيوين وافقوا على سياسة ستالين والتى تجعل من بلدهم خارج الحرب الأوروبية واعتبروا أن الحلف له ما يبرره تماماً إزاء السياسات التى تنتهجها كل من الحكومات البريطانية والفرنسية لأنه بصرف النظر عن ذكرياتهم الشخصية تجاه الحرب كانوا متأثرين كذلك بشعور دفين من أنه فى كل تلك الحروب التى مرت بالتاريخ الروسى كانت أداة نافعة ضمن تخطيط غربى أنانى ، وقد أدى الحلف الروسى — الألمانى إلى الإساءة إلى ضمائر الأقلية

(1) Kochan, Lionel, The Jews in Soviet Russia since 1917 London Oxford University press 1970 pp 270-271.

الماركسية المثالية ولكن لم يحدث نفس الشيء لأغلبية أعضاء الحزب والدولة ككل .

أما بخصوص مشاعر وردود الفعل عند اليهود السوفيت ، فلا زال هذا بعيداً عن متناول المؤرخ المعاصر لعدم وجود مصدر دقيق يروى ذلك، ولكن من الواضح أن كثيراً من اليهود كانوا مفتقدين للحلف ذاته وآثاره على الحياة السوفيتية ولم يسعهم إلا الإنزعاج عندما قرىء مثلا فى جريدة Bez Lozhnick الصادرة فى ٥ مايو ١٩٤٠ مقالة كتبها مراسل كان قد زار ألمانيا وقد ذكر هذا المراسل أن الهجوم النازى على الديانة اليهودية كان الإنجاز الأساسى للرايخ الثالث ، ومن ثم كان على السوفييت الملحدين مساعدة حلفائهم السياسيين الجدد فى حربهم على الأديان (١) .

وقد انقضت الشهور الإثنين والعشرين فى الساعات الأولى من الثانى والعشرين من يونيو ١٩٤١ ، وحسب تعبير التاريخ السوفييتى الرسمى الحرب « إن الشعب السوفييتى لا يستطيع أن ينسى فى الحال أو مستقبلا مأساة اليوم الأول فى الحرب ، وسوف لاينسونها لأنه فى فجر ذلك اليوم حدث عمل من أعمال الخيانة لم يسبق له مثيل ضد بلدنا المحب للسلام بالإضافة إلى نتائج الهجوم المفاجىء والتى كانت سيئة للغاية » (٢) وذلك نتيجة لغزو جيوش هتلر الأراضى السوفييتية وأصبح اليهود على حد ادعاء نفس المصدر هم الهدف الأساسى للوحشية النازية فقتل مئات الألوف وأثناء سنوات الحرب كان الذعر الألمانى مصحوبا بالاضطهاد السوفييتى المتواصل والشديد أحياناً للصهيونية والصهيونين .

وكانت النتائج طبقا للبيانات السوفييتية الرسمية فقدان ما يزيد على

---

(1) Goldberg B. Z. The Jewish problem in the Soviet Union op., cit, PP 309 – 306.

(2) Kochan, Lionel, iThe Jews in Soviet Russia since 1917 op. cit., PP 271 – 272,.

٢٠ مليون نسمة نتيجة للتطهير الذى قام به ستالين إلى جانب تقديراته السيئة وتحت تأثير الهزائم الرهيبة التى حدثت فى المراحل الأولى للحرب سمح ستالين لليهود السوفييت برفع صوتهم كشعب مرة ثانية ، وفى نفس الوقت فبواسطة السياسة المضادة للصهيونية فى الجبهة الداخلية بذلت الحكومة السوفييتية جهداً كبيراً لكى تدرج تعاطفا وتعزيزا ليهود العالم فى جهودهم للحرب بندائهم للتضامن اليهودى ، وفى ٢٤ من أغسطس عام ١٩٤١ سمع نداء اليهود فى العالم للمرة الأولى فى صوت راديو موسكو يخاطبهم على أنهم الأخوة اليهود .Brider Yiden–Brother Jews وفى هذه الإذاعة قال الشاعر بيرتس ماركش : « إن كل اليهود أصبحوا الآن شعبا واحداً وجيشاً واحدا وأن المحيط لن يعد يقسمهم »

All Jews were now one people and one army and no longer would the ocean devide them,

وفى نفس اليوم أعلن كل من سولومون مايككز وبيرتز ماركش ودافيد برجلسن ورجل الجيش الأحمر جيروم كوزننسوف والعالم بيترا كابيتزا وسيرجى أفشتين بفخر انتسابهم إلى الشعب اليهودى والذى اختاره النازى كهدف رئيسى لكراهيتهم وللمرة الأولى منذ عام ١٩١٨ عاد صوت جميع اليهود الروس إلى التردد والظهور تحت عنوان « مع كل إخواننا اليهود فى كل بقاع الأرض » .

وفى إبريل ١٩٤٢ جاء فى موسكو إعلان تكوين لجنة اليهودية المناوئة للفاشية وكان الهدف الرئيسى للجنة هو تكوين رأى عام فى صالح السوفييت برئاسة شلومون منجولوز الممثل وأنزى فيفر الكولونيل بالجيش الأحمر وأمير الشعراء الاشتراكى والذى مجد أشعار حركة « الرعب » (١) للمفتى

(1) Kochan, Lionel, the jews in Soviet Russia since 1917 op. cit p. 272

Istoriya valikoi Otechestvennoi Vainty Sovetokvovo 1945–1945 6 vols. Moscow 1961–1965

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحسينى ضد يهود فلسطين ، لكن الحقيقة ذاتها التى تكمن وراء نشأة اللجنة كانت فى حد ذاتها تأكيداً للتضامن الوطنى اليهودى ، وكان لقصيدة فيفر التى نظمها فى وقت الحرب بعنوان «أنا يهودى كان لها رنة النظم الصهيونى وتظهر بوضوح المكابيين كأبطال ورموز للتمرد الوطنى واليهودى .

وفى عام ١٩٤٢ ذهب كل من قيمولوز وفيفر تصحبهما «البركات(٢) الشخصية » لستالين إلى الولايات المتحدة وانجلترا للمطالبة الدامية « للدعم اليهودى الفعال لجمهور الحرب السوفييتية وكان مفهوما أنهم شغوفون بأن يؤكدوا التفاهم والعطف الصهيونى ، وفى لندن صرح فيمولوز أن الصهيونية كانت فكرة عظيمة رغم أنها لم تكن تصلح للتطبيق على حركة يهود الاتحاد السوفييتى بجذورها العميقة فى روسيا . وعند عودته إلى موسكو هو وفيفر فى ديسمبر ١٩٤٤ أرسلا تحياتهما بمناسبة عيد ميلاد وايزمان السبعين (١) وقد أظهر إيفان مايسكى إهتمامه بفلسطين والصهيونية وكان هو المبعوث السوفيتى السابق إلى لندن الذى زار فلسطين فى أكتوبر ١٩٤٣ وأرسل تقريراً ملتهباً glawing إلى موسكو .

وفى يناير ١٩٤٤ أعطى إذن لعرض منتجات زراعية فى موسكو من المستوطنين الزراعيين اليهود فى فلسطين ، وفى ابريل التالى كان الحزب الشيوعى الفلسطينى الذى لاحظ أثناء الثورات الدامية المناهضة لليهودية فى أعوام ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ لاحظ توجيهات الكرملين ومجد الطبيعة الثورية القومية لرجال المفتى ، وكان الحزب الشيوعى الفلسطينى قد تلقى تعليمات جديدة وأعلن استعداده للتعاون مع الهستدروت فى النضال من أجل تنفيذ الكتاب الأبيض البريطانى لعام ١٩٣٩ .

VOOSS·

(1) Ibid, p. 114.

(2) West, Benjamin, (ed) Struggle of a generation, the Jews under Soviet Bule, op., cit, PP 23 – 24.

وفى نوفمبر ١٩٤٤ كتب شاشانا ايفستين – سكرتير اللجنة اليهودية المناوئة للفاشية ، كتب فى فرع اللجنة المسدى اينيكايت أن « الشعب اليهودى له الحق فى الاستقلال السياسى فى فلسطين » وأنه (لا يمكن لأى شخص ذو حس مرهف ومحب للحرية أن يكون له أى اعتراض على استمرار اليهود هناك فى فلسطين أن يتطوروا فى الحرية ويطوروا وطنهم الذى أقاموه من خلال العمل الشاق على أساس الحكم الذاتى) .

وفى مؤتمر نقابات العمال العالمى فى لندن (فبراير ١٩٤٥) وافق الوفد السوفييتى على قرار ينص على أن (الشعب اليهودى يجب أن يمكن من مواصلة إعادة بناء فلسطين كوطن قومى) وقد لوحظ باغتباط أن صحيفة النجم الأحمر لموسكو – وهى عضو من الجيش الأحمر أصدرت مقالة صحفية تنتقد بدرجة عالية الجامعة العربية فى ١٣ يوليو ١٩٤٥ وبعد ذلك بيومين أذيعت محتوياتها من راديو موسكو باللغة العربية .

الحركة الصهيونية والمصالح السوفييتية فى العالم العربى فى الأربعينات :

يجب أن نسلم منذ البداية بأن الصورة السوفييتية عن الحركة الصهيونية قد تأثرت بالتقييم الأيديولوجى الماركسى المعادى لها . (١)

وتشير كل الشواهد إلى استمرار الصورة السلبية تجاه الحركة الصهيونية بعد بداية الثورة البلشفية وحتى الحرب العالمية الثانية على الأقل(٢)، حيث لم يكن تقييم الحركة الصهيونية بأنها « من أشد الحركات رجعية » سائدا فحسب ، بل ساد أيضا اتجاه ينظر إلى الانتفاضات العربية فى فلسطين فى ١٩٢٩ ، ١٩٣٦

(1) Laqueur, Walter, Communism and Nationalism in the Middle East, London, Routledg and Kegan pail, 1656.
وأنظر أيضاً Laqueur, Walter, The Struggle for the Middle East. The Soviet Union and the Middle East 1965 – 1968 London 1969.

(٢) راجع دراسة الدكتور أحمد يوسف أحمد حول سياسة إسرائيل الخارجية ١٩٤٨ – ١٩٥٦ – مرجع سابق .

على أنها حركات ثورية تقدمية بحكم أنها جزء من حركة التحرير الوطنى (١) ويدعم هذا التقييم التكامل العضوى بين الحركة الصهيونية وبريطانيا منذ صدور وعد بلفور ١٩١٧ ، والنص فى وثيقة الانتداب فى ١٩٢١ على تنفيذ بريطانيا لهذا الوعد باعتبارها الدولة المنتدبة ويلاحظ أن بعض آراء الأقلية التى تحدثت عن صهيونية تقدمية وثورية وبروليتارية فى مقابل أنظمة الحكم الرجعية فى الشرق العربى(١)وعن إعجاب بمنجزات الرواد الصهاينة الأوائل فى فلسطين والتى ترددت داخل الكومنترن صدرت عن مصادر غير سوفييتية وبصورة نادرة ومتقطعة وغير منسجمة مع الاتجاه السوفييتى العام وإن كان السماح بنشرها يعتبر دليلا ممكنا على عدم الاهتمام بالمشكلة الفلسطينية على مستوى سياسى رفيع .(٢)

وتعتبر الصورة السوفييتية عن الحركة الصهيونية فى الفترة من دخول الاتحاد السوفييتى الحرب العالمية الثانية وحتى إنشاء دولة إسرائيل مسألة معقدة وهناك من الآراء(٣)مايرى بتغير هذه الصورة نتيجة لعدة عوامل يمكن أن تلخص أساسا على مجموعتين :

المجموعة الأولى :

يمكن أن توصف بالعوامل الداخلية فى بنية الحركة الصهيونية ، وهى التى تشير إلى فكرة الصهيونية الاشتراكية ومؤداها أن المجتمع اليهودى الذى كانت الحركة الصهيونية تجلبه إلى فلسطين كان يحمل فى تنظيمه ملامح

(١) Pertez, Don. Isreal and the Palestine Arabes, washington : The Middle East Institute 1958, p. 130.

(٢) والتر لاكور : الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط ، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، أغسطس ١٩٥٩ صص ٥٢ - ٥٣ ، ١١٧ - ١٤٩ - ١٥٠

وأنظر أيضاً

Martin, don: Communist Tactics in Palestine in Foreign Affairs, Vol 26, July 1948 p. 217.

والتر لاكور : الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط ، مرجع سابق صص٥٣ ؛ ١٥٠ .

اشتراكية تتمثل أساسا فى الأسس الجماعية للإنتاج الزراعى اليهودى فى فلسطين ، ووجود جناح يسارى قوى داخل الحركة الصهيونية .

المجموعة الثانية :

يمكن أن توصف بالعوامل الخارجية وتعتمد على الدور الذى لعبته الصهيونية ضد النازية أولا ثم ضد بريطانيا فى فلسطين ثانيا والآفاق المحتملة لعلاقات الصهيونية مع الاتحاد السوفييتى فيما لو قامت دولة يهودية على أساس أن هذه العلاقات ستكون امتدادا لكل ماسبق من عوامل .

ومن المتوقع بداية أن يكون السوفييت هم أكثر الناس تطرفا فى الوصول إلى أحكام قاسية على فكرة الصهيونية الاشتراكية أو اليسار الصهيونى بحكم الدور الذى تقوم به الأيديولوجية الماركسية ذات الموقف المحدد من الصهيونية فى تشكيل الإدراك السوفييتى لها .

وإذا كان لاتسكى(١) قد تأسى بهذا الصدد من تأييد الدوائر السياسية فى الغرب (الرجعيات العسكرية كما وصفها) للأمانى الصهيونية (٢) فكيف نتصور أن يعرض الاتحاد السوفييتى نفســه لمثل هذا النقد بتصديقه لفكرة الصهيونية الإشتراكية(٣) ؟

أما مجموعة العوامل الخارجية وبعبارة أخرى اتجاهات الصهيونية على خريطة القوى الدولية ، فليس ثمة تصريح سوفييتى واحد يمكن أن يتيح لنا التقييم السوفييتى لدور الصهيونية فى مقاومة النازية(٤) .

ويذكر « لاكور » : (ولما التأم المؤتمر الصهيونى فى سويسرا عشية الحرب العالمية الثانية كانت تعليقات السوفييت عليه ودية ولأول مرة تقريباً ،

---

(١) لاتسكى هو أحد الخبراء السوفييت البارزين فى شئون الشرق الأوسط وهو يهودى غادر أوكرانيا إلى فلسطين فى مطلع العقد الثالث ، ولكنه عاد إلى موسكو بعد سنوات والتحق لوقت بوزارة الخارجية ثم طرد منها فى عام ١٩٤٩ .

(٢) والتر لاكور : الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط – مرجع سابق ص ١٧٣ .

(٣) راجع دراسة الدكتور أحمد يوسف أحمد – مرجع سابق .

(٤) نفس المرجع .

وامتدح اليهود لمحاولتهم إقامة جبهة متحدة ضد هتلر من أجل الدفاع عن الديموقراطية بشتى الطرق والعمل على هزيمة الفاشية العسكرية ولكن هذا الموقف الودى ما لبث أن تغير بعد أن عقد الاتحاد السوفييتى معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا ، ثم عاد فتغير مرة أخرى بعد الهجوم الألمانى عليه ، وثمة افتراض مبرر لدى لاكور بأن الاتحاد السوفييتى لم يكن مهتما فى ذلك الوقت بالحركة الصهيونية إلى الحد الذى يجعلنا نتوقع منه أن يعيد بين فترة وأخرى تقييمه الحركة الصهيونية (١).

ويلاحظ من ناحيــة أخرى أن بعض المصادر السوفييتية الحديثة (٢) تتحدث عن تعاون صهيونى نازى فى فترة الحرب الثانية ، غير أنه ليس ثمة إشارة واحدة إلى أن هذه المسألة كانت معلومة فى حينها للسوفييت ومن ثم لا يمكن اعتبارها مؤثرة على الصورة السوفييتية عن الحركة الصهيونية فى ذلك الوقت.

وهناك من الشواهد ما يشير إلى أن السوفييت كانوا يضعون التناقضات الصهيونية البريطانية فى فلسطين فى إطار التناقضات الثانويةالتى لاتلغى عمالة الحركة الصهيونية للإمبرياليةالبريطانية ، وتشير إحدى وثائقوزارةالخارجية البريطانية إلى أن الصهيونية كان ينظر إليها فى الاتحاد السوفييتى حتى عام ١٩٤٤ كأداة للامبرياليه البريطانية ، كما يحدثنا لاكور عن نشرة سوفييتية صدرت عام ١٩٤٦ يقول : إنها النشرة الوحيدة فى هذا الموضوع فى فترة ما بعد الحرب ، فقــد جاء فيها : « أن ما تريده الصهيونية حقاً ليس الاستقلال وإنما ديمومة الانتداب الأجنبى » (٣) .

---

(١) المرجع السابق صص ٥١-٦١ .

(٢) بولشاكوف ، ف. معاداة الشيوعية مهنة الصهاينة - موسكو : مطبوعات وكالة أنباء نوفوستى للنشرة ١٩٧٢ صص ٢٣-٤٤ .

ايفانوف ، يورى : احذروا الصهيونية ، ترجمة أحمد داود ، دمشق منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى ١٩٦٩ - سلسلة من أدب المعركة - ٧-صص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) والتر لاكور : الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ١٧٣.

وهكذا كانت استمرارية الصورة السوفييتية عن الحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية بافتراض أنها حركة رجعيـــة فى الداخل مرتبطة بالإمبريالية الغربية فى الخارج وهذا الافتراض وإن اتسق مع التقييم الإيدلوجى السوفييتى للصهيونية إلا أن الشواهد العملية على صحتها قليلة وغير قاطعة ، كما أنها — وهذا هو الأهم — تقف بنا عند عام ١٩٤٦ ولا تستطيع تقديم أى — تحديد للصورة السوفييتية عن الحركة الصهيونية فى السنتين الحاسمتين ١٩٤٧ — ١٩٤٨ (١)

الاتصالات بين الاتحاد السوفيتى والحركة الصهيونية أثناء الحرب وأثرها على مشكلة فلسطين :

حدثت اتصالات متبادلة بين الاتحاد السوفييتى والحركة الصهيونية فى تلك الفترة ؛ فقـــد استقبل السفراء والممثلون الدبلوماسيون السوفييت فى منتصف عام ١٩٤١ فى واشنطن ولندن وأنقرة وطهران قادة صهاينة حاولوا كسب التأييد السوفييتى للأهداف اليهودية فى فلسطين حوالى ذلك الوقت وحتى أوائل ١٩٤٢ . وفى صيف ١٩٤٢ أرسل دبلوماسيان سوفييتيان من أنقرة إلى فسلطين لزيارة المجتمع اليهودى هناك بمناسبة تأسيس عصبة الصداقة مع الاتحاد السوفييتى ، وفى الجزء الأخير من ١٩٤٣ بدأ السوفييت يبادرون بهذه الاتصالات ، فقد قام إيفان مايسكى — السفير السوفييتى فى لندن بزيارة فلسطين وتم اختياره نائباً مفوضاً للشئون الخارجية السوفييتية وقد تمت الزيارة فى الفترة من ٢ — ٤ أكتوبر ١٩٤٣ وكانت أول زيارة يقوم بها مسئول سوفييتى لفلسطين (٢) .

ويقال أن مايسكى أصر على زيارة الصناعات اليهودية ، تفقد عدداً المستعمرات اليهودية والمستوطنات الجماعية وعاد إلى موسكو متأثراً بإنجازات الصهاينة وإمكانياتهم وقدم بذلك تقريراً شاملا.

---

(١) دكتور أحمد يوسف أحمد — مرجع سابق .

(2) Yacov. Ro'. Soviet Israeli Relations 1947-1954. in: M. Confino: S. Shamir(eds), The USSR and the Middle East, Jerusalem Israeal Uuiversities prens 1673. p. 123.

كذلك يقال أن دبلوماسيـــاً سوفييتياً كبيراً قد أدلى فى نفس السنة بالملاحظات التالية، :(١) « فيما مضى فى العشرينات لم يكن بمقدورنا سوى أن نعتبر الصهيونية عملية للامبريالية الغربية ، وكان لزاماً أن نعاملكم تبعاً لذلك ، وعلى أية حال فقد تغير الموقف برمته الآن : إذ لايبدو أن بريطانيا والصهيونية فى خلاف دائم فحسب ، بل إن نظرتنا أيضاً قد مرت بتطور شديد ولو كان لروسيا السوفييتية أن تهتم بمستقبل الشرق الأوسط فمن الواضح أن اليهود المتقدمين والتقدميين فى فلسطين يمثلون تشجيعاً لنا أكبر بكثير من العرب المتخلفين الذين تحكمهم عصابات إقطاعيه من الملوك والأفندية .

وقد حرص الصهاينة « اليساريون » وغير اليساريين فى الواقع — فى إتصالاتهم مع الاتحاد السوفيتى أن يقدموا مجموعة من الوعود والتنبوءات الشخصية فيما يتعلق بالاتجاه السياسى للدولة لليهودية المستقبلة ، ومؤدى هذه الوعود والتنبوءات أن عدداً من اليساريين قد يصل إلى المواقع البارزة فى الحكومة المستقبلة لهذه الدولة(٢) .

وفى منتصف ١٩٤٧ صرح موشى سنه — وهو بولندى الأصل(٣)وشخصية

---

(1) Karammer, Soviet Motives in Partition of palestine, Journal of palestine Studies, Vol. II. no. 2, (Winter 1973) p. 206.

(٢) دكتور أحمد يوسف أحمد نقلا من المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٩٤ .

(٣) ترك موشى سنه بولندا بعد الغزو الألمانى فى ١٩٣٩ إلى فلسطين بعد أن تطوع لفترة معينة فى الجيش البولندى وبعد ثلاثة شهور من وصوله إلى فلسطين احتير قائداً للهاجاناه واحتفظ بهذه الوظيفة ست سنوات وفى عام ١٩٤٦ أصبح مديراً للوكالة اليهودية فى باريس وعمله الأساسى تمثيل الوكالة اليهودية فى أوروبا سعياً وراء تأييد تقسيم فلسطين وقدر فى ذلك الوقت أنه الشخصية الثالثة من حيث الأهلية فى الحركة الصهيونية ، وانظر :

Ebon Martin : Comunist Tacties in Palestine , in : Foreign Affairs, Vol. 26., July 1948 p. 266.

صهيونية قيادية منذ شبابه(١) بعد أن زار بولندا فى ظل النظام الشيوعى بأن « الدولة اليهودية الصغيرة تستطيع أن تحقق بالتوجيه نحو الاتحاد السوفيتى أكثر مما تحققه بالارتباط بلندن » .

وأحد الشخصيات الهامة أيضا فى هذه الاتصالات هو موردخاى أورين ممثل حركة هاشومير هاتزير اليسارية الذى قضى معظم حياته منذ هجرته إلى فلسطين يطوف العالم لحشد التأييد للحركة الصهيونية حيث يقول : « كان نشاطى منذ عام ١٩٤٥ ذا طبيعة رائدة فى المجالين السياسى والدبلوماسى وإن يكن بصفة غير رسمية ، بل وحتى فى مجال الدعاية الجماهيرية فى الصحافة والإذاعة ، وقد قمت بعملى بالنيابة عن هاشومير هاتزير . . . وقد يكون السبب فى أن عملى كان أكثر فعالية من الرسميين هو أننى كنت أتحدث باللغة الايديولوجية والسياسية لتلك النظم »(٢) . . . يقصد نظم أوروبا الشرقية .

ولم يكن موشيه سنه وموردخاى أورين هما الوحيدان بهذا الصدد فهناك مثلا وفد آخر أرسل للتأثير على الوفد السوفييتى فى الأمم المتحدة فى بداية عام ١٩٤٧ وقد ذكر ناتان بلدرئيس هذا الوفد فيما بعد أنه افتعل صداقة مع أعضاء الوفد السوفييتى مما مكنة من عقد اجتماعات معه ومع زملاء له

---

(1) Karamer, Soviet Motives in Partition of Palestine op., cit, PP 104 – 105.

وذلك فى رسالة بعث بها أورين فى ٧ مارس ١٩٦٩ الموضحة بالمتن ، ومن المثير أن موردخاى أورين قد أتهم فى محاكمات براج الشهيرة فى عام ١٩٥٢ بأنه جاسوس أنجلو أمريكى ونال حكماً بالسجن لمدة ١٥ سنة وأفرج عنه فيما بعد عام ١٩٥٦ .

(2) Laqueur, Walter, Communism and Nationalism in the Middle East op. cit., P 115 .

كانوا يسألون فيها عن معلومات حول مسائل محدودة قليلة كالنموذج الاجتماعى للاشيطان اليهودى فى فلسطين والأحزاب والمشروعات الاقتصادية . . . . الخ ، لما كان بلد — كما ذكر — يعلم أن هذه المعلومات كانت تذهب إلى موسكو ، فمن المؤكد دائما أنه تحدث باللغة التى يفضلها السوفييت ، وكذلك عقد الممثلون الرسميون للوكالة اليهودية فى الأمم المتحدة — موشى(١) شرتوك والياهو ايشتين وافيد هوروتيز سلسلة محادثات مع بعض أعضاء هذا الوفد لنفس الغرض وحوالى نفس الوقت(٢) .

هناك من الشواهد أذن ما يشير إلى أن الاتحاذ السوفييتى قد تعرض من أكثر من طريق لمحاولات مثابرة للتأثير عليه من جانب مجموعة من الصهاينة الرسميين وغير الرسميين الذين لاشك أن عرضهم للدولة اليهودية المستقلة قد تم بحيث بدأ فى صورة مواتية للمصالح السوفييتية .

وعموماً فإنه لا يوجد رأى قاطع بأن [هذه المحاولات قد أثمرت فى تغيير الصورة السوفييتية عن الحركة الصهيونية ومن ثم عن دولة يهودية مستقبلة وذلك بالرغم من أن هذه النتيجه تختلف مع آراء فريق من المؤرخين العرب المعاصرين(٣) وأن كنا نتفق معهم فى تصورهم — أن هذه الاتصالات المكثفة قد أثرت على الإدراك — السوفييتى خصوصا تلك التى تتعلق بالصورة الصهيونية فى مواجهة الصورة العربية بحيث

---

(١) موشى شاريت — كان وزير خارجية إسرائيل ورئيس وزرائها فيما بعد

(2) Karammer, Soviet Motives in Partion of Palestine op. cit, 105 — 106 .

(٣) الدكتور / صلاح العقاد — قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ٥٠ حيث يقول « وهناك عامل ثالث يجب أن يؤخذ فى الاعتبار وهو أن الاتحاد السوفييتى لابد وأن يكون قد قارن بين المجتمع اليهودى الذى يؤسس المزارع الجماعية وبين الحكومات الرجعية العربية فى ذلك الحين التى يرتبط بعضها بمعاهدات تحالف مع بريطانيا ، ولاحظ أن المجتمع اليهودى يمكن أن يكون حقلا أسهل لنشاط للشيوعية فى بلدان الشرق العربى الأخرى .

تكون الأولى أفضل من الثانية وتكون الدولة اليهودية المستقبلة من ثم بديلا للوجود البريطانى فى فلسطين أفضل من دولة عربية ترث حكومتها العمالة لبريطانيا واضطهاد الشيوعيين .... الخ ؛ كذلك يمكن أن نتصور تأثر الإدراك السوفييتى بالفكرة الماركسية التقليدية عن الظروف الموضوعية للثورة ، فمن الممكن أن يكون المجتمع اليهودى المتقدم اقتصاديا وصناعيا عن المجتمع الفلسطينى قد نظر إليه باعتباره أكثر ملاءمة من الثانى لنمو حركة عمالية يسارية بالإضافة إلى أن المنطقة العربية كلها كانت منطقة زراعية متخلفة وكانت إسرائيل — فى حالة قيامها — تبشر بنهضة صناعية تؤدى إلى انتشار الشيوعية(١) .

كذلك يمكن القول أن تحليل موقف الاتحاد السوفييتى فى هذه الفترة لا يزال بعيداً عن متناول المؤرخ وذلك بالنظر إلى الغياب الكامل للرواية السوفييتية عنها ، فمن الطبيعى أن يميل الصهاينة إلى تضخيم أعمالهم والتأكيد على أدوارهم فيما يتعلق بتغيير نظرة السوفييت إلى الصهيونية(٢) .

ولحو ما يمكن القول ، فإن القادة السوفييت الذين هم على مستوى صنع القرار ليسوا بهذا القدر من السذاجة الذى يتضمن تغيير خبرة تاريخية ذات جذور ضاربة فى أعماق إيديولوجيتهم عن حركة كالحركة الصهيونية لمجرد أن موشى سنه قد أثار إلى إتجاه نحو الاتحاد السوفييتى

---

(١) ناجى علوش : الماركسية والمسألة اليهودية (١٨٤٤ - ١٩٦٨) بيروت دار الطليعة للطباعة فبراير ١٩٦٩ ص ٨٩ .

(٢) كما أنه مما ينافى التسبيب أن نستدل على نجاح هذه الاتصالات بقرار سياسى لحقها كقرار تأييد السوفييت لإنشاء دولة إسرائيل فى ١٩٤٨ فمثل هذا الاستدلال يفترض أن قراراً كهذا دالة فى متغير واحد فقط : only one Variable.

راجع فى تفصيل ذلك دكتور / أحمد يوسف أحمد — مرجع سابق .

وأن موردخاى أورين قد تحدث للنظم الشيوعية بلغتها الايديولوجية والسياسية أو أن ناتان بلد قد لقن أعضاء الوفد السوفييتى فى الأمم المتحدة دروسا عن الحركة الصهيونية فى فلسطين(١) بعد أن افتعل صداقة مع أحد أعضاء الوفد السوفييى أو أن إيفان ما يسكى قد تأثر بانجازات اليهود فى فلسطين عقب زيارته لمدة يومين فقط خلال أكتوبر عام ١٩٤٣ .

---

(١) نفس المرجع السابق .

التسلسل التاريخي لأهم أحداث مشكلة فلسطين

أمام الرأى العام العالمى

كما وردت فى الفصل الأول

التاريخ	الحدث
أغسطس ١٩٣٩	انعقاد المؤتمر الصهيونى الحادى والعشرين فى جنيف .
١٣ سبتمبر ١٩٤٠	موافقة الحكومة البريطانية على إنشاء القوة المقاتلة اليهودية .
مايو ١٩٤١	إيدن يعلن تعاطف بريطانيا من أجل تحقيق وحدة عربية .
٢١ نوفمبر ١٩٤١	الحاج أمين الحسينى — مفتى فلسطين يقابل أدولف هتلر .
٢٨ فبراير ١٩٤٢	ألمانيا وإيطاليا يعلنان تقديم كل مايستطيعانه من مساعدة للأقطار العربية فى مواجهة الصهيونية .
مايو ١٩٤٢	انعقاد مؤتمر بلتمور فى نيويورك وصدور قراراته .
١٩٤٣	نهاية الانتداب الفرنسى على لبنان .
مايو ١٩٤٣	الرئيس روزفلت يبعث برسالة للملك عبد العزيز آل سعود يطمئنه على الوضع السياسى فى فلسطين .
سبتمبر ١٩٤٣	الإرهاب الصهيونى يسود فلسطين .
١٩ سبتمبر ١٩٤٤	إعلان الحكومة البريطانية موافقتها على إنشاء لواء يهودى للاشتراك فى العمليات الحربية بجوار الحلفاء .

سبتمبر ١٩٤٤	الرئيس روزفلت يؤكد للصهيونيين عدم موافقة أمريكا على الكتاب الأبيض الصادر فى عام ١٩٣٩ وأن أمريكا تؤيد إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ؟
٧ أكتوبر ١٩٤٤	توقيع بروتوكول الاسكندرية بشأن جامعة الدول العربية وبه ملحق خاص عن فلسطين .
١٩٤٥	نهاية الانتداب على سوريا .
١٠ مارس ١٩٤٥	الملك عبد العزيز آل سعود يبعث للرئيس روزفلت ويعرض وجهة النظر العربية بخصوص فلسطين .
٢٢ مارس ١٩٤٥	توقيع ميثاق جامعة الدول العربية .
٦ أبريل ١٩٤٥	الرئيس روزفلت يرسل للملك عبد العزيز آل سعود بعدم تأييده لأى عمل معادى للعرب
٢٢ مايو ١٩٤٥	وايزمان يقدم مذكرة إلى رئيس وزراء بريطانيا لإصدار قرار سريع بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود .
يوليو ١٩٤٥	حزب العمال يتولى الحكم فى بريطانيا ؟
أغسطس ١٩٤٥	انعقاد أول مؤتمر صهيونى بعد الحرب فى لندن .
١٣ نوفمبر ١٩٤٥	إعلان بيفن .
٢٠ نوفمبر ١٩٤٥	الأحزاب الفلسطينية الستة تكون لجنة عربية وتنتخب الحاج أمين الحسينى رئيسا لها بعد توسط جميل مردم والجامعة العربية للتوفيق بين الشخصيات الفلسطينية المتطلعة للزعامة ؟

التاريخ	السنة	الحدث
نوفمبر	١٩٤٥	اتفاق بريطانيا والولايات المتحدة على أيفاد لجنة تحقيق مشتركة لدراسة مشكلة فلسطين .
٢ ديسمبر	١٩٤٥	الجامعة العربية تصدر قرارا بعدم إدخال المنتجات والمصنوعات اليهودية فى فلسطين
يناير — مايو	١٩٤٦	لجنة التحقيق المشتركة من الإنجليز والأمريكيين تزاول عملها وتصدر توصياتها العشر .
فبراير	١٩٤٦	الهاجاناه وأشترن والآرجون يشتركون فى عمليات أرهابية ضد المعسكرات البريطانية فى فلسطين .
يوليو	١٩٤٦	الآرجون تنسف فندق الملك داود بالقدس .
يوليو	١٩٤٦	الحكومة البريطانية تصدر تقريرا إعلاميا عن أعمال العنف الصهيونية .
سبتمبر	١٩٤٦	مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن (مؤتمر فلسطين فى لندن) المرحلة الأولى .
٤ أكتوبر	١٩٤٦	التصريح المشئوم للرئيس ترومان بفتح فلسطين فورا أمام الهجرة اليهودية وإنشاء الدولة اليهودية .
١٥ أكتوبر	١٩٤٦	الملك عبد العزيز آل سعود يرسل خطاب احتجاج إلى الرئيس ترومان على تصريحه المشئوم .
٢٨ أكتوبر	١٩٤٦	الرئيس ترومان يرد على الملك عبد العزيز آل سعود ويشجع الوطن القومى اليهودى فى فلسطين .

٢٩ ديسمبر	١٩٤٦	العصابات الصهيونية تصعد من أعمال العنف تجاه الضباط والجنود البريطانيين فى فلسطين .
يناير — فبراير	١٩٤٧	مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن (مؤتمر فلسطين فى لندن) المرحلة الثانية .
فبراير	١٩٤٧	إعلان الحكومة البريطانية قرارها بعرض مشكلة فلسطين على الأمم المتحدة .
أبريل — مايو	١٩٤٧	دورة خاصة فى الأمم المتحدة مخصصة لمشكلة فلسطين
٢٩ نوفمبر	١٩٤٧	الاقتراع فى الأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين
ديسمبر	١٩٤٧	بدء طرد العرب من فلسطين .
مارس	١٩٤٨	بدء الحرب بين العرب واليهود .
١٥ مايو	١٩٤٨	نهاية الانتداب البريطانى .

الفصل الثانى

مشكلة فلسطين أمام الأمم المتحدة

كانت بريطانيا قد سارت بمشكلة فلسطين خطوة بعد خطوة حتى وصلت بها إلى ما يسمى « عنق الزجاجة » حيث تطورت المشكلة الفلسينية إلى أن وصلت إلى تبلور الاتجاه اليهودى فى موقف مغاير تماما لموقف العرب ومتعارض معه سواء فى الاتجاه أو المصالح .

وهكذا جاء قرار بريطانيا فى عرض المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحده لتقرر وتفرض الحل الذى تراه وذلك فى مذكرة مرسلة إلى الأمين العام للأمم المتحدة من جانب بريطانيا بتاريخ ١٩٤٧/٤/١ تطلب عقد دورة خاصة لانتخاب لجنة تحقيق جديدة ، وفعلا عقدت الجمعية العامة دورتها غير العادية فى ١٩٤٧/٤/٢٨ ولم تتعمق فى مناقشة الموضوع ذاته إبان تلك الجلسة وإن ظهرت منذ البداية عطف الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى على فكرة التقسيم .

وبالرغم من أن مشكلة فلسطين بالذات كانت المشكلة المعروضة عليها للنظر، إلا أن المشكلة اليهودية فى أوروبا لا سيما والمذابح الهتلرية كانت مازالت قريبة

(١) دكتور/حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين ، رسالة دكتوراة مقدمة إلى جامعة الأزهر — القاهرة مايو ١٩٦٧ ص ٤١٢ .

العهلوكانت آثارها من الضخامة بحيث لم يكن من المستطاع إلا أن تفرض المشكلة اليهودية نفسها فرضا على عقول أعضاء المنظمة الدولية ، وكان من أثر الإرهاب الصهيونى فى فلسطين الذى أيد المبدأ الذى نادى به كل من بنسكر وهرتزل ومؤداه أن تشتت اليهود فى أرجاء المعمورة هو العامل المؤثر فى أرجاء المعمورة هو العامل المؤثر فى نشأة النزعة المعادية للسامية مع ما ترتب على ذلك لدى الرأى العام من إعادة جمع شمل اليهود من الشتات .

وهكذا وقع الضغط على أعضاء المنظمة الدولية أثناء نظر هذا الموضوع لإبداء رأيهم فيه ، فعينت الجمعية العامة لجنتها الأولى التى عهدت إليها بمهمة تحديد نطاق المشكلة ، وقامت تلك اللجنة بزيارة فلسطين واستمعت إلى ممثلى الوكالة اليهودية الذين طالبوا بالعودة فوراً إلى التصريح بالهجرة وأعربوا عن أملهم فى أن يصبح الشعب اليهودى بعد قليل ممثلا فى الأمم المتحدة ، كذلك استمعت اللجنه إلى ممثلى الهيئة العربية العليا الذين طالبوا بوضع حد للانتداب فوراً وإقامة حكومة ديمقراطية ذات سيادة فى فلسطين وبعد أن تمت هذه الاتصالات قررت اللجنة الأولى أن تقترح على الجمعية العامة إنشاء لجنة تحقيق خاصة توضع تحت تصرفها جميع الوسائل اللازمة وتكلف بتقديم المقترحات التى تراها صالحة لحل المشكلة الفلسطينية .

وقد وافقت الجمعية العامة على هذا العرض واقترعت يوم ١٥ من مايو على تكوين لجنة تحقيق خاصة تابعة للأمم المتحدة وعرفت بالحروف الأولى لا سيما باللغة الإنجليزية U. N, S. C. O. P.

United Nations Special Committe on palestine,

وشكلت اللجنة(١) من ١١ دولة ليست لها مصالح خاصة فى فلسطين وبعد استبعاد الدول الكبرى والدول العربية :— وقد حاز هذا الحل المحايد التفصيل على الحل الآخر الذى اقترحه الاتحاد السوفيتى

---

(١) كانت هذه الدول هى : استراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا والهند وإيران وهولندا وبيرو والسويد وأورجواى ويوجوسلافيا .

وكان يرى إلى إدخال أعضاء مجلس الأمن ضمن نطاق تلك اللجنة .

وكان هذا التصويت الأول من قبل الأمم المتحدة دليلا على ما اعتزمته الولايات المتحدة وأكدته بعد ذلك دائما من الرغبة فى أبعاد الاتحاد السوفيتى عن الهيئات التى تدعى إلى العمل فى الأرض الفلسطينية والتى قد تقوم بدور جوهرى فى تقرير مصير فلسطين .

حلول مشكلة فلسطين طبقاً لدراسة لجنة(١) U.N.S.C.O.P.

وجدت اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة والمكلفة بمشكلة فلسطين — نفسها أمام أنواع أربعة من الحلول عليها أن تختار الصالح من بينهما وهذه الحلول هى :

أما الاحتفاظ بفلسطين فى ظل الوصاية — وإقامة دولة موحدة فى فلسطين — وأما إقامة دولة اتحادية فيها — وأما تقسيم فلسطين .

وكانت أمام اللجنة حقيقتان.هما فى حكم المسلم بهما وأن توجها قرارها الوجهة المفيدة :

تقول الحقيقة الأولى أن مد أجل الانتداب البريطانى على فلسطين قد أصبح أمراً مستحيلا .

وتقول الحقيقة الثانية أن الأوضاع بين العرب واليهود قد أصبحت مجالا يمكن التوفيق بينهما ، وكان المقابل لهذه الحقيقة الثانية حقيقة أخرى مؤداها ضرورة النظر فى مشكلة فلسطين لا على أساس الاعتبارات القانونية ، ولكن على أساس الاعتباوات القومية .

---

(1) Report of the general Assemby: by the U.N.S.CO.p. (United Nations Special Committe on palestine. Official Records of the 3rd Seetiou 1947 – 1948 Supplment N. 11.

ولذلك اقتصر اختيار أعضاء اللجنة رغم ما يبدو من تعدد الحلول أمامهم الأخذ حل من حلين لا ثالث لهما :

الحل فى صالح العرب أو فى صالح اليهود ... ولكن المشكلة فى ذلك الوقت لم تكن واضحة بالقدر الذى عليه أمامنا الآن . وعلى ذلك يتعين علينا القيام بتحليل الحلول حسب أنواعها الأربعة التى سبقت الإشارة إليها إذ أنها تعكس اتجاهات الرأى العام العالمى آنئذ .

الحل الأول : مد أجل الانتداب البريطانى :

رفض العرب كما رفض اليهود على السواء هذا الحل ، وكان الاتحاد السوفيتى يحاربه محاربة عنيفة ، إذ انصرفت الدولة السوفيتية منذ بداية نظر الموضوع إلى التنديد بفشل هذا النظام فشلاً ذريعاً وإلى المطالبة بإقامة دولة موحدة فى البلاد وعند استحالة ذلك إلى تقسيمها .

ومن ناحية أخرى كان هذا الحل مستحيلا باعتراف الجميع حيث لم تكن بريطانيا نفسها على إستعداد لقبوله إلا إذا منحت الحرية الكاملة فى ممارسته وأطلقت يدها فى فلسطين — على حد بعض الآراء(١) ، وما أن وضح أن هـذا الشرط مرفوض حتى سارعت بريطانيا بإعلان قرارها بالانسحاب نهائيا من فلسطين .

الحل القائم على فكرة الوصاية الدولية :

ولم يكن من شأن الأخذ به غير رفض وضع حل للمشكلة ، هذا فضلا عن أن حلا هكذا كان يعنى أن تتحمل الأمم المتحدة أو أن يتحمل بعض أعضاء هذه المنظمة أثقال فلسطين ، ولم يكن من بين أعضاء المنظمة الدولية من يقبل فى الظروف التى كانت سائدة وقتئذ تحمل مثل هذه المسئولية منفرداً أو مشتركا مع غيره .

---

(1) Aleum, op. cit, pp 267–268.

الحل العربى :

قدمت الدول العربية مذكرة إلى اللجنة فى بيروت واشتمل الحل العربى على فكرة إقامة دولة وحيدة فى فلسطين ، يتمتع فيها كل من العرب واليهود بحقوق متساوية ، وكان هـذا الحل هو الوحيد الذى يتصف فعـلا بالديموقراطية ويتفق مع مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها بأنفسها ، خصوصا ، وأن هذا الحل جاء معبرا عن مطلب ٦٧ ٪(١) من عدد السكان فى فلسطين .

وقد أهمل الحل العربى فكرة الوطن القومى اليهودى الذى وعد به اليهود فى إعلان بلفور ومن قبل عصبة الأمم(٢) عندما أقامت الانتداب البريطانى على فلسطين ، وقد جاء ذكر المشكلة الخاصة بالأقلية اليهودية فى الفقرة التالية من المذكرة العربية(٣) ونصها : « لن يكون من نتائج الأخذ بهذا الحل - كما يزعم بعض الزعماء الصهيونيين - أن يحرم اليهود فى فلسطين

---

(١) بلغ عدد السكان العرب وقتئذ ١٫١٤٣٫٠٠٠ مسلم يضاف إليهم ١٤٥٫٠٠٠ مسيحى فتكون الجملة ١٫٢٢٧٫٠٠٠ نسمه ، وبلغ عدد السكان الإجمالى : ١٫٩١٢٫٠٠٠ منهم ١٫٢٨٨٫٠٠٠ : ١٫٩١٢٫٠٠٠ = ٦٨ ٪ انظر بالانجليزية : التقديرات الرسمية البريطانية فى يوم ٣١ من ديسمبر ١٩٤٦ ، ملحق البيانات المساحية الخاصة بفلسطين - ملاحظات مجمعة - إفادة لجنة الأمم المتحدة للتحقيق فى فلسطين ، القدس ، يونيو ١٩٤٧ ص ١٩ - ١١ .

(٢) الدكتور حسن صبرى الخولى مرجع سابق ص ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

(٣) أنظر : قرار الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٥ مايو سنة ١٩٤٧ باختيار لجنة تحقيق فى :

ملف وثائق فلسطين - مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية - وزارة الارشاد القومى ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة بدون تاريخ إصدار . ص ص ٨٩٥ - ٨٩٦ .

من التمتع بكامل حقوقهم بسبب بقائهم فى وضع الأقلية(١) . ذلك أن الأقليات اليهودية المقيمة فى البلاد العربية لم تتعرض قط للأذى ، بل هى على العكس من ذلك تعيش فى وئام تام مع الأغلبية ويتمتعون بنفس الحقوق التى تتمتع بها تلك الأغلبية ، فمنذ أقدم عصور التاريخ لم يعرف العرب قط التفريق بين المواطنين مهما كانت الأجناس ، ومهما كانت الديانات التى ينتمون اليها ؟ وقد احتفظ العرب دائما للجالية اليهودية بوجه خاص بمعاملة عادلة قائمة على مبادئ الانصاف والمساواة ، ولم يتعرض اليهود للاضطهاد فى البلاد العربية ، وإنما فتحت البلاد أبوابها أمام الذين فروا منهم من وجه أعمال القسوة والاضطهاد فى البلاد الأخرى ، وقد وصل البعض منهم فى رحاب نظام الحرية والمساواة الذى أتيح لهم إلى أرقى المناصب فى ميادين السياسة والإدارة والمال والعلوم » .

الحل الصهيونى :

جاء الحل الصهيونى متفقا مع الحل العربى من حيث النص على إقامة دولة موحدة ولكنها دولة يهودية وقد رأى أصحاب هذا الاقتراح ، ومنهم بوجه خاص بن جوريون(٢) ، من أجل القضاء على ما يوجد من تناقض فى فكرة إقامة دولة يهودية لا يمثل اليهود فيها غير ثلث السكان فقط ، أن يؤخذ بالأحكام الآتية :

---

(١) من الحقوق التى كفل بالقانون الدولى للأقليات انظر :

دكتور محمد حافظ غانم — الأصول الجديدة للقانون الدولى العام — القاهرة ، ١٩٥٤ ص ص ٢٩٦ — ٢٩٨ .

دكتور / محمد طلعت الغنيمى — قضية فلسطين أمام القانون الدولى ، الاسكندرية ١٩٦١ ص ص ٤٥ — ٤٦ .

Raul Guggen hcin : Fraite de Droit International Public Paris 1953 P 287 – 288 .

(2) Ben–Gurion, David : Israel, years of challenge N. Y, Holt Rienhart & Winston, 1963. PP 21 – 22

النص على تحديد فترة انتقال بقدر ما يلزم لإتمام تهجير مليون من اليهود إلى داخل فلسطين فتتوفر بذلك الأغلبية اليهودية ، وفى خلال تلك الفترة التى لم تكن لتزيد فى رأى بن جوريون على سنتين أو ثلاث سنوات ، يكون الاشراف على إدارة البلاد مسنداً للأمم المتحدة . وتمنح الوكالة اليهودية فى خلال تلك الفترة أيضا حق التمتع بالسلطة الكاملة فى مجال التنمية والتطوير .

ولم يكن من لليسير الدفاع عن هذا الحل فقد كان مرفوضا بالطبع ومعيبا تماما فضلا عن أنه يمنح الأمم المتحدة فى خلال الفترة — فترة انتقال — وصاية لاتريد هى نفسها أن تتحمل عبئها . وكان من عيوبه أيضا أنه يقوم على المقامرة بأن الهجرة سوف تكتفى لتحقيق الأغلبية اليهودية فى زمن معقول ! ومن عيوبه أخيرا أن من آثاره فى الحال اخضاع الأغلبية للأقلية وهو وضع معيب وشاذ حقا ، ويزيد من شذوذه كون الأغلبية العربية الحالية موعوده هى الأخرى بنظام أدنى مما وعدت به الأغلبية اليهودية الاحتمالية التى لم تتحقق بعد ، ومن العجيب أن الصهيونيين كانوا يؤكدون القول بتوافر المساواة بين جميع المواطنين فى الدولة المستقبلة ، ولكن المرء للتساءل كيف يمكن الملائمة بين هذه الوعود وبين الرغبة التى أكدها الصهيونيون دائما فى جعل فلسطين دولة يهودية — يهودية بقدر ما تعتبر انجلترا دولة انجليزية — دولة قائمة على مبادئ الدين اليهودى ولها اتجاهات يهودية صرفه ومرتبطة أساسا بالتشتت اليهودى فى العالم الخارجى .

وقد أحس بن جوريون وزملاؤه بضعف هذه النظرية التى ينادون بها لذلك نراهم يعلنون إلى جانب ذلك استعدادهم لمناقشة الحل الأدنى المتواضع الذى ينادى به وايزمان والذى يقوم على فكرة إقامة دولة يهودية « فى جزء ملائم من فلسطين » — وهو فى الواقع الحل القائم على التقسيم .

أما فكرة القومية المزدوجة التى كانت تعطى كلا من العرب واليهود حقوقا متساوية فهى فى حاجة إلى التعريف بها فى وضوح . فقد كان البون شاسعا فى الواقع بين القومية المزدوجة الضيقة التى ابتكرها الكتاب الأبيض

الصادر فى عام ١٩٣٩ والتى تستتبع تبلور الوطن القومى والقومية المزدوجة الايجابية التى نادى بها الدكتور / ماجنس ، او القومية المزدوجة التى قالت بها منظمة (١) ها شومير ها تزعيير .

وكان الغرض من القومية المزدوجة هو إحلال حل مستحدث وكانت الحلول التى إستخدمت حتى ذلك الوقت من أجل حماية الاقليات والتى كان نصيبها كلها تقريباً الفشل ، وقد ورد شرح المبدأ الذى تقوم عليه فكرة هذا النظام فى تقرير للدكتور ماجنس نشره تحت عنوان : وحدة العرب واليهود وقد جاء فيه قوله (٢) :

تتمتع الأمتان فى داخل الدولة ذات القومية المزدوجة بقدر متساو من الحرية والاستقلال ، وبقدر متساو فى الحكم ، وبقدر متساو فى التمثيل ، بحيث لا يكون أى شعب أقوى من الشعب الآخر ، وانما يتحتم على الشعبين أن يعملا معا فى إقامة بلد متعدد القوميات ، وهو أمر يختلف كل الاختلاف عن البلاد ذى القومية الواحدة . ولكى يتحقق لهذا النظام التوازن والانسجام يجب أن تكون الجاليتان على قدر متساو من الأهمية . وقد أعتمد كل من الدكتور ماجنس والهاشومير هاتزاعيير لتحقيق هذا الشرط على الهجرة اليهودية وإلى أن يتحقق هذا التساوى فى العدد ، بحيث تستطيع التنظيمات الفدرالية أن تعمل على الوجه المنشود ، نص فى الاقتراح على وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية فى أشكال متنوعة .

---

(١) كان عام ١٩٠٧ هو العام الذى استقرت فيه الصهيونية على أن العمل هو أساس الاستيطان وأن يكون النقاء اليهودى هو جوهر المجتمع وتجسيداً لهذة الأفكار خلقت نواة المؤسسة العسكرية الصهيونية فى فلسطين تحت اسم منظمه « هاشومير » أى الحارس وتمثل هذه المنظمة أداة التخويف والارهاب ووسيلة لخلق اليهودى العنيف واستمرت هذه المنظمة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وأعلن وعد بلفور ووقعت فلسطين فريسة يتقاسمها الانتداب البريطانى والوجود الصهيونى ، فلما قاومها العرب فى فلسطين كانت منظمة (الهاجاناه) العسكرية هى الرد الذى أعدته الصهيونية للتصدى لهذا التحدى .

(2) Aleum, op. clt, pp. 265-266.

وقد لاقى هذا الحل – الذى تقدمت به أقلية من اليهود – معارضة شديدة من الإغلبية اليهودية ومن إجماع الرأى العام العربى على السواء .

كذلك كان هناك الحل القائم على تقسيم فلسطين إلى أقاليم بمعنى تجزئتها ، وقد أخذ أنصار هذا الحل يستشهدون بما حدث فى سويسرا ، ولكن الكانتونات فى سويسرا قد تحالفت فيما بينها بمحض إرادتها المتبادلة وبدافع من المصالح المشتركة بينها أما فى فلسطين فهذا الوضع إنما هو نتاج قرار خارجى غريب على فلسطين والمنطقة العربية كلها .

أما الحل القائم على تقسيم فلسطين إلى دولتين ، فقد بدأ أمام الرأى العام الغربى وكأنه الحل الذى يوفر قدراً نسبياً من بساطة الشكل وثبات الصورة . ولكن كان من المستحيل آنئذ رسم خط فى فلسطين يفصل ما بين اليهود جميعهم والعرب جميعهم فكانت النتيجة المترتبة على الآخذ بهذا الحل هى إنشاء دولتين ، أو على الأقل إحداهما فى حالة من التنافر السكانى الخطير فضلا عن ذلك كان من الضرورى أن تكون الدولة اليهودية من الاتساع بحيث تتوافر لها أسباب الحياة ومن الصغر بحيث تكون يهودية كاملة ، أى أن تحتوى على الأقل على ٥٠٪ من اليهود (١) .

التحقيق الذى قامت به اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة :

إتجاهات أعضاء اللجنة :

عقدت لجنة التحقيق التى تكونت بموجب الاقتراع الذى أجرته الجمعية

---

(1) Ibid, p. 269.

– Davis, John, h., The Evasivé Peace, A study of zionist Arab Problem, London 1968. pp. 40–42.

– Colloque de juristes Arabes sur la Palestine, lc Question Palestinienne – Aleger 22–27 Juillet 1967 pp. 152–255.

نجيب صدقة – قضية فلسطين ، القاهرة ١٩٥٣ ص ص ٢١١ – ٢١٨

العامة للأمم المتحدة يوم ١٥ مايو ١٩٤٧ إجتماعاً لها فى مدينة ليك سكس فى يوم ٢ يونيو لانتخاب رئيس لها ، وقد برزت إلى الوجود منذ هذه المرحلة الأولى الاتجاهات المتباينة التى تفرق مابين أعضائها ، والمؤثرات القوية التى تحاول أن تفعل فعلها من خلال هؤلاء الأعضاء .

وبالرغم من وجود عضوين من ممثلى اللجنة من المسلمين وهما عبد الرحمن ونصر الله انتظام ممثلى الهند وإيران ، إلا أن الكثير من بين الدول التى شكلت منها اللجنة لم يكن لها مصالح تربطها بمصالح العرب وبالتالى فقد كان تشكيلها بهذا الوضع لايخدم مصالح العرب فى فلسطين ، فضلا عن عجز الدول العربية الاعضاء فى الأمم المتحدة فى إتخاذ موقف واضح ضد هذه اللجنة .

ولم يخف عضوان آخران من اللجنة مشاعرهما الصهيونية الواضحة وهما فابرجات ممثل أوروجواى ،وجارسيا جراندوس ممثل جواتيمالا ، وكان سبب إنحياز فابرجات الى الصهيونية هو النفوذ الضخم للجالية اليهودية فى بلادة فضلا عن كبر هذه الجالية ، أما موقف جارسيا جراندوس فيرجع إلى عضويته فى الوكالة اليهودية .

أما سند ستروم ممثل السويد فى هذه اللجنة — وهو عضو فى محكمة العدل الدولية — فقد ساندته كل من بريطانيا والولايات المتحدة على السواء مما إنعكس على إنتخابه رئيساً للجنة فى ١٩٤٧/٦/٢ وكان فى ذلك تحقيق لآمال زميلة جارسيا جرانادوس .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الاتحاد السوفيتى قد منع من الاشتراك فى اللجنة(١)

---

(١) تكونت اللجنة المذكورة من إيران وبيرو والسويد وأوروجواى وهولندا والهند وجواتيمالا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا واستراليا وكندا .

بناء* على رأى أغلبيتها وأن دول أوربا الشرقية كانت فى ذلك الحين أميل إلى الصهيونية علاوة على وجود كندا واستراليا وهولندا المنغمسة تحت تأثير الصهيونية العالمية – لتبين لنا أن كفة المتحيزين للصهاينة كانت أرجح .

التحقيق ورد الفعل العربى :

وفى أوائل يوليو انتقلت اللجنة إلى فلسطين لتبدأ فيها تحقيقها وأمضت بها أكثر من شهر ثم قابلت رؤساء الحكومات العربية وأمين الجامعة العربية .

وأعلنت الهيئة العربية العليا مقاطعتها للجنة ولم ترسل ممثلا لها ، فقد كان من البديهى أن يكون لدى عرب فلسطين مايكفيهم من الأسباب لنفاذ صبرهم بعد تعدد الهيئات واللجان التى ظلت منذ أحد عشر عاما تأتى إلى فلسطين تلقى عليهم نفس الأسئلة وتتلقى منهم نفس الأجوبة .

وقد قدم وزير الخارجية اللبنانية فى ٢٢ يوليو مذكرة جماعية باسم ممثلى الدول العربية واستنكرت المذكرة العودة إلى اجراء تحقيق بعد أن كانت المشكلة قد قتلت تحقيقا ودرسا وبحثا واستندت هذه المذكرة أساساً على مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها(١) .

أما شرق الأردن فقد رفضت إرسال من يمثلها أمام اللجنة بحجة امتناعها عن حضور مؤتمر تم تنظيمه بناء على طلب لجنة من قبل الأمم المتحدة التى ليست هى عضوا فيها ، ولكن الأمير (الملك فيما بعد) عبد الله دعا أعضاء اللجنة إلى عمان حيث كان يهدف إلى الاحتفاظ لنفسه بحرية العمل نظراً لاطماعه الخاصة فى فلسطين ولأن مشروعة الخاص بسوريا الكبرى كان قد أثار ضده معظم الدول العربية المجاورة له .

ولما توجه رئيس اللجنة ساند ستورم ومعه فريق من زملائه فيها إلى عمان استجابة لدعوة الملك عبد الله ، أبدى هذا أمامهم من الآراء ما يتفق مع آراء غيره من رجال السياسة العرب .

---

(١) انظر تفصيل هذه المذكرة فى : دكتور جلال يحى : العالم العربى الحديث ، مرجع سابق ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .

وكان ممثلوا الدول العربية الست يقسمون اليهود المقيمين فى فلسطين إلى طائفتين من ناحية جنسيتهم ، فمنهم من يتمتع بالجنسية الفلسطينية ومنهم من لم يحصلوا على تلك الجنسية بعد ، رغم وصولهم فلسطين بطريقة قانونية والآخرون دخلوا فلسطين بطريقة غير قانونية فالفريق الأول يعتبر أفراده مواطنين فى دولة فلسطين المستقلة والفريق الثانى سوف تبت الحكومة القادمة فى أمر أفرادة ، أما الفريق الثالث فيطرد من فلسطين .

وكان من رأى الملك أن جميع اليهود الموجودين فى فلسطين سواء منهم من دخل فلسطين بطريقة قانونية أو من دخل إليها بطريقة غير قانونية يعتبرون من مواطنى الدولة الجديدة(١) .

عموماً — وبالرغم من مواقف العرب هذه — فان هذا لا ينفى أن الموقف العربى آنئذ اتصف بالسلبية مما أضر بمشكلة فلسطين أيما ضرر .

التحقيق ورد الفعل الصهيونى :

عمدت الوكالة اليهودية إلى استغلال حادث السفينة أكسودس Exodus والتى جمع الصهيونيون على ظهرها أربعة آلاف وخمسمائة من المهاجرين بغرض لفت نظر لجنة التحقيق عن طريق إحدى العمليات التى لم يسبق لها مثيل من حيث الخطورة والجسامة ، وبالفعل منعت السلطات البريطانية السفينة من إنزال ركابها واستغلت الصهيونية هذا الحادث(٢) ونجحت فى بث الهياج لدى الرأى العام فى أوروبا من ناحية ، وانساقت فرنسا هى

---

(١) فيما يتعلق بمناقشات لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة والخاصة بفلسطين فى بيروت ، وفيما يتعلق بمقابلة رئيس تلك اللجنة مع الملك عبد الله — انظر :

Granados, Gracia : The Establishment of Israel, New York 1948 pp. 201–209.

(2) Ibid pp. 233–249.

حيث اعترف جراسياجرانادوس بذلك وقرر أن بعض أعضاء اللجنة قد تأثروا بهذه الحادثة

الأخرى فى تأييد الصهاينة لاعتقادها بأن قيام دولة يهودية فى فلسطين معناه إنهاء الانتداب البريطانى وبذلك تشفى رغبتها فى الانتقام من بريطانيا التى عملت على إخراج الفرنسيين منذ قليل من سوريا ولبنان .

كذلك عمدت الوكالة اليهودية إلى تجنيد أبرع خطبائها وأمهر خبرائها للدفاع عن وجهة نظرها ، فقد جاء شرتوك (شاريت فيما بعد) أمام لجنة التحقيق ليعرض فى خبث ودهاء — ما قام به اليهود من إنجازات فى فلسطين ، وجاء بن جورين يطالب بملكية فلسطين كلها لليهود ، وراح الحاخام فشمان يصور الروابط الروحية التى تربط ما بين الشعب والأراضى المقدسة ، وادعى هورويتز مستعينا بثلاثة وثلاثين رسما بيانيا أن الهجرة اليهودية قد أحدثت آثاراً اقتصادية أفاد منها العرب ، وانبرى وايزمان يدافع عن الحل التعاقدى القائم على التقسيم .

ودافع فريق آخر من اليهود برئاسة الدكتور ماجنس عن فكرة القومية المزدوجة أمام لجنة التحقيق ، وتلاشت بعض الأفكار المعارضة التى أوضحها الحزب الشيوعى اليهودى والتى تهاجم بريطانيا والوكالة اليهودية — مطالبا بتكوين دولة موحدة من اليهود والعرب — أمام قوة الصهيونية .

لجنة التحقيق الخاصة ونغمة اليهود المشردين

بالرغم من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٥ مايو ١٩٤٧ قد اقتصر على أن عمل لجنة التحقيق خاص بمشكلة فلسطين وحدها ، إلا أن اللجنة كانت أميل إلى الصهيونية بدليل أنها رأت توسيع نطاق مهمتها ليشمل أحوال اليهود المشردين فى أوروبا استناداً على فقرة واردة فى القرار السابق تنص على : « أن(١) للجنة أن تباشر تحقيقاتها فى فلسطين وفى جميع المناطق الأخرى التى ترى فائدة من التحقيق فيها » .

---

(١) انظر : قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٥ [؟] مايو عام ١٩٤٧ باختيار لجنة تحقيق فى : ملف وثائق فلسطين ، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية مرجع سابق ص ص ٨٩٥-٦ .

وقد راحت — سدى — معارضة العضوين المسلمين فى اللجنة أمام أصرار ونفوذ العضوين الصهيونيين جارسياجرانادوس وفابرجات اللذين نجحا فى اقناع بقية أعضاء اللجنة بالاستماع إلى مندوبى المنظمة الدولية للاجئين ، حيث قرر هؤلاء المندوبون إرسال لجنة فرعية إلى معسكرات اليهود المشردين فى أوروبا ، وكان عدد اليهود المقيمين فى معسكرات النازحين فى أوروبا عام ١٩٤٧ — ٤٦٣،٠٠٠ نسمة منهم ٢٠٠،٠٠٠ فى المانيا ، ٤٣٠٠٠ فى النمسا .

ويعترف أحد المؤرخين (١) الغربيين أنه من العسير معرفة أن هؤلاء اليهود كانوا راغبين فى الذهاب إلى فلسطين دون سواها ، فقد جاء فى شهادة الجنرال لوسيوس كلاى حاكم منطقة الاحتلال الامريكى فى ألمانيا أمام اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة والخاصة بفلسطين قوله : (٢) :

لست أدرى بطبيعة الحال كيف تصبح رغبة الذين يريدون الذهاب إلى فلسطين إذا ما فتحت بلاد أخرى أبوابها للهجرة .

ويذكر الفريد ليلنتال أنه فى منطقة الاحتلال الامريكى لالمانيا وحدها طلب ٥٥٠٠٠ يهودى فى عام ١٩٤٧ الهجرة إلى الولايات المتحدة (٣) .

وقد نشطت الوكالة اليهودية بدعاية واسعة داخل هذه المعسكرات من أجل حمل هؤلاء النازحين على الهجرة إلى فلسطين وكان الرافضون منهم يعرضون للتشهير بهم ويسامون العذاب ، كذلك عمد الصهيونيون فى الولايات المتحدة إلى غلق الابواب تماماً أمام هؤلاء المهاجرين مع إقناعهم بأن الولايات المتحدة لها قدرة عظمى على إمتصاص هؤلاء اللاجئين ، ونستدل على ذلك مما صرح به الدكتور لويس فنكلشتاين عالم اللاهوت اليهودى الامريكى فى عام ١٩٥١ حين قال :

---

(1) Aleum, op. cit, pp. 277-278.

(2) Ibid.

(3) Lelienthal, Alfred : What price Israél ? Chicago, 1953 pp. 32-37.

لو أن اليهود الامريكيين بذلوا من الجهد لادخال الاشخاص النازحين إلى هذه البلاد قدر ما بذلوه لنصرة الصهيونية ، إذن لكان جميع اللاجئين اليهود فى أوريا قد أوجدوا سبيلهم إلى الاستقرار فى العالم الجديد .

كذلك صرح الصحفى اليهودى سولز برجر قبل ذلك بقوله :

أن اليهود البؤساء المقيمين فى المعسكرات الأوربية هم رهائن لاحول لهم ولا قوة ، ولا قدرة لهم غير الذهاب إلى الدولة اليهودية .

ويذكر الفريد ليلنتال أن الصهيونيون الامريكيين لم يكتفوا فقط باتخاذ موقف سلبى حيال مشكلات النازحين فى أوربا ولكنهم عملوا أكثر من ذلك على أفساد المشروعات التى وضعها الرئيس روزفلت والتى كانت ترمى إلى إعادة توطين ٥٠٠ر٠٠٠ من اللاجئين .(١)

كذلك يوجه هذا الكاتب اتهاما إلى الحاخام فلورنز بأنه كتب فى أحد تقاريره إلى المؤتمر اليهودى الأمريكى يقول :(٢) .

« من أجل حسن تنفيذ هذا البرنامج – أى برنامج تهجير اليهود المطرودين من أوروبا إلى فلسطين – يجب على الجالية اليهودية كلها أن تقلب عملها رأساً على عقب بحيث يؤدى إلى جعل الوضع بالنسبة لهؤلاء اللاجئين أسوأ ما يكون بدلا من مساعدتهم وبذل العون لهم » .

اللجنة تنهى عملها وتقدم تقريرها :

غادرت لجنة التحقيق لبنان إلى جنيف حيث وضعت تقريرها بناء على طلب الجمعية العامة للأمم المتحدة بموافاتها بما ينتهى إليه رأيها قبل يوم أول سبتمبر عام ١٩٤٧ ، وبالفعل قدمت اللجنة تقريرها من ستة أبواب وتضمن الباب الخامس توصياتها التى انتهت إليها لحل مشكلة فلسطين ، وتناول الباب

---

(1) Lilienthal, Alfred : « What Price Israel » op. cit., p. 195-196.

(2) Ibid p, 196.

السادس من التقرير الحيين اللذين وصلت إليهما اللجنة ، وعموماً — « جاء هذا التقرير مخيباً لكل آمال العرب فى وجود عدالة حتى فى الأمم المتحدة(١) .

وقد أثبتت تلك الوثيقة الخلاف الذى نشب بين أعضاء اللجنة عندما أخذوا النتائج من التحقيق الذى قاموا به ، ولذا كانت النتيجة مشروعين وليس مشروعاً واحداً ؛ أحدهما وهو مشروع الأغلبية وقد أعده سبعة من أعضاء اللجنة ينصح بتقسيم فلسطين إلى دولتين —دولة عربية وأخرى يهودية— مستقلتين بعد فترة انتقال مدتها عامين تبدأ من سبتمبر ١٩٤٧ ويوضع خلالها دستور لكل دولة تقبله الأمم المتحدة قبل الاعتراف باستقلالها كما يتم توقيع معاهدة بتوحيد الاقتصاد فى فلسطين ، مع تكليف بريطانيا بادارة شئون فلسطين تحت رعاية الأمم المتحدة خلال فترة الانتقال ، أما بالنسبة للقدس فتوضع بعد فترة الانتقال تحت نظام الوصاية للأمم المتحدة باعتبارها السلطة الإدارية .

أما مشروع الأقلية فقد أوصى به ممثل الهند المسلم ، وكان من الطبيعى بالنسبة للهند وهى تحس مرارة تجربة التقسيم فى ذلك الوقت أن تعارض تقسيم فلسطين (٢) .

وانضم إلى ممثل الهند ممثل إيران وهو مسلم أيضاً ، وممثل بلد به أقلية من المسلمين — آنئذ — هو يوغسلافيا . وقد استوحى هذا المشروع من مشروع موريسون ، جرادى وهو ينص على إنشاء دولة فلسطينية فيدرالية مستقلة بعد نهاية فترة لا تزيد عن ثلاث سنوات تكون خلالها مسئولية إدارة فلسطين وإعدادها للاستقلال فى يد هيئة تقررها الجمعية العامة للأمم المتحدة وتشتمل

---

(1) Dranath, Dewan Berin: War and Peace in West Asia, New Delhi. India 1969 pp. 34-35.

(2) Ibid .

الدولة الفيدرالية المستقلة على « إقليم عربى » وآخر « يهودى » على أن تكون القدس العاصمة ، ويكون للحكومة الفيدرالية السلطة الكاملة فيما يختص بشئون الدفاع ، ويتمتع كل من الإقليمين العربى واليهودى بالحكم الذاتى مع كفالة وجود قومية فلسطينية واحدة للمواطنين .

وقد عدل المشروعان بصدد الحدود فأدخل مشروع الأغلبية النقب ويافا فى الدولة اليهودية بينما وضع مشروع الأقلية معظم النقب ويافا ضمن القسم العربى .

ورغم اتفاق الجميع على تأمين الزيارة والمرور للأماكن المقدسة ، فقد اختلف حول الوضع القانونى لمنطقة القدس ، فطالب مشروع الأغلبية بتدويل منطقة القدس كجزء قائم بذاته منفصل تماماً عن الدولتين — أى أن تكون قطاعاً دولياً — بينما نرى الأقلية أن تكون القدس هى عاصمة الدولة الفيدرالية .

رد الفعل العربى :

ما أن نشر تقرير اللجنة الدولية حتى أقامت الهيئة العربية العليا برفضه واستنكاره وتكاثرت الجموع فى الشوارع وأخذت شكل المظاهرات وهتافات المعارضة لهذه السياسة الاستعمارية ، وارتفعت الهتافات بحياة فلسطين العربية وبضرورة العمل على انقاذها والاحتفاظ بها وارغام الحكومات العربية على السير فى هذا الطريق وإعطاء الحق العربى قوة مادية ودولية تعمل على حمايته وتدعم كيانه .

وانعقدت اللجنة السياسية للجامعة العربية فى صوفر بلبنان فى ١٦ سبتمبر ١٩٤٧ حيث انتهت إلى ضرورة مكاشفة الرأى العام العربى بحقيقة الإخطار التى أصبحت تهدد فلسطين ودعوة العرب إلى تقديم كل ما فى وسعهم من المعونة والتضحيه إلى فلسطين .

ويرى الدكتور جلال يحيى(١): «أن هذا الموقف من جانب اللجنة السياسية كان يعتبر تهديداً باشراك «الشعوب» فى المعركة، وكان معنى ذلك أن حكومات جامعة الدول العربية لم تكن حتى ذلك الوقت قد قررت اشتراك «الشعوب» العربية فى هذه المعركة، وكانت تأخذ موقفاً «رسمياً» يعتمد على القانون الدولى أكثر من اعتماده على القوة المادية الموجودة فى الميدان».

كذلك قررت اللجنة السياسية فى اجتماع صوفر ارسال مذكرة احتجاج إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا «لتبصيرهما(٢) بالخطر المحدق بالأمن والسلم فى الشرق الأوسط وتحملهما مسئولية كل ما يمكن أن يتمخض عنه من أحداث إذا ما اتخذ أى قرار من شأنه أن يمس حق فلسطين فى أن تكون دولة عربية مستقلة».

رد الفعل الصهيونى :

أظهر الصهاينة اغتباطهم الممتزج بنوع من الأسف لقرارات اللجنة الدولية فقد اغتبطوا لقرارها انشاء دولة يهودية فى فلسطين وأسفوا لعدم توصيتها بأن تشتمل هذه الدولة اليهودية كل فلسطين، ولكنهم وجدوا فى هذه القرارات مكسباً جديداً لهم فعملوا على مجاراة الأمم المتحدة فى هذا الميدان وحتى يظهروا الدول العربية بمظهر العاصى لسلطة المنظمة الدولية.

ومن ناحية أخرى جاءت موافقة الصهاينة على مشروع الأغلبية باعتباره الحد الأدنى لمطالبهم إذ كانوا يأملون أن تنفذ قرارات بلتيمور التى تضع فلسطين كلها تحت سلطتهم، ومن هنا استمرت عصابات الهاجاناه واشترن فى عملياتهما الارهابية لإجبار سلطات الانتداب على تنفيذ هذه القرارات وبشكل يكون فى صالح اليهود.

---

(١) الدكتور / جلال يحيى، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية، مرجع سابق ص ٢٥١-٢٥٣.

(٢) أنظر نص هذه المذكرة فى :
أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥ ص ١٩٥-١٩٧.

رد الفعل البريطاني :

وجدت بريطانيا فى قرارات لجنة التحقيق الدولية هذه ستاراً وغطاء تنسحب من ورائه من المشكلة الفلسطينية ، وبدعوى خضوعها لما تقرره الأمم « الحرة » وأعلن وكيل وزارة المستعمرات فى ٢٦ سبتمبر ١٩٤٧ بأن حكومته توافق بدون أى تحفظ على إنهاء الإنتداب البريطانى وانها آخذة بتهيئة أسباب خروجها من فلسطين فى أسرع وقت ممكن . وتعللت بريطانيا بأن أى مشروع لا يقبله الطرفان فسوف لا تشترك فى تنفيذه وبذا تكون بريطانيا قد ساعدت بطريق غير مباشر على التقسيم .

مشروع تقسيم فلسطين :

اللجنة الخاصة . Le Comite adhoc

ثم عرضت مشكلة فلسطين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى مستهل دور اجتماعها العادى الذى بدأ فى ١٦ سبتمبر عام ١٩٤٧ فقررت إنشاء لجنة خاصة للمشكلة الفلسطينية تشتمل على ممثل لكل من الأعضاء السبعة والخمسين الذين تتكون منهم الهيئة الدولية .

وقد اقتصرت مهمة هذه اللجنة على دراسة تقرير لجنة التحقيق وتحديد شروط إعلان الإستقلال فى فلسطين بناء على اقتراح المملكة العربية السعودية والعراق وسوريا بإنهاء الإنتداب على فلسطين والإعتراف باستقلالها دولة واحدة(١) .

وفى الواقع فقد قامت هذه اللجنة بنفس المهمة التى قامت بها لجنة التحقيق مع ما أحاط بها من مؤامرات ومناورات وما داخلها من ضغوط دبلوماسية .

وقد وقع التدخل الأول بعد ثلاثة أيام فقط من تكوين اللجنة الخاصة حيث صرح كريك جونس وكيل وزارة المستعمرات البريطانية — كما سبق أن

---

(١) أحمد فراج طايع : صفحات مطوية عن فلسطين ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ص ص ٤١-٤٢ .

أشرنا — يوم ٢٦ من سبتمبر ١٩٤٧ بأن حكومة لندن توافق بدون أى تحفظ على إنهاء الإنتداب البريطانى وأن بريطانيا آخذه بتهيئة أسباب خروجها من فلسطين فى أسرع وقت ممكن ، وتعللت بريطانيا بأن أى مشروع لا يقبله الطرفان فسوف لا تشترك فى تنفيذه .

ويمكن أن نلمس الحرج الذى وضعت فيه اللجنة لما إتصف به الإعلان من اللبس الذى حير اللجنة فى الوقت ذاته ، فهو يبدو فى الجزء الأول منه وكأنه يعد بالموافقة من جانب بريطانيا ، ولكنه علق هذه المعاونة على شرط متعذر تحقيقه هو الإتفاق بين العرب واليهود .

واجتمعت اللجنــــة الخاصة وقررت دعوة ممثلى الهيئة العليا لفلسطين والوكالة اليهودية لحضور جلساتها والإدلاء بالمعلومات التى قد تحتاج إليها اللجنة ، وقد لبت الهيئتان الدعوة ولم تقاطع الهيئة العربية العليا اللجنة كما فعلتا من قبل فى مقاطعة لجنة التحقيق الدولية .

معارضة العرب :

حضر جمال الحسينى مندوباً عن الهيئة العربية العليا وفند مزاعم الصهيونية وأعلن أن العرب سيقاومون أى مشروع للتقسيم بالدم وأنهم يرفضون لجنة التحقيق بتوصيته ، لأن توصية الأقلية كانت تدور فى نطاق التقسيم وتنتهى إليه وإن كانت أقل ظلما من اقتراح الأكثرية ، ثم أعلن ان الحل الوحيد الذى يقبله العرب هو دولة ديموقراطية مستقلة تنشأ فى كل فلسطين ، وكان معنى هذا — على حد رأى أحد المؤرخين العرب المعاصرين(١) — « ان العرب قد رفضوا أنصاف الحلول ، أى رفضوا التفاهم والتنازل عن حقوقهم » .

وهكذا رفض العرب الحلين اللذين عرضتهما لجنة التحقيق التابعة للأمم

---

(١) الدكتور / جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية — الاسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٦٥ ، ص ص ٢٣٣-٢٣٤ .

المتحدة ثم طالبت الدول العربية بإحالة الموضوع إلى محكمة العدل الدولية بعد أن دافع ممثلوها عن وجهة نظرهم آتين بالحجة وكأنهم يحاولون إقناع الأمم المتحدة ، وكأن الأمر كان فى حاجة إلى إقناع أو إثبات .

ومن الثابت ان « المصالح(١) السياسية والاقتصادية وعلاقات الدول بعضها ببعض هى التى تتحكم فى الأمر بغض النظر عن الحق وخاصة إذا ما تعارض مع المصلحة الفعلية لهذه الدولة أو تلك » .

الوكالة اليهودية تتظاهر بالقبول :

أعلن ممثلوا الوكالة اليهودية قبولهم للتقسيم « رغم ما يترتب عليه من تضحيات جسيمة » ، وهكذا كان اليهود يربحون فى كل حالة ، فرغم إعلان الوكالة اليهودية قبولها لتوصية التقسيم ، إلا أنها اعترضت فى نفس الوقت على ترك الجليل الغربى والقدس خارج الدولة اليهودية ، وبذلك فتحت الوكالة اليهودية الباب لترضيات جديدة أو لمطالب أخرى تضمن لهم الحصول على ما أوصت به لجنة التحقيق لليهود .

مناورات الدول الكبرى :

أيد مندوب الولايات المتحدة الأمريكية مشروع الأغلبية الخاص بتقسيم فلسطين . وان كان قد طالب بإجراء بعض تعديلات كالحاق يافا العربية بالقسم العربى ، وكان يحاول بذلك أن يظهر وكأنه يدافع عن بعض مصالح العرب حتى لا يظهر تحيز بلاده كاملا ضد العرب .

وفى نفس الوقت جاء إتفاق كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى

---

(1) Aleum, op. cit. pp. 281–282.

على هذه النقطة « أمراً مثيراً للعجب » إذ أن المراقبين السياسيين كانوا يعتقدون أن تصويت الولايات المتحدة مع المشروع سيجعل الاتحاد السوفيتى يصوت ضده ، « ولكن الحقيقة هى أن مصالح كل من الدولتين الكبيرتين كانت فى هذه المرحلة تتمشى مع أطماع اليهود وتتعارض بالتالى مع مصالح العرب » وإن كانت الولايات المتحدة تحاول كسب الرأى العام اليهودى الذى يسيطر على الأسواق المالية والتجارية فيها ، وتحاول بذلك كسب العناصر الأكثر عداء للنازية ، أما الاتحاد السوفيتى فكان يرى فى النظام الموجود فى البلاد العربية بقايا نظام إقطاعى متحالف مع الاستعمار وكان من الصعب ان يتناسى مجهود العناصر الاشتراكية والشيوعية من بين اليهود فى حركات المقاومة ضد الحكم النازى لأوروبا .

وإذا كانت الولايات المتحدة تحاول كسب اليهود الرأسماليين فإن الاتحاد السوفيتى كان يحاول تدعيم اليهود الاشتراكيين ضد اليهود الرأسماليين وضد نظم الحكم الإقطاعية والمتحالفة مع الاستعمار فى العالم العربى .

ورغم تحمس الولايات المتحدة لفكرة تقسيم فلسطين ، فقد رفضت النظر فى أمر إرسال قواتها إلى فلسطين فى حالة تدخل قوة أجنبية لفرضه على العرب وبالتالى فهى ترفض بأشد من ذلك إستخدام القوات السوفيتية فى تلك المنطقة ، أما فرنسا فلم يكن فى الإمكان الإعتماد عليها وقد بدا واضحاً حرصها على عدم التدخل فى المشكلة الفلسطينيه .

اللجنة الخاصة والتيارات الدولية :

ثم اتبعت اللجنة الخاصة هى الأخرى من المناورات ما سارت عليه الهيئات الدولية عادة حيال المشكلات التى تبدو معقدة وغير قابلة للحل ، فعينت لها لجانا فرعية ، تكونت اللجنة الفرعية الأولى من تسعة أعضاء ممن يميلون إلى فكرة التقسيم ، أما اللجنة الثانية فقد تكونت من تسعة أعضاء أيضا ولكنهم يعارضون فكرة التقسيم ، وكانت مهمتها اقتراح الوسائل المؤدية إلى خلق الدولة المستقبلة

الموحدة التى يطالب بها العرب ولقد كان من العناصر الجوهرية فى أعمال اللجنة الفرعية الأولى تحديد تاريخ إنهاء الإنتداب البريطانى فى فلسطين .

وكان الأمريكيون يأملون أن يكون هذا التاريخ بعيدا بالقدر الكافى لوضع فترة إنتقال ، أما الروس فكانوا على العكس من ذلك يطالبون بأن تحديد نهاية الإنتداب البريطانى بيوم أول يناير عام ١٩٤٨ ، ولكن القرار فى هذا الشأن كان من إختصاص البريطانيين الذين إتخذوا موقفاً حاسماً فى ذلك رغم أن ممثلهم فى الأمم المتحدة الكسندر كادوجان قد اكتفى بتقديم ردود مبهمة على الأسئلة التى توجهها إليه اللجنة الخاصة حول هذا الموضوع قائلا :

« ان نهاية الإنتداب سوف تتم فى الوقت المناسب » .

وفى نهاية الأمر ، حينما تأكد الأمريكيون من أن البريطانيين لم يعودوا يرغبون فى تحمل أية مسئولية فى فلسطين ، اقترحت اللجنة الفرعية وضع حد للانتداب ، على أن تسحب القوات البريطانية من فلسطين يوم أول مايو ١٩٤٨ وعلى أن يعلن استقلال الدولتين اليهودية والعربية فى يوم أول يوليو التالى ، وهكذا انخفضت إلى شهرين فقط فترة الانتقال التى حددتها لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة وقدرت لها سنتين .

ولهذا الغرض اقترحت اللجنة الفرعية إنشاء لجنة دولية يشركها البريطانيون فوراً معهم فى مسئولياتهم فى فلسطين تحل محلهم فيما بعد عند رحيلهم ، غير أن طريقة تكوين تلك الهيئة أثارت مناقشات عنيفة من كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على السواء — وسيأتى تفصيل ذلك مناقشة عند موقف الاتحاد السوفيتى — وعموما فقد اقترح الاتحاد السوفيتى أن يتولى مجلس الأمن تعيين أعضاء تلك اللجنة ومراقبة أعمالها .

ويتمشى هذا الاقتراح مع السياسة السياسة السوفيتية العامة فى ذلك الحين وهى التى تستهدف أعطاء مزيد من السلطة لمجلس الأمن دون

الجمعية العامة ، وذلك لأن الاتحاد السوفيتى يتمتع فيه بحق الفيتو ، وفى أكثر من مناسبة ، أراد الاتحاد السوفيتى فى هذه الجمعية أن يتخذ من سلطات مجلس الأمن أداة لإيصال نفوده لمناطق كانت محظورة عليه مثل الشرق الأوسط. (١) ؛

أما الولايات المتحدة التى كانت راغبة فى الحد إلى أقل قدر ممكن من تدخل مجلس الأمن فى هذه المسألة فقد ألحت فى المطالبة بأن تحتفظ اللجنة الخاصة بحقها فى أعضاء الهيئة المقترحة ، وفى النهاية استقر الرأى على حل وسط وتقرر أن تتكون اللجنة من خمسة أعضاء

تعينهم الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ولكن عمل هذه اللجنة يوضع تحت إشراف مجلس الأمن ومراقبته .

ثم أصبحت هذه اللجنة الخاصة بكامل هيئتها فى يوم ٢٥ نوفمبر ، وطرحت مشروع الدولة الموحدة فرفضته الأكثرية ، فقام العرب عندئذ بتقديم اقتراحهم لنقل المشكلة إلى محكمة العدل الدولية فى لاهاى ولكن اقتراحهم لم يفز ، فاقترحوا استشارة هذه المحكمة فى صلاحية هيئة الأمم المتحدة لتنفيذ أى نوع من التقسيم بدون موافقة السكان ولكن إقتراحهم الثانى سقط كذلك .

« وأصبح العرب أمام أكبر هيئة سياسية فى العالم ، تتخذ لنفسها تطوير وتغيير القانون الدولى ، وتنظر إلى محكمة العدل الدولية وعلى أنها تطبق ما تضعه هى من تشريع .

وقد سمح لمندوبى المنظمة الصهيونية العالمية بحضور اجتماعات هذه

---

(1) Sachar : Israel, Establishment of a state, London 1949 pp. 92-96 .

اللجنة وتقديم المقترحات التي يرونها ، وترجح أن يكون تأثير ذلك قد انعكس عند التصويت على مقترحات التقسيم ، فقد اعتمدت اللجنـــة التقرير المقدم عن اللجنة الفرعية الأولى بأغلبية ٢٥ صوتا ضد ١٣ وامتناع ١٧ عن التصويت ، وقد قضى هذا التقرير بالموافقة على مقترحات التقسيم التي أيدتها غالبية أصوات لجنة التحقق التابعة للأمم المتحدة .

ونشط مندوبوا الدول العربية فى هذه المعركة السياسية فى الأمم المتحدة وقاموا بجولات واضحة لاقناع الأعضاء بظلم وضرر قرار التقسيم وبطلانه من الناحيـــة القانونية لتعارضه مع القانون والعدالة ومبادىء الديمقراطية ؛ وأنه سوف يضيع حقوقهم أضف إلى ذلك أن وصل بهم الأمر إلى التساؤل عن فاعلية سلطة الأمم المتحدة فى التوصية بتقسيم وطنهم إلى دولتين ومن ثم تدمير الولاء الوطنى والقومى .

ولكن جهود العرب لم تجد شيئا ، فرغم أن المشروعات البديلة التى تقدموا بها كانت معقولة وعادلة (١) ، إلا أنها رفضت تماماً ، ففى المشروع الأول مثلا وافقوا على إقامة دولة فيداليه موحدة فى فلسطين يتمتع فيها السكان اليهود بكل الحقوق والحماية ، وفى المشروع الثانى اقترحوا حل المشكلة عن طريق إجراء استفتاء فى فلسطين ثم طلبوا عرض مشروع التقسيم على محكمة العدل الدولية كى تقرر مدى شرعيته .

وتعلق أحدى الدراسات آنئذ على مسئولية الهيئة العربية العليا خاصة عن هذه الأوضاع قائلة (٢) :

٢ « وهنا يبرز لنا دليل ساطع على خطأ القرار المرتجل الذى أصدرته الهيئة العليا فى عام ١٩٣٩ برفض ما عرضته بريطانيا فى كتابها الأبيض

---

(1) Dranath, op. cit, pp. 33-34.

(٢) وهو ما أكده أحمد فراج طايع فى مقابلة شخصية مع سيادته خلال شهر اكتوبر ١٩٧٤ بالقاهرة وانظر أيضاً كتابه : صفحات مطوية عن فلسطين ؛ مرجع سابق ص ص ٤٢-٤٣ .

فى تلك السنة من إنشاء دولة موحدة ، فبعد ثمانى سنوات من الرفض عادت البلاد العربية تطلب تنفيذ مارفضته الهيئة العربية العليا ، ذلك أن ثلاث دول منها — وبموافقة باقيها وبالطبع — تقدمت للجمعية العامه للأمم المتحدة بإقتراح إنشاء دولة واحدة فى فلسطين تمثل حكومتها جميع المواطنين على أساس نسبتهم العددية . مع فارق هام هو أن عدد اليهود كان فى عام ١٩٣٩ أقل بكثير من عددهم فى عام ١٩٤٧ ،وهكذا أضاعت الهيئة العربية العليا فرصة ثمينة برفضهـــا الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ لأسباب لاتبرر هذا الرفض » .

الاقتراع على تقسيم فلسطين :

المناورات وردود فعلها داخل الأمم المتحدة :

حصل التقرير المقدم من اللجنة الفرعيه الأولى والذى يقترح الأخذ بفكرة التقسيم على أصوات أغلبية أعضاء اللجنة الخاصة ولكن هذه الأغلبية لم تصل إلى مقدار الثلثين وهى النسبة اللازمة لحمل الجمعية العامة للأمم المتحدة على اعتماد هذا التقرير ، وكان يكفى الحصول على صوت واحد آخر لتتوفر نسبة الأغلبية المطلوبة .

ونستطيع أن نتخيل فى سهولة مقدار ما جرى من مناورات نشيطة فى دهاليز الأمم المتحدة ، خاصة تلك التى مارسها الصهاينة على أعضاء المنظمة الدولية .

فلقد اشتد الضغط الصهيونى داخل أروقة الأمم المتحدة وخارجها أيضاً حيث تقرب الصهاينة من الرأى العام الأمريكى عن طريق التوراه وآلام اليهود الأوربيين ، ومن جهة أخرى تعرضت الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة وغـــيرها بسبب معارضة التقسيم للتهديد أو الأرهاب أو الإبتزاز ، فعلى سبيل المثال نجد أن مندوب ليبريا — الذى أيد بمشروع التقسيم عند التصويت عليه فى الجمعية العامة يوم ١٩٤٧/١١/٢٦ بعد أن

كان ممتنعا عن التصويت يوم ٤٧/١١/١٥ ولم يكن قرر موقفه فى الجلسة السابقة ١٩٤٧/١١/٢٢ – نجد أن هذا المندوب قد قدم تقريراً إلى وزارة الخارجية الأمريكية ذكر فيه أن الطريقة التى حاول بها بعضهم اقناعه بتأييد التقسيم إنما تشكل « محاولة إرهابية(١) » ، كذلك ذكر آرثرسولز برجر صاحب صحيفة نيورك تايمز سياق وصفه للأساليب الصهيونية العلنيـــة :

« أنى أمقت أساليب الإكراه التى يتبعها الصهيونيون الذين لم يتورعوا فى هذه البلاد عن استخدام وسائل اقتصادية لاسكات الأشخاص الذين يخالفونهم الرأى ، إننى أعارض محاولة الأغتيال الخلقى التى يطبقونها على الذين لا يوافقون معهم » .

وكتب عمانويل نيومان وهو صهيونى بارز ، يوجز النشاط الصهيونى فى ذلك الحين يقول (٢) :

« لم تترك بارقة أمل واحدة دون تمحيصها وملاحقتها ، ولم تترك دولة صغيرة أو نائية دون أن يتم الاتصال بها لخطب ودها ، وخلاصة القول أنه لم يترك شئ للأقدار والظروف » .

كذلك كتب المؤرخ جون كيرك فى هذا الصدد قوله (٣) :

« أن التقسيم ماكان ليتم التصويت عليه أبدا فى أى مكان آخر غير نيويورك ، تلك المدينة التى تمارس فيها اليهودية سلطانها الكامل » .

ويتفق المؤرخ جان بيير آليم مع المورخ جون كيرك فى هذا الصدد بقوله(٤) : « وربما كان هذا القول صحيحاً » .

(1) Lilenthal, What Price Israel ? op. cit, pp. 63–64.

(2) Ibid p. 123.

(3) Ibid p. 124.

(4) Kirk, George · The Middle East 1945–1950 London 1954. pp. 240–241.

على أن الواجب يقتضى منا ألا نغفل من — جهة أخرى — أن الصهيونيين لم يكن لهم تمثيل رسمى داخل الأمم المتحدة، ومما يؤسف له أن العرب كان لديهم سبعة أصوات بالإضافة إلى عشرة من المسلمين عملوا تلقائيا على مساندة وجهة النظر العربية إلا أن جهودهم جميعاً لم تجد شيئاً أمام الأغلبية العنيدة التى كانت تسيطر عليها الولايات المتحدة — كما سنشير إلى ذلك —

ومن الثابت أن العمل الدبلوماسى قد قام فى الاقتراع على تقسيم فلسطين بدور يفوق من حيث أهميته عدالة المشكلة الفلسطينية ذاتها وقد استطاع الصهيونيون أن ينالوا قصب السبق فى هذا الميدان فاستخدموا جميع الإمكانيات التى أتيحت لهم فيه، «وغالوا فى أحيان كثيرة من هـذا الاستخدام بما دسوه من غش (١) ».

الموقف الأمريكى أثناء مناقشة مشروع تقسيم فلسطين :

عندما طرح مشروع تقسيم فلسطين للتصويت أمام الجمعية العامة للمرة الأولى فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ لم ينل أغلبيـة الثلثين المطلوبة وحينئذ تحركت الدبلوماسية الأمريكية بكل ثقلها للضغط على الدول التى يمكن أن تحولها عن موقفها سواء إلى التأييد أم على الأقل إلى الامتناع، واستخدمت أساليب لم يسبق لها مثيل فى الأمم المتحدة .

وخير من يكشف عن هذه الأساليب التى اتبعت للضغط على هذه الدول هم بعض المتحدثين الأمريكيين الذين لعبوا دوراً كبيراً فى انجاح مشروع التقسيم، فعلى سبيل المثال قال (٢) لورانس هـ. سميث

(1) Aleum, op. cit, pp. 285-286.

(2) Dranath, op. cit, pp. 35-36.

وذلك نقلا عن : محاضر جلسات الكونجرس الأمريكى بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٤٧ ص ١٧٦-١٧٧ .

الخبير الأمريكى فى الشئون الخارجية وعضو مجلس الشيوخ فى شهادته أمام الكونجرس :

« لنلق نظرة أيها الرئيس على المحاضر ونرى ما حدث فى اجتماع الجمعية العامة قبيل التصويت على مشروع قرار التقسيم ، لقد كان المشروع فى حاجة إلى ثلثى الأصوات لإقراره ، ولقد تأجل التصويت مرتين ، وكان واضحا أن التأجيل ضرورى لأن الدولتين صاحبتى المشروع — الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى — لم يكن لديهما الأصوات الكافية ، وفى هذه الأثناء كانت الولايات المتحدة تمارس على أعلى المستويات فى واشنطن ضغطا مركزاً على مندوبى ثلاث دول صغيرة » .

كذلك عندما أثير موضوع صحة أوراق مندوب سيام أو « تايلاند » الذى اعترض على التقسيم ، وأيد تريجفى لى الأمين العام للأمم المتحدة آنئذ هذه المناورة ، مما جعل مندوب سيام يمتنع عن التصويت يوم ٢٩ نوفمبر ، وهكذا — أبدى الأمين العام للأمم المتحدة هو الآخر تحيزه للصهاينة وطوال فترة خدمته (١) .

واتجه الضغط الأمريكى بعد ذلك إلى ست دول هى هايتى وليبريا والفلبين والحبشة والصين الوطنية واليونان ، وكانت هايتى هى الدولة الوحيدة من بين دول أمريكا اللاتينية التى عارضت المشروع مراعاة لوجود جالية سورية كبيرة بها فهددتها الولايات المتحدة بمنع المعونة عنها وبنفس التهديد اتجهت إلى الحبشة والصين الوطنية فتحولتا إلى موقف الإمتناع بدلا من المعارضة بينما لم تفلح محاولات الضغط هذه مع اليونان التى استمرت على موقف المعارضة ، وربما يرجع موقف اليونان

---

(1) Middle East Journal Year, 1948-1949 New York January 1948.

أنئذ فى اعتقادنا إلى وجود . ليات يونانية كبيرة فى الدول العربية فى هذه الفترة واقتناعهم بالتالى بوجهة النظر العربية »

وعلى العكس لم تستطع [الفلبين المقاومة لأنها تخضع للنفوذ السياسى والاقتصادى الأمريكى وهى لم تستقل عن الولايات المتحدة إلا منذ قليل كذلك رضخت ليبريا عندما استدعى رئيس شركة فايرستون للمطاط ، وهى أكبر شركة احتكارية أمريكية تستغل موارد البلاد — إلى واشنطن وصدرت إليه الأوامر لحمل حكومة ليبريا على تبديل موقفها : فسارع يتصل بممثلى الشركة إفى مونروفيا ، وكانت حكومة ليبريا هى الدولة الأفريقة الوحيدة التى وافقت على التقسيم ، وقد استخدم البيت الأبيض نفوذه مباشرة للضغط على الدول دون المرور بوزارة الخارجية ، ويعزى هذا المجهود الرئيسى إلى ترومان نفسه حيث أثر على الأعضاء لصالح التقسيم وكان يوم ٢٦ نوفمبر هو يوم التصويت واقترح الوفد الأمريكى تأجيل التصويت نتيجة أن هناك عيداً فى الولايات المتحدة هذا اليوم يسمى عيد الشكر ، ومن المعروف أن الأمم المتحدة غـــير مقيدة بالأعياد الأمريكية الخاصة ، ومع ذلك فقد منحت عطلة يومين لإفساح المجال أمام البيت الأبيض لإجراء هذه الإتصالات ، وعبثا حاول العرب طرح المشروع للتصويت توا فلم يوفقوا ، ومرة ثانية ساعد تريجفى لى أغراض الولايات المتحدة بالتصريح بهذه الأجازة بعد أن أقرها رئيس الجلسة أوكان برازيليا ، وقد سمح ذلك للرئيس ترومان أن يزيد من الضغط على الدول الصغيرة لتبديل موقفها وكسبها إلى جانب التقسيم »

ويذكر لوريس هسميث أنه « عندما(١)طرح المشروع للتصويت يوم ٢٩ نوفمبر — ماذا حدث ؟ . لقد كانت الأصوات الحاسمة التى أنجحت المشروع هى أصوات هايتى وليبريا والفلبين ، فقد كانت هذه الأصوات

---

(1) Dranath op. cit. pp. 60–61.

كافية لإكمال أغلبية الثلثين ، وكانت هذه الدول الثلاث قبل ذلك تعارض المشروع وان الضغط الذى مارسه مندوبوناو مسئولوناوالمواطنون الأمريكيون يشكل سلوكا شائناً بهم وبنا » .

كذلك وصف جيمس فورستال وزير الدفاع حينئذ الوسائل التى اتبعت لإرغام الدول فى الجمعية العامة على طاعة الولايات المتحدة بأنها تكاد تكون فضيحة(١) .

ولقد اعترف حايم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية وأول رئيس للدولة اليهودية التى قامت فى فلسطين بعد ذلك – اعترف فى مذكراته التى نشرت فيما بعد بأن قرار التقسيم قد مر فى الجمعية العامة بعد تدخل شخصى قوى من الرئيس ترومان نفسه .

كذلك كان ترومان نفسه صريحا لدرجة أنه قال فى مذكراته :

« ليس لدى ناخبون من العرب » ، ومن هذا التصريح يتضح بجلاء أن أصوات اليهود الأمريكيين كانت تهم ترومان أكثر من حقوق الأغلبية العربية فى فلسطين(٢) .

وكمحاولة أخيرة أثار العرب إشكالا قانونيا(٣) وهو أنه ليس من حق الجمعية العامة اتخاذ القرارات وأنها بالبت فى مصير فلسطين تناقش مبدأ هاما من مبادىء الميثاق الذى نص على حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ولذلك

---

(1) Ibid, pp. 61-62.

(٢) أنظر : دكتور / محمد حافظ غانم ، المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولى ، القاهرة ١٩٦٥ .

(٣) دكتور / محمد طلعت الغنيمى ، قضية فلسطين أمام القانون الدولى الاسكندرية ١٩٦١ .
دكتور / حامد سلطان ، دكتور / عبد الله العريان . أصول القانون الدولى القاهرة ١٩٥٣ .

لابد من رفع الموضوع أمام محكمة العدل الدوليـــة لتفصل فيما إذا كان من اختصاصات الجمعية العامة اتخاذ مثل هذا القرار.

وأجرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اقتراعها يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وأسفر هذا الاقتراع عن الموافقة على مشروع التقسيم الذى اقترحتـــه اللجنة الخاصة Le comite adhoc وقد جاء قرار الجمعية العامة فى هذا الصدد بأغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ وامتنع ١٠ أعضاء عن التصويت ، وكانت الدول التى أيدت القرار :

الولايات المتحدة — فرنسا ثم كندا ، استراليا ، جنوب إفريقيا ، نيوزيلندا من مجموعة الشعوب البريطانية ، وفنزويلا وباراجواى وبوليفيا والبرازيل واكوادرر وهايتى وجواتيمالا والدومينكان ونيكاراجواو بنما وبيرو من مجموعة دول أمريكا اللاتينية ، وبلجيكا ولوكسبورج وهولندا والسويد والنرويج والدانمارك من الدول الأفريقية ، والاتحاد السوفيتى ، وروسيا البيضاء وتشيكوسلوفاكيا وأوكرانيا وبولندا من دول الكتلة الشرقية ، ثم الفلبين ، والملاحظ أن دولة أسيوية واحدة لم توافق على التقسيم .

كذلك فإنه يلاحظ أنه قد تم اتخاذ قرار تقسيم فلسطين نتيجة اتفاق الدول الغربية والشرقية معاً على مبدأ التقسيم وبالإضافة إلى ١١ صوتا من أمريكا اللاتينية ، وكانت حينذاك أكبر مجموعة فى الجمعية العامة ، بعكس الدول الأفريقية والآسيوية آنئذ ، وإذا أضفنا دول الكومنولث فإننا نجد أن قرار التقسيم قد حصل على الثلثين (١) .

---

(١) حول اتجاهات هذه الدول فى الثلاث جلسات التصويت على مشروع تقسيم فلسطين وهى الجلسات بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٢ ؛ ١٩٤٧/١١/٢٥ ، ١٩٤٧/١١/٢٩ وكيف انعكس الضغط الأمريكى السافر على نتيجة التصويت النهائى : . انظر :

Uuited Nationt : Officials Records of First Special Session of general Assembly, Vol. 1. Resolution 181 (11) of 29 November 1947.

وهكذا اتضح بما لايدع مجالا للشك تحيز الولايات المتحدة للصهيونية تحيزا تاماً حيث وقفت إلى جانب الصهيونية تماماً ، وهناك رأى يضيف (١) إلى أسباب تحيزها هذا سبباً آخر هو خشيتها إن هي لم تؤيد الصهيونية التأييد الكافى فربما تتحول هذه الأخيرة إلى المعسكر الشرقى خصوصاً وأن أمريكا كانت ترى فى الدولة اليهودية المستقبلة أنها سوف تعتمد كلياً على المعونات التى سيقدمها يهود أمريكا مما سيجعلها حليفا قويالها فى منطقة الشرق الأوسط .

أما موقف الاتحاد السوفيتى قبل وخلال مناقشة تقسيم فلسطين فيحتاج منا الى وقفة خاصة للتفسير والتعليل حيث بدأ الاتحاد السوفيتى هو الآخر أشد تحمسا من الولايات المتحدة كما يدل على ذلك موقفه الآتى :

الموقف السوفيتى قبل وأثناء مناقشة مشروع تقسيم فلسطين :

تتحدث بعض الدراسات عن أن أولى بوادر الموقف السوفيتى من تأييد إنشاء دولة يهودية فى فلسطين قد ظهرت فى عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، فقد أخبر ستالين أحد أعضاء الحكومة البولندية المؤقتة فى يوليو ١٩٤٤ بأن الاتحاد السوفيتى يزمع تأييد حل أولى للمشكلة اليهودية فى نهاية الحرب وأعلن مالينكوف فى نفس المناسبة أن المطالب الإقليمية للشعب اليهودى فى فلسطين يجب أن تلبى وتشير إحدى هذه الدراسات أيضاً أن ستالين قد وافق فى فبراير ١٩٤٥ على تقرير الوطن القومى اليهودى فى فلسطين وعلى فتح أبواب البلاد للهجرة اليهودية فى المستقبل القريب (٢) .

---

(1) DIB, The Arab Block in tha United Nation pp. 53–84.

(2) Yaacov Ra'i, Soviet Israeli Relations, 1947–1954 in : M. Coufino and S. Shamir (eds), The USSR and the Middle East, Jerusalem, Israel Universities, Press 1973 p. 123.

وتذكر دراسة أخرى لموردخاى أورين قوله(١) أنه عرف اتجاه الاتحاد السوفيتى إزاء مشكلة فلسطين فى عام ١٩٤٤ من السفير السوفيتى فى لندن ، وإن كانت تستبعد حتى أن يكون الاتحاد السوفيتى مهتما فى ذلك الوقت بالمشكلة الفلسطينية .

وهكذا يمكن ملاحظة أن المشكلة الفلسطينية لم تتضمن موقفاً موحداً من القادة السوفييت وإن بدا واضحا — أن الاتجاه العام يتفق ووجهة النظر اليهودية(٢) .

وفى الفترة التى أعقبت ذلك واستمرت حتى ربيع ١٩٤٧ لم يصدر الاتحاد السوفيتى أى تصريح رسمى بشأن مستقبل فلسطين وإن كانت لغة الإعلام السوفيتى والدبلوماسية السوفيتية فى البلاد العربية قد أعطت انطباعا بتأييد السوفيت لحل مشكلة فلسطين وفقا للخطوط العامة المؤيدة من العرب ، وكان موقف الأحزاب الشيوعية العربية عموما يؤيد مثل هذا النوع من الانطباعات ومع ذلك فقد سمح الاتحاد السوفيتى بالهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية — خاصة بولندا — مع علمهم الكامل بأن المهاجرين ينوون السفر إلى فلسطين مباشرة .

وقد عبر الاتحاد السوفيتى عن موقفه الرسمى المعلن من مشكلة فلسطين فى إبريل ١٩٤٧ حينما عرضت المشكلة على الأمم المتحدة .

وتذكر بعض المصادر الصهيونية — مما يستحيل القطع بصحتها — أنه اعتبارا من هذا التاريخ — حدثت اجتماعات بعضها « بهيج » للغاية بين صهاينة يساريين وغير يساريين ، رسميين وغير رسميين من ناحية وبين المسئولين السوفيت فى الأمم المتحدة من ناحية أخرى عبر فيها هؤلاء عن تأييدهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين(٣) .

---

(1) Karammer, op. cit. pp. 105–106.

(٢) دكتور أحمد يوسف أحمد . المرجع السابق .

(3) Karammer, op. cit, pp. 105–106.

وتظهر وثائق(١) الامم المتحدة أن المندوب السوفيتى عندما أعرب فى ٩ مايو ١٩٤٧ فى اللجنة الأولى للجمعية العامة عن رأيه فى نطاق صلاحية اللجنة الخاصة المزمع تشكيلها للإعداد لبحث مشكلة فلسطين فى الدورة العادية الثانية للجمعية ، قد ذكر فى البند الثالث بين مهام هذه اللجنة ، تقديم المقترحات بشأن حل مشكلة فلسطين وتشمل اقتراحاً بإنشاء دولة « مستقلة » دون إبطاء فى فلسطين ، وقد ظهر هذا الرأى فى تقرير اللجنة الفرعية المنبثقة عن اللجنة الأولى والمكلفة ببحث المشكلة فى ١٠ مايو كاقتراح سوفيتى هندى .

حيث كان واضحا معارضة الهند(٢) لتقسيم فلسطين لأنها تحس بمرارة تجربة التقسيم — وفى مناقشة التقرير سالف الذكر فى اللجنة الأولى فى ١٢ مايو أعاد المندوبان السوفيتى والهندى تأكيد اقتراحهما ، ولم تكن ثمة إشارة إذن حتى ١٢ مايو إلى فكرة الدولتين — اليهودية والعربية فى فلسطين — من جانب الاتحاد السوفيتى فى الأمم المتحدة .

غير أنه فى ١٤ مايو ، وأثناء مناقشة الجمعية العامة لتقرر اللجنة الأولى أدلى اندريه جروميكو بخطابه المشهور الذى فتح الباب لاحتمال التأييد السوفيتى لتقسيم فلسطين ، ومن ثم لإنشاء دولة يهودية ، وقد بدأ جروميكو خطابه بهجوم على الانتداب والدولة المنتدبة ثم أوضح أن حل مشكلة فلسطين يجب أن يأخذ فى اعتباره المصالح المشروعة لكل من الشعبين العربى واليهودى فكلاهما — على حد ماذكره جروميكو — له جذور تاريخية فى فلسطين ومن غير المعقول أن ينكر على الشعب اليهودى حقه فى تحقيق آماله فى إنشاء دولته الخاصة به وفى تصوره لكيفية التوفيق بين هذه المصالح المشروعة استعرض

(1) Year Book of the United Nations 1946–1947 New York United Nations, Department of public Information 1947 pp. 295–299.

(2) Dranath op, cit. pp. 34–35.

جروميكو الحلول الممكنة للمشكلة الفلسطينيةو هى تكوين دولة واحدة عربية يهودية يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق متساوية أو تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية أو إنشاء دولة عربية صرفة فى فلسطين بدون اعتبار لحقوق السكان اليهود أو العكس ، وقد رفض جروميكو الحلين الأخيرين باعتبارهما حلين غير عادلين لايأخذ أيهما فى اعتباره المصالح المشروعة لشعبى فلسطين ولا يؤدى إلى استقرار العلاقات بينهما ، ثم أن الاتحادالسوفيتى يفضل الحل الأول :

« تكوين دولة واحدة يهودية عربية مستقلة ديموقراطية يكون لليهود والعرب فيها حقوق متساوية باعتباره الحل الذى يكفل حمايةمصالحالشعبين »

غير أن جروميكو قد أضاف أنه فى حالة عدم إمكان تحقيق هذا الحل بسبب سوء العلاقات بين العرب واليهود فسوف يكون من الضرورى بحث الحل البديل المتمثل فى التقسيم ، وأكد جروميكو مرة أخرى تفضيله للحل الأول بقوله :

« إننى أكرر أن هذا الحل لمسألة مستقبل فلسطين سوف يكون مبررا فقط إذا كانت العلاقات بين السكان اليهود والسكان العرب الفلسطينيين سيئة فى الواقع لدرجة يصبح معها من المستحيل التوفيق بينهما وتأمين التعايش السلمى للشعبين فى تلك البلاد(١) »

---

(1) Dagan, Avigdor : : Moscow and Jerusalem – twenty Years of Relations between Israel and the Soviet Union, New York, Abelard – Schuman, 1970 pp. 24-25 and Ebou, Martin, Communist tactics in Palestine in : Foreign Affairs, 26 July 1948 pp. 61-62.

أديب ديمترى : الماركسية و الدولة الصهيرنية (الوجود والكيان) – بيروت ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، يناير ١٩٧١ صص ٢٠٨–٢٠٩.

إلا أن السياسة السوفيتية خطت الخطوة الأهم تجاه قبول التقسيم فى ١٣ أكتوبر ١٩٤٧ حينما ألقى ممثل الاتحاد السوفيتى فى اللجنة الخاصة بفلسطين خطابا كرر فيه مهاجمته لنظام الانتداب ، وألقى عليه اللوم فى إحداث النزاع بين العرب واليهود ، وفى بحث عن الحل الأمثل لهذا النزاع لم يعط الاتحاد السوفيتى اهتماما كبيراً لوجهة النظر العربية القائلة بالحق التاريخى للعرب فى فلسطين ، وإنما جوهر الموضوع هو حق تقرير المصير بالنسبة لكل من الشعبين(١) ، وأضاف إلى ذلك اعتباراً سياسيا آخر وهو معاناة اليهود أثناء الحرب الثانية خاصة وأن دولة أوروبية واحدة لم تنهض للدفاع عنهم .

واعتبر المندوب السوفيتى أن هذا يفسر رغبة اليهود فى الحصول على وطن لهم وهى الرغبة التى يجب ألا تشوبها اعتبارات تاريخية وقانونية ، ثم أعلن المندوب السوفيتى موافقته على إنهاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين وذكر أن حل الدولة الواحدة وإن كانت له مزاياه وفوائده ، لم يعد حلا أفضل من حيث التطبيق بسبب وصول العلاقات بين العرب واليهود إلى حالة من التوتر أصبح مستحيلا معها التوفيق بين وجهات نظرهم بشأن حل المشكلة ومن ثم فقد أصبحت خطة تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين واحدة عربية والأخرى يهودية فى ظل هذه الظروف هى الأفضل من حيث التطبيق ؛

---

(١) علق رئيس وفد مصر فى خطاب له فى نفس المناقشات بقوله : « أن مندوب الاتحاد السوفيتى المحترم قد أدلى هنا بنظرية تختلف كل الاختلاف عن مساهمة فلسطين فى حل مشكلة اليهود بالهجرة فقد اقترح بأن الفروض التاريخية لا تعنينا وأن المشكلة تتلخص فى أنه يوجد اليوم فى فلسطين يهود وعرب ، وأن لكلا الفريقين الحق فى التصرف وفى العيش بحرية وأمان». ووصف رئيس وفد مصر هذه العبارات بأنها نظرية بالغة الخطورة سواء على فلسطين أو على العالم كله ؟ انظر :

خطاب رئيس وفد مصر فى اجتماعات اللجنة الخاصة بفلسطين :

سبتمبر - اكتوبر ١٩٤٧ فى : مصر فى الأمم المتحدة ١٩٤٧ - تقرير عن أعمال الدورة العادية الثانية لهيئة الأمم المتحدة المعقودة بنيويورك (١٦ سبتمبر ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) القاهرة - مطبعة مصر ١٩٤٨ ص ص. ٥٣١-٥٣٢ .

ووصف المندوب السوفيتي هذا القرار بأنه خطوة عظيمة للأمام في حل مشكلة فلسطين ، كما اعتبر المندوب السوفيتي أن هذا يشكل إطاراً للحل الملائم للمشكلة وإن كان قد أعلن بعض التحفظات على تفصيلات مشروع التقسيم تتعلق بالمناطق الداخلية في إقليم كل دولة وفترة للانتقال ونظام مدينة القدس وذكر أنه من الواجب وضع مشروع يتفادى هذه التحفظات وغيرها(١) .

وترى احدى الدراسات أنه إذا كان خطاب ١٤ مايو ١٩٤٧ قد فتح الباب لاحتمال تأييد سوفيتي للتقسيم فقد أتى خطاب ١٣ أكتوبر التأييد الفعلي لهذا المشروع(٢) :

ثم ناقشت الجمعية العامة توصيات اللجنة الخاصة بفلسطين بشأن المشكلة الفلسطينية في الفترة من ٢٦ — ٢٩ سبتمبر ، وفي هذه المناقشة ألقى جروميكو خطابا في ٢٦ نوفمبر استعرض فيه مواقف الاتحاد السوفيتي إبتداء من الدورة الطارئة ، وأكد التزام الاتحاد السوفيتي بتأييد توصية اللجنة الخاصة بالتقسيم اتساقا مع هذه المواقف من ناحية ومع موقف الأغلبية من ناحية أخرى .

وفي هذا الخطاب أورد جروميكو تفسيراً لتأييد السوفيت للتقسيم يشبه إن لم يكن متطابق مع التفسير المقدم في خطاب ١٣ أكتوبر بقوله : « يعيش في فلسطين شعبان أحدهما عربي والآخر يهودي ، ولكل منهما جذوره التاريخية العميقة في تلك البلاد ، ولقد اثبتت دراسة اللجنة الخاصة أن اليهود والعرب في فلسطين لا يمكنهم أن يعيشوا سويا في دولة واحدة ، ولذلك فليس ثمة بديل عملي آخر سوى إنشاء دولتين ، ويزيد من الحاح هذا لحل الوضع الذي وجد الشعب اليهودي فيه نفسه نتيجة الحرب الأخيرة خاصة

(١) خطاب ممثل اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في اجتماعات اللجنة الخاصة بفلسطين في المرجع السابق ص ص ٥٢٢ - ٥٢٤ .
(٢) راجع دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

أن دولة واحدة فى أوربا الغربية لم تكن قادرة على تقديم الحماية المناسبة للشعب اليهودى من النازية ، ويستمد هذا الحل أساسا من المبادئ والأهداف النبيلة للأمم المتحدة » .

ونفى جروميكو بشدة أن يكون هذا الحل موجها ضد الفلسطينيين أو العرب وقال أن وفود الدول العربية غير راضية بنوع خاص حول هذا الأمر لأسباب واضحة ؟ وأكد إعتقاد الوفد السوفيتى أن هذا الحل يتفق مع المصالح القومية الأساسية لكل من اليهود والعرب ، كما أكد تعاطف شعوب الاتحاد السوفيتى الدائم مع المصالح القومية لشعوب الشرق العربى ، وأكد أن الوفد السوفيتى ليثق أن الوقت الذى ينظر فيه العرب والبلاد العربية تجاه موسكو لمساعدتهم من أجل مصالحهم المشروعة — وفى نضالهم لتحرير أنفسهم من الأحقاد المتبقية للتبعية الاستعمارية — سيجئ ،

وأتهم جروميكو بريطانيا بالتراجع عن تأييدها للحل المحتمل لمشكلة فلسطين بسبب اصرارها على أن يجئ هذا الحل مقبولا من العرب واليهود على حد سواء فكلا الأمرين يفتح الباب لاحتمال تجاهل قرار الجمعية خاصة وأن « كلنا يعى تماما أن العرب واليهود لم يتوصلوا إلى إتفاق بينهم . كما أن النقاش فى الدورة يثبت أنهم لا يستطيعون الوصول إلى الاتفاق ، وهكذا فإن وضع شرط موافقة العرب واليهود على قرار الجمعية كى تلتزم به بريطانيا « يعنى دفن القرار حتى قبل أن تتبناه الجمعية » .

وأكد جروميكو أن هذا الموقف غير مناسب من جانب بريطانيا فى ضوء تأييد الأغلبية للتقسيم ، وذلك فى ضوء الكراهية المشتركة التى عبر عنها الطرفان « خاصة اليهود » للنظام الحالى فى فلسطين (١).

---

(1) Speech by Soviet Representative A. A. Gromyko at Plenary Meeting of N. N. General Assembly – November 2, 1947 in : the USSR and the Middle Fastern Affairs. vol. IV no. 4. April 1953.

وعند إجراء التصويت فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ كانت أصوات مجموعة الدول الاشتراكية (الاتحاد السوفيتى وروسيا البيضـاء واكرانيـا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا (كلها إلى جانب التقسيم ومما زاد فى الأهمية النسبية لهذه الأصوات أنها كانت تستطيع أن تغير الموقف برمته لو أنها صوتت ضد القرار حيث كانت تنتفى أغلبية الثلثين لو أن الأصوات الخمسة للمجموعة السوفيتية قد تحولت إلى الموقف المضاد للتقسيم .

تضارب الآراء حول الموقف السوفيتى :

تضاربت الآراء حول موقف السوفييت من المشكلة الفلسطينية فى هذه الفترة .

فهناك أولا التفسير السوفيتى ذاته من مسألة التقسيم والذى ينصب على أن تأييد الاتحاد السوفيتى لتقسيم فلسطين فى عام ١٩٤٧ كان متمشيا مع دفاعه عن حقوق الشعوب فى تقرير المصير وعن حق كل شعب فى إقامـة دولته الوطنية المستقلة(١) .

كذلك فقد صرحت بعض المصادر السوفيتية بأن الجناح اليسارى فى الحركة الصهيونية قد استطاع أن يوهم الاتحاد السوفيتى بأنه يسيطر على الحكم آنئذ ويوجهه توجيها يساريا ليعطى أحسن الفرص لانتشار الشيوعية ، هذا بجانب الموافقة الضمنية من الأحزاب الشيوعية التى ذكرت فى تقاريرها إلى موسكو أن العداء الجماهيرى العربى للنموذج الاشتراكى الصهيونى فى فلسطين ليس إلا موجة عاطفية يذكيها الرجعيون العرب(٢) .

---

(١) أنظر خطاب كيسيجين أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٩ يونيو ١٩٦٧ .

(2) Laquer, Walter, The struggle for the Middle East (The Soviet Union and the Middle East, 1958-1968) London; Routlodgc & Kagan Paul 1969 pp. 361-362.

وراجع أيضاً . دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

أما الدارسون الغربيون فيرجعون موقف الاتحاد السوفيتى إلى سببين رئيسين ، السبب الأول : أن الاتحاد السوفيتى كان يهدف إلى اضعاف النفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط وذلك ظنا منه أن إسرائيل ستكون معادية لبريطانيا ، ومن المعروف أن السياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط فى الفترة التالية للحرب الثانية كانت تسعى إلى تأمين الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى حتى لاتستخدم هذه المنطقة كنقطة وثوب إلى أراضيه ، وكذلك كانت تشجع كل الحركات المناهضة للاستعمار البريطانى فى هذه المنطقة . ويذهب البعض إلى القول بأن تأييد ستالين لإقامة دولة يهودية كان مدفوعاً بالاتجاه المعادى لبريطانيا أكثر منه بالاعتبارات المؤيدة لإسرائيل (١) وأن هذا التأييد كان جزءا من مجهود متناسق لضرب بريطانيا بالقوة الرئيسية فى الشرق الأوسط ، وأن الذى حرك ستالين فى أعوام ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ لم يكن العطف على الدولة المستقبلة بقدرماكان الكره للغرب(٢) وأن هدف التصويت السوفيتى لصالح تقسيم فلسطين كان هو طرد البريطانيين كخطوة أولى لتحقيق الانسحاب الغربى من الشرق الأوسط ، وأن الكرملين اعتقد أن خلق الدولةاليهودية المستقبلةبقوميتها المتطرفة سيؤدى إلى إزالة الاستعمار البريطانى أكثر مما تؤديه الدولة العربية الموحدة .

السبب الثانى : أن الاتحاد السوفيتى كان يهدف إلى خلق نواة للاضطرابات فى الشرق الأوسط وذريعة للتدخل فى المنطقة كوسيلة لنشر الشيوعية ، وأن الاتحاد السوفيتى أراد أن يكون ذلك نواة لتدخله فى المنطقة بخلق موطئ له فيها (٣) .

---

(1) Dallin David J. Soviet Foreign Policy After Stalin, London : Methue, and Co. Lt., 1960 p. 111.

(2) Ibid pp. 75–79.

(٣) محمد السيد سليم ، الاتحاد السوفيتى و القضية الفلسطينية « السياسة الدولية » يوليو ١٩٦٩ ص ٤٣ – ٤٤ .

وهناك رأى آخر يرى أن التأييد السوفيتى للدولة اليهودية المستقبلة فى فلسطين لا يرجع إلى أى تعاطف سوفيتى مع الصهيونية بل كوسيلة لقلب الأوضاع فى العالم العربى الذى لم يكن للشيوعية أى أمل فى الوصول إليه مباشرة فى ذلك الوقت (١) .

ولابد أن يكون السوفيت قد قارنوا بين المجتمع اليهودي الذى يؤسس المزارع الجماعية وبين الحكومات الرجعية العربية فى ذلك الحين التى تربط بعضها مع بريطانيا ، ولاحظ أن المجتمع اليهودى يمكن أن يكون حقلا أسهل لنشاط الشيوعية فى بلدان الشرق الأوسط الأخرى ، وقد عبر جروميكو يوم ١٤ مايو عام ١٩٤٧ فقال ، « إذا كان من المستحيل إقامة دولة موحدة فلا مناص من التقسيم إلى دولتين » وهكذا توجه الاتحاد السوفيتى نحو اليهود بالموافقة على التقسيم وقال للعرب إذا كانت بريطانيا والولايات المتحدة تمنع إقامة دولة موحدة فإننا نقبل التقسيم مضطرين .

وعموماً يعتبر الاتحاد السوفيتى — فى هذه الفترة — أقوى سند للدولة اليهودية المستقبلة فلسطين فهو لم يقترع فقط لصالح مشروع التقسيم فى عام ١٩٤٧ بل إنه بادر فى أثناء المناقشات التى جرت أمام الأمم المتحدة إلى الدفاع دفاعا قوياً عن الدولة اليهودية .

---

(١) الدكتور/صلاح العقاد : قضية فلسطين المرحلة الحرجة ، مرجع سابق ص ٥٠ .
وانظر أيضا :

Comunist tactics in Palestine, in : Middle East Journal Year 1948–1949 New York.

قرار تقسيم فلسطين :

كان أهم فقرات قرار(١) تقسم فلسطين ما يلى :

١ – إنهاء الانتداب البريطانى على فلسطين فى أول أغسطس ١٩٤٨ على الأكثر .

٢ – جلاء القوات البريطانية تدريجياً قبل أول أغسطس ١٩٤٨ .

٣ – جلاء البريطانيين قبل فبراير ١٩٤٨ عن أحد الموانى وعن ممر يربط هذا الميناء بالأراضى المخصصة للدولة اليهودية ، وذلك لتسهيل أعمال الهجرة .

٤ – ألا يتأخر قيام الدولتين المستقبلتين اليهودية والعربية وكذا النظام الدولى الخاص بمدينة القدس عن أكتوبر ١٩٤٨ .

٥ – قيام السلطات البريطانية عند جلاء قواتها بتسليم السلطة تدريجيا إلى لجنة تابعة للأمم المتحدة مكونة من خمسة أعضاء .

٦ – قيام لجنة للأمم المتحدة بتكوين حكومة موقتة فى أسرع وقت لكل من الدولتين وإذا لم ينجح هذا الإجراء حتى أول أبريل ١٩٤٨ عليها تقديم تقرير بذلك إلى مجلس الأمن .

٧ – يكون للحكومتين المؤقتتين السلطات الكاملة لإنشاء حرس وطنى مسلح .

وواضح أن هذا القرار ربما كان القرار الوحيد الذى عارضته جميع الدول الأفرو آسيوية بينما كانت الدول الكبرى تؤيده بحماس ، وأن هذا الموقف لا ينبغى قط أن يغيب عن ناظرنا ونحن نحاول تقرير الحقيقه فى المشكلة الفلسطينية .

---

(١) انظر تفصيلا بالانجليزية : المحاضر الرسمية للجلسة الثانية للجمعية العامة فى اجتماعها رقم ١٢٨ ص ١٤٢٤ – ١٤٢٥ ، قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ فى :

Year Book of the United Nations New York United Nations, Department of Pub ic Information 1947–1948.

كذلك فقد ارتفع عدد السكان اليهود بواسطة الهجرة إلى حوالى ٦٥٠،٠٠٠ نسمة ، وكان عدد السكان العرب حوالى ١،٣٥٠،٠٠٠ وهذا يعنى أنه فى وقت التقسيم كان العرب يكونون ٦٧،٥٪ من سكان فلسطين بينما كان اليهود يكونون ٣٢،٥٪ فقط ، وبالرغم من الضغط الذى لم يسبق له مثيل فإن الأراضى المملوكة لليهود فى فلسطين بلغت نسبتها ٦٪ فقط من المساحة الكلية للبلاد ، ومع هذا فقد قسم القرار القطر الفلسطينى على النحو التـــالى :

(ا) أعطى الدولة اليهودية أكثر من ٥٦٪ من المساحة الكلية — أى أكثر من عشرة أضعاف الأرض التى كان يملكها اليهود .

(ب) أعطى الدولة العربية ٤٢٪ فقط من مساحة فلسطين مع أن العرب كانوا يكونون ٦٧،٥٪ من السكان وكانوا يمتلكون أكثر من ٩٤٪ من المساحة الكلية .

(ج) وضع ٤٩٧،٠٠٠ عربى يمثلون ٣٧٪ من مجموع السكان العرب تحت حكم الدولة اليهودية .

(د) انشئت منطقة دولية تضم القدس ، وخصصت لها ٦،٥٪ من المساحة الكلية لفلسطين .

وبناء على قرار ٢٩ نوفمبر بادر مجلس الأمن إلى تشكيل لجنة خماسية من الدول الصغرى التى وافقت على التقسيم وذلك لمتابعة تنفيذ المشروع ، وقـــد شكلت من بوليفيا والفلبين وتشيكوسلوفاكيا ؛ وأختيرت الأخيرة لرئاسة اللجنة ، وكان من أهم اختصاصاتها التمهيد للاتحاد الاقتصادى الذى لابد من وجوده لاستمرار حياه الدولة العربية ، وأنه لمن سخرية القدر حقا أن تترك هذه الدولة العربية التى تمثل شعب فلسطين العربى والأصيل فى أرضه بحاجة مستمرة إلى مساعدة الدولية اليهودية التى تمثل الشعب الطارئ والأجنبى .

نتائج ورود فعل قرار التقسيم :

صوتت ثلاث وثلاثون دولة فى صالح التقسيم – وقد رأينا أن تصويت بعض الدول لم يكن مصحوبا بالحماس ، وإنما جاء نتيجة الضغط الأمريكى ، ولقد ترددت بعض الدول بالفعل ، ولكنها – فى تأنيب من الضمير – كما قال المندوب الكندى عقب صدور القرار – اختارت تلك الدول أقل الحلول سوءا من بين الحلول الأربعة المعقدة والخطيرة التى كانت معروضة عليها ، وأضاف المندوب الكندى إلى ملاحظته السابقة بقوله :

« أننا نختار التقسيم بقلوب مثقلة بالأحزان والهموم » .

أما وزير خارجية بلجيكا فقد قال (١) : « لسنا على ثقة تماما من أن هذا الحل ينطوى على العدل كله . بل أننا لسنا على ثقة من أن هذا الحل قابل للتطبيق . . ولكن هل كان لدينا حل آخر نوجه إليه اختيارنا ؟ أن كل ما كان معروضا علينا هو أما الأخذ بهذا الحل وإلا فلا حل هناك أبدا » .

أما المندوب الأمريكى فكان على شىء من الطرافة حين قال « نحن نأمل أن تصبح الحدود الفاصلة بين هاتين الدولتين خطا يسوده من الود والصداقة قدر مايسود الثلاثة آلاف من الأميال التى تمتد فيها بين كندا والولايات المتحدة » .

نتائج ورد الفعل الصهيونى :

الفترة من صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

استقبل اليهود فى فلسطين قرار الأمم المتحدة بحماس لإيدانيه حماس وأخذت الصهيونية – بجهد متواصل وعمل دائب – توحد صفوفها العسكرية وتجمع قوى منظماتها الارهابية وتنسق بين أنشطتها وتضع الخطط للقضاء على عروبة فلسطين وتحدد لخططها هذه اتجاها استراتيجيا معينا هدفه اجبار

---

(1) Aleun, op. cit, pp. 287–289

العرب على ترك أراضيهم وممتلكاتهم وازعامهم على النزوح عن فلسطين واتخذ الاتجاه الاستراتيجى شكل حرب « الإبادة والارهاب » كوسيلة للاستيلاء على الأرض والتخلص من الشعب العربى فى فلسطين فى نفس الوقت ، ثم الادعاء بعدئذ بأن العرب هم الذين غادروا البلاد بمحض إرادتهم ، ولم يجبرهم أحد على ذلك حتى قبل أن يبدأ القتال الفعلى ، بل وقبل إعلان الدولة اليهودية .

وقد ذكر (١) جلوب باشا أنه فى أحد أيام شهر ديسمبر عام ١٩٤٧ كان ضابطا بريطانيا كبيرا فى الفيلق العربى يقوم بزيارة حاكم بريطانى لإحدى المناطق فى فلسطين وقد حضر الزيارة ضابط يهودى يعمل تحت امرة الحاكم البريطانى ، وفى ذلك الوقت كان قرار التقسيم قد صدر حديثاً ، وسأل الضابط البريطانى مرءوسه اليهودى عما إذا كانت الدولة اليهودية الجديدة لن تتعرض لكثير من المتاعب الداخلية نظراً لأن السكان العرب فى الدولة اليهودية سيكونون مساوين لليهود عدداً ؟ وأجاب الضابط اليهودى : « أوه . لا . . أن هذا سيحسم ، فقليل من المذابح سيخلصنا حالا منهم » .

وفى ٢٤ مارس ١٩٤٨ حذر مندوب الوكالة اليهودية فى مجلس الأمن : « بأن الشعب اليهودى سيعارض أى اقتراح إلى منع أو تأجيل إقامة الدولة اليهودية ، وبأنه لدى انتهاء حكم الانتداب فى ١٦ مايو ١٩٤٨ على أبعد تقدير ستبدأ الحكومة اليهودية المؤقتة عملها بالتعاون مع مندوب الأمم المتحدة فى فلسطين (٢) » .

أما الشيوعيون اليهود فى فلسطين فقد انقسموا إلى فريقين ، فريق صغير تغلبت عليه النزعة الوطنية فنادى بمزيد من الهجرة لتأسيس الوطن القومى ، أما الفريق الأكبر تحت زعامة مايير فلنر فقد دعا إلى تعايش الجنسين تحت

---

(1) Glubb: Soldier with the Arabs: hodder: London, 1956 pp. 45–46.

(2) United Nation : Documents A/555 Official Records of third session of the general Assembly pp. 5–9.

قيادة العناصر التقدمية ورفع الشعارات القائلة بأن هذه العناصر هى التى ستعمل على تحرير الشرق العربى وليس فلسطين وحدها من الاستعمار البريطانى ، وعارض هذا الحزب فكرة التقسيم

كذلك صمم الصهاينة على إحباط كل محاولة يقوم بها مجلس الأمن قد تبطل هذا التقسيم ،وذلك بأن أخذوا أولا المبادرة لمجابهة الأمم المتحدة بالأمر الواقع ، وحث بن جوريون قادته العسكريين على العمل وتحديد الابعاد الحقيقية للصراع المقبل وكان ينادى بأن الخلاف مع بريطانيا خلاف سياسى . . بينما هو خلاف مصيرى مع العرب لاتحسمه إلا الحرب ، ثم حدد بن جوريون عوامل النصر فى هذا الحرب قائلا :

« ان العامل الوحيد الذى يمكن أن يجىء بالنصر هو الجهد الشامل ليهود فلسطين واليهودية العالمية ، جهد شامل منسق فى المستعمرات الزراعية ، الهجرة غير الشرعية ، الكفاح المسلح ، النضال السياسى فى حلبة الصراع الدولى » .

وقد نجحت الصهيونية فى تكوين قوتها السياسية والعسكرية المهيأة للانقضاض المبيت ؛ وكان لها الوكالة اليهودية والاتحاد العام للعمال اليهود (الهستدروت) والمجلس الوطنى اليهوى (فئاد ليئومى) والمنظمة العسكرية السرية (الهاجاناه) ، وقد اشتركت هذه الأخيرة مع الجماعتين المنشقتين عنها وهما الآرجون زفاى ليئومى واشتركت فى شن هجمات على السكان العرب وكان الهجوم متعمدا كما صرح بذلك دووف جوزيف وزير العدل الإسرائيلى الأسبق — بهدف حمل عرب يافا وطبرية وغيرهما من المدن والمناطق التى خصصتها الأمم المتحدة للدولة اليهودية — على مغادرة وطنهم واللحاق باخوانهم فى المناطق العربية من التقسيم .

ومن أبشع الجرائم التى ارتكبت وأكثرها بربرية مذبحة قرية دير ياسين ،

ففى ٩ ابريل عام ١٩٤٨ أغارت القوات الصهيونية على القرية وأعملت القتل بلا تمييز فى الشيوخ والنساء والأطفال وبقرت بطون الحوامل وقطعت الأطفال إربا أمام أعين أمهاتهم ثم قتلتهن ، وألقت الأطفال الآخرين فى أحواض المياه بعد أن انتزعتهم من صدور أمهاتهم وقتلت الآباء والأمهات أمام أطفالهم ، والقلة القليلة التى بقيت حية من النساء والأطفال جردوا من ملابسهم ووضعوا فى عربات مكشوفة طافت بهم فى الأحياء اليهودية بالقدس ثم ألقوا وطردوا إلى المنطقة العربية بالمدينة .

وقد وصف كاتب بريطانى موالى لإسرائيل الحادث فقال (١) :

« لقد كانت مذبحة دير ياسين أسود بقعة فى سجل اليهود طوال فترة القتال ، ولقد بررت هذه المذبحة على أساس أنها أدت إلى فزع بقية العرب وفرارهم من مناطق الدولة اليهودية ، وقلل هذا من خسائر اليهود فى الأرواح » .

ومن الغريب أن الوكالة اليهودية (٢) بعثت بخطاب إلى الملك عبد الله تبدى فيها أسفها لما حدث وتعرب عن استيائها واشمئزازها من هذه التصرفات البربرية معلنة تنديد الرأى العام اليهودى بهذه المذبحة الوحشية ، والحقيقة أن الوكالة اليهودية تعتبر مسئولة عن أعمال هذه العصابات حيث

---

(١) ان الدراسات التالية ذكر فيها الروايات المتصلة بدير ياسين :

Jacqües de Reynier, A Jersalem un drapeau, Paris 1958 pp. 72–213.

R. M. Graves, Experiment in Anaurchy, London 1949 p. 179. Men–ahem Pegin, The Revolt : Story of the Irgun, Trans Bamuel Rats, New York, 1951, pp. 162–165.

Arther Koestler, Promise and Fulfillement;

Palestine, 1917–1949 New York 1949 p, 1?0.

(2) Kimch, John, Seven Fallen Pillars, The middle East 1915 – 1960 New York, Praeger, 1953 p 228.

Aleum, op. cit, pp 318 – 319.

هذه الوكالة هدفها التأثير النفسى على الشعب الفلسطينى إلى حد كبير ، ذلك أن الصحف العربية وأجهزة الدعاية نشرت على نطاق واسع أخبار هذه المذبحة على أمل أن تحرك الرأى العام العالمى ضد اليهود ، ولكن هذا الأسلوب أتى بعكس ما كان يرجوه العرب ، وكانت نتيجته هى مغادرة السكان العرب ديارهم مما أتاح للصهاينة فرصة لم يكونوا يتوقعونها وهى وجـود مناطق خالية صالحة لسكنى المهاجرين الجدد ، عند إعلان الدولة .

وبقدر المستطاع حاول العرب أن يثأروا لمذبحة دير ياسين ففى ١٣ أبريل هاجموا قافلة يهودية متجهة إلى مستشفى هاداسا على جبل سكوبس وقتلوا المسافرين فيها ومنهم عدد من الأطباء والأساتذة مما أعطى لليهود فرصة لإثارة ضجة عالمية حول هذا الحادث لأنه يتعلق بسلامة مستشفى والجامعة العبرية ، كذلك فكر العرب فى مهاجمة مستعمرة النبى يعقوب الواقعة فى طريق القدس ، وكان عبد الله التل قد إستعد لهذا العمل يوم ٨ أبريل فتدخلت بريطانيا لمنعه من ذلك مع أنها وقفت موقف الحياد حينما ارتكب اليهود فظائعهم فى دير ياسين(١) .

وما جرى فى دير ياسين جرى بعد ذلك فى قرى نصر الدين وعيلوت وسوكر وحواش وحلدسن ــ شيح وغيرها ، إلا أن دير ياسين كانت ــ بحق ــ بداية النزحـــة الكبرى التى ألقت خارج فلسطين بما يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ عربى غادروا منازلهم ومزارعهم فى المناطق الفلسطينية التى خصصت لليهود ، وأصبح عرب فلسطين لاجئين(٢) .

وقد حاول الصهاينة إقناع الرأى العام العالمى بأن العرب قد رحلوا بمحض إرادتهم وانهم لم يطردوا ، ولعل تصريح جلوب باشا كقائد للفياق العربى وقت هذه الأحداث يلقى ضوءا على هذا الإدعاء ، فهو يقول :

---

(١) عبد الله التل : كارثة فلسطين ، القاهرة ، دار القلم ١٩٥٩ ص ص ٥٠ – ٥٩

(٢) المشكلة الفلسطينية وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيرة – المؤتمر الأول للبرلمانيين وحقوق قضية الشرق الأوسط ٢ – ٥ فبراير ١٩٧٠ اصدار مجلس الأمة (مجلس الشعب حاليا) فى جمهورية مصر العربية نقلا عن : فورين افيرز – العنف على الحدود الأسرائيلية الأردنية – يوليو ١٩٥٤ .

« ليس حقا أن اللاجئين العرب رحلوا بمحض إرادتهم كما اقنعت الدعاية الأوروبية العالم بذلك فى البداية ، فمن يهاجرون بمحض إرادتهم لا يتركون ديارهم وهو لا يحملون إلا ملابسهم على ظهورهم ، والذين يقررون التوجه للإقامة فى مكان آخر لا يرحلون بهذه السرعة بحيث ينفصل أفراد العائلة الواحدة فيفقد الزوج زوجته أو يفقد الآباء أبناءهم ، وإنما الواقع هو أن الغالبية هربت لأنها وجدت نفسها فريسة للرعب والإرهاب ، وكانت المذابح التى تحدث من آن لآخر سببا فى طردهم إلى أماكن أبعد وأبعد وليس ذلك لأنه قد راح ضحية لهذه المذابح أعداد كبيرة من الناس فى آن واحد وإنما لأن عددهم كان كافيا لدفع الآخرين على استمرار فى النجاة بأنفسهم »

كذلك قام الكاتب البريطانى ارسكين تشايلدرز بالتحقق بنفسه من كذب الادعاء الصهيونى وذلك بمراجعة تسجيلات الإذاعات العربية لهذه الفترة والموجودة لدى هيئة الإذاعة البريطانية وكتب يقول(١) :

« لم يصدر أقرار واحد أو نداء أو تنويه بمغادرة فلسطين من أى محطة من محطات الاذاعات العربية فى فلسطين أو خارجها » .

ويؤكد مناحم بيجن مدى الذعر الذى حاق بالعرب نتيجة لما حدث فى دير ياسين بقوله(٢) :

« إن القوات اليهودية شرعت فى التقدم فى حيفا كالسكين فى قالب الزبد بعد أن أخذ العرب يولون الأدبار » .

ولم تقتصر أعمال الارهاب الوحشى عـــلى المناطق المخصصة للدولة اليهودية ، فحتى قبل يوم ١٤ مايو — أى قبل إعلان الدولة — كانت العصابات

---

(١) ارسكين تشايلدرز : الطريق الى السويس ترجمة خيرى حماد —القاهرة — بدون تاريخ

(2) Begin, Menahen , The Revolt, Story of the Irgun, Tel, Aviv Hadder Publishing 1964.

الصهيونية قد انقضت على المنطقة التى خصصتها الأمم المتحدة للدولة العربية فى فلسطين واحتلت أجزاءا منها وضمتها إلى الأراضى اليهودية ، فمدينة يافا التى كانت جزءا من الدولة العربية الفلسطينية وفقا لخطة الأمم المتحدة احتلت يوم ٢٦ أبريل ١٩٤٨ ومدينة عكا التى كانت موجودة أيضا جزءا من الدولة العربية الفلسطينية احتلت يوم ٤ مايو عام ١٩٤٨ .

نتائج ورد فعل الرأى العام العربى :

الفترة من صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

رفض العرب بطبيعة الحال — قرار تقسيم فلسطين — وما انتهى الاقتراع فى الجمعية العامة للأمم المتحدة حتى أعلن ممثلوا العربية السعودية وسوريا والعراق واليمن أن حكوماتهم لا تعتبر نفسها ملزمة بقرار التقسيم الذى صدر لتوه ، وبعد ذلك بأيام قليلة صدرت مقترحات رسمية تؤيد هذا الاتجاه من جانب العرب ، وفى الوقت نفسه اندلعت المظاهرات الدامية فى كل من دمشق وحلب حيث أحرق ٣٠٠ منزل وأحد عشر معبدا فى الحى اليهودى كما انتشرت المظاهرات فى عدن وفى بغداد حيث قتل ٧٥ من اليهود ، ٣٤ من العرب .

وفى فلسطين — كان يوجد حزب شيوعى عربى يسمى نفسه العصبة العربية للتحرر الوطنى يرأسه فؤاد نصار الزعيم النقابى ، وقد قدر اتباعه بنحو ٢٠ ألفا وكان يصدر فى حيفا جريدة الاتحاد ، وعندما أعلن الاتحاد السوفيتى تأييده للتقسيم ، اجتمعت الأحزاب الشيوعية فى الشرق العربى لتلائم نفسها مع الأوضاع الجديدة ، وأضطرت جريدة الاتحاد إلى إعلان قبولها للتقسيم قائلة أنها توافق على ذلك مرحليا حتى تمر البلاد من الاستعمار البريطانى ، ولم يقتنع أحد بهذا التبرير ، لذلك تعرض الشيوعيون العرب لهجمات شديدة أثر صدور قرار التقسيم ، فوضع الحزب الشيوعى السورى

خارج القانون وهاجمت الجماهير مراكزه فى حلب ودمشق ، كما هاجمت المركز الثقافى السوفيتى فى العاصمة السورية .

وناقشت برلمانات الدول العربية قرارات التقسيم وفندتها وهاجمتها وأقبل الشباب العربى فى كل مكان يقدم نفسه للتطوع وهو لا يجد منظمة ثابتة واضحة تقبله وتشرف(١) عليه وانتهت كثير من هذه المظاهرات بسفك الدماء فى فلسطين ذاتها ، واضطرت جامعة الدول العربية إلى عقد لجنتها السياسية فى القاهرة يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٧ ، وحضر رؤساء الوزارات إلى عاصمة مصر لكى يجدوها صاخبة غاضبة مليئة بالمظاهرات ، وأذاعوا بيانا نددوا فيه بإقامة الدولة اليهودية فى قلب العالم العربى .

والحقيقة أن هذه الأوضاع تعكس الواقع العربى فى هذه الفترة — كما سوف تشير إلى ذلك تفصيلا فيما بعد — وعموما فقد كان الواقع العربى عند وبعد إقرار مبدأ التقسيم من أهم العوامل التى ساعدت على إقامة الدولة الصهيونية واستيلائها على مساحات كبيرة خارج حدود التقسيم ، فقد كان الواقع الرسمى والشعبى أعجز من أن ينتصر فى معركة الحفاظ على عروبة فلسطين ، فدول الجامعة العربية كانت فى حالة يرثى لها من الفرقة والانهيار. فقد كان الحكم فى مصر فاسدا وكانت قوات الاحتلال البريطانى وتقدر بـ ٨٠ ألف جندى ترابط على إمتداد قناة السويس وتتحكم بذلك فى مصير الجيش المصرى شرق القناة بقطع الامدادات عنه إذا تطلب الأمر ، ولم يتقرر دخول الجيش المصرى شرق القناة يقطع الامدادات عنه إذا تطلب الأمر ، ولم يتقرر دخول الجيش المصرى إلى فلسطين إلا قبل موعد انتهاء الانتداب

---

(١) دكتور جلال يحيى : العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ص ص ٢٦٧ — ٢٩٨ .

. دكتور جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ص ٢٣٤—٢٣٨ .

البريطاني بثلاثة أيام(١) . ومعنى هذا أن الجيش المصرى لم يهيأ للقتال .

أما الحكم الهاشمى فى الأردن والعراق فكان ضليعا مع بريطانيا وأمريكا فى تنفيذ مخططاتها ، فقد كان الجنرال جلوب هو قائد الجيش الأردنى وكان جميع كبار الضباط فى هذا الجيش من الانجليز ويمكن إعتبار ما اعترف به جلوب(٢) دليلا ماديا على مدى إنعدام الإدارة الأردنية وسيطرة الإرادة البريطانية حيث يقول جلوب : « ان إرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا قال لتوفيق أبو الهدى رئيس الوزارة الأردنية : لا تذهبوا لمهاجمة المناطق المخصصة لليهود ، ورد عليه أبو الهدى : ليس عندنا القوات اللازمة لهذا الهجوم ، حتى لو أردناه »(٢) .

وكان الحكم فى العراق لا يختلف عن طبيعة الحكم الهاشمى فى الأردن وتمثل تخاذل الحكم الهاشمى العراقى الذى دخل فلسطين ليكون محررا لها .. كان مشلول الارادة عاجزا عن الحركة ، ثم تمثل التخاذل عندما انسحب الجيش العراقى تحت ستار عنيف من الدعاية المستندة على الامتناع عن المشاركة فى اتفاقيات ردوس الخاصة بالهدنة — فيما بعد —

وكان الحكم فى السعودية يزايد على الملوك والرؤساء العرب دون أن يحاول خدش المصالح الأمريكية .

أما سوريا فقد كانت الطبقة الحاكمة هى طبقة الاقطاعيين والرأسماليين وكانوا أعجز من أن يضعوا امكانيات سوريا فى المعركة أو أن يتجاوبوا مع الموقف العربى ، وكذلك كان الحال فى لبنان وزاد عليه تركيبها الطائفى العجيب .

وقد انعكس ذلك فى القرارات السرية التى اتخذتها الحكومات العربية فى نطاق الجامعة العربية وكانت صورة للواقع العربى ، فعندما عقدت اللجنة السياسية للجامعة العربية اجتماعا سريا فى القاهرة فى ١٩٤٧/١٢/١٨ وبعد

---

(١) اعترافات الفريق عثمان مهدى رئيس أركان حرب الجيش المصرى والدكتور اسكندر الوزير فى وزارة النقراشى أمام محكمة الجنايات — الأهرام ٢٤ مايو ١٩٥٣ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٥٣ .

(2) Glubb›› Soldier with the Arabs op...cit, p 66.

ثلاثة أسابيع من إقرار التقسيم كان القرار ينص على « العمل على إحباط مشروع التقسيم والحيلولة دون قيام دولة يهودية فى فلسطين ، وعلى الاحتفاظ بفلسطين عربية موحدة » . أما كيف يكون العمل على تحقيق هذا فان الواقع العربى كان أعجز من أن يحدده وأصبح القرار حبرا على ورق (١)

الشعب الفلسطينى وجيش الانقاذ :

شاركت مصر وســوريا فى إنشاء جيش الانقاذ وإمداده بالمتطوعين ، أما القيادات الاقليمية لفلسطين فكانت تواجهها الصعوبات فى هذه المرحلة ، فالكثير منهم فى المنفى وكان الحاج أمين الحسنى بعيدا عن فلسطين ، كما أن علاقة الملك عبد الله بمشكلة فلسطين لم تكن لتسمح للقيادات الفلسطينية بأخذ مسئوليتها فى المعركة ، وكان وجود الملك عبد الله بقواته العربية النظامية كعضو فعال فى جامعة الدول العربية يظهر وكأنه أكثر فعالية من وجود القيادات العربية الفلسطينية المجاهدة ، أو هكذا ظهر على هذه الصورة فى تلك المرحلة من مراحل المشكلة .

وبدأ عرب فلسطين — بامكانياتهم المحدودة(١) — يقاتلون اليهود فى كل فرصة تسنح لهم ، ولكن علينا أن نأخذ فى الاعتبار أخطاء الحاج أمين الحسينى ، فالبرغم من أنه كان راغبا حقا فى منع وقوع النكبة إلا أنه كان من طراز زعماء العشرينات ، فهو لم يتطور مع الزمن ليكون قادرا على مواجهة المسئولية الكبرى الجديدة حيث كان يعتقد أن حرب العصابات — على طراز الثورات العربية ضد الحكم البريطانى — هى المناسبة لمواجهة اليهود ، وقد أمدت الحكومة المصرية الحاج أمين الحسينى بألفى بندقية بحالة جيدة لتوزيعها على جيش الانقاذ وثبت فيما بعد أنه لم يرسل إلى هذا الجيش

---

(١) عبد الله التل ، كارثة فلسطين ، مرجع سابق ص ٣

دكتور / محمد أنيس ، الدكتور / السيد رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر مرجع سابق ص ص ٥٨٩ — ٥٩١ .

Aleum, op. cit, pp 237 – 238.

سوى ١٢٠٠ بندقية قديمة واحتفظ بباقى الأسلحة فى بيته ، وقد اكتشف هذا الأمر عندما وقع انفجار فى الأسلحة المخزونة فى بيته بضاحية الزيتون بالقاهرة بعد انتهاء حرب فلسطين ، وهكذا تأخذ على الحاج أمين الحسينى تقصيره بهذا الخصوص الذى يعتبر خطأ فاحشا ترتب عليه ضرر بالغ حاق بالشعب الفلسطينى .

ومن جهة أخرى فكثيرا ما كان أحمد فراج طايع قنصل مصر بالقدس حينذاك ، يبعث الرسائل الملحة التى تستحث الحكومة عـلى مزيد من المساعدات لتلك اللجان الفرعية التى تشكلت للدفاع عن القرى والمدن الفلسطينية ، وقد أورد استغاثة اللجنة الموكلة بالدفاع عن نابلس فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٤٧ يشكو فيها من عدم وصول الأسلحة المقررة لتلك اللجنة ، ومما تضمنته هذه الرسالة عبارة لها مغزى هام فقد ذكر أنه لم تبادر الحكومة المصرية إلى مساعدة المجاهدين الفلسطينين فانهم سيتحولون إلى الملك عبد الله يرجون منه التدخل للدفاع عنهم . وكان القنصل المصرى لم يجد أسلوبا لاقناع حكومته أفضل من التهديد بان الملك عبد الله سيحول الموقف لمصلحته الخاصة ، ثم يستطرد القنصل المصرى موجها الانتقاد للهيئة العربية العليا وجيش الجهاد المقدس الذى يعتبره البعض اسما على غير مسمى وإلى مفتى فلسطين الذى يعتبره غير ملم تماما بالأوضاع فى فلسطين آنئذ لأنه يقيم بعيدا عنها وهو ما أضر ايما ضرر بمشكلة فلسطين ويؤكد أحمد فراج طايع ذلك بقوله(١) — نقلا عن رئيس لجنة بلدية القدس — جريفز — « إن عدم خضوع المناضلين العرب إلى قيادة منظمة كان سببا فى ضياع كمية هائلة من الذخيرة التى كانت تطلق بغير داع ، وان كثيرا من المعارك التى كانت تدور كانت تحدث بدون تصريح للمناضلين العرب » .

كذلك كان مفتى فلسطين يستمـــد معلوماته من الصحف

---

(١) أحمد فراج طايع : صفحات مدوية عن فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٧٠ — ٨٣ والفقرات الواردة فى المتن نقلا عن كتاب « تجربة فى الفوضى لجريفز الذى كان رئيساً لجنة بلدية القدس فى عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ .

الفلسطينية أو المصرية ، ولذلك كان يصدر بلاغات عن نتيجة المعارك بين العرب واليهود لاتتفق مع الحقيقة .

ومما يوجه إلى الهيئة العربية العليا من انتقاد — أيضا — أنها لم تعمل على تعبئة الشعب الفلسطيني ويشترك في هذا التقصير أيضا جامعة الدول العربية لأنها لم تعمل على تجنيد الفلسطينيين في جيش الانقاذ ، ولم تبادر إلى ارسال السلاح لحماية القدس بعد ذلك وبالتالى فقد أصبحت الهيئة العربية العليا — فيما بعد — غير ذات موضوع بعد أن فشلت فشلا ذريعا في أداء واجبها نحو الشعب الفلسطيني الذى أولاها ثقته .

الموقف العربي بعد قرار التقسيم وحتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

حينما صرح العرب بتحديهم لقرار التقسيم ، كان ذلك يعنى ضمنا أنهم سيستخدمون القوة لمنع تنفيذه ، وإذا تتبعنا الاجتماعات الخمس التى عقدتها الجامعة العربية بشأن مشكلة فلسطين خلال العامين السابقين ، نلاحظ أنها خصصت لبحث الوسائل السياسية والاقتصادية ، والأمر الجدير بالملاحظة أن ممثلى الحكومات العربية حينما كان يلتئم شملهم فى هذه الاجتماعات ؛ كانوا يتظاهرون بالاتفاق على الخطط الموضوعة ولذلك كانت تلك الخطط تبدو فعالة ومناسبة حينما توضع على الورق ولكن عندما تنتقل إلى التنفيذ تعود كل دولة إلى اتخاذ الموقف الذى تمليه عليها أنانية الحكام ، وهو ما أدركته الصهيونية ، وأن تصريحات الزعماء العرب لاتؤخذ مأخذ الجد بل أنها نوع من الديماجوجية لإرضاء عواطف الجماهير .

وإذا استعرضنا موقف كل دولة عربية تفصيلا خلال هذه الفترة نلاحظ الآتى :

١ — موقف مصر :

ماإن تصاعدت المشكلة الفلسطينية إلى هذا المدى فى أواخر ١٩٤٧ حتى اجتاح الرأى العام المصرى سخط عارم وبدأت الإضرابات والمظاهرات ، وكان أولها إضراب دعا إليه الحزب الوطنى ومصر الفتاة والإخوان المسلمون ؛

وأعلن عن اعتبار يوم ٤ أكتوبر يوم طوارىء حيث عقدت اجتماعات لهيئات الشباب مطالبة بجلاء الإنجليز عن فلسطين وإلغاء الانتداب وأن توجه الجهود العربية ضد الصهيونية ثم تكونت « هيئة وادى النيل العليا » لإنقاذ فلسطين ونظمت حملات التبرع والدعوة لإنشاء كتائب التحرير(١) .

وكان الإخوان المسلمون ومصر الفتاة على رأس التنظيمات السياسية المصرية فى تأييد الكفاح المسلح ضد الصهيونية ونظر كلاهما لمشكلة فلسطين وللجهاد من أجلها على أنها حرب مقدسة وطنية ودينية ضد الصهيونية ، وكانت المظاهرات تتحول أحيانا إلى أعمال الثأر من اليهود المقيمين فى مصر بتدمير بعض المتاجر والمحال ، ومع تصاعد الموقف ، أعلنت مصر الفتاة عن تأليف عدة أفواج للنضال ضد الصهيونية فى فلسطين وسافر أحمد حسين مع هذه الأفواج إلى سوريا باعتبارها خط الدفاع الأساسى ، كما كون الإخوان المسلمون كتائب للجهاد وإقامة معسكرات للجبهة الجنوبية بفلسطين (٢) .

ومنذ أواخر ١٩٤٧ نشط الإخوان المسلمون فى فتح المعسكرات ودعوة شبابهم لحمل السلاح والاتصال بالمجاهدين العرب لمدهم بالسلاح وعندما رفضت حكومة النقراشى طلبهم تسللت مجموعات منهم إلى فلسطين من سيناء وبدءوا القتال الفعلى ومهاجمة المستعمرات اليهودية فى فبراير ١٩٤٨ رغم قلة عددهم وضعف أسلحتهم ، ورابطت أولى قواتهم فى النقب وبدأت معاركها الأولية فى كفار ديروم فى ١٤ إبريل كما ذهبت قوة ثانية لهم إلى معسكر قطنة بسوريا لتستكمل تدريبها وتنضم إلى الأولى ، ثم تقدم شباب منهم للعمل تحت قيادة الجامعة العربية وشكلت منهم ثلاث كتائب أتمت تدريبها فى معسكر « هاكستب » فى إحدى ضواحى القاهرة ثم تسللت إلى فلسطين ، وكان يقود الكتيبة الأولى من متطوعى الجامعة العربية الشهيد أحمد عبد العزيز وكانت القوات المتطوعة

---

(١) الأهرام فى ١٩٤٨/١/١ والأعداد التالية .
(٢) الأهرام فى الفترة من ٢ — ٢٧ يناير ١٩٤٨ .

خليطا من الإخوان المسلمين وغيرهم من الشباب المصرى الحر»(١) .

أما سياسة حزب الوفد، فقد كانت هى الأخرى تؤيد شعب فلسطين فى كفاحه فقد أكد الزعيم المصرى مصطفى النحاس لمندوب صحيفة الأيام السورية أنه يؤيد أن تكون فلسطين لأهلها مسلمين أو نصارى أو يهود و لكنه لا يقبل بحال أن تكون وطنا قوميا للصهيونية وقال النحاس أنه أعلن ذلك فى بروتوكول الإسكندرية الذى صدر فى عام ١٩٤٤ بإنشاء الجامعة العربية(٢) ، كما عارض حزب الوفد فى وضوح تقسيم فلسطين .

وبالنسبة لموقف الحركة الماركسية فى هذه الفترة فإننا نجد أن صحيفة الفجر الجديد ، كتبت فى ١٦ يونيو تهاجم الصهيونية وتناصر كفاح الشعب الفلسطينى ، كما أن برنامج لجنة العمال للتحرير القومى تضمن بندا خاصا بمكافحة الصهيونية وتأييد الشعب الفلسطينى فى نضاله ، كما كتبت صحيفة صوت الأمة فى ٢٢ أبريل تندد بالدعوة الصهيونية والهجرة اليهودية من مصر مؤكدة ارتباط يهود مصر بمصالح الشعب المصرى وكفاحه الوطنى (٣) .

كذلك عارضت طليعة العمال والفلاحين تقسيم فلسطين وأيدت الدخول فى حرب ضد إقامة الدولة الصهيونية ولكنها أضافت بخصوص موقف الحركة الصهيونية عموما « لن نوافق على التقسيم إلا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر فى الدولتين العربية اليهودية(٤) » .

وفى تقييم الرأى العام المصرى نجد أنه أهتم بمشكلة فلسطين على أساس

---

(١) كامل اسماعيل الشريف : الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، مطبوعات كتب الإخوان المسلمين ، القاهرة ، بدون تاريخ إصدار ص ص٤٣ — ٤٧ .

(٢) صحيفة الوفد المصرى فى ١٠ فبراير ١٩٤٦ .

(٣) أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ، القاهرة بدون تاريخ إصدار ص ص ١٧٣ — ١٧٦ .

(٤) صحيفة الجماهير ، القاهرة ١٩ أكتوبر ١٩٤٧ ، ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧ .

أنها مسالة إسلامية أكثر منها قضية وطنية وهذا لايعنى على الاطلاق أنها أقل أثارة لعواطف الجماهير . ولم يكن المصريون وحدهم هم الذين ينظرون الى القضية من زاوية دينية ، فوصف الجيش الفلسطيني بانه جيش الجهاد المقدس يدل على أن بعض الزعماء الفلسطينيين أنفسهم قد استخدموا العاطفة الدينية لمواجهة اليهود .

وقد وجدنا كيف أن حكومة النقراشى قد رضخت فى نهاية الأمر لفكرة الحرب لا عن اقتناع بل لأنها كانت تمثل حزب أقلية – حزب السعديين – يسعى لكسب شعبيته ، بدليل ما كان النقراشى نفسه يصرح به فى المجالس الخاصة وهو عدم رغبته فى الاشتراك فى الحرب ، أضف إلى ذلك أن مشكلة فلسطين لم تكن تحتل مكانا فى برامج الأحزاب السياسية المصرية ، فعندما طرح موضوع دخول القوات المصرية إلى فلسطين على البرلمان المصرى فى جلسة سرية(١) فى ١٢ مايو ١٩٤٨ لم يعترض سوى السياسى العجوز إسماعيل صدقى وكان معروفا بعدم اكتراثه برأى الجماهير . أما حزب الوفد فقد أعلن موافقته متحفظا فقط بما يتعلق بإعلان الاحكام العرفية ، فلفت نظر الحكومة إلى أنه لا يجب إتخاذ حرب فلسطين مبرراً للقضاء على الحريات السياسية التى كفلها الدستور .

٢ – موقف العراق :

كان الرأى العام فى العراق أكثر انشغالا بمشكلة فلسطين وذلك منذ لجا الحاج أمين الحسينى إلى بغداد فى الحرب العالمية الثانية ، وعندما نشات الأحزاب العراقية عام ١٩٤٦ اشتملت براجها على بنود خاصة بمشكلة فلسطين ، إلاأن الحكومة العراقية كانت مستعدة للتعاون مع الملك عبد الله فى ضم الجزء العربى من فلسطين إلى مملكته ، لذلك نسقت أعمالها الحربية مع الأردن ، وحدت بذلك من الدور الذى كان مقرراً للجيش العراقى أن يلعبه .

---

(١) مضابط مجلس الشيوخ المصرى - القاهرة ، ١٢ مايو ١٩٤٨ .

وكان عبد الله و نورى السعيد من المدرسة الانجليزية ولهم مطامع شخصية وأسروية فى فلسطين « وكأنهم(١) سيرثون الانتداب البريطانى فى المنطقة » ، وقد صرح نورى السعيد فى مؤتمر صحفى بالقاهرة فى منتصف ديسمبر ١٩٤٧ بأن العراق لن يوافق أبدا على مشروع التقسيم ولا على إنشاء دولة يهودية فى فلسطين العربية وقال :

أن مشروع تقسيم فلسطين خطة مخيفة لا يمكن أن ترضى هذه الأمة العربية بها . . . وأن الحكومات العربية قد أعدت ما يكفل احباط التقسيم(٢) » .

ومن الغريب أن يشن نورى السعيد هجومه على الولايات المتحدة وحدها متغافلا دور بريطانيا لأنه يعلم بالطبع أن بريطانيا هى صاحبة النفوذ السياسى فى العراق .

وهكذا كان المسئولون فى العراق مثلهم مثل المسئولين فى مصر فى جهل مطبق باستعدادات اليهود ولا أدل على ذلك من أنهم أرسلوا فيما بعد جيشاً عراقيا ليست لديه ذخيرة كافية ولا خرائط توضح جغرافية وطبوغرافية مسرح العمليات الحربية فى فلسطين(٣) .

ومن جهة أخرى فقد اتسم العراق بوجود إتجاهات مختلفة من الرأى العام وشغلته مشكلات الجنوب والوسط والشمال من البدو والمزارعين وسكان البلاد والاكراد فى الشمال ، ولكن ضغط الرأى العام قد انعكس على حكومة بغداد أن أجمع الجميع على ضرورة الاحتفاظ بعروبة فلسطين ، إلا أنه علينا ألا ننسى أن النفوذ البريطانى كان مسيطراً على العراق فى هذه الفترة ، ولذا كان من مصلحة البيت الحاكم فى بغداد أن يساير البريطانيين

---

(1) Aleum op. cit.

(٢) دكتور / جلال يحيى : العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ٢٩٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٣ .

Safran, Nadav, From war to war. New York 1969 po. 39-36.

ومن مصلحته كذلك أن يساير الملك فى شرق الأردن ، وكان بقاء القوات العراقية المحاربة خارج حدود المملكة العراقية يضعف من سلطة الحكومة ، وخاصة إذا نشبت الثورة عند الاكراد من جديد ، ولذلك سترتبط سياسة بغداد وسياسة حكومة عمان إرتباطاً وثيقاً — كما سبق أن أشرنا — وانعكس ذلك أيضا على الاتفاقية التى وقعها رئيس الوزراء العراقى « صالح جبر » فى « بورت سموث » تنص على جلاء القوات البريطانية ، ولكنها تحتفظ لبريطانيا بالحق فى إعادة هذه القوات فى حالة التهديد بالحرب وكذلك فى استعمال المطارات الحربية وتدريب الجيوش ، وكانت الاضرابات التى أثارها هذا الخبر بدرجة كبيرة من العنف حتى أن الوصى على العرش — وهو موال تماما لبريطانيا — ، قد اضطر إلى إعلان أنه لن يتم التصديق على هذه الإتفاقية خوفا من الاغتيال(١) .

وعموماً فإن الساسة العراقيين لم يستشيروا العسكريين عما إذا كان الجيش العراقى يستطيع أن يحارب « اللهم إلا إذا كانت نيتهم مبيته على أن يدخل الجيش العـــراقى فلسطين ويقف موقف المتفرج من المعارك بين العرب واليهود(٢) » كما حدث فيما بعد .

٣ — موقف سوريا :

كانت سوريا قد حطمت خطواتها الأولى بعد الاستقلال فلم يكن لها من القوات المحاربة مما يسمح لها بالنزول إلى ميدان المعركة وخصوصاً خارج حدود إقليمها ، وكان هناك ما يقرب من عشرة آلاف جندى فى الجيش السورى فى ذلك الوقت وبعضهم كان قد تمرن مع القوات الفرنسية فى أثناء فترة الحرب العالمية الثانية وقبل استقلال سوريا ، ولكن تدريب بقية الجيش السورى كان لايزال فى حاجة إلى مجهود ولم تكن فرنسا قد تركت لها الكثير من الأسلحة اللازمة للميدان ؛

---

(1) Rodinson, op. cit, pp. 42–43.

(٢) أحمد فراج طايع ، صفحات مطوية عن فلسطين ، مرجع سابق ص ١٣٠ .

ومن الثابت أن سوريا فى ذلك الوقت كانت تخشى على نفسها من مشروعات « سوريا الكبرى » ومشروعات « الهلال الخصيب » والذى كان ينادى بها سيد شرق الأردن ، وبقية السادة الهاشميين فى بغداد ويحاولون بها ضم سوريا إلى الكتلة الهاشمية وإرجاع الجمهورية السورية كاقليم من أقاليم مملكة هاشمية ، وبالرغم من ذلك فان حكومة سوريا لم يكن فى وسعها ان تتراجع أما هتافات الجماهير وإزدياد الحماس الشعبى خاصة وأن فلسطين كانت طوال التاريخ جزءاً من سوريا .

وعموماً فقد زايد الساسة السوريون على المشكلة الفلسطينية بقصد الدعاية فى ظل الداخل أكثر من الرغبة فى العمل الجدى ، فالجيش حديث جداً ، ولم يمض على الاستقلال أكثر من ثلاث سنوات ثم أن هؤلاء الساسة لا يحبون الاصطدام(١) ببريطانيا والولايات المتحدة اللتين ساعدتا على هذا الاستقلال ولهما من تأثير على مسار مشكلة فلسطين فى هذه الفترة .

موقف لبنان :

كانت حكومة لبنان لا تزال هى الأخرى فى مرحلة إعداد الجيش اللبنانى ، وأسرعت تحت ضغط الرأى العام إلى إصدار قرارات بزيادة عدد الجيش اللبنانى ، وبالتالى كان من الصعب ان يحصل هذا الجيش على التدريب والتسليح ، وربما إنعكس ذلك على الساسة اللبنانيين الذين ساهموا هم الآخرون بالمزايدة على المشكلة الفلسطينية بقصد الدعاية فى الداخل أكثر من الرغبة فى العمل الجدى ، فنلاحظ مثلا التصريحات الحماسية لرياض الصلح رئيس وزراء لبنان آنئذ والتى يمكن تقييمها(٢) بانها مجرد مزايدة على مشكلة فلسطين .

---

(١) دكتور / صلاح العقاد — قضية فلسطين — المرحلة الحرجة — مرجع سابق ص ٦٠ — ٦١ .

(٢) المرجع السابق .

موقف الملك عبد الله :

كان الملك – الأمير – عبد الله يرغب فى أن يقوم بالدور الأساسى فى مشكلة فلسطين وعلى أساس ان غرب الأردن يكمل شرقها ، وان له من الوسائل الحربية والقوات العسكرية فى فلسطين نفسها ما يسمح له بالسيطرة على الموقف ، وكانت لتصريحات الملك فاروق فى القاهرة – بأن العرب سينزلون قريباً إلى فلسطين – تأثيراً واضحاً على الملك عبد الله الذى كان يعتبر نفسه أقدر من غيره على تسوية المشكلة الفلسطينية « فكانت مباراة(١) فى الخطب والتصريحات بين الملوك والروساء أكثر من كونها مباراة فى الإستعداد للمعركة القادمة » ، والطريف أن الملك عبد الله حاول أن يظهر بأنه سيحارب الخطر الروسى اليهودى ، وأظهر بذلك عجزه عن فهم طبيعة الصراع القائم والموقف الدولى وإمكانية حصر الصراع بين الشرق والغرب داخل منطقة فلسطين نفسها .

وان أصدق وصف لهذه التصريحات بأنها « مجرد(٢) نوع من التسخين السياسى والمعنوى » بدليل قوله : « وان ذئاب العرب الكثيرة ، فاذا دخلت فتكت وإذا غضبت . . ما رجعت . »

وهكذا يعتبر الملك عبد الله مسئولا(٣) عن كثير مما حدث فى فلسطين فى هذه الفترة حيث كانت أفعاله تتنافى تماماً مع أقواله .

---

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق

(٣) من الدراسات التى اعتمدنا عليها فى هذا الجزء :

دكتور / أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين – منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث – بيروت ١٩٦٦ .

أحمد فراج طايع : صفحات مطوية عن فلسطين ، مرجع سابق .

Jerusalem Post **19–5–1950**

وعقب صدور قرار التقسيم أعاد الملك عبد الله — توفيق أبو الهدى إلى رئاسة الحكومة بهدف تكميم الشعب الأردنى . وكانت بريطانيا تدفع لحكومة الأردن فى ذلك الوقت مساعدة مالية قدرها مليون جنيه استرليني فى السنة مقابل نفوذها فى أقليم شرق الأردن وحاولت الحكومة الجديدة تعديل المعاهدة الأردنية البريطانية المعقودة فى عام ١٩٤٦ وأرسلت وفدا أردنيا إلى لندن برئاسة توفيق أبو الهدى وكان الوفد يضم جلوب باشا الإنجليزى — بصفته مستشارا عسكريا — وقد كشف (١) جلوب فيما بعد أن رئيس الوفد الأردنى كان مكلفا بمهمة سرية ظهرت فى المحادثات بين أبى الهدى وبيفن وزير خارجية بريطانيا والتى عمل فيها جلوب بصفته مترجما ، فذكر أن الانتداب البريطانى على فلسطين سينتهى قريبا وأن اليهود اعدوا العدة لتأليف حكومة تشرف عليهم عقب انتهاء الانتداب ، ولكن العرب لم يهيئوا شيئا من هذا فاليهود لهم شرطتهم ومجلسهم النيابى وقد أعدوا نواة لجيشهم من من جماعات الهاجاناه بينما العرب فى فلسطين لا يملكون السلاح وليست لديهم الوسائل الكفيلة باقامة جيش يحميهم ، وكان أبو الهدى لايرى مانعا من دخول الجيش العربى إلى فلسطين بعد أنسحاب البريطانيين ، ورد عليه بيفن بأن ذلك هو الحل الوحيد المعقول ، ولكن جلوب باشا أوضح للرئيس الأردنى بأنه ليس فى مقدرة الجيش العربى أن يحتل منطقة غزة والجليل فى المنطقة العربية فأيد الرئيس الأردنى فكرته — ثم ذكر بيفن أنه يجب على العرب أن لايذهبوا إلى أبعد من ذلك ويحتلوا المنطقة اليهودية ورد عليه أبو الهدى بأنه ليس لديهم هذه الإمكانيات حتى لو كانوا يتمنون ذلك .

وقد قامت المظاهرات فى الأردن بسبب التعديلات التى أدخلت على هذه المعاهدة ، ولكن حكومة عمان استخدمت كل وسائل القمع لكى تكبت أصوات الأحرار ، وذلك فى الوقت الذى أدعت فية حكومة الأردن

---

(2) Glubb, op. cit, pp. 51–59.

بأنها أولى الحكومات العربية التي تشارك في إعادة حق عرب فلسطين إليهم (١) » .

وفي نفس الوقت أرسل الملك عبد الله - عمر الدجاني إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تكن قد اعترفت به بعد ، ونقل الدجاني إلى حكومة الولايات المتحدة استعداد الملك عبد الله للاعتراف بالدولة اليهودية إن هي تخلت له عن الضفة الغربية والقدس والجليل الغربي ، وكان يرجو أيضاً أن تعترف الولايات المتحدة بالأردن الموسعة في مقابل اعتراف الملك عبد الله بالدولة اليهودية . ولكن يبدو (٢) أن المهمة فشلت لعدم الاتفاق حول القدس إذ رفض اليهود التخلي عنها بينما تمسك بها الملك لأن بها « قبر جدة » .

ويتساءل أحد المؤرخين المصريين المعاصرين (٣) بهذا الخصوص عن سبب عدم اتفاق بريطانيا مع الملك عبد الله مباشرة عندما وقعت معه معاهدة الصداقة والتحالف في مارس عام ١٩٤٨ على تنفيذ قرار التقسيم بضم الجزء العربي من فلسطين إلى الأردن على أن يتعهد بعدم تجاوز ذلك القسيم ، وترد الإجابة على هذا التساؤل من خصوم الملك عبد الله بأنه ما كان يستطيع ذلك حتى لو أراد لأنه سيتعرض لسخط الرأي العام العربي بأكمله ، أما الملك عبد الله فينفي هذه التهمة ، بدليل أنه تحدى قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقدس واستولى على المدينة القديمة ، ولو تركت له الفرصة لاستولى على بقية المدينة أيضاً .

---

(١) الدكتور جلال يحيى ، العالم العربي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ٢٩٢ .

(٢) الدكتور / أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ، مرجع سابق ص ص ١٣١ - ١٢٢ .

(٣) الدكتور / صلاح العقاد - قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ٦٢ .

الأسباب التى حولت الدفة ضد العرب فى الفترة من صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨

أولا : على الجانب العربى :

تصاعدت المناوشات بين السكان العرب واليهود فى فلسطين فى أعقاب صدور قرار تقسيم فلسطين مؤذنة بنشوب حرب أهلية وأنفجرت الاشتباكات أولا فى منطقة يافا وتل أبيب والقدس حيث بلغ المجتمع اليهودى حده الأقصى، لكنها انتقلت إلى ماوراء هذه التخوم فى الشهور اللاحقة، فمدينة يافا — الأقلية — استسلمت القوات اليهودية قبل يومين من انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين.

والملاحظ أنه ابتداء من لاشئ فى أواخر عام ١٩٤٧ أخذ المتطوعون من البلدان العربية المجاورة يتلقون تدريبهم فى جيش الانقاذ — كما سبق أن أشرنا — لكن هؤلاء المتطوعين — حسب اعترافات أحد المؤرخين(١) العسكريين الإسرائيليين — لكن هؤلاء المتطوعين من البلدان العربية بلغ عددهم فى أقصى حد ٤٠٠٠ رجل فقط ومنهم حوالى ٢٠٠٠ فقط لم يسبق لهم أن تلقوا حتى التدريب الأساسى.

وفى داخل الحلبة — حتى منتصف مايو — وقف عرب فلسطين وهيئتهم العربية العليا وجها لوجها أمام جيش من المستوطنين هو من أفضل الجيوش تنظيما وتخطيطا وأحسنها تدريبا ويضم الأوربيين المتفوقين تقنيا.

وفى مواجهة ذلك افتقد عرب فلسطين أيضاً أساليب التجنيد المنظم حيث المقاتلون العرب هم متطوعون وينتمون إلى طبقات متفاوتة اجتماعيا وثقافيا وقادتهم من قادة الثورات القديمة فى الثلاثينات الذين يصلحون للاعمال الفدائية وليس للحرب النظامية والمعارك المكشوفة التى تطلبتها المرحلة الجديدة

---

(1) Larche, Netanal : The Edge of the Sword, Israel's War of Independence, 1947–1949. New York G. P. Pantam, 1961. p. 264.

وكانت الحشود تتجمع مع النصر ثم تتفرق عند مواجهة الصعاب ، أضف إلى ذلك الانقسامات العنيفة بين القوات العربية فضلا عن عدم التنسيق. وعدم وضوح هدف نهائي للعمل بالنسبة للساسة العرب .

فقد كان القاوقجي شديد الحقد على الحسينيين وفى نفس الوقت حض أمين الحسيني اتباعه على عدم التعاون مع جيش الانقاذ واصفا جنوده بالاجانب ، وذكر أسماعيل صفوت ذلك فى أحد تقاريره المرفوعة للجامعة العربية عن الأوضاع العسكرية فى فلسطين . ولما عين عبد القادر الحسيني قائدا لقطاع القدس طالب القاوقجي بأن يكون هو القائد العام للقوات العربية الفلسطينية ورفض التعاون بالرغم من أن عبد القادر الحسيني كان معروفا باخلاصه الصادق للقضية ، ورغم قلة كفاءته من الناحية العسكرية ، إلا أنه أحرز نصراً مرموقا باستيلائه على مستعمرة كفار عصيون قرب القدس ، وكان بإمكانه أن يتابع القتال لولا أن فوزى القاوقجي حقد عليه فلم يمد له يد المعونة فى الوقت المناسب. ويذهب البعض إلى القول بحدوث خيانة من القاوقجي لاتصاله سراً بالوكالة اليهودية مما أفسد على عبد القادر الحسيني خطته(١) .

ومن ناحية أخرى يعد القاوقجي مسئولا إلى حد ما عن هزيمة العرب فى القسطل ، فقد التقط اليهود محادثة تليفونية بينه وبين جيش المجاهدين فى ٨ أبريل كان الحسيني يشكو فيها من نقص الأسلحة ويطلب بعض الإمدادات ، وأجاب القاوقجي بعدم وجود أسلحة فعرف اليهود تحرج مركز الحسيني فى هذا الميدان وفاجأوه بالقتال .

وبالرغم من أن هذا لايعنى بالضرورة وجود خيانة ، فان هذه الفترة الحاسمة من تاريخ المشكلة الفلسطينية قد سادتها الخيانات على حد قول أحد

---

(١) سايكس ، كريستوفر : مفارق الطرق إلى إسرائيل ترجمة خيرى حماد ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٥٠٦ .

الخبراء(١) فى المشكلة الفلسطينية .

ورغم هذه المصاعب فقد كان موقف العرب يبدو راجحا خلال شهرى فبراير ومارس وقد نجحوا فى قطع طرق المواصلات بين المستعمرات اليهودية وتعرضت قوافل التموين اليهودية إلى المستعمرات النائية لغارات عربية متواصلة وتحرج مركز كثير من هذه المستعمرات إلا أن العرب وقفوا عاجزين أمام اقتحام المستعمرات ذاتها .

ثانيا : على الجانب الصهيونى :

استخدم الصهاينة أحدث أساليب التأثير النفسى فكانوا يتجولون بمكبرات الصوت فى المدن لتحطيم الروح المعنوية وتعمدوا أحيانا إطلاق الأسرى لنشر الأخبار الكاذبة عن قوة اليهود وذلك فى الأماكن المحصنة التى يلحظون أن العرب ينوون الصمود فيها .

وتبين التسجيلات الملتقطة لإذاعات الراديو الصهيونى خلال تلك الفترة وجود حرب نفسية متكررة وقد صممت من أجل إضعاف ثقة العرب بزعامتهم ولنشر الرعب من الأخطار المحيقة للأمراض السارية ونقل قصص عن الجماعات العربية التى تملكها الخوف(٢) .

---

(١) وهو الأستاذ أحمد الشقيرى فى مقابلة شخصية مع سيادته فى ديسمبر ١٩٧٤ بالقاهرة.

(٢) هكذا جاء فى الاذاعة الملتقطة لراديو الهاجاناه فى الساعة الخامسة من مساء ١٩ فبراير ١٩٤٨ ، إذ راحت تلك الاذاعة تقول للعرب أنهم سوف يضيعون ولن يلتفت اليهم أحد فى صراع الأطماع الدائر بين الزعماء العرب ، وفى الساعة السادسة من مساء ٢٠ مارس ١٩٤٨ ذكرت أن الدول العربية تتآمر مع بريطانيا ضد الفلسطينيين كما ذكرت فى ١٨ شباط ١٩٤٨ بأن جنود جيش الإنقاذ « جلبوا مرض الجدرى معهم » وفى ٢٧ شباط ١٩٤٨ قالت بأن الأطباء الفلسطينيين يهربون ، وفى ١٤ آذار ١٩٤٨ جاء على لسانها أن « سكان يافا » استبد بهم الخوف إلى درجة جعلتهم يلزمون داخل منازلهم » :

Major R. D. Wilson. Cordou and Search, New York 1952-
Lorche, Edge of the Sword, op. cit.

John Kimch and David Kimch, Both Sides of the hill London 1960 pp. 67-68 and 75.

فضلا عن قوة مخابرات الصهاينة وتمرسهم بأعمال التجسس منذ الحرب الثانية ولا أدل على ذلك من أنهم كانوا يعرفون شحنات الأسلحة إلى البلاد العربية ومواعيد وصولها ، وتمكنوا من إغراق بعض السفن التى كان من المفروض أن تنزل حمولتها على شاطىء فلسطين للجيوش العربية وإفساد نتائج النشاط الدبلوماسى العربى(١)، واتخاذ خطوات فورية لإنضاج وتحقيق آمال الصهيونية فى دولة يهودية مستقلة .

وهناك عديد من الصهاينة الذين لم يتأثروا بانطباعاتهم الغربية التى صورت العرب فى صورة التخلف والعنف فحسب ، بل أثرت فيهم تجاربهم أو معرفتهم الأهوال التى حلت بالجماعات اليهودية فى أوروبا تحت السيطرة النازية ، وكانوا يعتقدون بأن الجيوش العربية تنوى اجتياح فلسطين وشن المذابح ضد اليهود ، وقد صمم هؤلاء على أن مثل هذا الأمر لن يقع وانتعشوا إلى حد ما لمعرفة أنهم يقبضون على زمام مصائرهم فى المستقبل(٢) .

ومن هنا شنت الوحدات العسكرية الصهيونية — الهاجاناه والبالماخ — غارات هجومية تخويفية ضد القوى العربية ، وجرى الإعلان مقدما عن هذه الغارات وهو مايعتبر بمثابة انتقام من ردود الفعل العنيفة ضد الهجمات الصهيونية « غير الرسمية » (عصابتى شترن والآرجون) على المدنيين العرب حيث كان الصهيونيون يعمدون بهدوء إلى وضع عبوات متفجرة حول البيوت الحجرية ويصبون البترول على الإطارات الخشبية للنوافذ والأبواب ثم يفتحون النار فينسفون ويحرقون السكان النائمين حتى الموت .

ويلقى المؤرخون الصهيونيون(٣)صعوبات فى معالجة هذه الفترة هى أنه بينما يقول البعض أن سياسة الهاجاناه كان تقتضى بعدم مهاجمة المناطق العربية

---

(١) موسى العلمى : عبرة فلسطين — بيروت ١٩٥٠ ص ٣٧٠ وما بعدها .

(2) Ben-Gurion, David and Perlman Moshe : Ben Gurion looks back in the Talks with Moshe Perlman, New York 1965 p. 9.

(3) Lorche, Edge of The sword. op. cit.

نجد البعض الآخر يصف صراحة هجمات التغلغل فى العمق وأن « الذراع الطويلة للهاجاناه يمكنها الوصول إلى أقصى المناطق العربية بعداً » وقد سبقت هذه الهجمات فى إحداث نزوح عربى فلسطينى إنما داخل فلسطين وبعيداً عن المناطق الواقعة بقرب المستوطنين الصهيونيين(١) .

ومنذ شهر أبريل ١٩٤٨ فصاعدا ارتفع نزوح عرب فلسطين بمعدل جماعى وسوف نستشهد بما ذكره الباحثون المحايدون والصهيونيون على السواء .

فقد أورد الوسيط الدولى الكونت برنادوت فى تقريره المنشور قبل اغتياله هذين الوصفين :

« أن نزوح عرب فلسطين جاء نتيجة للرعب الذى خلفه القتال الدائر فى مجتمعاتهم ، وللشائعات المتعلقة بأعمال الإرهاب الحقيقية أو المزعومة ، أن كل السكان العرب تقريبا هربوا أو طردوا من المنطقة الواقعة تحت الاحتلال اليهودى (٢) .

كذلك كتب أحد اليهود غير الصهيونيين إلى « رسالة الأنباء اليهودية » تصف أحوال عرب فلسطين فى هذه الفترة أن : « بعضهم طردوا خارجا بقوة السلاح ، والبعض الآخر حملوا على الخروج بواسطة الخداع والكذب والوعود الزائفة ، يكفى أن نذكر مدن يافا واللد والرملة وبئر سبع وعكا من بين المدن التى لا تحصى ، ومما يندى له الجبين خجلا بنوع خاص تلك الظروف التى أحاطت بالهرب من القرى التالية : برعم ورباتصيا وبطباط ومجدل — جاد(٣) » .

ولم يكد يمضى الأسبوع الأول لإعلان قيام إسرائيل حتى كان أوبرى

---

(1) Kimche, john: Seven Fal'en Pillars op. cit p. 226.

(2) U. N. Prugress Report, Sept. 16, 1948.

وذلك فى الفقرة السادسه من القسم الأول والفقرة الأولى من القسم الثالث من التقرير.

(3) The Bitter Truth About the Arab Refguees » jewish News letter, (New York) Feb. p. 1959.

إيبان(١) ينوب عن الوكالة اليهودية فى إعطاء الإجابات التالية على عدد من الأسئلة التى وجهها مجلس الأمن إلى المسئولين الصهيونيين :

« إن حكومة إسرائيل المؤقتة تمارس الآن سيطرة فعلية على مساحة الدولة اليهودية ، كما حددها قرار الجمعية العامة بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وبالإضافة إلى ما تقدم تمارس حكومة اسرائيل المؤقتة سيطرة على مدينة يافا والقسم الشمالى الغربى من الجليل ، المشتمل على عكا والزيب والبصة والمستوطنات اليهودية المحتدة حتى الحدود اللبنانية ، وتسيطر على رقعة بمحاذاة الطريق من حولده إلى القدس ، وعلى معظم القدس الجديدة والحى اليهودى داخل جدران مدينة القدس القديمة ، إن المساحات المذكورة أعلاه تقع خارج أراضى دولة إسرائيل » .

ثم اعترف إيبان صراحة بتكتيك الصهيونية الرامى إلى التوسع فقال :

« نحن نعتبر أراضى إسرائيل وحدة قائمة بذاتها وتضم أكثرية يهودية — وكما أشرنا من قبل — فان حكومة دولة إسرائيل تعمل فى أقسام من فلسطين تقع خارج أراضى دولة إسرائيل ، وهى الأقسام التى ضمنت فى معظمها أكثريات عربية ، باستثناء القدس ، غير أن هذه المناطق قد تخلى عن معظمها سكانها العرب ... ولا توجد مساحة خارج فلسطين واقعة تحت الاحتلال اليهودى ... » .

ومضى إيبان فى حديثه(٢) عن القيام « بعمليات حربية » عبر حدود الدولة بين الحين والآخر وفقا لما أملته العوامل العسكرية قائلا :

« No area outside of Palestine beyond the frontiers of the state of Israel hand occasionly been carried out by jewish forces for imperetivc military reasons » (3).

---

(١) أويرى ايبان هو نفسه أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل فيما بعد .

(2) Zionist Review, May 28, 1948.

(3) Ibid.

موقف بريطانيا منذ صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

بالرغم من أن هذه الفترة قد اتسمت بالإحساس بالتشاؤم الا أن بريطانيا لم تعاون فى تهدئة هذه الأوضاع التى كانت تنذر بالخطر ، وفى ١٣ من ديسمبر ١٩٤٧ قام بيفن ليعان أمام البرلمان البريطانى القرار الذى اتخذته حكومة بوضع حد للانتداب ابتداء من يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ وسحب جميع القوات البريطانية من عدم المساهمة فى تنفيذ القرار الخاص بعملية التقسيم وقال :

« ليس فى استطاعتنا أفراداً أو جماعات أن نتحمل مسئولية فرض التقسيم بالقوة » واجتمعت اللجنة الخماسية المكلفة من مجلس الأمن لمتابعة تنفيذ التقسيم فى ليك سكس يوم ٩ من يناير عام ١٩٤٨ وكانت قد تلقت من الكسندر كادوجان تصريحات لا يبعث على الاطمئنان حيث جاء فيها قوله :

« إن الصفة الدولية لهذه اللجنة لن توثر لا قليلا ولا كثيرا على العرب فى فلسطين الذين أصبحوا اليوم لا ينظرون إلا إلى اعتبار واحد يفوق كل الاعتبارات هو : القضاء على اليهود » .

وفى الوقت نفسه أعرب كادوجان عما تحس به الحكومة البريطانية حيال اللجنة من انعدام الثقة وقلة التقدير ، بأن فرض عليها عملا عدم دخول فلسطين قبل تاريخ حدده يسبق نهاية الانتداب بخمسة عشر يوما . واستند كادوجان إلى اعتبارات تتعلق بالأمن حيث ما زالت قواتها العسكرية ترابط فيها ، وأعلن أن بريطانيا ترفض الأخذ بالتوصيات التى أصدرتها اللجنة حول انتخابات المجلسين الوطنيين وتكوين القوات العسكرية وتحديد حدود الدولتين العربية واليهودية ، ثم حول القرار الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة باخلاء الموانى فى المنطقة اليهودية .

وقد أدت هذه التصريحات من جانب البريطانيين ، وما أظهروه من عداء نحو اللجنة الخماسية إلى نشر روح القلق واليأس لدى هذه اللجنة .

وكانت خطة بريطانيا(١) — كما سبق أن أشرنا — هى تسليم كل منطقة للعرب أو اليهود حسب ما جاء فى مشروع التقسيم مع فارق هام وهو أن اليهود كانوا قد أعدوا الأجهزة الادارية للحلول محل الادارة البريطانية ، بينما لم تكن هناك خطة عربية موحدة لاستلام السلطة فى أعقاب الانجليز ، حقيقة أن الجيش الأردنى حل محل الانجليز فى الضفة الغربية ، ولكن بقيت بعض المناطق المخصصة للعرب مثل غزة والجليل الغربى دون سلطة متفق عليها مما أشاع الفوضى وزاد من الأمر تعقيدا سحب بريطانيا الأرصدة الاسترلينية المخصصة للبلاد علاوة على سجلات الضرائب والوثائق التى التى تثبت ملكية الأراضى .

وهكذا أدى ما أظهرته بريطانيا من عداء تجاه اللجنة الخماسية إلى نشر روح الحقد واليأس لدى هذه اللجنة فتوجهت فى يوم ١٧ من فبراير ١٩٤٨ إلى مجلس الأمن تطلب منه ، استناداً إلى الوعود التى بذلها لها السكرتير العام للأمم المتحدة انشاء قوة دولية تستطيع عن طريقها وضع مشروع تقسيم فلسطين موضع التنفيذ .

ولكن عندما قدمت اللجنة هذا الاقتراح كان قد حدث تطور هام على مشكلة فلسطين فى الأروقة الدولية ، فقد حدث تحول فى موقف الولايات المتحدة ، حيث تراجعت موقتا عن مساندة مبدأ التقسيم (٢) .

وفى تقييم دور بريطانيا — وخصوصاً طريقة انهائها الانتداب (٣) على فلسطين نسوق ما ذكره المؤرخ أرنولد توينبي :

---

(١) Aleum, op. cit., p. 289.

(٢) Year Book of The United Nations 1947–1948, New York United Nation Department of Public Information 1949 pp. 411–414.

(٣) Dranath, op. cit. p. 62.

نقلا عن : أرنولد توينبى : دراسة للتاريخ — المجلد ٨ ص ص ٢٩٧–٢٩٠. =

« فى خلال هذه السنين الثلاثين الحرجة كان موقف الحكومة البريطانية الشامل لجميع الاحزاب والذى طبقته جميع الحكومات المتعاقبه هو : التعامى المقصود والحذير بالادانة » .

موقف الولايات المتحدة منذ صدور قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

وقر فى أذهان خبراء وزارة الخارجية الامريكية منذ شهر يناير ١٩٤٨ أن مشروع تقسيم فلسطين لا يمكن تطبيقه ، واستند هــذا إلى أن المصالح البترولية الامريكية التى كانت إلى ما قبل هذا الوقت بقليل تقاوم الضغوط التى يمارسها الصهيونيون على البيت الأبيض قد أصبحت الآن أكثر الحاحا من أى وقت مضى حيث كان المسئولون عن الدفاع الامريكى يلحون من أجل الاحتفاظ باحتياطيات الغرب من البترول لتكوين احتياطيات استراتيجية ، هذا بينما اتجهت التوقعات من جهة أخرى إلى القول بأن استهلاك البترول فى أوروبا الغربية سوف يزداد كثيراً بسبب تنفيذ خطة التعمير فى تلك البلاد ، وكان البترول عربياً وخاصة سعوديا وكان الملك سعود يضغط بأقوى الحجج والأسانيد على السياسة الامريكية تجاه العرب رغم عدم لجوئه (١) إلى الغاء الامتيازات البترولية الامريكية .

وقد جاءت الوقائع نفسها تقدم البرهان الرسمى على أن محاولة إقامة التقسيم بالوسائل السلمية غير قابل للتنفيذ ، فضلا عن ذلك فقد كانت الولايات المتحدة الامريكية تعارض فى شدة كل حل يؤدى إلى ادخال القوات الروسية إلى فلسطين ـ كما سيأتى تفصيل ذلك ـ هذا بينما كان مستشاروا الرئيس ترومان يخطرونه باستحالة إرسال القوات الامريكية ما لم يصطحب ذلك بعملية تعبئة جزئية ، ولا شك أن الاختلافات السابقة بين جهازى البيت الأبيض

ـ وأرنولد توينبى مؤرخ بريطانى مشهور وقد توفى فى ٢٢/١٠/١٩٧٥ وكان توينبى واحداً من الأصوات العالمية التى سارعت فى عام ١٩٦٧ إلى المطالبة بحل مشكلة الشعب الفلسطينى كشرط لتحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

(١) Aleum, op. cit. pp. 293-294.

والخارجية الامريكية أمر مبالغ (١) فيه إلى حد كبير حيث تجعل روح الدستور الامريكي — الشئون الخارجية من امتنازات الرئيس الامريكي وبالتالي فان الاختلاف — أن وجد — انما هدفه تحقيق أغراض معينة .

وهذه الاعتبارات كلها تفسر ما أقدم عليه المندوب الامريكي وارين اوستن حينما أثار في يوم ١٩ من مارس ١٩٤٨ انزعاج مجلس الأمن بالتصريح الذي ألقاه أمامه ، وفيه يشكك في امكانية تنفيذ التقسيم وقال :

« أنه طالما لا توجد سلطة قادرة على تنفيذ قرار الجمعية العامة ، فمن الأفضل وضع فلسطين فترة أخرى تحت الوصاية على أن توقف اللجنة الخماسية أعمالها وتدعى الجمعية العامة الى جلسة استثنائية طارئة » .

وحذت كل من كندا وبلجيكا حذو الولايات المتحدة في اعادة النظر في موضوع التقسيم ، وكانتا قد وافقتا عليه يوم ٢٩ نوفمبر .

وقد اصطدم ذلك بمعارضة قوية أبداها الاتحاد السوفييتي الذي راح يطالب بتنفيذ مشروع تقسيم فلسطين الذي اعتمدته الأمم المتحدة ، وعلى الرغم من هذا الاعتراض السوفيتي فقد تمت الموافقة على القرار بدعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة الى عقد دورة استثنائية خاصة باغلبية تسعة أصوات ضد صوتين هما الاتحاد السوفيتي واكرانيا .

وفي ٥ ابريل أبلغ المندوب الامريكي — وارين أوستن — المشروع الامريكي بطريقة غير رسمية (٢) الى مجلس الأمن ، ومضمون هذا المشروع أن تظل الوصاية على فلسطين قائمة لأجل غير مسمى ، وتظل تلك الحماية سارية المفعول الى أن يتم الوصول الى اتفاق بين الجاليتين ، العربية واليهودية حول موضوع الحكومة التي تحكم فلسطين في المستقبل .

---

(١) الدكتور صلاح العقاد : قضية فلسطين — المرحلة الحرجة ، مرجع سابق ص ص ٧٧–٧٨.

(٢) Aleum, op. cit. p. 294.

وسارت الأمور وكأن بريطانيا قد غيرت هى الأخرى من موقفها وأصبحت متفقة مع أمريكا فى تحولها عن رأيها الأول ، بل هناك من يقول أن بريطانيا هى التى دفعت أمريكا الى اتباع هذا السبيل (١) .

وفى انتظار حلول موعد انعقاد الدورة العامة للأمم المتحدة ، اكتفت الولايات المتحدة بأن استصدرت من مجلس الأمن قراراً يوصى فيه بالتزام هدنة فى فلسطين وتم التصويت على هذا القرار فى ١٧ من ابريل واقترن يوم ٢٣ من الشهر نفسه بقرار آخر بتكوين لجنة من قناصل فرنسا وبلجيكا والولايات المتحدة فى مدينة القدس تكون مهمتها مراقبة تنفيذ تلك الهدنة .

ولم تصدر هذه القرارات من مجلس الأمن الا بصعوبة بالغة بسبب معارضة المندوب السوفيتى — جروميكو — بحجة أن « القرار انما يحابى العرب ويضر بحقوق اليهود الشرعية »

وفى النهاية انعقدت الجمعية العامة فى ٢٠ من ابريل ١٩٤٨ وعرض أمامها المشروع الامريكى وبطبيعة الحال هاجم الاتحاد السوفيتى المشروع ورفضه الصهيونيون تحت تأثير بن جوريون الذى أعلن (٢) :

« أن الأمم المتحدة لا يمكنها أن تغير الوضع فى فلسطين ولن تستطيع منع تكوين دولة يهودية ... وأن تكوين الدولة لا يعتمد على قـــرار ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ — مع ماله من قيمة معنوية وسياسية — لأن الدولة ستخلق بواسطتنا فنحن الذين نقرر مصير البلاد » .

وفى الجانب العربى تشجع الملك عبدالله بما بدأ من تردد فى موقف الأمم المتحدة وأرسل إلى السكرتير العام للمنظمة الدولية مشروعاً جديداً يرمى

---

(١) Ibid.

(٢) Bar Zahar, Michael : The Armed Prophet op. cit. pp. 110–111.

إلى تقسيم فلسطين إلى أقاليم(١) . ولكن سرعان ماتضح أن الأمم المتحدة لن تقبل هذه المشروعات ومنها المشروع الأمريكى بالوصاية على فلسطين لأجل غير مسمى ، وعندئذ تخلت بريطانيا عن حليفتها أمريكيا على الرغم من الحاح هذه الأخيرة أن تؤجل بريطانيا قرارها ولو لعشرة أيام فقط ، إلا أن بريطانيا أعلنت فى يوم ١٣ من مايو البلاغ المشترك الصادر من وزارتى الخارجية والمستعمرات عن اعتزامها نهائياً وضــع حد للانتداب البريطانى على فلسطين بعد ذلك التاريخ بيومين أى فى يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ .

وبينما كان المندوب الأمريكى وارين أوستن ومعاونوه يدافعون عن مشروع الوصاية أمام الجمعية العامة للامم المتحدة — وبينما كانت الكتلة الشيوعية تعارض هــذا بشدة خوفاً من أن يتخذ من الوصاية ستاراً (٢) . لإحلال النفوذ الأمريكى محل الانتداب البريطانى فى فلسطين ، وخــلال احتدام المناقشة تلقى المندوبون فى الأمم المتحدة إشارة عاجلة :

« فى الساعة السادسة مساء ودقيقة واحدة — التى تقابل الساعة صفر ودقيقة واحدة فى تل أبيب ، أعلن المجلس القومى اليهودى استقلال إسرائيل » وفى الساعة السادسة مساء ، ١١ دقيقة اعترف الرئيس ترومان بالدولة الجديدة (٣) :

---

(١) يرجع إلى نص مشروع الملك عبد الله والذى يتكون من ٢١ نقطة أهمها إنشاء مملكة متحدة من فلسطين وشرق الأردن : فى مذكرات الملك عبد الله ، مرجع سابق ص ص٦٩—١٠٠ .

(٢) يرجع فى تفصيل ذلك إلى خطاب المندوب الأوكرانى فى :

U. N. General Assembly Special Session Vol. 2. p. 257-285, 1948.

(٣) عن الظروف التى تم فيها تفصيلا اعتراف الرئيس ترومان بالدولة اليهودية — يرجع إلى :

Lelienthal, Alfred : What Price Israel, op. cit. pp. 52-84.

ومن الشائع أن ترومان فعل ذلك لأن أعوانه أفهموه أن الاتحاد السوفيتي سيسبق إلى الاعتراف ، وفي تلك الحالة ستصبح إسرائيل صنيعة الكرملين ، ولكن التايمز الأمريكية علقت على هذا الاعتراف العاجل بما يفيد أن ترومان لم يكن بحاجة إلى سبق الاتحاد السوفيتي بل كان مدفوعاً بقوة الصهيونية في نيويورك ، ومن هنا يحتاج موقف الاتحاد السوفيتي في هذه الفترة إلى وقفة خاصة للتفسير والتعليل .

موقف الاتحاد السوفييتي منذ قرار التقسيم حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ :

اتسم الموقف السوفيتي من الوجود الإسرائيلي منذ تحوله نحو تأييد تقسيم فلسطين باستمرارية مؤكدة ، فلم يراجع الاتحاد السوفيتي نفسه ولو للحظة واحدة عن هذا الموقف ، بل على العكس وقف بالمرصاد لكل من حاول مراجعة قرار التقسيم ويتضح هذا الموقف من متابعة المناقشات الخاصة بمشكلة فلسطين في الأمم المتحدة .

ففي ٥ مارس ١٩٤٨ وافق مجلس الأمن على قرار يدعو الأعضاء الدائمين فيه إلى التشاور بشأن الموقف في فلسطين ، ووضع التوصيات المتعلقة بالإرشادات والتعليمات التي يمكن للمجلس أن يصدرها لتنفيذ قرار التقسيم ، وفي ١٩ مارس قدم المندوب الأمريكي تقريراً عن هذه المشاورات وافقت عليه كل من الولايات المتحدة وفرنسا والصين ولم تشترك بريطانيا في هذه المشاورات وكانت قد امتنعت عن التصويت على القرار الداعي لها كذلك .

وفي تعليق ممثل الاتحاد السوفيتي على على هذا التقرير ذكر أن المندوب الأمريكي قد اقترح في الاجتماع الأول لهذه المشاورات أن يعقد الأعضاء الدائمون مفاوضات أخرى مع العرب واليهود وسلطات الانتداب تدور حول ما إذا كان من الواجب أن تنفذ خطة التقسيم كما هي أم تعدل ، وأكد أن وفد الاتحاد السوفيتي يعارض مثل هذه

المفاوضات على أساس اصراره على أن قرار الجمعية العامة يجب أن يوجه لهذه الغاية .

ومما يجدر ذكره أن المندوب المصرى قد انتقد المندوب السوفيتى لإصراره على التنفيذ الفورى لخطة تقسيم فلسطين وقال :

« إن المجلس لا ينبغى أن ينفذ طلب الجمعية العامة دون مناقشة كاملة » .

وأشار المندوب السوفيتى إلى أن لجنة فلسطين وسلطة الانتداب والوكالة اليهودية قد أشارت إلى أن خطة التقسيم لا يمكن تنفيذها بالوسائل السلمية ، كذلك اعترض المندوب السوفيتى على مقترحات المندوب الأمريكى بوضع فلسطين تحت نظام الوصاية — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — وكان المندوب الأمريكى قد استند فى اقتراحه إلى عدم امكان تنفيذ مشروع التقسيم من الناحية العملية بالطرق السلمية ومن ثم فان انتهاء الانتداب فى ١٥ مايو كان سيعنى حلول الفوضى والقتال والخسائر فى الأرواح(١) .

وفى ٣٠ مارس ١٩٥٨ قدم المندوب الأمريكى فى اجتماع مجلس الأمن مشروع قرار يطالب الأمين العام بالدعوة إلى دورة طارئة للجمعية العامة لمزيد من البحث لمسألة الحكومة المستقبلة فى فلسطين .

وفى مناقشته لمشروع القرار الأمريكى قرر المندوب السوفيتى أن حكومته مازالت تعتبر أن قرار التقسيم قرار عادل ، وهاجم الولايات المتحدة التى أيدت بفاعلية قرار التقسيم بل وأمنت قبول الأغلبية المطلوبة له ثم عادت الآن لا ترفض القرار فحسب بل وتثير مسألة الغائه بمقترحات

---

(١) Year Book of the United Nations, 1947-1648, New York United Nations, Deparmtent of Public Information, 1949, pp. 407-410.

كهذه ، وألقى عليها المسئولية كاملة عن « تحطيم » قرار التقسيم ، واتهمتها بعدم الاهتمام بتسوية عادلة لمسألة مستقبل فلسطين والعلاقات بين العرب واليهود كاهتمامها بمصالحها البترولية ووضعها الاستراتيجي في الشرق الأوسط ، ولذلك كان من الطبيعي أن يعارض المندوب السوفيتي دعوة دورة طارئة للجمعية العامة لمراجعة قرار التقسيم ، واعتبر أيضاً أنه سوف يكون من الخطأ أن يأمر مجلس الأمن لجنة فلسطين ترجيء عملها الخاص بتنفيذ قرار التقسيم طالما أن قرار الجمعية العامة نافذ المفعول .

وخصص المندوب السوفيتي جزءاً من خطابه بهذه المناسبة لتكرار مهاجمة الاقتراح الأمريكي بالوصاية على أساس أن هذا الاقتراح سوف يترك كلا من اليهود والعرب في فلسطين دون دولة خاصة بأي منهم وسوف يعمل فقط لصالح الدوائر ذات النفوذ لبعض الدول الكبرى صاحبة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية مع الولايات المتحدة (١) .

وفي ٢٠ أبريل ١٩٤٨ دعا الأمين العام للأمم المتحدة متابعة الطلب الذي كان قد قدم لمجلس الأمن الى عقد الدورة الطارئة الثانية للجمعية العامة في ١٦ أبريل لمزيد من البحث حول مستقبل حكومة فلسطين ، وفي مناقشته جدول الأعمال في اللجنة العامة قرر المندوب السوفيتي انه لا يرى حاجة لمثل هذه الدورة ولمثل هذا العرض ، ومن ثم فقد عارض دخول البند المتعلق ببحث الحكومة المستقبلة لفلسطين في جدول الأعمال (٢) .

وهكذا بدأت اللجنة الأولى في ٢٠ أبريل مناقشاتها ؛ وفي هذه المناقشات أكد المندوب السوفيتي أن قرار القسم وإن لم يكن كافيا إلا أنه أكثر القرارات ملاءمة وانصافا فيما يتعلق بمشكلة فلسطين ، واعترف بوجود عقبات

---

(١) Ibid p. 417.

(٢) دكتور / أحمد يوسف أحمد . مرجع سابق

تعترض تنفيذ القرار إلا أنه أكد وجوب بقائه نافذ المفعول كليا وأن تركز الأمم المتحدة على تدبير وسائل تنفيذه ، وكرر مهاجمته لبريطانيا والولايات المتحدة واتهامهما بأنهما تسعيان لتحطيم القرار واضعين مصالحهما الأنانية فوق مصالح سكان فلسطين والأمم المتحدة (١).

وفى ٢١ أبريل ١٩٤٨ كرر المندوب السوفيتى أمام اللجنة الأولى معارضته لفكرة وضع فلسطين تحت الوصاية فى تعليقه على مشروع القرار الأمريكى الذى يدعو إلى احالة ورقة العمل الأمريكية بشأن مشروع اتفاقية وصاية على فلسطين إلى اللجنة الرابعة (لجنة الوصاية) للدراسة وتقديم التوصيات للجمعية العامة ، وذكر المندوب السوفيتى أن المسألة لم تكن ما إذا كان اقتراح الولايات المتحدة الخاص بالوصاية يجب أن يبحث فى اللجنة الرابعة أو الأولى أو لجنة مشتركة بينهما ، ولكن هل يجب أن يبحث أصلا طالما أن قرار ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ مازال سارى المفعول (٢).

وفى ٣ مايو وصف المندوب السوفيتى استعداد الدول العربية لبحث مسألة الوصاية باعتبارها « مجرد مناوره سياسية من جانب دوائر معينة فى الدول العربية كان هدفها أن تخلص نفسها من قرار ٢٩ نوفمبر لإرضاء بعض المطالب الإقليمية والسياسة بعد ذلك » .

وفى ٤ مايو أعلن جروميكو — قبل عشرة أيام من الإعلان لدولة إسرائيل — أنه توجد دولة يهودية بالرغم من محاولات بلاد معينة لإعاقة تنفيذ التقسيم (٣) .

وفى يوم إعلان دولة اسرائيل وأثناء مناقشة الجمعية العامة للإقتراح

---

(١) Year Book of the United Nations 1947–1948 op. cit. pp 257–263, Dagan, op. cit. p. 29.

(٢) Year Book of the United Nations 1947–1948 op. cit p.273.

(٣) Dagan, op. cit, p. 29.

الأمريكى باختيار وسيط للأمم المتحدة استخدم جروميكو وجود اسرائيل كحجة ضد تعيين وسيط دولى فى فلسطين، فقد ذكر أنه بالنظر إلى الموقف الراهن فى فلسطين ، لم يكن ثمة سبب لتعيين وسيط ، وأحد ملامح ذلك الموقف هو وجود واحد من الدولتين اللتين مضى عليهما قرار الجمعية العامة فى نوفبر وهى الدولة اليهودية .

وأكد أن الموافقة على مشروع القرار بتعيين وسيط لا يمكن أن تؤثر على قرار التقسيم الذى يبقى شرعيا بصورة كاملة ، وأعلن أن الاتحاد السوفيتى سيصوت ضد المشروع لأنه يخشى أن يستفيد منه معارضو خطة التقسيم ، وكرر اعانه يتعبير قرار التقسيم ، عن مصالح سكان فلسطين وهجومه على بريطانيا والولايات المتحدة لمحاولتهما اعاقة تنفيذ القرار وامتدح سياسة بلاده المنسقة والتى تضع فى اعتبارها الأول مصالح شعب فلسطين (١) .

وفى ١٧ مايو قدم الاتحاد السوفيتى اعترافه القانونى بالدولة اليهودية التى اعلنت فى منتصف ليلة ١٤ مايو ،وأصبح أول دولة تعترف باسرائيل اعترافا كاملا وقانونيا إذ لم يسبق الاتحاد السوفيتى فى الاعتراف إسرائيل سوى الولايات المتحدة الأمريكية التى كان اعترافها اعتراف بالأمر الواقع (١)

---

(١) Ibid p. 29.

(٢) دكتور أحمد يوسف أحمد . مرجع سابق .

الفصل الثالث

النكبة عام ١٩٤٨ ونتائجها

الوضع العربى فى مطلع عام ١٩٤٨ :

يتبين خلال الأشهر القليلة التى تلت تقسيم فلسطين ، استحالة تنفيذ خطط الحكومات العربية فى ترك عرب فلسطين يواجهون بأنفسهم تقسيم فلسطين وبالتالى قيام الدولة اليهودية ، واكد اسماعيل صفوت عضو اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية أن الأمر لايحتاج إلى تدخل الجيوش العربية النظامية فحسب ، بل لابد من وضع جميع ثقل هذه الجيوش فى معركة فلسطين ، « وإلا فمن الأفضل مفاوضة اليهود (١) ، وللاسف لم تلتفت الحكومات العربية إلى هذا التقرير بل أخذت تتصرف كل فى نطاق المصلحة الخاصة للحكام .

فالملك فاروق فى مصر هو الذى اتخذ شخصيا قرار التدخـــل ؛ ولكنه اكتفى بإرسال عشرة الاف جندى حيث كان يعتبر الجيش المصرى من أعمدة حكمة .

أما الملك عبد الله فحاول تجنب الحرب حتّى اخر لحظة ، وفى سبيل ذلك أجرى محادثات سرية مع اليهود خلال شهرى أبريل ومايو حيث عرضت عليه جولدا مايرسون (جولدا مائر فيما بعد) عقد صلح بينة وبين اليهود فى مقابل الاعتراف بضم الضفة الغربية ولم يكن الملك عبد الله يستطيع مواجهة الرأى العام العربى بمثل هذه الفكرة حتّى وإن مال إليها والملك قدم تعهدا إلى مندوبة الوكالة اليهودية بألا تتعدى جيوشه

---

(١) الدكتور / صلاح العقاد – قضية فلسطين (المرحلة الحرجة) مرجع سابق ص ٨١.

العمل فى المنطقة المخصصة للعرب فى مقابل الاعتراف مستقبلا بهذا الضم وفى الخطة الأخيرة رجا الملك عبد الله جولدا مائير تأجيل أعلان الدولة حتى تهدأ العواصف ، فلما لم يجب هذا الرجاء اقتنع عبدالله بأنه لا مناص من القتال حتى لايظهر أمام الرأى العام العربى بمظهر الخارج على الاجماع .

وفى العراق شغلت مشكلة فلسطين الرأى العام العراقى حتى أنها تحكمت فى الأوضاع الداخلية ، وكانت المشاركة فى الحرب حتمية بالرغم من عدم وجود حدود مشتركة للعراق مع فلسطين .

أما الجيشان السورى واللبنانى فقد تحملا قطاعا صعبا من الجبهة بالرغم من أنهما كانا فى دور النشئ ، وقدم وضع لبنان أرضه تحت تصرف جيش الانقاذ وهى سياسة فريدة لانشهد لها نظيرا فيما بعد حيث تجنب لبنان الصدام باسرائيل بعد ذلك وعقب عقد اتفاقيات الهدنة .

الوضع العام وتعيين الوسيط الدولى :

انتهى الحوار الدائر حول النظام الخاص بفلسطين اثر اعلان دولة اسرائيل حيث جاء انشاؤها مؤيدا للحل الخاص بالتقسيم ، وكان من شأن استيلاء الصهيونية على مزيد من الأراضى الفلسطينية ، كما كان من شأن الاعتراف الفورى بالدولة اليهودية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى على السواء أن جعلا من الدولة الجديدة حقيقة قائمة واقعا وقانونا(١).

وعلى الجانب العربى التهب حماس الرأى العام العربى واستعد للتضحية وقام بالضغط على الحكومات العربية التى قررت بالاشتراك مع الجامعة العربية دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بمجرد انتهاء الانتداب البريطانى عليها بهدف منع الصهيونية من استكمال الاستيلاء على فلسطين(٢) .

(١) عبد الله التل - كارثة فلسطين : مرجع سابق ص ص ٦٥-٦٧.

الدكتور محمد أنيس - السيد / رجب حراز : الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ص ٥٩٢.

(٢) Aleum op. cit, pd. 224-225.

وقد سبق أن استعرضنا الأوضاع فى الدول العربية فى الفترة السابقة على اعلان الدولة اليهودية ، وعلينا أن نذكر أن بعض قادة العرب فى ذلك الوقت كانوا يذكرون ان ١٥ ألف جندى عربى تكفى لتحرير فلسطين وانهاء اليهود منها والقائهم فى البحر ، وكانوا من رجال العرب المسئولين ، وكأنهم تناسوا أن الوحدات المنظمة والمسلحة فى الهاجاناه — وهى وحدات البالماخ — بالاضافة إلى قوات عصابتى الأرجون واشترن كانت تزيد على ٩٠ ألف مقاتل ويمكن زيادة عددها إلى ضعف هذا العدد بسهولة ، وعن طريق التعبئة السريعة (١) ، هذا علاوة على أنها كانت تحارب فى أرض استولت عليها وحصنتها وسلحتها بأحدث الأسلحة وأهم من ذلك — وعلى عكس أوضاع الحكام العرب — فقد كان أسلوب المؤسسة الصهيونية الحاكمة فى القيادة هو الهيمنة تماما على مقاليد الأمور — وخصوصا فور انشاء الدولة — من ناحية ممارسة الضبط الاجتماعى (٢) والوسائل التى تستعين بها لتأكيد سيطرتها ولتأمين رؤيتها المذهبية من الاستمرار فى الحاضر والمستقبل .

وقد كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى حالة انعقاد مستمر وفى اللحظة التى بلغت فيها المشكلة الفلسطينية أوج مأساتها ، ففى يوم ١٥ من مايو ، ولما تنقضى بعد بضع ساعات على انتهاء الانتداب وعلى اجتياز الجيوش العربية للحدود الفلسطينية ، عمدت الأمم المتحدة إلى الغاء اللجنة الخماسية وإلى اتخاذ قرار بتعيين وسيط دولى تكون مهمته « تصفية الوضع بالطرق السلمية » .

وتقرر أن يتولى تعيين هذا الوسيط الدولى الأعضاء الخمسة الدائمون فى مجلس الأمن ، فوقع اختيار هؤلاء الاعضاء بالإجماع على الكونت فولك

---

(١) الدكتور / جلال يحيى ، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(٢) الدكتور / سعد الدين ابراهيم : فى سوسيولوجية الصراع العربى الاسرائيلى — بيروت — دار الطليعة — فبراير ١٩٧٣ ص ص ١١٣-١١٨ .

ـ نادوت رئيس جمعية الصليب الأحمر السويدية ، وكانت مهمتة الملحة والأولى هى التفاوض مع كل من العرب واليهود من أجل قبول هدنة قدرها أربعة أسابيع ، كان مجلس الأمن قد قرر منذ ٢٩ من مايو فرضها على الطرفين ونجح برنادوت فى حمل كل من الطرفين على قبول وقف أطلاق النار ابتداء من ١١ يونيو ١٩٤٨ وراح يراقب تنفيذ هذا القرار عن طريق هيئة من المراقبين من الفرنسيين والامريكيين والبلجيكيين وضعهم مجلس الأمن تحت تصرفه .

ردود فعل اقتراحات الوسيط الدولى :

اتخذ الوسيط الدولى مقرا عاما له فى جزيرة رودس بعد قيامة بالمهمة الأولى والملحة ونجح فى حمل الطرفين على قبول وقف اطلاق النار - ثم دعا الدول العربية وأسرائيل إلى حضور مؤتمر اعتزم عقده للنظر فى المشكلة بأكملها - وهذا شئ غريب حقا - لأنه يعنى اعادة النقاش ثانيا ومن البداية فى قرار تقسيم فلسطين - وهو لم يزل حيا فى الاذهان ، ولكن موقف الأمم المتحدة المتردد ازاء المشكلة الفلسطينية فضلا عن موقف الدول التى اقترعت على التقسيم وهى فى وجل ، وفرار عرب فلسطين الذين قدر عددهم فى الفترة من أول أبريل ١٩٤٨ حتى ١٥ مايو بـ ٢٥٠,٠٠٠ نسمة ، كل ذلك عجل بتقديم اقتراحات برنادوت عن السلام حيث دعى فى هذه المرحلة الأولى إلى توحيد فلسطين وشرق الأردن فى وحدة واحدة مكونة من جزئين أحدهما عربى والأخر يهودى مع تخصيص النقب كله أو معظمه للقسم العربى والجليل كله أو معظمة للقسم اليهودى ، اما القدس فتبقى ضمن القسم العربى مع توفير حكم ذاتى بلدى للجالية اليهودية فيها (١) .

وقد علق المندوب السوفيتى فى ٧ يوليو ١٩٤٨ فى مجلس الأمن على

---

(١) أنظر ملف الخرائط فى ملحق الد اسة .

(٢) أنظر ملف الخرائط فى ملحق الدواسة .

مقترحات برنادوت هذه فاعتبرها خرقا لقرار التقسيم لتدخلها فى انشاء دولتين مستقلتين فى فلسطين (١) ، وشرح المندوب السوفيتى وجهة النظر هذه بقوله عن مقترحات الوسيط .

أن هذا يكشف ان واضع هذه المقترحات مستعد ان يسلم كل الاقاليم المخصص للدولة العربية إلى الاردن التى يحكمها ملك دمية لحساب الخزانة البريطانية بالرغم من أن الاردن لاتملك الحق فى بوصة واحدة من ذلك الاقاليم (٢) .

وفى ١٤ يوليو اعترض المندوب السوفيتى أيضا على فقرة فى مشروع قرار أمريكى مقدم إلى المجلس يتضمن النص على استمرار الهدنه « حتى يتم التوصل إلى تسوية سليمة لمستقبل فلسطين » لأنها تعهد الطرفين لاعادة بحث مشكلة فلسطين باكملها فى حين أن عملة مجلس الأمن — طبقا لرأى المندوب السوفيتى — هو تنفيذ القرارات الماضية (٣) .

وفى ١٩ يوليوفرضت الهدنة الثانيةدون تحديد مدة لها وأستأنف برنادوت محاولاته النشطة لايجاد حل سلمى وقضى عدة أسابيع فى جهد متواصل لتحقيقة ، ثم قدم تقريره إلى الأمم المتحدة قبل أن يغتاله الصهيونيون فى ١٠ سبتمبر ١٩٤٨ وسوف نذكرتفصيلا ظروف اغتيال الوسيط الدولى فيمابعد .

وكان تقرير برنادوت شاملا لمشكلة فلسطين ، وقد عرض على الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نهاية سبتمبر عام ١٩٤٨ وتضمن اقتراحات محددة للتسوية مع تعديل بعض المناطق لاسباب جغرافية ، وعلاج مشكلة اللاجئين وعودتهم إلى أراضيهم وأن تبقى القدس تحت أشراف الأمم المتحدة .

---

(١) Year Book of the United Nations 1947 – 48, op. ,cit, p. 433-434.

(٢) Dagan, op. cit, p. 32.

(٣) Year Book of the United Nation 1947–49, New York, Unted Nations Department of Public Information, November 1950. pp. 169. 172–174.

وقد وافقت بريطانيا والولايات المتحدة على اقتراحات برنادوت ، أما اليهود فقد رفضوا هذه الاقتراحات ، « وان لم يكن الرفض الذى أيدوه رفضا نهائيا » ، كما يقول برنادوت نفسه حيث أن شرتوك — موسى شاريت فيما بعد — كان قد قبل القدوم إلى رودس إذا ماقبل العرب حضور المؤتمر(١) ولكن بعد أن تم تقديم المقترحات اصطدم الكونت برنادوت فى تل أبيب برفض من قبل الحكومة الاسرائيلية ولم تشأ تلك الحكومة ان تعبر عن رفضها صراحة حيث قالت فى صيغة المجاملة :

«لاحظت الحكومة المؤقتة ، وهى مندهشة ، ان مقترحاتكم وكأنها تجاهلت القرار الذى أصدرته الجمعية العامة فى يوم ٢٩ نوفمبر ، وهو القرار الدولى الوحيد الذى له قوته فيما يتعلق بموضوع الحكومة المستقبلة فى فلسطين(٢) ».

وبالاضافة إلى ذلك ، فقد طالبت أسرائيل بتعديل الحدود التى وضعها قرار نوفمبر ١٩٤٧ باضافة مزيد من الأراضى بحجة تسهيل الدفاع عن حدود اسرائيل كما رفضت ان يكون النقب عربيا فى مقابل الجليل الغربى ، كذلك طالبت بالحصول على ممر أرض يربط بين القدس ودولة اسرائيل لإمكان الدفاع عن المدينة .

ولم يكن حظ برنادوت أسعد من ذلك فى القاهرة حيث راح العرب يقررون على مسامعه أقوالهم القديمة حول الدولة الموحدة .

وعلى الجانب الاسرائيلى لم يحافظ الاسرائيليون على الهدنة الثانية ، وحتى قبل ذلك عندما استؤنف القتال فى ٩ يوليو فقد تمكنت اسرائيل بعد اعادة تنظيم قواتها واعداد القوة الجوية المقاتلة لها — من شن هجماتها ضد أجزاء أخرى من المناطق التى سبق تخصيصها للدولة العربية والسيطرة على ١٤ مدينة ، ٢٠٠ قرية عربية واستمرار القتال لمدة عشر أيام بدأ خلالها

---

(١) Bernadotte, Folke : To Jerusalem, London, 1956 p. 126

(٢) Ibid, p. 149.

الموقف العسكرى العربي يتعرض للاهتزاز خاصة بعد إخلاء الجيش الأردنى لمدينتى اللد والرملة واستيلاء الصهيونيين عليهما وقد كان هذا نتيجة لمؤامرة محكمة بين بريطانيا –فى شخص جلوب باشاقائد الجيش الأردنى– والصهيونية طبقا لما تراه بعض الدراسات .

واستمر الإسرائيليون حتى بعد الهدنة الثانية فى خرقها بعمليات(١) عسكرية مختلفة لتحسين أوضاعهم العسكرية وإضافة مزيد من الأراضى ولإضعاف الدفاعات العربية بفتح الثغرات فيما بينها تمهيداً لشن هجوم شامل واسع النطاق .

وفى منتصف أكتوبر ١٩٤٨ اشتعل الموقف نتيجة لتطور الهجمات الإسرائيلية التى انتهت بسقوط بير سبع فى ٢١ أكتوبر ثم توقف القتال مرة أخرى فى ٢٢ أكتوبر وكان من نتيجة هذه العمليات (٢) العسكرية أن حاصرت منطقة الفالوجا كما اضطرت القوات المصرية إلى إخلاء اسدود والمجدل فى أوائل نوفمبر ١٩٤٨ .

وفى أواخر ديسمبر شنت القوات الإسرائيلية هجوما عاماً ضد الجبهة المصرية وتوغلت عناصرها داخل سيناء فى اتجاه بئر الحسنة كما وصلت إلى جنوب العريش ثم انسحبت مرة أخرى إلى أراضى فلسطين .

رد فعل العمليات العسكرية الأولى فى الأمم المتحدة :

حاولت الحكومات العربية المشتركة إعطاء صيغة قانونية لتدخلها فى فلسطين أمام مجلس الأمن ، وكانت الوكالة اليهودية قد بادرت منذ الأول

---

(١) العسكرية الصهيونية – إصدار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية مؤسسة الأهرام، القاهرة ١٩٧٢ ص ١٦٦–١٦٧.

(٢) بالنسبة للعمليات العسكرية ومعارك الحرب النظامية عام ١٩٤٨ بين العرب واليهود فاننا نرى أن ذلك قد يكون من الأجدى له أن يعالج عن طريق التخصص الدقيق فى التاريخ العسكرى وأن ما تعرضنا له فى المتن من وجهة النظر العسكرية هو ما يخدم موضوع البحث بمعنى تفسير موقف الرأى العام من الحدث .

من مايو ١٩٤٨ إلى تقديم شكوى أمام مجلس الأمن ضد تسلل القوات العربية الآتية من خارج فلسطين .

فقالت المذكرة المصرية (١) بأن قواتها دخلت للحيلولة دون وقوع الفوضى التي نشأت عن أنهاء الانتداب البريطاني ، وأضافت هذه المذكرة أن اليهود لا يشكلون دولة معترفا بها ومن ثم فإن تدخل الجيش المصري لا يعد عملا حربيا بل يعتبر من الأعمال البوليسية ، يؤيد ذلك ما ذكره مندوب الهيئة العربية العليا من أن الجيوش العربية دخلت فلسطين بناء على طلبها . وصرح (٢) وزير الخارجية المصري آنئذ بأن الغرض من دخول القوات المصرية فلسطين ليس التنكيل بالصهيونيين انتقاما منهم مقابل ما اقترفوه من جرائم فان تعاليم القرآن الكريم وتقاليد المصريين معروفة منذ أبعد العصور تنهى عن ذلك ولكن الغرض هو منع جرائم الصهيونيين وإعادة النظام إلى البلاد .

أما سوريا فقد قال مندوبها أن اليهود قد أصبحوا أقلية عاصية على السلطة الشرعية مادام الانتداب البريطاني قد انتهى على فلسطين .

واستنكر الأردن تعنت الولايات المتحدة التي اعترفت باسرائيل فور قيامها بينما ترفض الاعتراف ببلد قديم امه جذوره التاريخية وهو شرق الأردن .

وبررت لبنان تدخل الجيش اللبناني بأنه يستهدف منع تسلل الشيوعية إلى الشرق الأوسط .

---

(١) Year Book of the United Nutions 1948–1940, New York
United Nations, Departmeut of Publtc Information 1959 p. 252.
وانظر نص مذكرة مصر إلى ممثلي الدول عن أسباب دخول القوات المصرية فلسطين في : الأهرام ١٦/٥/١٩٤٨.

(٢) تصريح خشبة باشا وزير الخارجية في الأهرام ١٦/٥/١٩٤٨ ، المصري ٨/٦/١٩٤٨.

وكانت الولايات المتحدة الامريكية هى التى بادرت إلى طرح المشكلة الفلسطينية على مجلس الأمن على أساس أن تدخل الجيوش العربية يعد عملا عدوانيا ، أما إسرائيل فليست مسئولة عن الحرب فى نظر الولايات المتحدة لأنها أعلنت قيامها ضمن حدود التقسيم الواردة فى قرار الجمعية العامة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ؛ ومن الثابت أن زعماء إسرائيل فعلوا ذلك تمشيا مع سياسة المراحل ، فقد كانوا هم أيضاً — كما سبق أن أوضحنا — يعولون على استخدام القوة لتوسيع رقعتهم ، بيد أنهم تظاهروا بقبول التقسيم عند إعلان قيام الدولة ليكسبوا عطف الرأى العام العالمى ، وعندما يتجاوزون حدود التقسيم — كما سبق أن أشرنا — خلال شهر يوليو سيذكرون بأن العرب قد رفضوه فلماذا يتمسكون هم به ؟

وقد طرحت الولايات المتحدة الموضوع بناء على المادة ٢٩ التى تشير إلى أن على مجلس الأمن أن يقدر ما إذا كان قد وقع تهديد للسلام أو إخلال به أو كان ما وقع يعد عملا من أعمال العدوان .

وقد وافق مندوبو كولومبيا وأكرانيا والاتحاد السوفيتى على الاقتراح الأمريكى بينما امتنعت بريطانيا وسوريا وكندا وبلجيكا والأرجنتين والصين على تأييد الاقتراح على أساس أن الأعمال العسكرية الجارية فى فلسطين لاتشكل تهديدا للسلام ، ولذلك عادت الولايات المتحدة فطرحت الموضوع أما المجلس على أساس استخدام المواد ٤١ ، ٤٢ التى تشير إلى توقيع العقوبات على المعتدى وطلبت إلى المجلس توجيه أسئلة استفسار إلى الطرفين المتحاربين لكى تخرج منها بأن العرب هم المسئولون عن العدوان .

ومن أمثلة هذه الأسئلة :

هل تعمل الجيوش العربية فى المنطقة المخصصة لليهود ؟

وهل توجد سلطة عربية معترف بها ؟ وما هى حدودها ؟

وما هو حجم القوات العربية ؟

ولماذا تدخلت القوات العربية ؟

ولكن اقتراح الأمريكي لم يظفر بتأييد الأغلبية ، ومن الملاحظ هنا أن كلا من الاتحاد السوفيتي وأكرانيا صوتا باستمرار مع الولايات المتحدة ، ومما يدعو للدهشة أن بريطانيا قد تعرضت لنقد شديد من الولايات المتحدة ووصفتها الأخيرة بأنها متحيزة للعرب ، وذهب بعض أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي إلى حد اقتراح قطع المعونة الاقتصادية عن بريطانيا ، لذلك تقدمت بريطانيا بمشروع حل وسط بين موقف اليهود الذى يصطنع الموافقة على التقسيم وعدم اللجوء إلى القوة وبين موقف العرب الذى يعتبر قيام إسرائيل عملا غير شرعى ويرفض بالتالى إيقاف القتال ، فاقترحت هدنة مؤقتة لمدة أربعة أسابيع يمتنع خلالها الطرفان عن إرسال تعزيزات إلى مواقعهم أو الحصول على أية ميزات عسكرية ، ولما كان الموقف العسكرى فى هذه الفترة من مراحل القتال ما يزال فى صالح العرب حتى تقديم هذا الاقتراح فمن المؤكد أن هذا الإجراء جاء ضارا بالمصالح العربية .

ومع ذلك فقد نال هذا الاقتراح البريطانى تأييد الأغلبية وصدر قرار بهذا المعنى يوم ٢٩ مايو ١٩٤٨ ، وأثار موضوع الهدنة المؤقتة جدلا طويلا سواء فى أروقة مجلس الأمن أم فى جامعة الدول العربية .

ففى مجلس الأمن أجمع العرب بأنه فى الوقت الذى يفرض عليهم عدم إرسال تعزيزات إلى قواتهم أو تغيير مواقعها يترك باب الهجرة مفتوحا لليهود لتدعيم قدرتهم وجلب المتطوعين الأجانب على إسرائيل فى إخلال فاضح باتفاقية وقف إطلاق النار فضلا عن تدفق كميات ضخمة من الأسلحة (١) الحديثة مما أتاح للصهاينة كسب ميزات عسكرية أفضل من العرب .

وردت الدول المتآمرة للصهيونية بأن ترك المشردين من اليهود على

---

(١) Dranath, op. cit, pp. 49-4I.

حالهم وفيهم كثيرون احتجزتهم السلطات البريطانية فى قبرص ينتظرون الرحيل إلى فلسطين ، لايتمشى مع الإنسانية ، وكان الحل الوسط الذى اتفق عليه هو السماح بهجرة الأشخاص غير الصالحين للقتال ، « وهذه عبارة مرنة لايمكن وضعها موضع التنفيذ » ، وبالفعل فقد استغلت إسرائيل فترة الهدنة المؤقتة وضاعفت من مقدرتها القتالية فى هذه الفترة أكثر من ضعفين فضلا عن أنه صار لها موانى تهيمن عليها ، وقد أبعد أيضاً الأسطول المصرى عن سواحلها ، واستقدمت مهاجرين من الشباب الذين تم تدريبهم من قبل وقد جاء معظمهم من المانيا والنمسا ولم يكن لهم علاقة بهؤلاء المحتجزين فى المعسكرات فى قبرص ، واستوعبت إسرائيل خلال هذه الفترة الأسلحة الثقيلة التى جاءتها من تشيكوسلوفاكيا .

وعلى الجانب العربى فقد اجتمع رؤساء الحكومات العربية وتناقشوا طويلا حول موضوع قبول الهدنة ، وكان الملك عبد الله هو أكثر الزعماء العرب تحمسا لقبولها لأنه حصل تقريبا على القسم الذى يريد ضمه إلى مملكته ، وكانت بريطانيا ترى أن بقاء القدس منقسمة بين إدارتين عربية ويهودية يساعد كثيراً على الوصول إلى نوع من الإشراف الدولى ، بينما لو استأثرت بها دولة واحدة فان ذلك يعرقل السير فى هذا الاتجاه ، ومازالت بريطانيا هى صاحبة النفوذ الأقوى لدى الملك عبد الله ، وهو يفضل أن يستمد جيشه موارده منها على أن يتركه معتمداً على معونة عربية تهدد كيان مملكته بالخطر ، وبالفعل تأخر القسط البريطانى المقرر تسلمه يوم ٩ يوليو لأن الملك عبد الله اضطر إلى مسايرة الدول العربية الأخرى عندما قررت استئناف القتال .

وفى مصر فقد لأن الرئيس المصرى النقراشى إلى قبول الهدنة المؤقتة لأنه لم يكن منذ البداية مقتنعا بالحرب ، وقد اتخذ العراق موقفا مطابقا للأردن ، وعلى ذلك صارت الأغلبية موافقة على قرار الهدنة المؤقتة ، ويقول عبد الله التل فى

فى مذكراته أن الملك عبد الله بادر إلى التنفيذ قبل الموعد المحدد لبدء الهدنة المؤقتة وهو يوم ١١ يونيو ، وحينما أوشكت الهدنة على الانتهاء ، قام الملك عبد الله بجولة فى البلاد العربية لكى يدعو إلى عدم استئناف القتال مبرراً موقفه بأنه يعلم بقوة اليهود العسكرية وأن هدفه أن يتجنب الكارثة ، كذلك أورد فى مذكراته(١) الفقرة التالية .

« إن مصر كانت مقصرة فى تقديم المساعدة له بقطاع القدس » .

إلا أنه من الثابت أن الملك عبد الله كان على علم فى ذلك الحين بمشروع الكونت فولك برنادوت — الذى سبق أن تعرضنا له تفصيلا — والذى تضمن فى مجمله ضم هذا القسم العربى إلى الأردن ، وإذن فلم يكن من مصلحة الملك عبد الله المغامرة باستئناف القتال ، إلا أن هذا المشروع زاد من خصوم الملك عبد الله الذين صمموا أيضاً على القتال ، « ولو كانوا غير مقتنعين به» على حد قول المؤرخين المعاصرين .

وهذه الخلافات لم تكن معروفة للرأى العام العربى بل حاول الحكام العرب المحافظة — ظاهرياً — على شكل الوحدة ، فتحدثت الصحف عن زيارة الملك لأخويه فاروق وابن سعود ولم يكن قد التقى بالأخير منذ خمسة وعشرين عاماً حينما تحارب الرجلان فى الحجاز حيث انتصر ابن سعود على عبد الله .

كذلك احتفى بالملك الهاشمى فى القاهرة وطلب عبد الله إلى « أخيه الفاروق » أن يصحبه فى زيارة للجبهة فاعتذر فاروق خوفاً على حياة صاحبه ، والراجح أنه كان يخشى أن يطلع قائد عام القوات العربية على أوضاع الجبهة المصرية لقلة الثقة به .

ولم تثمر جهود الملك عبد الله لاقناع إخوانه بعدم استئناف القتال وكان

---

(١) مذكرات الملك عبد الله — مرجع سابق ص ١٠٥—٢٠٩ .

المسئولون فى سوريا ولبنان هم أكثر العرب تحمساً للحرب مع ملاحظة أن قواتهم العسكرية كانت أقل شأناً من الدول الأخرى .

وفى مصر لم يكن النقراشى مقتنعاً بالحرب ولكنه صار سجيناً لأقوال الصحف التى نشرت أنباء كاذبة عن انتصارات العرب ، فكيف لا يستأنفون القتال وهم قاب قوسين أو أدنى من النصر وتوقعت الجماهير أنه يكفى أسبوع واحد للانتهاء من إسرائيل ، ولذلك كانت خيبة أمل هائلة عند استئناف القتال فكانت معظم المكاسب التى حققها اليهود هى على حساب الجبهة الأردنية والسورية وكسب الصهاينة فى خلال أسبوع واحد ثلاثة أضعاف ما نالوه فى الجولة الأولى ، كذلك استطاع (١) الصهاينة أن يحملوا الجيش البريطانى على تسليم حيفا لهم وهكذا بدأت سلسلة من النكسات التى منى بها المعسكر العربى وفى مقدمتها احتلال بيسان وطبريا وصفد وعكا والجاعونة وسمح .

وفى ١٥ يوليو ١٩٤٨ صدر قرار مجلس الأمن بوقف القتال لأجل غير مسمى وبطبيعة الحال قبل العرب القرار دون مقاومة وقال اليهود أنهم تبلوه رغم تحول القتال لصالحهم ، ورغم أن العرب ما زالوا يحتلون بعض المناطق المخصصة لهم .

وكان على الزعماء العرب أن يبرروا الهزيمة بعد أن خدعوا الرأى العام العربى ، وتبادل الحكام العرب التهم فألقوا التبعة على الاستعمار تارة وعلى بعضهم تارة أخرى ، فالمصريون ذكروا أن الملك عبد الله قد خان المشكلة الفلسطينية ورد عليهم الملك عبد الله متنصلا من المسئولية قائلا بأن المصريين لم يقدموا له المساعدة اللازمة فى تلك الجولة ، وحتى الصهاينة أخذوا يبررون هزيمة الجيوش العربية بأنها كانت انعكاساً للأوضاع الطبقية المسيطرة على العالم العربى — وعلى حد قول الزعيم الصهيونى وايزمان(٢) فان « الضباط مفرطون فى السمنة والجنود غاية فى النحافة » .

---

(١) الزمان ١٢/٦/١٩٤٨.

(٢) Ben-Gurion, David Years of challange, op, cit. p. 244.

وهكذا كان لا بد من انتظار وقت طويل حتى يعم الإحساس العميق بأن مشكلة فلسطين هى مشكلة كل عربى ولا بد للاقتناع بهذه الفكرة من تصور وطن عربى واحد متجانس تقوم فيه إسرائيل كجسم غريب لا علاقة له بالمنطقة المحيطة به(١) .

وبينما كانت العمليات العسكرية ما تزال دائرة ، فقد توالى اعتراف عدة دول باسرائيل بالرغم من عدم اكتساب حدودها لأوضاع ثابتة ويبدو أن تلك الدول قد اعترفت باسرائيل على أساس الالتزام بحدود التقسيم .

وحتى وسيط الأمم المتحدة كونت برنادوت اضطر إلى أن يحذر مجلس الأمن قائلا(٢) :

« إنه لا يمكن أن نتجاهل أن الهجرة غير المحدودة إلى المنطقة اليهودية من فلسطين قد خلقت ضغوطاً واضطرابات اقتصادية وسياسية الأمر الذى سيحقق مخاوف العرب من التوسع اليهودى ' الشرق الأوسط فى المستقبل » .

كذلك ذكر برنادوت فى تقاريره إخلال الإسرائيليين المستمر باتفاقية وقف إطلاق النار ولكن هذا لم يحرك الدول التى كانت قد أصرت على تشجيع إسرائيل وحمايتها لها ولمخططاتها .

كذلك أدرك برنادوت خرق إسرائيل المستمر للسلام وهو ما جعله يتقدم لمجلس الأمن ببعض المقترحات لحل المشكلة الفلسطينية ووجد الإسرائيليون هذه المقترحات غير مناسبة لهم فكان رد فعلهم عنيفاً حقاً .

---

(١) الأستاذ أحمد الشقيرى مقابلة شخصية .

(٢) Barnadotte, Folke, To Jeruslem. op. cit, pp. I56–I58.

اغتيال الوسيط الدولى برنادوت :

ظروف الاغتيال ورد فعله :

بعد عقد الهدنة الثانية حدثت مبادرتان إحداهما من قبل إسرائيل التى تقدمت فى يوم ٦ من أغسطس ١٩٤٨ إلى الوسيط الدولى بطلب(١) مؤداه أن يعرض على العرب فكرة عقد مؤتمر للصلح .

أما المبادرة الثانية فكانت من قبل فارس الخورى الذى قدم إلى مجلس الأمن طلباً يقضى بعرض مشكلة فلسطين على محكمة العدل الدولية .

وفشلت المبادرتان معاً ، فالأولى اصطدمت برفض قاطع من جانب العرب واصطدمت الثانية برفض مشترك من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

أما الوسيط الدولى فقد جدد محاولاته لإيجاد حل لأخطر مشكلتين وجدتهما العمليات العسكرية : مشكلة القدس ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

ففيما يتعلق بالقدس حاول برنادوت أن يحمل الطرفين المتنازعين على قبول مبدأ الهدنة الدائمة واعتبرها الخطوة الأولى نحو نزع السلاح فى المدينة المقدسة ، وقبل العرب هذا المبدأ رغم معارضة المفتى الحاج أمين الحسينى ، أما الإسرائيليون فقد اتخذوا موقفاً غير صريح فى أول الأمر ثم رفض شرتوك — شاريت فيما بعد — رفضاً تاماً اقتراحات الوسيط الدولى .

وكانت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين لا تقل خطراً عن مشكلة القدس فقد استمر فرار عرب فلسطين خصوصاً أثناء تقدم اليهود المنتصرين خلال شهر يوليو ، وفى شهر أغسطس قدر عدد هؤلاء البؤساء بمعرفة المكتب الفلسطينى فى عمان بـ ٧٠٠,٠٠٠ نسمة وكان العدد الأكبر منهم موجوداً فى المناطق الفلسطينية التى ما زالت تحت إشراف الجيوش العربية ، فى حين لجأت أقلية منهم إلى البلاد العربية المجاورة ، ولكن ظروف أولئك وهؤلاء كانت

---

(١) Aleum, op. cit, pp. 335-537.

فى نفس القدر من البؤس والسوء ، وقد طلب الوسيط الدولى إلى حكومة إسرائيل السماح لهؤلاء اللاجئين بالعودة إلى مواطنهم ولكنه اصطدم برفض قاطع من قبل شرتوك الذى أثار نظرية أن عودة اللاجئين تعتبر مسألة سياسية لايمكن التعرض لها ولا إثارتها إلا فى نطاق مفاوضات عامة من أجل الصلح وهى النظرية التى ظلت إسرائيل تتمسك بها باستمرار فيما بعد .

وفى تقريره الذى أرسله إلى السكرتير العام للأمم المتحدة والذى أتمه فى رودس ليلة ١٦/٩/١٩٤٨ - راح برنادوت يجدد ما سبق أن أوصى به وهو تنظيم التقسيم باعطاء الجليل الغربى إلى اليهود والنقب إلى العرب ، إلا أنه عاد فاقترح تدويل القدس ولكنه أضاف بنداً يدعو إلى حق اللاجئين فى العودة إلى منازلهم إذا رغبوا وضرورة بذل المساعدة الفورية لهم من جانب الأمم المتحدة .

وفى الخطاب الذى أرسل بموجبه تقريره هذا - أبدى الوسيط الدولى ملاحظة تقول أن عرب فلسطين هم سكان(١) إقليم ورثت الأمم المتحدة المسئولية الخاصة به عن الدولة المنتدبة وأنهم بناء على ذلك، وإلى أن يتم الأخذ بالحل النهائى يظلون على عاتق المنظمة الدولية .

وقال أيضاً :

« يتعين على المنظمة الدولية الاختيار فوراً بين العمل الآن على إنقاذ حياة آلاف عديدة من البشر وبين ترك هؤلاء الناس للموت » .

والملاحظ أنه منذ البداية اصطدمت مقترحات برنادوت بمعارضة شديدة من الكتلة الشرقية أيضاً والتى اتهمته بعمالته الإنجليز وعملائهم مثل الملك عبد الله ، وألح المندوب السوفيتى على إخلاء فلسطين من أية قوة دولية أو لجان أجنبية وقال(٢) :

« إن هذه المقترحات تنافى قرار التقسيم الذى سبق للجمعية العامة إن وافقت عليه » .

---

(١) Bernadotte, Folke ; To Jerusalem, op. cit, p. I59.

الدكتور/ جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ٢٤٦ .

(٢) Year Book of the Unted Nations–I948–I949 op. cit, p. I67.

كذلك أثارت مقترحات برنادوت هذه غضب الإسرائيليين الذين اختلفوا مع الوسيط الدولى على مسائل ثلاث هى : القدس، النقب، اللاجئين ، وذلك بالرغم من أن هذه المقترحات قد اعترفت بنشأة دولة يهودية تسمى إسرائيل وراح الإسرائيليون يحاولون استبعاد ممثل الأمم المتحدة بأن أعلنوا للعرب أنهم على استعداد لالتزام جانب أكثر اعتدالا فى المفاوضات المباشرة إذا جرت تلك المفاوضات بغير وساطة رجل الأمم المتحدة ، ولما أن رفض هذا العرض من جانب العرب أخذ الإسرائيليون يهاجمون الوسيط الدولى هجوماً عنيفاً فى صحفهم ، وتدرج بهم الهجوم عليه من الشتائم والإهانات إلى التهديد الصريح حتى أن النشرة اليومية لعصابة « المحاربين من أجل حرية إسرائيل » التى حلت محل عصابة اشترن كتبت بتاريخ ٦ من سبتمبر عام ١٩٤٨ تقول :

«إن الواجب الآن يفرض علينا طرد برنادوت ومن معه من المراقبين... مباركة اليد التى تعمل على تحقيق ذلك . . . »

ثم تطور بهم الأمر فانتقلوا من التهديد إلى التنفيذ الفعلى ، ففى يوم ١٧ من سبتمبر عام ١٩٤٨ ، بينما كان الوسيط الدولى يغادر مبنى الحكومة بعد زيارته — وهو المبنى الذى كان من قبل مقراً للمندوب السامى البريطانى — متخذا طريقه إلى منزل الدكتور جوزيف ، الحاكم العسكرى للجزء اليهودى من مدينة القدس ، تقدم أحد أفراد عصابة اشترن من سيارته فأوقفها وأفرغ فيه رصاصات مسدسه ، وامتد هذا القتل العمد أيضا إلى الكولونيل الفرنسى آندريه سيرو أحد مراقبى هيئة الأمم المتحدة وكان جالساً إلى جواره فى العربة .

وربما لم تكن عصابة اشترن تعلم بالمقترحات المعدلة التى رفعت إلى الأمم المتحدة فى ١٦ سبتمبر ١٩٤٨ وذلك حينما عمدت إلى افتراض انها كانت تعلم بها فان مبدأ التدويل لم يكن ليهدئ من سخط هؤلاء المتطرفين : وبالطبع لم تكن اشترن أو الآرجون لتتصرف دون تنسيق مع الهيئات الرسمية ، ويؤكد ذلك تساهل السلطات الإسرائيلية فى البحث عن قتلة برنادوت ، وكذلك فقد

كانت الأحكام الصادرة ضد من اعتبرتهم السلطات الإسرائيلية مسئولين عن الجريمة - مدعاة للسخرية والزراية ، ولم تلبث السلطات الإسرائيلية ان منحت العفو عن المجرمين بعد فترة وجيزة وأطلقت سراحهما(١) .

وفى تقييم للكونت برنادوت ومشروعه فاننا نجد انه قد أثر تأثيراً بالغاً على الموقف الدولى وعلى المشكلة الفلسطينية(٢) على السواء .

ومما يجدر ذكره ان برنادوت قد قام فى مدة الحرب العالمية الثانية بصفته مندوباً عن هيئة الصليب الأحمر فى ألمانيا بانقاذ حياة عشرات الآلاف من البشر كان معظمهم من اتباع الدين اليهودى ، وكانت هيئة الأمم المتحدة قد اختارته وسيطا عنها فى فلسطين بعد أن تيقنت انه لم يعد فى استطاعتها تطبيق قرارها الذى أصدرته فى يوم ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٧ ، وكان أملها فى تعيينه أن يأتى لها بحل جديد لمشكلة فلسطين ، وقد قام الكونت برنادونت بمهمته مستوحيا الاعتبارات الإنسانية ولم تكن مقترحاته التى أبداها صادرة إلا من هذه الإعتبارات الإنسانية ، أما إتهامات الاتحاد السوفيتى التى تجعل منه عميلا للإنجليز فلا أساس لها .

ومما يدعو للدهشة أن الأمم المتحدة استقبلت مقتل خادمها الأمين فى استسلام ، وقد اجتمع مجلس الأمن يوم ١٨ من سبتمبر واكتفى الدكتور رالف بانش ممثل السكرتير العام للأمم المتحـــدة لدى لجنة فلسطين بالسير فى مهمة الوسيط التى كلف بها الكونت برنادوت من قبل وذلك بصفته نائبا للوسيط .

---

(١) وهما ناتالى فريدمان يلين : وماتتياجوشمولفتش وقد قدما للمحاكمة فى شهر ديسمبر ١٩٤٨ أمام محكمة عكا الاسرائيلية رحكم على الأول منهما بالسجن لمدة ثمانى سنوات ، والثانى بالسجن لمدة خمس سنوات - وبعد إطلاق سراحهما استطاع فريدمان يلين أن يشغل منصباً رسمياً كعضو فى الكنيست على أثر إنشائه .

Aleum, op. cit, pp. 335–386.

(٢) الدكتور / جلال يحيى ، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ٢٤٦ .

وعن مسئولية الصهيونية فى تصعيد الهجوم ضد برنادوت ومهمة الأمم المتحدة — كتب رالف بانش فى تقريره الذى أرسله إلى السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ٢٧ من سبتمبر عام ١٩٤٨ يقول :

« أخبرتنى الحكومة الإسرائيلية فى رسالة منها تاريخها ١٩ من سبتمبر أنها تكاد أن تكون على يقين من أن الجماعة التى تطلق على نفسها اسم هازيت هامولديت والتى اعترفت بمسئوليتها عن الجريمة إنما هى نوع من المنظمة المنشقة المسماه لوهامى هيروت إسرائيل — وهى عصابة اشترن » .

وأضاف

« . . . وحتى يوم ٢٠ من سبتمبر ، ظلت هذه المنظمات الإرهابية سادرة فى نشاطها علنا ومن غير أى قيد فعلى عليها ، ومن غير أن تطبق الجزاءات المنصوص عليها فى القانون على من يعمل من تلك المنظمات فى الجزء من مدينة القدس الواقع تحت الإشراف اليهودى » .

ويستمر الدكتور رالف بانش قائلا :

« . . . . كانت الصحف المحلية اليهودية قد دأبت فى خلال الأسابيع السابقة ، على تصعيد الهجوم الموجه ضد الوسيط . . . متهمة إياه بأنه إنما يعارض المطالب اليهودية فى تعنت ، ولم تعمل الحكومة المؤقتة فى إسرائيل أى شىء فى تصريحاتها الرسمية من أجل تكذيب الإتهامات التى لا أساس لها . . . بل على العكس من ذلك كانت التصريحات السابقة الصادرة عن الموظفين المسئولين تثير أسباب التحقير بوجه خاص حول المنظمة المكلفة بالرقابة على الهدنة ، وفى مناسبات عديدة تقدمت بمطالب باسم الوسيط إلى موظفى الحكومة المؤقتة بشأن الأوضاع المليئة بالمخاطر التى نشأت بسبب ذلك » .

ردود فعل العمليات العسكرية فى العالم العربى :

وفى العالم العربى صار من المستحيل المحافظة على شكل الاتحاد بعد حلول الهزيمة فى الجولة الثانية ، وكما سبق أن أوضحنا فقد أخذت كل من مصر والأردن تلقى التبعة على الأخرى ، غير أن الوقائع والوثائق تدين الملك عبدالله بشكل أوضح فهو لم يعن بتحصين اللد والرملة التى اكتظت بالعرب الوافدين من جهات أخرى ، وقد قيل أن الملك عبد الله ترك فى اللد سرية واحدة وكان على علم بأن اليهود سيتجهون نحوها بمجرد استئناف القتال ، بل أن جلوب سحب كتيبة من اللد ووجهها إلى الغور قائلا أن المنطقة مهددة مع أنها تقع فى القطاع المكلف به الجيش العراقى(١) .

وقد سبقت الإشارة إلى أن التحليل العسكرى الدقيق لهذا الحادث ، ودراسة أوضاع وحجم قوات الطرفين وتتبع سير القتال . . كل هذا يبين أن سقوط اللد والرملة كان نتيجة لمؤامرة محكمة بين بريطانيا — فى شخص جلوب — والصهيونية .

ومما يؤكد هذه النتيجة ، الأهمية الخاصة لهاتين المدينتين بالنسبة لسير العمليات العسكرية ، فهما تقعان على بعد ١٥ كم من تل أبيب وتعتبران من معاقل أنصار الحسينيين ، وخلالهما يمكن توسيع الطريق بين القدس وتل أبيب ثم أن الانسحاب منهما يكشف ميمنة الجيش المصرى ، والأهم من ذلك أن الملك عبد الله صار يحقد على وجود المصريين فى النقب بعد أن فتح له برنادوت باب الأمـــل فى ضمه إلى مملكته وكان يصرح لأصدقائه بأن

---

(١) عبد الله التل ، كارثة فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٢٤٣-٢٦٧ .

الدكتور / جلال يحيى : العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية مرجع سابق ص ص ٣٦٦-٣٧٣.

العميد / محمد فايز القصرى ، مأساة العالم العربى — المطبعة التعاونية ، دمشق ، بدون تاريخ اصدار ، ص ص ٢٤٦-٢٦٠.

استخلاص النقب من اليهود أسهل من أخذها من المصريين ، بل يروى أنه كان يتمنى لو استولى اليهود على غزة وفى تلك الحالة يمكن التفاهم معهم على جعلها ميناء حرا يستخدمه الأردن .

وقد دعى الملك عبد الله صديقه رياض الصلح إلى عمان وحاول أن يبرر موقفة بأن المصريين قصروا فى مده بالذخيرة ولم يقدموا له الأموال التى وعدوا بها وبخصوص الضباط الإنجليز الذين يعماون فى فرقته فقد دافع عنهم قائلا بأنهم لم يقصروا ثم إن إخراجهم بناء على رغبة الضباط العرب يشجع إشتغال الجيش بالسياسة وهذا هو الخطر الذى وقع فيه الجيش العراقى من قبل .

وأضاف :

« الآن يثورون على جاوب وغدا على » .

ومن الغريب أن اليهود قد اعتبروا وجود الضباط الإنجليز فى الفرقة العربية ميزة للأردن واحتجوا عليها كدليل على عدم حياد بريطانيا فى النزاع وقد أجاب الصلح بأن الشرط الذى كان مقتنعا عليه لتقديم الأموال لم يتوفر وهو إستمرار القتال ، واستغل هذه الفرصة لكى ينشر بيانا على الأمة(١) العربية فى أول أغسطس يهيب فيها بضرورة إستئناف القتال لأنه إذا لم يفعل ذلك، فان اليهود سيبدآن بانتهاك الهدنة .

فهل مبعث هذه الدعوة هو الجهل أم المزايدة ؟ — لاشك أن هذه الدعوة تصبح صائبة إذا كانت الحكومات العربية فى ذلك الحين مصممة على وضع قواتها فى خدمة المشكلة الفلسطينية(١) ، ولكن تبين أن الجيش العراقى يفتقد الذخيرة وهو لا يحارب بدون الأردن :

وحينما اجتمع مجلس جامعة الدول العربية فى القاهرة ليقدر ما إذا كان

---

(١) أحمد فراج طايع : صفحات مطوية عن فلسطين ، مرجع سابق ص ١٣١-١٣٧ .

القتال يعود أو لا يعود ، أصدر الملك عبد الله تعليماته إلى رئيس وزرائه توفيق أبو الهدى بأن يكون رده بالنفى القاطع ، ومما قوى لديه الأمل فى أن تفوز وجهة نظره هذه بالقبول كون الإسرائيليين أنفسهم كانوا قد قبلوا استمرار الهدنة وكون المصريين قد أبدوا موافقتهم على ذلك بعد أن حققوا أثناء المرحلة الأولى من القتال عملية منها جانب كبير لمصلحتهم ، ولكن حينما عاد توفيق أبو الهدى من القاهرة ، علم الملك عبد الله بدهشة وإستغراب أن رئيس وزرائه قد اقترع إلى جانب زملائه العرب فى صالح العودة إلى القتال ، وذلك رغبة منه فى عدم عزل شرق الأردن من الدول العربية الأخرى .

وهكذا عادت الدول العربية تخشى من ردود الفعل لدى جماهير شعوبها فلقد أكدت من قبل لشعوبها أن مسألة القضاء على إسرائيل ليست سوى لون من اللعب ، فلم يعد فى إستطاعة الشعوب العربية أن تدرك أسباب الفشل التى حالت دون الوصول إلى هذا الغرض ، وكان النقراشى باشا رئيس الوزراء المصرى هو الذى تحول هذه المرة أيضا ليجعل من نفسه البطل المغوار فى نظر الدعاجوجية العربية .

وقد كتب جلوب حول هذا الموضوع قائلا(١) :

« لست أعرف على مدى التاريخ عملا فى مثل هذا القدر من الحمق والتهور أتى به رجال تقع عليهم مسئولية الحكم . . . لقد ضاع مستقبل شعب فلسطين ضحية للسياسة المصرية » .

وعن الاحتكاك الأردنى المصرى يقول جلوب (٢):

---

(١) Aleum, op. cit. pp. 304–432.

(٢) Glubb, Sir, John Bagat : A Soldier with the Arabs, New York, Happer, 1957 pp. 243–243.

« الواقع الحقيقى هو أن الحكومة المصرية جرت جامعة الدول العربية إلى الحرب فى مايو ١٩٤٨ ضد المشورة التى أسداها الأردن ، فالقيادة المصرية انتهت إلى الإخفاق التام ، بينما استطاع الجيش العربى أن يكتسب سمعة حسنة ، وتمكن بالفعل من إنقاذ جزء لا يستهان به من فلسطين ، كان من الضرورى لمصر أن تجد ذريعة لفشلها هى ، ومما زاد من التوكيد على هذين العاملين كون الملك فاروق يضمر الحسد من الملك عبد الله ، بالإضافة إلى الاتجاه العام المعادى لبريطانيا فى السياسة المصرية ، لأن الجيش الذى تألق على جيش مصر كان جيش الملك عبد الله ، وهذا الجيش تلقى تدريبه وأوامره على يد ضباط بريطانيين(١) » .

وفى تبرير الموقف المصرى يرى أحد الباحثين(٢) فى المشكلة الفلسطينية أن المصريين من جهتهم كانوا يشكون فى أن شرقى الأردن هى أداة بيد السياسية البريطانية وأن نصائح الملك عبد الله فى « الاعتدال » و «الواقعية» كانت تشكل خيانة لمشكلة فلسطين ، وفضلا عن ذلك ، فقد تولد استياء فى صفوف الضباط المصريين لأن الجيش العربى لم يوزع قواته ويستخدمها على النحو الهجومى الممكن أثناء القتال فى معركة القدس ، واللد والرملة ،

كما أن عبد الناصر بالذات — وكان يقاتل حينئذ فى فلسطين — قد ساورته الشكوك بأمر الأردنيين ونقلت عنه(٣) الملاحظة التالية :

« قبل مغادرتنا غزة تلقينا بعض التعليمات الغريبة ، لقد طلب إلينا التحرك بسرعة لنجدة الجيش الأردنى الذى كان يواجه ظروفاً صعبة بالقرب من باب الواد . . . وحسبنا الأمر ينطوى على غرابة فى

---

(١) Ibid, p. 243.

(٢) دكتور / ابراهيم أبو الغد ، تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٣٤٨–٣٤٩.

(٣) Lacouture Jean, and Lacouture Simone, Egyptin Trad-nsision London, 1958 pp. 138-139.

تجريدنا من ربع قواتنا المقاتلة للإلقاء بها فى وكر الزنانير عند باب الواد » .

وعموماً فقد وضحت استراتيجية(١) قوات الملك عبدالله حيث بدت كما لو كانت تسير على أساس اتفاق ضمنى مع بن جوريون فما كاد يستوئنف القتال وتنهزم قواته فى اللد والرملة –أو يسحبها متعمداً– فى موءامرة محكمة بين جلوب والصهيونية ، حتى قرر الملك عبد الله إيقاف القتال بدون انتظار قرار مجلس الأمن .

كذلك التزم العراق بموقف الملك عبد الله ، ومع ذلك لم تلبث الحكومة العراقية أن أعلنت للرأى العام العراقى ، رفضها للهدنة ، مما يوءكد أن المقصود بذلك هو إحراج مصر وإظهارها بمظهر الدولة المتخاذلة لأنها فضلت العمل منفردة وقبلت الهدنة .

ويقال فى سبب قبول مصر للهدنة أن بريطانيا استنادا منها إلى معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا كانت قد أرسلت إلى إسرائيل عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية إنذار تطالبها فيه بالإنسحاب ، فبعد أن وصلت قواتها إلى مطار العريش الذى كان قاعدة من أقوى القواعد المصرية ، وأعقبته بريطانيا بإنذار آخر إلى إسرائيل تطالبها فيه باخلاء تلال رفح وأنزلت قوات بريطانية فى ميناء العقبة ، وعندئذ طلبت مصر إبرام الهدنة التعاقدية فى ٦ يناير ١٩٤٩(٢) .

موقف الملك عبد الله تجاه حكومة عموم فلسطين وردود فعله

وفضلا عن هذه الانقسامات الناشئة عن الأوضاع العسكرية فقد جاءت قضية تمثيل عرب فلسطين لتزيد من شقة الخلافات العربية ، ففى يناير ١٩٤٨ كانت جامعة الدول العربية قد اتخذت قراراً بعدم ضم أى جزء من فلسطين

---

(١) Rodinson, op, cit, pp. 40-41.

(٢) Aleum, op. cit, p. 355.

لدولة من الدول العربية القائمة وإنما يختار الفلسطينيون بعد تحريرهم ، الحكومة التي تمثلهم .

وبعد نشر تقرير برنادوت تعجلت الحكومة المصرية تقديم اقتراح إلى الجامعة العربية في سبتمبر يقضي بانشاء حكومة أسمتها حكومة عموم فلسطين ، وقد وافقت الجامعة العربية على تشكيل الحكومة لتمثيل عرب فلسطين ولتكون رمزاً لكفاح بقايا هذا الشعب في سبيل البقاء ، ولإنقاذ البلاد من خطر اليهود .

ولاشك أن وصول الجامعة العربية إلى هذا القرار كان يعني أولا محاولة إظهار تشكيل سياسي عربي يقف في وجه الدولة الصهيونية ، وكان يعني ثانياً وصول العرب إلى نصف حل مع الملك عبد الله بشأن أطماعه الواضحة في فلسطين.

إن قضية تمثيل عرب فلسطين في الجامعة العربية لتوضح كيفية سلوك الوفود العربية وعدم شعورهم بالمسئولية إزاء المشكلة الفلسطينية ، فعلى سبيل المثال كان وفد الأردن ممثلا بواسطة فوزي الملقي وسعيد المفتي ، وأعلن الوفد الأردني موافقته على الفكرة ، ولما وصلت الأنباء إلى الملك عبد الله اشتط غضباً وسأل مندوبيه : كيف تمت الموافقة ؟ فكان الجواب : هو أنه لا بأس من الظهور بمظهر الإجماع طالما أن الحكومة ولدت ميته ولم تعتمد لها الأموال الكافية .

ومن ناحية أخرى ، لم يسمح الملك عبد الله بامتداد سلطة أحمد حلمي عبد الباقي من غزه إلى كل المناطق العربية في فلسطين ، فقد رأى الملك عبد الله في حكومة عموم فلسطين حكومة في ظل الجامعة العربية ، ونشأت في القطاع المصري في فلسطين وأنها تحد من سلطته هناك ويظهر ذلك من تعيينه أحد الأردنيين حاكما عاماً على المناطق العربية في الضفة الغربية ، وفي العمل على عقد مؤتمر .

أريحا فى ١٩٤٨/١٢/١ الذى مهد به لضم الضفة الغربية للضفة الشرقية ، ولم يلبث أن صدر فى أول يونية ١٩٤٩ قرار بتسميتها بالمملكة الأردنية الهاشمية ، ووافق البرلمان الأردنى فى ٢٤ إبريل ١٩٥٠ على وحدة الأراضى الواقعة على ضفتى نهر الأردن — أى إدماج المنطقة التى احتلها الجيش الأردنى على الضفة الغربية فى المملكة الأردنية الهاشمية(١) ، وقد تحقق ذلك بالفعل بالرغم من احتجاج الفلسطينيين والدول العربية الأخرى .

وقد أدانت مصر أطماع الملك عبد الله واتهمته بالاستعداد لعقد تسوية دائمة مع إسرائيل ، يتم فيها التنازل لليهود أكثر مما اهتم العرب الآخرون بالتنازل .. وسوف نرى أن الملك عبد الله قد أجرى محادثات مع المسئولين الإسرائيليين قبل الحرب حين حاول الاتفاق مع الصهيونيين من أجل تقسيم فلسطين وكان ينظر إلى أبعد من ذلك أيضاً وإذا لم تكن مقابلاته مع جولدا مايرسون (جولدا مائير فيما بعد) قبل وقوع الحرب مباشرة لم تثمر عن أى اتفاق صريح (٢) ، فانه تنازل بعد الحرب للصهيونيين عن قطاع من أراضى الحدود .

وهكذا ثبتت خيانة الملك عبد الله(٣) من وجهة نظر الرأى العام المصرى عندما اجتمع الوجهاء والأعيان والفلسطينيون فى ديسمبر ١٩٤٨ بمؤتمر أريحا للمطالبة بالاتحاد مع شرقى الأردن — وهو ما سبق لمجلس الأعيان أن وافق عليه — ثبتت خيانة الملك عبد الله لأن عملية الضم هذه — من وجهة النظر المصرية — قد أدت إلى تقويض دعائم حكومة عموم فلسطين التى أنشئت فى سبتمبر ١٩٤٨ تحت رعاية جامعة الدول العربية وتشجيع مصر .

أما الحكومة السورية فقد أدانت هى الأخرى موقف الملك عبد الله تجاه

---

(١) الدكتور / محمد أنيس ، الدكتور / السيد رجب حراز ، الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ص ص ٥٩٠-٥٩٢.

(٢) Rodison, op. cit, p. 4I.

(٣) Ibid, p. 4I.

حكومة عموم فلسطين ، لأن أطماع الملك بتنصيب نفسه على رأس دولة تشمل الهلال الخصيب كانت من المحرمات فى دمشق .

أما الحكومة السعودية — التى قامت أسرتها الحاكمة بطرد الهاشميين من مكة والمدينة فى عام ١٩٢٤ — فلم يكن لديها من سبب يحملها على الإبتهاج لهذه النتيجة .

وهكذا استمرت المشكلة الفلسطينيــة سبباً فى إحداث الانقسام بين مصر والأردن طيلة فترة عديدة عقب غياب الممثلين الرئيسيين فى نكبة عام ١٩٤٨ عن مسرح الأحداث بعد أن جرفتهم الاغتيالات ، وكان على حكومة عموم فلسطين أن تتحدث باسم عرب فلسطين فى الوقت الذى تدرك فيه هذه الحكومة بأنها غير معترف بها على الإطلاق فى عمان وأن سلطات عمان ترفض التعاون معها وذلك فى الوقت الذى كانت فيه حكومة الملك عبد الله تتفاوض سراً مع السلطات الإسرائيلية فى باريس عن طريق الياهو ساسون وذلك للوصول إلى اتفاق مبدئى بعدم تحرك الوحدات المحاربة الأردنية والإسرائيلية فى فلسطين .

وقد انتهز الملك عبد الله فرصة تعيين أحمد حلمى عبد الباقى على رأس حكومة عموم فلسطين لكى يعين عبد الله التل قائد منطقة القدس العربية بدلا منه فى منصب الحاكم العسكرى للقدس ويعطيه اختصاصات مدنية ، ويبعده عن الوحدات المقاتلة ، ومهد بذلك الطريق للانفراد بوحدات الجهاد المقدس وكانت من المتطوعين والفدائيين العرب والعمل على نزع سلاحها تمهيدا لتسريحها والقضاء عليها .

ومن الثابت أن هذا التضارب بين المصالح العربية . . وفى نطاق الجامعة العربية وحول مشكلة فلسطين وفى أثناء المعركة كان يخدم مصالح اليهود وعلى

حساب العرب ، كان هذا التضارب والتناقض بين المصالح الأردنية ومصالح الشعب الفلسطيني يشجع اليهود على إختطاف تنازلات إقليمية من الأردن بعد أن تخلصوا من مصر حيث كان الإغراء شديداً لدى الصهونيين لاحتلال فلسطين كلها حتى نهر الأردن .

وهنا عرض الملك عبد الله على المسئولين الإسرائيليين أن يرسلوا إليه وفداً من قبلهم ليجتمع بهم فى قصرة الشتوى فى الشونة على ساحل البحر الميت ، وتم هذا اللقاء فى الأيام الأخيرة من شهر مارس ١٩٤٩ وجرت بين الطرفين مناقشات طويلة قبل الملك عبد الله على أثرها أن يتنازل للإسرائيليين عن شريط من الأرض بعرض ثلاثة كيلومترات فى المتوسط وبطول تسعين كيلومتراً على حافة خط وقف إطلاق النار .

وكان من شأن هذا الاتفاق الذى يبـــدو ضئيلا فى مظهره أن يسمح لإسرائيل بالتحكم فى الطرق الموصلة من البلاد ووادى جزريل ومنطقة الجليل ولكنه أدى إلى عزل القرى العربية عن حقولها بل وعن آبارها فى بعض الأحيان . وقد صار هذا الخط سببا فى الكثير من الحوادث الدامية(١) فيما بعد .

السياسة تجاه الفلسطينيين المشردين والقرار رقم ١٩٤ :

نزح ما يزيد على ٧٠٠,٠٠٠ فلسطينى عن ديارهم خلال الاضطرابات والاشتباكات العسكرية التى أحاطت بقيام إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ والتجأ إلى الإقامة فى الضفة الغربية (التى ضمها الأردن رسميا عام ١٩٥٠) وغزة تحت الإدارة المصرية) وسوريا ولبنان ، وشكلت العلاقات مع إسرائيل الناحية الأكثر بداهة من سياسة العرب تجاه فلسطين ولكن العلاقات مع الفلسطينين المشردين كانت بارزة المغزى أيضا فى السياق الطويل .

وسواء كان ذلك عمداً أو عرضاً : فقد أخذت الحكومات العربية بالتسوية

---

(١) Eytan, Walter : The First ten Years, London, 1958 pp. 58-72.

التى تعتبر الفلسطينين لاجئين لهم مطالب خاصة فى جوهرها (وتعود جذورها إلى الحرمان القسرى من الأملاك وأسباب الرزق) وليست عامة بالأحرى وتقوم على الحق فى تقرير المصير القومى والسياسى بفلسطين .

أما الحسابات الخاطئة والهزيمة العسكرية فقد وضعت الدول العربية فى موقف غير ملائم بالنسبة لقضية تقرير المصير السياسى للفلسطينيين ونشأ الالتباس عما إذا كانت فلسطين كلها أو « فلسطين التقسيم » أو فلسطين الهدنة كما ستأتى الإشارة إلى ذلك تفصيلا — هى الرقعة الفلسطينية التى يسرى عليها مفعول تقرير المصير (١) .

وحيال واقع إسرائيل « المتصلبة والقوية » والتى تمتعت بتأييد عالمى إلى درجة كبيرة يبدو قابلا للفهم أن الحكومات العربية قد وجدت فى صيغة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ عن اللاجئين (وهى الصيغة التى يجسدها القرار رقم ١٩٤) الإطار الأكثر واقعية لكى يجرى العمل من ضمنه .

فقد قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بدراسة المشكلة الفلسطينية فى اجتماعها الذى عقدته فى باريس ضمن دورتها العادية الثالثة خلال المدة من ٢٣ إلى ٢٩ سبتمبر ، وكان أول ماقامت به النظر فى التقرير الذى وضعه الوسيط الدولى ، وقدمه السكرتير العام للأمم المتحدة قبل اغتياله بفترة قليلة .

وكان بيفن وزير الخارجية البريطانية ميالا إلى الموافقة على هذا التقرير برمته ، وذلك على العكس من فيشنسكى الذى قام نيابة عن الاتحاد السوفيتى يعارض جميع فقراته .

عندئذ أحيلت المسألة أمام اللجنة الأولى التابعة لهيئة الأمم المتحدة وفى الفترة التى كانت فيها هذه اللجنة تباشر عملها وتستمع إلى أقوال ممثلى شرق الأردن وإسرائيل ، عاد القتال ثانية فى منطقة النقب بين القوات المصرية والقـوات

---

(٢) د/ابراهيم أبو لغد ، تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ٣٥٠ .

الإسرائيلية ، وبعد اشتباكات دامت أسبوعاً ، تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال تلك المنطقة بأكملها تقريبا .

وتدخل مجلس الأمن عدة مرات لوقف القتال وأخيراً قرر فى يوم ١٦ من نوفمبر أنه :

« من أجل إزالة التهديد الذى يعرض السلام فى فلسطين للخطر ، ومن أجل تسهيل الانتقال من حالة الهدنة المؤقتة الحالية إلى حالة السلم الدائم يتم عقد هدنة اتفاقية فى جميع قطاعات فلسطين(١) » .

بعد ذلك دعا المجلس الأطراف المعنية إلى الوصول فوراً إلى اتفاق عن طريق المفاوضات إما مباشرة أو عن طريق نائب الوسيط لعقد هدنة متفق عليها فى الحال .

وفى هذه الأثناء كانت اللجنة الأولى قد أتمت أعمالها فى شهر ديسمبر ، وعرضت على الجمعية العامة مشروع قرار تصالحى تقدم به الجانب البريطانى فى أول الأمر ثم أدخلت عليه فيما بعد تعديلات جوهرية عديدة غيرت من معالمه الأولى تماماً ، ووافقت الجمعية العامة على هذا القرار بأغلبية(٢) ٣٥ صوتا ضد ١٥ صوتا وامتناع ٨ عن التصويت ، وابتداء من تاريخ ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨ ظهر التعارض بين تصويت السوفييت وتصويت الأمريكيين بعد أن ظل الجانبان على وفاق فيما بينهما حتى ذلك الوقت فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية ، وقد اقترع السوفييت ضد القرار رقم ١٩٤ بينما اقترع الأمريكيون إلى جانبه ويجدر بنا هنا أن ننقل عدداً من فقرات القرار رقم ١٩٤ ، نظراً للتفسيرات المتضاربة التى دارت حول هذه الفقرات كثيراً .

---

(١) Year Book of the United Nation 1947–1948 op. cit.

(٢) أنظر المناقشات الخاصة بذلك فى وثائق الأمم المتحدة :

General Assembly 3th Session p. 647 S. q.

تضمن القرار أول ماتضمن بناءعلى اقتراح من قبل الوسيط الدولى تشكيل لجنة توفيق من ثلاثة أعضاء تتخذ لها مقراً فى مدينة القدس وتكون مهمتها أن تحل عند الاقتضاء محل نائب الوسيط الدولى ويتولى تنفيذ الإجراءات الواردة فى صلب القرار ، وبعد ذلك ببضعة أيام تقرر أن تكون هذه اللجنة من ممثلى الولايات المتحدة وفرنسا وبلجيكا .

ونص فى الفقرة الخامسة من القرار على مايأتى :

« . . . . . : دعوة الحكومات والسلطات المعنية إلى توسيع نطاق المفاوضات المنصوص عنها فى قرار مجلس الأمن الصادر فى تاريخ ١٦ من نوفمبر عام ١٩٤٨ ، والسعى إلى ايجاد اتفاق عن طريق المفاوضات المباشرة أو التى تتم بوساطة لجنة التوفيق من أجل الوصول إلى تسوية نهائية لكافة المسائل التى لم تتوصل تلك الحكومات والسلطات بعد ، إلى الاتفاق بشأنها .

أما الفقرة الثانية فتضمنت تأييداً ، لموضوع فصل منطقة القدس عن المناطق الفلسطينية الأخرى ، ووضعها تحت الرقابة الفعلية للأمم المتحدة ، وكلفت لجنة التوفيق فى هذا الشأن بأن تتقدم إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الرابعة باقتراحات تفصيلية حول النظام الدولى الدائم الذى يطبق على هذه المدينة والمناطق المحيطة بها .

وأخيراً جاءت الفقرة الحادية عشر ، وهى الفقرة الشهيرة الخاصة باللاجئين فى نفس الصياغة التى أوردها الكونت برنادوت فى تقريره ، وهذا نصها :

« تقرر الجمعية العامة أنه يجب السماح لمن يشاء من اللاجئين بالعودة إلى مواطنهم فى أسرع وقت ممكن ، وأن يعيشوا فى سلام مع جيرانهم وأن تدفع تعويضات على سبيل المقابل لمن يقرر من بينهم عدم العودة إلى منازلهم ، وعن جميع أموالهم الضائعة أو التالفة وذلك فى الحالات

، التي تقضى فيها مبادىء القانون الدولى والعدالة بأن تتولى الحكومات والسلطات المسئولة التعويض عن هذا الضياع أو عن هذا التلف(١) .

وبالرغم من أن هذا القرار لم يوضع موضع التنفيذ فما زال يرجع إليه كثير من المناسبات كذلك فإن الفقرة الأخيرة منه على وجه الخصوص مازالت تثير حتى الآن المناقشات التي لايبدو أنها اقتربت من نهايتها .

وسوف نتوقف هنا عند قضية فرعية أصدرت الجمعية العامة حولها توصيات عديدة دون أن يكترث أحد لتنفيذها — ألا وهي مشكلة القدس .

القدس . . فشل التدويل وردود الفعل :

استفادت الصهيونية من نشوب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) — كما سبق أن أشرنا لذلك تفصيلا — وبالأخص عندما بالغت الدعاية الصهيونية فيما أسمته بالمذابح النازية لكسب عطف الرأى العام الغربى بهدف السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين كحل للمشكلة اليهودية ، وهنا اتضح الخطر الذى بات يخشاه العرب من استمرار سيل الهجرة المتدفق .

وزاد الطين بلة عندما ارتبطت الولايات المتحدة بالمشكلة الفلسطينية ، وأصبحت الثور الذى يجر العربة بدلا من الحصان البريطانى ، وتمادى الرئيس ترومان إلى أبعد الحدود فى دعم الصهيونية .

وهنا خطت الصهيونية خطوة أوسع عندما شكلت لجاناً فى كل جنوب أفريقيا وبريطانيا وفرنسا وكندا والولايات المتحدة للعمل على إنقاذ قدس(٢) الأقداس من « الاحتلال الإسلامى» وإعادة بناء الهيكل فى مكان المسجد الأقصى

---

(١) Ibid.

(٢) عارف العارف ، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ — ١٩٥٥ بيروت المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٩٦٢ ج (١) ص ١٧٥ .

وقامت بجمع الأموال اللازمة لتنفيذ الفكرة حتى وصل الغرور بالصهاينة إلى حد تكليف عدد من أشهر مهندسيهم لوضع التصاميم ورسم المخططات لبناء الهيكل .

ولما أنس اليهود القوة فى أنفسهم ، حاولوا عام ١٩٤٦ الوصول إلى ساحة الحرم للقيام بأعمال تخريبية ، ولكن عرب فلسطين بذلوا من الكفاح ماجعل الصهاينة يتوقفون عن هذه الأعمال التخريبية .

ثم ظهرت فكرة تدويل القدس مع مشروع قرار تقسيم فلسطين ، وفى ذلك الحين أعلنت الصهيونية عن موافقتها على المشروع ككل متظاهرة بقبوله معولة إما على رفض العرب أو استخدام القوة .

ولما نشب القتال بين الطرفين المتنازعين ولم يتوقع من كل منهما أن يكوى القدس بنيران الحرب بعكس مافعل الترك عندما انسحبوا من القدس عام ١٩١٧ وسلموها لأعدائهم الإنجليز حتى يجنبوها ويلات الحرب .

وقد عمد الصهاينة إلى التصريح تدريجيا بنيتهم فى التمسك بالقدس ، ولما أعلنت بريطانيا عزمها على الانسحاب فى ربيع عام ١٩٤٨ انفجرت الحرب بين العرب واليهود وحاول مجلس الأمن إلغاء قرار التقسيم وإعادة فلسطين واحدة تحت ادارة مجلس وصاية ، وهنا أسرع اليهود بقبول التقسيم مقابل الإعتراف بالدولة اليهودية .

ولما تسابقت دول العالم للإعتراف باسرائيل ، وأعلن اليهود أنهم لن يتخلوا عن القدس سواء أعطيت للعرب أو اعتبرت دولية أدخلوا إليها ٧٠٠ من الهاجاناه وغيرهم من العصابات المسلحة ، وقد رفض الملك عبد الله تدويل القدس وطلب (١) من جيشه المتمركز فيها أن يقاتل بايمان وعقيدة فى سبيل عروبة القدس ،

---

(١) محمود العابدى — قدسنا ، معهد البحوث والدراسات العربية : القاهرة ١٩٧٢ ص ص ١٦٦ — ١٢٥.

ولما انتهى الانتداب البريطانى على فلسطين فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ ، حاول اليهود الاستيلاء على القدس القديمة بتطويقها بقوات هائلة والهجوم عليها من الجهات الثلاث ، ولكن المناضلين العرب وجنود الجيش الأردنى صدوا الهجوم وكان اليهود قد سحبوا معظم المدنيين من حارتهم فى القدس وأحلوا بدلا منهم ٧٠٠ من جنود الهاجاناه ورجال العصابات الآخرين ، ولما تغلبت عليهم القرى العربية استسلموا ، ويذكر عبد الله للتل(١) أن المناضلين العرب وجنود الجيش الأردنى قد أسروا يوم ١٩٤٨/٥/٢٧ عددا كبيرا ممن كانوا فى حارة اليهود ، ولكنهم سلموهم بالحسنى للصليب الأحمر وساقوا الجنود الأسرى إلى عمان وكان عددهم حوالى ٣٥٠ أسيرا ظلوا فيها حتى جرى تبادل الأسرى ، واكتشف بعد ذلك أن بعض محاربى اليهود اختفوا فى داخل كنيس وظهروا فجأة ، وأخذوا باطلاق النار ، لذلك قصف الكنيس بالمدفعية حتى دمر على رؤوسهم .

وقد استغلت الصهيونية العالمية هذا الحادث وحملت العرب مسئولية تخريب هذا الكنيس ، وسيذكر التاريخ دواما أن البوليس البريطانى أثناء الانتداب قد اكتشف مستودع أسلحة فى أرضية الكنيس الكبير فى تل أبيب ، وكثيرا ما كان اليهود يلجأون إلى معابدهم فى تخبئة الأسلحة وإطلاق النار منها على العرب المسالمين ، وتبع ذلك المذابح التى تعرضت لها القرى العربية من قبل المنظمات العسكرية اليهودية مما أدى إلى تسرب الفزع إلى قلوب عرب فلسطين وحملهم على طلب النجاة بأنفسهم تاركين متاع الحياة خلفهم ومن هنا نشأت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين(٢) التى لم يكن لها سبب سوى الرعب المقصود الذى فرضه العدو على

---

(١) عبد الله التل ، كارثة فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٢٥١–٢٥٧ .

(٢) وفقاً لأحكام القانون الدولى فان اللاجىء هو الشخص الذى يقيم خارج وطنه بسبب الخوف الذى له ما يبرره من الاضطهاد بسبب الجنس أو الدين أو اللون أو الآراء السياسية وقد اتجهت الجهود الدولية وبصفة خاصة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى ضرورة تقديم المساعدة للاجئين وتقرير بعض الحقوق لهم .

راجع Weiss. – «Internatioual Protectlon of Refugoes» الأمريكية للقانون الدولى عدد ٥٨ سنة ١٩٥٤ ص ١٩٦ .

النسحب الاعزل لتفريغ الأرض من سكانها الشرعيين . ومنذ ذلك الحين و مشكلة اللاجئين الفلسطينيين تتميز بأنها مشكلة شعب بأكمله حرم من وطنه ومن حقه فى تقرير مصيره ، وبالرغم من ذلك فان الشعب الفلسطينى النازح لا زال متمسكاً فى العودة إلى وطنه وهو حق تكفله له قواعد القانون الدولى(١) .

وهكذا وقبل أن ينتهى الانتداب البريطانى على فلسطين والذى كان مفروضاً فيه حماية الأرواح والممتلكات ، قد خلت القوى العربية التى كانت خارج القسم اليهودى بموجب تقسيم هيئة الأمم المتحده ، والذى كان من نتيجته العدوان الإسرائيلى وتشريد اللاجئين الفلسطينيين .

وقد استطاع الصليب الأحمر اعتبار مدينة القدس القديمة كأنها مستشفى وبالفعل تحولت إلى مستشفى نتيجة لمن جرح فيها من العرب المدنيين .

وفى مشروعه الأول المنشور فى نهاية يونيو ١٩٤٨ اقترح برنادوت(٢) وضع المدينة فى المنطقة العربية مع منح اليهود المقيمين فيها بعض حقوق الحكم المحلى ، وكانت حجة برنادوت هى أن مدينة القدس محاطة من جميع الجهات بمناطق عربية .

وعموماً ، فقد ساد مبدأ الأمر الواقع فى مدينة القدس حيث استولى الملك عبد الله على المدينة القديمة ووقف عاجزاً لسبب أو لآخر أمام القدس الجديدة

---

(١) الدكتور / حامد سلطان ، المشكلات القانونية المتفرعة على قضية فلسطين – إصدار معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة ١٩٦٧ – ص ص ٧٥–٩١.

الدكتور / محمد حافظ غانم : المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولى إصدار معهد الدراسات العربية العالية – القاهرة ١٦٦٥ ص ص ١١٦–١٢٠.

(٢) ملف وثائق فلسطين (مجموعة وثائق أوراق خاصة بالقضية الفلسطينية – مرجع سابق ص ص ٩٤٣ – ٩٤٤.

الدكتور / عز الدين فودة ، قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية . بيروت – منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث ١٩٦٩ ص ص ١٠٥–١٠٩ .

التى يتركز فيها الجهود ، ومنذ ذلك الوقت استقل كل فريق بإدارة المنطقة التى دخلت فى حوزته وفصلت أحياء المدينة العربية عن اليهودية بالأسلاك الشائكة .»

وتذكر بعض المصادر(١) أن الملك عبد الله كان يتطلع إلى أن يعلن نفسه ملكاً فى القدس بعد إكمال الاستيلاء عليها ، « فإن صح هذا فانه لايكون متآمراً على انقسام المدينة كما يسير إلى ذلك عبد الله التل بطريق غير مباشر وإنما أجبرته المقاومة العنيدة التى اصطدم بها فى القسم اليهودى على الاكتفاء بالمدينة القديمة » .

وفى بداية الأمر استاءت إسرائيل لضم القسم العربى إلى الأردن وكانت تفضل على ذلك إقامة دولة عربية صغيرة مجاورة وحاولت إثارة الخلافات الدينية بين الغرب المسيحى والشرق الإسلامى فقالت أنه من الأفضل تبعية الأماكن المقدسة لدولة عربية صغيرة متحدة مع إسرائيل وبذا لا تكون لها صفه إسلامية واضحة كدولة الأردن ، ومن مصلحة المسيحيين ألا ينفرد أتباع دين واحد سواء مسلمين أم يهود بادارة الأماكن المقدسة(٢) .

وقد كانت الطوائف الدينية الغربية من أكثر الفئات تحمساً لفكرة تدويل القدس ، فبعث الفرنسسكان إلى البابا بتاريخ ٢٨ مايو يذكرون أنهم فى سبيل تكوين ميليشيا أو حرس وطنى للأماكن المسيحية وكانت فرنسا قبل ذلك قد فكرت فى إقامة مثل هذا الحرس .

---

(١) Pablo de Azcorate, Mission in Palestin, 1948 – 1952 (Washington, D. C. 1966) pp. 64–79.

(٢) عارف المعارف – نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود (١٩٤٧–١٩٥٥) الجزء الأول ، مرجع سابق ص ١٧٧ .

محمد عزة دروزة – الوحدة العربية ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر الطبعة الأولى ١٩٥٧ – ص ص ٤٩٥–٤٩٧ .

وعموماً فان الطوائف المسيحية نظرت إلى التدويل على أنه وسيلة لتوسيع نفوذ الكنيسة الكاثوليكية لأن الأرثوذكس كانوا ما يزالون يتمتعون بمركز متفوق .

ومن المدهش أن يتفق الاتحاد السوفيتي مع دول أمريكا اللاتينية والعرب على مبدأ التدويل فى الأمم المتحدة غير أن البواعث تختلف لدى كل فريق .

فدول أمريكا اللاتينية تحمست لأنها توقعت أن يكون للكاثوليك نصيب أكبر فى ظل الأمم المتحدة ، والاتحاد السوفيتي رغم تجاهله للأديان فهو لا يرى بأساً من تشجيع الأرثوذكس فى مثل هذه الحالات لأنه يمكن أن يرث العلاقات التقليدية التى ربطت بين روسيا وبين الكنيسة الأرثوذكسية فى الماضى ؟

أما العرب فانهم قصدوا إحراج إسرائيل والأردن معاً بالموافقة على مبدأ التدويل خاصة بعد أن تكشف وجه السياسة الإسرائيلية الرامية إلى ضم القدس الجديدة ولم يكن الأردن قد مثل بعد فى الأمم المتحدة ، لذا فان الملك عبد الله اتخذ الإجراءات الرامية إلى ضم القدس القديمة بالتدريج متمشياً فى ذلك مع نفس الخطوات التى اتبعت لضم الضفة الغربية .

وبناء على ما جاء بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧ الخاص بتدويل القدس ، فقد كلفت لجنة من قبل الأمم المتحدة لوضع دستور لمنطقة القدس تنص فى مقدمته على سلامتها كوحدة مستقلة وتجريدها من السلاح وتقوم الأمم المتحدة بتعيين الحاكم لمدة ٣ سنوات من غير العرب واليهود ويكون مسئولا أمام مجلس الوصاية ويتولى السلطة التشريعية فى المنطقة الدولية مجلس من أربعين عضواً ، ١٨ منهم ينتخبهم العرب ، ١٨ من اليهود ، ٤ من الطوائف الأخرى سكان المدينة ، وللمدينة نظام قضائى مستقل ، ومن الناحية الاقتصادية تتبع مدينة القدس الاتحاد الذى كان من المفروض إقامته من الدولتين العربية واليهودية ؛

وقد أغفلت مسودة الدستور(١) تحت وطأة التقسيم الفعلى الناتج من الأمر الواقع وحول نظام التدويل فى الدورة الخامسة للجمعية العامة، فتقرر أن يكون المندوب السامى للأمم المتحدة مختصاً أساساً برقابة الأماكن المقدسة وحرية الوصول إليها وتنفيذ مبدأ تجريد القدس من السلاح وتأييد حقوق الأفراد والجماعات الدينية ومع احتفاظ كل فريق بجنسيته فقد أوصت الجمعية العامة فى قرارها الثانى بإقامة مجالس مشتركة بين العرب واليهود لتأمين ازدهار المدينة ويتكون هذا المجلس من ١٤ عضواً — خمسة عن كل فريق بالإضافة إلى أربعة أعضاء تعينهم الأمم المتحدة، كذلك تنشأ محكمة مختلطة للفصل فى القضايا التى تقع بين رعايا جنسيتين من سكان المدينة .

وهكذا نلاحظ اختلاف نظام التدويل الذى أقرته الجمعية العامة فى عام ١٩٤٧ عن القرار الثانى الذى أوصت به لجنة التوفيق ووافقت عليه الجمعية العامة فى عام ١٩٤٩(٢) فالقرار الأول يجعل من المدينة وحدة سياسية منفصلة ذات جنسية خاصة ، أما القرار الثانى فيدعو إلى إقامة أجهزة دولية مع الاعتراف بوجود جنسيتين أردنية وإسرائيلية للسكان، وترك نوع الاستقلال المحلى لكل منهما مراعاة لوجود هذه الأجهزة الدولية .

كذلك فإن إسرائيل قد استولت بسبب الحرب على الجزء الغربى والأكبر من مدينة القدس واستولت الأردن على الجزء الشرقى والأصغر حجما ولكنه يحوى معظم الأماكن المقدسة، ولم يشر فى اتفاقية الهدنه بين إسرائيل والأردن — كما سنرى — إلى مسألة تدويل القدس . ولكن الاتجاه داخل وخارج الأمم المتحدة كان يرمى إلى تدويل القدس — وخصوصاً من جانب الدول الكاثوليكية والدول الأرثوذكسية

Khouri, Fred J. The Arab-Israeli Delemma, N. Y. (١) University Press (Syracuse 1968) p. 109.

(٢) ملف وثائق فلسطين — مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ، مرجع سابق ص ١٠٦٧ .

وإزاء الضغط الدولى المتزايد اضطرت الجمعية العامة إلى إصدار القرار رقم ١٩٤ فى ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨ تؤكد فيه قرارها السابق بالتدويل ، ولكن اليهود وبالرغم من أنهم قد سبق وقبلوا هذا القرار لعدم رغبتهم فى إثارة الشعور العالمى ضدهم عادوا وأعلنوا أن إسرائيل هى صاحبة الحق الأول فى المدينة المقدسة وأنها قادرة على حماية الأماكن المقدسة .

وبالرغم من اعتراض الدول العربية وجامعة الدول العربية ورفعها هذا الاعتراض الى الأمم المتحدة ، إلا أن إسرائيل بدأت فى تحويل مصالحها الحكومية إلى القدس ، وبعد أن كان العرب يعارضون مبدأ التقسيم ومبدأ تدويل القدس عادوا بعد هزيمتهم فى حرب فلسطين ووجدوا أن من صالحهم الموافقة والمطالبة بتحقيق قرار التقسيم وتدويل القدس .

وقد قررت جامعة الدول العربية ودولها ما عدا الأردن الوقوف جبهة واحدة فى الأمم المتحدة للمطالبة بذلك ، إلا أن الأردن خرجت عن إجماع الدول العربية لأن حرب فلسطين كانت قد أعطت الملك عبد الله الفرصة لتحقيق أول خطوة فى تكوين سوريا الكبرى التى كانت أهم أهدافه وذلك بعد أن ضم الضفة الغربية إلى الأردن ، وأصبحت المملكة الأردنية الهاشمية ، وقد بين الملك عبد الله الأهمية الاستراتيجية والعسكرية والسياسية للقدس ، لذلك كان من الصعب عليه التنازل عنها وإخضاعها لمبدأ التدويل ولكن ذلك على حساب خروجه من الإجماع العربى ومعاداته لجامعة الدول العربية ، وبالطبع وقفت الجامعة العربية عاجزة ومكتوفة اليدين ولم يسعها إلا إصدار بيانات الاستنكار .

وقد ظل الوضع على ما هو عليه فى القدس وفشلت الأمم المتحدة فى تطبيق مبدأ التدويل(١) وأعلنت إسرائيل أن القدس هى عاصمة رسمية ونقلت إليها

---

(١) Kboury, Fred J. The Arab Israeli Delemma, op. cit. p. 107.

معظم مصالحها الحكومية ووزارة الخارجية الإسرائيلية وباشر الكنيست الإسرائيلى جلساته بالقدس وقد أعلنت الجامعة العربية أن الموقف يدعو إلى عمل عربى مشترك وأن ذلك يعتبر عدواناً من إسرائيل ووقف الأمر عند هذا الحد، وذلك بعد أن استجابت بعض الدول بالفعل للإجراء الإسرائيلى ونقلت هذه الدول الأجنبية سفاراتها إلى القدس غير أن الدول الكبرى بدون استثناء احتفظت بسفاراتها فى تل أبيب (١) .

اتفاقيات الهدنة :

منذ ١٨ يوليو ١٩٤٨ توقف القتال بين العرب وإسرائيل طبقاً لقرار مجلس الأمن ، إلا أن هذا الوضع لم يكن ذا صفة دائمة ، وكان باستطاعة الحكومات العربية أن تتظاهر بأنها تستعد لجولة أخرى إلى أن أجبرت على توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة بين فبراير ويوليو عام ١٩٤٩

وقد جاء توقيع هذه الاتفاقيات نتيجة للهزائم العربية العسكرية المتوالية التى منى بها العرب وخاصة مصر التى تلقت ضربات مفاجئة على خطوطها الطويلة خلال شهر ديسمبر ١٩٤٨ ، وانتهت هذه الضربات بانهيار القوات المصرية ، واكتفت مصر بعرض شكواها على مجلس الأمن ، وقد وضح أن إسرائيل كانت تبغى من وراء الضغط على الجبهة المصرية بالذات أن تضطر كبرى الحكومات العربية إلى الصلح معها أو الاعتراف بها بشكل ما(٢) .

وعاد مجلس الأمن المجتمع فى باريس يأمر مرة أخرى فى يوم ٢٩ من ديسمبر بوقف إطلاق النار ، وبدأ تنفيذ هذا الأمر من يوم ٧ من يناير ١٩٤٩ ، ثم جرت مفاوضات فى جزيرة رودس تحت إشراف الوسيط الدولى بالنيابة .

وقد حرصت مصر على إعطاء المحادثات صفة عسكرية محققة حتى أن الخبراء المدنيين الذين ألحقوا بوفد المباحثات ارتدوا الزى العسكرى .

---

(١) دكتور / عز الدين فودة . قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية ، مرجع سابق ص ١١١ .

(٢) Aleum, op. cit., p. 356.

وتذكر المصادر الإسرائيلية أن المصريين طالبوا باستبقاء حاكم فى بير سبع بحيث يكون مجرد رمز للوجود العسكرى المصرى على أن تستمر إسرائيل فى إدارة المنطقة ، فان صح هذا الأمر فان المفاوض المصرى– طبقا لآراء بعض المؤرخين المصريين المعاصرين(١) – يكون مهتما باسترضاء الرأى العام فى مصر أكثر من اهتمامه بإيجاد حل واقعى للمشكلة الفلسطينية ، وفى النهاية قطعت إسرائيل سبيل التباحث على المفاوض المصرى فى هذا الموضوع بأن نقلت بير سبع إلى الجبهة الشرقية ومعنى ذلك أن الموضوع يخرج من اختصاص مصر إلى الدولة العربية المجاورة لهذه الجبهة وهى الأردن،ولما لم تجب مصر إلى هذا الطلب قالت أن تأمين حدودها يتطلب ضم منطقة العوجة وكحل وسط اخترع والف بانش فكرة تجريد المنطقة من السلاح مع ترك مسألة السيادة عليها غامضة .

وانتهت هذه المحادثات فى يوم ٢٤ من فبراير عام ١٩٤٩ بالتوقيع على اتفاقية الهدنة وليس لها أى طابع سياسى فيما بين مصر وإسرائيل ، وتبعها فى ذلك لبنان الذى وقع اتفاقية الهدنة فى رأس الناقورة فى ٢٣ من مارس ١٩٤٩ وبعد التوقيع على اتفاقية الشونة(٢) بين الملك عبد الله والمسئولين الإسرائيليين وفيها قبل الملك عبد الله أن ينزل للإسرائيليين – على شريط من الأرض بعرض ثلاثة كيلو مترات فى المتوسط وبطول تسعين كيلو مترا على حافة خط وقف إطلاق النار – وبعد التوقيع على هذه الاتفاقية فى الأيام الأخيرة من شهر مارس ١٩٤٩ أقلع الإسرائيليون عن إجراءات المماطلة التى لجأوا إليها فى مناقشة اتفاقية الهدنة مع الأردن،وتم التوقيع على تلك الاتفاقية فى اليوم الثالث من أبريل عام ١٩٤٩ .

أما سوريا فقد تأخر توقيع اتفاق الهدنة الدائمة بينها وبين إسرائيل حتى

(١) دكتور / صلاح العقاد قضية فلسطين : المرحلة الحرجة : مرجع سابق ص ١٣٧ .

(٢) دكتور / ابراهيم أبو لقد : تهويد فلسطين ، موجع سابق ص ٣٥٥ .

٢٠ يوليو ويرجع ذلك إلى أن القوات السورية كانت ما تزال منذ وقف إطلاق النار تحتل جزءاً من فلسطين بين بحيرة طبرية والجليل .

وحسب قرار تقسيم فلسطين يدخل هذا الجزء فى الأراضى المخصصة لليهود ، وبالرغم من أن إسرائيل تجاوزت حدود التقسيم فى مناطق كثيرة على حساب مصر والأردن فإنها جاءت هنا وتمسكت بحدود التقسيم(١) ، لكن السوريين لم يجبروا بضغط القوة العسكرية على الانسحاب فلم يكن من المتوقع أن ينسحبوا طواعية فاجتهد رالف بانش بصفة خاصة لتسوية هذه المشكلة المعقدة واقترح المبدأ الذى تحمس له فى مختلف الجبهات وهو إيجاد مناطق منزوعة السلاح على الحدود ، واحتجت إسرائيل بأنه لا يجب المقارنة بين هذه المنطقة وبين العوجة فلا علاقة بين الجبهتين الشرقية والغربية ، ثم أن هذه المنطقة تتحكم فى قطاع توزيع المياه كما تتحكم بير سبع فى طرق مواصلات النقب ، واقترح بانش فى بداية الأمر أن تنزع المنطقة من السلاح على أن تبقى الإدارة المدنية سورية فرفضت إسرائيل الاقتراح .

وعموماً فقد تم توقيع اتفاق الهدنة بين إسرائيل وسوريا فى المرقع رقم ٢٧٢ وفى ٢٠ من يوليو ، وفيما عدا الغموض الذى أحاط بالمادة الخامسة من اتفاق الهدنة السورية — إذ لا تحدد الإدارة التى ستسود فى المنطقة بعد انسحاب السوريين منها — فإن اتفاقية الهدنة مع سوريا تتشابه من حيث المبادئ العامة مع اتفاقيات البلاد العربية الأخرى وهى تأخذ الحدود الدولية السابقة بين سوريا وفلسطين كأساس لخط حدود الهدنة .

أما العراق الذى لم تكن له حدود مشتركة مع إسرائيل فلم يوقع على أى اتفاق ولكنه أعلن ارتباطه بشروط اتفاقية الهدنة المعقودة بين إسرائيل والأردن :

وهذه الاتفاقيات جميعها استوحيت من قرار مجلس الأمن المؤرخ فى

---

(١) أنظر ملف الخرائط فى ملحق الدراسة .

١٦ من نوفمبر عام ١٩٤٨ وقد صيغت كلها وفقا لقالب واحد وكانت تتعلق بتصفية حالة الحرب وقد نص فيها ، بناء على طلب العرب، وأن الذى أوحى بها هو الاعتبارات العسكرية وحدها وليست الاعتبارات السياسية، وكان هذا هو السبب الذى من أجله لم يشر فيها إلى المشكلة الجوهرية ، مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، ولم تذكر فيها مسألة خطوط التحديد إلا مصحوبه بكثير من التحفظ فقد ذكر فى هذه الاتفاقيات حول هذه المسألة ما يأتى :

« يجب ألا يعتبر خط التحديد الوارد فى اتفاقية الهدنة، بحال من الأحوال حدودا سياسية أو إقليمية وقد رسم هذا الخط بغير المساس بالحقوق أو المطالبات أو الأوضاع الخاصة بأى من الطرفين فى اتفاقية الهدنة فيما يتعلق بالتسوية النهائية للمشكلة الفلسطينية » .

وهكذا جاءت اتفاقيات الهدنة بين العرب وإسرائيل تسجيلا لوضع لم يدخل عليه أى تغيير لمدة تسعة عشر عاما تالية(١) مما يعطى لهذه الاتفاقيات بالضرورة الطابع السياسى الذى رفض الموقعون عليها أن يعطوه لها — طبقا لما يراه أحد المؤرخين الغربيين(٢) — والذى انعكس بالتالى على إقامة دولة يهودية فى جزء موسع من فلسطين بعد إخلاء الجانب الأكبر من السكان للعرب بسبب تشريدهم المفاجئ نتيجة لظروف الحرب .

ولم يراع فى هذا الحل شئ من القرارات التى أصدرتها هيئة الأمم المتحدة وكررتها مرارا بشأن عودة هؤلاء اللاجئين إلى ديارهم وبشأن تدويل مدينة القدس .

وقد كانت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين هى الموضوع الأساسى لبروتوكول لوزان الذى عقد فى مدينة لوزان بمعرفة لجنة التوفيق الفلسطينية المنبثقة عن

---

(١) أنظر ملف الخرائط فى ملحق الدراسة .

(٢) Aicum op. cit, p 397.

الأمم المتحدة والذى انتهى فى شهر سبتمبر عام ١٩٤٩ بعد نقاش دام خمسة أشهر من غير الوصول إلى أى اتفاق .

وقد راعت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الفشل فى دورة اجتماعها الرابعة فأصدرت قرارها رقم ٤/٣٠٢ المؤرخ فى ٨ من ديسمبر عام ١٩٤٩ والذى يقضى بانشاء منظمة تكلف برعاية شئون اللاجئين الفلسطينيين ، هذه المنظمة هى التى أطلق عليها اسم : « وكالة الأمم المتحدة للمساعدة والعمل من أجل اللاجئين الفلسطينيين فى الشرق الأدنى » .

وعلى العكس من ذلك فيما يتعلق بمشكلة القدس ، فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٤/٣٠٣ المؤرخ فى ٩ ديسمبر عام ١٩٤٩ ، وفيه عادت تؤكد رغبتها فى إخضاع مدينة القدس لنظام دولى دائم يتم وضع قواعده بمعرفة مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة كما سبق تفصيل ذلك .

ولكن إسرائيل ومملكة شرق الأردن — التى أصبحت المملكة الأردنية الهاشمية بعد أن ضمت إليها الإجزاء التى بقيت عربية من فلسطين — كانتا قد اقتسمتا فيما بينهما المدينة المقدسة وأيدتا رغبتهما فى عدم الخروج منها ، وإذ قبلت معظم الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة كلا من إسرائيل والأردن فى المنظمة الدولية فقد اعترفت ضمنا بهذا الأمر الواقع :

وكان دخول إسرائيل فى عضوية الأمم المتحدة يوم ١١ من مايو ١٩٤٩ ودخول الأردن إليها يوم ١٥ من ديسمبر ١٩٥٥ .

وعموما فان الأمم المتحدة لم تنته من المشكلات التى تثيرها مشكلة فلسطين وخصوصا ما تفرع عنها من مشكلات فرعية وأهمها مشكلة اللاجئين ، وقد ظلت هذه المشكلة تنتقل من دورة إلى دورة من غير طائل اللهم إلا إتاحة

الفرصة أمام الأعضاء لإلقاء الخطب في جلسات الجمعية للأمم المتحدة .

وعلى الصعيد العربي لم تذهب الحكومات العربية إلى حد إزالة الهوية المشتركة للشعب الفلسطيني باجباره على الإندماج أو افساح المجال أمامه لكي يندمج وينصهر .

وكان الأمر بالنسبة لمعظم الزعماء العرب هو أن إعادة التوطين دون الخيار في العودة إلى الديار كانت غير مقبولة من الوجهة الأخلاقية .

وهكذا عمدت الحكومات العربية والأسرة الدولية إلى ترك الفلسطينيين في جحيم وضع اللاجئين ، فلم تزودهم سوى بالحد الأدنى من الموارد للاغاثة وإعادة التأهيل أو على حد قول (١) أحد الباحثين في المشكلة الفلسطينية .

« لم تتجرأ أية حكومة عربية على المبادرة في مشروع لإعادة التوطين ، فالكلمة بحد ذاتها ارتبطت في ذهن القوميين العرب بالهزيمة على يد إسرائيل والإمبريالية الأمريكية » .

ومن وجهة النظر الإسرائيلية أيضا ، برهن الزعماء العرب على انعدام المعقولية الذي انعكس على عدم استعداد هؤلاء الزعماء لاتخاذ خطوات حاسمة في توطين اللاجئين الفلسطينيين .

وقد أدعى الإسرائيليون أنهم لايتحملون المسئولية عن اللاجئين ، وإنما يمكن إدماج اللاجئين وتمثلهم دون أية مشقة في البلدان العربية المجاورة فيما لو توفرت الرغبة في ذلك لدى الزعماء العرب وجرى استخدام التمثل الإسرائيلي لآلاف المتحدرين من بيئات متفرقة كمثال على ما يمكن تحقيقه وعمله في هذا المجال (٢) .

---

(١) Peretz, Don : Israel and the Palestine Arabs: Washiugton 1958, pp 21–22.

(٢) وهو خلاصة خطاب جولد مائير أمام المؤتمر الاشتراكي العالمي ، فينا ٣ يوليو ١٩٥٧

=

إن استمرار قيام مخيمات اللاجئين بمعدلها المرتفع فى النمو السكانى فسره الإسرائيليون كمحاولة مدبرة من جانب الزعماء العرب لتنمية العداء ضد إسرائيل وخلق وضع يصبح فيه قبول إسرائيل أمرا بعيد الاحتمال جدا .

وعلى العموم لم يعتبر الإسرائيليون أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين هى مشكلتهم فالإخفاق فى اسكانهم وتوطينهم — فيما بعد — داخل الدول العربية رأوا فيه إخفاقا من جانب الدول العربية والأمم المتحدة (١) .

ولم يقم الإسرائيليون أى تمييز بين المهاجرين اليهود الذين جاءوا عن طيب خاطر للاستيطان باسرائيل وخلق حياة جديدة فيها ، من جهة ، وبين اللاجئين الفلسطينيين الذين ، مهما تكن أسباب ذلك ، تركوا منازلهم فى فلسطين ويرغبون فى العودة إليها من جهة أخرى .

وتمشيا مع اعتقادها القائل بأن التهديد بالقوة هو وحده الكفيل بامتناع الدول العربية لكى تنشد السلام وتكبح جماح النشاطات السياسية والفدائية التى تصدر عن الفلسطينيين الموجودين داخل حدودها — عمدت إسرائيل خلال الفترة الممتدة بعد عام ١٩٤٨ إلى تطبيق سياسات الهجمات والغارات الانتقامية المنتظمة على خطوط الهدنة الأردنية والسورية والمصرية — كما سيأتى تفصيل ذلك — كذلك عمد الفلسطينيون المقيمون فى الأردن وقطاع غزة على نحو مماثل ، إلى شن غارات غير رسمية بين الحين والآخر على الحدود الإسرائيلية ،

— This is our Strength (New York, 1962) p 96.

وكذلك ما جاء فى بيان ليفى اشكول فى الكنيست حول الوضع الاجتماعى فى إسرائيل بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٦٤

The State Papers of Levi Eshkol (Newyork 1969) p 21.

(١) وهو ما يراه أبا إيبان وعبر عنه فى خطابه أمام الجمعية العامة للامم المتحدة فى أول ديسمبر ١٩٥٢

Eban, Abba : The Voice of Israel – London 1958 pp 108 – 110

وبشأن إسكان اللاجئين وإعادة توطينهم فان تفصيل ذلك فى :

Khouri Fred, The Arab – Israeli Dilemma, op. cit,

إلا أن فشل هذه السياسة الإسرائيلية قد تبدى بشكل واضح عند مجئ عام ١٩٥٣ — كما سنشير إلى ذلك — حيث أن الحكومة الأردنية أخذت تنظر بجدية أكثر إلى مهمة تسليح السكان الأردنيين ، ولاسيما للذين يقيمون منهم فى تلك المناطق المحاذية لإسرائيل (١) .

بعض الملاحظات على نكبة ١٩٤٨ :

تمثل نكبة عام ١٩٤٨ موضوعا للدراسة لاغنى لأى باحث يريد استيعاب تعقيدات مشكلة فلسطين ، وأول ما يلاحظ أن القادة والجنود والسياسيين والكتاب والصحفيين باضافة إلى المواطن العربى العادى لم يكن لهم احتكاك بالجالية اليهودية فى فلسطين ، ومن ثم كانت لديهم فكرة باهتة عن تركيبه وتنظيماته وإنجازاته وقوته ، ولقد جرت الحكومات العربية جيوشها إلى القتال دون إخطار القيادات العسكرية رسميا بسياستها إلا قبل التدخل العسكرى الفعلى بأربعة أيام كذلك جعل التدخل السياسى المستمر العمليات العسكرية تسير دون غرض استراتيجى محدد .

وعلى الجانب الآخر أظهر الصهاينة من المزايا العسكرية الشئ الكثير ؛ فقد بذلوا جهودا واعية فى تنظيم الهاجاناه وتدريبها ووجود العديد من الضباط والجنود الذين خاضوا غمار الحرب العالمية الثانية بين صفوفهم وما أظهروه من مقدرة المزج بين خبرة الضباط المحترفين وخيالات القواد الذين ساقتهم الظروف إلى مراكز القيادة وقد توصلوا إلى الحصول على حاجتهم من السلاح بفضل ماتوفر لديهم من مهارة وبفضل العون الضخم من يهود العالم ثم هم فى النهاية قد أسندوا قيادتهم إلى بن جوريون بما له من حنكة فجاءت سياستهم كما جاءت استراتيجيتهم متماسكتين فيهما تناسق .

---

(١) Abo – Lughod, Ibrahim, : Israel « Arab Polciy » in the Arab – Israeli – confrontation of June 1967 : An Arab Perspective ed., Ibrahim, Abu – Lughod. (Evanston 1,11,1976) p 73.

وفى مواجهة إسرائيل بصلابتها كانت الدول العربية تقف فى جبهة مفككة يعوزها التنظيم و تفتقر إلى الوحدة ، رجال السياسة فيها عاجزون وركبتهم الأوهام « ومتأكدون » من تفوقهم لدرجة أنهم اعتقدوا أنه يكفى جمع بعض المعلومات عن العدو فى اللحظات الأخيرة قبل القتال ، وقد كان ينقص العرب الاحتكاك مع اليهود ، فى حين أن اليهود كانوا أكثر احتكاكا بالدول العربية وهى ما أعطى مثالا للدول المتحاربة التى لم تكن تعرف بعضها إلا فى التجارة وقت السلم وهذا الجهل المتبادل يفسره الباحثون (١) بالتناقض الحاد فى الحساسيات والتقديرات التى تميز مشكلة فلسطين والصراع العربى الإسرائيلى ، وقد انعكس ذلك على العرب حيث لم يتخذوا الأهبة و لم يجروا استعدادا ولم يضعوا أى خطة جادة لمتطلبات الحرب ولم يكن همهم الأول إنزال الهزيمة بالعدو والانتصار عليه وإنما مراقبة بعضهم البعض تربصا وخيفة ، وحتى فى أثناء العمليات العسكرية والاشتباكات المستمرة كان المصريون يخشون الملك عبد الله أكثر مما يخشون بن جوريون نفسه على حد زعم أحد الباحثين (٢) .

وأما الجيوش العربية فقد كان تكوينها أصلا على أساس القيام بالعمليات البوليسية وبغرض إظهار السيطرة المظهرية فقط وبالإضافة إلى ذلك جاءت المواجهة العسكرية أساسا فى حرب ١٩٤٨ بين جيش كلاسيكى النمط وبين ميليشيا مدينـــة (٣) ومن ثم فمن الصعوبة

---

(١) Safran, Nadav, From war to war : The Arab – Israeli confrontation 1948–1967, A Pegasus Original, New York 1969 pp 28 – 29.

(٢) Aleum, op. cit pp 351–353.

(٣) Brecher, N., The Foreign Policy System of Israel, Setting, Images, Process, London : Oxfork University press 1972 pp 64–66.

تقدير القوة العسكرية الإسرائيلية تقديرا دقيقا فى حرب ١٩٤٨ (١) ،
وحتى إذا كانت أعداد المقاتلين متساوية — بالرغم من أن هذا الفرض
غير صحيح — فهذا تناقض عجيب ، إذ أن أربعين مليونا من العرب وسبعمائة
وخمسين ألفا من اليهود أرسلوا إلى ساحات القتال إعدادا متساوية تقريبا من
المحاربين فأين كان إذن السبعون مليونا من العرب والاربعمائة مليون من
المسلمين الذين عليهم الدفاع حتى الموت عن الأرض المقدسة فى فلسطين ؛

ونستطيع أن نجمل النتائج المباشرة لحرب — وبالتالى نكبة — عام ١٩٤٨
فيما يلى :

أولا : على الجانب المصرى

أن العرب الفلسطينيين — على الرغم من معداتهم وتدريبهم وتنظيماتهم
البدائية — قد أقنعوا الحكومات العربية أنه تكفى قوة منظمة صغيرة لتدمير
إسرائيل وهم لذلك أوكلوا المهمة للملك عبد الله الذى استغنى عن نصيحة
بريطانيا ، والتى كانت تعلم أكثر منه ، وهو لذلك كان يجارى زملاءه
فى الجامعة العربية فى حين أنه كان على اتصال بالجانب اليهودى — وذلك
بهدف استرداد الأجزاء المخصصة للعرب من فلسطين طبقا لخطة التقسيم ،
وفى حالة عدم الموافقة على مشروع التقسيم المعدل مما اتضح من القرار
المفاجئ للملك فاروق ضد نصيحة حكومته وذلك بارسال القوات إلى
فلسطين وعموما فان موقف الملك فاروق يحتاج إلى وقفة خاصة لتحليله :

فلقد وصلت مشكلة فلسطين إلى تفاقمها — عندما تقرر إنشاء
الدولة رسميا فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وقد كان النقراشى مصرا على أن
لايلجأ إلى القوة المسلحة حتى لايدفع الجيش المصرى إلى حيث تكون
القوات البريطانية المرابطة فى منطقة قناة السويس وراء ظهره ، وقد ظل
النقراشى على هذا الموقف حتى يوم ١١ مايو ١٩٤٨ ، ولكن بين عشية

---

(١) يذكر بن جوريون أن الخسائر كانت ٥٠٠٠ قتيل

Ben –Gurion, David, Israel, Years of challenge op. citg p 60.

وضحاها تغير هذا الرأى (١) فجأة فطلب من رئيس مجلس الشيوخ فى ١٢ مايو عقد البرلمان فى جلسة سريعة لطلب دخول القوات المسلحة أرض فلسطين ، وعرض الموضوع على البرلمان بيانات غير دقيقة أدت به إلى الموافقة على إعلان الحرب .

وقد رأى الملك فاروق فى المشكلة الفلسطينية ما يمكنه من استرداد بعض سمعته التى كانت قد أنهارت فى العامين السابقين ، وأن يدعم بدخول الحرب هيبته ومن ناحية أخرى يهدئ من الفوران الشعبى للرأى العام المصرى ، وقد أمر الملك فاروق وزير الدفاع محمد حيدر كى يأمر الجيش المصرى باجتياز الحدود ، وتحرك الجيش المصرى بالفعل دون علم رئيس الوزراء ومن غير انتظار لقرار البرلمان أو مجلس الوزراء .

وفى ١١ مايو ذكر الملك إلى مراسل اليونانيتدبرس بحديث سياسى قال فيه أنه خرج عن حدود وظيفته الدستورية التى تلزم الملك ألا يعمل إلا بواسطة الحكومة ، وأضاف أنه سيمد الأخوان العرب بكل مساعدة عسكرية ومالية واقتصادية وأنه لن يقبل أن تقوم دولة صهيونية على مقربة من حدود مصر وأنه لابد من استعمال القوة . (٢) .

وبدأت الحرب بحماس منقطع النظير ولكنها خلال شهور قليلة انتهت بالهزيمة وكان الرأى العام المصرى — كما يذكر (٣) جون مارلو — قد أبقى جاهلا بتطورات الحرب وتسربت إليه أخبار الهزيمة تدريجيا كما يتسرب بالتدرج خبر موت أحد الوالدين إلى طفل صغير حساس .

---

(١) وهو ما يذكره الدكتور محمد حسين هيكل — وكان يشغل رئيس مجلس الشيوخ المصرى وزعيم حزب الأحرار المشارك فى الحكم آنئذ — فى مذكراته فى السياسة المصرية — الجزء الثانى ص ص ٣٢٥-٣٣١

(٢) الأهرام — القاهرة — ١٢ مايو ١٩٤٨

(٣) Marlowe, John, Anglo – Egyptian Relations 1800 – 1850 London 1954 pp 330 – 332.

وعموما فقد مر النظام المصرى كله بفترة كان فيها على وشك الانهيار .
وقد استغلت الحكومة المصرية موجة الحماس لدى الرأى العام المصرى وفرضت الأحكام العرفية لنفرض حكم الحديد والصمت على الأحرار جميعا من كافة الاتجاهات السياسية وأعلنت بغير تكتم أزماعها إنشاء معتقل فى جزء من ثكنات (١)العباسية ، وفرضت الرقابة على الصحف واستخدمت سلاحا ضد المعارضة وشملت مالا يتصل بأمن الجيش وعلى ماشكى منه فؤاد سراج الدين — حزب الوفد — فى مجلس الشيوخ .

كذلك فقد قويت شوكة الأخوان المسلمين لاعتبارهم الحرب دينية ، ويذكر أحمد حسين(٢) أن معركة فلسطين أمدتهم بفرصة ذهبية لحشد السلاح والتمرن على استعماله من أجل فلسطين وأنهم جمعوا كميات الأسلحة تحت ستار تجهيز المتطوعين إلى فلسطين وهم يعدونها لإحداث انقلاب بالقوة فى مصر ، وقد قررت الحكومة المصرية حل جماعة الأخوان المسلمين فى ٨ ديسمبر عندما استشعرت بنشاط الأخوان الأرهابى وذلك على حد قول البعض(٣).

ثم زاد نشاط الأخوان المسلمين خلال وبعد وقوع الهزيمة حيث قتلوا أحمد الخازندار رئيس محكمة الجنايات فى مارس ١٩٤٨ وألقوا المتفجرات على المحلات اليهودية فى القاهرة — شيكوريل واركو فى يوليو ١٩٤٨ — وبنزايون وجاتينيو فى أغسطس ، وشركة الإعلانات الشرقية فى نوفمبر ١٩٤٨ ، واغتيال حكمدار القاهرة فى ديسمبر ١٩٤٨ .

وقد أدى هذا بالحكومة إلى حل جماعة الأخوان المسلمين ، وقد ردت جماعة الأخوان على ذلك باغتيال رئيس الحكومة محمود فهمى النقراشى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ثم محاولة نسف دار محكمة الاستئناف فى ١٣ يناير

---

(١) الدكتور / محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، مرجع سابق

(٢) أحمد حسين : واحترقت القاهرة — القاهرة بدون تاريخ إصدار صرص ٣١٣-٣١٥

(٣) طارق البشرى — الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ — الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ ص ص ٢٧٢ — ٢٧٤

١٩٤٩ ، ومع ازدياد العنف دبر الملك فاروق والحكومة اغتيال الشيخ حسن البنا فى ١٢ فبراير ١٩٤٩ .

ثم تصاعدت خلال حرب فلسطين أيضاً – وبعد قتل النقراشى خاصة أعمال العنف السياسى ولجأت حكومة إبراهيم عبد الهادى إلى أعمال الضغط على الحريات والاعتقال والتعذيب ومارست سائر أنواع الإرهاب والتخويف لجميع التيارات الثورية والوطنية المعارضة ويصف لاكويتر (١) ذلك أصدق وصف قائلا « أن الحرب الفلسطينية قد شاهدت بداية معسكرات التعذيب المصرية » .

كذلك فان وزارة إبراهيم عبد الهادى قد حكمت والخوف(٢) يسيطر عليها مما أدى إلى الوقوع فى أغلاط كانت عدوانا شنيعا على الحريات والحقوق وعلى الدستور ومبادئه .

ومن هنا ساد الرأى العام المصرى إحساس بالتوجس من المستقبل وبدأت مصر تعيش على فوهة بركان فقد كانت حرب فلسطين إحتكاما للسلاح فى صراع سياسى رسم للحركة السياسية المصرية طريقها واضحا .

ومما يؤسف له أن مبدأ السلاح منذ ذلك الحين – وخلال فترة البحث قد حل تدريجياً محل مؤسسات الدستور وبالتالى فقد حل الصراع بواسطة العنف والسلاح وتكميم أفواه المصريين – محل الصراع من خلال المؤسسات الدستورية ولاغرابة والأمر كذلك أن يحل العنف الاجتماعى محل الصراع السلمى :

ثانيا :

حذرت الحكومات العربية الأخرى حذو مصر فاتبعت نفس الأسلوب واستخدمت خطة عمل مشتركة تهدف لتدمير إسرائيل أو تحصرها فى أضيق

---

(١) Lacouture, Egypt in Transition, op. cit p 103.

(٢) محمد زكى عبد القادر – محنة الدستور ، القاهرة بدون تاريخ إصدار ص ٤٧

نطاق ، وظلت الحكومات العربية تحت تأثير أن هذه المهمة يمكن انجازها بقوات صغيرة ، وقد جاء قرار الاشتراك فى الحرب ليكون أكثر من دالة على شكوكهم المتبادلة والتى فى غير محلها كما ثبت بعد ذلك بالإضافة إلى عدم تقدير المتطلبات العسكرية الضرورية وهذا يرجع إلى المفهوم العربى الجامد والخاطئ عن تقدير القوى الإسرائيلية .

واعتقد الزعماء العرب أن القوات اليهودية الكائنة فى فلسطين والتى أرادوا غزوها فى أبريل ١٩٤٨ هو المجموع الكلى للقوات ، وفى الحقيقة فانه نظراً لروح الجالية اليهودية فى فلسطين وبعد نظر زعمائهم الذين جمعوا كميات هائلة من الأسلحة والمعدات على السفن من موانى أجنبية ومستعدة للتحرك بمجرد توقف السلطة البريطانية فى فلسطين وقد لوحظ أن هذه القوات كانت تتزايد بمعدل سريع من أسبوع لآخر .

ومن الحقائق التى لا يعرفها الكثيرون أنه عند بداية الحرب ، فإننا نجد أن اليهود الذين كان يبلغ عددهم حوالى ٧٠٠ ألف كان لهم عددا معبأ أزيد عما هو معبأ لدى الدول العربية والذين يبلغ عددهم ٤٠ مرة مثل إسرائيل .

ومع ذلك كان لدى العرب فرصة لكسب الحرب فى الأسابيع القليلة الأولى عندما كانت القوات الإسرائيلية غير جيدة التنظيم ولم تكن قد استوعبت بعد كل المعدات التى حصلت عليها .

ثالثا :

ولم تكن حرب فلسطين كالحروب العادية ، أى اختبارا حراً للقوة ولكنها كانت تتخللها الهدنة وإيقاف النار الذى يفرض عليها من مخارج .

ومن الناحية الرسمية استمرت الحرب ثمانية شهور منذ بدء الغزو حتى طلبت مصر الهدنة ، ويلاحظ أن القتال الفعلى حدث خلال ½ هذا الوقت وعلى أربع فترات تغطى كل مدة الحرب .

ومن خلال التنازلات فى الأمم المتحدة عقب ذلك ـــ اكتشف العرب

حقيقة جديدة كانت موجها لموقفهم بعد ذلك وهى الموافقة الضمنية ، من جانب الطرف الأقوى فى الحرب وقدرته على استئنافها ، ومن ثم يستطيع أن يفرض ضررا أكبر على الطرف الآخر ، وبالتالى اكتشفت الحكومات العربية فى ذلك الوقت أنها سوف تكسب القليل وتخسر الكثير إذا عقدت سلاماً مع إسرائيل .

كذلك تضمنت (١) الحرب تعديلا بعيد المدى لخطة التقسيم الخاصة بالأمم المتحدة ، وفشلت الدولة العربية التى تصورتها هذه الخطة فى الظهور وقسمت الأرض المخصصة لها بواسطة إسرائيل والأردن ومصر ، طبقاً لإتفاقيات الهدنة وحصلت إسرائيل على النصيب الأكبر وهو ما يصل إلى ٢٥٠٠ ميل مربع وهو ما أضافته إلى الـ ٥٦٠٠ ميل مربع التى منحتها إياها خطة التقسيم .

كذلك تضمنت الحرب أيضاً تعديلا كبيراً فى السكان ، فلقد أزيح مايزيد على ٧٠٠ ألف فلسطينى عربى — كانوا يعيشون فى المنطقة — خلال القتال قبل وبعد ١٥ مايو ١٩٤٨ — وانتهى وضعهم إلى أن أصبحوا لاجئين موزعين كالآتى :

٦٠٪ فى الأردن — ٢٠٪ فى قطاع غزة — ٢٠٪ فى سوريا ولبنان أصبحوا جميعا من اللاجئين وجاء قرار الأمم المتحدة فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ لينص على أن من يريد منهم العودة ويعيش فى سلام مع جيرانه يجب أن يسمح له بذلك ونشأ جدال كبير عندما ترك اللاجئون الفلسطينيون أرضهم للسيطرة اليهودية تحت تهديد القوة .

رابعا :

أن النتيجة الثالثة لحرب ١٩٤٨ هى بلورة (٢) التفرق العربى حتى

---

(١) Dranath, op. cit, p 42.

(٢) Safran, op. cit., p 37.

فى مواجهة عدو مشترك ـ Crystallization of Arab disunity فكانت هذه التفرقة كامنة وموجودة بسبب اختلاف الأهداف للدول العربية فالأردن تؤيده العراق أراد التدخل عسكرياً كى يؤمن لنفسه أجزاء من فلسطين التى خصصت للدولة العربية حسب خطة التقسيم فى حين أن مصر تؤيدها السعودية أرادت أن تعوق خطة الأردن – العراق بإلغاء التقسيم كلية وضمان أكبر قدر من الأرض لدولة عربية فلسطينية «عميلة» (١).

وقد بدأت هذه الاختلافات تتضح عندما تحددت حدود التقدم العسكرى العربى ثم أراد الملك عبد الله وقف القتال والاستيلاء على ماوصل إليه فى حين أن مصر أرادت الاستمرار فى الحرب على أمل تحقيق هدفها .

وعندما أدت المفاوضات إلى خسائر فى جيش الملك عبد الله ، فقد قرر أن يبقى خارج الحلبة فى الجولة القادمة تاركاً القوات المصرية تنهزم وتطرد من النقب وفى النهاية دخل القتال إلى الأرض المكشوفة فى حين الحق الأردن رسميا به الأرض التى تمت سيطرته وأقامت مصر حكومة عربية فلسطينية فى غزة .

ومما هو جدير بالملاحظة أنه فى أثناء فترة سريان الهدنة اجتمع أهم المسئولين المصريين فى عمان عند الملك عبد الله .

وقد روى الملك عبد الله قصة هذا الاجتماع قائلا :

« أراد النقراشى باشا رئيس الوزراء المصرى أن يناقش موضوع الحكومة العربية لسائر فلسطين – حكومة عموم فلسطين – فرد عليه الملك أنه قد يبدو أكثر إلحاحاً أن تتجه الدراسة إلى الأوضاع العسكرية ، فقال النقراشى أن الأوضاع العسكرية لا تثير أى قلق لأن الجيش المصرى ثابت فى مواقعه جميعاً . وإذ سأله الملك عبد الله هل لديه علم بأن بئر سبع قد سقطت وأن الفالوجة محاصرة ، عندئذ ثار النقراشى وذهب يتهم الدول العربية الأخرى بأنها قد تخلت عن مصر . وهنا رد السوريون واللبنانيون والعراقيون قائلين

(١) يقصد Safran بلفظ « عميلة » هنا – أى تابعة لمصر والسعودية .

إنه لم يعد فى استطاعتهم فعل شئ ، إذ أن الهدنة كانت قد أعلنت ، ولكنهم سوف يحرصون على التدخل فى المرة القادمة ووعد جميل مردم بك بأنه إذا ماحدث ذلك يوماً فإن الجيش السورى سوف يحتل الناصرة وصفد » .

وهذه المواقف من المسئولين العرب كانت بدون شك لحماية كرامتهم وضرورة لبقائهم السياسى ، فبعد أن أثاروا شعوبهم إلى درجة كبيرة من الحماس من أجل المشكلة الفلسطينية ولقنوهم بتصريحات متوقعة للانتصارات وأخفوا عنهم التدهور فى الموقف العسكرى بقدر ما استطاعوا فانهم لم يستطيعوا عقد سلام دون أن يضعوا أنفسهم فى موقف حرج لأن السلام يعنى حين ذاك إما تنازل عن معظم فلسطين لليهود بعد حرب حوربت لمنع هذا الظلم ، وأما أن يعنى السلام اعترافها بالهزيمة وهو ما يمكن أن يعزى إلى سوء إدارة الحرب المزرى من جانب الحكومات العربية .

ولقد نتج عن ذلك أيضا أن إسرائيل كانت تأخذ بحرص وحذر تصريحات الزعماء العرب واعتبرت أن كل هذه التصريحات الحقيقية والمنسوبة للزعماء العرب هى خطة لتدميرهم ، ومن ثم استجابوا لها ، ومن هذه التصريحات ما أعلنه عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية حينئذ فى مقابلة صحفية قائلا(١) :

---

(١) Safran, op. cit, p 43.

وذلك نقلا عن :

Wolfyang Bretholz, Aufstemd der Araber, Munich 1960, pp 215–216.

والنص كما جاء باللغة النص هو :

« We have a secret weapon which we can use.

Better than guns and this is time . As long as we do not make peace with the zionists, the war is not over, and as long as the war is not over there is neither victor nor vanq uished as soon as we recognize the existenco of the State of Israel, we advist by this act that we are vanquished ».

« إننا نمتلك سلاحا سريا نستطيع أن نستخدمه أفضل من المدافع وللمدافع الاوتوماتيكية وهو الزمن، فطالما أن الحرب لم تنته فليس هناك منتصر أو منهزم ، وإذا أعترفنا بوجود إسرائيل فسوف نعترف بأننا هزمنا » .

وهكذا أغرقت(١) الحكومات العربية شعوبها فى آمال غير معقولة لتحقيق مستقبل لا يمكن التنبوء به .

خامساً :

وحطمت حرب فلسطين كل إمكانية أمام السياسة البريطانية لرسم إستراتيجية للشرق الأوسط تعتمد على التعاون مع جامعة الدول العربية(٢) ، والذى حدث بالفعل أن الجامعة العربية قد شلت نتيجة للحرب ، كما أن موقف الاتحاد السوفيتى كان غير متعاون مع العرب فى قضيتهم ، وقد كشف وجه الولايات المتحدة الأمريكية ضد العرب الامر الذى ساعد على تعميق الشعور بوجوب سياسة محايدة إزاء صراعات الدول الكبرى ، كذلك أكدت النكبة « يلقنه » الشرق الاوسط إلى دول صغيرة .

والخلاصة أن نكبة فلسطين قد تركت أثرا عميقا لدى الرأى العام العربى بأكمله — بل أن أى قدر من الدعاية لا يمكن أن يخفى ما عانته الشعوب العربية من خزى الهزيمة كما أكدت الهزيمة للثوريين فى مصر أن قيادة البلاد يجب أن يطاح بها بعد أن عاد الجيش المصرى باقتناع عميق بأن قادته قد غدروا به ، ويذكر لاكوتير أن النتيجة المباشرة والعميقة كانت تفكك الدولة وجميع تنظيماتها ولم يبق إلا الإطار العام، ولم تمر مصر بفترة أقسى من هذه الفترة فى أعقاب النكبة نتيجة لما عاناه الجيش المصرى

---

(١) للاطلاع على انعكاس نكبة ١٩٤٨ على الرأى العام العربى يرجع إلى :
الدكتور / جلال يحيى : العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية — مرجع سابق ٤٧٥ — ٤٧٦ — دكتور / ابراهيم أبو لغد — تهويد فلسطين ، فبراير ١٩٧٢ ص ٣٥٧ حيث تضمن بحثا بعنوان سياسة الدول العربية تجاه إسرائيل بقلم مايكل س . هدسون

(٢) Marlo, John, op. cit, pp 331 – 332.

من الانهيار والتدهور فضلا عن الحملة الصهيونية ضد مصر قد بلغت أوجها فى صحافة العالم وذلك بالإضافة إلى تشريد الإخوان المسلمين وتدهور الحالة الاقتصادية فى البلاد(١) .

المراحل الزمنية لحرب ١٩٤٨ تسلسل تاريخ للأحداث :

ديسمبر عام	١٩٤٧	بدء الإضطرابات الخطيرة الأولى نتيجة لقرار تقسيم فلسطين والمواجهة بين العرب واليهود .
يناير عام	١٩٤٨	ظهور العناصر الأولى لجيش الإنقاذ العربى فى فلسطين ــ العرب يقطعون الطريق الموصلة بين تل أبيب والقدس .
مارس عام	١٩٤٨	اليهود يفشلون فشلا تاما فى محاولاتهم لإعادة فتح الطريق بين تل أبيب والقدس .
٩ ابريل	١٩٤٨	اليهود يستولون على القسطل مجزرة دير ياسين
٢٢ أبريل	١٩٤٨	إستيلاء اليهود على حيفا
١٠ من مايو	١٩٤٨	إستيلاء اليهود على صفد
١٤ من مايو	١٩٤٨	العرب يستولون على كفار اتزيون
١٥ من مايو	١٩٤٨	إعلان قيام دولة إسرائيل
١٦ من مايو	١٩٤٨	تدخل الجيوش العربية فى فلسطين
١٥ــ٢٨ مايو	١٩٤٨	القتال من أجل القدس
٢٨ مايو	١٩٤٨	إستسلام اليهود فى مدينة القدس القديمة

(٣) تفصيل ذلك فى :

Little, Tam, Egypt. p 177

محمد زكى عبد القادر ــ محنة الدستور ، مرجع سابق ص ١٤٦ ، طارق البشرى ــ مرجع سابق ص ٢٧٢ ــ ٢٧٤

Lacouture, op. cit, pp 103 – 104.

التاريخ	السنة	الحدث
٣ يونيو عام	١٩٤٨	المصريون يتوقفون عند أشدود على بعد ٣٠ كيلومتراً من تل أبيب .
		السوريون يستولون على مشمار هاياردن
١١ يونيو – ٨ يوليو	١٩٤٨	الهدنة الأولى
١١–١٢ من يوليو	١٩٤٨	الإسرائيليون يستولون على اللد والرملة
١٩ من يوليو	١٩٤٨	الهدنة الثانية
١٥ من أكتوبر عام	١٩٤٨	عودة القتال بين الإسرائيليين والمصريين فى النقب .
٢١ من أكتوبر عام	١٩٤٨	الإسرائيليون يستولون على بئر سبع – حصار المصريين فى الفولوجا
٢٢ من أكتوبر عام	١٩٤٨	توقف المعارك
٢٨ – ٣١ أكتوبر	١٩٤٨	الإسرائيليون ينتصرون فى عملياتهم فى الشمال – اختراق الحدود اللبنانية .
٢٢ من ديسمبر	١٩٤٨	عودة المعارك بين الإسرائيليين والمصريين فى الجنوب
٢٧ من ديسمبر	١٩٤٨	الإسرائيليون يجتازون الحدود المصرية
٦ من يناير	١٩٤٩	مصر تطلب عقد الهدنة



الباب الثانى

تطورات مشكلة فلسطين من اتفاقيات الهدنة ١٩٤٩

إلى العدوان الثلاثى

خلال السنوات السبع التى تلت إبرام اتفاقيات الهدنة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٦ — استمرت المشكلة الفلسطينية عموما والصراع العربى الإسرائيلى على وجه الخصوص — حيا فى مجالين :

المجال الأول :

هو المجال السياسى حيث حاولت الأمم المتحدة عبثا أن تحمل كل من العرب والإسرائيليين على قبول التسوية السلمية للخلافات الناشبة بينها . وبعد ذلك حاولت الأمم المتحدة أن تجد المسكنات لهذه الخلافات .

المجال الثانى :

هو الأرض نفسها على طول خطوط الهدنة ، حيث تكررت الحوادث التى أخذت تزداد عنفا يوما بعد يوم الى أن انتهت بالعودة إلى الحرب صراحة .



الفصل الأول

تطورات مشكلة فلسطين على الصعيدين الدولى والعربى

السياسة الإسرائيلية :

بعد إنشاء الدولة أصبحت الدولة الجديدة بمثابة جيتوكبير – كل من خارجها غريب لايطمأن إليه . وبالتالى نجد استمرارا لنفس العملية النفسية التى يشير إليها علماء النفس بالشريط Conditioning فتصور القادة انعكس فى كل سياساتهم مثل الدفاع والحرب وسياساتهم الداخلية مثل التعليم والدعاية وغسيل المخ . . . . إلخ .

ولقد أرست قواعد هذه السياسات منذ مرحلة مبكرة فى التارخ الصهيونى بفلسطين بواسطة القادة الذين أتوا (أو أتت أسرهم) من أوروبا الشرقية ، ولم يكن بوسع من أتوا من أماكن أخرى وبخاصة يهود أوربا الغربية على حياة الجبش وما يرتبط بها من تصورات ومشاعر إلا أنهم وأبناءهم تعرضوا لبرامج الصهينة Zionazation و المذهبة Indoctrinization وغسيل المخ من اللحظة التى وطأت فيها أقدامهم أرض فلسطين .

كذلك فإن الاعتراف بإسرائيل الدولة المستقلة من جانب دول كثيرة العدد بينها كل الدول الغربية ، كان انتصارا للصهيونيين ، ولكن تسوية النزاع لم تتحقق بعد النصر العسكرى الإسرائيلى على الجيوش العربية المواجهة ، فرفض الفلسطينيون والحكومات العربية رفضت أيضاً الإقرار بهزيمتهم النهائية أو بنجاح إسرائيل العسكرى كدولة على انتهاء النزاع .

وقد تحددت سياسة إسرائيل تجاه الدول العربية بعاملين إثنين .

١ – الأهداف الإقليمية للحركة الصهيونية لم تتحقق بعد .

٢ – الشعب الفلسطينى لم يستسلم أبدا لتشريده من وطنه .

وقد لاحظ أحد الباحثين(١) أن سياسة إسرائيل رمت آنئذ إلى أهداف ثلاثة – هي :

أولا : قصم الظهر لما تبقى من المقاومة الفلسطينية .

ثانياً . انذار الدول المجاورة بأن إيواءها لحركات المقاومة الفلسطينية في الأراضي الواقعة تحت سيادتها ، سوف يتسبب لها على الفور في تدخل القوات المسلحة لشئونها الداخلية .

ثالثاً : الحفاظ على مستوى عال ، إنما قابل الاحتمال ، من التوتر على حدود إسرائيل بحيث يسدى هذا خدمات لأغراض السياسة الداخلية في الدولة الجديدة – أي خدمات من شأنها تعزيز الأوامر التي تشد مواطنيها وتدعيم تسلطها من المؤيدين لها في الخارج .

فالقيادة الإسرائيلية ، إذ عملت بموجب هذه المقدمات ، توصلت إلى استنتاج مفاده أن البراعة العسكرية الفائقة هي وحدها الكفيلة بحمل الدول العربية على القبول بإسرائيل كما تكونت بعد عام ١٩٤٨ . ونظر الإسرائيليون إلى المعارضة العربية بأنها بعيدة عن الواقع وغير عقلانية إلى حد كبير .

لكن إسرائيل اكتفت بالامتناع عن خوض مجابهة عسكرية واسعة النطاق مع الدول العربية المعادية طالما أن تلك الدول كانت منهمكة على نحو رئيسي بالمشاكل الداخلية ، وفي حالة انكفاء ذاتي – كما سوف يرد ذلك تفصيلا – أضف إلى ذلك الخلافات العربية والانقسامات التي أوجدت وضعا ساد خلاله توازن متغلغل للقوى بين إسرائيل والدول العربية ، لكن هذا الوضع أتاح الفرصة أمام إسرائيل لكي تركز جهودها على تطورها الداخلي بالذات .

---

(١) Abu – Lughod, Ibrahim ed. The Arab – Israeli con–froutation of June 1967 : An Arab Perspective Evanston, 1,11. Northwestern University Press, 1970 P, 11.

كذلك تتميز الفترة الممتدة من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٤ بتطوير المؤسسات الإسرائيلية وبناء قوة عسكرية قادرة على إنزال هزيمة بالهجات العربية المحتملة ، وغالبا ماجرى تصوير الجيش باعتباره يؤلف قوة رائعة في ميدان التأهيل الاجتماعي للمهاجرين اليهود المنحدرين من بيئات متفرقة ؛ فقد لاحظ بن جوريون أن :

« العداء المستمر من جانب العرب قبل إنشاء الدولة أدى إلى قيام مجتمع يهودى أكثر تماسكا فى البلاد . . . . ومنذ ذلك الحين ، كانت العداوة العربية المتأصلة حافزا لتطور إسرائيل(١) .

وادعت القيادة الإسرائيلية بأن العرب لا يرغبون فى اقتلاع دولة إسرائيل من جذورها فحسب، بل يريدون إبادة سكانها أيضا. ومع أن بيانات السياسة الإسرائيلية وتصريحاتها الموجهة إلى الغرب شددت على استعداد إسرائيل للعيش مع جيرانها العرب ، فقد كان الناس فى إسرائيل يشهدون حالات مفرطة من التشكيك حيال الحكومات العربية ، والزعماء العرب جرى اعتبارهم فاسدين وغير ديموقراطيين ، وعلى العموم أعتقد القادة الإسرائيليون أن الدخول فى مفاوضات مع العرب هو إما غير ذى جدوى أو ضرب من المحال . فالملك عبد الله كان يعتبر الشواذ الوحيد عن القاعدة ، وطيلة فترة قصيرة من الزمن عقد الزعماء الإسرائيليون آمالهم على التفاوض بشأن صلح منفرد مع الملك عبد الله ، لكن اغتيال الملك عبد الله عام ١٩٥١ وضع حداً لكل مفاوضات مع هذا القبيل(٢) .

أن انعدام المعقولية لدى الزعماء العرب برهن عليه فى أعين الاسرائليين عدم استعداد هؤلاء الزعماء لاتخاذ خطوات حاسمة فى توطين اللاجئين الفلسطينيين .

وكانت الدول العربية شأنها شأن إسرائيل فى هذه الفترة منعكفة على علاج مشاكلها الداخلية وفى حالة انكفاء ذاتى كما سيتضح ذلك مما يأتى .

Ben – Gurion, David, Looks, Back, in talks with Moshe (١) Pearlman, N. Y., simon & schuster, 1965 p. 125

(2) Ibid. p 157.

الانكفاء الداخلى فى العالم العربى نتيجة للنكبة

تمكنت القوات الصهيونية من دحر الجيوش العربية المتحالفة ، وراح سبعمائة ألف لاجئ يقيمون الدليل البائس على الهزيمة ، وأصيب الرأى العام العربى بالصدمة العنيفة بعد أن استقر فى ، الأذهان بأن الجيوش العربية تنوى اجتياح فلسطين وشن المذابح ضد اليهود(١) ، ووجدت الشعوب العربية نفسها مضطرة إلى قبول الإذلال فى شكل معاهدات الهدنة ، وهزت الصدمة فيها الشعور الوطنى الذى كان قائماً على الإقطاع فأصبح منذ ذلك الحين من نصيب الجيوش الشعبية تحمله وثبت فيه لوناً من ألوان الاشتراكية .

وعموماً فإن نتائج الانتصار الإسرائيلى على الرأى العام العربى كانت فى غاية الأهمية ولكنها لم تتبلور إلا بعد مضى وقت طويل ، لقد لحقت بالعرب إهانة لا مثيل لها نتيجة لهذه الهزيمة ، ففى الوقت الذى بدأ فيه الأمل يظهر فى التخلص من السيطرة الغربية جاءت « مستعمرة غربية »(٢) لتثبت للعرب بأنهم ضعفاء ومن الممكن هزيمتهم بسهولة ، ولقد كانوا فى حالة من الضعف والعجز لا تمكنهم من القتال فأخفقوا ، أضف إلى ذلك عدم خبرتهم العسكرية فحقت عليهم الهزيمة .

أما الأحزاب العربية القديمة الحاكمة آنئذ فلم تكن تعرف مزاولة بسياسة أخرى غير تلك التى كانت تزاولها دائماً ، ولكن الغضب كان يثير لدى الرأى العام العربى فى كل قوى جديدة تسخط على هذه السياسة ، وتكشف القناع عن العيوب الداخلية لهذه الأحزاب ، وتكشفت من خلال هذه السياسة وهذه العيوب الأسباب الحقيقية للهزيمة ، وقد كان بعض العرب من ذوى التفكير الاجتماعى يبحثون بعمق عن معنى « الكارثة » طبقاً لعنوان كتاب المؤرخ اللبنانى

---

(١) David Ben Gurion and Moshe Pearlman, Ben Gurion looks back : in talks with Moshe Pearlamn (New York 1965) pp 9, 28

(٢) Rodinson, Maxime : op. cit, pp 28 – 39.

« قسطنطين زريق » — من خلال عيوب المجتمع العربى وأسلوبه فى التفكير ، ولكن هذه القوى الجديدة أى هؤلاء الشبان الممتازين الذين استبعدوا من الحكم كانوا قلقين ولم يكونوا يثقون فى مزايا الإصلاح البعيد الذى يعده مخططو التعليم الطويل المدى وكيف يمكن . بالفعل أن يتم ذلك فى إطار هيكل سياسى فاسد ؟

وهكذا تكونت لدى قطاعات الرأى العام العربى فى كل مكان مجموعات من الشباب المجاهد هدفها المباشر القضاء على هذه الهياكل القديمة الضارة . حقيقة لقد ناضلت الأحزاب القديمة من أجل الاستقلال وضد الاعتداء الصهيونى ، ولكن عيوبها الداخلية كانت غاية فى الوضوح ، فقد كان أهم ما يشغل بال هذه المجموعة من الملوك والأمراء والإقطاعيين هو مصالحهم الخاصة ، ولم يستطيعوا الاتحاد مع تقديم التضحيات اللازمة ، ولم تكن لديهم خبرة « بالتكتيك » الحديث الذى يعتبر سر نجاح الحكم الحديث ، وكان ميلهم إلى ممارسة السياسة بطريقتهم الارتجالية يمنعهم من رؤية الاختبارات الاجتماعية الكبرى وتعبئة الجماهير العريضة بطريقة فعالة ، ولكنهم كانوا فاسدين وعاجزين وركنوا إلى الإيمان بمساعدة العالم الأوروبى وبصفة خاصة مساندة بريطانيا ، ولكن بريطانيا لم تستطع أن تمنع انتصار اليهود إذا افترضنا أنها كانت ترغب فى ذلك ، وقد أيد العالم الأوروبى والأمريكى على السواء هذا الانتصار ومن هنا فقد كان من الواجب البدء فى القضاء على هذه الجماعات الضارة المرتبطة بسياسة ثبت فشلها بطريقة ظاهرة .

وعموماً فقد قامت البلاد العربية منها على الأقل من يشترك مع إسرائيل فى حدود واحدة تحت تأثير الصدمة بتبديل نظام الحكم فيها أو بتغيير حكامها القدامى .

وسوف نستعرض فى تفصيل غير قليل كيف انعكست الهزيمة على الرأى العالم العربى فى الدول العربية من ناحية ، وعلى الانكفاء الداخلى لهذه الدول من ناحية أخرى .

سوريا :

كانت سوريا المركز الأول للقومية العربية التى تأثرت جداً للهزيمة لاقترابها من إسرائيل ، فهى الدولة الأولى التى انفجر غضب قطاعات الرأى العام علناً ، وكانت سوريا إحدى الجمهوريات ذات النظام الأكثر تفتحاً من الممالك العربية آنئذ ، ولا تعسكر على أرضها أية قوات أجنبية ولا تعوقها مشكلات لبنان حول التوازن بين الإسلام والمسيحية ، وقد جمع المثقفون فيها بين تأثير اليسار الفرنسى والأيديولوجية القديمة العربية ، ولهذا فإن الغضب الشعبى كان يمكن أن يعبر عن نفسه فيها أكثر من أى مكان آخر ، ومنذ شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ اندلعت اضطرابات عنيفة ضد جماعة شكرى القوتلى وبدأ الجيش الذى استدعى لحفظ النظام يشعر بقوته ، وفى ٣٠ مارس سنة ١٩٤٩ تولى حسنى الزعيم مقاليد الحكم ، وكان هذا أول انقلاب عربى بعد نكبة ١٩٤٨ ، وقد تبعته انقلابات أخرى بعد ذلك ، فقد أدت المشكلات المعقدة والخاصة بالتحالف المصرى السعودى والانفتاح صوب العراق مع ما صاحبه من رغبة فى المزج بين الاتجاهات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية إلى ظهور ديكتاتوريتين عسكريتين هما ديكتاتورية « الحناوى » (أغسطس - ديسمبر ١٩٤٩) ، ديكتاتورية « الشيشكلى » (ديسمبر ١٩٤٩ - فبراير ١٩٥٤) - وكان الشيشكلى قد حارب فى فلسطين ، ولكن كان يجب على القادة العسكريين على حد قول أحد المستشرقين(١) - أن يعملوا حساباً للرأى العام العربى وللأحزاب السرية أو القانونية والقوى الضاغطة بأشكالها المختلفة .

ومنذ عام ١٩٥٠ كان من الواضح فى سوريا أن الاتجاه المحايد فى السياسة الخارجية قد انتصر فى ميدان الرأى ، وكذلك تدعم نفوذ الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى ، كذلك فقد بدأت قوة حزب البعث فى التصاعد ، وحاول أن يعبر بدقة وعلى أساس علمانى عن أيديولوجية القومية العربية الوحدوية مع تدعيمها بالاشتراكية .

---

(١) Ibid p 42. 43.

وفى سبتمبر عام ١٩٥٤ وفى الانتخابات الأولى التى تلت سقوط الشيشكلى تم انتخاب ٢٢ بعثياً فى البرلمان وكذلك الزعيم الشيوعى خالد بكداش وكانت هذه هى المرة الأولى التى يحصل فيها اليسار على هذا النجاح فى العالم العربى ولا شك أن هذه الأحداث ترجع فى جانب كبير منها إلى الهزيمة فى فلسطين من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد أثرت هذه الأحداث فى سوريا فى المشكلة الفلسطينية بعد ذلك .

أما فى لبنان فقد اهتزت الأمور لفترة ولكنها لم تعد إلى الاستقرار إلا بفضل التدخل الحكيم من قبل رئيس الجيش اللواء فؤاد شهاب عام ١٩٥٢

العراق :

انعكست الهزيمة على الرأى العام فى العراق وحدثت اضطرابات عديدة ، ولكن السياسى العجوز الموالى لبريطانيا والذى عاصر عهد فيصل « نورى السعيد » ملك زمام الموقف بالرغم من أنه بالإضافة إلى ولى عهد العراق — الأمير عبد الإله(١) — لم يكونا مهتمين كثيراً بإسرائيل .

ولعل أهم مظاهر الانكفاء الداخلى فى العراق آنئذ هو أن موقف نورى

---

(١) عموما فقد تخلى عبد الإله عما كان قد أعلنه عام ١٩٤٥ عندما أصدر فى ١٧ ديسمبر بيانا يعلن فيه العزم على تأليف الأحزاب والجمعيات السياسية والاتجاه نحو حياة ديموقراطية صحيحة وقد تقدمت ست فئات سياسية بطلب الموافقة على تكوين أحزاب لها إلى حكومة السيد توفيق السويدى فأجازت خمسة منها مع أن الأحزاب الخمسة هذه لم تجد المجال الذى يمكنها من ممارسة نشاطها ولم يسمح لبعضها فى إنشاء فروع لها خارج بغداد ، وقد ضيقت الحكومة العراقية الخناق عليها ووضعت أعضائها تحت رقابة الشرطة وزج البعض منهم فى السجن وعطلت بعض صحفها إثر هزيمة ١٩٤٨ فى فلسطين — الأمر الذى أدى إلى ضعف السلطة التشريعية وتردى الحياة البرلمانية فى العراق فى هذه الفترة .

عبد النافع محمود ، ظاهرة عدم الاستقرار السياسى فى العراق ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ١٩٧٣ — ص ٢١٩

السعيد(١) لم يكن غير واجهة فقط فقد بدأت أحزاب المعارضة تدفع الناس للكلام عنها كثيراً كما أن الحياد والاشتراكية كانا يزدادان قوة ، وكذلك الشيوعية على الرغم من عمليات القمع القاسية التي كانت تواجهها(٢) . وتمخضت انتخابات يونيو عام ١٩٥٤ عن ظهور كتلة من ستة وعشرين معارضاً لسياسة « نوري السعيد » الذي خسر حزبه بعض المقاعد ، وقام بحل البرلمان وإلغاء ثماني عشرة جريدة وأعلن قرارات قمع ضد الشيوعيين ، كما تم إغلاق مكاتب حزب المعارضة الرئيسي وبعد ذلك جاءت بالطبع نتائج انتخابات سبتمبر أفضل بكثير ولكنه كان انتصاراً كاذباً(٣) .

مصر :

اضطر الملك فاروق في يوليو سنة ١٩٤٩ إلى أن يشرك « الوفد » . وهو الحزب الوطني القديم المعارض لبريطانيا في وزارة اتحادية ، وكان الوفد قد فقد جزءاً من مكانته لأن بريطانيا هي التي فرضته على الملك أثناء الحرب العالمية الثانية لأنها كانت ترغب في وجود حكومة شعبية قادرة على حفظ النظام في الدولة وخيبت سياسته الاجتماعية — أو بالأحرى عدم وجود سياسة اجتماعية على الإطلاق — الآمال ولكن لم يكن هناك حزب آخر قادر على التعبير عن المشاعر الوطنية ، وفي يناير ١٩٥٠ أعطت الانتخابات للوفد ٢٢٨ مقعداً من مجموع عدد المقاعد البالغ ٣١٩ ، وقد استبعد هذا الانتصار الحزب الذي اتهم بأنه المسئول عن هزيمة فلسطين .

وفي أكتوبر عام ١٩٥١ ألغى « النحاس باشا » من جانب واحد المعاهدة التي كانت قد عقدت بين مصر وبريطانيا في عام ١٩٣٦ وتبع ذلك اندلاع

---

(١) محمد توفيق حسنين : عندما يثور العراق ، دراسة في تاريخ العراق الحديث ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٩ .

(٢) عبد الرازق الحسني : تاريخ العراق السياسي الحديث ، مطبعة العرفان — حيدر إباد ١٩٥٧ — الجزء الثالث .

(٣) محمد مهدي كبه ، مذكرات من صميم الأحداث ، منشورات دار الطليعة — بيروت ١٩٦٥ — ص ١١٠

اضرابات معادية لبريطانيا وقيام الفدائيين المتطوعين بالهجوم على القوات البريطانية فى منطقة القناة وقد زادت عمليات البريطانيين الانتقامية آنئذ من ثورة الرأى العام المصرى .

وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ قامت مجموعات ثائرة بعمليات نهب فى شوارع القاهرة ، كما تم أشعال ٢٢٧ حريقا وتآخى البوليس والجماهير مع هذه الجماعات الثائرة ، وقام الجيش المصرى باعادة النظام وطرد الملك النحاس باشا ولكن بعد مرور ستة أشهر على هذه الأحداث استولت مجموعة من الضباط تجمع بينهم الثورة ضد المسئولين والمنتفعين من وراء هزيمة فلسطين ،وكان أغلبهم قد اشترك فى الحرب ، استولت على الحكم وطردت الملك فاروق ، رمز ذلك المجتمع الفاسد ، وكان ذلك فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ولم تكن الثورة المصرية تشكل آنئذ خطرا بالنسبة لإسرائيل إلا على المدى البعيد ، فان الضباط الأحرار كانوا يرغبون فى أن يجعلوا مصر دولة حرة وقوة تستطيع عند اللزوم ان تصفى حسابها مع أعدائها ، ولكنهم انشغلوا حتى مارس ١٩٥٤ فى الكفاح داخلياً ضد قوى المجتمع القديم ومن بينها الشيوعيون والأخوان المسلمين ، وقد تجمعت وراء اللواء محمد نجيب القائد الرمزى للحركة لتطالب بعودة الحياة البرلمانية الشاملة ، ولم تكن مشكلة فلسطين هى الأولى فى القائمة التى وضعها الضباط الشبان وإن كانت بدون شك قد لعبت دوراً هاماً فى إظهار عمق الفساد والإنحلال الذى كان يسود النظام السابق .

الأردن :

توالت فى شرق الأردن أعمال العنف التى انتهت بمقتل الملك عبد الله ، وكان عبد الله التل قد بدأ إتصالاته مع عدد من الضباط العرب محرضاً على ضرورة التخلص من القيادة الإنجليزية ، وشجعه فى ذلك إنقلاب الزعيم فى سوريا حيث اتصل به وطلب مساعدته لتغيير الأوضاع فى الأردن ، وقد آظهر حسنى الزعيم تفهما لذلك ، ووعده بالمساعـــدة وقام باتصالات

مشابهة مع مصر أيضاً(١) .

ولكن يبدو ان تحرك التل كان مكشوفاً لدى القيادة الإنجليزية ، وقدم جلوب تقريراً إلى الملك عبد الله يتهمه فيما صراحة بالسعى لتدبير إنقلاب بالتعاون مع سوريا ، فقررت الحكومة الأردنية إبعاده عن الأردن وأسندت له مهمة ملحق عسكرى فى واشنطن ، ولكنه رفض وفضل الإستقالة من من الجيش وغادر الأردن إلى القاهرة بطريقة سرية حاملا وثائقه الهامة التى قام بنشرها فيما بعد(٢) .

وترتبط هذه الفترة من تاريخ الأردن المعاصر عملياً بعبد الله التل الذى أكد طابع الإنكفاء الذاتى على الأردن آنئذ ، ففى الوقت الذى يذكر فيه التل أنه اتفق مع حسنى الزعيم على نفى الملك عبد الله نجد أن حديثه مع الأمير طلال لم يتجاوز الإتفاق على تغيير الحكومة وإعتقال رئيسها أبو الهدى ، وحجز جلوب وضباطه الإنجليز فى معسكر عمان(٣) ، ومن هنا شرع التل فى إتصالات واسعة مع سوريا ومصر والأمير طلال للحصول على تأييد سياسى (٤) قبل أن يعطى لنفسه الفرصة فى الاعتماد على مجموعة قوية داخل الجيش ، وجاءت إتصالاته بالضباط وهو خارج الخدمة بعد أن أقصى عن الجيش وعين حاكماً عسكرياً للقدس ، وقد منحته وظيفته العسكرية كحاكم عسكرى بعض الإمتيازات على المستوى الشخصى إلا أنها أبعدته عن التماس مع العسكريين ، ويبدو أن التل قد أدرك ذلك فى وقت متأخر وحاول العودة إلى الجيش فى عام ١٩٤٩ إلا أن جلوب رفض طلبه(٥)

---

(١) عبد الله التل – كارثة فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٥٨٨ – ٥٩٠

(٢) وقد بقى التل فى القاهرة مع أسرته لاجئا سياسيا حتى أذن له الملك حسين بالعودة فى عام ١٩٦٦

(٣) عبد الله التل – كارثة فلسطين ، مرجع سابق ص ٥٩٢

(٤) Abidi, Aqil Hyder Hassan : Jordan A political study 1948 – 1969 London, Asial Publishing House 1965 P 94 & 188.

(٥) Glubb, J. P. A soldiér with the Arabs op. cit, p 256.

ولقد شجع التأييد السياسى الواسع عبد الله التل أن يبدأ تحركاً سريعاً غير مأمون العواقب بين بعض العسكريين من أنصار جلوب ، فهو يذكر أن جلوب قدم تقريره إلى الملك بعد جولة قام بها بين الوحدات العسكرية ولم يكن التل إمتداداً لحالة جماهيرية منظمة أو حزب حتى أن قراره بالسفر إلى مصر جاء مخالفاً لإرادة كثير من أصدقائه المدنيين كمجموعة جريدة البعث .

ومن الأهمية أن نذكر أن مذكرات التل عن كارثة فلسطين أحدثت تأثيراً قوياً فى كشفه جوانب هامة عن دور الملك عبد الله والقيادة الإنجليزية فى خيانة القضية العربية فى فلسطين وتآمرهم مع الإسرائيليين .

وقد انتهت محاولة التل عند مغادرته الأردن فى ١٩٤٩/١٠/٥ ، ولم يبرز له أى دور بعد ذلك(١) .

أما إتهام عبد الله التل فى قتل الملك عبد الله ، والحكم عليه بالإعدام فليس هناك من دليل يقوم على صحة هذا الإتهام بل أن من الواضح أنه لم يضع فى اعتباره قتل الملك عبد الله فى خططه لإقصاء الضباط الإنجليز .[٣]

وقد تكون مذكراته المنشورة قد أوحت بهذا الإتهام ، وكذا صلاته القديمة مع رجال الهيئـة العربية العليا ، وعلى أى حال فقد كان التل يشكل ظاهرة مبكرة وغير مكتملة لحالة المعارضة الوطنية التى شهدها الجيش بعد هزيمة عام ١٩٤٨ ولكنه كان فى نفس الوقت محرضاً من طراز رفيع بنشره لوثائق الإدانة والخيانة للملك عبد الله .

---

(١) وخصوصا خلال سيطرة مجموعة الضباط الأحرار على الأمور فى الجيش سنة ١٩٥٦-١٩٥٧ أبان فترة الحكم الوطنى ، ويلوم التل فى مذكراته زميله السابق عبد الله الريحاوى الوزير فى عهد حكومة النابلسى لعدم اتصاله به خلال زيارة قام بها للقاهرة .

عباس مراد : الدور السياسى للجيش الأردنى (١٩٦١ - ١٩٧٣) سلسلة كتب فلسطينية رقم ٤٨ إصدار منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث - بيروت - ديسمبر ١٩٧٣ ص ص ٦٧ - ٦٨ .

ومنذ بداية الخمسينيات والأردن ينعكس عليه هو الآخر فترة الإنكفاء الذاتى على الداخل ، فقد ابتدأت بعض الأحزاب نشاطاً مبكراً كالشيوعيين وحزب البعث العربى الاشتراكى وحركة القوميين العرب وساعد ضم الضفه الغربية ونزوح عدد كبير من أهلها إلى الأردن على رفع الوعى الشعبى وتقبله بسرعة لتلك الإتجاهات التقدمية ، وشكلت قطاعات السكان(١) فى المخيمات خميرة نضالية جيـــدة بحكم ظروفها المعيشية القاسية وكذا تلك القطاعات المثقفة البورجوازية الفلسطينية التى ملكت التجربة السياسية خلال نضالها فى فلسطين .

ولعل أهم مظاهر الإنكفاء الذاتى فى الأردن آنئذ هو ما فرضته القيادة الإنجليزية من مزيد من التسلط والهيمنة على الجيش الأردنى لتبقى قابضة على زمام الأمور ، لذلك فقد قادت حركة المعارضة الوطنية فى هذه المرحلة مجموعة من الأحزاب معظمها ذات نزعة ليبرالية وإصلاحية ، وكانت هذه الأحزاب غير مصرح لها بالعمل رسمياً ما عدا الحزب الوطنى الاشتراكى وهو حزب محلى اعتمد أساساً على الوزن السياسى لبعض السياسيين المعارضين ، واعتمدت هذه الأحزاب فى نضالاتها السياسية على الأساليب الديموقراطية والبرلمانية لإقامة حكم وطنى ، والتخلص من السيطرة البرلمانية وذلك بالوصول إلى مجلس الأمة الذى يملك السلطة التشريعية مع الملك(٢) .

---

(١) Harris, George : Jordan. Its people, Its society, its culture, Survey of world cultures, New Haven. com : Human Relations Area files, Inc, 1958 P 9 – 11.

(٢) Aleum, Jean Piarre, en : Jordanie, L' aganie dans Royeume Orient No. 2 April 1957.

الملك حسين : قصة حياتى ، فى الديلى ميل اللندنية – الترجمة العربية ، عمان ، المديرية العامة للمطبوعات ، بدون تاريخ – إصدار ص ٣٩

أفول نجم النفوذ البريطانى وصعود نجم النفوذ الأمريكى :

لم تقتصر آثار حرب فلسطين على إشاعة الاختلال فى توازن الدول العربية فقط وإنما أصابت أيضاً بريطانيا التى أخذ نفوذها فى الزوال من العالم العربى عموماً بعد الإصابة العميقة التى هزت أركان الأوضاع السائدة فى ظل النظام البريطانى ، ولم تقتصر بريطانيا على التخلى عن مهمة المحافظة على النظام التى اسندت إليها بوكالة من الأمم المتحدة ، وإنما عجزت أيضاً عن أن ترجح الحلول التى فضلتها علنا على غيرها ، واستسلمت طائعة لاعتراضات الولايات المتحـــدة ، ولم تستطع منع الاتحاد السوفيتى من التدخل فى المشكلة الفلسطينية .

وكانت مراحل أفول النفوذ البريطانى فى العالم العربى هى على الترتيب التالى :

إلغاء المعاهدة الإنجليزية المصرية فى عام ١٩٥١ ، وعزل جلوب من منصبه فى عام ١٩٥٦ ، وفشل حلف بغداد ثم حملة السويس وأخيراً مصرع رؤساء الدولة العراقية فى ١٤ من يوليو عام ١٩٥٨ .

وكانت إسرائيل تعانى فى أوائل الخمسينات من أزمات اقتصادية وسياسية لم يسبق لها مثيل ولم ينقذها من الإنهيار الاقتصادى فى ذلك الحين سوى وجود إتفاق التعويضات الذى فرض على ألمانيا الغربية بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية ومن الناحية السياسية شهد عام ١٩٥٢ ـــ ١٩٥٣ تحولا فى موقف الاتحاد السوفيتى من حالة الفتور إلى إتخاذ موقف مضاد، انتهى بقطع العلاقات الدبلوماسية فترة من الوقت خلال عام ١٩٥٣ ، كما سيأتى تفصيل ذلك ، وكذلك اعتبر مجيء الجمهوريين إلى الحكم فى الولايات المتحدة خسارة لإسرائيل لا لأن الحزب الجمهورى يقف موقفاً محايداً من النزاع العربى الإسرائيلى ، بل لأنه أقل تحيزاً للصهيونية من الحزب الديموقراطى .

وفى هذه الظروف إزدادت إسرائيل تعلقا بايجاد تسوية ، وكان موسى شاريت يتزعم الإتجاه القائل بإمكان تقديم تنازلات بسيطة للعرب إذا قبلوا التسوية وفى هذه الأثناء كانت مصر مشغولة بمحادثات الجلاء ، وترجو أن تستفيد من الولايات المتحدة بالضغط على بريطانيا لإتمام عقد المعاهدة بصورة ترضيها ، ولذلك صدرت تلميحات مصرية تشير إلى إمكان تسوية إذا ما استردت مصر بعض الامتيازات السابقة فى النقب. ويروى Earl Berger(١) نقلا عن المصادر الإسرائيلية أن إسرائيل لم تعارض فى إمتلاك مصر لخط حديدى عبر النقب يصل بينها وبين الأردن ، إلا أن مصر طالبت بممر عريض يقطع إتصال إسرائيل بخليج العقبة وإذا صح وجود مباحثات من هذا النوع فان أحد المؤرخين المصريين يفسرها بأنها كانت مناورة من كلا الطرفين للتغلب على صعوبات داخلية ، فمصر تريد كسب الأمريكيين فى هذه المرحلة الدقيقة من المفاوضات مع بريطانيا ، وإسرائيل تعانى من أزمات اقتصادية وسياسة مستفحلة .

ولم تخف عن الأمريكان هذه الحقائق ، فقد قام دالاس بجولة فى الشرق الأوسط لإقناع الحكومات العربية بالإنضمام إلى الأحلاف العسكرية ، وإعداد نظام دفاع إقليمى مشترك كان الجواب الجماعى من الرأى العربى إن إسرائيل التى ما زالت الدول الغربية تؤيدها هى منبع خطر عاجل ، وقد عاد دالاس بعد جولته ليصرح بأن الرأى العام العربى مشغول بالصراع مع إسرائيل من جهة ، وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى ، ولذلك فان العرب لا يدركون خطر الشيوعية(٢) .

على انه بحلول صيف ١٩٥٤ كانت حكومة العراق قد لحقت بتركيا والباكستان

---

(١) Berger, Eerl : The government and the Sword, Arab Israeli Relations 1948 – 1956 Rout Ledge & Kegan Paul Toronto : University of Toronto 1965 p 172.

(٢) American foreign Policy Year 1953 p 836.

فى تلقى معونة عسكرية من الولايات المتحدة ، كما أيدت الحكومة المصرية — على حد قول جورج كيرك(١) Goorge Kirk, — استعدادها للمفاوضة بهذا الشأن ، غير أنه اشترط ان يكون هذا الميل مع الغرب مقروناً فى كل دولة عربية باتخاذ إجراءات حاسمة ضد دعاة الوطنية المتعسفين والشيوعيين الموازرين لهم .

كذلك فقد كان هنا تسليما ضمنياً بأن الغرب هو الذى يجب عليه أن يضطلع بتقديم المال اللازم للمشروعات الإنمائية لتقوية الاقتصاد المتداعى للمنطقة العربية ، ولا غرو ، أفليس فى عنق الغرب دين يلزمه باصلاح العالم العربى نظير المسلك « الاستعمارى » الذى اعتاد أن يسلكه فى الماضى بوجه عام ، وما ارتكبه من أخطاء فى مشكلة فلسطين واللاجئين العرب .

والذى حدث هو أن الولايات المتحدة حاولت فى الفترة ما بين ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ أن تسترضى العرب بتصريحات تشير إلى حل لقضية اللاجئين ، وهى قضية فرعية من المشكلة الفلسطينية ، ومن شأن هذه التصريحات أن تعطى للعرب إرضاءاً جزئياً ، ومن ذلك تصريح لدالاس قال فيه :

« ان على إسرائيل أن تعتبر نفسها من دول الشرق الأوسط ، وليست موطنا لليهودية العالمية ، لأن ذلك يؤدى بطبيعة الحال إلى إتباع سياسة توسعية » .

وقد كان من النتائج التى ترتبت على المشروعات المراد بها معونة الشرق الأوسط أمثال مكتب الشرق الأوسط الذى أنشأه « بيفن » والنقطة الرابعة للرئيس « ترومان » ووكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين العرب ، والمنحة الأخير للرئيس إيزنهاور وقدرها ٤٣ مليون دولار . . . كان من جراء ذلك

---

(١) Kirk, George, A short History of the Middle East op. cit, pp 433-437.

إن إزداد اعتقاد العرب بأن معونة الغرب واجب لازم . . وكلما إزدادت المعونة العامة التى يقدمها الغرب للشرق الأوسط كانت أدوم أثراً فى إعتقاده بأن الغرب عليه التزامات نحوه لا مفر منها(١) .

وعندما أصدرت حكومة الولايات المتحدة إنذارها بوقف معونة اللاجئين حتما فى منتصف عام ١٩٥٥ إذا لم تتخذ إجراءات حاسمة لإعادة إسكانهم قبل ذلك الوقت ، كان فى ذلك مجال لإثارة التهديدات المعتادة المضادة لذلك ؛ بأن الشيوعية تنتشر إنتشاراً لا سلطان لأحد عليه ، واستمرت الولايات تبذل المساعى الدبلوماسية لإغراء العرب بالاحلاف ، أو على الأقل إيقاف التقارب من الاتحاد السوفيتى .

وفيما يلى بعض فقرات من الخطاب الذى ألقاه دالاس أمام لجنة الشئون الخارجية فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٥٥ :

« وهناك مشكلة العرب وإسرائيل التى لم تحل بهدنة ١٩٤٩ والتى ترتب عليها ثلاث مشاكل ما زالت بحاجة ملحة إلى الحل ، فالمشكلة الأولى هى المأساة التى أحدقت بالتسعمائة ألف لاجىء الذين عاشوا سابقا فى المنطقة التى تحتلها الآن إسرائيل .

والمشكلة الثانية هى حجاب الخوف المخيم الآن على العرب وإسرائيل على السواء ، فالبلاد العربيـــة تخشى توسع إسرائيل على حسابها ، ويخشى الإسرائيليون أن يلقى بهم فى البحر ، كما أنهم يعانون من التدابير الاقتصادية المتخذة ضدهم .

والمشكلة الثالثة هى عدم وجود حدود دائمة بين إسرائيل وجيرانها وتابع دالاس حديثه قائلا :

---

(١) من مقال بعنوان : Proud Borrower and sky Investor
فى مجلة The Economist. الصادرة بتاريخ ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٣ — الصفحتان ٤٠٣ — ٤٠٤ .

« ولقد خولنى الرئيس إيزنهاور سلطة القول أنه إذا توفر الحل لهذه المشاكل فانه يوصى بأن تشترك الولايات المتحدة بالتزامات ومعاهدات رسمية لمنع أو لإحباط أية محاولة يقوم بها أى من الطرفين كى يغير بالقوة الحدود بين إسرائيل وجاراتها العربية . وإذا كان القصد إيجاد ضمان للحدود، فمن الطبيعى أن يكون هناك إتفاق على ماهية هذه الحدود » .

وبعد نحو شهرين ذهب إيدن إلى أبعد من ذلك ، ففى خطاب شهير ألقاه يوم ٩ نوفمبر فى « مانشن هاوس » لمح إلى إمكان إجراء تعديل فى الحدود لصالح العرب ، وعرض وساطة بريطانيا فى هذا الأمر . ولما كان هذا الخطاب ألقى بعد الإعلان عن صفقة الأسلحة مع الكتله الشرقية فقد فسره الكثيرون على أنه محاولة من جانب بريطانيا لتدعيم مركز أصدقائها فى الشرق العربى ، وذلك إبان إحتدام المعركة حول حلف بغداد ، والدليل على ذلك هو زيارة المارشال تامبلر التى أعقبت هذا الخطاب إلى الأردن بقصد اجتذابه إلى حلف بغداد ، ولم تخف هذه الحقائق عن المسئولين فى مصر أو سوريا ، ومع ذلك فقد كان هناك رأى يرى(١) أن خطاب إيدن يعد خطوة هامة تدل على تفسير نظرة الغرب إلى إسرائيل .

ويذكر البعض أنه كان من مصلحة العرب فى هذه الفترة وجود معسكرين عربيين : أحدهما يجتذب الدول الغربية لتأييد القضية العربية ، والآخر يكسب صداقة الكتلة الشرقية لنفس الغرض — الأمر الذى يجعلنا نتعرض لموقف الاتحاد السوفيتى فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية فى هذه الفترة .

---

(١) الأهرام ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٥

تذبذب الموقف السوفيتي (١) :

ترتب على إعلان دولة إسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ والمقاومة العربية لها منذ ذلك الوقت مشاكل كثيرة فيما يتعلق بفلسطين .

ولعل أهم هذه المشكلات هي قضيتي اللاجئين الفلسطينين والقدس وذلك على اعتبار أن هذا قد يكون المسلك المناسب للتعرف على موقف الاتحاد السوفيتي من المشكلة الفلسطينية عموماً ، فباستثناء الفترة التي تحمس فيها السوفييت لقرار تقسيم فلسطين فى عام ١٩٤٧ فإننا نجد عدم اهتمام الاتحاد السوفيتي بإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية فى الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٢ ثم بالتركيز السوفيتي على تنمية العلاقات مع العرب بعد ذلك ، وكذلك بالتركيز على الأبعاد الدولية للصراع العربي الإسرائيلي على حساب الأبعاد الإقليمية ، وهكذا كان لمنطق السوفيتي دائماً منطقاً إجرائياً يتلخص فى أنه يجب أن يمتنع الغرب أولا عن التدخل فى شئون المنطقة ، ومن ثم إيجاد تسوية ، وبعد ذلك سوف يسهل إيجاد مثل هذه التسوية سواء بالإتصال المباشر بين الأطراف أو عن طريق الأمم المتحدة .

أولا ، موقف الاتحاد السوفيتي عن مشكلة اللاجئين الفلسطينين :

أظهر السوفييت منذ البداية فهما خاطئا لوجهة النظر العربية بسبب نشأة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، فقد كانت مسئولية المشكلة بالنسبة لهم تقع على عاتق الدول الغربية أولا ، والدول العربية ثانياً ، أما إسرائيل فكانت خارج نطاق المسئولية كلية ، وقد كانت وجهة النظر السوفيتية فى هذا الصدد تسير على النحو التالي :

كان السبب فى مشكلة اللاجئين الفلسطينين أساساً هم الدول الغربية والدول العربية بدرجات متفاوتة طالما أن نقض قرار التقسيم الذى لم يوضع موضع التنفيذ هو السبب حيث كان هو الطريق الوحيد لحل هذه المشكلة من وجهة

---

(١) يرجع فى تفصيل ذلك إلى : دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

نظر السوفيت(١)

غير أن قرار تقسيم فلسطين لم يوضع موضع التنفيذ واستمرت المشكلة قائمة تبحثها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى كل دورة من دوراتها بعد عام ١٩٤٨ ، وقد كان النقاش بصدد اللاجئين الفلسطينيين يثور مرتبطاً بلجنة التوفيق ، وكان السوفيت يشاركون فيه مهاجمين للجنة وداعين لحلها ، ولكن عندما كان النقاش يثـــور متعلقاً بصلب الموضوع وهو مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ذاتها كان الصمت الطبق هو موقف السوفيت عموماً(٢) .

وهكذا تبدو سمات تذبذب الموقف السوفيتى عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين خاصة ، وان الإمتناع السوفيتى الدائم عن التصويت على القرارات المتعلقة بهؤلاء اللاجئين منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥٥ لم يكن يعكس موقفا من مضمون القرارات المتعلقة باللاجئين من إشارة هذه القرارات أما إلى قرارت سابقة امتنع السوفييت عن التصويت عليها على الأقل أو إشارتها إلى لجنة التوفيق أو وكالة غوث اللاجئين التى كان للسوفيت موقفهم السلبى منها أيضاً حيث يدخل القرارات المنشئ لهذه الوكالة فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ضمن القرارات التى امتنع الاتحاد السوفيتى سواء عن المشاركة فى المناقشات التى سبقت صدورها أو عن التصويت عليها فى اللجنة أو فى الجمعية العامة ، ولم يكن هناك بالطبع أى نوع لنفوذ سوفيتى من خلال البنيان الرسمى

---

(١) أنظر تصريح المندوب السوفيتى فى مجلس الأمن بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٤٨ فى
Year Book of the United Nations **1947 – 1948** op. cit, pp **447 – 448.**

(٢) أنظر مناقشات قضية اللاجئين الفلسطينيين فى الكتاب السنوى للأمم المتحدة من ١٩٤٨–١٩٤٩ إلى ١٩٥٥ وأنظر أيضا :

Gabby, Rong E., A political study of the Arab, Jewish conflict. The Arab Refugee problem (A case study)
Geneve : Librairie E. Droz. **1959** p **379**, **388**, **402**.

للوكالة ولم يسهم الاتحاد السوفيتى مالياً فى عمليات الغوث(١) .

وإذا كان الإمتناع السوفيتى عن التصويت على قرارات الأمم المتحدة المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين لا يعنى امتناعاً بالنسبة لمضمون تلك القرارات المتعلقة بهؤلاء اللاجئين بصفة أساسية ، فهل كان السوفييت يقرون ماجاء فى هذه القرارات من اعتراف اللاجئين بحق العودة أو التعويض ؟

يجيب المندوب السوفيتى فى الجمعية العامة على هذ السؤال بالإيجاب فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، ففى الثامن من هذا الشهر قدم المندوب السورى مشروع قرار إلى الجمعية العامة يطلب بموجبه الرأى الاستشارى لمحكمة العدل الدولية بصدد حق اللاجئين فى العودة واستعادة ملكياتهم ومصالحهم ، وحق إسرائيل فى إنكار ذلك عليهم ، وإمكان أن تصبح هذه الحقوق موضوعاً للمفاوضات بين دول ليس اللاجئون مواطنين فيها أو للاتفاق بين هذه الدول ، وعارض المندوب السوفيتى القرار السورى ، وذكر أن حقوق اللاجئين العرب معترف بها فى قرارات الجمعية العامة التى لا يمكن مراجعتها أو إلغاؤها(٢) .

أى أن السوفييت كانوا يؤيدون عموماً القرارات القاضية بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم أو تعويضهم .

ومع ذلك فقد شهد شهر أبريل سنة ١٩٥٦ مناسبتين عبر السوفيت فيهما عن موقفهم من مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بطريقة تبعد كثيراً حتى عما

---

(١) Forsythe, David p., UNRWA, The palestine Refugees and World Politics 1949 – 1969 in : International Orgauization Vol. XXV, no 1– winter 1971, p. 44.

Dallin, The Soviet Union at the United Nations, op. cit, p 104.

(٢) Year Book of the United Nations 1952, op. cit, pp 250–252.

تتحدث عنه قرارات الأمم المتحدة بالنسبة لهم ، فقد تحدث بيان وزارة الخارجية(١) السوفيتية فى ١٧ أبريل سنة ١٩٥٦ عن بذل(٢) الجهود اللازمة من أجل تحسين الوضع العصيب لمئات الألوف من اللاجئين الفلسطينيين المحرومين من المأوى وسبل العيش .

ولقد كان من الطبيعى أن يصدر مصدر إسرائيلى(٣) من حسنات البيان أنه تحدث عن الحاجة إلى تحسين وضع اللاجئين وليس عن عودتهم .

وكان من المبرر أن يذكر أحد الباحثين المصريين فى تعليق على البيان أنه يمحو أية اقتراحات محددة لإعادة توطين اللاجئين أو بشأن وسائل تعويضهم .

وقد تكرر نفس الموقف السوفيتى فى البيان المشترك عن محادثات القمة البريطانية الفرنسية فى لندن الصادر بتاريخ ٢٦ أبريل سنة ١٩٥٦ ، فقد أشار البيان إلى اعتراف الحكومتين البريطانية والسوفيتية بأهمية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وبأنهما تؤيدان طبقاً لذلك عمل الأمم المتحدة الموجه نحو « التخفيف من شئونهم »(٣) .

وهكذا فإنه بينما أيد السوفييت فى عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ حق يهود العالم فى العودة إلى فلسطين لم يكن من الواضح حتى ١٩٥٦ أنهم متحمسون كثيراً للحديث عن حق عرب فلسطين فى العودة إليها أو حق التعويض وفقاً لقرارات الأمم المتحدة بالرغم من أنه لا يمكن القول بأنهم لم يكونوا ملتزمين بهذه القرارات خاصة وأنهم صوتوا لأول مرة بالإيجاب على القرار الخاص باللاجئين

---

(١) أنظر بيان وزارة الخارجية السوفيتية حول الموقف فى الشرق الأوسط فى ١٧ أبريل عام ١٩٥٦ فى : الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط – مشاكل الأمن والسلام (وثائق ومواد) ١٩٥٦ – ١٩٧١ ، وموسكو : دار وكالة نوفوستى ١٩٧٢ ص ٣٢

(٢) Makled. op. cit.

(٣) Landan, Isaac, Evolution of USSR Policy in the Middle East 1950 – 1956, in Middle Eastern Affairs, Vol. VII, on. 5, May 1956 p 177.

فى الدورة الحادية عشر فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٧ الذى انتقد عدم التقدم فى برنامج إعادة اللاجئين إلى أراضيهم(١) .

وعموماً فإن تذبذب الموقف السوفيتى خلال هذه الفترة واضح ، وليس ثمة سبب متاح لتفسير تغيره من الامتناع إلى الإيجاب بشأن التصويت على القرارات المتعلقة باللاجئين سوى انعكاسات العلاقات العربية السوفيتية على المواقف السوفيتية من المشكلة الفلسطينية ، والصراع العربى الإسرائيلى .

ثانيا – موقف الاتحاد السوفيتى من وضع القدس :

أكد الاتحاد السوفيتى تمسكه بوضع مدينة القدس كما جاء فى قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ .

ففى ١٤ يوليو سنة ١٩٤٨ ضمن المندوب السوفيتى تعليقه على مشروع قرار أمريكى معروض على مجلس الأمن تعليقاً على فقرة فيه خاصة بوضع القدس كانت تتحدث عن استمرار جهود الوسيط لنزع سلاح القدس دون أن يعنى هذا إجحافاً بمستقبلها السياسى ، وقد ربط المندوب السوفيتى هذه الفقرة بمقترحات الوسيط فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٨ بضم مدينة القدس إلى إقليم الدولة العربية مع استقلال بلدى محلى للجماعة اليهودية وترتيبات خاصة لحماية الأماكن المقدسة .

ورأى المندوب السوفيتى أنها تتناقض وقرار الجمعية العامة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بوضع القدس تحت نظام خاص ، وقدم تعديلا لهذه الفقرة ينص على أن يقترح المجلس على كلا الطرفين أن يسحبا فوراً قواتهما المسلحة من القدس لأن الوضع الخاص الذى قررته الجمعية لهذه المدينة يجب أن يوضع موضع التنفيذ(٢) .

---

(١) أنظر النص فى : ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق جـ ١ ص ١٩٩٧

(٢) Year Book of the United Nations, 1947–1948 op. cit, pp 407–410.

ولا شك أن التمسك السوفيتى بوضع القدس كما جاء قرار التقسيم لا يجىء باعتبار أن ذلك الوضع وضع أمثل فى حد ذاته ولكن خوفاً من الاتجاه إلى جعل القدس مدينة عربية فى وقت كان التأييد السوفيتى لإسرائيل فى ذروته .

واستمر هذا الموقف السوفيتى فى عام ١٩٤٩ ، ففى ٢٤ نوفمبر من هذا العام تقدم المندوب الاسترالى فى اللجنة السياسية الخاصة بمشروع قرار يقترح أن تأمر الجمعية لجنة التوفيق بإعادة بحث النظام الدولى الدائم للقدس وفى اليوم التالى قدم المندوب السوفيتى تعديلا يقترح شطب الإشارة إلى لجنة التوفيق وحل اللجنة وأن يكمل مجلس الوصاية فى دورته القادمة الإعداد لمشروع وضع القدس كما جاء به قرار التقسيم .

وعندما انتهت اللجنة إلى مشروع قرار يؤكد على الخطوط الرئيسية لوضع القدس كما جاء فى قرار التقسيم ، أعلن المندوب السوفيتى فى الجمعية العامة أثناء المناقشات تأييده له لأنه اعتقد أن تنفيذه سوف يحقق الأمن والسلام فى القدس ، كما أنه سوف يتلاقى ومصالح سكان القدس ، وعند التصويت على مشروع القرار الذى تبنته الجمعية العامة(١) ، وقد اعتبر موقف الاتحاد السوفيتى هذا من مسألة القدس استثناء من موقف التأييد السوفيتى العام فى ذلك الوقت(٢)، وإن كان بعض الباحثين لا يرى(٣) أن هذا الموقف كان موجهاً ضد إسرائيل .

وتشير إحدى الدراسات إلى دوافع المؤيدين لتدويل القدس بأن كلا منهم

---

(١) Year Book of the United Naticns, 1948 - 1949 op. cit, pp 190–196.

(٢) Dagan, Avigdor, Moscow and Jerusalem. Twenty Years of Relations Between Israel and Soviet Union, New York : Abelard – Schuman, 1970 p 46.

(٣) S Ro'i, op. cit, P 138.

كانت له أسبابه المختلفة دون أن يأتى بكلمة واحدة عن هذه الأسباب(١) .

وثمة دراسة أخرى تتحدث عن تحالف غريب بين الكرملين والفاتيكان والإسلام وتستمر فى سرد دوافع كل من عناصر التحالف إلا أنه عند الوصول إلى الاتحاد السوفيتى والمجموعة السوفيتية لا تعطى هذه الدراسة إلا القول بأنه « وهذه المجموعة قد اتبعوا سياستهم التى يستحيل حسابها »(٢) .

وعلى أية حال يجب أن يعترف المرء أن المسألة ككل لم تكن ذات أهمية نسبية فى حساب أولويات السياسة السوفيتية عموماً أو فلسطين بصفة خاصة .

وربما زادت الأمور تعقيداً تراجع الاتحاد السوفيتى عن موقفه هذا فى ١٩ أبريل سنة ١٩٥٠ ، ففى هذا التاريخ أرسل جاكوب مالك المندوب السوفيتى فى الأمم المتحدة رسالة إلى الأمين العام يخبره فيها أن قرار الجمعية بتدويل القدس لا يرضى السكان العرب أو اليهود ، ومن ثم فان حكومة الاتحاد السوفيتى لا تعتقد انه من الممكن أن تواصل تأييدها لهذا القرار(٣)

ومنذ ذلك التاريخ اتخذ الاتحاد السوفيتى خاصة وقد دخل مرحلة « الإنتهاء » موقفاً محايداً تماماً بالنسبة لمشكلة القدس وامتنع عن التصويت فى كل الأمور المتعلقة بها(٤) .

وينسب أحد المصادر الإسرائيلية لفورشيلوف قوله لايلياشيف فى المناقشة المناقشة التى جرت بينهما بعد تقديم الأخير لأوراق اعتماده عقب عودته إلى

---

(١) Shwadran, Bengamin : Jerusalem Again, in : Middle Eastern Affairs، Vol. 1. no. 12 Decembere 1950 p 357.

(٢) Bentwich, Norman, The East and the United Nations in Middle Eastern Affairs, Vol. 11 no. 11 November 1951 p 358.

(٣) Shwadran, op. cit, p 359.

(٤) دكتور احمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

موسكو فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٣ أن القدس مدينة يهودية(١) .

كذلك يروى أحد الباحثين أن السفير السوفيتى فى إسرائيل قد قدم أوراق اعتماده فى يوليو ١٩٥٤ بعد رفع درجة التمثيل الدبلوماسى بين البلدين إلى مستوى السفارة فى القدس على أساس أنها عاصمة لإسرائيل وأن هذا قد أتاه بالكثير من المديح فى إسرائيل لأن معظم الدول لم تكن قد أبدت بعد استعدادا للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل(٢) .

وهكذا تميل المحصلة العامة لموقف الاتحاد السوفيتى من القدس من ناحية إلى وجهة النظر الإسرائيلية عموماً أكثر من ميلها لوجهة النظر العربية ، وإن كانت تتصف من ناحية أخرى بالتذبذب وعدم التحديد فى هذه الفترة(٣) .

عمل لجنة التوفيق الدولية وردود الفعل :

قررت اللجنة السياسية للأمم المتحدة فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ تأليف لجنة توفيق لفلسطين تعمل على تنمية العلاقات الحسنة بين إسرائيل والعرب واتخاذ التدابير اللازمة لوضع الأماكن المقدسة تحت إشراف الأمم المتحدة واخضاع منطقة القدس لنظام دولى . كما قررت تحديد منطقة القدس حسب قرار تقسيم فلسطين ، وقررت أخيرا السماح لمن يرغب من اللاجئين بالعودة إلى ديارهم ، ودفع التعويضات للذين لا يرغبون فى العودة ، ولكل من أصابه ضرر فى ممتلكاته . وكان هذا تمهيداً للهدنة التى فرضت سياسيا — والتى لم تتمكن الأمم المتحدة فى اثنائها من إعادة اليهود إلى خطوطهم الأصلية ، وأمام هذا الضغط اضطرت الحكومات والهيئات إلى قبول الأمر الواقع وقبول الهدنة (٤) .

---

(١) Dagan, op. cit. p 75.

(٢) لاكور ، والتر : الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين : بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر : أغسطس ١٩٥٩ ، ص ص ٢٣٤ — ٢٣٥ .

(٣) دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق

(٤) دكتور ، جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ص ٢٤٧ —

وقد سار عمل اللجنة بالتسلسل التاريخي التالى .

عقدت اللجنة ثلاثة مؤتمرات قبل ممثلوا إسرائيل والدول العربية حضورها ، ولكن منفصلين بطبيعة الحال .

وفى المؤتمر الأول الذى اجتمع فى لوزان عام ١٩٤٩ أمكن الحصول على تنازلات ضخمة من قبل كل من الطرفين حيث اعترف العرب بمبدأ تقسيم فلسطين وقبلوا اتخاذ قرار التقسيم أساسا للمناقشة فى هذا الموضوع (١) ، وقبل الإسرائيليون النظر فى عودة مائة ألف من اللاجئين إلى ديارهم ، و لكن على الرغم من ذلك لم يمكن الوصول فى هذا الأمر إلى اتفاق . وعلى الرغم من ذلك أفاد هذا المؤتمر فى حمل لجنة التوفيق على البحث عن جانب اقتصادى للمشكلة يمكن البدء منه ، فأوصت اللجنة بإرسال لجنة اقتصادية للتحقيق فى الدول العربية ووافق الأمين العام للأمم المتحدة على هذه التوصية ، واسندت رياسة اللجنة إلى جوردون كلاب رئيس هيئة وادى التنسى

وقد نجحت لجنة جوردون كلاب فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٩ فى إنشاء وكالة تابعة للأمم المتحدة تكون مهمتها تطبيق مشروعات إعادة التصنيف ، وهى وكالة المساعدة (غوث اللاجئين) والعمل التابعة للأمم المتحدة :

وإذ عجزت وكالة الأمم المتحدة عن إيجاد الحل الفورى لمشكلة اللاجئين ، حاولت لجنة التوفيق الاستمرار فى عملها عن طريق تنظيم

---

(١) وقد جاء التعبير عن هذا الموقف العام فى المحضر المؤرخ فى ١٢ مايو سنة ١٩٤٩ الذى وضعته لجنة التوفيق ، ويمكن الرجوع إلى نص هذا المحضر فى التقرير المؤرخ فى ٢١ يونيو سنه ١٩٤٩ الذى وضعته لجنة التوفيق (أنظر الوثائق الرسمية لدورة الانعقاد الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة — اللجنة السياسية الخاصة — ملحق التقرير — المجلد الثانى عام ١٩٤٩ ص ٦) وقد جاء فى هذا التقرير نفسه فى فقرته رقم ٢٩ ذكر تصريح إسرائيل له مغزاه يقول : « قرر الوفد الإسرائيلى إن إسرائيل ليست لها أية أطماع فى المنطقة الوسطى من فلسطين » .

مؤتمر ثان في جنيف في عام ١٩٥٠ ، وأسفر هذا المؤتمر الثاني عن فشل كامل حيث سحبت إسرائيل العرض الذى سبق لها أن قبلته والخاص بإعادة مائة ألف من اللاجئين إلى ديارهم .

وانعقد المؤتمر الثالث في باريس في نهاية عام ١٩٥١ لم يكن له من أثر غير اتاحة الفرصة أمام كل من العرب واليهود للإعراب عن موقف سلبي من قرارات الأمم المتحدة اتخذاه ولم يتحولا عنه منذ ذلك الوقت قط .

وفي الطريق الموازى للحلول الاقتصادية اعتمدت الأمم المتحدة في عام ١٩٥٢ مشروعا وضعه بلاند فورد مدير وكالة المساعدة والعمل (غوث اللاجئين) نص فيه على أن تتعهد البلاد المضيفة للاجئين بالاضطلاع بشئون الجانب الأكبر منهم ، على أن تقدم لهذه البلاد المعاونات الفنية والمالية التى تساعدها على تنفيذ برنامج عام للتنمية الاقتصادية .

ترازداد مشروع بلاند فورد هذا قوة بالمبادرة التى اتخذها الرئيس ايزنهاور حينما أرسل إلى المنطقة — أريك جونستون — ليضع مشروعا للعرب والإسرائيليين معا من أجل استغلال مياه نهر الأردن بطريقة مشتركة بينهما .

ونشر هذا التقرير في شهر أكتوبر سنة ١٩٥٣ ، وكان يرمى إلى رى (١) ١١٠٠٠٠ هكتار من الأرض — منها ٦٠٠٠٠ هكتار في الأردن تخصص لايواء ٢٠٠٠٠٠ من اللاجئين الفلسطينيين في هذا القطاع ، ولقى المشروع اعتراضات من كلا الطرفين . ولكن بعد فترة من المفاوضات الدائبة بدأ في شهر يوليو عام ١٩٥٤ وكأن المبادرة الأمريكية سوف تؤدى إلى عمل مشترك من شأنه أن يؤثر تأثيراً كبيراً على تطورات المشكلة الفلسطينية والنزاع العربي الإسرائيلي ، ولم يتحقق من ذلك شئ البتة ، ففى الحالتين

---

(١) أنظر خلاصة هذا المشروع في : دكتور جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ٢٦٦ — ٢٦٨

حالة مشروع بلانفورد وحالة مشروع جونستون – إنهارت الآمال التى بدت فى وقت من الأوقات وكأنها على وشك أن تتحقق ، فمشروع بلانفورد لم يحقق غير إنجازات ضئيلة أما مشروع جونستون فقد أدى رفضه نهائيا من جانب العرب إلى قيام مشروعات منفصلة لكلا الطرفين .

موقف الاتحاد السوفيتى من لجنة التوفيق :

تبدو معارضة الاتحاد السوفيتى لدور مجلس الوصاية ولمهمة الوسيط برنادوت – تبدو بالنظر إلى معارضته للجنة التوفيق ، فمنذ البداية عارض الاتحاد السوفيتى القرار المنشئ لها فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، وفى المناقشات الخاصة بتشكيلها فى الجمعية العامة اتفقت الدول الخمس الدائمة العضوية فى مجلس الأمن – ماعدا الاتحاد السوفيتى – على تشكيل اللجنة من الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وتركيا ، وقد طالب المندوب السوفيتى بتسجيل معارضته ورأيه الخاص بضرورة تشكيل اللجنة من خمس دول صغيرة كأعضاء تكون بولندا من بينهم .

وقد أيد المندوب الكولومى وجهة النظر السوفيتية إلا أن رئيس الجمعية حسم النقاش بأن طريقه التشكيل محددة فى القرار . وأتمت الجمعية العامة تشكيل لجنة التوفيق كما اقترحته لجنة التشكيل باستثناء الاتحاد السوفيتى(١).

وقد كان تفسير الموقف السوفيتى واضحا – فقد كان التشكيل المقترح للجنة التوفيق سيقضى من وجهة النظر السوفيتية إلى جعلها أداة طيعة فى يد الولايات المتحدة ، ولذلك كان موقف الاتحاد السوفيتى من هذا التشكيل انعكاسا للسياسة السوفيتية الساعية إلى تحقيق الهدف الاستراتيجى فى التقليل من النفوذ الغربى فى الشرق الأوسط وإن أمكن استبعاد هذا النفوذ من المنطقة

---

(١) Year Book of the United Nations, 1948–1949 op. cit, p 174., p 176.

كلية (١) .

ولذلك كان طبيعياً ألا يفوت الاتحاد السوفيتى أية فرصة للهجوم على هذه اللجنة والمطالبة بحلها ، وبعد عقد اتفاقيات الهدنة الإسرائيلية العربية عام ١٩٤٩ سارع المندوب السوفيتى فى مجلس الأمن فى ٨ أغسطس إلى إعلان أن لجنة التوفيق يجب أن تتخلى عن كل المسائل التى تعالجها أطراف النزاع ،

وأثناء أعمال الدورة الخامسة للجمعية العامة ، قدم المندوب السوفيتى فى اللجنة السياسية الخاصة فى ديسمبر سنة ١٩٥٠ مشروع قرار لحل لجنة التوفيق وتعديلا يقضى بشطب أية أشارة إليها فى كل مشروعات القرارات المعروضة على اللجنة السياسية الخاصة التى كانت تشترك كلها فى إعطائها دورا رئيسيا للجنة التوفيق ، واستند المندوب السوفيتى فى تفسيره لهذا المسلك إلى أن لجنة التوفيق قد اثبتت عدم قدرتها على القيام بواجبها فى تسوية المنازعات بين الأطراف المعنية فى فلسطين ، بل على العكس لقد اسهمت فعليا فى الاساءة إلى العلاقات بينها ، وبالإضافة إلى ذلك فقد تجاوزت اللجنة نطاق صلاحياتها بإنشائها بدعوى مساعدة اللاجئين و دون انتظار لردود الدول العربية وإسرائيل بعثة المسح الاقتصادى التى استخدمت لجمع معلومات سياسية واستراتيجية للولايات المتحدة (٢) .

وتكررت معارضة الاتحاد السوفيتى بعد ذلك أيضاً للجنة التوفيق فى الدورة السادسة للجمعية العامة ، ففى اجتماع اللجنة السياسية الخاصة بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٥٢ قدم المندوب السوفيتى مشروع قرار يقضى بالغاء لجنة التوفيق وقد تقديمه لمشروع قراره صرح المندوب السوفيتى بأن تقرير لجنة

---

(١) Hurewitz, J. C. The United Nations Conciliation commission for Palestine : Establishment and Definition of Functions, in : International Organization Vol. VII no. 4, November 1953 pp 490-491.

(٢) Gabby, Rong E, op. cit, p p 262-265.

التوفيق يظهر أنها قد عملت لصالح الولايات المتحدة وبدلا من مساعدة الأطراف المعنية حاولت أن تفرض قراراتها عليهم متجاوزة سلطتها بذلك ، ولقد عمل أعضاؤها بموجب تعليمات من حكوماتهم ، ولذلك فقد عكست أعمال اللجنة وجهات نظر هذه الحكومات وليس تلك الخاصة بالأمم المتحدة ، ولذلك لم يكن مثيرا للدهشة أن اخفقت اللجنة فى عملها ، وأكد المندوب السوفيتى أن لجنة التوفيق لن يمكنها أن تحل المشكلة الفلسطينية طبقاً لصالح شعبى فلسطين حتى توقف الولايات المتحدة والبلاد الأخرى ككتلة الأطلنطى تدخلها فى شئون فلسطين وبلاد الشرقين الأدنى والأوسط .

وبعد أن لقى مشروع القرار السوفيتى فى اللجنة نفس المصير الذى لقيه سابقه فى الدورة الخامسة ، قدم المندوب السوفيتى فى ٢٦ يناير تعديلا إلى الجمعية العامة لمشروع القرار الموصى به من اللجنة يدعو إلى إلغاء لجنة التوفيق وعبر عن رأيه فى أن إلغاء اللجنة سوف يوضح الموقف فى فلسطين ويزيل كيانا مؤذيا مثل لعدد من السنوات إحدى عقبات تسوية مشكلة فلسطين ؛ وسوف يفتح الباب علاوة على هذه لتسوية المشكلة طبقا لصالح شعبى فلسطين وليس القوى التى كانت تسعى لإخضاع هذين الشعبين وشعوب الشرق الأوسط والأدنى لقيادتها وسيطرتها .

وهكذا يمكن ملاحظة أنه بينما اتسقت معارضة الاتحاد السوفيتى للدور يلعبه مجلس الوصاية أو وسيط الأمم المتحدة فى تسوية مشكلة فلسطين مع المصلحة الإسرائيلية من الناحية العملية — فان الموقف السوفيتى من لجنة التوفيق قد انبثق بصفة مطلقة من الاعتبارات المتعلقة بصراع الغرب والشرق فضلا عن أنه كان محايد المضمون عموما بالنسبة لإسرائيل(١) .

---

(١) دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

المفاوضات السرية وردود فعلها

أولا – بين الأردن وإسرائيل :

سبق أن أوضحنا أن اللقاءات السرية قد تعددت بين الأردن وإسرائيل من قبـــل التوقيع على اتفاقية الهدنة بينهما ، كما سبق أن تحدثنا أيضاً عن المقابلات التى تمت بين الملك عبد الله وجولدا مايرسون (١) ، وعن مقابلة الشونة فى شهر مارس ١٩٤٩ .

غير إنه سبقت هذا التاريخ وتلته أيضاً اتصالات أخرى ، فتحدثنا إحدى الصحف بتاريخ ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٨ عن احتمال حدوث اتصالات بين الباهوساسون وممثلين عن العرب ، وتؤكد نفس الصحيفة بتاريخ ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٨ عن اتصالات إسرائيلية عربية قد تمت بالفعل فى باريس .

وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ أعاد الملك عبـــد الله المفاوضات مع خصومة الإسرائيليين أيضاً ، ولكن هـــذه المفاوضات فشلت إذ وجد فيها الإسرائيليون مغالاة فى طلبات الملك عبـــد الله الذى رفض فى أن يخفف منها(٢). وبعد ذلك تكررت هذه المفاضات على أثر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتدويل مدينة القدس فى ٩ ديسمبر عام ١٩٤٩

---

(١) جولدا مايرسون هى نفسها جولدا مائيرفيما بعد .

(٢) لقد طلب الملك عبد الله من الاسرائيليين أن ينزلوا له عن ممر للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط مع بلدتى بئر سبع وغزة ، وأن ترد إليه الأحياء العربية من القدس التى يحتلها الاسرائيليون وأن يعطى له الطريق الموصل من القدس إلى بيت لحم وأن يسمح له باستخدام ميناء حر فى حيفا : وفى مقابل ذلك كان يعرض على الاسرائيليين ميناء لهم فى العقبة وأن يترك لهم طريق الوصول إلى مناجم البوتاس فى شمال البحر الميت .

ولكنها هى الأخرى فشلت أيضاً بسبب موضوع رد الأسماء العربية من المدينة المقدسة .

ومنذ بداية عام ١٩٥٠ والاحتمالات (١). تتزايد الوصول إلى حل النزاع بين الأردن وإسرائيل حيث انصرف الأردن إلى الاستمتاع بالإضافات الإقليمية التى فاز بها والتى جعلت منه الطرف الثانى المستفيد من نكبة فلسطين ، ذلك أن الأردن أنصرف عن فكرة « حكومة عموم فلسطين » التى أقامتها الهيئة العربية العليا فى غزة ، واجرى فى شهر يناير ١٩٥٠ انتخابات اشترك فيها الناخبون « من الضفتين » وفى شهر أبريل من العام نفسه أعلن رسميا ضم الضفة الغربية إليه كما سبق أن أوضحنا .

وفى هذا الجو المنفرج أمكن للمحادثات السرية بين الأردن وإسرائيل التى لم تنقطع تماماً من قبل — أن تتقدم سريعاً ، وانتهى الأمر بالوصول إلى اتفاق يقوم على مايبدو على الأسس الآتية :

تنازل الأردن عن طلبه الخاص بالحصول على ممر له وسط منطقة النقب ويحصل على منطقة حرة فى حيفا وعلى حق المرور الحر إلى بيت لحم وعلى الحق لأصحاب الأملاك العرب بالعودة إلى إسرائيل لتصفية أموالهم فيها — وفى مقابل ذلك تحصل إسرائيل على ضمان بالمرور الحر إلى جبل سكوبس ، وتظل الحدود مثبتة على الخطوط الوارد ذكرها فى اتفاقية الهدنة ، كذلك فقد تم الاتفاق بين الطرفين على إبرام اتفاق عدم اعتداء

---

(١) حيث هدأت نوعاً ما فى ذلك الوقت التدلملات التى اجتاحت العالم العربى بعد النكبة ومثال ذلك : ما أسفرت عنه انتخابات يناير ١٩٥٠ فى مصر عن وصول حزب الوفد إلى الحكم ووصول الشيشيكلى إلى حكم سوريا بانقلاب عسكرى ثم فى ديسمبر ١٩٤٩ وانفراج الأزمة الاقتصادية فى العراق التى أخذت تسوى نزاعاتها مع مصر — غير أن هذا الهدوء كان على السطح فقط وظاهريا كما سوف يرد ذلك تفصيلا فى متن البحث .

بين الأردن وإسرائيل لمدة خمس سنوات أما المسائل الإقتصادية فاتفق على أن تجرى فى شأنها مفاوضات لاحقة .

ويؤخذ من الصحف التى ترجع تاريخها إلى تلك الفترة أن مشروع الإتفاق قد تم التوقيع عليه بالحروف الأولى يوم ٢٧ من فبراير سنة ١٩٥٠ ، والذى حدث فعلا فى ذلك اليوم أن كلا من الوزارتين الأردنية والإسرائيلية عقدت جلسة طارئة .

وفى أول مارس أعلن الصحفى الإسرائيلى الذائع الصيت جون كيمش أن النبأ (١) المنتظر عن عقد اتفاقية الصلح قد وصل لتوه من القدس إلى جنيف وكان هذا النبأ سابقاً لأوانه لأن الكنيست لم يوافق إلا فى يوم ١٤ من مارس على مشروع المفاوضات مع الأردن ؛ وكانت موافقته بأغلبية ٥٤ صوتاً ضد ٢٩ (٢) . وربما كانت الحقيقة أن تلك المفاوضات كانت قد انتهت قبل ذلك التاريخ ببضعة أسابيع ، وأن الطرفين كانا قد توصلا قبل ذلك إلى إتفاق من حيث المبدأ (٣) ، فمنذ شهر فبراير سنة ١٩٥٠ كان أحد ممثلى

---

(١) فيما يتعلق بهذا المبدأ أنظر ،

Gabby, Rong E. : A Political Study of the Arab jewish conflict, The Arab Refugee Problem (a case study) op. cit. p. 319.

جريدة جويش كرونيكل ٣ مارس ١٩٥٠ :

(٢) Aleum, op. cit, p. 361-363.

Kimch, John, Seven Fallen Pillars, The Middle East 1915-1950 op. cit, p. 184.

(٣) عن الاجتماعات التى عقدها مجلسا الوزراء فى الأردن وفى اسرائيل انظر ،

Gabby, Rong E. : A political stndy of the Arab-jewish conflict, The Arab Refugee Problem (a case study) op. cit. p. 139.

الحكومة الإسرائيلية قد صرح أمام الكنيست أن محادثات قد بدأت من أجل السلام مع الأردن (١).

إلا أن الجانب العربى قام فى اللحظات الأخيرة باعتراضات لم يتمكن الملك عبد الله من التغلب عليها ، ففى ٢ مارس سنة ١٩٥٠ قدم رئيس وزرائه أبو الهدى استقالته إعلاناً لعدم موافقته على سياسة الملك(٢) .

وفى يوم ٢٥ من مارس سنة ١٩٥٠ اجتمعت فى القاهرة اللجنة السياسية للجامعة وقامت الدول العربية تكيل الإتهامات إلى الأردن وأراد الملك عبدالله أن يتحاشى العزلة عن الرأى العام العربى فاضطر أن يعلن تعهده بعدم إبرام أى صلح منفرد مع إسرائيل .

وفى يوم أول أبريل سنة ١٩٥٠ وقع الملك عبد الله مع زملائه الملوك والرؤساء العرب على قرار للجامعة العربية نص فية على ما يأتى :

« تستبعد من عضوية الجامعة ، طبقاً لنص المادة ١٨ من ميثاقها ، كل دولة عربية تبادر إلى التفاوض مع إسرائيل أو الى إبرام صلح منفرد معها ، أو أى اتفاق ذى طابع سياسى أو عسكرى أو اقتصادى » .

اغتيال الملك عبدالله :

أغتيل الملك عبد الله يوم ٢٠ من يوليو عام ١٩٥١ فى مدينة القدس فى

---

(١) ها آرتس الاسرائيلية ٢٧–٢٨ من فبراير ١٩٥٠ .

Palestine Post 26, 27, 28–2–1950, 1, 3–3–1950.

(٢) أنظر بالعبرية جريدة بلستاين بوست بتاريخ أول فبراير ١٩٥٠ .

جريدة ها آرتس بتاريخ ٢٨ من فبراير ١٩٥٠ ، كذلك فقد أعلنت جريدة بلستاين فى أول مارس ١٩٥٠ أن الطرفين أصبحا على وشك الوصول إلى اتفاق وكما أوردنا فى المتن فقد تم الاقتراع يوم ١٤ مارس بالكنيست وهو مانشرته جريدة بلستاين بوست فى عددها الصادر فى ١٥ من مارس سنة ١٩٥٠ .

اللحظة التى كان فيها يهم بالدخول الى المسجد الأقصى ، وفى صحبته حفيده حسين ملك الأردن الحالى .

وتتحدث احدى الدراسات (١) أن التحقيق أثبت أن الجريمة تم تدبيرها بوساطة المقربين من المفتى الحاج أمين الحسينى وبواسطة عبد الله التل ، وأن هذا التدبير قد تم فى القاهره .

أما القاتل ويدعى مصطفى العشو فقد خر صريعاً فى الحال برصاص حراس الملك .

وما يهمنا فى هذا الصدد هو كيفية انعكاس اغتيال الملك عبد الله على المشكلة الفلسطينية ، فقد أجريت على أثر اغتياله عمليات اعتقالات واسعة فى صفوف الفلسطينيين وصدرت أربعة أحكام بالإعدام عدا الحكم بالإعدام غيابياً على عبد الله التل ،ومن الثابت أن الرأى العام العربى عموماً والفلسطينى على وجه الخصوص قد استثيرت عواطفه وكان يعيب على الملك عبد الله مفاوضاته السابقة مع اسرائيل واحتمال رغبة الملك فى العودة إلى مفاوضاتهم مرة أخرى ، ومن ناحية أخرى فان الحاج أمين الحسينى كان لا يكف عن أضمار الكراهية للملك الذى حرمه من منطقة نفوذه فى فلسطين بضم الضفة الغربية للأردن إلى أملاكه .

وعموماً فقد كان من شأن اغتيال الملك عبد الله أن قضى أكثر مما فعل قرار الجامعة العربية على كل أمل فى إجراء محادثات فيما بعد ، بين الأردن وبين إسرائيل .

ثانيا ـ هل حدثت مفاوضات بين مصر واسرائيل ؟

تتحدث احدى الدراسات (٢) أن الدول العربية قد نظرت بعداء إلى

---

(١) Aleum, op. cit, p. 569.

(٢) Ibid pp. 363-363.

محادثات الملك عبد الله مع الإسرائيليين بينما نفس هذه الدول نظرت بغير عداء الى محاولات مصر فى هذا الإتجاه حيث قامت هذه الأخيرة ، هى الأخرى ، — طبقاً لهذه الدراسات — بقيادة مفاوضات مع اسرائيل .

وعلى الرغم من أن هذه المحادثات كانت سرية ، وعلى الرغم أيضاً من أنها لم تؤد الى احتمال التفكير فى عقد اتفاق بين الطرفين وكونها لم تترك أى أثر يدل عليها ، الا أنها تكاد — طبقاً لهذه الدراسات — تكون محققة ذلك أن حزب الوفد الذى وصل الى الحكم بعد انتخابات ٣ من يناير ١٩٥٠ ، بعد أن ظل بعيداً عن نطاق المسئولية طوال مدة حرب فلسطين : وكان يبدو أن نفوذه فى البلاد آخذ فى الإنتشار مما أشاع الكثير من الأمل فى قلوب الإسرائيليين الذين أبدوا استعدادا لقبول الاتصالات ، وقد بدأت أولى هذه الاتصالات فى شهر يناير ١٩٥٠ فور فوز الحزب فى الانتخابات وفى شهر فبراير من تلك السنة أشارت محطات الإذاعات العربية كما نشرت الصحف الكبرى تصريحاً نسب الى مصطفى نصرت وزارة الحربية المصرى فى ٩ من ذلك الشهر يقول فيه :

« قد يجتمع الوفدان المصرى والإسرائيلى فى يوم ٢٦ من فبراير باشتراك ممثلى هيئة الأمم المتحدة للمناقشة فى موضوع الصلح » .

غير أن المصريين والإسرائيليين على السواء قد أسرعوا يكذبون هذا النبأ ولم يقم بالفعل أى لقاء تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة فى يوم ٢٦ فبراير المشار اليه ، ولكن الاتصالات استمرت حتى نهاية ذلك الشهر وفشلت فى نهايته بسبب رفض اسرائيل النظر فى تنازلها عن الجزء الجنوبى من النقب لمصر التى كانت تطالب به من أجل أعادة مواصلاتها مع الدول العربية الأخرى .

التصريح الثلاثى .... ظروفه .... وردود فعله :

من الأرجح أن تكون الدول الغربية الكبرى قد نظرت بشئ من الحسد إلى المكاسب التى حققها الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط من جراء قيام إسرائيل .

وقد أفادت إسرائيل بالفعل من جلسات (١) مؤتمر لوزان الذى قامت لجنة التوفيق بعقده فى بيروت لدراسة فروع مشكله فلسطين وأفادت إسرائيل من ذلك لكى تصل إلى عضوية الأمم المتحدة ، ذلك أن إسرائيل قد أعلنت استعدادها لاحترام قرارات الأمم المتحدة فى هذا المؤتمر بالذات ، وبالفعل وقع مندوبوها فى يوم ١٢ مايو ١٩٤٩ على اتفاق ينص على قبول التقسيم وقبول وضع نظام دولى للقدس وقبول عودة اللاجئين العرب وحقهم فى التصرف فى إملاكهم وتعويض الذين لا يرغبون فى العودة ، ولقد وقع العرب فى نفس اليوم مع لجنة التوفيق على اتفاقية مماثلة وتشتمل نفس الشروط وإفادت إسرائيل من هذه الاتفاقية لكى تحصل على موافقة أكثرية الجمعية العامة للأمم المتحده عضوا فى المنظمة ورغم احتجاج العرب على ذلك .

وكان العرب يعارضون قبول إسرائيل عضوا فى الأمم المتحدة على أساس أنها لم تخدم قرارات الأمم المتحدة ــ فضلا عن عدم قيام إسرائيل بالتحقيق اللازم فى مقتل الوسيط الدولى برنادوت ، ولكن إسرائيل بادرت بإعطاء تعهدات للأمم المتحدة فى هذا الشأن ، وفى نفس اليوم الذى وقعت فيه على اتفاقية اوزان أصبحت إسرائيل عضوا فى الأمم المتحدة .

---

(١) وانظر بروتوكول اوزان ١٢ مايو ١٩٤٩ فى ، ملف وثائق فلسطين ــ مجموعة وثائق أوراق خاصة بالقضية الفلسطينية الجزء الأول ص ١٥٥ »

– Etan, Walter : The First Ten Years, London 1953 p. 78.

ولكن سرعان ماغير اليهود من موقفهم ، فبعد أن وقعوا على الاتفاقية اخذوا يطالبون بضم غزة ومنطقتها إليهم كشرط أساسى لقبول اللاجئين ، كما طالبوا بمنابع نهر الليطانى عند حدود لبنان ، وطالبوا بضرورة قصر المنطقة الدولية فى القدس على المدينة القديمة التى كانت فى إيدى العرب بالفعل ، حتى لايسمحوا للإدارة الدولية بالإشراف على بقية إحياء المدينة والتى كانت فى أيديهم ، وكان العرب قد تمسكوا بشروط التقسيم وكذلك بمسألة تدويل القدس ، فيما عدا الأردن ، ومرة جديدة ظهرت صعوبة التوفيق بين وجهات النظر العربية وإسرائيل فاقفلت لجنة التوفيق على نفسها الباب وظهر عجزها عن فرض حل معين على الجانبين . وانتهز اليهود الفرصة وصرحوا بأن موافقتهم على اتفاقية لوزان هى اتفاقية مبدأية للبدء فى المحادثات وللوصول إلى الصلح وأن الفشل فى الوصول إلى هذه النتائج يعفيهم مما تعهدوا به .

وفى ظل هذه الظروف بدأ فى نهاية شهر إبريل سنة ١٩٥٠ أن جميع الجهود التى بذلت من أجل إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية قد فشلت نهائيا ، وقد سبق أن رأينا أن المفاوضات السرية التى جرت بين إسرائيل من جهة والأردن ، ومصر — فيما يقال (١) — من جهة أخرى كانت قد انتهت إلى حيث لامخرج ، كذلك فقد أعلن ممثل مصر فى مؤتمر جنيف فى ١٤ من إبريل ١٩٥٠ باسم جميع الدول العربية ضرورة أن تقبل إسرائيل لما نص عليه قرار الأمم المتحدة الصادر فى ١١ من ديسمبر عام ١٩٤٨ بخصوص اللاجئين .

وجاء الرفض الإسرائيلى على ذلك قاطعا ، ومن المؤسف أن تعجز الأمم المتحدة فى فرض حل وقرار معين على إسرائيل رغم أن الوسائل لم تعوز الدول — الكبرى فى المنظمة الدولية لفرض شروطها وقراراتها على

---

(١) Aleum, op. cit, p. 364–365.

العرب (١) ، وفى نفس الوقت وضح أن الدول الكبرى تحتضن إسرائيل وتعمل على تزويدها بما يلزمها من أموال وأسلحة فى الوقت الذى تفرض فيه على العرب عدم التعرض لها مما أغرى إسرائيل بوضع الحراسة على أملاك العرب فى المناطق التى احتلوها من فلسطين ، وأعطوا لهذه الحراسة الحق فى تصفية هذه الأملاك وبيعها بعد أن قامت سلطات الأمن والعصابات المسلحة بطرد من بقى من العرب بعيدا عن أراضيه وإملاكه ، وبالرغم من ذلك فان كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية قد قامت بتأييد إسرائيل ، فقامت الأولى بالتعامل الاقتصادى مع إسرائيل وصفت مشكلات الانتداب فى صالحها ، كما قامت الثانية بتقديم القروض اللازمة لعمليات الأستغلال والتنمية الاقتصادية لإسرائيل ، وكان أولها قرضا بمبلغ ١٠٠ مليون دولار .

وفى ذكرى مرور عام على توقيع اتفاقيات الهدنة رأت ثلاث من الدول الكبرى وهى الولايات المتحدة ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا استحالة تسوية النزاع فأرادت أن تدعم أكثر وأكثر الكيان الإسرائيلى فأصدرت فى يوم ٢٥ من مايو عام ١٩٥٠ إعلانا عرف باسم « الإعلان الثلاثى » ومن العوامل التى دفعت بهذه الدول إلى إصدار التصريح الثلاثى (الإعلان الثلاثى) تردد الشكوى من كلا الجانبين : العرب والاسرائيليين بأن الطرف يتلقى الأسلحة من أصدقائه فى الغرب فاسرائيل تشكو من أن بريطانيا تسلم العراق والأردن والعرب يشكون من أن الولايات المتحدة تسلم إسرائيل. وخشيت هذه الدول أن يستفيد الاتحاد السوفيتى من هذا التسابق على التسلح ، فبادرت إلى إصدار التصريح .

---

(١) أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية، القاهرة دار المعارف ١٩٥٥ ص ٢٤٧-٢٤٩ .

ويعتبر هذا التصريح (١) بحق خطوة أخرى نحو تجميد المشكلة الفلسطينية بعد اتفاقيات الهدنة ، حيث يستنتج منه أن الدول الغربية الثلاث صارت تعتبر حدود الهدنة نهائية ، مع أنها تخالف قرار التقسيم ، كما وضع هذا التصريح حكماً ظالما بالعرب وهو ضرورة إقامة التوازن فى التسلح بين الدول العربية مجتمعة وبين إسرائيل منفردة وسيظل هذا المبدأ شائعا منذ ذلك الوقت بين الدول الغربية وحتى الوقت الحاضر ، فاذا تلقى العرب أسلحة من جهة ما ترى الولايات المتحدة أن من العدل تقديم نفس كمية الأسلحة إلى إسرائيل .

وجاء رد الفعل العربى على هذا البيان — التصريح الثلاثى — فى اجتماع (٢) الجامعة العربية من جديد وفى مناخ لا يسمح لها بالاصطدام بالدول الكبرى وقررت الدول العربية — فى تعليقها على هذا التصريح — أنها تحترم ميثاق الأمم المتحدة أما مسألة استكمال تسليحها فهو راجع إلى شعورها بمسئوليتها لحفظ الأمن الداخلى فى بلادها والدفاع الشرعى عن حياتها والقيام بواجب حفظ الأمن الدولى فى هذه المنطقة . واكدت الجامعة العربية أن السلاح الذى طلبته وتطلبه الدول الأعضاء فيها لا يستعمل إلا الاغراض الدفاعية ، رغم أن مسألة مستوى القوات المسلحة اللازم لكل دولة يرجع تقديره ويرتبط بعدد سكانها واتساع حدودها ، لقد طالبت الجامعة العربية بضرورة حل قضايا منطقة الشرق الأوسط على أساس الحق والعدالة والمبادرة إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين وبتعويضهم كأساس لضمان

---

(١) أنظر نص التصريح الثلاثى فى :

ملف وثائق فلسطين — مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية — الجزء الثانى ، مرجع سابق ص ١٠٧٧ »

(٢) انظر ، رد الدول العربية على البيان الثلاثى المشترك ، بيان مجلس جامعة الدول العربية فى شأن التصريح الثلاثى الأمريكى البريطانى الفرنسى فى المرجع السابق ص ص ١٠٨١ — ١٠٨٤ .

السلام والاستقرار . وأخيرا فان الجامعة العربية قد لفتت النظر إلى أن التصريح الثلاثى وطريقة تقديمه وما اشتمل عليه من شروط لايعنى تقسيم الشرق الأدنى إلى مناطق نفوذ أو الاعتداء على استقلالها وسيادتها .

وفى الواقع جاء رد الدول العربية والجامعة العربية على التصريح الثلاثى ردا « خجولا » حقا حيث جاء فيه أيضاً بخصوص اعتزام الدول الغربية الثلاثة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ سياستها المبنية فى هذا التصريح سواء فى نطاق الأمم المتحدة أو خارجها . ومازال يثير حق القلق والشكوك لدى جانب كبير من الرأى العام العربى (وليس الحكومات) « وذلك رغم تأكيدات الدول الثلاثة بأنه ليس فيه أى معانى الإشراف أو الوصاية أو تقسيم الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ (١) .

وواضح من هذا الرأى أن مجلس الجامعة العربية وأن لم يستطع أن يبتلع ماجاء فى التصريح أمام الرأى العام العربى إلا أنه بحكم بنيته لم يجاهر برد قوى عليه .

أما بخصوص موقف الإتحاد السوفيتى من هذا البيان الثلاثى فهناك رأى يقول « بأن الدول الكبرى لو كانت قد اشتركت جميعها فى هذا الإعلان لكان إعلانا حكيما حقـــا ولكن الأمر لم يكن كذلك حيث أن الإتحاد السوفيتى لم يكن بين الموقعين عليه وعلى ذلك فقد هذا العمل من جانب الدول الثلاث ــ طبقا لهذا الرأى ــ كل أثر وكل فعالية » (٢)

ويرتبط موقف الاتحاد السوفيتى من التصريح الثلاثى بموقفه عموما من الدولة الصهونية خصوصا فى عام ١٩٥٠ الأمر الذى يجعلنا نشير إلى ذلك فى تفصيل غير قليل :

---

(١) المرجع السابق .

(٢) Aleum, op. cit. p. 364.

موقف الاتحاد السوفيتى من التصريح الثلاثى واسرائيل عام ١٩٥٠ :

ظلت إسرائيل تتمتع بتأييد الدولتين الكبيرتين : الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى لمدة ثلاث سنوات بعد إعلان قيامها ، وبانقضاء هذه المدة ستتحول إسرائيل إلى توثيق صلاتها بالغرب لظروف داخلية وخارجية.

ويرجع سكوت العرب عن تأييد الاتحاد السوفيتى لإسرائيل إلى أن سياسة السوفيت كانت تتذبذب بين شد وجذب مع العرب والإسرائيليين كما أن سياستها المعلنة لمكافحة الاستعمار حولت الأنظار عنها وجعلت العرب يركزون الإنتقاد على الدول الغربية (١) .

ومن جهة أخرى فقد اتضح الابتعاد السوفيتى عن الدولة الجديدة فى جانب منه عن عدم اشتراكه فى التوقيع على التصريح الثلاثى حيث شهد عام ١٩٥٠ تغيير إلى الأسوأ تجاه إسرائيل من جانب السوفيت ، وبالرغم من السمة الرئيسية للسوفيت كانت الحياة بين إسرائل والدول العربية إلا أن عام ١٩٥٠ بالذات كان انحسارا للوهم السوفيتى تجاه الدولة الصهيونية ، فلم يبدأ عام ١٩٥٠ بداية حسنة بالنسبة للعلاقات الإسرائيلية السوفيتية فقد كانت هناك سلسلة من نقاط الخلاف الصغيرة لم تساعد بتجميعها على تنقية الجو بين البلدين .

وفى فبراير لاحظ تساروابكين المندوب السوفيتى فى الأمم المتحدة فى حديث لعضو فى الوفد الإسرائيلى فى نيويورك أن حكومة إسرائيل قد أظهرت أخيرا علامات الاتجاه نحو الغرب ، وفى نفس الشهر قدم رئيس

---

(١) Leshem, Moshe : Soviet Propaganda to the Middle East, in ; Middle Eastern Affairs, Vol. IV. no. 1 Jannary, 1953. p. 6.

طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥-١٩٥٢) القاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٢، ص ص ٣٣٣-٣٤٣.

البعثة الدبلوماسية السوفيتية فى تل أبيب مذكرة احتجاج ضد « إزعاج المواطنين السوفيت » الذين يعيشون فى إسرائيل عن طريق الإتصالات التليفونية وكذلك ضد التدخل فى أمور تتعلق بملكية سوفيتية فى القدس وهى الملكيات التى كانت للجمعية الدينية الروسية التى أنشئت فى القرن التاسع عشر تحت اسم الجمعية الروسية(١) غير أن المؤشرات حتى ذلك الوقت لم تكن قد أصبحت كلها سلبية — ففى ٢٣ إبريل أكد نائب وزير الخارجية لافرنتييت للقائم بالأعمال الإسرائيلى نامير أن الإتحاد السوفيتى لم ينحرف أبداً عن طريق علاقات الصداقة مع إسرائيل التى ظلت طوال الوقت دون أى تغيير ، وكانت هذه الواقعة مع وقائع أخرى مشابهة ما زالت ترجح الكفة نحو استمرار علاقات الصداقة حتى حدثت التطورات الحاسمة فى هذا العام بموقف إسرائيل من التصريح الثلاثى فى مايو ثم موقفها من الأزمة الكورية فى يوليو وما أدى إليه ذلك كله من تدهور العلاقات السوفيتية الإسرائيلية (٢) .

ويقال أن موسى شاريت قد فكر فى زيارة موسكو على أمل تلطيف العلاقات بالرغم من أن ذلك لم يكن ليفرز من شعبية إسرائيل فى واشنطن ، لكن فشنسكى صده وأخبره فى ٣ نوفمبر أنه لم تكن هناك ثمة حاجة إلى هذه الزيارة نظراً لأنه يمكنهم أن يتقابلوا دائما أثناء دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك :

وشهدت العلاقات السوفيتية الإسرائيلية فى النصف الثانى من هذه السنة أيضا سقوطا إلى مستوى أدنى يعتقد على نحو مبرر أنه مستوى الحياد السلبى لبعيد عن أى من الصداقة والعداء (٣) .

---

(١) Dallin, David ; Soviet Policy in the Middle East In Middle Eastern Affairs Vol. VI. no. 11 November 1955 p. 432.

(٢) Dagan, op. cit. pp. 47–45.

(٣) راجع : دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

وعموما فقد كان عام ١٩٥٠ هو عام انحسار الوهم السوفيتى عن إسرائيل وهو ما ينعكس هنا عن عدم توقيع الاتحاد السوفيتى على التصريح الثلاثى وذلك ضمن عوامل أخرى ، وذلك فى الوقت الذى لم يكن فيه العالم العربى قد شهد بعد تطورات إيجابية يعتمد بها من وجهة نظر الإتحاد السوفيتى ولذا كان طبيعيا ألا نجد لدى السوفيت اهتماما من أى نوع بالإتهامات المتبادلة بين مصر وإسرائيل بانتهاك اتفاقيات الهدنة والتى بحثها مجلس الأمن فى أكتوبر — نوفمبر من هذا العام ، إذ لم يشترك الإتحاد السوفيتى فى المناقشات بأكملها كما امتنع عن التصويت على مشروع القرار الفرنسى البريطانى الأمريكى الذى تبناه المجلس فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ الأمر الذى يفسره البعض بأنه انعكاس لعدم الإنتماء السوفيتى إلى صراع الشرق الأوسط(١) .

---

(١) نفس المرجع السابق.

الفصل الثانى

قصور نظام الهدنه وحوادث الحدود

هيئة الرقابة على الهدنة التابعة للأمم المتحدة :

لعل من المفيد قبل سردو قائع حوادث الحدو دالتى تزايدت عدداً و جسامة إلى أن انتهت إلى المعارك الصريحة مرة أخرى فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ — لعل من المفيد قبل سرد هذه الوقائع أن نبادر إلى ذكر شىء عن الهيئة التى حاولت منذ عام ١٩٤٧ المحافظة على السلم والهدوء على طول الحدود التى رسمتها اتفاقيات الهدنة والتى اختلف حظها من التوفيق فى ذلك وفقاً للظروف وإن لم يخل عملها من محاولة إيقاف هذه الحوادث فى أوقات متعددة وهى : لجنة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة أو هيئة الرقابة على الهدنة التابعة للأمم المتحدة .

فى يوم ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٨ أصدر مجلس الأمن قراره يأمر فيه باقامة هدنة مدتها أربعة أسابيع ، وأورد فى الفقرة السابعة من هذا القرار تعليماته إلى وسيط الأمم المتحدة أن يتولى بالاتفاق مع لجنة الهدنة تطبيق الأحكام الخاصة بتلك الهدنة كما قرر المجلس أن يضع تحت تصرف الوسيط وتحت تصرف لجنة الهدنة العدد الكافى من المراقبين العسكريين .

وظهر اختلاف فى الرأى بين الاتحاد السوفيتى وزملائه من أعضاء مجلس الأمن حيث طلب الاتحاد السوفيتى أن يتم اختيار المراقبين عن طريق مجلس الأمن ، الأمر الذى يصبح من الممكن بعد تعيين ضابط من السوفييت ضمن المراقبين الدوليين وعارض باقى أعضاء مجلس الأمن فى ذلك ، وألحوا على أن يكون اختيار المراقبين من اختصاص الوسيط الدولى ، وكانت الغلبة فى النهاية

لرأى هذا الفريق الأخير من أعضاء مجلس الأمن ، واستعان الوسيط الدولى بثلاثة وستين من الضباط ينتمون الى الدول الثلاث الممثلة فى لجنة الهدنة ، وهى بلجيكا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ، وقد اتسع عدد المراقبين فيما بعد حتى وصل إلى ثلاثمائة ، كما اتسع نطاق الدول التابعين لها ، وحينما صدر القرار المؤرخ فى ١١ أغسطس سنة ١٩٤٩ بالغاء مهمة الوسيط الدولى نص فيه على أن يتبع كبير المراقبين الدوليين مجلس الأمن مباشرة ، وعليه أن يقدم للمجلس المذكور تقريراً عن كافة حوادث خرق الهدنة .

وتكونت اللجان المختلفة الأربع التى نص على إنشائها فى اتفاقيات الهدنة من ممثلين للطرفين بأعداد متساوية من كل جانب على أن تجتمع تحت رئاسة قائد عظيم من هيئة مراقبى الأمم المتحدة يعينه رئيس هيئة أركان الحرب ، وخصصت مهمتها بوجوب تلقى جميع الشكاوى التى يتقدم بها أى من الطرفين والفصل فيها وفى المنازعات التى تثار وفقاً لقواعد الإنصاف .

وفى نطاق العمل لم تتمكن هذه اللجان إلا قليلا من القيام بالمهمة التى وكلت إليها ، نظراً لأن كلا من الطرفين المتنازعين ، كان يسعى أساساً إلى استصدار الأحكام ضد الطرف الآخر على خير وجه يسمح باستغلال هذه الأحكام فى شئون دعايته فضلا عن هذا كثيراً ما حدث أن تعطل العمل أمام هذه اللجان بسبب امتناع أحد الخصمين عن حضور جلسات اللجنة .

وقد ظل مراقبو الأمم المتحدة كما ظلت لجان الهدنة لمدة سبع سنوات الحائل الوحيد الفاصل بين الشعوب العربية وإسرائيل وكان حائلا هشاً ضعيفاً وكان دور المراقبين هو الدور الرئيسى فى ذلك كله ، فكلما وقع حادث بين الطرفين أسرع كبيرهم يحاول فرض وقف إطلاق النار قبل أن تتحرك الأجهزة الثقيلة التى تتكون منها لجان الهدنة وكثيراً ما نجح فى ذلك وعندما كان يصل أمر النزاع أمام لجان الهدنة كان المراقبون يحاولون تحديد المسئوليات .

والحقيقة أن الدول العربية كانت ضعيفة عسكرياً لشن حرب على اسرائيل

وشديدة الضعف سياسياً لإحلال السلام، واستطاعت هيئة الرقابة أن تراقب حوادث الحدود وتوقفها عند حدوثها ، لكن هذه الحوادث كانت مزمنة ، وتعذر على هيئة الرقابة الدولية أن تحول دون وقوعها .

وبقى هناك الألم المبرح الذى عاناه العرب نتيجة زرع إسرائيل فى وسطهم وقد تعذر تهدئة السخط العربى بواسطة الهدنة ، وهو ما انعكس على الجبهات الثلاث حيث تكررت حوادث الحدود .

حوادث الحدود فى القطاع الأردنى :

فى المرحلة الأولى كانت الحوادث مواجهة بين إسرائيل والأردن ، وكان سببها اللاجئون المقيمون على مقربة من خط الهدنة أثناء عودتهم إلى قراهم ، إما لاسترداد شىء من أموالهم التى تركوها هناك وأما للتعبير عن السخط من القادمين الجدد الذين استولوا على تلك الأموال . وكانت هذه الأعمال من قبل اللاجئين عملا طبيعياً بل ويمكن القول أيضاً أنها عمل مشروع سليم ، إذ من الطبيعى بالنسبة للفلاح العربى الذى يرى أمامه قوماً من الدخلاء الأجانب ، يزرعون ويفلحون الأرض التى كانت ملكه وملك آبائه والتى طرد منها ، إلا بفعل الحرب أو بفعل التهديدات السياسية كان من الطبيعى أن يجبر هذا الفلاح بالحقد العميق ضد أولئك الذين هم فى نظره عن حق من الغاصبين .

على أن إسرائيل لم تبذل أى جهد للتخفيف من شدة الظلم خصوصاً وأن القرية الصغيرة كانت منقسمة إلى قسمين تفصلهما الأسلاك الشائكة وينظر العرب أحياناً من وراء هذه الأسلاك ليشاهدوا أمام أعينهم ممتلكاتهم المسلوبة ، وكان وضع بعض المدن الأردنية شاذاً مثل قلقيلية التى كانت مزدهرة فى الماضى ثم أخذ شأنها يضمحل بسبب انفصالها عن المزارع المحيطة بها .

وإذا كان اللاجئون يشيعون الاضطراب والفوضى من آن لآخر ، بسبب الألم المبرح الذى يعانون منه ، فان إسرائيل كانت تضرب بقسوة على أيديهم ، وكانت ردود الفعل الإسرائيلية عنيفة حقاً ، خصوصاً وأن إسرائيل كانت

تعمل من مركز القوة ، وكان من الحتمى أن تصيب أعمال الانتقام الإسرائيلية هذه فريقاً من الأبرياء كما حدث فى قرية الشرافات يوم ٧ من فبراير عام ١٩٥١ وفى بيت جالا يوم ٦ من يناير ١٩٥٢ .

غير أنه فى عام ١٩٥٢ اقتربت اسرائيل والأردن من تهدئة الحالة على الحدود بقبول لجان مراقبة محلية مشتركة مهمتها مراقبة مناطق الحدود بين البلدين .

وكان من رأى الإسرائيليين أن يتولى الجيش وليس الإدارة العادية الإشراف على تلك اللجان حتى تتضح المسئولية ، وقد تشكلت بالفعل بعض لجان الحدود فى المنطقة المتاخمة لإيلات ، ولكن توقف العمل من أجل اقامة لجان جديدة بعد اغارة اليهود على قبية .

وأخطر ما ورد فى هذا الاتفاق هو انشاء محاكم لمعاقبة المتسللين . لم تستطع حكومة الأردن وضع هذا القيد موضع التنفيذ ، حيث كانت تخشى من ثورة العناصر الوطنية . كذلك وضع نظام خاص للتعاون فى منطقة القدس ، فرفعت اسرائيل العراقيل التى كانت تضعها لتزويد المدينة القديمة بالكهرباء ، وخفت الاردن القيود المفروضة على مرور القوافل الى جبل سكوبس ، واستطاعت إسرائيل أن تمد خطاً حديدياً إلى القدس الجديدة(١) .

وقد عرضت إسرائيل على الاردن القيام بتوسيع الطريق الذى يصلها بالقدس وأن ترد بدلا من ذلك بعض المزارع للعرب فرفضت الاردن إجراء أى تعديل إقليمى ، على أن الاردن قد اعتبر العمليات التى كانت تنطلق من أراضيها ضد اسرائيل موجهة إلى بلادهم أكثر منها إلى إسرائيل ذاتها(٢) ، وأحست السلطات الاردنية بالقلق يساورها من جراء هذه الغارات ويقال أن هؤلاء الفدائيين هم

---

(١) Hutchison, eh. : Violent Truce 1951-1955 New York 1966 p. 55-57.

(٢) Aleum, op. cit. p. 367-368.

من رجال المفتي الحاج أمين الحسيني وهم من بين اللاجئين إلى دمشق ، وأن المملكة العربية السعودية هي التي تتولى تمويلهم وتسليحهم ، وقال الأردنيون أن المفتي مازال يلاحق بكراهيته خلفاء الملك عبدالله وأن الخلاف بين الاسرتين الهاشمية والسعودية لم يكن قد خمد حتى ذلك الحين . وقد تلقت الاردن بالفعل ردود الفعل الناتجة عن تلك العمليات التسللية إذ على أثر مقتل ثلاثة من الإسرائيليين داخل إسرائيل دبر الجيش الإسرائيلي غارة قبية ، وقامت تشكيلات إسرائيلية عسكرية ما بين ١٤ و ١٥ من أكتوبر ١٩٥٣ بمهاجمة قرية قبية وبعد أن أرغم الإسرائيليون سكان القرية تحت وابل من الرصاص على الالتجاء إلى بيوتهم عمدوا إلى نسف تلك البيوت بمن فيها فقضوا بذلك على ثلاثة وخمسين من بين رجال ونساء وأطفال ، وحققت إسرائيل هدفا آخر(١) جوهرياً بهذه الغارة وهو تقوية الروح المعنوية للإسرائيليين الذين كانوا يعانون من سوء تدهور الاحوال الاقتصادية عام ١٩٥٣ بسبب شدة الحصار العربي عليها آنئذ .

وبالرغم من أدانة مجلس الأمن لهذا الحادث البشع واستنكار الرأي العام العالمي له — فإن إسرائيل أدعت — كعادتها دائماً — أن الحكومة الأردنية تتواطأ مع الفدائين وطلبت أن يبعد اللاجئون من منطقة الحدود إلى مسافة عشرين ميلا ، والواقع أن الحديث لايتردد بنفس الدرجة حول الإرهابيين الإسرائليين الذين كثيراً ما يعبرون الحدود من المستعمرات المجاورة لكي يمارسوا هوايتهم التي دربوا عليها منذ أعمال المقاومة في أوربا وهي تدبير الاغتيالات والأعمال الإرهابية .

وقد سبق أن أوضحنا أستحالة تواطؤ السلطات الأردنية مع الفدائيين الفلسطنيين وأن أعمال الفدائيين لم تكن بتدبير الحكومة الأردنية ، ونضيف إلى ما ذكرناه تأكيد من أن جلوب القائد العام للجيش الأردني كان يعمل

---

(١) Beger, Earl. The Government and the Sword, op. cit, p. 90.

طوال توليه لهذا المنصب على منع أعمال التسلل أو الفدائيين لاعتقاده (١) بعدم جدواها .

وحدث أيضاً أن جاءت الشبهة حول المتطرفين الإسرائيليين فى تدبير الغارات على الحدود الإسرائيلية لكى يحرجوا الحكومات الأقل نزوعا إلى العدوان ، ومن الراجح أن يكون ديان وبن جوريون ولافون قد اشتركوا فى تدبير حادث السطو على سيارة أوتوبيس وذلك باقامة كمين نصب فى ممر العقرب على الطريق بين بئر سمح وايلات ، وقتل فى هذا الكمين أحدعشر إسرائيليا وجرح منهم أثنان ولم يتوصل التحقيق الذى قام بهجلوب ذاته إلى معرفة موطن البدو الذين قاموا به ، وكان الراجح أن هذا الحادث قصد به احراج حكومة شاريت واثبات فشل سياسة الملاينة التى اتبعها تجاه العرب وقد جر هذا الحادث شاريت إلى المشاركة فى الغارات الثأرية وتدبير غارة نحالين فى ٢٩ مارس ١٩٥٤ وقد حصلت الغارة على هذه القرية ليلا مما الحق الخسائر بكلا الجانبين .

وتدل مناقشات مجلس الأمن التى دارت حول موضوع غارة قرية النحالين على أن إسرائيل أرادت أن تتخذ من إثارة القلاقل على الحدود دليلا على فشل نظام الهدنة وضرورة تغييره إلى صلح أو على الأقل تسوية ما تعطى للعلاقات بينها وبين الدولة العربية صورة جديدة ، لذلك فضل الأردن سحب شكواه فى نهاية الأمر .

ومهما قيل عن الهدوء النسبى الذى ساد الحدود الأردنية الإسرائيلية فهناك قائمة طويلة من الانتهاكات ينقلها لنا كبير المراقبين الدوليين (٢) فى القطاع الأردنى وذلك فى المدة الواقعة من يونيو ١٩٤٩ حتى أكتوبر ١٩٥٤ . فقد بلغت الشكاوى الإسرائيلية ١٦١٢ والاردنية ١٣٤٨ ، ولم تحقق هيئة

---

(١) Glubb., A. Soldier with the Arabs, op. cit, 205.

(٢) Hutchlon, op. cit, p. 90.

الرقابة الدولية إلا فى الحالات الجدية وأصدرت فى خلال هذه المدة خمسة وتسعين حكما بالمخالفة على إسرائيل، وستين على الأردن ، وتتعلق الشكاوى أحيانا بعبور القوات النظامية للحدود ، وقد تفوقت إسرائيل فى هذا النوع من المخالفات (٣٥٧ شكوى من إسرائيل مقابل ١٤٦ من الأردن وعلى العكس ترددت الشكوى من عبور الفدائيين الذين لا يتبعون القوات النظامية فبلغت ٧٤٧ شكوى ضد الأردن مقابل ١٨ ضد إسرائيل .

أما حالات طرد السكان المدنيين ، فلم تصدر فيه أية شكوى ضد الأردن وعلى العكس وجهت ٦١ شكوى بهذا الخصوص ضد إسرائيل كذلك كانت حوادث الإختراق الجوى أكثر ترددا من جانب إسرائيل (٣٤٠ حالة مقابل ٤٨ عن الأردن) .

ونخلص من ذلك إلى أن الأردن كان عاجزاً عن الدفاع عن نفسه أمام العدو الإسرائيلى منفرداً ، ولذلك لم يكن بوسع حكومة عمان أن ترد الغارات واسعة النطاق بمثلها ، وخاصة غاره قليقلة التى تعتبر من أفظع الغارات الإسرائيلية وحشية على الأردن والتى تمت فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ولم نجد أداة الأمم المتحدة فى الحد من غرور الفرخ الإسرائيلى الغريب المزهو بنفسه المجرد من التميز على حد قول المؤرخ « جورج كيرك » (١) .

ومن المؤسف أيضاً أن نصف وثائق الأمم المتحدة لهذه الغارات بأنها ثأرية وانتقامية ، وكأن العرب هم البادئون بالعدوان ، وأن إسرائيل إنما تلجأ إلى هذه الغارات للثأر من البادىء بها .

جوادث الحدود فى القطاع السورى :

ثبت قصور الهدنة فى القطاع السورى لسببين رئيسين :

(١) Kirk, George : op. cit, pp. 433–437.

الأول : هو عـدم إلتزام إسرائيل بالتنظيم الخاص بالمنطقة منزوعة السلاح .

الثاني . هو متاخمة منطقة الحدود للبحيرات وحوض نهر الأردن وغربه ، وما يترتب على ذلك من ضرورة أتفاق لتنظيم توزيع المياه

وقد سبق أن أشرنا إلى أن سوريا قبلت تحت الضغط الانسحاب من الأراضى التى كانت تحتلها من فلسطين شريطة أن تكون منزوعة السلاح وتشمل هذه الأراضى قطاعين غير متصلين .

الأول : يمتد من منتصف بحيرة الحولة بمحاذاة نهر الأردن حتى التقائه ببحيرة طبرية ويتراوح عرض المنطقة بين كيلو متر وأربعة كيلو مترات .

والثانى : يمتد من جنوب شرق طبرية إلى مسافة أربعة كيلو مترات إلى خوسة عند نقطة التقاء الحدود بين سوريا والأردن .

وحسب المادة الخامسة من الهدنة السورية الإسرائيلية تستوجب أعادة الحياة المدنية فى المنطقة إلى حالتها الطبيعية ،وقد فمهم المراقبون الدوليون أن هذه المادة تعنى أشرافهم على تطبيقها . واقترحوا أن تخصص شرطة يهودية لحماية السكان اليهود ، وأخرى عربية لحماية السكان العرب ، ثم تبين أن إسرائيل تسلح رجال الشرطة بصورة تتجاوز مهمة الأمن الداخلى فضلا عن أنها استخدمت هذه القوات لطرد السكان العرب من المنطقة حينما شرعت إسرائيل فى تجفيف بحيرة الحرلة عام ١٩٥١ . وكان المقصود من ذلك إقامة مزيد من المستعمرات فى هذة المنطقة ، وعرضت إسرائيل شراء ما بقى للعرب من أراضى فى هذا القطاع ، فرفضت سوريا السماح بالبيع ووقعت الاشتباكات فأصدر مجلس الأمن قراراً بالسماح بتجفيف بعض أجزاء البحيرة مع عدم الإخلال بملكية السكان العرب .

وقد شجع هذا القرار إسرائيل على المضى فى العدوان فوضعت العالم أمام

الأمر الواقع ، وأخرجت السكان العرب وأعلنت سيادتها على المنطقة منزوعة السلاح مخالفة بذلك روح إتفاق الهدنة ونصها .

وقد فكرت حكومة الشيشكلى آنذاك فى الاستعانة بالجيش العراقى لإيقاف الاعتداءات الإسرائيلية ، إلا أن تطلع الهاشميين إلى إحياء مشروع الهلال الخصيب جعل سوريا تتوجس خيفة من بقاء القوات العراقية فى أراضيها ، كما أن اشتباكاً على نطاق واسع قد يؤدى إلى جلب المزيد من القوات العراقية التى فضلت قبول الأمر الواقع وعادات القوات العراقية بعد أربعة أشهر .

ومن جهة أخرى أثارت إسرائيل مشكلات حول وضع بحيرة طبرية فادعت السيادة عليها ، لأنها كانت تدخل ضمن فلسطين فى عهد الانتداب البريطانى (١) ولكن سوريا تحتل الساحل من ناحية الشرق ، ومن حقها تأمين هذا الساحل وممارسة حق الصيد فى البحيرة ، وأرادت إسرائيل أن تتخذ من مسألة الصيد حجة لبدء مفاوضات تستهدف تنظيمه ، فرفضت سوريا ، وانتهى الأمر بتحديد مسافة تجاه الساحل السورى تمتد ٢٥٠ مترا داخل البحيرة تعتبر مياها سورية ، وتستطيع القوارب السورية أن تمارس فيها حق الصيد . ولكن من السهل تصور مايترتب على مثل هذا التقسيم من مشكلات ، فليس بوسع الصيادين آن يلتزموا بخط وهمى ، كما أنه من الطبيعى أن يشك كل فريق فى طبيعة وأهداف القوارب التى تنزل إلى البحيرة لذلك كانت بحيرة طبرية من أشد مناطق الهدنة توتراً .

وقد شهدت الفترة بين عامى ١٩٥٣ — ١٩٥٤ تصاعدا مستمراً للاشتباكات المسلحة على الحدود وزاد من هذا التوتر أعمال تحويل مياه الأردن التى أخذت اسرائيل تنفذها سرا أحياناً وعلانية أحياناً أخرى .

---

(١) Berger, op. cit. pp. 105–117.

ومتحدية قرارات مجلس الأمن الذى طلب إيقاف أعمال التحويل إلى أن يتم اتفاق بين الأطراف المعنية .

على أنه فى الوقت الذى أيدت فيه الدول الغربية إيقاف أعمال التحويل رأت أن ترضى إسرائيل من جانب آخر بالموافقة على تجفيف بقية بحيرة الحولة بعد أن صار أمراً واقعاً . وعندما طرح هذا الموضوع من جديد على مجلس الأمن فى يناير سنة ١٩٥٤ ، استخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو لإيقاف القرار ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يستخدم فيها الاتحاد السوفيتى الاعتراض لصالح العرب فى نزاعهم مع إسرائيل .

وفى ذلك الحين كانت الولايات المتحدة متحمسة لمشروع مشترك لتوزيع مياه الأردن ، ولذلك لم تشجع اتخاذ قرارات حاسمة لمجلس الأمن ، على أمل أن يساعد ذلك على نجاح جونستون فى مهمته .

ومن جهة أخرى نسب إلى شوكت شقير ، القائد العام السورى فى ذلك الوقت الرأى القائل بعدم جدوى الاشتباكات الجزئية ، ويدخل فى هذا الباب نشاط الفدائيين (١) ، لذلك نلحظ هدوءا نسبياً فى عام ١٩٥٤ .

غير أنه فى يوم ٨ من ديسمبر سنة ١٩٥٤ ألقت سوريا القبض داخل أراضيها على خمسة من الجنود الإسرائيليين أثناء انشغالهم فى عمل تحويلات سرية فى الخطوط التلغرافية لأغراض التجسس ، وبذل الاسرائيليون كل ما فى استطاعتهم لاسترداد هؤلاء إلى مضاعفة الحقد (٢) على سوريا .

ولم تلبث أحوال سوريا الداخلية والخارجية أن تبدلت فى عام ١٩٥٥ حين حدث تقارب مطرد فى العلاقات السورية المصرية انتهى بعقد معاهدة دفاع

---

(١) Burns. Lt. general e. l. m. Between Arabs and Israel. New York 1962. p. 110–115.

(٢) Aleum, op. cit. p. 374.

مشترك كما بدأ استيراد الأسلحة من الكتلة الشرقية ، وانقلبت قيادة الجيش إلى ضباط من الشبان الوطنيين المتحمسين فلم يستطيعوا أن يقفوا جامدين أمام استمرار إسرائيل فى تحويل مياه الأردن ، ولما كان مجلس الأمن قد أمر بإيقاف أعمال التحويل حينما تتفق الأطراف المعنية ، فلم يكن بوسع الجيش السورى سوى أن يطلق النار كلما اكتشف أن المهندسين الاسرائيليين يخالفون هذا القرار .

وفى بعض الأحيان كان الاسرائيليون يدعون أنهم يقومون فقط بأعمال الحفر لإنشاء مساقط المياه الخاصة بتوليد الكهرباء من بحيرة طبرية ، غير أنه ثبت أنهم كانوا يقومون ببناء خزانات لمد أنابيب المياه إلى صحراء النقب تنفيذا لوعود بن جوريون بأن ينقل المياه إلى الأراضى الجرداء فى أقرب وقت ، وتلك هى الظروف التى أحاطت بأكبر غارة إسرائيلية شنت على سوريا فى الليلة ما بين ١١ و١٢ ديسمبر ١٩٥٥ حيث هاجمت القوات الاسرائيلية المراكز الأمامية السورية المقامة على الشاطئ الشمالى لبحيرة طبرية وفقدت سوريا فى هذا الهجوم ٥٦ قتيلا منهم ٤١ من العسكريين ، ٧ من الشرطة ، ٨ من المدنيين إلى جانب ٢٩ أسيرا (١) .

ومن الغريب أن هذه الغارة الإسرائيلية البشعة قد وقعت بينما كان بيرنز كبير المراقبين الدوليين يقيم فى إسرائيل للتباحث فى شأن الاعتداء على الحدود المصرية قبل ذلك بشهر واحد ، مما جعل بيرنز يعتقد (٢) أن من بين أهداف هذه الغارة اختبار معاهدة الدفاع المشترك بين مصر وسوريا .

وعلى أى حال فقد أدت هذه الغارة الإسرائيلية البشعة إلى تفكير كثير من الأعضاء بمجلس الأمن فى ضرورة تغيير نظام الهدنة . وجاء همرشلد فى مهمة خاصة إلى الشرق الأوسط لبحث هذا الموضوع فضلا عن أن مجلس الأمن قد أصدر حكما قاسياً على الإسرائيليين بسبب هذا الهجوم الغادر .

---

(١) Ibid.

(٢) Burns, op. cit. p. 120.

مصر وإسرائيل بعد اتفاقيات الهدنة :

اتخذت مصر جميع الإجراءات التى تكفل بقاء مشكلة فلسطين مطروحة سياسياً ودوليا بالرغم من أن الهدنة الدائمة قد جمدت الجبهه المصرية من الناحية العسكرية غير أن مصر أرادت تعويض هذا التجمد بتأكيد حالة الحرب مع إسرائيل فصدر القانون العسكرى رقم (٥) لسنة ١٩٤٨ الذى وضع نظام التفتيش على السفن بالموانئ المصرية ، ثم تبعه القانون رقم ١٣ الذى يطبق قواعد القانون الدولى العام المتعلقة بالحرب والذى يجعل من حق الدولة المحاربة مصادرة البضائع المرسله إلى العدو والتى يسير عليها بعد التفتيش ، ونتج عن هذا إقامة محكمة للغنائم البحرية فى الاسكندرية ثم أخرى للغنائم التى يعثر عليها فى الطائرات ، كما صدر قانون ثالث يحظر التعامل مع الأشخاص أو الهيئات التى لها نشاط اقتصادى مع إسرائيل (١) ومع مرور الزمن اتسع نطاق المقاطعة فشملت الشركات التى تتعاون مع إسرائيل وأدرجت هذه الشركات فى قوائم سوداء ، وطبق هذا النظام فى جميع الدول العربية وقد انعكس هذا على الاقتصاد الإسرائيلى ذاته فبدلا من تصدير المصنوعات والسلع إلى الدوله العربية المجاورة ،سعت إسرائيل لى فتح أسواق جديدة لها فى الشرق الأقصى وأفريقيا ومن ناحية أخرى ضطرت إسرائيل إلى تكوين جهد مضاعف للإنتاج الزراعى .

وبعد عقد الهدنة بوقت قصير ، شرعت إسرائيل فى تقديم الاحتجاجات على الحصار البحرى ، واتجهت أولا إلى لجنة الهدنة ، فاعترضت مصر بأن هذا الموضوع لايدخل فى اختصاص اللجنة ، إذ أن الحصار مسألة سياسية تمارسها السلطات المدنية ، أما لجنة الهدنة فتختص بالشئون العسكرية فقط .

---

(١) دكتور بطرس غالى ، الحرب بين مصر واسرائيل فى : مجلة السياسة الدولية — عدد اكتوبر ١٩٦٧ .

غير أن رئيس لجنة الهدنة عاد فأيد إسرائيل مدعيا بأن الحصار البحرى يخالف روح نظام الهدنة . وفى هذه الأثناء أخذت مصر تضيف إلى قائمة الممنوعات الاستراتيجية سلعا جديدة ؛ وقد تجنب أصحاب السفن مخالفة القوانين المصرية فى أغلب الأحيان ،وبالرغم من ذلك فان إحدى الدراسات الإسرائيلية تذكر أنها تمكنت خلال السنوات الأولى من تهريب نحـــو ١٠ ٪ من البضائع الواردة إليها على سفن مرت بقناة السويس (١) ، ولكن بعد أن شددت الرقابة عام ١٩٥٠ كاد التهريب يختفى .

وقد احتجت إسرائيل لدى مجلس الأمن(٢) على الإجراءات المصرية سواء فيما يتعلق بالتفتيش ومصادرة المواد الاستراتيجية أو فيما يتعلق بحق إسرائيل فى المرور بقناة السويس . وعندما طرح الموضوع للمناقشة لم تتردد الدول الغربية فى تأييد إسرائيل .

واستندت إسرائيل أمام مجلس الأمن على الحجج التالية :

١ ــ أن الهدنة الدائمة هى حالة خاصة جدت على القانون الدولى ولا يمكن اعتبارها مجرد اتفاق لوقف إطلاق النار لأن الأجهزة التابعة للأمم المتحدة هى التى تشرف على تنفيذها .

٢ ــ أن الهدنة قد استطالت بحيث يصعب تشبيهها بمجرد اتفاق عسكرى لوقف إطلاق النار .

٣ ــ احتجت إسرائيل بمعاهدة عام ١٨٨٨ التى تكفل حرية الملاحة فى قناة السويس ، حتى بين الدول المتحاربة ، ولم تأخذ إسرائيل سوى

(١) Berger, op. cit. p. 159.

(٢) الدكتور/ حامد سلطان ، المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين ، مرجع سابق ص ٤٢ ، الدكتور محمد حافظ غانم . المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولى ، مرجع سابق ص ص ٢١-٣٢ .

جانب واحد من تلك المعاهدة متجاهلة المادة العاشرة التى تعطى لمصر حق الدفاع عن نفسها فى القناة ، وإذن فان محور القضية يدور حول ما إذا كانت الهدنة الدائمة توازى حالة انهاء الحرب أم لا .

وقد أصدر مجلس الأمن – بعد أن حاول إعادة الموضوع إلى الطرفين لتسويته وديا – وبعد إلحاح من إسرائيل – أصدر قرارا فى أول سبتمبر ١٩٥١ يدعو مصر إلى رفع إجراءات الحصار(١) ذاكرا فى حيثيات القرار أن منع مرور السفن يعتبر عملا عدوانيا منافيا لإتفاق الهدنة كما يمس حرية التجارة بالنسبة للدول التى لم تشترك فى حرب فلسطين ، وإذن فقد أخذ المجلس بالنظرية القائلة بأن الهدنة تساوى إلغاء حالة الحرب (٢) .

إلا أن مصر رأت أن هذا موضوعا قانونيا ، ومن ثم فان محكمة العدل الدولية هى الهيئة المختصة بالبت فيه ، وليس مجلس الأمن الخاضع لمؤثرات سياسية لاسيما وأن تفسير معاهدة سنة ١٨٨٨ كمسألة قانونية تدخل فى اختصاص محكمة العدل الدولية . (٣)

وبالرغم من صدور قرار مجلس الأمن بدعوة مصر إلى رفع إجراءات الحصار جاء مناصرا لإسرائيل – إلا أن هذا القرار لم يصدر بالإجماع وإنما امتنعت عن التصويت ثلاث دول هى الاتحاد السوفيتى ، والهند ، والصين .

وسوف نتعرض تفصيلا لموقف الاتحاد السوفيتى فى موضع لاحق من هذه الدراسة ونكتفى أن نشير هنا إلى أن موقف الاتحاد السوفيتى هذا يعتبر ظاهرة جديدة بالنسبة للمشكلة الفلسطينية حيث يعتبر الامتناع هنا مرحلة انتقال بين التأييد السابق لإسرائيل وبين تأييد العرب وهى ليست مرحلة انحسار

---

(١) United Nations Records, Security Council, 1 – 16–8– 1951. No. 2241.

(٢) الدكتور محمد حافظ غانم ، المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولى مرجع سابق

(٣) المراجع السابق .

الوهم عن الدولة الصهيونية من جانب السوفيت فحسب ، بل أن عام ١٩٥١ يعتبر بداية الأزمات بين الدولتين، وطوال هذا العام والسوفيت يتجاهلون المذكرة الإسرائيلية فى ١٦ يناير المتعلقة بالتعويضات من ألمانيا الشرقية(١)— إلاأن أهم الازمات التى شهدها عام١٩٥١بين الاتحادالسوفيتى وإسرائيل تعلقت بالتطورات التى أعقبت مشروع قيادة الشرق الأوسط التى كان موقف إسرائيل منها على أحسن الفروض غير واضح وضوح موقف دولة عربية كمصر ففى ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ ألغت الحكومة المصرية معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا ثم رفضت فى ١٤ أكتوبر المقترحات المتعلقة بقيادة الشرق الأوسط التى قدمت لها قبل ذلك بيوم وكان رد فعل الاتحاد السوفيتى طيبا للغاية فقد أعلن لمصر تأييده الكامل وترحيبه لعقد معاهدة عدم اعتداء معها ، كذلك حدثت حركات رفض قوية لتلك المقترحات فى سوريا والأردن والعراق لم تتعد المستوى الشعبى فى البلدين الآخرين بينما أجبرت الحكومة على الاستقالة فى سوريا عندما أظهرت موافقتها على المقترحات وشكل الوزارة الجديدة معروف الدواليبى الذى عرف بعدائه لمشاريع الاحلاف والذى كان يطالب بعقد معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتى(٢) .

وابتداء من عام ١٩٥٤ والعلاقات السوفيتية العربية تمر بمنحنى صاعد وقد انعكس هذا التأييد السوفيتى على إستخدام حق الفيتو لمنع تجديد قرار اتخذه مجلس الأمن عند منع سفينة بت جاليم الإسرائيلية من المرور فى القناة .. والظاهر(٣) أ إسرائيل تعمدت إرسال السفينة بت جاليم إلى قناة السويس بقصد التأثير على المفاوضات الانجليزية المصرية :

---

(١) وكانت اسرائيل قد أرسلت فى نفس اليوم مذكرة تتعلق بالتعويضات من المانيا الغربية إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .

(٢) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ — ١٩٥٢) مرجع سابق ص ص ٤٨٦ — ٤٨٨ .

(٣) الدكتور صلاح العقاد — قضية فلسطين — المرحلة الحرجة ، مرجع سابق ص ١٨٧ .

وعلى كل حال لم تكن إسرائيل منذ البداية تأمل فى استخدام قناة السويس وهى تستطيع أن تستغنى عن هذا الممر إلى حد كبير بايجاد ميناء على خليج العقبة وهو ما اتجهت إليه إسرائيل منذ البداية .

فبالرغم من أن العرب كانوا يسيطرون على النقب حتى نهاية عام ١٩٤٨ فلم تتمكن إسرائيل من احتلال قرية أم الرشراش على الخليج قبل ١٥ مارس سنة ١٩٤٩ — أى بعد توقيع إتفاقيات الهدنة مع مصر والأردن ، ويبدو أن هذه المنطقة كانت تائهة بين الجبهتين العربيتين ، فلم تحتج إسرائيل إلى أكثر من ١٥٠ جنديا لإحتلال القرية التى صارت نواة لميناء ايلات بعد ذلك . وبادر الأردن إلى رفع شكوى إلى هيئة المراقبة على أساس أنه لم يكن من حق إسرائيل تغيير الوضع العسكرى بعد توقيع الهدنة ، حتى ولو كانت المنطقة التى احتلت حديثا داخلة فى القسم اليهودى حسب قرار التقسيم ، لأن خطوط الهدنة لم تحدد طبقا للتقسيم ، وإنما رسمت حسب الأمر الواقع الناجم عن الهزائم العسكرية العربية ، ووافق بانسن كبير المراقبين الدوليين على هذا الرأى وأرسل برقية إلى رئيس مجلس الأمن بتاريخ ٢٢ مارس سنة ١٩٤٩ جاء فيها ما يلى(١) :

« إننى متأكد تمام التأكيد أنه — ما عدا ما هو يتعلق بالعقبة ذاتها — فإن المراكز التى أنشأتها فى هذه المنطقة القوات الأردنية والقوات الإسرائيلية ، أنشئت كلها بعد الهدنة التى دخلت فى التنفيذ فى ١٨ يوليو سنة ١٩٤٩ مع استثناء مراكز القوات الاردنية فى « عين عبد » و « كرنوب » وبذلك تكون هذه المراكز جميعا قد أقيمت خلافا لأحكام الهدنة » .

وتمشيا مع سياسة الحصار البحرى التى أخذت مصر تتوسع فيها بإطراد كان لا بد من إيجاد وسيلة لاقفال الخليج فى وجه الملاحة الإسرائيلية ،

---

(١) الدكتور حامد سلطان : المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين ، مرجع سابق ص ٤٣ — ٤٤ .

ولا يتحقق ذلك إلا بالاتفاق مع حكومة السعودية التى تقع شواطئها على الطرف الآخر من الخليج . وفى أوائل عام ١٩٥٠ دخلت القوات المصرية جزيرتى « تيران » و « صنافير » بالإتفاق مع الحكومة السعودية وهاتان الجزيرتان تقعان فى مدخل الخليج الذى يعرف بمضايق تيران . ويبلغ عرض هذه المضايق ١٢ ميلا ، ومع وجود الجزر ، تصبح الممرات المائية التى تشكل هذه المضايق داخلة فى المياه الاقليمية العربية ، سواء أكانت مصرية أم سعودية ، ومعنى ذلك أنه يصبح من حق السلطات المصرية والسعودية منع سفن العدو من المرور فيها وتفتيش السفن المحايدة التى تبحر فوق تلك المياه .

وبعد أن اتخذت الاستعدادات العسكرية لمراقبة الملاحة ، رأت الحكومة المصرية أن تبلغ بريطانيا بهذه الإجراءات الجديده ، نظراً إلى أن السفن البريطانية تتردد على الخليج ، وذلك لوجود حامية بريطانية فى ميناء العقبة الأردنى . وجاء فى المذكرة المصرية الصادرة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٠ الفقرة التالية :

« ولما كان هذا الاحتلال لم توح به فكرة إعاقة المرور البرىء على أى وجه فى المجال البحرى الواقع بين الجزيرتين المذكورتين وشاطئ سيناء المصرى ، فمن المسلم به أن هذا الممر ، وهو الوحيد الممكن سلوكه عمليا ، سيبقى حراً كما كان فى الماضى ، وذلك وفقا للعرف الدولى ، ومبادئ القانون الدولى المقررة » .

وفى نفس الوقت ابلغت السفارة الامريكية بهذه الإجراءات ، ووزع منشور على شركات الملاحة والقنصليات الأجنبية فى مصر حتى تكون جميع السفن الحربية والتجارية على علم بنظام المرور فى مضايق تيران .

وتتلخص هذه الإجراءات فيما يلى :

١ ــ إذا حاولت(١) سفينة حربية إسرائيلية ، أو سفينة حربية مساعدة

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦ .

تابعة لإسرائيل أن تمر فى المياه الإقليمية ، بما فى ذلك مدخل خليج العقبة أمكن إطلاق النيران فى مواجهتها لانذارها ولمنعها من المرور ؛ على إلا توجه القذيفة إليها مباشرة بغرض أصابتها إلا إذا امعنت فى مخالفتها .

٢ ـ إذا حاولت سفينة تجارية تابعة لإسرائيل أن تمر فى المياه الإقليمية المصرية بما فى ذلك مدخل خليج العقبة الواقع بين حزيرة تيران وساحل سيناء فيكتفى بضبط هذه السفينة وحجزها دون مصادرتها وإحالة أمرها إلى مجلس الغنائم على أن تقوم بهذا الضبط السلطات المدنية الجمركية بمساعدة الوحدات العربية التابعة لمصلحة خفر السواحل .

٣ ـ قبل مرور السفن الحربية والتجارية والأجنبية المحايدة بمدخل خليج العقبة فمن حق السفن الحربيه المصرية ، وكذلك محطات الإشارات بالبر ؛ سؤالها عن أسمها وجنسيتها ووجهتها ، كما هو متبع دوليا ، على أن يكون استعمال هذا الحق . بحيث لا يعوق حرية المرور البرىء عبر مدخل خليج العقبة شمالا أوجنوبا .

وقد أقرت بريطانيا بحق مصر فى ممارسة الرقابة على الملاحة عقب احتجاز ، السفينة البريطانية « أمباير روش » لمخالفتها التعليمات فتبودلت الخطابات بين السفارة البريطانية والخارجية المصرية ووعدت بريطانيا بأن تبلغ السلطات المصرية فى المستقبل عن جنسية السفن ووجهتها قبل أن تصل إلى نقط المراقبة المصرية ، وبذلك تكون بريطانيا قد اعترفت بأن موقف مصر بخصوص الملاحة فى مضيق تيران وخليج العقبة مطابق لأحكام القانون الدولى

وتبع ذلك أن أحكمت مصر الحصار فى عام ١٩٥٣ خاصة والمفاوضات كانت بين إسرائيل والهند لعقد اتفاقية تجارية بينها ، واعتراف أثيوبيا اعترافا كاملا باسرائيل وما يتبع ذلك من التبادل الاقتصادى بينهما ، ولن يتم هذا بالطبع إلا باستخدام مضيق تيران .

وقد رفعت إسرائيل شكوى إلى مجلس الأمن تطالب بفتح الملاحة فى

قناة السويس وخليج العقبة عام ١٩٥٤ وأبطل الاتحاد السوفيتي القرار باستخدام حق الفيتو كما سوف نشير إلى ذلك تفصيلا ، ولم يظهر رد الفعل على هذا الموقف إلا في سبتمبر ١٩٥٥ ، في ذلك التاريخ صرح بن جوريون بأنه إذا لم يمكن فتح مضايق تيران للملاحة بواسطة الأمم المتحدة ، فعلى إسرائيل أن تعول على نفسها لفتح هذا الممر الدولي بالقوة ، وقدر لذلك ثلاثة عشر شهرا ؛ وقد وقع بالفعل العدوان الثلاثي في نهاية هذه المدة وأدى إلى فتح المضايق للملاحة (١) الإسرائيلية .

ومن الحجج الإسرائيلية المعروفة أن خليج العقبة هو بحر دولي نظرا لوقوع أكثر من دولة على سواحله ، ومن ثم فإن حرية الملاحة في المضايق يجب أن تكون مكفولة وبناء على هذه الحجج فإن مضايق تيران تعتبر مياها دولية لأنها الطريق الوحيد للوصول إليه ولا يجوز بالتالي استخدام حق السيادة على المياه الإقليمية بدون قيد ، وهنا نعود إلى محور الخلاف الرئيسي وهو نظام الهدنة الدائمة ، وهل يعتبر أنهاء لحالة الحرب أم لا ، فإذا لم يكن مطابقا لإنهاء حالة الحرب ، فمن حق الدول العربية أن تمنع سفن العدو من المرور بمياهها الإقليمية وذلك لممارسة حق الدفاع عن النفس .

من بروز عبد الناصر إلى حوادث الحدود :

ان تبادل الاتهامات بين الحكومات العربية وإسرائيل في القاء اللوم بسبب مشكلة فلسطين قد بلغ درجة من الحدة أدت إلى حمل الرأى العام العالمي على اعتبار مثل هذه الحجج عقيمة ، غير أنها تنطوى على مقدار كبير من الحقيقة : فالطرفان المتنازعان وجدا انفسهما رهينين في دائرة من الرد والرد المضاد

---

(١) في أكتوبر عام ١٩٥٥ كانت توضع بالفعل الخطط في إسرائيل للاستيلاء على مضايق تيران بغية تأمين سلامة سفن الشحن الاسرائيلية إلى ميناء ايلات :

Dayan, Moshe : Dairy of the Sinai Compaign New York 1967 p. 12.

ولم تحدث أية تحركات تستحق الذكر بالنسبة للقضايا الأساسية فى المشكلة الفلسطينية فى الفترة الممتدة بعد عام ١٩٤٩ اللهم إلا خلال فترة واحدة أظهر خلالها أحد الطرفين علامات تنبئ بالمرونة – وكما يقال – فقد بدأت هذه الفترة من حركة الضباط الأحرار فى يوليو سنة ١٩٥٢ وانتهت بعودة دافيد بن جوريون إلى تأليف الحكومة الإسرائيلية فى فبراير عام ١٩٥٥ .

ويخبرنا أحد العملاء السابقين للمخابرات المركزية الأمريكية بأن اللواء محمد نجيب – القائد الصورى للضباط الأحرار – أبلغ الولايات المتحدة فى ظرف ساعات من انقلاب يوليو سنة ١٩٥٢ أنه « ليس مهتما بفلسطين »(١)

غير أن عبد الناصر عندما ظهر وبرز كقوة حقيقية فى مصر ؛ أعرب أيضا عن اهتمامه بتسوية النزاع ، فعقدت الحكومة الأمريكية آمالها لفترة من الزمن على أنه سوف يبقى العرب تحت السيطرة (٢) . وهناك أنباء نقلت عن عبد الناصر اهتمامه بتشجيع الاتصالات غير المباشرة مع موشى شاريت الذى خلف بن جوريون كرئيس للوزراء فى ديسمبر سنة ١٩٥٣ (٣) ، بينما يستشهد فرد خورى بتقارير صدرت فى الصحف الإسرائيلية خلال عام ١٩٦١ عن حدوث لقاءات سرية فى باريس بين ممثلين مصريين وإسرائيليين خلال عام ١٩٥٤ فقد سعى الممثلون نحو ترتيب تسوية غير رسمية لعلاقات الحدود وفتح الطريق أمام مفاوضات لاحقة حول غيرها من القضايا البارزة (٤).

---

(١) استشهد بذلك مايلز كوبلاند فى كتابه لعبة الأمم – لندن – ١٩٦٩ – ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢–٦٣.

(٣) Lacouture, Jean, Lactoure, Simone : Egypt In Transition (Loodon, 1658), p. 233–234.

(٤) Khouri Fred J. The Arab-Israeli Dilemma op. cit. pp. 300–301.

ولم تسفر هذه الاتصالات عن أية نتائج بارزة وسرعان ما ساء مناخ التسوية والتوفيق لدى عودة بن جوريون إلى مقاعد الحكم وتصعيد حوادث الحدودة بين مصر وإسرائيل .

غير أنه حدثت تحركات كثيرة على الصعيد التكتيكى ، فالحلقة المفرغة من الاستفزاز والرد التأديبى ابقت الوضع مشتعلا — حتى خلال المراحل السلبية نسبيا من النزاع .

ومع بروز عبد الناصر كصانع ممكن للوحدة العربية ، انتقلت نقطة التركيز فى سياسات؛ إسرائيل العربية من الأردن إلى مصر التى جرى اعتبارها بمثابة الخطر الأول الذى يتهدد حدود إسرائيل واستمرار وجودها فازدادت حوادث الحدود بعد عام ١٩٥٤ خاصة وكذلك المجابهات العسكرية الفعلية ٥

وعلى الرغم من أن الحادثه الآتية وقعت فى القاهرة إلا أنها تعتبر من قبيل حوادث الحدود ولها ارتباط بتسلسلها :

فلقد عاد بن جوريون يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٥ إلى الحكم بسبب قضية لافون الغامضة — وكان لافون وزيرا للدفاع وهو خصم لموشى ديان وشيمون بيريز ، وأحد الساسة المرموقين فى إسرائيل ؛ وقد أدانة رفاقه بأنه المسئول عن عملية فاشلة نفذها العملاء السريون فى مصر ، وقد وقعت حوادث هذه العملية فى القاهرة بناء على خطة استفزازية وضعتها المخابرات الإسرائيلية بهدف إجبار بريطانيا على البقاء فى مصر عن طريق عمليات تخريبية ضدها تبدو فى ظاهرها مصرية ولكنها فى الواقع من تدبير عملاء إسرائيليين ؛ واعتبر لافون نفسه أنه ذهب ضحية لمناورات قام بها الجيش لاثقال عاتقه بمسئولية كان يجب أن يتحملها بعض قادة أجهزة المخابرات أو بيريز نفسه كما رأى أن التعليمات الصادرة بإحاطة العمليات بالسرية قد

لعبت دورا فى اتجاه واحد لتحول دون تبرئته(١) ، وقد نتج عن هذه العملية انفجار ثلاثة قنابل فى القاهرة وأظهر التحقيق المصرى أن القصد منها هو إفساد العلاقات بين مصر من جانب وانجلترا والولايات المتحدة(٢) من جانب آخر ، وألقت السلطات المصرية القبض على العملاء اليهود ، وكان شاريت قد وجه نداء إلى عبد الناصر بالرأفة ولكن تم تنفيذ حكم الإعدام على ثلاثة منهم الأمر الذى آثار غضب الرأى العام الإسرائيلى وكان من نتيجتها نشوء حالة التوتر على الحدود .

عند هذا الوقت كان هناك انقسام فى صفوف الزعماء الإسرائيليين أنفسهم ؛ فقد نادى موشيه شاريت (٣) بالإعتدال ، ويقال أنه أقام حوارا مع مصر ، وتوقع شاريت لهذا الحوار أن يسفر عن القبول بالوضع الراهن والاعتراف الفعلى باسرائيل من جايب الدول العربية ، على أن تتزعم مصر الناصرية السير فى هذا الإتجاه ؛ ولكن قطاعا من الزعماء الإسرائيليين الذين سيطر عليهم بن جوريون نظر إلى هذه التطورات بحذر ، فلما جاء بن جوريون خلفا للافون نادى بفكرة اعتبار الأمن الإسرائيلى كفيلة عن الدعامة الأساسية

---

(١) وعندما أصبح لافون سكرتيرا عاماً لاتحاد العمال (الهستدروت) طلب أن يرد إليه اعتباره وهاجم أجهزة الجيش أمام اللجان البرلمانية وقد عينت الحكومة بالرغم من ممارضة بن جوريرن لجنة مكونة من سبعة أعضاء وتولت فحص الملفات السرية وأعلنت براءة الوزير السابق — وقد ثار بن جوريون على لافون ثم قدم استقالته وفى فبراير عنة ١٩٦١ طردت اللجنة المركزية لحزب الماباى لافون من السكرتارية العامة للهستدروث سعياً منها للاحتفاظ برئيسها غير أن لافون كان قد اكتسب شعبية فى اسرائيل بوصفه ضحية لبن جوريون .

(٢) Terence Prittie, Eshkol : The Man and The Nation, New York 1961. p. 195.
Ben Gurion and Pearlman : Ben Gurion looks back op. cit, pp. 206–215.

(٣) موشيه شاريت كان رئيساً للوزارة الاسرائيلية فى الفترة من ١٩٥٣–١٩٥٥.

فى السياسة الإسرائيلية (١) . وأعقب ذلك الغارة على غزة وذلك عقب بعض غارات الفدائيين داخل إسرائيل .

لقد كانت غزة ـ بحق ـ نقطة تحول فى السياسة المصرية خصوصا حين شعر العرب بجرح عميق وأيقنوا جديا أن استراتيجية إسرائيل هدفها العنف والتوسع تجاه العرب ، وتتلخص تفاصيل الهجوم على غزة فى قيام مصفحة إسرائيلية بهجوم على بعد ستة كيلو مترات داخل غزة ضد مركز شرطة خان يونس الذى اعتبرته إسرائيل مركزا لتجميع الفدائيين لمزاولة نشاطهم منه وقد نتج عن هذه الغارة قتل ٣٨ جنديا مصريا وجرح ٣١ آخرين ، وكانت إسرئيل تهدف أيضا إلى إظهار قابلية مصر لأن تتعرض للإصابة والأذى (٢) .

وعلى أثر ذلك الهجوم أصدر مجلس الأمن فى يوم ٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٥ ؛ قرارا ندد فيه بأعمال العنف التى يرتكبها كلا الجانبين والتى تدمى الحدود بين مصر وإسرائيل .

كذلك كان هناك مسرح آخر توالت فيه الحوادث هو منطقة العوجة المنزوعة السلاح ؛ فقد كانت تلك المنطقة ذات أهمية استراتيجية فائقة نظرا لأنها تحيط بنقطة تجمع عدة طرق فى سيناء مع الطريق إلى بئر سبع وكان يمر بالعوجة أحد الطريقين اللذين يمكن منهما لمصر أن تغزو إسرائيل ولإسرائيل أن تغزو مصر أما الطريق الآخر فكان يمر على الساحل ..

وعلى الرغم من النصوص الواردة فى اتفاقية الهدنة فقد أقامت إسرائيل

---

(١) Ben Gurion, David : Israel : Years of Challenge op. cit, pp. 68–69.

(٢) صحيفة نيويورك تايمز ٢٤ ، ٢٦ أكتوبر ١٩٦٠ ويرجع أيضاً إلى المقتطفات المنشورة فى مذكرات موشى شاريت فى صحيفة الجير سالم بوست بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٦٥ .

فى تلك تلك المنطقة كيبوتز كتسيوت ووضعوا فيه حامية من العسكريين (١) المتخفين فى هيئة مدنية منهم يشتغلون بعض الوقت بالزراعة وبقية الوقت فى التدريب العسكرى ، وقد مهدت إسرائيل بإقامة هذه المستعمرات بطرد السكان العرب الذين لجأوا إلى غزة ولم تعترف مصر فى وقت ما بأن العوجة جزء من إسرائيل بل كانت تطالب بأن تكون مقرا لهيئة الرقابة الدولية التابعة لمجلس الأمن ، غير أن خطة إسرائيل المتبعة هى رفض مرابطة رجال الأمم المتحدة على أراضيها وبالتدريج أخذت إسرائيل تؤكد سيادتها على العوجة كما فعلت فى المنطقة المنزوعة السلاح قرب الحدود السورية .

وفى عام ١٩٥٥ أعلنت إسرائيل صراحة أن العوجة جزء من أراضيها وليس لأحد الحق فى منعها من إقامة التحصينات عليها ، وإزاء هذا النقض الصريح لاتفاقية الهدنة قدم بيرنز (٢) احتجاجات شديدة اللهجة إلى حكومة اسرائيل واقتصر الأمر على ذلك .

وقد اضطرت مصر بعد تحدى إسرائيل فى العوجة أن ترسل قوات للمرابطة فى الصابحة على الجانب المصرى من الحدود فى مواجهة العوجة ، غير أن إسرائيل قامت بشن غارتين خاطفتين فى ٢ نوفمبر عام ١٩٥٥ وصلت إحداهما إلى الكونتلا على مسافة خمسين كيلومترا داخل الحدود المصرية أما الأخرى فقد أصابت حامية الصابحة ببعض الأضرار غير أن التعزيزات المصرية تمكنت من رد غارة الصابحة ، وعلى أثر هذا الاشتباك أخلت القوات المصرية هذا المركز كما كان من قبل تطبيقاً لنظام الهدنة وإذا فقد صار هذا النظام يحترم من جانب واحد . ورغم أن هذه السلسلة من الاصطدامات انتهت بالسكوت عن تسليح العوجة وبقاء المنطقة منزوعة السلاح على الجانب المصرى من الحدود على ما هى عليه فقد صدرت أجهزة الإعلام المصرية

---

(١) Burns ; op. cit, pp. 96–97

(٢) Ibid .

تراجع القوات الإسرائيلية من الصايحة على أنه نصر باهر وانهالت برقيات التهنئة من جميع أنحاء العالم العربى .

سياسات الحكومات العربية :

انتهت الاشتباكات القصيرة وغير الحاسمة بين اسرائيل والدول العربية المجاورة — باقامة نظام الهدنة الذى تضمن اتفاقيات ثنائية بين إسرائيل من جهة وكل من الأردن وسوريا ومصر ولبنان من جهة ثانية .

ونتج عن ذلك مخلفات (١) أسفرت عن قضايا مزمنة أصبحت تقض مضجع الرأى العام العالمى ، فالدول العربية ارتبطت بأواصر القرابة والولاء والأمانى القومية نحو الشعب العربى فى فلسطين .

وقد كانت السياسة الإسرائيلية تجاه الدول العربية تعوق عملية التسوية للمشكلة الفلسطينية ولفض النزاع بين إسرائيل والدول العربية وهو مايشهد به الباحثون والمؤرخون الغربيون على السواء(٢) .

وسوف نرى كيف انقلبت العلاقة بين اسرائيل والفلسطينيين من جهة وإسرائيل والدول العربية من جهة ثانية من التوتر والحذر إلى اندلاع النزاع المسلح حيث شهدت المنطقة انفجار الحرب مرتين منذ عام ١٩٤٩ وأدى النزاع فى كل منهما إلى ابتلاع المزيد من البشر والتدخل الخارجى .

---

(١) تعوض الأستاذ الدكتور جلال يحيى تفصيلا لهذه المخالفات فى الفصل الثالث عشر من كتابه العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية — بعنوان مخلفات حرب فلسطين — مرجع سابق ، ص ص ٤٢٧—٤٧٧ .

(٢) ومنهم عن سبيل المثال لا الحصر جانيس تيرى التى تشغل منصب أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر فى جامعة ايسترن ميتشجان ومايكل هدسون ويعمل أستاذ السياسة ومدير مركز الشرق الأوسط فى معهد الدراسات الدولية بجامعة جونز هوبكنز ويملك معرفة صحيحة بالعمليات السياسية العربية وأسهم بعدة مقالات حول الحركة الفلسطينية .

وقد كانت سياسات الحكومات العربية وسلوكها تجاه مشكلة فلسطين — إسرائيل خلال الفترة الممتدة بعد ١٩٤٩ — لا تمثل مرتبة عالية فى مقياس تقييم السياسة الخارجية ، فإذا كان هدف الدول العربية هو القضاء على إسرائيل ، فقد منيت تلك الدول بالفشل ، وإذا كان هذا الهدف هو خنق إسرائيل اقتصادياً فقد فشل أيضاً ، وإذا كان الهدف أخيراً هو الاحتواء فالدول العربية أخفقت هنا أيضاً ، وهذه الاخفاقات جاءت نتيجة للضعف السياسى وتعدد السياسات العربية أكثر منها للضعف العسكرى .

وقد عجزت التجمعات العربية التى تصنع السياسة عن الوصول إلى مجموعة متماسكة من الأهداف السياسية الملائمة لفترة بارزة من الزمن .

فبعد حرب سنة ١٩٤٨ قام وضع جديد حيث تخطت فيه اتفاقيات الهدنة المعقودة عام ١٩٤٩ إلى حد كبير مشروع التقسيم كأساس للعلاقات العربية الاسرائيلية ، فعندما أخذت على عاتقها الدفاع عن فلسطين العربية تحملت حكومات مصر وشرقى الأردن وسوريا ولبنان مسئولية المناطق المتبقية وذلك بفضل تخلفها عن أداء الواجب جزئياً وعن طريق أجرائها للحساب إلى حد ما أيضاً . وبذلك تحول الصراع بين جماعتين أو النزاع الأصلى حول فلسطين الانتداب إلى مشكلة بين دول ، فالحكومات العربية من غير ريب كانت ترغب فى الحفاظ على أكبر قدر ممكن من فلسطين لسكانها العرب ، لكن العقدين اللاحقين أظهرا بشكل مؤلم — ولا سيما لعرب فلسطين — إن هـذه الحكومات لم تضع قضية إسترجاع فلسطين فوق سائر المصالح والالتزامات .

والحكومات العربية بصفتها الوصى الجديد على الميراث الفلسطينى ولكونها تمثل الطرف الأضعف فى النزاع — اعتمدت على مختلف قرارات الأمم المتحدة إلى درجة أبعد كثيراً من إسرائيل . فالاسرائيليون أكثروا من التشديد على صفة الشرعية القانونية والدولية التى أضفتها الأمم المتحدة على الدولة اليهودية الجديدة ، لكنهم مضوا بصورة مطردة فى تجاهلهم ،

أو احباطهم لتعليمات الأمم المتحدة وتوجيهاتها بشأن إعادة التوطين ومراقبة الهدنة وقضايا اللاجئين ، غير أن الحكومات العربية أدركت إلى أى مدى يمكن للرياح المواتية أن تهب داخل المجتمع الدولى ، ولم يكن هناك ثمة حافز ضئيل يدفع باسرائيل نحو النظر فى العودة إلى التقسيم(١) طالما أنها كانت مزدهرة وآمنة ضمن حدود هدنة ١٩٤٩ وطالما أن الحكومات العربية كانت ضعيفة وسلبية ، فلم يكن لديها من شيء بارز تقدمه إلى إسرائيل ومساندها الغربيين لقاء تراجع معين لحدود إسرائيل :

وقد احتوت اتفاقيات الهدنة(٢) ضمنا على القرار العربى فى عدم الاعتراف باسرائيل ، حتى على صعيد الأمر الواقع . واعتبرت إسرائيل بمثابة : فلسطين المحتلة ، فكان على الحدود أن تبقى مغلقة ، وحظرت العلاقات التجارية كما قطع الاتصال البريدى والهاتفى مع إسرائيل . أما الاتصال الدبلوماسى أو السياسى المباشر فلم يكن له من وجود على الإطلاق وبذلك عزلت إسرائيل عن محيطها الملاصق لها مباشرة على نحو لم يسبق له مثيل بين الأمم فى العالم الحديث وكانت هذه العزلة فعالة لفترة من الزمن فأدت تقريبا إلى إحباط إسرائيل كلها فى دمج نفسها تجاريا واجتماعيا أوسياسيا داخل المنطقة .

وفى نظر العرب أحرزت إسرائيل نصراً عسكريا بقوة السلاح ، وقد حرصت الحكومات العربية على ترك المجال مفتوحاً فى المستقبل للتسوية العسكرية دون تنازلها عما اعتبرته بمثابة مطالبها العادلة وقد تأثرت الحكومات العربية فى موقعها بالسخط الذى عم الرأى العام العربى .

---

(١) United Nations Geonrai Assembly, resolntion no. 181, Sersion 11, novcmber 29, 1947.

(٢) U. N. Security Coucil S/1064, Rev 1) Israel–Egyyt feb. 24, 1949, S/1296/Rev. 1) (Israel–Lebanon). March 23, 1949. (S/1362/Rov. 1) (Israel–Jordan) April 3, 1949 and S/1063/Rev. 1 (Israel–Syria) July 20, 1949.

والدول العربية على العموم قد قبلت وكالة هيئة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين وتشغيلهم وتعاونت معها كوسيلة لتزويد اللاجئين بالحد الأدنى من الضروريات الإنسانية دون المس بحقهم في العودة .

إن الرأى العام العالمى المتقلب وبيانات الأمم المتحدة التى صدرت فى ظروف متفاوتة سياسيا وعسكريا بفلسطين . . كل ذلك صاغ موقف الدول العربية بعد ذلك فى التلميح بقبول تسوية وفق لمشروع تقسيم فلسطين غير أن الحكومات العربية مهما كانت رغبتها شديدة فى الوصول الى تسوية كانت تعوزها الدقة والمهارة لقمع الشعور المتولد عن السخط القابل للانفجار فى السياسة العربية نتيجة لزرع اسرائيل ، وقد سمحت الحكومات العربية باستخدام أسلحة الضعفاء الواهية : الامتناع عن الاعتراف أو القبول وهو ما ساوم عليه الاسرائيليون دواما قبل وبعد ١٩٥٦ حيث تعذر منحها كشروط مسبقة لأن العرب لم يكن لديهم شيء غيرها لتقديمه .

ويأتى بعد ذلك الأداة السياسية(١) فى أيدى الحكومات العربية وهى الجامعة العربية وأجهزتها المتخصصة مثل مكتب المقاطعة ، وعلى المسرح الدولى حققت الدول العربية مقدارا جوهريا من الوحدة فى التصويت داخل الأمم المتحدة على القضايا المتصلة بفلسطين ولكن جهودها الدبلوماسية للتأثير على الحكومات وعلى الرأى العام العالمى لم تكن كافية .

وبخصوص قضية اللاجئين الفلسطينيين فقد ظل موقف الجامعة العربية

---

(١) Robert, W. Macdonald : The League of Arab State : A study in the Dynamics of Regional Organization Princeton, 1965) p.p. 42–43.

وانظر أيضاً ، أنور السادات ، سلسلة مقالات بمجلة التحرير خلال عام ١٩٥٠ حيث حذر العرب آنئذ بمثل هذه العبارات ، أيها السادة انقضوا أو انفضوا ولعل أخطر هذه المقالات مقال بتاريخ ١٣ أبريل ١٩٥٤ حذر فيه من أن الخطب الرنانة منذ عام ١٩٤٨ لن تحدى فتيلا وإذا استمرت الحال على ذلك فسوف تدق إسرائيل أبواب العريش والقنطرة والاسماعيلية .

متحفظا من نشاط الأمم المتحدة وعدم التعاون معها فى مشروعاتها الخاصة باللاجئين — وذلك لخوفها من هدف هذه المشروعات الذى هو فى النهاية تصفية مشكلة اللاجئين نهائيا بما ليس فى صالح المشكلة الفلسطينية وأصدر مجلس الجامعة فى يونيو سنة ١٩٥٠ (١) قرارا يدعو فيه الدول العربية إلى قبول المشروعات الخاصة باللاجئين وإلى التعاون مع الأمم المتحدة تضمن إن حقوق اللاجئين فى العودة وفى التعويضات لن تتأثر بهذه المشروعات ،

وقد كان للعوامل السياسية فى العالم العربى وفى إسرائيل نفسها أثر كبير على قضية اللاجئين ، ففى يوليو سنة ١٩٥٥ أسفرت الانتخابات فى داخل إسرائيل عن فوز الأحزاب المحافظة وتبع ذلك فى تشدد إسرائيل فى موقفها تجاه قضية اللاجئين وكان رئيس الوزارة بن جوريون ووزير خارجيته جولدا مائير من أنصار عدم التنازل مطلقا كما أن الأحوال السياسية الخارجية كان لها أثر أيضا فى موقف إسرائيل ، فقد حاول ايزنهاور فى منتصف الخمسينات إتباع سياسة المهادنة ومحاولة التقرب من العرب بعكس السياسة التى كان يتبعها سلفه ترومان وأدى ذلك إلى تخوف إسرائيل الشديد ، وخصوصا بعد صفقة الأسلحة التى عقدتها مصر مع تشيكوسلوفاكيا وكذلك الإتفاقيات الثنائية العربية العسكرية التى عقدت فى عامى ١٩٥٥—١٩٥٦

أما بالنسبة للدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية فقد كانت هناك عدة عوامل سياسية أثرت فى موقفهم من اللاجئين فقد كان هناك تزايد فى عـــدم الاستقرار الداخلى فى الدول العربيـــة وخلافات بين الحكومات العربيـــة بعضها وبعض وخصوصاً فى منتصف الخمسينات(٢) وقد انعكست هذه الخلافات فى العالم العربى على قضية

---

(١) جامعة الدول العربية — تقارير الأمين العام إلى مجلة الجامعة من ١٦٤٦ إلى ١٩٦٤ القاهرة »

Khouri, The Arab Israel Dilemma, od. cit, pp, 250 etc.

(٢) Ibid, p. 301–305.

اللاجئين فكلما زاد عدم الاستقرار كانت الحكومات العربية تخشى معارضة الرأى العام العربى و تلجأ إلى التشدد فى موقفها ضد إسرائيل حتى تضمن تأييد الرأى العام لها حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة اللاجئين الفعلية .

وبخصوص الدور الذى لعبته الجامعة العربية تجاه تحويل مياه نهر الأردن فى هذه الفترة فانه يتلخص فيما يأتى :

أبلغ وزير خارجية لبنان فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٥ قرار اللجنة السياسية للجامعة العربية بخصوص رفض المشروع ، وكان جونسون(١) قد قام بعرض مشروعه على رؤساء الحكومات العربية فى خلال شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣ فعرضت القضية على اللجنة السياسية للجامعة التى وافقت فى اجتماعها المعقود فى القاهرة فى ١٢ يناير سنة ١٩٥٤ على تأليف لجنة عربية فنية لدراسة المشروع ، . وقد تألفت اللجنة الفنية من خبراء من كل من مصر وسوريا ولبنان والأردن واجتمعت فى القاهرة فى شهر يناير سنة ١٩٥٤ ودرست المشروع وانتهت إلى أن مشروع جونستون خطر يهدد البلاد العربية وأنه ليس فى القانون الدولى التزام يفرض عليهم قبول هذا المشروع ولو من حيث المبدأ بل أن القواعد العامة فى هذا القانون تستوجب رفضه بسبب حالة العلاقات بين العرب وإسرائيل ورأت اللجنة تقديم مشروع عربى لاستغلال مياه نهر الأردن ، وقد رفضت إسرائيل هى الأخرى مشروع جونستون وتقدمت بمشروع جديد أطلق عليه مشروع « كرتون» وقد تتبعت الجامعة العربية ماتقوم به إسرائيل ، واقتصر جهدها على إبلاغ الدول العربية الأعضاء بكل ما يصل إليها — بعد ذلك — لتكون على علم بما يجرى فى هذا الصدد أولا بأول .

(١) أورد الدكتور جلال يحيى فصلا كاملا بعنوان التنغير وأهميةمشروعات المياه فى كتابه : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية — مرجع سابق ص ص ٢٦٢-٢٧١ .

غير أن أشد أعمال الجامعة العربية فعالية بخصوص متابعتها لمشكلة فلسطين هو ما قامت به الجامعة من مقاطعة (١) إسرائيل اقتصاديا وقد بدأت هذه المقاطعة — فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٥ للحيلولة دون التهريب اليهودى إلى فلسطين تحت الإنتداب ، وبعد قيام إسرائيل جرى توسيع المقاطعة بانشاء مكتب كامل للمقاطعة مقره الرئيسى دمشق وانحصرت وظيفته فى عدم تشجيع الشركات الأجنبية على التعامل مع إسرائيل تحت وطأة التهديد بمنعها من دخول الأسواق العربية .

وقد كان المجال الرئيسى لفعالية المقاطعة هو الإبقاء على مشكلة فلسطين حية أمام الرأى العام العالمى عموما ، والرأى العام العربى على وجه الخصوص ؛ وقد كانت المقاطعة هى إحدى المنشاطات القليلة التى نجت دون أن تصاب بأذى الشقاق والتناحر بين الدول العربية وحتى فى إطار الجامعة العربية ذاتها آنئذ .

غير أن العرب قد نجحوا أيضاً فى الميدان الدبلوماسى فى إقصاء إسرائيل عن عضوية كتلة عدم الإنحياز لدول العالم الثالث وهو نجاح جاء ثمرة للجهود التى بدأت مع بروز عبد الناصر فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ :

وكذلك أظهرت الدول العربية درجة عالية من وحدة العنف فى أنماط تصويتها داخل الأمم المتحدة ولا سيما بالنسبة لمشكلة فلسطين وقد جاء فى أحد الدراسات (٢) « أنه إلى جانب كتلة الأصوات التابعين للمعسكر

---

(١) وحتى عام ١٩٦٢ بلغ عدد الشركات المدرجة فى القائمة السوداء حوالى ٨٠ شركة وبالرغم من ذلك فقد مثلت هذه السياسة فى تعبئة المصالح التجارية الأمريكية حينئذ للضغط على على حكومة الولايات المتحدة للتخفيف من موقفها المؤيد لإسرائيل : ابراهيم أبوالغد — تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ص ٣٣٠-٣٣٢.

(٢) Hayward R. Alker. Jr., and Brunce M. Russett World Politics in the general Assembly (New Haven, 1965) p. 256.

السوفيتى والغربى يأتى العرب على الدوام تقريبا من أشد الكتل تماسكا ، إن وحدتهم تفككت بعض الشيء منذ سنة ١٩٤٧ عندما كانت فلسطين بالغة الأهمية — لكنها ما لبثت أن عادت جزئيا بعد ذلك » .

وفى الميدان العسكرى ، فان العمل الجماعى المشترك من جانب الدول العربية أكثر منه ثمرة التحليل العقلانى للخطر الإسرائيلى ، وفيما يتعدى أجهزة الجامعة العربية بالذات فان أول مجهود رئيسى لإقامة قيادة عسكرية مشتركة حدث قبل يومين فقط من الهجوم الإسرائيلى على شبه جزيرة سيناء فى آكتوبر سنة ١٩٥٦ وذلك عندما انضم الأردن متأخراً إلى اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا المعقودة بتاريخ ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٥ والتى جاءت بمثابة الرد على حلف بغداد الموصى به من بريطانيا . ولم يكن هناك الوقت الكافى لتنظيم جهد عسكرى ، مشتركا وفعالا ، كما ظهر بوضوح من خلال النجاح العسكرى السريع الذى أحرزته إسرائيل فى حملة سيناء الخاطفة التى تمكن خلالها الجيش الإسرائيلى من احتلال سيناء عام ١٩٥٦ (١) .

سياسات الدول الغربية :

كانت هناك فى إسرائيل قــوى لا يمكن قهرها تدفع إسرائيل نحو الكتلة الغربية وقد رأى بن جوريون هذا بوضوح منذ البداية . وكانت قوة إسرائيل تتوقف إلى حد كبير على أموال يهود أمريكا وضغطهم على الحكومة الأمريكية .

ومنذ يناير عام ١٩٤٩ وافقت المؤسسة الحكومية — التى هى بنك

---

(١) ابراهيم أبو الغد — تهويد فلسطين — مرجع سابق ، ص ٣٣٣ .

الاستيراد والتصدير فى واشنطن — على منح إسرائيل قرضاً يبلغ مائة مليون دولار يسلم منها ٣٥ مليونا فى الحال .

وعموما فقد كان المعسكر الغربى متعاطفا مع إسرائيل وانعكس ذلك خصوصاً على الاستثمارات الأجنبية والتسهيلات الائتمانية الممنوحة لإسرائيل من جانب المعسكر الغربى فى هذه الفترة .

وفى عام ١٩٥١ انعكست سياسة الدول الغربية المؤيدة لإسرائيل فى الزيارة الناجحة التى قام بها بن جوريون إلى الولايات المتحدة مارا ببريطانيا عارضا عليها تحالفا عسكريا ، والحق فى استعمال الموانى والمطارات الإسرائيلية وقواعد لإصلاح العتاد والمعدات وكافة المقومات الأساسية من الناحية العسكرية . كما عرض بن جوريون على الولايات المتحدة فى عام ١٩٥٥ عرضا مماثلا غير أن كل من الدولتين — الولايات المتحدة وبريطانيا — لم توافقا على هذه العروض لشعورها بأهمية العالم العربى .

كذلك بذلت بريطانيا — عن طريق إرسالها نائبين فى مجلس العموم — هما النائبين العماليين ريتشارد كردسان وموريس أورباك — جهوداً فى اتصالات بين عبد الناصر وشاريت غير أن هذه الجهود قد باءت بالفشل كما أوضحنا ذلك سلفا .

وقد فسرت انتخابات عام ١٩٥٥ التى فقد فيها حزب الماباى خمسة مقاعد على أنها استنكار لسياسة التهدئة التى يطبقها شاريت ؛ وشعر عبد الناصر والسياسيون فى الدول العربية بخوف من أن ينتزع منهم حلف بغداد إمكانية التصرف المستقل وأن يربطهم بقوة فى ركاب الغرب الذى تملكه الرغبة فى مجاملة ابنته المدللة إسرائيل ومن هنا أصر عبد الناصر على طلب أسلحة من الولايات المتحدة ولكن فوستر دالاس أراد ثمناً مرتفعاً لها فى مقابل هذا : فلن تمنح أسلحة للعرب إن لم ينضموا إلى « حلف دفاع إقليمى » ؛ وإن لم ينخرطوا فى النظام الغربى ضد الاتحاد السوفيتى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتزمت بريطانيا هى الأخرى بموقف مماثل ، أما فرنسا – وكانت تسلح سوريا – فقد امتنعت عن إمداد العرب بالمعدات منذ بداية حرب الجزائر .

وفى ٩ من نوفمبر سنة ١٩٥٥ تحدث أنطونى إيدن بعبارة أكبر من إيجاد حل وسط بين الموقف العربى المطالب بالعودة إلى خط عام ١٩٤٧ وبين الموقف الإسرائيلى المتزمت حـول حدود عام ١٩٤٩ ؛ إلا أن الحكومة الإسرائيلية رفضت يوم ١٢ من نفس الشهر التنازل عن أى جزء من الأرض .

وفى نهاية شهر نوفمبر تحدث عبـد الناصر ثانية مع جان لاكوتور حول إمكان الاعتراف باسرائيل مقابل التفاوض على أساس مقترحات إيدن غير أن بن جوريون الذى كان آنئذ يعد خطة لمهاجمة مصر مع موشى ديان – تجاهل تماما رغبة عبد الناصر .

وقد اتجه بن جوريون إلى فرنسا لإمداده بالأسلحة بعـد أن امتنعت بريطانيا و الولايات المتحدة عن ذلك آنئذ ، وأبدى جى موليه الذى تولى الحكم فى يناير ١٩٥٦ استعداد فرنسا لذلك .

وكانت مصر قد أعلنت قبل ذلك أن فرنسا قد وردت إلى إسرائيل ٧٠ طائرة مستير ومائة دبابة ؛ ١٥٠ مدفع مضاد للدبابات ومدافع أخرى ثقيلة عيار ١٥٥ مم ولسنا بحاجة إلى أن نذكر بأن فرنسا فى عهد الجمهورية الرابعة كانت مدفوعة فى هذا بعوامل خاصة بها هى الرغبة فى تحطيم الثورة الجزائرية عن طريق قلب نظام عبد الناصر الذى اعتبرته فرنسا آنئذ بأنه يرعى الثورة الجزائرية ويقودها .

وكانت بريطانيا تريد أن تقف موقفا وسطا بين العرب واسرائيل وذلك على أمل تدعيم أصدقائها فى العالم العربى أو على الأقل سكوت خصوم حلف بغداد عن معارضته ، ويعتقد بعض الكتاب انه حدث تشاور بين بريطانيا ومصر

قبل أن يصدر إيدن تصريحه المشهور فى مانشن هاوس والسابق الإشارة إليه، إذ قابل السفير البريطانى رئيس الجمهورية المصرية أربع مرات فى الايام القليلة التى سبقت التصريح، كما أن صحف القاهرة علقت على التصريح قائلة أنه جدير بالاعتبار أن الغرب بدأ يفهم حقيقة مشكلة فلسطين .

ويتساءل البعض هل كانت بريطانيا قد وعدت بتجميد حلف بغداد ثم أخلت بوعدها بعد ان أرسلت المارشال تاميلر إلى الأردن مما جعل الحكومة المصرية تتراجع عن فكرة تنسيق العمل مع بريطانيا من أجل مشكلة فلسطين؟ أن مصر أدركت حتى بدون التراجع البريطانى أن اسرائيل لا يمكن أن تقبل أى تنازل، والدليل على ذلك تصريح بن جوريون أنه غير مستعد للتنازل عن شبر من أرض إسرائيل حتى ولو كان ذلك فى مقابل الصلح، والذى حدث هو أن الهوة اتسعت بين مصر وبريطانيا بسبب محاولة جر الأردن إلى حلف بغداد وأن بريطانيا عرضت مشروعا بعد ذلك على الولايات المتحدة بتأسيس قوات مشتركة بين الدولتين يكون القصد منها منع وقوع اشتباك بين اسرائيل والعرب فى أى وقت وتقف هذه القوة على أهبة التدخل فى أى مكان يصدر منه العدوان وقد عرف الآن أن هذا العرض تم أثناء المقابلة بين إيدن وإيزنهاور فى فبراير عام ١٩٥٦ وأن إيزنهاور رفض الفكرة قائلا بأن التصريح الثلاثى يكفى لتأمين منطقة الشرق الأوسط، وهذا ماجاء فى البيان المشترك الذى صدر فى أعقاب المحادثات الإنجليزية الامريكية .

والراجح أن الرأى العام الأمريكى قد نظر إلى التصريح الثلاثى من زاوية واحدة وهى تأمين حدود إسرائيل أما إذا حدث العكس واعتدت اسرائيل للتوسع على حساب الدول العربية المجاورة فان التصريح لا يوضع موضع التنفيذ وعلى أى حال فان التصريح الثلاثى كان قد سقط من الناحية العملية لسببين - أولا : لأن اسرائيل صارت تستورد الأسلحة سرا ثم علنا عن طريق فرنسا وهى إحدى دول التصريح وثانيا : لأن مصر وسوريا تتلقيان الأسلحة

من الاتحاد السوفيتى مما افقد الغرب احتكاره للتسليح فى الشرق الأسط .

وقد يخفى على الكثيرين أن الولايات المتحدة كانت على علم وسمى بتسليح فرنسا لإسرائيل حتى من قبل التوتر الناجم عن تأميم قناة السويس ، وانها ساعدت حليفتها فى الاطلسى على أداء هذه المهمة على خير وجه فحللت فرنسا من بعض التزاماتها فى الحلف كى تتيح لها تزويد اسرائيل بطائرات المستير وذلك منذ شهر مايو عام ١٩٥٦ وعلاوة على ذلك سمحت لكندا بارسال كميات أخرى من الطائرات وإن لم يتم لهذه الأخيرة وقت كاف لوضع الاتفاق مع إسرائيل موضع التنفيذ (١) .

ولاشك أن تأييد الولايات المتحدة لفرنسا فى موقفها المنحاز إلى إسرائيل هو الذى شجع الحكومة الفرنسية على أن تصرح علنا بمساعداتها لإسرائيل بالأسلحة ، ومنذ أوائل هذا العام كانت الصحف الفرنسية لاتفتأ تتحدث عن اكتشاف وثائق تثبت مساعدة مصر للثوار الجزائريين وكمحاولة أخيرة قام كريستيان وزير الخارجية بزيارة للقاهرة فى ابريل ١٩٥٦ وقيل أن الوزير الفرنسى عرض تأييد مصر فى معارضتها لحلف بغداد ومقابل التخلى عن الثورة الجزائرية فرفض المسئولون فى مصر الفكرة ، وعلى أثر عودته اخذت الصحف تتحدث صراحة عن ضرورة اتخاذ إجراء ما ضد مصر ، فكان المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر هم أكثر العناصر عطفا على اسرائيل لوجود شبه بين وضعهم كأقلية اجنبية وسط بيئة عربية تحيط بهم .

وفى مايو أعلنت فرنسا عن تزويد إسرائيل بدفعة جديدة من طائرات المستير أما ذلك الاتفاق السرى الذى تعهد بمقتضاه فرنسا بأن تحمى اسرائيل مباشرة جوا وبحرا فى حالة اشتباكها مع مصر فهناك إجماع حول توقيع

---

(١) Berger, op. cit. p. 212.

مثل هذا الاتفاق ، انما يدور خلاف حول تحديد زمنه (١) .

سياسة الاتحاد السوفيتي :

لما كانت السنوات السبع التي تلت ابرام اتفاقيات الهدنة من سنة ١٩٤٩ إلى سنة ١٩٥٦ تتسم بتكرار الحوادث عموما على طول خطوط الهدنة حيث انتهت بالعودة إلى الحرب ، لذا كان من الأهمية أن نتعرض لسياسة الاتحاد السوفيتي تجاه المشكلة الفلسطينية من اعمال انتهاك الهدنة :

لم يكن لدى السوفييت أى اهتمام بالاتهامات المتبادلة بين مصر وإسرائيل بانتهاك اتفاقيات الهدنة والتي بحثها مجلس الأمن فى اكتوبر — نوفمبر فى هذه السنة ولم يشترك السوفييت فى المناقشات بأكملها كما امتنعوا عن التصويت على مشروع القرار الفرنسى البريطانى الأمريكى الذى تبناه المجلس فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥١ (٢) .

وقد استمر نفس الموقف السوفيتى على ماهو عليه فى عام ١٩٥١ تعبيرا عن استمرارية الأوضاع فى الشرق الأوسط على الجانبين العربى والإسرائيلى بصفة أساسية ففى مناقشات مجلس الامن للاتهامات المتبادلة بين سوريا واسرائيل بصدد انتهاك الهدنة فى مارس وابريل سنة ١٩٥١ حافظ المندوب السوفيتى على موقف عدم المشاركة كذلك امتنع عن التصويت فى ٨، ١٨ مايو على مشروعى قرار قدمتهما فى كل من فرنسا وتركيا وبريطانيا والولايات المتحدة .

ولم يبحث مجلس الأمن الاتهامات بانتهاك الهدنة فى عام ١٩٥٢ ، وفى عام ١٩٥٣ بحث المجلس انتهاكات الهدنة العربية الاسرائيلية فى مناسبتين كانت

---

(١) يميل شايلدرز إلى ترجيح الرأى القائل بأنه تم قبل التأميم بأيام ، بينما يذكر آخرون أنه وقع فى أغسطس أى بعد التأميم بنحو أسبوعين : شايلدر أرسكين : الطريق إلى السويس — ترجمة خيرى حماد ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ص ١٦٣—١٦٥.

(٢) أنظر نص القرار فى ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق ج ٢ ، ص ١٠٨٣—١٠٨٤.
Year Book of the United Nations, 1953 od. cit. pp. 313–320.

الاولى تتعلق بالاعتداء الاسرائيلى على قرية قبية الاردنية والثانية تتعلق بشكوى سوريا ضد اسرائيل حيث عملت هذه الاخيرة على انتهاك الهدنة على الضفة الغربية لنهر الاردن فى المنطقة منزوعة السلاح .

وعند التصويت على مشروع القرار الأمريكى البريطانى الفرنسى بخصوص الاعتداء الإسرائيلى على قبية امتنع المندوب السوفيتى فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٣ (١) عن التصويت ولم يشرح السبب هذه المرة فى الامتناع بالرغم من تخصيص اجتماع لهذا الغرض .

وقد كان ذلك بصفة أساسية مؤشراً على أن مرحلة الانتماء السوفيتية فى المشكلة الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلى لازالت سائدة بالرغم من إرهاصات التحول فى الفترة الزمنية التى نوقش فيها القرار ، وكانت مسألة قبية هى الأخرى قضية تتعلق بالمشكلة الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلى صمت فيها السوفيت فى الخمسينات .

وبحث مجلس الأمن فى سنة ١٩٥٤ خلال شهرى أبريل ومايو إتهامات متبادلة بين الأردن وإسرائيل بانتهاك الهدنة ، وفى هذه المناقشات أيد الاتحاد السوفيتى وجهة النظر العربية وقد انعكس هذا التأييد على معارضة السوفيت لوجهة النظر الغربية (٢) .

ومع مجىء عام ١٩٥٥ كان الاختبار السوفيتى يقترب من الحسم

---

(١) Year Book of the United Nations, 1953, op. cit pp. 214–224.
Benjamin Shwardran, Israel–Jordan Border Tension, in middle Eastern Affairs, Vol no. 10 December 1953 p. 401.
Dagan, op. eit p. 76.

(٢) International Organizational, Vgol. VII, no 3 August 1954.

والاستقرار بالنسبة للطرفين العربى والإسرائيلى فى المشكلة الفلسطينية ومن الأمور ذات المغزى أن هذا العام قد شهد للمرة الأولى أول حديث سوفيتى عن إدانة لإسرائيل فى الأمم المتحدة سواء فى أعمال تتعلق بحوادث الحدود أو بغيرها ، ففى المناقشات التى حدثت فى مجلس الأمن للشكوى المصرية ضد إسرائيل لعدوانها على غزة والشكوى الإسرائيلية المعتادة ، فقد تجاهل المندوب السوفيتى الشكوى الإسرائلية كلية وعبر عن التعاطف مع حكومة وشعب مصر فيما يتعلق بغارة غزة والخسائر الناجمة فى الأرواح وطالب المجلس بإدانة العمل الإسرائيلى متهماً إسرائيل بأنها تخلق حالة من التوتر فى المنطقة مما يؤدى فى النهاية إلى تهديد الاستقلال وأيضاً بسبب تكوين الأحلاف العسكرية (١) .

وفى ٨ سبتمبر من نفس العام تبنى مجلس الأمن بالإجماع مشروع قرار فرنسى بريطانى أمريكى بعد مناقشة اتهامات إسرائيلية متبادلة بانتهاك جديد للهدنة (٢) ، وكان القرار متوازناً ومحايداً للغاية فى تقييم الأحداث واقتراح وسائل تفاديها (٣) .

ويمكن تفسير التصويت السوفيتى بالتوازن الذى بدأ فى أعمال الطرفين إلى أن السوفيت قد حرصوا على تخفيف حدة التوتر خاصة وأن التوصل إلى صفقة الأسلحة فى مصر كان قد تم فى ذلك الحين كذلك كانت التقارير الصحفية الأولى عنها قد بدأت تظهر فى نفس الوقت ، وقد بدأ السوفيت أنهم يحرصون على هذا أمام الرأى العام العالمى .

(١) Year Book of the United Nations, 1956 p. 25–29.

ونصوص القرارات فى : ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق ج ٢ ص ١٠٨٢، ١٩٨٧، ١١٠٥، ١١٠٦ .

Year Book of the United Nations, 1956, op. cit. pp. 81–34.

(٢) Perlmuum, M: The Middle East in the Summer of 1955 in : Middle Eastern Affairs, Vol. VI no. 6–0 August–September 1955 p. 599.

(٣) نص القرار فى ملف وثائق فلسطين ، مرجع سابق ج ٢ ص ١١٧١.

ومع نهاية ١٩٥٥ كانت السياسة السوفيتية قد حققت نجاحاً ضخماً فى العالم العربى وفى مصر وسوريا بصفة خاصة ، وكان ازدياد التقارب السوفيتى لابد وأن يؤتى آثاره بمرور الوقت بالنسبة للموقف السوفيتى من مشكلة فلسطين والصراع العربى الإسرائيلى .

وجاء الموقف السوفيتى المؤيد لوجهة النظر العربية على طول الخط خلال مناقشات حادث طبرية فى ديسمبر سنة ١٩٥٥ – يناير ١٩٥٦ أثر إعتداء القوات الإسرائيلية الواسع النطاق على القوات السورية فى المنطقة الواقعة شرق بحيرة طبرية .

وقد تحدث المندوب السوفيتى فى ٢٩ مايو سنة ١٩٥٦ عن إمكانية تجنب صراع مسلح فى الشرق الأوسط وإذا التزمت الأطراف بالتعهدات التى أخذتها على عاتقها وعن استعداد السوفيت لمساعدة الأمم المتحدة فى تحقيق تسوية سلمية بين الدول العربية وإسرائيل على أساس أية إجراءات سوف تتخذ لتحقيقها فى منطقة فلسطين سوف تتخذ مع الاعتبار الواجب لرغبات دول المنطقة ودون تدخل فى شئونها الداخلية (١) ، ويجب أن يوضع هذا الموقف المتوازن أيضاً فى سياق بيان ١٧ أبريل سنة١٩٥٦ (٢) لوزارة الخارجية السوفيتية حول الموقف فى الشرق الأوسط الذى تحدث فيه عن تسوية سلمية لمشكلة فلسطين على أساس تقبله الأطراف .

وتذكر إحدى الدراسات أن هذا البيان قصد به أن يبطل الحجة الغربية بوجوب القيام ببعض الإجراءات خارج الأمم المتحدة بالنظر إلى استخدام السوفيت لحق الاعتراض فى مسائل الشرق الأوسط ، كذلك ثمة تفسير آخر لهذا المسلك لا يمكن القطع بصحته(٣) مؤداة أنه قصد به أن يدعم

---

(١) Year Book of the United Nation, 1956 pd. 2-11.

(٢) بيان وزارة الخارجية السوفيتية حول الموقف فى الشرق الأوسط ، ١٧ أبريل سنة ١٩٥٢ فى : الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط – مشاكل الأمن والسلام (وثائق ومواد) ، موسكو ، دار نشر وكالة نوفوستى ، ١٩٧٢ صص ٢٨–٣٢.

(٣) دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

تحولا فى سياسة الولايات المتحدة إزاء الشرق الأوسط نحو إسقاط التصريح الثلاثى فى عام ١٩٥٠ لصالح اختصاص الأمم المتحدة وحدها بالموقف فى الشرق الأوسط ، ويتكهن البعض بإمكان أن تكون مراجعة موسكو لخطها بالنسبه لنظام عبد الناصر مسئولة عن هذا المسلك (١) .

وقد يكون ذا مغزى أن هذه الفترة شهدت المفاوضات المصرية مع الغرب لتمويل مشروع السد العالى ، وبالرغم من أن هذا الموضوع ومايتصل به لا يتعلق بصلب هذا البحث مباشرة إلا أن له علاقة بالمشكلة الفلسطينية وتطورها ، ومن ذلك تأثير الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة مما دفعها فى النهاية إلى سحب تمويل مشروع السد العالى ، ومن هنا كان من الضرورى سرد الوقائع الأساسية التى تتصل بهذا الحادث .

---

(١) لاكور : والتر : الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .



الفصل الثالث

العدوان الثلاثي ونتائجه على الصراع العربي الإسرائيلي

الغرب وتمويل السد العالي :

إتجهت الحكومة فى بداية الأمر إلى دول غربية لتمويل مشروع السد العالى — فعرضت كل من بريطانيا والولايات المتحدة ٧٠ مليون دولار لتنفيذ المرحلة الأولى .

ويقال (١) أن واشنطن كانت تؤيد نسبيا فكرة تمويل السد العالى — الذى يعتبر مشروعا ضروريا لإنقاذ مصر من وضعها الاقتصادى المنهار (٢) — وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٥ أفرج عن بعض المبالغ ، ودرست إمكانية حصول مصر على قرض من البنك الدولى ، ولكن مع فرض رقابة وضمان كبريات الدول الغربية الرأسمالية حسب رغبة البنك لتقديم ٢٠٠ مليون دولار .

غير أن مصر أظهرت غضبها ، وكانت المباحثات ماتزال تحرز تقدما مطرداً بالفعل حتى فوجىء العالم فى ٢٦ يوليو بقرار من لجنة الشئون الخارجية فى الكونجرس يقضى برفض هذا الضمان ، وادعت اللجنة أن الذى يدعوها إلى اتخاذ هذا القرار هو عوامل اقتصادية محضة تتعلق بعدم الثقة بالاقتصاد المصرى ، غير أن التأمل فى الملابسات أحاطت بسحب الولايات المتحدة للعرض ، والتصريحات والتعليقات الأجنبية التى أعقبته تشير جميعا إلى أن الاعتبارات السياسية كانت هى العامل الحاسم ، وكان للصهيونية دورها فى دوائر الكونجرس بحيث استدرجته لاتخاذ هذا القرار .

---

(١) Rodinson, op. cit, pp. 54–55.

(٢) Ibid. 55.

والسؤال الذى يطرأ على الأذهان هو : كيف كان المناخ الدولى السائد آئنذ ؟

من الثابت أن بريطانيا قد اشتركت بقسط كبير (١) فى هذا الموضوع غير أن معارضة متعددة الأشكال ظهرت لتحول دون إتمام عملية تمويل السد العالى بإسوان ، فمن ناحية نجد أن الإنجليز والفرنسيين والإسرائليين قد سعوا إلى صرف دالاس عن منح القرض ومن ناحية أخرى فقد أعرب الكونجرس الأمريكى عن عدم ارتياحه .

وعلى الجانب الإسرائيلى فإننا نجد أن بن جوريون فى نفس الوقت يواصل مضايقاته لمصر فرفض أى تنازل للأمم المتحدة حول منطقة العوجة المنزوعةالسلاح– بل وأرسل حملة عسكرية حقيقية إلى الحدود الجنوبية وأطلق النيران على غزة ، وفى الثامن عشر من يوليو أجبر بن جوريون شاريت الذى يعارض هذه السياسة على الاستقالة من منصب وزير الخارجية فأصبح الطريق مفتوحا أمامه ، ولعل بن جوريون استهدف حينذاك استقطاب النزاع بين العرب وإسرائيل بحيث يلقى بالعرب فى كفة الكتلة الشيوعية ويستأثر الصهاينة بتأييد الغرب .

وقد ساعدت أخطاء الدعاية فى مصر على تحقيق هذه الخطة ، ذلك أن الصحف المصرية ذكرت خلال شهر يونيو أن شبيلوف وزير الخارجية السوفيتية آنذاك عرض شروطا أفضل لتمويل السد العالى ، وربما كان المقصود من نشر هذه الأنباء هو دفع الدول الغربية إلى تحسين شروط القرض والضمانات اللازمة للمشروع ، إذ سيتأكد فيما بعد أن الاتحاد السوفيتى لم يقدم عرضاً من هذا النوع .

---

(١) Ibid. p. 55.

وعندما علم دالاس أن الإتحاد السوفيتى لن يستطيع تمويل السد العالى أعلن فى ١٨ يونيو – مستنداً على حيثيات مليئة بالازدراء – أن الولايات المتحدة ألغت العرض الذى تقدمت به للتمويل وتبعتها بريطانيا، وهكذا لقنوا عبد الناصر درساً كبيراً فتعرضت مصر ومعها جميع الشعوب العربية للمهانة والإحراج واعتقد الغرب أن الدول العربيـــة سوف تستسلم إلا أن الزعيم المصرى لم يقبل الخزى وتمرد، وفى ٢٦ يوليو أعلن عبد الناصر الرد فى الاسكندرية بتأميم قناة السويس.

وهنا وقع الحدث الذى سيثبت لمدة طويلة صورة إسرائيل أمام الرأى العام العالمى عموماً، والعالم الثالث على وجه الخصوص الذى كان لايزال متردداً، ذلك الحدث الذى عجل بصورة حاسمة فى تحويل العالم العربى إلى الراديكالية، وهى حملة سيناء التى دبرت بعد اتفاقية سرية وقعتها فى سيفر يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ كل من انجلترا وفرنسا وإسرائيل.

أما تحليل الموقف الأمريكى آنئذ فكان مختلف تماماً عن موقف الدول التى اشتركت فى حملة سيناء وتفسير ذلك أن الاعتبارات السياسية لدى الولايات المتحدة الأمريكية كانت لها الأولوية، فقد ذكرت الصحف الأمريكية حينما شككت فى الاقتصاد المصرى أن الحكومة تبدد الأموال فى شراء الأسلحة من الاتحاد السوفيتى وقدرت ما أنفق فى صفقة عام ١٩٥٥ بـ ٨٠ مليون جنيه، إذن فالشكوى أساساً من الصفقة ومن ناحية أخرى فاننا نجد أنه بالرغم من عدم اشتراك الولايات المتحدة فى حلف بغداد فانها لم تكن راضية عن الحملة التى شنتها مصر ضد سياسة الأحلاف عموماً، أضف إلى ذلك أن سوء التفاهم كان قائماً بين مصر والولايات المتحدة منذ زمن طويل يرجعه البعض إلى نوفمبر عام ١٩٥٢ حينما زارت بعثة عسكرية واشنطن تطلب التزويد بالسلاح فاصطدمت بشروط لاتتناسب والاستقلال الوطنى.

وكان من الواضـــح عند إتخاذ قرار تأميم قنـــاة السويس أن المقصود

به هو تأكيد سياسة الحياد(١) التى تتبعها مصر وكثيراً من الدول الحديثة فى آسيا وأفريقيا .

ومن جهة أخرى ، فان الخطط(٢) كانت توضع فى إسرائيل منذ أكتوبر سنة ١٩٥٥ للاستيلاء على مضايق تيران بغية تأمين الملاحة ومنح السلامة لسفن الشحن الإسرائيلية إلى ميناء إيلات ، وربما سنحت الفرصة — من وجهة نظر بن جوريون — إلى إحداث تغيير فى حكومة مصر بعد أن أقدم عبد الناصر على تأميم شركة قناة السويس . فالبريطانيون والفرنسيون كانوا مصممين على استعادة سيطرتهم على القناة وفى الوقت نفسه إزاحة عبد الناصر عن المسرح إذ أنهم رأوا أيضاً فى عبد الناصر خطراً يتهدد الهيمنة الغربية فى الشرق الأوسط ، وهنا أيضاً — كما فى الماضى — رأى الإسرائيليون التقاء فى المصالح فكانوا الحلفاء المطيعين لكل من البريطانيين والفرنسيين فى هذه المغامرة .

وهكذا اختلفت دوافع الشركاء الثلاثة : فبالنسبة لبن جوريون كان الهدف توجيه ضربة قوية تجبر العرب على الاعتراف بإسرائيل(٣) كما هى وعلى وقف حالة الحرب المدمرة وعمليات هجوم الفدائيين التى أصبحت على درجة كبيرة من الحدية فضلا عن فك الحصار عن مضيق تيران ، وليس ثمة شك فى أن فكرة المكاسب الإقليمية المحتملة قد جالت بخاطر بن جوريون ، فان أى انقلاب قد يسفر عن تغييرات قد تكون مربحة ، وعلى كل فقد تسلط على عقله منذ وقت طويل خوفه من حدوث انتفاضة

(١) الأهرام — عدة مقالات متوالية فى شهر أبريل ١٩٦٧ بقلم محمد حسنين هيكل .

(٢) Dayan, Meshe : Dairy of the Sinai Compaign, New York 1967. p. 12–13.

(٣) Rodinson. op. cit, p. 56–57.

فى العالم العربى وكان يتساءل عما إذا كان عبد الناصر هو مصطفى كامل الذى سيخرج بذلك العالم العربى من الفوضى ، وكان يرى التحالف العربى مع الشرق وقد تجلى حين تدفقت الأسلحة والذخائر ، وفكر بن جوريون أن الوقت قد حان لتوجيه الضربة وللقضاء على القوة الصاعدة . وعلى الأقل للحصول على الإعتراف باسرائيل وهى فى مركز القوة ، بدلا من الانتظار حتى فوات الأوان ، كما أنه ينبغى استغلال الظروف القائمة والتى تدفع دولتين غربيتين مسلحتين تسليحاً قوياً للوقوف إلى جانب إسرائيل ، فقد لاتتكرر مثل هذه الفرصة قبل مرور وقت طويل .

أما الحكومة الاشتراكية الفرنسية التى انتابها غضب غريب بعد تأميم شركة رأسمالية كبيرة ، فكانت تبغى كسب حرب الجزائر فى مصر حيث كانت تعتقد بأن تغيير النظام فى مصر سيحرم الثوار الجزائريين من أهم العناصر المؤيدة لهم مادياً معنويا . وقد كانت فرنسا بالفعل عاجزة عن الانتصار فى الحرب أو إقرار السلام فى الجزائر نفسها .

أما الحكومة البريطانية المحافظة فقد رأت أنه من الضرورى القضاء على عبد الناصر رأس الراديكالية المناهضة للامبريالية فى العالم العربى والعدو الأول لأصدقائهم فى العالم العربى وأهمهم نورى السعيد الذى يعتبر أخلص الأوفياء لبريطانيا حيث تقوم سياسته على التحالف البريطانى ، وكان نورى السعيد قد حاول مرة أخرى يوم الثامن من أكتوبر سنة ١٩٥٦ أن يتقدم بتأييد بريطانيا باقتراح لإقرار السلام على أساس العودة من حيث المبدأ إلى خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين وبالطبع كان رد إسرائيل بالرفض القاطع المشوب بالاحتقار .

واقتنع الإنجليز والفرنسيون بأن أقل فشل يتعرض له عبد الناصر سيثير ضده الشعب المصرى ويفسح المجال أمام جماعات منافسة وقد رسخ فى أذهانهم هذه الفكرة بعض الأخصائيين الذين تساطت عليهم آراؤهم الخاطئة

وكانت الظروف سانحة أمام الحلفاء ، فالمخابرات الأمريكية التي كانت على علم بما سيحدث لم تخطر به ايزنهاور والإتحاد السوفيتي كان مشغولا بقمع الثورة المجرية .

وعموماً فقد أدت أحداث يوليو سنة ١٩٥٦ فى المنطقة إلى تغيير الموقف برمته فقد بلغت موجة العداء للغرب فى العالم العربى ذروتها بتأميم شركة قناة السويس وبلغ التأييد السوفيتى لمصر والنظم المتقاربة معها ذروته ، وعندما تصاعد التوتر على الخطوط الأردنية الإسرائيلية وبحث مجلس الأمن فى ١٩ أكتوبر اتهامات متبادلة بانتهاك الهدنة من الأردن وإسرائيل ، تجاهل المندوب السوفيتى فى مناقشات المجلس الشكوى الإسرائيلية وطالب بتدخل فعال من جانب مجلس الأمن لتبنى إجراءات فعالة لإنهاء حوادث الحدود وانتهاك إسرائيل المنظم لإتفاقيات الهدنة وقرارات مجلس الأمن(١) .

وكانت انتهاكات الهدنة على الخطوط الإسرائيلية الأردنية - هى الفصل الأخير فى سلسلة انتهاكات الهدنة منذ عام ١٩٥٠ وحتى قيام إسرائيل بحملة سيناء فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، كخطوة أولى فى عملية التدخل البريطانى الفرنسى ضد مصر ، وبدأ أن المخاوف السوفيتية كان لها ما يبررها .

خلفية العدوان الثلاثى :

تردد الرأى العام العالمى فى الأيام الأولى من شهر أغسطس أمام تهديد فرنسا وبريطانيا باستخدام العنف والشده ضد مصر ، أما الرأى العام العربى - خصوصا - وكذلك الدول المتحررة بوجة عام فانها وجدت فى خطاب تأميم شركة قناة السويس أكبر تعبير عن أمانيها ، ووجدت بريطانيا أنها لاتحظى

---

(١) Rodinson, op. cit, p. 57.

بتأييد دول الكومنولث لاستخدام الشدة ضد مصر ، وأعلن نهرو أنه يخشى من أن تنتقل بريطانيا من خطأ كبير إلى خطأ أكبر وأبشع .

وفى عمان أعلن الملك حسين ضرورة مقاومة العرب للاستغلال الاستعمارى وحتى نورى السعيد فى بغداد اضطر إلى التصريح بأنه يؤيد موقف مصر كل التأييد .

وأمام خوف حكومتى لندن وباريس من الانهزام فى بلادها أمام الرأى العام الأوربى عملا على تغطيه الاستعدادات العسكرية ، وقدما للرأى العام العالمى وسائل الضغط الاقتصادى والسياسى على مصر ، وباسم « أصحاب الحقوق » فى الشركة الدولية وباسم العمل نيابة عن المنتفعين بقناة السويس .

وفى هذا الجو المتوتر عمد البريطانيون والفرنسيون إلى الربط بين عملية تأميم الشركة وبين حرية الملاحة فى قناة السويس ، وكانت هناك اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ تعترف بحرية الملاحة لسفن جميع الدول فى قناة السويس وكانت مصر قد أعلنت احترامها لشروط هذه المعاهدة .

اما إسرائيل فقد كانت - هى الأخرى - تستعد للعدوان على مصر ، حتى قبل تأميم شركة قناة السويس - غير أنها كانت تنتظر اللحظة المناسبة لشن هذا العدوان ، وأتت أنسب اللحظات كأعظم ما تكون الفرصة التى تمناها المخطط الصهيونى بعد تأميم شركة قناة السويس .

وأصبحت المسألة تنحصر فى هذا التساؤل : أى من الدول الاستعمارية يمكن الاعتماد عليها فى التدخل العسكرى السافر ، وهكذا جاء تضامن الصهيونية مع الاستعمار البريطانى وهو مايعترف به موشى ديان صراحة (١) ، وقد قبلت إسرائيل دون تردد أن تشارك فى المغامرة بعد توفير بعض الضمانات

---

(١) Dayan, Moshe : Dairy of Sinai Compaing, op. cit, p. 63-64.

وفى نفس الوقت طلبت أن تقبض الثمن مقدما على شكل صفقة أسلحة جديدة وضخمة من فرنسا .

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد فضلت — بعد تأميم القناه — الابتعاد عن هذه المغامرة والاكتفاء بأسلوب المناورة السياسية حيث وافقت على عقد مؤتمر فى لندن بناء على اقتراح بريطانى فرنسى بشأن تعاون مصر مع الدول المنتفعة بالقناة لإنشاء سلطة دولية تتولى إدارتها .

وانعقد مؤتمر لندن صباح يوم ١٦ من أغسطس واشتركت فيه كل من فرنسا وإيطاليا وهولندا واسبانيا وتركيا وبريطانيا والاتحاد السوفيتى ، وكذلك جميع الدول المشتركة فى اتفاقية ١٨٨٨ ، باستثناء مصر ، وكذلك دعيت إلى المؤتمر جميع الدول التى تهتم باستخدام القناة وهى استراليا وسيلان والدانمرك واثيوبيا والهند واندونيسيا وإيران واليابان ونيوزيلندا والنرويج وباكستان والبرتغال والسويد والولايات المتحدة الامريكية وجمهورية المانيا الاتحادية (المانيا الغربية) فى حين رفضت اليونان حضور المؤتمر إذ كانت على خلاف مع بريطانيا حول مشكلة قبرص .

وعلى الرغم من رفض عبد الناصر الدعوة التى وجهت لمصر لحضور مؤتمر لندن فقد أوفد (٢) على صبرى ليحضر المؤتمر كعضو مراقب ، ولم يحضر على صبرى جلسات المؤتمر ولكنه استطاع عن طريق السفارة المصرية فى لندن ، أن يقف على كل مايدور فى هذه الجلسات وفى المناقشات الخاصة كما عقد عدة اجتماعات شخصية مع الوفود التى كان يأمل فى التأثير عليها ، واستمر المؤتمر منعقدا من يوم ١٦ أغسطس إلى يوم ٢٣ من أغسطس وكانت جلساته تعقد فى المساء فى حين خصصت الساعات الصباحية لإجراء مناقشات أخرى قال عنها سلوين لويد أنها تعتبر جزءا هاما جدا من المؤتمر .

---

(١) Finer, Hrman : Dulles over Suez, The Theory and Policy of his diplomacy. pp 50-90.

وتكشف لنا سجلات المؤتمر التى تقع فى ٢٤٠ صفحة عن الدوافع السياسية للولايات المتحدة حيث دعم خطاب الولايات المتحدة الذى ألقاه دالاس – المندوب الأمريكى – ثقة بريطانيا وفرنسا وأملهما فى حليفتهما أمريكا التى كانت تسعى حثيثا فى إيجاد حل مع عبد الناصر .

وقد وقع أول صدام فى المؤتمر بعد بدئه بقليل إذ كان كريشنا مينون المندوب الهندى ، وشبيلوف المندوب السوفيتى حريصين على تجنب كل ماقد يظهر فى صورة قرار اتخذه المؤتمر فأعلنا أن جميع المسائل تقر فى الأمم المتحدة عن طريق الغالبية حيث معهم مبدأ العضوية العالمية بمعنى أن كل عضو يتمتع بصوت يتساوى مع أصوات بقية الأعضاء ، ولكن مبدأ العالمية لاينطبق على هذا المؤتمر الذى يتكون من مجموعة مختارة فقط وهى المجموعة التى يعتبرها المندوب السوفيتى شيبلوف غير صالحة باعتبارها من الرأسماليين ، كما أن الدولة ذات المصلحة الرئيسية فى تطور الأحداث وهى مصر قد تغيبت عن المؤتمر .

وكان السوفييت (١) يهدفون بذلك إلى تأخير اتخاذ قرارات فى النزاع وتأييد مصر والدول العربية والإعداد لمؤتمر آخر باعتبار هذا المؤتمر هو مؤتمر تمهيدى فقط وبذلك يتسنى للاتحاد السوفيتى أن يشترك فيه مع جميع أنصاره وأتباعه فى الكتلة الشرقية .

وفى الجلسة التالية ألقى المندوب الأمريكى دالاس خطابه الذى ضمنه اقتراحاً رسمياً ثم وزع على المؤتمر مشروع قرار لهذا الاقتراح ثم وضعه الوفد الأمريكى فى صيغته النهائية يوم ٢٠ من أغسطس . وقد تضمن الاقتراح الأمريكى عدة مسائل رئيسية :

١ – ما إذا كان إنشاء مجلس دولى يتمتع بالسلطات التى نصت عليها اتفاقية ١٨٨٨ يتعارض مع سيادة مصر .

---

(١) Ibid.

٢ – ما إذا كانت مصر والدول المؤيدة لها : مثل الاتحاد السوفيتى والهند تعتبر إنشاء هذا المجلس متعارضاً مع سيادتها ؛ إذا أتيحت الفرصة لتنفيذ الاقتراح من غير الالتجاء إلى أى نوع من أنواع الضغط على مصر .

وفى مصر أعلن عبد الناصر – فى خلال فترة انعقاد المؤتمر – الأسباب التى دعته إلى هذا العمل فقال أن حكومتى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا رفضتا تمويل البرنامج الواسع لإنشاء السد العالى والمشروعات المتعلقة به ؛ وذكر عبد الناصر أن العمل الذى قام به لم يكن مجرد عمل ثأرى وأنه قد فكر فى هذا العمل قبل عامين ونصف عام غير أنه أجل تنفيذه إلى الاحتفال بعيد الثورة الخامس لإظهار قدرتها على العمل ، كما أعلن عبد الناصر فى الخطاب الذى ألقاه فى الاحتفال بعيد الثورة والذى كان قد أعلن فيه الاستيلاء على القناة : « إننا بإرادة الله سنسجل نصر تلو الآخر » وأوضح رغبته فى استخدام القناة لخدمة الأغراض الوطنية فى مصر – فقال أن من أهم العوامل التى تمد مصر بقوتها هو موقعها الإستراتيجى الذى يشرف على جميع الطرق العالمية وأضاف :

« أننا نكون أقوياء حينما نقدر على أى حد تكون قدرتنا على العمل »

كذلك كان عبد الناصر قد اقترح منذ أيام مشروع اتفاقية دولية جديدة لتأكيد وضمان حرية الملاحة فى قناة السويس .

كما أن الحكومة السوفيتية أعلنت هى الأخرى فى بيان أصدرته أن هذا المؤتمر قد يتيح الفرصة لإيجاد حل بالوسائل السلمية المتعلقة بحرية الملاحة فى قناة السويس وهو الحل الذى قد يكون فى ظل الظروف الجديدة مقبولاً لدى مصر والدول الأخرى المعنية بالأمر .

وفى المؤتمر – كانت كل دولة تسعى لخدمة أغراضها ومصالحها الشخصية ولم تكن إحداها على استعداد للتنازل عن هذه النظرة الأنانية بوحى من الضمير الذى يسعى لخدمة مصالح البشرية جمعاء .

فالهند — مثلا — كانت غاضبة لقيام الولايات المتحدة بتسليح باكستان باعتبارها عضواً فى حلف بغداد ؛ وقد سمحت باكستان مقابل ذلك للولايات المتحدة الأمريكية باستخدام قواعدها ضد قوة السوفيت فى الشمال ، كذلك فقد قام المندوب السوفيتى شبيلوف ليوضح أمام الرأى العالمى بأنه لم يعد هناك نزاع حول قانونية التأميم واعترض شبيلوف على مشروع منزيس رئيس وفد استراليا بشأن حقوق مصر فقال إنه(١) :

«لا يمكن أن تحول السيادة الوطنية لأى دولة إلى عملية تجارية ، وأنه لا يمكن شراء سيادة الدول أو بيعها » .

وقرب نهاية المؤتمر تقدمت باكستان — بإيحاء من الولايات المتحدة — وتأييد اثيوبيا وإيران وتركيا — بتعديل للمشروع الأمريكى بأن سيادة مصر هى الاعتبار الرئيسى فى المسألة ؛ واشترطت باكستان فى تعديلها للمشروع الأمريكى بأن يكون تشكيل المجلس الدولى بناء على مباحثات تجرى بين مصر وجميع الدول المعنية بالأمر .

وفى يوم ٢٢ من أغسطس اقترح توماس ماكدونالد — وزير خارجية نيوزيلندا تشكيل لجنة من الدول وافقت على الاجتماع بعبد الناصر أما المندوب السوفيتى شبيلوف فقد أدرك أن الاتحاد السوفيتى على وشك أن يخسر فى نهاية الصراع داخل المؤتمر فأعلن أن قرار المؤتمر لم يكن ديموقراطياً لأن تعداد شعوب الاتحاد السوفيتى والهند وأندونيسيا يفوق تعداد الشعوب فى الدول الثانى عشرة الأخرى .

وبعد ذلك أثير التساؤل عمن سيقوم بتقديم اقتراحات المؤتمر وسجلاته إلى عبد الناصر ، وبالرغم من أن أنطونى إيدن اقتنع فان دالاس رفض أن يرأس بعثة المؤتمر إلى القاهرة ، ويفسر البعض ذلك بأن تصرف دالاس هذا قد ساعد على إمداد عبد الناصر بقوة استراتيجية غير عادية .

---

(١) Finer, Herman : op. cit, pp. 72–73.

وفى النهاية رأس منزيس البعثة إلى القاهرة ، وأعلنت كل من الحكومتين البريطانية والفرنسية أنهما تنتظران مؤتمر القاهرة قبل أن تعفى الشركة المرشدين من التزاماتهم فى الاستمرار فى الخدمة ، وقد اعتبر عبدالناصر ذلك تهديداً موجهاً إليه فقد كان عدد المرشدين ٢٠٥ من بينهم ٦١ من البريطانيين ؛ ٥٣ من الفرنسيين(١) ؛ وقد تلقى المرشدون فى ٢٣ من أغسطس تعليمات بمغادرة مصر وفى نفس الوقت وجهت الحكومة المصرية نداء إلى العالم كله تطلب فيه رجالا يستطيعون إرشاد السفن وتلقت أكثر من موافقة ، وبخاصة من المتطوعين السوفيت.

وفى يوم ٢٧ من أغسطس أشار خروشوف — فى حفل دبلوماسى أقيم فى موسكو — إلى السفيرين البريطانى والفرنسى ، فقال إنه إذا قامت الحرب فى السويس فان العرب لن يقفوا وحدهم .

وعندما صدر بيان الحكومة السوفيتية حول ضرورة حل مسألة قناة السويس بالطرق السلمية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٦ كان من الواضح أن البيان ، وإن توقع استخدام القوة ضد مصر كان يستبعد أية مشاركة إسرائيلية فى عمل كهذا(٢) ، ولذلك تبدو نغمة الدهشة من الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية التى عبرت عنها الأزفستيا فى ٢١ سبتمبر ، وقد ذكرت الازفستيا إن إسرائيل تلعب بالنار إذ تسارع فى استعداداتها العسكرية الغير ضرورية إطلاقا لأن أحداً لا يهددها(٣) ؛

---

(١) وبالاضافة إلى هؤلاء المرشدين البريطانيين والفرنسيين كان هناك ١٤ مرشداً من الهولنديين ، ١٢ من اليونانيين ، ١١ من النرويجيين — ٣ من الدانمركيين ، ٢ من كل من إيطاليا أمريكا وبلجيكا والسويد ؛ وواحد من كل من أسبانيا ويوغوسلافيا وبولندا — أما الباقون وعددهم ٤٠ مرشداً فكانوا من المصريين الذين أمضوا مدة عامين فى رتبة ربان أعالى البحار .

(٢) بيان الحكومة السوفيتية حول ضرورة حل مسألة قناة السويس بالطرق السلمية ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٦ فى : الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط — مشاكل الأمن و السلام (وثائق ومواد) ١٩٥٦—١٩٧١ — موسكو — دار نشر وكالة نوفوستى ١٩٧٢ ص ص ٣٣—٣٤ .

(٣) لاكور : والتر ، الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ص ٢٦٠—٢٦١ .

وعموماً يبدو فى ذلك الوقت أن الشكوك بدأت تتولد لدى القيادة السوفيتية حول احتمال مشاركة إسرائيلية فى تدخل غربى مسلح ضد مصر ، ففى ٢٢ سبتمبر دعى السفير الإسرائيلى لمقابلة نائب وزير الخارجية السوفيتى الذى سلمه مذكرة تضمنت الإشارة إلى ملاحظة نسبت للسفير الفرنسى فى إسرائيل مؤداها أن هذه الأخيرة سوف تهاجم مصر مع الدول الغربية .

وحذرت المذكرة إسرائيل من النتائج الخطيرة لاستمرار هذه السياسة وقابلت مائير وزيرة الخارجية الإسرائيلية السفير السوفيتى فى ٢٦ سبتمبر وأعربت له عن آسفها لهذه المذكرة التى نظرت إلى حوادث الحدود من جانب واحد ، وعددت له حوادث الحدود التى أدانت فيها لجان الهدنة المشتركة الأطراف العربية

وفى مذكرة إسرائيلية سلمت إلى وزير الخارجية السوفيتى فى ٢٨سبتمبر ألقيت مسئولية حوادث الحدود على العرب ، وأكدت حكومة إسرائيل أنها غير مسئولة عن أية ملاحظات للسفير الفرنسى بفرض صحتها (١) .

وفى ٢٧ أكتوبر تحدثت البرافدا عن اتخاذ قرار فى لندن فى ٢٣ أكتوبر بتدخل عسكرى وشيك فى مصر ، كما تحدثت فى اليوم التالى عن عملية التعبئة العامة التى تقوم بها السلطات الإسرائيلية ، وبدا أن السوفيت قد علموا بنية الهجوم على مصر (٢) وعبرت البيانات و التصريحات السوفيتية الأولى

---

(١) Dagan, Avigdor, Moscow and Jerusalem : Twenty years of Relations between Israel and Soviet Union, New York Abalard, Schuman, 1970. pp. 164-165.

(٢) Dallin, David, J. Soviet Foreign Policy after Stalin London : Methuen & co. Ltd. 1960 p. 412.

Dallin, Alexander, The Soviet Union at the United Nations, An Inquiry into Soviet Motives and objectives, London, Methuen Co. Ltd 1960.

بعد الهجوم الإسرائيلي على مصر عن وجهة النظر السوفيتية بأن العمل الإسرائيلي يعتبر من أعمال العدوان المسلح وأنه يخالف ميثاق الأمم المتحدة مخالفة شديدة(١) وأنه كان ذريعة للدول الغربية وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا كي تدخل قواتها إلى أراضي الدول العربية خصوصاً في منطقة السويس ، ووصم إسرائيل بالعمالة للامبريالية وحذر من أن مسلكها هو مسلك إجرامي وخطير عليها هي نفسها وعلى مستقبلها قبل كل شيء ودعا مجلس الأمن إلى اتخاذ الإجراءات العاجلة لإيقاف الأعمال العدوانية ضد مصر ، والجلاء الفوري لقوات الغزاة عن أراضيها (٢) .

التوتر على الحدود وردود الفعل :

كانت – مصر وفقاً لآراء بن جوريون (٣) – هي التي تنظم هذا النوع الثاني من حوادث الحدود لأسباب تتعلق في الجانب الأكبر منها بالسياسة العربية ، وهذه الحوادث كانت طبقاً للمفهوم الإسرائيلي عمليات انتقامية مترابطة تكون دائمة دائرة مفرغة من عمليات الانتقام وعمليات الانتقام من الانتقام .

وفي خلال الشهر الواحد والعشرين التي سبقت عملية سيناء سنة ١٩٥٦ نجد ، وفقاً لما قرره رجال لجنة مراقبة الهدنة ، أن القتلى بلغوا من جانب الإسرائيليين ١٢١ ، ومن جانب العرب ٤٩٦ .

---

(١) ومع ذلك يذكر لاكور أن هذا الهجوم قد أخذ السوفيت على غرة : أنظر ، لاكور والتر : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، مرجع سابق : ص ص ٢٦٤–٢٦٥ .

(٢) بيان الحكومة السوفيتية حول العدوان المسلح على مصر – ٣١ أكتوبر عام ١٩٥٦ الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط : مرجع سابق ، ص ص ٤٤–٤٦.

(٣) Ben-Gurion, David : Israel, Years of Challenge, op. cit, pp. 38-39.

حيث يذكر أن هجمات الفدائيين قد أحدثت بين السكان الأصليين ١٦٢ قتيلا وجريحاً في عام ١٩٥٣ ، ١٨٥ في عام ١٩٥٤ ، ٢٥٨ في عام ١٩٥٥ .

وفى عام ١٩٥٦ وصلت حالة التوتر بين الإسرائليين والعرب حداً جعل الدول الغربية الكبرى تخشى من العودة إلى حالة القتال والحرب الصريحة بين الطرفين خاصة وأن مناحم بيجين (١) النائب عن حزب حيروت قد عرض فى يوم ٦ من مارس سنة ١٩٥٦ على الكنيست القيام بحرب وقائية .

وكانت العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل فى أدنى مستوى لها فى عام ١٩٥٦ ، ويقال (٢) أن الدول الغربية لم تكن تريد فى أوائل سنة ١٩٥٦ أن تصل الحالة المتوترة بين العرب وإسرائيل إلى هذه الدرجة من التوتر ، ذلك أن وزير الخارجية الأمريكى فوستر ودالاس ورئيس الوزراء البريطانى أنطونى إيدن كانا فى شهرى أغسطس ونوفمبر سنة ١٩٥٥ قد عرضا بطريقة غير رسمية وساطتهما فى النزاع . ولكن العرض الأول رفضه العرب ، والعرض الثانى رفضه الإسرائيليون ، ولم تسفر تلك المحاولات عن شىء .

وفى شهر يناير عام ١٩٥٦ وجد داج همرشلد سكرتير عام الأمم المتحدة أن الحالة قد بلغت من الخطورة حداً يتطلب منه التوجه بنفسه إلى القاهرة وإلى القدس ظنا أن خطأ أو صواباً ، أن فى استطاعته أن يحصل من الطرفين على اتفاق خاص بوضع منطقة العوجة .

وبعد ذلك ببضعة أسابيع خشى مجلس الأمن حدوث انفجار فى المنطقة ولكن إمكانياته كانت مقيدة بسبب المواقف المتعارضة بين الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى الذى وصلت علاقات إسرائيل به إلى أدنى مستوى لها ، فقرر مجلس الأمن مرة أخرى الالتجاء إلى سكرتير عام الأمم المتحدة وفى اليوم التالى مباشرة للتصويت على هذا القرار قام أحد الضباط

---

(١) وهو الرئيس السابق لعصابة الارجون الارهابية .

(٢) Aleum, op. cit, pp. 376–377

الإسرائيليين فى مبادرة من جانبه — على حد رأى أحــد الباحثين (١) — بضرب مدينة غزة بالقنابل محدثاً فيها ستة وخمسين قتيلا ومائة وثلاثة من الجرحى ومتسبباً بذلك فى قيام موجات جديدة من غارات الفدائيين على طريق بئر سبع وبالقرب من الرملة حيث قتلوا مجموعة من الأطفال .

وجاء همرشلد إلى المنطقة فى يوم ١٠ من نوفمبر وراح يباشر محادثات واسعة فى كل من القاهرة والقدس ودمشق وعمان وبيروت ، وأثار سكرتير عام الأمم المتحدة فى تلك المحادثات كل المشكلات القائمة : موضوع الفدائيين ومشكلة حظر مرور إسرائيل فى قناة السويس ، ومسألة تحويل مياه نهر الأردن ، ومشكلة سكوبس وموضوع العوجة . وفى نهاية الأمر حصل السكرتير العام على وعد من جميع الأطراف بألا يبادر واحد منهم إلى البدء بإطلاق النار وأن تغلق كل من الأردن ومصر حدودها فى مزيد من الأحكام أمام الفدائيين .

غير أن هــذه الرحلة الثانية التى قام بها السكرتير العام للأمم المتحدة لم تكن أسعد حظا من رحلته الأولى ، إذ لا هذه ولا تلك توصلت إلى إيجاد حالة هدوء دائمة .

وفى شهر يونية عام ١٩٥٦ أخلت آخر الحاميات البريطانية القواعد التى كانت تشغلها فى منطقة السويس ، وكانت منها تستطيع أن تقوم فاصلا بين الإسرائيليين والمصريين .

وحينما أعلن عبد الناصر فى ٢٦ مايو سنة ١٩٥٦ تأميم الشركة العالمية لقناة السويس ارتفع مقامه فى العالم العربى بوجه عام وفى الأردن بوجه خاص إلى حد لم يصل إليه من قبل أبداً وراحت الحوادث على الحدود الأردنية تتضاعف وتزداد خطورة أسوأ بعد أسبوع . وبرزت ظاهرة

---

(١) Ibid, p. 378.

جديدة هى تدخل الجيش الأردنى فى هذه الحوادث مما تسبب عنه أن جن جنون الإسرائيليين فترتب على ذلك زيادة أعمال الانتقام من ناحية الإسرائيليين وأصبحت هذه الأعمال كثيفة فى غرندل وشرفة وقلقيلية، ثم أقدم الإسرائيليون على سحب ضباطهم من لجنة اتفاقية الهدنة وعلى منع مراقبى لجنة الهدنة التابعة للأمم المتحدة من القيام بتحقيقاتهم داخل أراضيهم وأخذت الصحافة والإذاعات توجه التهم المتبادلة . وكأنه أحد الجانبين يكتب فيقول :

« إذا انهارت الأردن ، فلن تظل إسرائيل مكتوفة الأيدى، ولن تكون الأردن ميراثا لمصر » .

فيرد عليه الآخر قائلا :

يجب أن تزول إسرائيل من الوجود ، وإسرائيل ذاتها تعرف أن هذا هو الحل الذى لامناص منه . . . . أن لدى الجيوش العربية اليوم من السلاح ما يكفى لمهاجمة إسرائيل » .

وبلغت الحالة حداً من الحرج على أثر حادثة قلقيليا جعلت السفير البريطانى فى تل أبيب ينذر الحكومة الإسرائيلية ، فى يوم ١٢ من أكتوبر، أن العودة إلى القتال ضد الأردن سوف تستتبع تنفيذ الشروط الواردة فى المعاهدة المبرمة بين إنجلترا والأردن » .

غير أن جميع النداءات التى تستهدف الحيطة والحذر بدت وكأنه قد فات أوانها ، فقد راح بن جوريون منذ بداية شهر نوفمبر يقترح على حكومته — يؤيده فى ذلك رئيس هيئة أركان الحرب الإسرائيلى موشى ديان (١) — القيام بمهاجمة مصر لفك الحصار عن مضيق تيران ولوضع

---

(١) نجد الدليل على الأهمية التى كانت تعلقها إسرائيل على مسألة فتح مضيق تيران وعلى الدور الذى قامت به هذه الضرورة فى الهجوم الاسرائيلى على سيناء فيما كتبه :

حد لغارات الفدائيين التى لم تعد تكفى لمقاومتها العمليات التى من قبيل عملية قلقيلية .

أما فى الجانب العربى ، فعلى الرغم من الضغط الإسرائيلى إزدادت الموجة الناصرية فى أرجاء الأردن ، وأدت الانتخابات التى أجريت يوم ٢٢ من أكتوبر إلى فوز أغلبية كبيرة من النواب الوطنيين الموالين لعبد الناصر جاءوا إلى البرلمان ، وبعد ذلك بيومين وافقت الأردن على انضمامها إلى الاتفاق الثلاثى ، ووضعت جيشها تحت قيادة القائد المصرى عبد الحكيم عامر .

وعلى الجانب الإسرائيلى ، لم تخف إسرائيل قط رفضها بوجود جيش عربى متحالف مع مصر على حدود الضفة الشرقية لنهر الأردن فى مكان يتصل بالقدس ويقع على بعد ١٥ كيلو متراً من تل أبيب ، وأعلنت إسرائيل صراحة أن حدوث وضع كهذا سوف يترتب عليه تدخل عسكرى من جانبها .

وفى الليلة ما بين ٢٩ ، ٣٠ من أكتوبر بعد أن قامت إسرائيل بمناورة للتمويه فى اتجاه الأردن ، إجتاز جيشها الحدود الفاصلة بينها وبين سيناء .

وهكذا كانت إسرائيل هى البادئة بالعودة إلى القتال ، وقد أثار عملها هذا تنديداً قاسياً بها من قبل الرأى العام الحالى ، ومن الثابت أن وضع إسرائيل خلال السنوات السبع السابقة

Dayan, Moshe : Dairy of the Sinai Compaign, op.cit, Ben Gurion, David, Pearlman Moshe : Ben Gurion looks baek in talks with Moshe Pearlman, op. cit p. 122.

حيث جاء قول بن جوريون : « إن الشىء الذى يهمنا بالدرجة الأولى هو الشاطىء المحيط بايلات وبالخليج . إنى أتوقع أن بعض الدول سوف تضطرنا إلى الانسحاب .. لأن الخليج لا يمثل بالنسبة لها دوراً استراتيجياً أما الدور الاستراتيجى الذى يمثله بالنسبة لنا فهو أن تتوفر لنا كامل الحرية فى الملاحة حتى ولو لم نحتله » .

لم يكن فيه شيء يبرر موقفها هذا ، ومن الثابت أيضاً أن إثارة الحرب الوقائية(١) تعتبر بوجه عام من الأمور التي يلام عليها صاحبها وهي في كثير من الأحيان — ومنها حالة إسرائيل هذه — من الأمور المرذولة المستهجنة .

العدوان الثلاثي :

بدأت الحوادث تتوالى في سرعة مذهلة إبتداءاً من ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ واندفع الجيش الإسرائيلي(٢) في داخل سيناء فيصل في مدى مائة ساعة إلى حافة قناة السويس .

وفي يوم ٥ نوفمبر كانت شبه جزيرة سيناء كلها في قبضة إسرائيل بعد تشتيت الجيش المصري ؛ وبذلك كسب الإسرائيليون أقصر حرب في التاريخ ، غير أن تلك الحملة كانت تحيط بها حوادث ذات مدى أوسع من ذلك بكثير ، إذ كانت بريطانيا وفرنسا تستعدان هما الأخريان للهجوم على مصر بعد أن قامت مصر بتأميم شركة قناة السويس العالمية الذي أعلنه عبد الناصر في خطابه بتاريخ ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٦ .

وكان قد عقد في لندن مؤتمر من الإنجليز والفرنسيين والأمريكيين ،

---

(١) من بين التصريحات العديدة المحتوية على التهديد من جانب العرب ضد إسرائيل نذكر ما جاء في خطاب ألقاه عبد الناصر في يوم ١٨ من يوليو عام ١٩٥٥ وقال فيه ، « إنه يحذر المسئولين الاسرائيليين القائلين — إن الجمهورية العربية المتحدة تنتظر بفارغ الصبر اللحظة التي نتبارى فيها للمرة الأخيرة مع إسرائيل والتي تأخذ فيها بثأرها » .

(٢) لن نتعرض في هذا البحث لتفاصيل العمليات العسكرية غير أن الأهداف التي حددت لقائد الحملة موشى ديان هي : خلق تهديد عسكري موجه إلى قناة السويس باحتلال مواقع على مقربة منها والاستيلاء على المواقع التي تتحكم في خليج العقبة ثم التوصل إلى تدمير الجيش المصري في سيناء .

Dayan, Moshe : Dairy of the Sinia Compaign, New York 1967, p. 250-263.

حيث تضمن حجم القوات المصرية والاسرائيلية في سيناء آنئذ .

وذلك فى خلال المدة من ٢٩ من يوليو إلى ٢ من أغسطس ، وتمت الموافقة فى هذا المؤتمر على مشروع تقدم به فوستر دالاس حيث تقرر عقد مؤتمر دولى يضم المستفيدين من القناة .

وقد رفضت مصر حضور هذا المؤتمر فاجتمع ممثلو ثمانى عشر دولة فى لندن فى الفترة من ٢٦ من أغسطس حتى ١٠ من سبتمبر عام ١٩٥٦ ، واختار المؤتمر لجنة من خمسة أعضاء لمحاولة إيجاد أساس للتفاهم مع مصر ، غير أن مصر تمنعت عن الوصول إلى هذا التفاهم ، فاجتمع مؤتمر ثان من ثمانى عشرة دولة فى لندن أيضاً فى الفترة ما بين ٢٩ : ٢١ سبتمبر وتم فيه إنشاء هيئة المستفيدين من استخدام قناة السويس .

وفى يوم ٢٣ من سبتمبر أثارت كل من بريطانيا وفرنسا الموضوع أمام مجلس الأمن الذى اعتمد فى قراره الصادر فى يوم ١٣ من اكتوبر عام ١٩٥٦ جزءاً من المقترحات البريطانية الفرنسية وهو الجزء الخاص بحرية المرور قناة السويس ولكن مع تأييد المجلس للسيادة المصرية عليها(١) .

وعموماً فقد وحدت فرنسا وبريطانيا عمليتها مع عملية الجيش الإسرائيلى واصطنعتا مهلة لتدخلهما بأن وجهتا لكل من مصر وإسرائيل فى يوم ٣٠ من اكتوبر إنذاراً يأمرانهما فيه بأن تسحبا جنودهما فى مدى إحدى عشرة ساعة على بعد عشرة أميال من جانبى قناة السوس . وكما كان متفقاً عليه قبلت إسرائيل هذا الإنذار ورفضته مصر ، كما كان متوقعا إذ كيف لها أن أن تقبل وهى ضحية للعدوان ؟ أن تترك خط دفاع لها واقعاً على بعد مائتين وخمسين كيلو متراً داخل حدودها .

وفى نفس يوم ٣٠ اكتوبر هذا عارضت كل من فرنسا وبريطانيا

---

(١) Year Book of the Unitéd Nations, New York : United Nations, Department of Public Information 1956–1957,

العظمى عن طريق الفيتو قراراً أصدره مجلس الأمن يقضى بوقف إطلاق النار فوراً على الجبهة المصرية .

وفى يوم أول نوفمبر تعللت كل من بريطانيا وفرنسا برفض مصر للإنذار الموجه منهما إليها وقامتا بضرب الأهداف العسكرية فى كل من القاهرة والإسكندرية وبور سعيد والاسماعيلية مستخدمتين فى ذلك طيرانهما المتمركز فى جزيرة قبرص .

وفى يوم ٤ من نوفمبر ألقتا بالمظليين على بور سعيد وأنزلتا قواتهما التى راحت تتقدم مسرعة فى اتجاه الاسماعيلية ، ولكنهما اضطرتا فى يوم ٦ من نوفمبر إلى الامتثال لقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة وللضغط الأمريكى وللتهديد من قبل الاتحاد السوفيتى بالالتجاء إلى استخدام وسائل الردع الذرى ، وكانت فرنسا لا تنوى التراجع أمام هذه المحظورات ولكنها لم تجرؤ على معارضتها منفردة وامتثلت للأمر بعد نقاش مثير حول موقف شريكتها بريطانيا .

وفى يوم ٧ من نوفمبز صدر قرار آخر من الجمعية العامة للأمم المتحدة يأمر المعتدين بسحب قواتهم إلى ما خلف الخطوط التى بدأوا منها زحفهم ولم يتم الامتثال لهذا الأمر بغير تلكؤ ومماطلة ، ولم يسحب البريطانيون والفرنسيون آخر قواتهم إلا يوم ٢٢ من ديسمبر بينما تم سحب القوات الإسرائيلية يوم ٧ من مارس التالى .

ثم حلت « قوة الطوارئ » الدولية التى أنشأتها هيئة الأمم المتحدة وأطلق عليها اسم « قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة » .

وحلت قوة الطوارئ محل القوات المعتدية على الحدود بين مصر وإسرائيل وفى أثناء هذه الفترة كانت مصر قد أغرقت بعض السفن فى مجرى قناة السويس وراحت سوريا تنسف محطات الضخ التابعة لشركة البترول العراقية وقطعت معظم الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا أو بريطانيا أو معهما معاً .

قصة التواطؤ :

أصبح من المعروف أن رجالا رسميين من الفرنسيين والإنجليز والإسرائيليين قد اجتمعوا فى بلدة سيفر فى خلال شهر اكتوبر سنة ١٩٥٦ وقد ساهم بن جوريون فى هذا الاجتماع حيث توصلوا إلى اتفاقية سرية تم التوقيع عليها فى سيفر يوم ٢٣ اكتوبر بين كل من انجلترا وفرنسا وإسرائيل، وقد أوضحنا كيف تلاقت أطراف العدوان الثلاثة رغم اختلاف دوافعهم تماما ، وعموماً فان إسرائيل كانت تريد اقناع العرب بأنهم غير قادرين عسكرياً على النيل منها ؛ وفرنسا تعتقد بأن تغيير النظام فى مصر سيحرم الثوار الجزائريين من أهم العناصر المؤيدة لهم ماديا ومعنويا ، أما بريطانيا فكانت ترى أن النظام المصرى يعرقل خططها فى المشرق العربى وهى – أى بريطانيا – غير مستعدة لإظهار تواطئها مع إسرائيل لأن الخطط البريطانية تقوم على أساس وجود أصدقاء على رأس بعض الحكومات العربية كنورى السعيد فى العراق .

ولا شك أن ثبوت التواطؤ سيحرج مركز هؤلاء الأصدقاء ، بينما لم يكن يعنى فرنسا أن تعرف صلاتها باسرائيل ، وقد أخذت منذ ٧ أغسطس تمتنع عن إبلاغ شركائها فى حلف الإطلنطى بصفقات السلاح خلافاً لما هو مألوف ، كذلك قامت بتزويد اسرائيل بكل ما تحتاجه من أسلحة ، وربما مال بعض الصهاينة فى هذا الوقت المبكر –

إلى القيام بعمل انفرادى يحرزون به نصراً على مصر وبذا يؤكدون قدرتهم على البقاء دون الحاجة إلى مساعدة مباشرة من الخارج ، وهذا الأسلوب — طبقاً لما يراه بعض الباحثين — يعتبر أفضل بالنسبة لإسرائيل دبلوماسياً ومعنوياً(١) .

فمن الناحية الدبلوماسية ربما تلاشت المعارضة الأمريكية لعمل اسرائيل بمفردها بخلاف ما إذا اشتركت مع دولتين كبيرتين من حلفاء الولايات المتحدة فى حلف الإطلنطى بدون استشارتها ، بل ان المشاركة مع بريطانيا وفرنسا يضر ضرراً أشد بعلاقات إسرائيل مع الكتلة الشيوعية وهى علاقات ما تزال طبيعية إلى حد ما .

ومن الناحية المعنوية إذ اشتركت بريطانيا وفرنسا مع إسرائيل فى عدوان مباشراً فلن يقتنع أحد بأن إسرائيل قادرة على كسب معركة ضد العالم العربى المحيط بها فضلا عن حماية نفسها . ويهم القادة الإسرائيليون التأثير المعنوى على يهود العالم واقناعهم بقدرة اسرائيل على البقاء والتوسع حتى يقبلوا على الهجرة ونقل أموالهم إليها .

ويمكن تفسير أسباب اتجاه اسرائيل إلى مشاركة بريطانيا وفرنسا فى العدوان بما يلى :

خشيت اسرائيل أن تقامر بحرب مع مصر قد تجر أيضاً معها دولا عربية أخرى وتؤدى الى تدمير المدن الإسرائيلية ، ولم يخف بن جوريون هذه المخاوف أثناء مباحثاته مع المسئولين الفرنسيين فى نهاية اكتوبر حينما طلب إليهم غطاء جوياً مباشراً وساعدت(٢) فرنسا بالفعل باقامة

---

(١) شايلدرز أرسكين : الطريق إلى السويس ، مرجع سابق ص ص ٢٢١-٢٤٢ .

(٢) Aleum, op. cit, p. 383-384.

المظلة الواقية فوق إسرائيل بل وساهم الطيران الفرنسي بعد ذلك في عمليات الإمداد ثم اشترك أيضاً في الهجوم على وحدات أرضية في سيناء وعاون معاونة كبيرة في إنجاح العمليات العسكرية عن طريق القضاء على كل تهديد جوى يمكن أن يأتي من جانب مصر .

كذلك طلب بن جوريون مساعدة الأسطول الفرنسي في دك موقع رفح الحصين (١) ، ومن الوقائع (٢) المؤكدة أيضاً أن الأسطول الفرنسي ساهم في عملية الاستيلاء على الفرقاطة المصرية « إبراهيم الأول » ، وقد قامت إحدى الطرادات الفرنسية بضرب تحصينات رفح — تلبية لرغبة بن جوريون — قبل هجوم الإسرائيليين عليها .

ومن السخف التعلل بجهل هذه الوقائع أو محاولة التشكيك في صحتها .

وبالرغم من أن فرنسا كانت قد عقدت النية على التواطؤ التام مع إسرائيل ، إلا أنها عمدت إلى تغيير طلاء السفن التي صارت تقطع البحر المتوسط ذهابا وأيابا بين موانى فرنسا الجنوبية وبين إسرائيل منعا لاثارة الشبهة ، كذلك غيرت شارات طائرات المستير التي أرسلت على عجل للتدريب وقدرت الدفعة الأخيرة بـ ٦٠ طائرة .

وفى ٢٦ سبتمبر ١٩٥٦ أعلن بن جوريون ، أنه صار لبلاده حليف قوى تعتمد عليه .

---

(١) Azeau, Le peige de Suez, paris 1964, p. 247.

(٢) وهو ما ينفيه الكولونيل هنريك في كتابه عن السويس ، وعموماً فان الوثائق المتعلقة بهذه الوقائع لم تنشر بعد وأن الأشخاص الذين هم على علم بها غير مصرح لهم بالتحدث عنها ، وعموماً فهناك مؤلفات تميزت بقدر من الجاذبية ومنها كتاب Azeau. المشار إليه هنا وكذا :

Berger, Brom : Les Secrets de l'expedition d'Egpte Paris, 1966.

— أسرار الحملة على مصر لمؤلفه سرج دميرى .

— السويس — سرى جداً — لمؤلفه بارزوهار .

ومن الأمور الطريفة حقا أن يدعى أيدن فى مذكراته أنه لم يتخذ استعدادا للتدخل فى الشرق الأوسط قبل ٢٥ أكتوبر وأن هذه الاستعدادات تقررت فى حالة وقع نزاع لم يكن يعرف عنه شئ ثم كشفت الدراسات الإنجليزية المعتمدة على الوثائق فيما بعد كذب تلك الأدعاءات ، فمنذ منتصف سبتمبر أوفدت وزارة — الخارجية البريطانية الكولونيل هتريك فى مهمة احيطت بالسرية إلى تل أبيب وقد أبلغ المسئولين هناك بأنه إذا أرادت إسرائيل أن تهاجم مصر فستغمض بريطانيا العين شريطة أن يعمل كل فريق منفردا وستستخدم بريطانيا نفوذها بعد ذلك لمساعدة إسرائيل على عقد صلح مع العرب ، وإذن فإن الخطة الأولى الإنجليزية انبنت على أساس عمل انفرادى إلى أن سطت فرنسا لتعديل الخطة على الطريقة التى ستنفذ فيما بعد .

ويقال أن بريطانيا لم توافق على خطة العدوان الثلاثى إلا فى اجتماع باريس الذى تم بين رئيس حكومتى بريطانيا وفرنسا ووزيرى خارجيتهما فى ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ غير أن أيدن أعلن فيما بعد أنه درس فى هذا الاجتماع الخطة الجديدة التى وافقت عليها مصر يوم ١٣ أكتوبر لتنظيم الملاحة فى قناة السويس. ولكى تزيد الحكومة البريطانية فى إخفاء تواطؤها لم تعمد إلى سحب رعاياها من مصر الذين يبلغ عددهم ١١ ألفا كما لم يستدع السفير البريطانى من القاهرة بخلاف السفير الفرنسى .

وصار من المعروف الآن أن بن جوريون قام بزيارة إلى باريس أثناء انعقاد هذا المؤتمر السرى ، وإذن فقد كانت بريطانيا على علم تام بخطة العدوان ، لكن كانت هناك اتفاقات جانبية بين فرنسا وإسرائيل حول التفاصيل ربما لم تبلغ إلى بريطانيا ،

ويعتقـــد البعض (١) أن اختيار يوم ٢٩ أكتوبر للبدء

(١) Azeau, Le Piege de Suez, op. cit, pp. 240–241.

بالهجوم على سيناء جاء مفاجأة لبريطانيا التى اقترحت يوم ٢ من نوفمبر . وكان بعض العسكريين يفكرون فى تأجيل الحملة إلى الشتاء .

كذلك قام بن جوريون بزيارة خاطفة إلى باريس يوم ٢٤ أكتوبر حيث يظن أنه وضع التفاصيل النهائية لخطة العدوان .

وفى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٦ نفى أيدن أمام مجلس العموم البريطانى أنه كان يدرى سلفا بالهجوم الإسرائيلى وصرح بأن الترتيبات التى اتخذت منذ ٢٥ أكتوبر كانت تستهدف فقط مواجهة احتمال نشوب حرب ، وتمادى أيدن فى التمويه إلى حد أنه كشف معلومات عن إمكان قيام مصر بهجوم على إسرائيل ونقل أوراقا مزيفة قال أنها اكتشفت فى سيناء تدل على وجود هذه النية .

وللأسف كان بوسع دول العدوان أن تستشهد بتصريحات الصحف والأذاعة فى مصر ، مثلا حينما شنت إسرائيل غارة قلقيلية على الأردن صرح المسئولون فى مصر باستعدادهم للدفاع عن الأردن وكان المقصود هو التأثير على نتائج الانتخابات النيابية ، ولكن لم يكن من المعقول أن تفكر مصر فى المشاركة بجبهة بعيدة بينما هى قد سحبت نصف قواتها من سيناء ووضعتها غرب القنال لمواجهة احتمال هجوم بريطانى فرنسى .

وإذن لم يكن العقل السليم يقبل على الإطلاق احتمال هجوم مصرى على إسرائيل ، فى هذا الوقت بالذات ، بالذات ، بل على العكس كتب بيرنز فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٥٦ إلى داج هرشلد ليعبر عن مخاوفه من سحب نصف القوات المصرية من سيناء وتناقصها إلى ستين ألفا مما يغرى إسرائيل بشن العدوان (١) .

---

(١) Burns, L. t. general e, L. M. Between Arabs and Israel New York, 196s, p. 169.

وفضلا عن ذلك فان تصريحات أيدن كانت تفتقد المنطق والدليل لسبب آخر وهو أن قبرص ، القاعدة البريطانية فى شرق المتوسط ، صارت مكان تجمع القوات الفرنسية ومنها انطلقت كثير من المساعدات الجوية والبحرية إلى إسرائيل ، فمن المستحيل إذن أن تكون بريطانيا قد جهلت تماما هذه الاتصالات .

وهناك عدة تفسيرات تشرح أسباب تقديم بن جوريون موعد الهجوم إلى ٢٩ أكتوبر ، ومن هذه التفسيرات رغبة بن جوريون أن تكون لديه مدة أطول للانفراد بالعملية ، وفى هذه الحالة يمكن القول بأن الأنذار الإنجليزى الفرنسى جاء بأسرع مما كانت تتوقعة السلطات الإسرائيلية ومنها وهو سبب هام أيضا ، إنشغال العالم بمسألة المجر ، ومن المعروف — أن الاتحاد السوفيتى قد تدخل بالقوة لمنع ثورة داخلية فى أواخر أكتوبر ، ومن الممكن استغلال هذا الحادث لتبرير العدوان والرد على الولايات المتحدة إذا اعترضت على العدوان الثلاثى بأن عليها من باب أولى أن تمنع « العدوان السوفيتى على المجر » .

ويتضح من ذلك أن دول العدوان كانت تحسب حساب المعارضة الأمريكية أكثر مما تلقى بالا للمعارضة السوفيتية حتى أنه كان من أسباب اختيار يوم ٣ أو ٤ نوفمبر لبدء العدوان تصادف هذين اليومين مع انتخابات الرئاسة الأمريكية بحيث تكون جميع الأجهزة هناك منشغلة فى هذا الموضوع عن شئون السياسة الخارجية .

ومنها خشية إسرائيل أن يحدث تحول فى السياسة البريطانية فى آخر لحظة وذلك بعد أن لاحظت تردد المسئولين الإنجليز هناك وانقسام الرأى

---

(١) Dayan, Moshe : Dairy of the Sinia Compaign, op. cit, p. 87.

فيما بينهم حول سلامة التواطؤ مع إسرائيل ، وبتشجيع من فرنسا قدمت إسرائيل موعد الهجوم .

وتتعارض رواية ديان حول هذه النقطة مع معظم الشهادات البريطانية الرسمية فهو يصر على أن موعد الهجوم كان متفقا عليه بين الأطراف الثلاثة منذ اللقاء الشهير فى ١٥ أكتوبر ، وكان مقدرا أن تنفرد إسرائيل باحتلال سيناء وتتدخل القوات الإنجليزية الفرنسية المشتركة غرب القناة ابتداء من ٣١ أكتوبر .

وعموما فقد كان مقررا فى الأصل أن تبدأ إسرائيل الهجوم يوم ٢ أو ٣ نوفمبر وأن يوجه الأنذار بعد ثلاثة أيام على الأقل حينما تكون القوات قد وصلت بالفعل إلى القناة أو إلى مسافة قريبة منها وقدرت أربعة أيام لقطع المسافة التى تبلغ طولها ١٥٠ ميلا ، ومن الجائز توجيه الانذار لمجرد وصول طلائع أمامية وليس لاحتلال شبه الجزيرة كلها إذا كان مقدرا لهذا الاحتلال من سبعة إلى عشرة أيام ، إذن كيف تعجلت بريطانيا وفرنسا فى توجيه الإنذار إلى مصر بعد مضى نحو أربع وعشرين ساعة على العدوان الإسرائيلى مع أن التوقيت يضر بمركز الدول الثلاثة دبلوماسيا ، وهو لا يوافق هوى زعماء الصهاينة الذين يريدون أن يظهروا للعالم قدرتهم على نصر منفرد على حساب مصر ، وهو من جهة أخرى يثبت التواطؤ الذى كانت بريطانيا تحاول جاهدة أن تخفيه .

وهناك دليل آخر يؤكد التواطؤ البريطانى ، فقد شاركت بريطانيا فى حملة تضليل واسعة ، حيث أخذت تجمع حشودها فى مالطة منذ ٢٧ أكتوبر مبررة ذلك بأنها تريد عدم توسع الصراع فى الشرق الأوسط ، وبعبارة أخرى تظاهرت بريطانيا بأن الهدف من ذلك هو عدم امتداد الصراع إلى بلاد عربية أخرى غير مصر ، على أن المصادر الإسرائيلية ذاتها تكذب هذه المناورة البريطانية فهى تشكو من أن السفير البريطانى فى تل أبيب هدد بتنفيذ معاهدة التحالف مع الأردن إذا تعرض للهجوم .

وظن البعض فى مصر ، بعد إنزال المظليين ، فى مضيق متلة أن العملية ربما تكون مجرد محاولة لصرف الأنظار عن الهدف الحقيقى وهو الاستيلاء على الضفة الغربية .

وتوالت نداءات إيزنهاور (١) إلى بن جوريون بعدم البدء بالهجوم ، سواء على مصر أو الأردن قائلا بأنه سيعمل على تسوية كل الخلافات بعد الانتهاء من انتخابات الرئاسه ، وفى نفس الوقت استفسرت السفارة الأمريكية فى باريس عما يجرى هناك من استعدادات حربية فكان الجواب بأنه لاتوجد نية للقيام بعمل حربى ما ، وسوف نجد أن الولايات المتحدة قد انصب غضبها بعد ذلك على بريطانيا وفرنسا لأن موقف بريطانيا وفرنسا جاء منافيا لما تقتضيه معاهدة حلف الإطلنطى وذلك أكثر مما نال إسرائيل وهى التى ستخرج وحدها رابحة من العدوان (٢) .

وكان أيدن كما ذكرنا مترددا فى الأسلوب الذى يتبعه لتنفيذ العدوان ، وعلاوة على ذلك ، فان الرأى صار منقسما بين أعضاء الحزب ولهذا خشيت فرنسا أن تفوتها الفرصة حينما اقترحت بريطانيا تأجيل الحملة إلى الشتاء ، وأخيرا وبضغط من الفرنسيين تقرر التعجيل بالإنذار وجعله تاليا لبدء الهجوم الإسرائيلى بأقل من يوم ، وكان الفرنسيون يتوقعون أن تنزل قوات الحلفاء المشتركة بمجرد تحطيم المطارات المصرية غير أن تردد أيدن واحتياطاته الشديدة أخرت النزول البرى إلى ٥ نوفمبر ، ولذا كانت تنشأ من حين إلى آخر خلافات بين الحليفين (٣) فذهب أيدن مدفوعا بتفكيرة المنافق ورغبته فى

---

(١) White House News statement, October 29, 1956. United states policy in the Middle East, September 1957. (Departement of state publication 6506, Near and/Middle Eastern series 25, Washington D. C. superntendent of documents, U. S. goverument primary office, 1957, p. 137–138.

(٢) American Foreign Policy 1956, p. 864.

(٣) Dayan, Moshe : Dairy of the Sinia compaign op. cit, p. 192.

إخفاء التواطؤ ما أمكن إلى حد أنه اقترح أن تعلن بريطانيا أولا فى مجلس الأمن استنكارها للهجوم الإسرائيلى ويجرى ذلك فى نفس الوقت الذى يضرب فيه سلاح الطيران البريطانى المطارات المصرية استعدادا لغزو البلاد، فلم يوافق الفرنسيون على هذا الأسلوب وكانوا على خلاف الحكومة البريطانية أكثر منطقية مع أنفسهم فى متابعة العدوان .

على أن من الملاحظ أن الطيران الإسرائيلى لم يتدخل فى المعركة إلا من وراء السلاح الجوى البريطانى والفرنسى ، ولم يلعب الدور الحاسم فى عام ١٩٥٦ ، والسبب هو خوف الإسرائيليين من انتقام السلاح الجوى المصرى وهو ما تؤكده شهادات بعض المسئولين الإسرائيليين أنفسهم .

والخلاصة أن دور إسرائيل الرئيسى فى حملة سيناء كان هو القيام بحملة برية لاحتلال سيناء بحيث تصل فقط إلى المسافة التى قررها الإنذار الإنجليزى الفرنسى .

وبالرغم من أن التواطؤ كان واضحا بين أطراف العدوان ، إلا أن العدوان لم يجر دون وقوع خلافات بين أطرافه المختلفة ومن الحقائق الهامة التى كشفتها مذكرات ديان محاولة جرت لتعديل خطة الحملة على أساس انفراد فرنسا بغزو بورسعيد على أن تترك سيناء للإسرائيليين يتصرفون فيها كيف شاءوا حتى الضفة الشرقية للقناة ، وجاءت المبادرة من القيادة الفرنسية ورحب ديان بالخطة — غير أن الفرنسيين تراجعوا خوفا من التورط فى مغامرة لا يستطيعون مواجهتها وحدهم .

الأزمة فى الأمم المتحدة وردود الفعل :

انعقد مجلس الأمن فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ بناء على طلب الولايات المتحدة، حيث تحدث المندوب السوفيتى أمام المجلس فأدان العمل الإسرائيلى وطالب بوقف العمليات الحربية وانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى المصرية ، وأعرب عن رأيه بأن عدم امتثال إسرائيل لأمر وقف الأعمال

العسكرية سوف يستلزم تطبيق المجلس لإجراءات صارمة بموجب الفصل السابع من الميثاق، وربما إلى تبنى مشروع القرار الأمريكى الذى كانت فقراته الخاصة باسرائيل ترى فى العمل الإسرائيلى خرقا لاتفاقية الهدنة ، وتطالب إسرائيل بسحب قواتها فورا إلى ماوراء حدود الهدنة ، وتطالب الأعضاء بالامتناع عن تقديم أية مساعدة عسكرية أو اقتصادية أومالية إلى إسرائيل طالما أنها لاتلتزم بهذا القرار .

وبعد الاتفاق فى تبنى المشروع الأمريكى لمعارضة بريطانيا وفرنسا له أعاد المندوب السوفيتى تقديم ديباجته والفقرة الخاصة بانسحاب إسرائيل كمشروع سوفيتى ، ثم عدله بناء على طلب مندوب الصين بأن يدعو المشروع إلى وقف اطلاق النار حيث لم يكن ممكنا من الناحية الفنية أن يتم الانسحاب دون وقف أطلاق النار — وبالطبع لم يتم تبنى هذا المشروع أيضاً لنفس السبب (١) .

ثم تقدمت يوغوسلافيا (٢) فى ٣١ أكتوبر بمشروع قرار يدعو فيه مجلس الأمن لدورة طارئة للجمعية العامة وفق قرار « الإتحاد من أجل السلام » ويعد السلوك السوفيتى هنا مثالا طيبا على الطبيعة السياسية للسلوك السوفيتى فى الأمم المتحدة ، فها هو الاتحاد السوفيتى الذى نشأ قرار الاتحاد من أجل السلام أصدر لمواجهة استخدامه لحق الاعتراض والذى عارض من ثم هذا القرار بصوت إلى جانب المشروع اليوغوسلافى (٣) ، وقد أصبح مجلس

---

(١) International Organization, Vol. XI, no. 1, winter 1957, pp. 110–112.

ومشروع القرار المقدم من الولايات المتحدة إلى مجلس الأمن بخصوص العدوان الإسرائيلى على مصر — ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ فى: ملف وثائق فلسطين ج ٢ ، مرجع سابق ص١١٩١ ، ومشروع القرار السوفيتى إلى مجلس الأمن بخصوص العدوان الإسرائيلى على مصر— ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ — فى : المرجع السابق ص ١١٨٩ .

(٢) Hadawi, Sami : Nnited Nations publicatious on Palestine 1947–1966.

(٣) Year Book of the United Nations, 1956, op. cit. pp. 27–28.

الأمن الآن مكانا غير موات بالنسبة لهذه المسألة بالذات وانتفى وضع الأقلية داخل الجمعية العامة بالمعارضة الأمريكية العدوان ، وكذلك المعارضة العالمية المتوقعة له داخل الجمعية العامة ، وقد تبنى المجلس مشروع القرار اليوغوسلافي وفى نفس اليوم انعقدت الجمعية العامة فى ١ نوفمبر وتحدث المندوب السوفيتى فكرر المواقف السوفيتية السابقة من العدوان على مصر ، ودعا فى النهاية إلى تشكيل لجنة للأمم المتحدة من أجل مراقبة تنفيذ المقترحات التى ستنتهى إليها الجمعية العامة(١) .

وفى ٢ نوفمبر ، ٤ نوفمبر أيدالاتحاد السوفيتى فى الجمعية العامةمشروعى قرار أقرتهما الجمعيه ــ أولهما : أمريكى ، وثانيهما : آفرو آسيوى يتعلقان بوقف إطلاق النار فورا ، وسحب القوات الاسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة(٢) .

وإزاء عدم امتثال المعتدين لوقف إطلاق النار اتخذ الاتحاد السوفيتى فى ٥ نوفمبر مجموعةمن الخطوات سارت فى اتجاهين الأول يصب فى مجلس الأمن ، والثانى يتوجه إلى أطراف العدوان الثلاثة ، كما أن تلميحا مشتركا قد جمع بين الاتجاهين وهو التهديد صراحة أوضحنا بالقيام بعمل عسكرى لردع العدوان .

وبالنسبة للاتجاه الأول أرسل وزير الخارجية السوفيتى برقية لرئيس مجلس الأمن لاحظ فيها اشتداد العدوان على مصر بالرغم من قرار الجمعية العامة فى ٢ نوفمبر ولفت النظر إلى أن الوضع يفرض على الأمم المتحدة أن تتخذ إجراءات عاجلة وفعالة لايقاف العدوان وإلا ستفقد ثقة شعوب العالم فيها وسمحت بانتهاك مثلها ومبادئها . وبناء عليه فقد تضمنت البرقية دعوة مجلس الأمن لبحث هذه المسألة وإعداد مشروع قرار بشأنها .

---

(١) خطاب سوبوليف مندوب الاتحاد السوفيتى فى الدورة الاستثنائية الخاصة بالجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة حول مسألة عدوان انجلترا وفرنسا وإسرائيل على مصر أول نوفمبر عام ١٩٥٦ فى : الاتحد السوفيتى والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ص٤٧ ــ ٤٨ .

(٢) Year Book of th Uuitednations 1956, op. cit, p. 28.

وقد تضمن هذا المشروع مطالبة الحكومات المعتدية بايقاف كل الأعمال العسكرية ضد مصر خلال ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ القرار ، وسحب قواتها من مصر فى خلال ثلاثة أيام . وفى حالة عدم تنفيذها لهذا القرار يقرر مجلس الأمن قيام الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة وفى مقدمتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى باعتبارهما عضوين دائمين فى مجلس الأمن علكان أساطيل حربية جوية وبحرية بتقديم المساعدات الأخرى لمصر وذلك عن طريق إرسال قوات حربية وبحرية وجوية ووحدات عسكرية ومتطوعين وخبراء ومعدات عسكرية وأوجه المساعدة الأخرى وأكدت البرقية استعداد الحكومة السوفيتية للقيام بهذا العمل (١) .

ومن البديهى أن القادة السوفيت كانوا متأكدين سلفا باستخدام حق الاعتراض البريطانى والفرنسى ضد اقتراحهم ، وقبل ذلك عن صعوبة — أن لم يكن استحالة — اشتراك الولايات المتحدة معهم فى الردع العسكرى — حيث لن توافق الولايات المتحدة بالطبع عن وجود قوات عسكرية سوفيتية فى الشرق الأوسط عموما .

وعلى هذا لايخرج تفسير الموقف السوفيتى عن كونه أما تهديد قصد به أن يؤدى إلى ردع ، وأما تهديد لعمل سوفيتى منفرد يبرر نفسه باخفاق محاولة التدخل عن طريق الأمم المتحدة .

وقد اجتمع المجلس فى نفس اليوم ؛ واسقط — بالطبع — تبنى مشروع القرار السوفيتى ضمن جدول الأعمال ، وصوتت ضد ذلك كل من الدول الغربية الثلاثة الكبرى .

وبالنسبة للإتجاه الثانى أرسل بولجانين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى ثلاث رسائل إلى رؤساء مجالس وزراء بريطانيا وفرنسا وإسرائيل

---

(١) برقية وزير خارجية الاتحاد السوفيتى لرئيس مجلس الأمن لهيئة الأمم المتحدة ٥ نوفمبر عام ١٩٥٦ : فى الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط، مرجع سابق ، ص ص ٤٩–٥١.

وتعنينا هذه الرسالة الأخيرة(١)حيث كرر بولجانين فيها إدانة الاتحاد السوفيتي للعمل العسكري البريطاني الفرنسي ،ولفت النظر إلى الموقف المماثل للإغلبية الساحقة لدول العالم ، كذلك كرر الحديث عن عمالة إسرائيل للأمبريالية وإشار إلى « التأكيدات الباطلة على حبها للسلام وتطلعها للعيش فى سلام مع الدول العربية المجاورة » واعتبرها مجرد تمويه للاستعدادات للهجوم على جيرانها ، كما تضمنت الرسالة أن : « حكومة إسرائيل تلعب دورا أجراميا دون أن تستشعر المسئولية تجاه السلام وتجاه مصير شعبها عندما تنفذ إرادة الآخرين ، وعندما تعمل بأوامر من الخارج وأنها تزرع الكراهية لدولة إسرائيل بين شعوب الشرق تلك الكراهية التى يمكن أن تؤثر على مستقبل إسرائيل وتجعل مسألة وجودها كدولة موضع شك . . . . وأننا نأمل فى أن تتفهم قبل أن يتم تحذيرنا هذا حق الفهم وأن تستطيع تقييمه تقييماً صحيحاً » .

وقد كانت هذه هى المرة الأولى على اطلاق التى تحدث السوفيت فيها عن الوجود الإسرائيلي بهذه الطريقة(٢) .

وفى ٨ نوفمبر رد بن جوريون على الرسالة السابقة ، وقد تبريره الإسرائيلي بأنه كان عملا من أعمال الدفاع عن النفس بسبب السياسة التى اتبعها « حاكم مصر » منذ سنتين والتى تمثلت فى تنظيم قوات فدائية خاصة حتى بدأت فى مصر أولا ثم فى سوريا ولبنان والإردن لقتل الإسرائيليين ، وكذلك بسبب المقاطعة التى نظمها ضد إسرائيل ، ومنعه لها من المرور فى قناة السويس ومضيق تيران بالرغم من قرار مجلس الأمن فى عام ١٩٥١ المتعلق بحرية مرور السفن الإسرائيلية بالنسبة لقناة السويس وأخيرا بسبب الحلف العسكرى الذى عقده مع الأردن وسوريا ضد إسرائيل .

---

(١) رسالة رئيس مجلس الاتحاد السوفيتى إلى رئيس وزراء إسرائيل ، نوفمبر عام ١٩٦٧
فى : الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ، مرجع سابق ، ص ٥٦-٥٩ .

(٢) راجع : دكتور أحمد يوسف أحمد ، مرجع سابق .

وأكد بن جوريون التزامه بوقف إطلاق النار منذ أيام وعزم حكومته على الدخول فى مفاوضات مباشرة دون أية شروط مسبقة ، ثم أعرب فى الختام عن أسفه ودهشته لتهديد بولجانين ضد وجود إسرائيل ورفاهيتها ورفضه بأى ضغط على السياسة الخارجية لإسرائيل من الخارج (١) .

وفى ١٠ نوفمبر أضاف الاتحاد السوفيتى خطوة جديده فى التهديد بالتدخل ... ربما كانت أكثر تواضعا لكنها كانت أكثر تخويفا بحكم أنها بدت ممكنة التنفيذ — فبينما أعربت وكالة تاس فى بيان لها عن رضى الأوساط القيادية السوفيتية عن تصريحات حكومات انجلترا وفرنسا وإسرائيل الخاصة بوقف العمليات العسكرية أضافت فى الوقت ذاته مخاوف هذه القيادات من أن يكون هذا المسلك مناورة لكسب الوقت ، وبررت هذه المواقف باستمرار الغارات على بورسعيد وإنزال قوات جديدة فيها بعد هذه التصريحات ورفض الأطراف المعنية للأنسحاب من الأراضى المصرية . وأشار البيان إلى (٢) « الطلبات العديدة للمواطنين السوفيت ومن بينهم عدد كبير من الطيارين ورجال الدبابات والمدفعية والضباط الموجودين فى الاحتياط بالسماح لهم بالسفر إلى مصر كمتطوعين كى يناضلوا جنبا إلى جنب مع الشعب المصرى فى طرد المعتدين » .

وللمرة الثانية يتلقى بن جورين رسالة من رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ رد فيها على رسالة بن جوريون بتاريخ ٨ نوفمبر ، وفى هذا الرد ذكر بولجانين أن الحكومة السوفيتية تأخذ بعين الاعتبار أن حكومة إسرائيل قد أوقفت أطلاق النار ثم أعلنت عزمها

---

(١) Exchange of Notes Between Primier Bulganin and Prime Minister David Ben Gurion, in : Middle Eastern Afairs-irs, Vol. VIII no. Janoary **1957** ppo **13-15.**

(٢) بيان وكالة تاس حول عدوان انجلترا وفرنسا وإسرائيل على مصر — ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ فى : الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ، مرجع سابق ، ص ص ٦٠—٦٣ .

على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية ، وأنه من البديهي أن القوات الإسرائيلية التي يجب أن يتم سحبها من شأنها أن تستبعد احتمال حدوث استفزازات جديدة من جانب إسرائيل ضد الدول المجاورة لها .

وأشارت رسالة بولجانين إلى أن العدالة تتطلب أن تدفع إسرائيل وإنجلترا وفرنسا تعويضا لمصر عن الخسائر التي لحقت بها نتيجة للعدوان ، كذلك بأن تعيد إسرائيل إلى مصر كل الممتلكات التي استولت عليها قواتها المسلحة (١)

ولم يرد بن جوريون على رسالة بولجانين هذه المرة ، ويذكر أحد المصادر (٢) الإسرائيلية أن ذلك كان بسبب وضوح الاخفاق المطلق لأية محاولة لتغيير رأى موسكو .

ومنذ ذلك الحين وحتى أتمام إسرائيل انسحابها من الأراضي العربية فى ٨ مارس ١٩٥٧ ثابر الاتحاد السوفيتى على موقفه فى الأمم المتحدة وتمثل ذلك فى الوقوف المطلق بجانب فكرة انسحاب إسرائيل الفورى وغير المشروط من الأراضى المصرية وبالذات معارضة تعليق انسحابها على أية مطالب بالنسبة لقطاع غزة أو خليج السويس وقناة السويس (٣) .

غير أن الأمر الجدير بالإشارة هو أنه ابتداء من يناير سنة ١٩٥٧ ، وضع السوفيت مسألة انسحاب إسرائيل فى سياق المحاولة الأمريكية الجديدة

---

(١) رسالة رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى إلى رئيس وزراء إسرائيل فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ فى : الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ، مرجع سابق ص ص ٦٦-٦٧ .

(٢) Dagan, Avigdor : Moscow and Jerusalem op. cit, p. 112.

(٣) Year Book of the United Nations, 1956 p. 60.
International Organization, Vol XI no. 1 winter 1957 p. 691,
International Organization Vol. XI No. 2 spring 1957, p. 276, pp. 279–280.
Dagan, Avigdor : Moscow and Jerusalem op. cit p. 113.

للتدخل فى الشرق الأوسط فيما سمى بمشروع إيزنهاور (١) .

وتعد كلمة المندوب السوفيتى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٦ فبراير خير نموذج يوضح هذه المسألة ، وفى هذه الكلمة ذكر أن موقف التشدد الإسرائيلى المتمثل فى عدم الانسحاب من قطاع غزة والمطالبة باحتلال قوات الأمم المتحدة لمناطق استراتيجية فى مصر يخدم الشكوك الخطرة فى الشرق الأوسط ، و « التحقيق العملى والعاجل لمشروع أيزنهاور » ولذلك كان من الطبيعى أن يرجع هذا التشدد إلى تأييد الأوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة حيث الهدف الحقيقى لهم هو إرساء أقدام الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط وبالذات عن طريق أدعائها بقيام دور الحاكم والضامن أو رجل البوليس الدولى فى الشرق الأوسط .

وضرب سوبوليف مثالا على هذه المسألة بإعلان الولايات المتحدة عن عزمها على ضمان حرية الملاحة فى خليج العقبة إذا ما وافقت إسرائيل على سحب قواتها من أراضى مصر ، وربط ذلك بتصريح دالاس فى ١٩ فبراير بأن الولايات المتحدة تنوى أدخال سفنها فى خليج العقبة كى تضفى عليه صفة الملاحة الدولى .

قوة الطوارىء الدولية :

ظروف تكوينها وردود الفعل

كانت كندا منذ عدة سنوات تلح فى المطالبة بإيجاد قوة دولية لمراقبة الحدود فى الشرق الأوسط ، فلما جاءت أزمة السويس هيأت الموقف الملائم لتطبيق مثل هذه الخطة (٢) .

---

(١) رسالة ايزنهاور إلى الكونجرس الأمريكى فى ٥ يناير ١٩٥٧ فى : ملف وثائق فلسطين ج ٢ ، مرجع سابق ص ص ١١٩٥-١٢٠٠.

(٢) Wint Guy, aud Peter Calvocoressi, Middle East Crises, Aylcsbury, England : Bejamin Books, 1957 pp. 61-92.

وفى صباح يوم ٤ نوفمبر اتخذت الخطوة الأولى نحو تدعيم المشروع الكندى الأول الذى كان قد وضع فى مدينة – أوتاوا – يقضى بانشاء قوة تؤلف فى أول أمرها من جنود بريطانيين وفرنسيين تحت رعاية الأمم المتحدة ثم ينضم إليهم فيما بعد غيرهم من دول أخرى لزيادة أصطباغ القوة بصفة انتمائها للأمم المتحدة (١) .

غير أن « ليستر بيرسون » المندوب الكندى ، لم يكد يصل إلى مقر الأمم المتحدة ويتعرف على ميول الوفود ، حتى أخذ فى الأنصراف عن هذا المشروع الأول الذى يجعل القوة المزمع إنشاؤها إنجليزية وفرنسية ، ومع ذلك بقيت فكرة إنشاء قوة ما تابعة للامم المتحدة تسيطر على ذهنه ، وخاصة لأنها وسيلة لانقاذ مركز كل من بريطانيا وفرنسا بانتشالهما من هذه الورطة ؛ ومن ثم آخذ المندوب الكندى يفكر فى إنشاء قوة للسلام تكون مؤلفة من الدول الصغيرة . وكان ذلك هو المفتاح الذى انفتح به الباب لحل أزمة السويس (٢) .

وهكذا اتخذت الخطوة الأولى نحو تنفيذ القرار الكندى عندما انعقد اجتماع غير رسمى دعا إلية السكرتير العام للامم المتحدة داج همرشلد – حيث أبدت أربع دول موافقتها على الاشتراك فى تكوين القوة الدولية وهى كندا وكولومبيا والهند والنرويج .

وفى خلال انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة ألقى همرشلد بيانه الذى يعتبر وثيقة بفحوى ما اتخذ من الخطوات نحو إنشاء قوة تابعة للأمم المتحدة .

---

(١) Erye, William R. A : United Nations Peace Force New York ؛ Ocean Publications. In. 1927 pp.

(٢) فيما يتعلق تكوين قوة الطوارىء والمهام التى أسندت إليها فى أول الأول يرجع إلى :
Burns L T. general e. L. M. : Betweeu Arab and Israel New York 1962. pp. ect.

وتدل نغمة الوثيقة – كما اتضح من اختيار الضمائر فى عباراتها (١)– على أن السكرتير العام كان بلا تردد هو القابض على عجلة القيادة . فمن ذلك قوله : « وفى خلال دراستى للموضوع وصلت إلى .... ، وقدمت .... تقريرى النهائى .... » ثم جاء فى الوثيقة . « أن مواصلة المشاورات تسهل كثيراً ، لو أتيح للجمعية العامة أن تصدر قرارها على الفور بتعيين أسماء الدول التى يمكن أن يستمد منها ما تحتاجه من الجنود .... » (٢) .

وكان المتكلم الثانى هو المندوب المصرى ثم تلاه مندوب النرويج الذى قدم مشروع قرار بالنيابة عن كندا وكولومبيا والنرويج (٣) يتضمن معالم الخطة التى وضعت فى مكتب همرشلد منذ ساعات ، وينادى مشروع القرار بإنشاء « هيئة قيادة تابعة للامم المتحدة لقوة طوارئ دولية تقوم بوقف الأعمال الحربية والإشراف على ذلك : وقد تضمن مشروع القرار افتراضين آخرين للسكرتير العام بشأن رئيس القيادة وتعيين الضباط ، ومع أن قوة الطوارئ التى يطالب بها القرار قد بنى ، على توصيات السكرتير العام دون غيره ، فإن الجمعية سارت فى طريق الاقتراع على منحه السلطة فى إنشاء القوة المطلوبة وتركت لحسن تقديره معظم ما يتعلق بطبيعتها وواجباتها .

وقد تكلم تسعة عشر عضوا فى موضوع مشروع القرار ، وكانت إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى وجهت أسئلة عن المشروع ، فمن ذلك سؤال قانونى لها عن « سيادة الدول المشار إليها فى نص صيغة الموافقة المطلوبة لتنفيذ

---

(١) راجع : دكتور أحمد يوسف أحمد . مرجع سابق

(٢) ORGA. First Emergency special session. 1–18 November 1956 Plenary 565 the mettiny, November 4, 1956 p. 5.

(٣) ORGA. First Emergency special Session, Annexes, Agenda Item 5. « Canda, Colombia and Norway, Draft resolution » Document A/2399/Subseequently became reslution 1000 (FS–1) November 4, 1956 p. 15.

المشروع (١) ، وقد أجاب همرشلد بأن الوثيقة التي ستنشأ بمقتضاها القوة قد وضعت على أساس الوضع القانوني الذي كان نتيجة للاقتراع الذي أجرى في الجمعية العامة في نفس اليوم (٢) .

ثم قام مندوب الولايات المتحدة واقترح إقفال باب المناقشة ، وأخذ الأصوات على المشروع في الحال . وأضاف بأنه :

« يجب وقف القتال في الحال وبدون أي شرط » . . . وأن إسكات المدافع هو المقدمة اللازمة لحل أي مشكلة » (٣) .

وقد حاول مندوبا بريطانيا وفرنسا تأجيل الاقتراع لحين وصول التعليمات من حكومتيهما ، ولكن بلا جدوى ، فإن معظم المندوبين اعتبروا أن هذه المحاولات من جانب بريطانيا وفرنسا إنما يقصد بها تعطيل الإجراءات ريثما يتم إنزال جنودهما في منطقة القناة (٤) .

ثم أجرى الاقتراع على مشروع القرار ، ففاز بأغلبية ٥٧ صوتا ضد لاشئ مع امتناع ١٩ عضوا عن التصويت .

وفي اليوم التالي صدر التقرير الأخير للسكرتير العام للأمم المتحدة عن الخطة اللازمة للقوة التي ستنشئها الأمم المتحدة ، وكان صدوره في حدود مهلة الثماني والأربعين ساعة التي حددت له في قرار ٤ نوفمبر وقد جعل التقرير أساسا لمشروع قرار في اليوم التالي للجمعية العامة .

وفي الشرق العربي — عزت الصحف إلى المذكرات السوفيتية الحافة

---

(١) ORGA. 595 the meeting op. cit, p. 36.

(٢) Ibid. p. 83.

(٣) Ibid. p. 88.

(٤) وهو ما حدث بالفعل في ٥ نوفمبر ١٩٥٦ حيث نزلت جنود المظلات البريطانية والفرنسية في منطقة القناة .

الفضل فى حمل بريطانيا وفرنسا على وقف أطلاق النار، أما فى بريطانيا فقد سادتها مظاهرات عامة وعنيفة ، وفى الولايات المتحدة كانت المعارضة الشديدة واضحة ضد بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، أما الدول الأفروآسيوية فقد سادها هى الأخرى الاستنكار العام من موقف دول العدوان .

أما فى إسرائيل ، فإن « الكنيست » قد وقف بجانب رئيس الوزراء بن جوريون يؤيده فى الموقف المتعنت الذى وقفه حين قال (١) :

« أن اتفاقية الهدنة مع مصر لعام ١٩٤٩ قد ماتت وتم دفنها ولا يمكن أعادتها إلى الحياة » .

ثم إضاف الزعيم الإسرائيلى :

« وبناء على ذلك لم يعد لخطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل كيان فعلى ما » .

وأعلن بن جوريون فوق ذلك أن إسرائيل لن تقوم بسحب قواتها من الأراضى المحتلة مالم تدخل مصر معها فى مفاوضات مباشرة للصلح ؛ وكانت نغمة بن جوريون وهو يساوم بهذه الشروط الأبتدائية نغمة إملاء .

وقد أرسل الرئيس أيزنهاور فى اليوم نفسه إلى بن جوريون برقية تمسك فيها بمطالبة إسرائيل بالأذعان للقرار الذى أصدرته الجمعية العامة .

كذلك فإن التدخل الإنجليزى الفرنسى المسلح كان يعول على إشعال الثورة ضد عبد الناصر ؛ ووضع مقاليد الحكم فى أيدى غيره ممن يسلكون

---

(١) U. N. Police Force Barred by Israel, 3 New York Times, November 7, 1956.

(٢) Lacoutour and lucation.
Egypt in transition, op. cit, pp. 462 etc.

حيث يستعرض الكاتبان تفصيلا رد فعل الشعب المصرى اتجاه الحرب النفسية الموجه إليه من كل من بريطانيا وفرنسا على السواء .

فى حل مشاكل القناة طرقا تكون أكثر تمشيا مع وجهة النظر الإنجليزية الفرنسية ، على أن النظرية التى عول عليها بشأن نفسية الشعب المصرى كانت قائمة على أساس فاسد تماماً : وهو أن المصريين فى عهد عبد الناصر هم بعينهم تلك الجموع التى كان يحكمها الانجليز فقد تكشفت الحال عن عدم وقوع الشعب المصرى فى شئ من الذعر بل على العكس إزداد التفافة حول حكومته سواء فى أوقات الغارات الجوية أو خلال عمليات الغزو .

وهكذا تم تكوين هيكل قوة الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة وذلك فى الساعات الأولى من مساء ٧ نوفمبر ونزلت الدفعة الأولى من جنودها فى مصر بالقرب من مدينة الأسماعيلية بعد ثمانية أيام فكان ذلك أسرع عمل حربى دولى فى التاريخ .

وكانت إسرائيل قد وافقت على سحب قواتها من الأراضى المصرية بمجرد إتمام « الترتيبات المرضية » لوصول قوة الأمم المتحدة المزمع قدومها ، وكان أشق الأعمال على زعماء إسرائيل أن يواجهوا شعبهم الثمل بفرحة الهجوم على مصر ، بضرورة انسحاب جيشهم من تلك الأراضى التى تبلغ رقعتها ثلاثة أمثال حجم إسرائيل والتى احتازتها فى ٩٣ ساعة فضلا عن أن رئيس الوزراء « بن جوريون » كان قد صرح أمام البرلمان الإسرائيلى منذ يومين أثنين فقط بأن اتفاقية الهدنة مع مصر لعام ١٩٤٩ « قد ماتت وتم دفنها » .

وكان قرار إسرائيل بالأنسحاب نتيجة للضغط السياسى من جانب همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وللموقف الحازم الذى وقفته الولايات المتحدة ضد التوسع الإسرائيلى الدائم . وكان التهديد الخاص بالعقوبات الاقتصادية مثالا من أمثلة الضغط الذى ضغطت به الولايات المتحدة ، كما أنه كان فى اعتقاد كل من الولايات المتحدة والأمم المتحدة أن عودة السلام إلى هذه الأرجاء متوقف على التخلى فى الحال عن الأراضى التى شملها الغزو الحربى .

كذلك فقد كان القرار القاضى بانشاء (١) قوة الطوارئ للأمم المتحدة ينص على أنه لايجوز للقوة دخول مصر إلا « بموافقة الحكومة المصرية » وقد وقفت مصر فى ذلك موقف الحذر ويعزى ذلك أولا إلى أن قوة الطوارئ، من حيث طبيعتها وأعمالها ، كانت جديدة لا يعلم عنها شئ وإلى رغبة مصر فى تقوية مركزها للمساومة ، فضلا عما كانت تقصده من أظهار استقلالها وسلطتها ، إذ أن وقوف الأمم المتحدة بعض الوقت قبل دخولها أرض مصر ماقد يحمل الدول العربية الأخرى على تفسيره بأنه من الأدلة على نجاح عبد الناصر ،

وقد كانت الظروف جد ملائمة لاتخاذ مصر موقف التردد ، فانه يحتمل(٢) من جهة أن يكون عبد الناصر قد نظر نظرة جدية فى موضوع استخدام المتطوعين السوفيت فى مصر — وقد وردت الأنباء بأن عدد من سجلوا أسماءهم من المتطوعين من أجل مصر بلغ ٥٠٠٠٠ فى الاتحاد السوفيتى ، ٢٨٠٠٠٠ فى الصين الشعبية .

ومن جهة أخرى كانت مصر تعمل على تأخير دخول قوة الطوارئ للأمم المتحدة إلى أن يتم أنسحاب القوات الإسرائيلية من مصر أو يكون على الأقل جاريا بالفعل ، إذ أن وصول قوة الطوارئ قبل ذلك يضعف من مركز مصر فى المساومة حيث كانت مصر تريد المزيد من التفصيلات بشأن التسهيلات التى طلبها السكرتير العام (٣) ؛

وفى يوم ١٠ نوفمبر أصدر الاتحاد السوفيتى تحذيرا آخر بأن المتطوعين السوفييت سوف يسمح لهم بمعاونة مصر إذا امتنعت الدول الثلاث عن سحب

---

(١) Burns, Lt. general e. L. M. Between Arabs and Israel op. cit, pp. 186

(٢) راجع : دكتور أحمد يوسف أحمد "مرجع سابق

(٣) « Cairo is Cautions About U. N. Corps « in : New York Times, Novemher 10, 1956.

قواتها (١) ، على أن أكبر خبز مزعج فى ذلك اليوم أتى من جانب وزيرة خارجية إسرائيل « جولدا مائير » إذ قالت أن قطاع غزة ليس من الأراضى المصرية ، وإنما هو جزء لايتجزأ من إسرائيل ولن يعاد إلى مصر وذلك بعد أن كان بن جوريون قدصرح قبل ذلك بيوم واحد بقبوله مبدأ الأنسحاب من الأراضى المصرية ، ولم يكن هذا التناقض الظاهرى فى الحقيقة سوى تحايل دبلوماسى من جانب إسرائيل ، فمن جهة ذكر بن جوريون أن القوات الإسرائيلية ستنسحب من جميع الأراضى المصرية وكان فى هذا التصريح ما أرضى حكومة الولايات المتحدة وكثيرا من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة ، ومن ناحية أخرى نجد أن بيان جولدا مائير قد أكتفى بمجرد التصريح بأن قطاع غزة ليس بمصرى ، ولذلك لاينطبق إليه ما صرح به رئيس الوزراء منذ يومين ، فكان قصد جولدا مائير فى الواقع هو تزويد إسرائيل بمادة للمساومة يمكن التذرع بها للفوز ببعض مطالبها من مصر .

موقف بريطانيا وفرنسا :

أما فرنسا وبريطانيا فقد انصحتاهما الآخريان إلى إسرائيل فى المطالبة بموافاتهم بالمزيد من الإيضاح عن مهمة « القوة البوليسية » أو الغرض النهائى منها ، قبل أن تشرع فى سحب قواتها ،

وقد كان قرار ٥ نوفمبر نقطة هامة لم تفصح عباراته عن المقصود منها تماما ، وهى : هل قوة الأمم المتحدة ستبقى فى مصر لحين الوصول إلى اتفاق أساسى بشأن مشكلتى قناة السويس وفلسطين ، أو أنها ستقتصر على النظام فى المنطقة بعد أنسحاب القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية إلى أن تقوم الحكومة المصرية بمطالبتها هى أيضاً بالأنسحاب ؟ فان القرار الأصلى كانت صيغته قد وضعت فى سرعة هائلة كى يحقق ما يرجى منه أزاء موقف

---

(١) « Soviet Statément on Egypt » in : New York Times November 11, 1956.

يهدد بالأنفجار ، وكان خلو عباراته من التوضيحات مدعاة لتيسير قبوله لدى جهات كثيرة .أما وقد مضى على ذلك أسبوع خفت فيه حدة التوتر و زالت دوافع الشعور بالعجلة ، فقد أخذت بعض الدول تلقى على القرار نظرة ثانية .

وكانت معظم العوامل فى هذه النظرة الثانية ترجع إلى اهتمام الدول المعنية بالأمر مباشرة بمصالحها الخاصة وكان شعوركل من فرنسا وبريطانيا وإسرائيل أنه يجب إلا يترتب على إجراءات الأمم المتحدة خلق حالة لاتخرج عن كونها عودة بالأمور إلى ماكانت عليه بما فيها من الأضرار بمصالحهم .

وكانت الدول الثلاث مصممة على اتخاذ كل موقف ممكن لكى تستخلص من مصر ثمنا سياسيا ، فى مقابل أنسحابها ، ولذلك كانت رغبة رجال الحكومتين الإنجليزية والفرنسية أن يعملوا على تأخير نزول قوة الطوارئ إلى أن ينالوا من مصر تعهدات أو مزايا أكثر وضوحا وتحديداً مما سبق إعلانه،

وقد قام رؤساء تسع دول عربية بعقد اجتماع خاص فى بيروت كان فى الواقع (١) ثانى اجتماع لرؤساء الدول العربية منذ إنشاء جامعة الدول العربية وقدكان جدول أعمال جلساتها يشمل المناقشة فى موضوعات أزمةالسويس، وتزايد النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط ، وضرورة الزيادة من التعاون بين الدول العربية ،وقد فسرت هذه النقطة الأخيرة بأنها لوم مستتر على ماقام به عبد الناصر من تأميم قناة السويس دون تشاور سابق مع الدول العربية الأخرى .

---

(١) Miller, Richard J., Dag Hammarshjold and crises Diplomacy, Published by the Ocean Publications Inc. 1961 pp. 184–185.

موقف الولايات المتحدة :

عقد أيزنهاور مؤتمرا صحفيا فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ قال فيه أن أزمة السويس هى « أول حدث فى التاريخ تعرضت فيه الأمم المتحدة لاختبار حقيقى وشامل » .

وكان بعض رجال حكومة الولايات المتحدة يحثون أيزنهاور على ابلاغ الاتحاد السوفيتى بأوضح عبارة أن « واشنطن » تعد استقلال الشرق الأوسط أمرا حيويا لسلامة الولايات المتحدة .

ولم يذكر أيزنهاور فى مؤتمره شيئا عن مخاوفه من قيام الاتحاد السوفيتى باتخاذ إجراء منفرد من جانبه ؛ بل جعل معظم اتجاهه لتأكيد أهمية الرجوع إلى الأمم المتحدة « لحل مشاكلنا » ، على أن متحدثا بلسان « البيت الأبيض » قال فيما بعد أن أيزنهاور كان يقصد بكلامه فى الحقيقة تأكيد الدور الذى تضطلع به الولايات المتحدة لمقاومة ما قد يحدث من التدخل السوفيتى أكثر مما كان يقصد به الدور الذى تقوم به الأمم المتحدة فى هذا الصدد (١) .

وعموما فقد نظرت الولايات المتحدة إلى التدخل الإنجليزى الفرنسى على أنه مشروع لغزو منطقة الشرق الأوسط واغتصاب السلطة الفعلية فيها ، غير أن الولايات المتحدة من ناحية أخرى تعطف على الموقف الحرج لبريطانيا وفرنسا بعد أن قام كل من وزيرى خارجية الدولتين برحلة خاصة إلى واشنطن ، وبالرغم من ذلك فقد استمرت الولايات المتحدة فى تأييدها للموقف الذى وقفته الغالبيه الساحقة لأعضاء الأمم المتحدة ، وقد أنعكس ذلك بالأخص على الضغوط التى مارستها الولايات المتحدة على إسرائيل لكى تنسحب من سيناء حيث سار الضغط الأمريكى فى طريقين متوازيين :

---

(١) Reston, James, « Eisenhawer Says U. S. will oppose iu U. N. Soviet move into Middle East » in : New York Times, November 15, 1965.

طريق غير مباشر من خلال الأمم المتحدة، وطريق مباشر تمثل فى الرسائل الشفوية والخطابات المكتوبة التى بعثها أيزنهاور إلى المسئولين الإسرائيليين، وقد كشف النقاب عن بعض هذه الخطابات فى الكتب الخاصة التى تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية.

وكان عمل الولايات المتحدة، من خلال المنظمات الدولية أبرز خلال المراحل الأولى من الانسحاب. ولعل ذلك راجع إلى اهتمام الرئيس الأمريكى فى تلك الحقبة، لتقوية المؤسسات الدولية، وقد رأى كيف شل مجلس الأمن عن العمل نتيجة استخدام كل من بريطانيا وفرنسا لحق الفيتو، ولذا أيدت الولايات المتحدة دعوة الجمعية إلى دورة طارئة.

وازاء جمود الموقف الإسرائيلى بعد إتمام مراحل الانسحاب الأولى التى انتهت بمغادرة العريش ظهر اتجاه جديد فى الأمم المتحدة وهو فرض عقوبة ما على إسرائيل وفقا لما هو منصوص عليه فى ميثاق الأمم المتحدة، وذلك لإجبارها على الانسحاب (١) من غزة وشرم الشيخ، وقد سئل فوستر دالاس أثناء مؤتمر صحفى عقد فى ٥ فبراير سنة ١٩٥٧ عن موقف الولايات المتحدة فى حالة اتخاذ الجمعية العامة قرارا بانزال العقوبة باسرائيل فأعلن أن بلاده ستأخذ هذا القرار مأخذ الجد. والواقع أن مشاركة الولايات المتحدة فى عقوبة تقررها الجمعية العامة كان يبدو أيسر إلى حد كبير، مما أوفكرت الحكومة الأمريكية فى أن تتخذ أجراء ما من جانبها للضغط على إسرائيل: ولكن الأمور لم تصل إلى هذا الحد، وبدلا من العقوبات على اختلاف أشكالها اتجهت السياسة الأمريكية خلال شهر فبراير إلى المزاوجة

---

(١) « Text of Eisenhowers' Adress to the Nation on Situation in Middle East» New York Times, February 21, 1957

بين أسلوبين : الضغط غير المباشر على إسرائيل ، وفى نفس الوقت إعطاؤها الضمانات اللازمة لتأمين حرية الملاحة فى مضايق تيران .

فى هذه الأثناء أرسل أيزنهاور كتابا آخر إلى بن جورين فى ٨ فبراير استخدم فيه أسلوبا شديد اللهجة لحث إسرائيل على الانسحاب ، ويصادف تاريخ هذا الكتاب ، إعلانا مشتركا أصدره إيزنهاور والملك سعود أبان زيارته لواشنطن جاء فيه أن الولايات المتحدة تعتبر أى أعتداء على السلامة الإقليمية لاية دولة من دول الشرق الأوسط هو تهديد السلام العالمى ولمبادئ الأمم المتحدة وستعارضه الحكومتان بشدة .

وفى رده على الرئيس الأمريكى ، احتج بن جوريون قائلا أنه لم يسبق للولايات المتحدة أن استخدمت أسلوبا كهذا مع إسرائيل . وأضاف أن مراحل الانسحاب التى تمت حتى ذلك الوقت إنما جاءت تلبية لنداء الرئيس أيزنهاور فى ٧ نوفمبر .

وشهدت إسرائيل فى تلك الأيام عدة مظاهرات معادية للضغط الأمريكى غير أن الحكومة الإسرائيلية لم تنشأ ، أو على الأصح ، لم تستطع تنفيذ سياسة التحدى ، ورأت أن تكتل الجهود من أجل الحصول على ضمانات : أما دولية تشترك فيها الولايات المتحدة وإما ضمانات أمريكية منفردة على الأقل لحرية الملاحة فى مضايق تيران ، وتدويل قطاع غزة ، وبعبارة أخرى أصبحت خطة إسرائيل هى مقاومة الضغط بقدر المستطاع وعدم إقفال الباب مع الولايات المتحدة .

ولم تعترض الحكومة الأمريكية على مبدأ الضمان بالنسبة لحرية الملاحة فى مضايق تيران ، ولكنها كانت تود لو تم الانسحاب الإسرائيلى دون شرط مسبق ، وتتلخص مذكرة فوستر دالاس المؤرخة فى ١١ فبراير (١) والموجهة

Lave, Kenuett : Suez, The twiee Fought war U.S. 1965. (١)

إلى أبا أيبان مندوب إسرائيل الدائم فى الأمم المتحدة — سياسة الحكومة الأمريكية على النحو التالى .

« أن الأمم المتحدةلاتستطيع أن تدخل تعديلات أساسية على نظام الهدنة الذى يدار بوساطته قطاع غزة ، ولكنها تؤيد تدعيم وجود دولى فى القطاع تحدد اختصاصاته فيما بعد ،أما فيما يتعلق بمضايق تيران ، فالحكومة الأمريكية تعد بالاتفاق مع الأمم المتحدة والسكرتير العام للمنظمة تأييد الخطة الرامية إلى انتشار قوات الطوارئ فى النقاط المشرفة على المضايق ، كما أن الحكومة الأمريكية مستعدة لتأمين حرية الملاحة والاتفاق على ذلك مع أطراف أخرى » .

غير أن هذه المذكرة لم ترض الحكومة الإسرائيلية ، وأن وجدت فيها عنصرا جديدا يمكن أن يؤدى إلى تخفيف تصلبها . وفى حين رحب بن جوريون بالضمانات الأمريكية لحرية الملاحة ، فانه استمر يساوم على قطاع غزة ، وكتب فى ١٥ فبراير أن إسرائيل تود الاحتفاظ بقطاع غزة لدواعى الأمن من جهة وتحسين حالة السكان وذلك باعادة توطين جزء منهم ، وتعويض الجزء الآخر من جهة أخرى . ولم يحدد أرقاما بهذا الشأن كما لم يذكر أين يعاد توطين الفلسطينيين . ومع ترحيبه بالضمان الأمريكى ، فقد ألح بن جوريون على ضرورة التعهد بابقاء القوات الدولية إلى أن يتم صلح مع مصر ، أو تتخذ ترتيبات أخرى لحرية الملاحة ، كما أثار بن جوريون فى خطابه موضوع الملاحة الإسرائيلية فى قناة السويس فقال أنه ليس من المعقول أن تفتح القناة بوساطة الأمم المتحدة ، ثم تبقى مغلقة فى وجه السفن التابعة لأحد الدول الأعضاء فى الأمم المتحده .

وقد اعتبر أيزنهاور الرد الإسرائيلى محاولة جديدة للمراوغة ، ولذلك دعى إلى اجتماع وزارى لبحث احتمال اتخاذ أجراء ما ضد إسرائيل . وقد ضم

هذا الاجتماع دالاس وزير الخارجية ، وهمفرى وزير المالية وأوضح (١) دالاس أنه توجد فى الأمم المتحدة أصوات كافية لتقرير عقوبة على إسرائيل حسب الميثاق وأنه إذا عارضت الولايات المتحدة هذا الاتجاه العام فى المنظمة الدولية فسوف يسود اعتقاد لدى العرب بأن الاتحاد السوفيتى هو راعيهم الوحيد، وتدمر مبادئ أيزنهاور قبل أن يعلن عنها ، وأوضح الرئيس الأمريكى فى الاجتماع أن إيقاف الإعانات الحكومية قائم بالفعل بالنسبة لكل من مصر وإسرائيل، وقدر همفرى الإعانات الخاصة بأربعين مليون من الدولارات وأن قيمة السندات التى تباع لصالح إسرائيل تتراوح بين خمسين وستين مليونا من الدولارات .

غير أن أيزنهاور تعرض لحملة من الفريق المتحمس للصهيونية فى الكونجرس وكان لندون جونسون يتزعم هذا الفريق ، بل أن أحد الشيوخ الجمهوريين و هو السناتور وليم بولاند إنضم إلى هذا الفريق . وهدد بالانسحاب من الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة ، إذا وافقت الجمعية العامة على تطبيق العقوبة على إسرائيل ، لذلك قرر أيزنهاور دعوة أعضاء الكونجرس إلى اجتماع خاص لمناقشة السياسة التى تتبعها أزاء إسرائيل ؛ وكانت الحجة التى استخدمها أيزنهاور أمام أعضاء الكونجرس هى عدم إنسحاب إسرائيل من بقية الأراضى الأمر الذى تمثل فى تبنى الجمعية العامة فى ٤ نوفمبر لمشروع القرار الكندى الخاص بتكوين قوة طوارئ للإشراف على وقف الأعمال الحربية طبقا لقرار الجمعية الصادر فى ٢ نوفمبر — ثم أعقب ذلك تبنى الجمعية العامة فى الفترة من نوفمبر ١٩٥٦ إلى فبراير ١٩٥٧ لمجموعة أخرى من مشروعات القرارات الخاصة بإنشاء القوة وتنظيمها ووظائفها وتمويلها .

---

(١) Lilienthal Alfred M., There goes the Middle East New York : The Davin-Adair Company, 1927, p. 199.

وقد نظر الاتحاد السوفيتى الى ممثلى الأمم المتحدة فى هذه العمليات (مراقبى الهدنة فى سنة ١٩٤٨، قوات الطوارئ عام ١٩٥٦) باعتبارهم أداة للنفوذ الغربى ، وفى هذه المدة كان السوفيت أكثر صراحة بكثير حيث ذكر سوبوليف فى كلمته فى ٢٦ فبرايرا سنة ١٩٥٧ فى معرض الحديث عن إرساء الولايات المتحدة لأقدامها فى منطقة الشرق الأوسط أن ذلك سوف يتم بطريقة مباشرة أو فى بداية الأمر تحت راية هيئة الأمم (١) .

ومنذ البداية لم يجد المندوب السوفيتى حاجة لمثل هذه القوات ، فقبل التصويت على مشروع القرار النرويجى الكندى الكولومبى فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ والذى كان ينشئ قوات طوارئ دولية لتأمين الإشراف على وقف الأعمال للحربية طبقا لقرار الجمعية فى ٢ نوفمبر صرح المندوب السوفيتى بأنه ليست هناك حاجة من وجة نظره لقوة الأمم المتحدة أو أية أداة أخرى طالما أنه لم يكن من الصعب ملاحظة ما إذا كان وقف إطلاق النار يراعى أم لا (٢) .

وبغض النظر عن الحاجة إلى قوة طوارئ دولية من عدمها ، عبر المندوب السوفيتى عن جانب آخر من جوانب معارضته لإنشائها فى شرحه لتصويته على مشروع قرار الدول السبعة (٣) فى ٧ نوفمبر الذى أقر الخطوط العريضة لتقرير السكرتير العام للأمم المتحدة الذى لن يؤدى إلى إزدياد النفوذ السوفيتى فقط ، بل أن منع تدفق النفط على غرب أوروبا ، وإذا كان النفط قد استخدم للضغط على بريطانيا وفرنسا فى الانسحاب ، فلماذا

---

(١) من كلمة سوبوليف مندوب الاتحاد السوفيتى فى الاجتماع العام للدورة الحادية عشر الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة حول مسألة انسحاب القوات الإسرائيلية من مصر – ٢٦ فبراير عام ١٩٥٧ ، مرجع سابق من ص ٨٨–٩٤.

(٢) International Orgauization, Vol, XI no. 1 Wtnter 1957 p. 79.

(٣) وهى ، الدانمرك – الأرجنتين – بورما – سيلان – اكوادور – اثيوبيا – السويد .

لاتستخدم وسائل الضغط ضد إسرائيل (١) .

غير أن أعضاء الكونجرس قد أصروا على موقفهم ووضعوا موقف الحكومة بأنه غير شعبي وكان لقاؤهم مع الرئيس ايزنهاور عاصفا حيث اكتسبت هذه القضية أهمية لدى الرأى العام الأمريكى لدرجه أن أيزنهاور احتاج إلى توجيه خطاب لاقناع الشعب الأمريكى بسياسته فى الشرق الأوسط ، وقد تجنب أيزنهاور فى خطابه كلمة عقوبة ، ولكنه ذكر أن موقف إسرائيل يعتبر تحديا للامم المتحدة فى غزة كما تضمن انتشار قوات الطوارئ فى شرم الشيخ ، فاذا أصرت إسرائيل على موقفها بعد ذلك فلابد أن تمارس عليها الضغط وأن مصلحتها الحقيقية هى فى الأنسحاب (٢) .

وفى إسرائيل – ظهر رد الفعل من خلال خطاب القاه بن جورين فى الكنيست – قال فيه أنه يشعر بالاسى لذلك الأسلوب الجارح الذى استخدمه الرئيس الأمريكى ، وأن كان لايستطيع أن ينكر جميل الولايات المتحدة على إسرائيل وكرر مطابه بالضمانات وأوصى للمرة الأولى بامكان أن تكون هذه الضمانات من جانب الولايات المتحدة منفردة ، وليس بالضرورة منبثقة عن الأمم المتحدة ، كما كانت تصر إسرائيل فى بداية الأمر ، وفى هذه الأثناء لم تنقطع الضغوط الأمريكية غـير المباشرة ، ومن بين الوسائل الجديدة – دعوة وزير الخارجية الأمريكى لثمانية من زعماء اليهود غير الصهيونيين للاجتماع به :

الموقف السوفيتى :

فى حين استخدمت الولايات المتحدة أسلوب الضغط على إسرائيل حتى تنفذ

---

(١) Walid Abi Marshid ; Israel Withdrawal from Sinai Lebanon, Centre of Palestinian studies.

(٢) A Text of Eisenhower's Adress to the Nation Situation in Middle East, op. cit.

الانسحاب ، لجأ الاتحاد السوفيتى إلى استخدام عبارات شديدة اللهجة للتنديد بالعدوان الأسرائيلى ، وذهب بولجانين فى رسالته الموجهة إلى بن جوريون إلى حد القول بأن إسرائيل تخاطر بكيانها إذا استمرت فى العدوان .

وهذه المبالغة فى الوعيد ، تفقد — فى رأى بعض الباحثين (١) — وزن الرسالة السوفيتية بعض الشئ . فهل كان الاتحاد السوفيتى يعنى بالفعل إزالة الكيان الإسرائيلى ، أم أنه قصد الدعاية ، فى البلاد العربية ، بعد أن اتضح له موقف الولايات المتحدة من العدوان (٢) ؟

لقد اختلفت الآراء كثيرا داخل العالم العربى حول قيمة الضغط السوفيتى فى عام ١٩٥٦ وكانت دمشق من أكثر العواصم العربية مبالغة فى تصوير الأثر الذى تركه الأنذار السوفيتى ، وتجاهلا للموقف الأمريكى . أما فى مصر ، فقد أبرز الانذار السوفيتى ولكن دون أنكار لقيمة التدخل الأمريكى دوليا فى هذه الأزمة .

وحدث أن شكا السفير الأمريكى بالقاهرة من أن أجهزة الاعلام العربية تغفل دور الولايات المتحدة فى الأزمة ، فأجابه عبد الناصر بأن مصر لاتقبل سيطرة أية دولة كبرى وهى لم تكافح للتخلص من النفوذ البريطانى لكى تقع تحت نفوذ دولة أخرى ، وأضاف عبد الناصر قائلا أنه بعد اشتراك بريطانيا وفرنسا فى العدوان فإن الولايات المتحدة تبقى الصديق الوحيد للمصريين الدول الغربية . وفى الخطاب الذى ألقاه فى الازهر يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ نوه عبد الناصر بمساندة كلتا الدولتين العظميين ووقوفهما بجانب مصر ، وقد حدا ذلك لفريق من المؤرخين (٣) المعاصرين أن يعطوا

---

(١) دكتور صلاح العقاد : الانسحاب الإسرائيلى من سيناء عام ١٩٥٦ ، فى السياسة الدولية ، مرجع سابق ص ص ٣٤–٤٨ .

(٢) Dagan, op. cit, pp. 117–113.

(٣) الدكتور جلال يحيى ، العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ، ص ص ٦٥٩–٦١٠ .

ثقلا خاصا للإنذار السوفيتي بالتهديد بضرب لندن وباريس بالصواريخ حيث وضعت روسيا الغرب أما مسئولياته ، ويدعم هذا الفريق من المؤرخين المعاصرين (١) آراءهم بالنظر إلى أنه :

« مادام الغرب يهدد مركز الحركات التحررية فى العالم العربى وفى أفريقيا فان ذلك يعنى أن الحرب قد تصبح عالمية ، وكان تكتيك الغرب قد قام أساسا على الإسراع فى العملية وأنهائها قبل أن يفيق العالم من دهشته ، ولكن الحرب طالت فى مصر ، وتمكنت روسيا من العودة لمواجهة الموقف الدولى »

وقد تناولت المذكرة التى وجهتها وزارة الخارجية إلى السفراء المعتمدين فى القاهرة ، تحديد موقف مصر من الاتحاد السوفيتى ، فذكرت أن مصر لاتقبل الماركسية مذهبا لها ، وأن سياستها تتبع من مبدأين : الحياد ، واعتناق مبدأ القومية العربية .

وعموما فمهما اختلفت آراء المؤرخين العرب المعاصرين حول أهمية الدور السوفيتى فى ردع العدوان عام ١٩٥٦ ، فمما لاشك فيه أن هذا الموقف كان له أثر بعيد من جهتين : الأول يتمثل فى زيادة التأثير النفسى على إسرائيل ، فقد كان الاتجاه العام حتى ذلك الوقت هو تجنب الاعتماد على معسكر واحد ، مما يخشى معه التحول إلى تبعية هذا المعسكر ، ولذلك حرصت الحكومة الإسرائيلية على تحييد الاتحاد السوفيتى ، كما يتضح من الردود التى بعث بها بن جورين على رسالة بولجانين ، فلم تخل هذه الردود من التذكير بالعلاقات الحسنة التى ظلت تربط بين البلدين (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٦١٠.

(٢) U. S. Departmeut of State : U. S. Policy in the Middle East Sept. 1956 – June 1957.

ثانيا : أن اتفاق الدولتين العظميين على موقف واحد فى الجمعية العامة كان له أكبر الأثر فى الحصول على شبه اجماع من الأعضاء لاتخاذ موقف مضاد للعدوان .

وتبقى مسألتين جديرتين بالتحليل هما : أولا : موقف الاتحاد السوفيتى من قوات الطوارئ الدولية ، فمنذ أن بدأ العمل للتوصل إلى وقف إطلاق النار ارتبط بذلك عمل مماثل يتعلق بالضمانات المطلوبة لذلك قدم فى نفس الاجتماع من الخطوط العامة لتنظيم القوة ووظائفها ، وتناول الخطوات العملية لتكوينها وتمويلها ، إذ ذكر المندوب السوفيتى أن القوة كانت تنشأ انتهاكا للميثاق مشيرا إلى أن الفصل السابع يخول مجلس الأمن فقط وليس الجمعية العامة إنشاء قوة دولية مسلحة واتخاذ التدابير اللازمة(١) .

ومن ناحية أخرى كان المندوب السوفيتى يرى فى القوة الدولية انتهاكا للسيادة المصرية بقدر ما ستعمل على نزع القناة من هذه السيادة (٢) .

كذلك اتخذ الاتحاد السوفيتى موقفا من تمويل قوة الطوارئ مؤداه أن كل النفقات المادية لعمل القوة يجب أن تتحملها الحكومات المعتدية ، ومن ثم فان الأقتسام الجماعى لهذه النفقات لم يكن صوابا أو مناسبا ، وعليه لن يعتبر الاتحاد السوفيتى نفسه ملتزما بأى قرار ينص على تحمل الأمم المتحدة لنفقات قوات الطوارئ (٣) .

---

(١) Year Book of the United Nations 1956 op. cit, p. 33.
Mona Harrington Canon, Peace Forces and the Veto the Re-Relevance of cousent in: International Organization, Vols XXI, Autumau 1967, p. 818.

(٢) Dallin ; Soviet Foreign Policy after Stalin, op. cit. p. 418.

(٣) Leland M. Goodrich aud Gabriella E. Rooner, The Uuited Nation Emergeucy Force, in : Juteruational Orgauization, Vol. XI, no. 3, Summer 1957 pp. 427-428.

وفى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٧ أوضح المندوب السوفيتى أمام الجمعية العامة وجهة نظر بلاده فى مستقبل قوة الطوارئ الدولية ، وقد أكد أنه لن تكون هناك وظيفة أخرى للقوة تؤديها فى مصر بعد أنسحاب القوات الأجنبية (١).

ثانيا : موقف الاتحاد السوفيتى من المرور فى قناة السويس بعد العدوان :

عندما أممت مصر شركة قناة السويس اعتبرت إسرائيل ذلك الإجراء مدعما للممارسة المصرية بالنسبة لمرور السفن الإسرائيلية فى القناة ، وفى غمرة التأييد السوفيتى للموقف المصرى لم يكن السوفيت معنيين كثيرا بما إذا كان الإجراء المصرى سيؤثر على إسرائيل أم لا ، وجاء فى مذكرة سلمها السوفيت إلى السفارة الإسرائيلية فى موسكو فى ٧ أغسطس أن :

« مبدأ حرية الملاحة فى قناة السويس كما جاء فى اتفاقية سنة ١٨٨٨ كان سليما لم يمس ، وكان الأمتثال له كاملا» .

ولذلك لم يبدو غريبا أن تعبر حكومة إسرائيل عن دهشتها لهذا « الأدعاء » السوفيى وخيبة أملها من أن الاتحاد السوفيتى كان يتجاهل إسرائيل كعامل فى تسوية مشكلة قناة السويس (٢) .

ثم كانت المرحلة الأخيرة التى ثارت فيها المسألة فى هذه الفترة أثناء المناقشات المتعلقة بعدوان سنة ١٩٥٦ على مصر والأمم المتحدة ، وقد كانت إسرائيل ترغب فى جعل الأنسحاب من كل سيناء وقطاع غزة متوقفا على تحقيق شروطها (٣).

---

(١) Ibid, p. 428.

(٢) وأيضاً دكتور ، سمعان بطرس فرج الله : الأمم المتحدة والعدوان الإسرائيلى فى السياسة الدولية ، القاهرة ، مؤسسة الأهرام ، السنة الرابعة ، العدد ١٤ اكتوبر ١٩٦٨ ، ص ٧٤ .

(٣) Dagan, op. cit, p. 104.

بينما كان الاتحاد السوفيتى يعارض أية شروط إسرائيلية لإتمام الأنسحاب(١).

اذعان إسرائيل النهائى للانسحاب :

عقدت الجمعية العامة اجتماعا فى بدايه عام ١٩٥٧ للنظر فى مسألة أنسحاب إسرائيل ، وانتهت مناقشات الجمعية بالموافقة على مشروعى قرارين : أولهما : يقضى باستنكار عدم أذعان إسرائيل لما سبق إقراره ويطلب إليها الأنسحاب التام بدون تأخير (٢)، ويقضى الثانى باقرار المقترحات المقدمة من السكرتير العام بتاريخ ٢٤ يناير بمرابطة قوة الطوارئ على خطوط الهدنة بين مصر وإسرائيل المبينة بشروط الهدنة (٣) .

وقد قررت الولايات المتحدة أن تكون هى الرائدة فى اجتياز الصخرة التى أرتبطت بها المساعى للتوفيق بين مصر وإسرائيل بشأن حق المرور فى القناة فعرض « دالاس » أن تسحب إسرائيل قواتها من جهة « شرم الشيخ » ومن قطاع غزة ، وفى مقابل ذلك تستعمل الولايات المتحدة حقها الدولى الذى يجيزه المرور البرئ فى مضايق تيران إلى خليج العقبة لبلوغ ميناء إيلات(٤)، وقد كانت هذه الرغبة من جانب الولايات المتحدة فى مساندة حق « المرور البرئ » عنصر جديدا فى السياسة الأمريكية .

---

(١) أنظر رسالة رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى إلى رئيس وزراء إسرائيل ٥ نوفمبر عام ١٩٥٦ فى : الاتحاد السوفيتى والشرق الأرسط ، مرجع سابق ، وكذا رد بن جوريون .

Exehange of Notes between Premier Bnlgauin and Prime minister David Beu Gurion, in Middle Eastern affairs, Vol. VIII, uo. 1, January 1967, pp. 13-15.

(٢) ORGA, Eleventh Session, 1967, Resolution 1124 (NI) supplment No. 17 (A/3572). p. 62.

(٣) Ibid.

(٤) Reston James « 3 ky Mideast Dicision « in : New York Times, March 1, 1957.

وكان موقع « شرم الشيخ هو المركز الذى تتمثل فيه أهمية مسألة « المرور البرئ » فإن السفن التى تدخل خليج العقبة قاصدة إلى ميناء إيلات تمر فى المياه الإقليمية المصرية داخل مرمى المدافع المنصوبة فى شرم الشيخ الواقع فى الطرف الجنوبى من شبه جزيرة سيناء ، وكان لمصر فى أوقات الحرب حق التحكم فى هذا الشطر من الملاحة ، غير أن الأمم المتحدة كانت قد سنت منذ سنوات (١) تعليمات تقضى بأنه « لا يحق لاحد من الطرفين (مصر وإسرائيل) أن تتمسك بمقولة أنه فى حالة حرب مع الآخر ويعمد إلى استعمال حقه فى الصعود إلى السفن وتفتيشها ومصادرة ما فيها بحجة الدفاع المشروع عن النفس » .

ولقد كانت مصر من الوجهة الفنية لاتزال فى حالة حرب مع إسرائيل إذ أنها لم توقع معها أى معاهدة للصلح فى أعقاب الحرب الماضية، وكانت مصر تخشى أن يكون تحصن إسرائيل فى غزة وشرم الشيخ وسيلة لحمل العرب على أبرام صلح رسمى ، من شأنه أن يضيع على مصر حق إقفال خليج العقبة فى أوقات الحرب .

على أن الجمعية العامة عادت إلى النظر فى مسألة السويس خلال تسع جلسات لها فيما بين ٢٢ فبراير ، ٨ مارس .

ومن ناحية أخرى تجلت مساعى الأمم المتحدة فى تصريح همرشلد سجل فيه نتائج مباحثاته مع الأطراف المعنية، فى ٢٢ فبراير ، وجاء فيه أن رغبة الحكومة المصرية لاتتعارض مع انتشار قوات الطوارئ فى قطاع غزة بالإضافة إلى الحدود ، وإيجاد شرطة فعالة لمنع التسلل وضمان إدارة مدنية فعالة ، وأسهام أكبر فى رعاية اللاجئين والتنمية الاقتصادية ، وقد أخذت الحكومة المصرية (٢) على هذا التصريح أنه يتمشى مع وجهة النظر الإسرائيلية القائلة

---

(١) وذلك فى ١ سبتمبر عام ١٩٥١ .

(٢) Waiid Abi Murshid : Israeli withdrawal from sinei, op. rit.

بأن انتشار أعمال الفدائيين إنما ترجع إلى ما يعانيه اللاجئون من بؤس وشقاء، وصدر بيان عن الحكومة المصرية يعلن أن غزة ليست خاضعة لنظام الوصاية حتى توضع تحت إدارة الأمم المتحدة ».

ثم عاد همرشلد فأيد المبدأ القائل بأن وضع قطاع غزة مستمد من نظام الهدنة ، وأن قوات الطوارئ لا تتمتع بصفة سياسية ، بل يقتصر دورها على حل المشاكل العاجلة وأن أنهاء مهمتها متروك للجنة الاستشارية بالاتفاق مع الأمم المتحدة ».

وجرت محاولات أخيرة فى أروقة الأمم المتحدة لكى تصدر أعلانا بأن خليج العقبة هو مياه دولية ، وتبنت كل من فرنسا وكندا هذا الاقتراح ، ولكن غالبية الأعضاء اعتبرت مثل هذا التصريح مكافأة للعدوان ، وخاصة إذا صدر قبل الأنسحاب ».

أما جولد مائير وزيرة الخارجية الإسرائيلية (١) فقد ذكرت أمام الجمعية العامة رغبة بلادها فى أن يصدر أعلان من هذا النوع بخصوص غزة و المضايق ، فلم تجد استجابة من غالبية الأعضاء . لذلك رؤى الاقتصار على إعلان من الدول البحرية الهامة يطبق فقط على حرية الملاحة دون الإشارة إلى قطاع غزة . . . وقد أصدرت هذا الإعلان نحو ست عشرة دولة كان من بينها الولايات المتحدة و بريطانيا وفرنسا وكندا وهولندا وبعض دول أمريكا اللاتينية ».

كذلك فقد قامت ست من الدول العربية والآسيوية بتقديم مشروع قرار فى يوم ٢٢ فبراير يدعو إلى اتخاذ إجراءات ضد إسرائيل إذا أمتنعت عن الأنسحاب التام من الأراضى المصرية ويطلب إلى السكرتير العام الابلاغ عن سير تنفيذ هذا القرار (٢) ، وقد أشار المتحدث عن أصحاب مشروع

---

(١) Walid Abi Mnrshid : Israeli Withdrawl from sinai op. cit

(٢) Verbatim Rrcoıd of the 599th meeting of the general Assembly, 22 February 1557. Document A/PV 659.

القرار إلى بيان سبق أن صرح به الرئيس « أيزنهاور » بهذا النص (١) :

« أننا نقترب من لحظة حاسمة سنكون فيها أمام أمرين: أما الاعتراف بأن الأمم المتحدة غير قادرة على إعادة السلام فى هذه المنطقة ، وأما أن تقوم الأمم المتحدة فى مزيد من القوة ، ببذل جهودها من جديد لحمل إسرائيل على الإنسحاب » .

وكان لمساندة الولايات المتحدة الأثر الكافى لتحقيق الغرض المقصود من مشروع قرار ٢٢ فبراير رغم عدم الاقتراع عليه قط ، وقط قامت وزيرة خارجية إسرائيل – إزاء ذلك – بإبلاغ الجمعية فى أول مارس أن إسرائيل ستقوم بسحب قواتها من قطاع غزة وشرم الشيخ ، على أساس أن تكون قوة الطوارئ للامم المتحدة وحدها دون غيرها هى التى تتولى السلطة فى الشئون العسكرية والمدنية ، ومع الافتراض بوجه عام أن واجبات قوة الطوارئ فى مضيق تيران تشمل منع الأعمال التى لاتجوز إلا فى حالة الحرب (٢) .

وقد أبدى أحد المراقبين ملاحظة فى هذه قائلا (٣) :

أن أكداس الوثائق الغامضة فى معناها ، المتضاربة فى مرماها من قرارات للجمعية العامة إلى تقارير السكرتير العام ، إلى تهديدات ووعود من رجال حكومات مصر وإسرائيل والولايات المتحدة قد أصبحت الآن لايمكن الوصول إلى غورها ، حتى لقد صار من الصعب على أى إنسان أن يعرف على وجه التحقيق ما هو الذى يحق للامم المتحدة أن تفعله » .

---

(١) « Text of Eisenhower's Adress of the Nation on sitnation in Mindle East » New York Times Feb. 37, 1955.

(٢) ORCA, Eleventh Session, 1967, 696 the meeting March 1, 1957, pp 1175-1276.

(٣) Hamilton; Thomas, « Lessons for the UN in five montes tcs » in : New York Times, Mareh 3, 1957.

وعموما فقد ظفرت إسرائيل بنوعين من الضمانات : الأول أمريكي، والثاني تصريح خاص من أهم الدول البحرية . وتخلت عن التمسك بأن يكون الإعلان باسم الأمم المتحدة كما حدث تحول في السياسة الإسرائيلية أزاء قطاع غزة بحيث لم تعد تصر على عدم عودة الإدارة المصرية إلا أنها ظلت تطالب بتحديد اختصاصات الأمم المتحدة في غزة وتوسيعها بقدر الإمكان، وهو ما رفض المندوب الأمريكي أن يوافق عليه ، ففي خطاب إلقاه كابوت لودج في أول مارس قال أن حكومته مازالت ترى عدم تغيير الوضع القانوني للقطاع ، كما قابل دالاس ممثلي الدول العربية وأخبرهم أن الولايات المتحدة لم تعط وعدا محددا لإسرائيل مقابل الأنسحاب ، واحتج على ماتذيعه الدوائر الشيوعية من أنه يوجد اتفاق سري بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وقال أن أنسحاب إسرائيل إنما تحقق نتيجة موقف الأمم المتحدة وشبه اجماعها على هذا الأنسحاب .

وقد أثار تصريح لودج قلق إسرائيل التي ظلت تعلق الأمل على أن تؤيد الولايات المتحدة إيجاد إدارة دولية في غزة ، ووصف بن جوريون هذا التصريح بأنه يتنافى مع الضمانات وأن لم يوضح طبيعتها ، ولكن قرار الأنسحاب كان قد اتخذ في ذلك الوقت . ورأى أيزنهاور أن يشجع الحكومة الإسرائيلية على تنفيذه . فأرسل كتابا في ٢ مارس (١) ذكر فيه أنه بعد أن يتم أنسحاب إسرائيل فإن الولايات المتحدة ستعمل بالاتفاق مع الدول الأخرى ، لايجاد ظروف أكثر استقرارا في الشرق الأوسط وتساعد على رعاية مصالح السكان والارتفاع بمستوى معيشتهم في المنطقة ، ولعله كان يمهد بذلك لما سيعرف بمشروع إيزنهاور لدعم السلام وتوطيد الاستقرار في الشرق الأوسط .

---

(١) Walid Abi Murshid. Israel withdrawal from Sinei op. cit.

وفى الجمعية العامة للامم المتحدة — التى اختارتها إسرائيل مسرحا لإصدار تصريحاتها الخاصة بأكمال الأنسحاب من العقبة وغزة — ذكرت جولداماثير فى أول مارس سنة١٩٥٧أنها ترغب اسماع أعضاء الأمم التحفظات الإسرائيلية بشأن إدارة غزة الدولية وتأمين حرية الملاحة بصورة دائمة ، وذلك بعد أن اخفقت فى الحصول على قرار يتضمن هذه التحفظات من المنظمة الدولية ، وقد أشرنا إلى تعقيب المندوب الأمريكى كابوت لودج على التصريح الإسرائيل ،وكيف أنه أيد استمرار نظام الهدنة الذى يكسب مصر حقوق الإشراف على القطاع وأن كان قد تمنى توسيع مهمة قوات الطوارئ فى غزة ، يدل ذلك (١) على أن الولايات المتحدة كانت أبعد فى مسألة تدويل قطاع غزة من وجهة النظر الإسرائيلية بخلاف مسألة الملاحة فى مضايق تيران حيث أعطت إسرائيل الضمانات الشفوية .

وفى قطاع غزة سارت الأمور بطريقة مختلفة ، فإن عبارة توسيع وجود الأمم المتحدة ، فتحت الباب لتأويلات مختلفة ،ولم يخف بن جوريون شكوكه فى مصير القطاع ، ففى حديث له أمام الكنيست قال أن الولايات المتحدة ودولا أخرى قد وافقت على أن تخضع غزة لإدارة دولية ، إلى أن يتم التوصل إلى صلح . وأضاف « أننى غير متأكد مع ذلك من أن مصر لن تعود إلى ممارسة الإدارة المدنية فى القطاع ، بل ربما إدخال قواتها إليه » .

ولما تأهبت إسرائيل لتسليم القطاع لقوات الطوارئ ، بعث قائدها الجنرال بيريز يستوضح من همرشلد عن الموقف الذى ينبغى اتخاذه بخصوص عودة الإدارة المصرية أو الشرطة المصرية إلى القطاع ، وكيف يجيب موشى ديان لوسأله عن ذلك . فإحالة الأمين العام إلى خطاب كابوت لورج فى الجمعية العامة والذى ذكر فيه أن إنسحاب إسرائيل يجب أن يكون غير

---

(١) دكتور صلاح العقاد : الانسحاب الإسرائيلى من سيناء عام ١٩٥٦ : مرجع سابق

الشروط . وأضاف همرشلد (١) :

« إذا سأل ديان عن ذلك ، فإن قائد القوات الدولية الدولية غير مكلف بالرد عليه »

وقد اتخذت مصر موقفا حازما — خصوصا — بعد التأييد الذى لاقته من سكان غزة الذين قابلوا قوات الطوارئ بفتور ، وظلت المدارس والمحاكم مغلقة وتوقف تصدير الحمضيات ثم نشبت إضرابات مؤيدة لمصر تنادى بعودة الإدارة المصرية ، فكان من الطبيعى أن تبادر الحكومة المصرية إلى تعيين حاكم إدارى على النمط الذى كان معمولا به قبل العدوان ، ويذكر بيرنز (٢) أنه بعد أن تغاضت الأمم المتحدة عن هذا الإجراء ؛ أمكن الحصول على اتفاق الجنتلمان مع الحكومة المصرية ، وذلك بأن تعهدت إلا ترسل قوات عسكرية إلى القطاع والاتسمح للفدائيين باستخدامه لممارسة نشاطهم . والواقع أن مصر لم تخسر شيئا من الناحية العسكرية ، لأن نظام الهدنة نفسه كان يجعل القطاع عديم القيمة من الناحية العسكرية بل وغير صالح للدفاع ، لأنه يحدد الجنود المسموح لهم بالمرابطة فيه ، كما يحظر إدخال الأسلحة الثقيلة إليه .

وفى ٨ مارس صرح السكرتير العام للامم المتحدة فى تقرير له أن إسرائيل قد أذعنت لقرار ٢ فبراير وقد دخلت قوات الطوارى الدولية بالفعل إلى منطقة شرم الشيخ عقب أنسحاب القوات الإسرائيلية منها ، ولم يحل يوم ٢٦ مارس حتى كانت جنود قوات الطوارئ قد انتشرت على طول جميع خطوط الهدنة ، ومهمتها (٣) مراقبة وقف الاشتباكات والتدخل بين الطرفين المتنازعين ، ولم يكن دورها دور المراقبين — كما كان

---

(١) Burns B, L. M. Between Arabs anu Israel, London, 1962.

(٢) Ibid.

(٣) Aleum op. cit. pp. 339–390.

دور هيئة مراقبي الهدنة وإنما كانت قوة مسلحة تقوم بدوريات على الحدود المصرية الإسرائيلية وقطاع غزة التي يبلغ طولها ١١٧ ميلا ، وترابط على الجانب المصرى من الحدود بموافقة الحكومة المصرية ، وكانت تلك القوة تتكون (١) من ٣٣٩٣ رجلا — منهم ٩٧٨ هنديا ، ٨٠٠ كندى ، ٥٨٠ يوغسلافى ٥٢٨ سويدى ، ٤٣٢ برازيلى ، نرويجى ، وثلاثة أمريكيين.

النتائج المباشرة لعدوان ١٩٥٦ على الصراع العربي الإسرائيلي :

ليس من أغراض هذا البحث دراسة الآثار التي خلفتها الهزيمة التي نزلت بمصر عسكريا ، أو النجاح الدبلوماسى الذى حققته مصر على مواقف كل من بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط ويكفى أن نتعرض لنتائج قضية السويس على المشكلة الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلى .

وعموما فإن جميع الأطراف قد أدعوا أنهم خرجوا منتصرين من حملة سيناء ، فزعم أيدن أنه منع أتساع الأزمة وإمتداد الحرب إلى مناطق أخرى وكأن هذا هو الهدف الحقيقى من غزو مصر . وفى فرنسا لم يخجل بعض الوزراء من التصريح بأنهم حققوا بالحملة أمن إسرائيل وذلك بفتح خليج العقبة وتحييد قطاع غزة (٢) فتساءل آخرون بحق ؟ وهل كان أمن إسرائيل يتطلب أن تنفق فرنسا ثلاثين مليون فرنك ثم تنسحب — دون أن تحقق هدفها الأساسى وهو النيل من النظام القائم فى مصر والذى يمد الثوار الجزائريين بمساعداته المعنوية المادية ؟ فالنتيجة هى الخسارة بالنسبة لبريطانيا وفرنسا .

وإذا كان هناك من خرج رابحا من هذه الحرب منهما فهما مصر وإسرائيل

---

(١) Dranth, op. cit. pp. 64–55.

(٢) Azeau, Le Piege de Sucz. op. cit. p. 389.

غير أن مكاسب الأخيرة أعظم شأنا، فبإنتصار إسرائيل سنة ١٩٥٦ وبالرغم من اضطرار قواتها إلى الانسحاب يوم ٥ مارس ١٩٥٧ خلف حدود اتفاقيات الهدنة والاعتقاد الذى ساد آنئذ بأنها قد حرمت ظلما من نتائج انتصارها فان الحقيقة أن شيئا من ذلك لم يحدث ، فإذا كان الإسرائيليون لم يحتفظوا بشيء من مكاسبهم الإقليمية فإنهم قد حصلوا على بعض المزايا الدائمة .

وقد كسبت إسرائيل فرصة استخدام خليج العقبة بعد أن كان محظورا عليها بموجب بنود اتفاقيات الهدنة المصرية — الإسرائيلية — منذ سنوات فتحقق مقدار من السلامة والهدوء على طول الحدود من قطاع غزة وجاء ذلك إلى حد كبير نتيجة لتركز قوات الطوارئ الدولية على الجانب المصرى من خطوط الهدنة ، لكن إسرائيل مع ذلك قد أخفقت فى نيل حرية المرور لسفن الشحن عبر السويس ، كما فشلت فى إزاحة عبد الناصر الذى شهد نفوذه — فى الشرق الأوسط ولدى الرأى العام العربى — تصاعداً كبيراً بعد العدوان الثلاثى فبرهن بذلك أنه خطر أشد تهديدا من السابق .

غير أن الإسرائيليين من ناحية أخرى هدموا نظام الجيش المصرى واتلفوا جانبا كبيرا من أحدث مالديه من معدات وأثبتوا بذلك للعرب أن الجيش الإسرائيلى قادر على هزيمة أى جيش عربى .

أيضاً فقد حصل الإسرائيليون على ميزة لا يستهان بها ، وهى نزع سلاح تيران وشرم الشيخ ومراقبة هذه المواقع بمعرفة قوة الطوارئ الدولية مما حقق لهم الملاحة فى خليج العقبة وإزالة الحصار الذى كان مفروضا على ميناء إيلات .

أما بخصوص عبد الناصر — فقد صوره الإسرائيليون كطاغية متعطش إلى السلطة معتبرين إياه بأنه يشكل الخطر الأعظم على إسرائيل (١)

---

(١) أبا ايبان فى خطابه أما الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١ نوفمبر ١٩٥٦ .
Voice of Israel, p. 276–291.

إلا أن ما يقبع خلف كثير من الخطابية الإسرائيلية المتعلقة بعبد الناصر هو الافتراض المحتمل الصحة فى أن زعامة عبد الناصر بريقها الذى يستحوذ على الرأى العام العربى كانت تملك الطاقة القادرة على هز الحكومات العربية الأخرى وبسط السيطرة على سياستها تجاه إسرائيل ، وفضلا عن ذلك كانت هناك إمكانية فى أن ينجح عبد الناصر فى إقامة اتحاد عربى له القوة الكافية للقضاء على دولة إسرائيل ، أو فى الحصول على تنفيذ لقرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ والداعى إلى تخيير الفلسطينيين بين العودة إلى ديارهم أو صرف التعويضات لهم .

ومن الوجهة الدبلوماسية فقد خسرت إسرائيل وذلك بافساد العلاقات التى كانت ترجو أن تنشئها مع الدول الآسيوية والأفريقية بسبب إشتراكها مع دولتى الاستعمار القديم ، وكان أن خلطت إسرائيل بين مطامعها ومطامع الاستعمار البريطانى والفرنسى الذى كان لايتقبل قرار تأميم القناة وتخليه عن نفوذه على هذا المجرى المائى الهام ، ففى هذه الفترة بدت إسرائيل أمام الرأى العربى والأفروآسيوى ، كرأس الجسر الذى رأى الاستعمار العتيق الأوروبى فيه الوسيلة للوصول إلى قناة السويس ولهذا عندما اضطرت بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب عن أرض سيناء تحت وطئة الضغط الأمريكى من ناحية واحتمال خطر المواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة — كما يرى البعض (١) — من ناحية أخرى فى المنطقة لم يكن على إسرائيل إلا الانسحاب أيضا على مضض. ولكنها لم تترك جانبا أحلامها الصهيونية الخاصة بسيناء باعتبارها جزءا من أرض الشعب اليهودى وإن لليهود حقوقا قومية على « أرض إسرائيل الكبرى » التى تمتد من النيل إلى الفرات.

= جولدا مائير فى خطابها أمام نادى الصحافة الوطنى ، واشنطن د. س. فى ١١ ديسمبر ١٩٥٠

This is our strength, p. 79.

(١) دكتور صلاح العقاد — قضية فلسطين . المرحلة الحرجة مرجع سابق ص ٢٣٨ .

وهكذا وافقت إسرائيل على الأنسحاب من المناطق المحتلة بفضل الضغوط الاقتصادية الأمريكية — التى يرى بعض المؤرخين المعاصرين (١) — أنها كانت أكثر فعالية من التهديدات السوفيتية التى يصعب تنفيذها ، غير أن الولايات المتحدة وبالرغم من ذلك — لم تلبث أن فقدت رصيدها من حسن نوايا العرب تجاها الذى اكتسبته بفضل أجبارها لإسرائيل على الأنسحاب وذلك بسبب العداء للشيوعية المتسلط عليها آنئذ وعدم فهمها بالتالى لمشاكل الشرق الأوسط .

وعموما فقد بقى السوفيت والأمريكيون القوتين الوحيدتين المتنافستين على بسط النفوذ على الشرق الأوسط ، وأزالوا بذلك الفرنسيين والأنجليز على السواء من المنطقة وهو ما أفزع الأمريكيين بعد ذلك حيث أعتراهم الخوف أمام قوة الموجة الحيادية التى اعتبروها بالطبع من فعل موسكو ، كما أفزعهم بالتالى ما أسموه بالفراغ الذى نتج عن زوال النفوذ الإنجليزى الفرنسى ، وخصوصا بعد أن تمتع عبد الناصر بمؤازرة اليسار له فى سياسته الخارجية واستمرار الفريق العسكرى الحاكم فى سيطرته تماماً على زمام الموقف .

وأما بالنسبة لمصر فللمسألة وجهان ، فبمقياس المصالح الاقتصادية الداخلية يمكن القول أنها خرجت وقد كسبت تأميم قناة السويس وهى من كبريات الشركات الأجنبية التى لها ماضى سيئ فى استغلال البلاد وكانت تلك مناسبة لكى تتخلص مصر من كثير من مظاهر النفوذ الاقتصادى الأجنبى فى البلاد .

كذلك فإن المصريين قد تحملوا قوات الطوارئ الدولية - كنتيجة مباشرة لعدوان ١٩٥٦ — وذلك على طول الحدود المصرية فقط مع إسرائيل وهذا يعطى فكرة عن أهم نتائج حرب السويس بالنسبة للصراع العربى

---

(١) Rodinson, Maxeme : op. cit. pp. 61-62.

الإسرائيلى ويعكس إصرارا من عبد الناصر بأن لا يسمح لنفسه أن تحتويه الأحداث الجارية والقضايا الثانوية وطنطنه Clammer أجهزة الأعلام العربية للدخول فى حرب ضد إسرائيل (١) .

وسوف نجد بعد ذلك كيف أن عبد الناصر قد صمد بحزم ملحوظ فى وجه الغمز المتكرر من جانب بعض الدول العربية ، ونفاذ الصبر الواضح فى الرأى العام العربى عموما والأنفجاوات المتكررة نتيجة لنشاط الفدائيين الذى لم يتوقف على الجانب السورى الأردنى — وهذا لايعنى طبقا لآراء بعض الباحثين(٢) — أن عبد الناصر قد تحاشى الحرب من أجل السلام مع إسرائيل ، بل على العكس فان التزام مصر بهدف الوحدة العربية المتكاملة التى حدثت بعد حرب سيناء بفترة قصيرة وضعها أكثر من قبل أمام تحدى التدمير النهائى لإسرائيل أو شلها .

وبالنسبة لقضية فلسطين — وهى ليست بأقل حيوية لأنها قضية عربية عامة — فيمكن القول أن غياب استراتيجية فضلا عن عدم التنسيق وتعدد السياسات العربية جعل مصر تخرج خاسرة من هذه الناحية ، ومن الخطأ تصوير النتيجة بأنها نصر شامل .

وقد استمر العرب يتجاهلون الهزيمة التى حاقت بهم ، وحيا الرأى العام العربى عبد الناصر كبطل تمكن من قهر دولتين كبيرتين ، أما اليهود فقد أكتفى العرب بالنظر إليهم كمجرد مطية ومخلب للأستعمار — يسيرون — أى اليهود — فى ركابهم ويتعلقون بغيرهم كالطفيليات ويستغلون عمل

---

(١) ، (٢) Safran, Nadav ; From war to war, op cit. pp. 45–47.

(٢) Ben Elissar (Elaho) and Schiff (zeev) La guerre Israelo-Arabe 5–10 Juin 1967, p. 36–39.

غيرهم ، وأنه لابد للعرب من أن يقضوا على إسرائيل التى تعتبر معقلا للأمبرياليه فى الشرق الأوسط .

ورغم كل ذلك فقد تركت الهزيمة العسكرية فى سيناء أثرا شديدا فى نفس عبد الناصر ، إذ خرج منها مقدرا للأمور بتبصر وتروى أكثر من أى وقت مضى ، وأصبح يفكر فى الأمور — قبل أن يقدم عليها — تفكيرا عميقا وسليما ، ولو أن تدمير إسرائيل فى نظر عبد الناصر هو الهدف الأسمى إلا أنه لم يعد الهدف العاجل .

تسلسل تاريخي لأهم أحداث العدوان الثلاثي

عام ١٩٥٥ :

٢٤ سبتمبر ١٩٥٥	صفقة الأسلحة التشيكية لمصر .
٢٩ سبتمبر	الحكومة الأمريكية تعرض قرضا على مصر لبناء السد العالى .

عام ١٩٥٦ :

١٩ يوليو	دالاس يسحب عرض تقديم قرض لبناء السد العالى .
٢٦ يوليو	عبد الناصر يؤمم قناة السويس .
٢٩ يوليو	روبرت مورفى نائب وكيل وزارة الخارجية الأمريكية يطير إلى لندن
١ ، ٢ أغسطس	دالاس فى لندن للتفاوض مع الزعماء الإنجليز والفرنسيين .
٦ أغسطس	بيان ثلاثى مشترك تصدره الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .
١٦ ، ٢٣ أغسطس	مؤتمر لندن الأول للدول البحرية الذى تمخض عن اقتراح الدول الثمانى عشرة لتسوية نزاع السويس .
١٠ سبتمبر	منزيس رئيس وزراء استراليا على رأس لجنة من خمسة أعضاء لتقديم المقترحات إلى عبد الناصر — رفض المقترحات .

١٣/١٢ سبتمبر	مشروع دالاس باقامة هيئة المنتفعين بقناة السويس .
٢١/١٩ سبتمبر	مؤتمر لندن الثانى للدول البحرية لإقامة هيئة المنتفعين بقناة السويس .
٢٦ سبتمبر	بريطانيا و فرنسا تتقدمان بشكوى إلى الأمم المتحدة — مصر ترد بشكوى مضادة .
٥ أكتوبر	بدء مفاوضات مجلس الأمن حول نزاع السويس
١٠ أكتوبر	إسرائيل ترد على هجمات الأردن بغارات انتقامية على قلقيلة .
١٣ أكتوبر	مجلس الأمن يقر ٦ مبادئ . موسكو تعترض بالفيتو على حق الإشراف الإدارى .
١٦ أكتوبر	اجتماع خطير بضم زعماء الإنجليز والفرنسيين فى باريس للبحث فى العدوان .
١٦ أكتوبر	السكرتير العام للأمم المتحدة يطالب مصر بتقديم مقترحات ترضى الحلفاء .
١٦ أكتوبر	بدء ستار من السرية على أنباء الحلفاء فى واشنطن .
٢٣ أكتوبر	بدء ثورة المجر المناهضة للاتحاد السوفيتى والأمم المتحدة تواجه المشكلة .
٢٣ أكتوبر	القاهرة تعلن عن قيادة عربية مشتركة للقوات المصرية والسورية يتولاها القائد العام المصرى .

٢٧/٢٦ أكتوبر	الرئيس إيزنهاور يحذر إسرائيل ضد أى إجراء عسكرى .
٢٩ أكتوبر	إسرائيل تغزو مصر عن طريق سيناء .
٣٠ أكتوبر	بريطانيا وفرنسا تقدمان إنذارين لإسرائيل ومصر لوقف القتال .
٣٠ أكتوبر	الإنجليز والفرنسيون يعترضون « بالفيتو » على القرار الأمريكى والسوفيتى بوقف القتال .
٣١ أكتوبر	بريطانيا وفرنسا تشتركان فى الهجوم على مصر .
أول نوفمبر	قرار الولايات المتحدة بوقف إطلاق النار فى اجتماع طارئ للجمعية العامة للأمم المتحدة اتخذ ضد بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .
٢ نوفمبر	إسرائيل تنتصر على مصر فى سيناء .
٤ نوفمبر	الأمم المتحدة تقرر إرسال قوة طوارئ إلى مصر .
٥ نوفمبر	الاتحاد السوفيتى يهدد بالتدخل فى النزاع بالقنابل الذرية والمتطوعين .
٩ نوفمبر	بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ومصر تقبل وقف إطلاق النار
٧ نوفمبر	الأمم المتحدة تقرر شروط عمل قوات الطوارئ الدولية .
٧ نوفمبر	إسرائيل تناوئ فى غزة والعقبة مقابل الانسحاب

١٤ نوفمبر	الكتائب الأولى من قوات الطوارئ الدولية تصل إلى السويس .
٢٤ نوفمبر	الأمم المتحدة تصوت بالأنسحاب التام للغزاة .
٣ ديسمبر	الإنجليز والفرنسيون ، تحت الضغط الأمريكى ، يتعهدون بالأنسحاب .
٢٢ ديسمبر	الإنجليز والفرنسيون يغادرون السويس عن آخرهم .

عام ١٩٥٧ :

يناير - فبراير	الأمم المتحدة تضغط على إسرائيل للأنسحاب التام غير المشروط ، التهديد بتوقيع العقوبات فى حالة رفض الأذعان
١١ فبراير	مذكرة أمريكية تعد إسرائيل بالمرور فى العقبة وحماية قوات الطوارئ الدولية لها ضد أى هجمات من غزة .. تهديد أمريكى فى الوقت نفسه بتوقيع العقوبات .
أول مارس	إسرائيل تقبل التعهد الأمريكى وتعهد دول بحرية أخرى بارزة ، إسرائيل تبدى استعدادها للانسحاب .
٨ مارس	إسرائيل تسحب جميع قواتها .
٢٥ مارس	تطهير قناة السويس لتصبح صالحة للملاحة .



الباب الثالث

من إنسحاب قوات العدوان الثلاثى إلى حرب يونيو ١٩٦٧



الفصل الأول

تطورات مشكلة فلسطين وردود فعل الرأى العام العالمى

أساليب الحرب الباردة :

اقتصرت المشكلة الفلسطينية عموما والنزاع العربى الإسرائيلى على وجه الخصوص بعد العدوان الثلاثى على استخدام أساليب الحرب الباردة وأخذت القرارات تتوالى عاما بعد آخر أمام الجمعية العامة للامة المتحدة تدعو الطرفين ، فى قليل أوكثير من الالحاح ، إلى تسوية مابينهما من نزاع بالطرق السلمية ، وإلى إيجاد الحل الملائم لمصير اللاجئين الفلسطينيين(١) ، على أساس من القرارات السابقة .

غير أن العناد الإسرائيلى ظل ومستحكما ،ومن ناحية أخرى بقى الحرب على موقفهم من رفض الاعتراف بالوجود الإسرائيلى ، وبقى الإسرائيليون على عنادهم وتنكروا تماما للقرارات الأساسية الخاصة باللاجئين الفلسطينين ، وكان أهمها الفقرة الحاديه عشرة من القرار رقم ١٩٤ الصادر بتاريخ ١١ من ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

ومع أن التوتر بقى مستمرا بعد عام ١٩٥٧ ، فإن النزاع المسلح بين العرب والإسرائيليين فى هذه الفترة كان على حد أدنى نسبيا ، هذا الهدوء جاء إلى درجة كبيرة نتيجة للتجنب المتعمد من المجابهة المباشرة(٢) والتفت كل من العرب وإسرائيل إلى تركيز متجدد على التطور الداخلى ، لكن المواقف الأساسية من المعارضة لم تتغير ، لقد تحجرت بالفعل .

---

(١) Aleum, op. eit, pp. 391-392.

(٢) Beu Gurion, David, Israel, Years of challenge op. cit, p 105..

ففى إسرائيل ، أخذت الدولة الصهيونية تنعم بالسلم أكثر مما نعمت بالنصر الذى أحرزته ، ولو أن هذا السلم كان غير مستقر إذ أن المشكلة الرئيسية ظلت دون حل(١) ؛

وعلى ضوء النتائج السياسية للتواطؤ الثلاثى البريطانى الفرنسى الإسرائيلى أخذت إسرائيل فى عام ١٩٥٧ تركز سياستها الخارجية لخدمة أمنها القومى عن طريق الحصول على أحدث الإسلحة والمعدات اللازمة لتطوير جيشها ، وفقا للدروس العسكرية المستفادة من هذه الحرب ، وأيضاً لكسب ضمانات أمن جديدة من الاستعمار الغربى لحماية حدودها .

واتجهت إسرائيل فى سعيها نحو كسب ضمانات أمن إضافيه لوجودها إلى الولايات المتحدة تطلب منها هذه الضمانات وتعرض عليها الثمن(٢) : أن تقوم بتوسيع الموانى والمطارات الإسرائيلية حتى تصبح صالحة للاستعمال كقواعد عسكرية للولايات المتحدة الأمريكية فى حالات الطوارئ .

غير أن الولايات المتحدة كانت تعتبر أن مشروعها الجديد الذى عرف باسم « مبدأ ايزنهاور » كفيل بتوفير الضمانات التى طلبتها إسرائيل . وكان الاتجاه الثانى هو محاولة الارتباط بحلف شمال الاطلنطى — غير أنها لم تنجح فى تحقيق أى إرتباط مباشر بالحلف .

وفى ٩ مارس سنة ١٩٥٧ ، أصدر الكونجرس الامريكى قراره بشأن مشروع إيزنهاور تحت اسم قرارا « دعم السلام وتوطيد الاستقرار فى الشرق الأوسط » الذى خول إيزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة ، وإنفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الأمن المشترك .

---

(١) Ben Elissar,, Ilahu and Schiff Zeev : Le Guerre Israelo-Arabe 5-10 Juin 1967 p. 38-39.

(٢) Bar gahar, Michaal, The Armed Prophet op. cit, pp. 285.

وأوفد ايزنهاور ممثله الشخص جيمس ريتشاردز (الرئيس السابق للجنة الشئون الخارجية بالكونجرس فى مهمة استطلاعية إلى مختلف دول الشرق الأوسط لحثها على قبول « مبدأ أيزنهاور » ، وفى أوائل مايو ١٩٥٧ ، زار السفير جيمس ريتشاردز إسرائيل التى أعلنت ترحيبها بمساعدة الولايات المتحدة فى المحافظة على استقلال دول الشرق الأوسط ووحدة أراضيها ؛ وخاصة بعد أن أدى فشل المحاولة التى بذلتها بريطانيا وفرنسا للبت فى النزاع الخاص بقناة السويس بالقوة العسكرية ، إلى القضاء على هيبة الدولتين وانحسار نفوذهما فى الشرق الأوسط . . . ، مما خلق فراغ القوة فى هذه المنطقة الاستراتيجية(١) :

وهكذا بدأت الولايات المتحدة مع ربيع عام ١٩٥٧ ، تمارس نفس الدور الذى لعبته بريطانيا وفرنسا فى منطقة الشرق الأوسط والذى انتهى بفشل العدوان الثلاثى فى خريف عام ١٩٥٦ .

وبذلت إسرائيل مساعيها النشطة فى الدعوة لمشروع ايزنهاور وتجسيم الخطر الشيوعى الذى يهدد منطقة الشرق الأوسط واستغلاله فى تحقيق أهدافها الخاصة ودعم مركزها فى المنطقة .

وفى حديث لشمعون بيريس — مدير الدفاع فى ذلك الوقت — مع المسئولين البريطانيين فى إعقاب ظهور مشروع ايزنهاور ، أكد بيريس أن وجود إسرائيل يشكل حاجزاً ضد انتشار الشيوعية ؛ ليس فى الشرق الأوسط فحسب بل فى افريقيا أيضاً . كذلك وأن « تقوية إسرائيل » إنما هو ضمان لاستقلال كثير من شعوب المنطقة »(٢) .

وكان الغرض الأساسى من هذه الأقوال ، هو أولا : الحصول على

---

(١) على محمد على : إسرائيل والشرق الأوسط ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ اصدار ، ص ص ٢٢٦–٢٣٧ .

(٢) يوسف عفرون : فى يوم عاصف (عبرى) تل أبيب ص ١٧٨ .

تأييد الغرب للتغلغل الإسرائيلى فى افريقيا وآسيا ، ذلك التغلغل الذى شكل أحد الخطوط الرئيسية للسياسة الخارجية الإسرائيلية بعد عام ١٩٥٦ – وثانيا : الحصول على مزيد من الإسلحة والمعدات الحربية . وقد شهد عام ١٩٥٧ بداية انطلاق الجهود الإسرائيلية فى مساعيها للتغلغل فى الدول الحديثة الاستقلال فى آسيا وأفريقيا تحت ستار تقديم المعونات الفنية والعسكرية لها ، ففى أغسطس سنة ١٩٥٧ قام موشى ديان – رئيس الاركان الإسرائيلى آنئذ – بصحبة شمعون بيريس بجولة واسعة فى القارة الافريقية لهذا الغرض واتفق فى هذه الجولة على تقديم مستشارين عسكريين إسرائيليين إلى كل من غانا ، وكينيا ، وتنجانيقا ، وساحل العاج ، وفولتا العليا ، وتشاد : والكونغو الپوپولدفيل(١) .

وبينما كانت إسرائيل تسعى إلى احتواء الحصار العربى بخلق علاقات جديدة مع دول العالم الثالث حديثة الاستقلال ، اتجهت جهود الولايات المتحدة – بعد رفض الدول العربية لمشروعها الجديد – إلى رفض السياسة التى رسمتها للمنطقة ، والقائمة على محاولة تفتيت الجبهه العربية وقطع أوصال التعاون العربى المتمثل فى القيادة المشتركة التى انشئت عام ١٩٥٦ – باخراج الأردن منها . وأخذت الحكومة الأمريكية فى إبريل سنة ١٩٥٧ وهو الشهر التالى لانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء – توجه عنايتها نحو الأردن ، وتعلن عن « قلقها من امتداد السيطرة الشيوعية على البلاد » ونجحت فعلا فى قلب الحكومة الوطنية وعزل قيادة الجيش ، ثم اضافت الأردن إلى قائمة الدول التى تمنحها المساعدات العسكرية .

وما أن اطمأنت الحكومة الامريكية إلى الموقف فى الأردن حتى حولت نشاطها تجاه سوريا .

---

(١) Lau – Lavie N. : Moshe Dayan, a biography, London, Vaailacutine Mitcheil, 1958 pp. 171–172.

أما بالنسبة للسياسة الحربية الاسرائيلية فانها مع عام ١٩٥٧ اتخذت شكلا جديداً لتحقيق مبدأ « الاعتماد على القوة الذاتية » من خلال اتجاهين أساسيين هما العمل على تعويض الفارق الكمى بين إسرائيل والدول العربية بخلق تفوق كيفى ، وأن تكون القوات المسلحة الإسرائيلية قوة رادعة « بل حاسمة عند الضرورة »(١) وهو ما يعنى منع الدول العربية من أى تحرك عسكرى أو تهديد بشن الحرب على إسرائيل . وقد عكس ذلك تطورا هاما على السياسة الحربية الاسرائيلية ، ترتب عليه ضرورة البدء فى إعادة بناء القوات المسلحة الإسرائيلية على أسس جديدة .

وهكذا شكل « الاعتماد على القوة العسكرية الذاتية » الاتجاه الأساسى لتطوير السياسة الحربية الاسرائيلية بعد جولة عام ١٩٥٦ نحو أسلوب ردع أكثر عنفا وأشد حسما .

ومنذ ذلك الوقت بدأت إسرائيل محاولاتها للحصول على أحدث الاسلحة القادرة على مثل هذا الردع ، لعلها تكتسب المناعة المطلوبة ضد التفرق العربى وتعطى لنفسها حرية العمل والمقدرة على الحركة . ولو أن فكرة الردع لم تكن جديدة على السياسة الحربية الاسرائيلية ، إلا أنها فى هذه الفترة قد اتخذت طابعاً عنيفا بارزا ، جعل من الحرب الشاملة البديل الوحيد لسياسة الردع إذا ما تعرضت للفشل .

وهكذا جاءت الفترة الممتدة من ١٩٥٧ وإلى تاريخ قريب لتشهد توطيدا وتوطنا أكثر وأكثر للكيان الصهيونى فى فلسطين ، فالجيش المصرى كان قد تعرض لهزيمة كبرى عام ١٩٥٦ إذ دمرت الطائرات الفرنسيه والانجليزيه القوات الجوية المصرية أثر ضربات متعاقبة ، وتوقفت الغارات التى كان الفدائيون يقومون بها عبر الحدود .

---

(١) Israel Government Year Book, 1960-1961 Jerusalem p. 131.

وعلى الجانب العربى استمر العرب يتجاهلون الهزيمة التى حاقت بهم بالنسبة للمشكلة الفلسطينية باعتبارها قضية عربية حيوية ، غير أن عبد الناصر كان قد اكتسب هالة من المجد بفضل تطوره نحو الحياد وهجومه ضد حلف بغداد ووجوده فى مؤتمر باندونج قبل ذلك ، وأيضا بالاتفاق الذى كان قد عقده لشراء أسلحة من الكتلة الشرقية .

وكان الحياد معناه الشيوعية (١) بالنسبة للغرب فى حين أنه يعنى مناهضة الامبريالية بالنسبة للكتلة الشرقية ، وكان انتهاج مثل هذه السياسة معناه تدخل الغرب فى الشئون العربية ، وظلت الحكومتان المصرية والسورية وحدهما تنتهجان الخط الحيادى ، وكان الرأى العام العربى بيدهما ، ومما دفعهما إلى ذلك أيضا معاداة الغرب التى دفعت بهما قدما إلى الامام ؛ ولم يقطع عبد الناصر اتصالاته من الولايات المتحدة الأمريكية ، بل على العكس ، لكنه لم يكن ملتزما بأى مجاملة تجاه الفرنسيين والانجليز ، وقد قام فى أوائل عام ١٩٥٧ بتمصير الشركات البريطانية والفرنسية ، وكذلك اليهودية فى مصر .

وبعد العدوان الثلاثى — فزعت واشنطن وتخيلت قرب قيام دولة ديمقراطية شعبية فى الشرق الأوسط خاضعة لموسكو ، ونعنى بها سوريا وهكذا فان الأمريكيين الذين ذهبوا ضحية لأوهامهم الايديولوجية أصبحوا عاجزين عن أن يدركوا أن السياسة السورية تحكمها العوامل المحلية قبل كل شيء وكذلك ضغط الرأى العام السورى من أجل التقدم ، كما أن الامريكيين لم يدركوا أيضا أن الاتحاد السوفيتى فى غنى من أن يربك نفسه بدولة سوفيتية فى الشرق الأوسط ؛ لا تتسم بالهدوء وتشكل خطورة على سياسة الاتحاد السوفيتى الدولية ، فضلا عن احتياجاتها لنفقات طائلة للتخلص من تخلفها ، ولكن السوفيت — ومعهم بكداش — كانوا يريدون فحسب قيام نظام حكم برلمانى يؤيد السياسة الخارجية السوفيتية ، ويضمن هذا الاتجاه عن طريق إيجاد حزب شيوعى ذى نفوذ ويتمتع بحرية القيام بالدعاية ، الأمر الذى فطن إليه

(1) Rodinson, Maxime : op. cit, pp. 60-68.

فـريق آخر من السوريين السائر فى ركاب خالد العظم .

وقد تصرف الأمريكيون بطرية غير ماهرة لمواجهة ذلك الخطر الوهمى فقامت السفارة الأمريكية بدمشق باتصالات سرية ترمى إلى قلب الحكومة السورية ، مما أدى إلى طرد ثلاثة دبلوماسيين أمريكيين فى أغسطس عام ١٩٥٧ وكان هذا الإجراء بمثابة أول تحد من هذا النوع يوجه للقوة الامريكية فى تلك المنطقة وقد أحدث ذلك أثرا قاسيا .

وعندما عين عفيف البزرى رئيسا لهيئة أركان الحرب فى دمشق اتهمته واشنطن بأنه مؤيد للشيوعية ؛ وأصبح نظام الحكم السورى منذ ذلك الحين نظاما منبوذا من الغرب ، وإذا لم يكن من الممكن قلبه من الداخل ، فقد جرت محاولة ذلك بالوسائل الخارجية .

وفى نهاية شهر أغسطس أوفد اوى م هندرسون وكيل وزارة الخارجية إلى أنقره حيث التقى بالرئيس التركى عدنان مندريس الموالى لامريكا ، وبملكى الأردن والعراق ، كما زار بيروت للتحدث مع الرئيس كميل شمعون ، وقد أعطيت للجميع وعود بمدهم بالسلاح .

وازداد تهديد تركيا التى تقوم بينها وبين سوريا منازعات اقليمية ، وقد استغل بن جوريون الفرصة المتاحة للاستفادة من مناهضة الولايات المتحدة الأمريكية للشيوعية (١) ، فكتب رسالة لدالاس يعرض عليه فيها نصائحه ، وأوفد جولدا مائير إلى واشنطن كما أنه عبأ حلفاءه الفرنسيين والألمان لكى يحصل فى مقابل تعاون إسرائيل على ضمان الحدود الإسرائيلية من قبل حلف شمال الأطلنطى .

من هنا ، شعرت أوروبا بأنها مهددة ، وكانت طبقاً لآراء بعض الباحثين

---

(١) لاكور : وولتر : الطريق إلى حرب سنة ١٩٦٧ – الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٦٩ – كتاب مترجم (٢٦٣) الجزء الأول ، ص ٥١–٥٧ .

الغربيين (١) — وهم على حق فى هذا ولم يكن أمامها بالتالى إلا اللجوء للمعونة السوفيتية .

وهكذا أسفرت السياسة الأمريكية كالمعتاد ، عن إيجاد الموقف الذى أرادت أن تتفاداه وأرسل السوفيت سفينتين حربيتين إلى ميناء اللاذقية ، وقد أنتاب الدول العربيه ذات الميول الأمريكية التى ترى بوضوح أكبر المشاكل المحلية ، انتابها الحرج أمام الإجراءات الأمريكية التى أدت إلى وصمها فى نظر فئات الرأى العام كشريكة فى اخماد الأمانى السورية والعربية فى الاستقلال والوحدة والتقدم .

وتوسط ملك السعودية ، فسافر إلى دمشق خلال شهر سبتمبر ونصح واشنطن بالاعتدال ، كما أقنع كلا من الأردن والعراق بوجهة نظرة فأعلن الجميع معارضتهم للتهديدات القائمة ضد الاستقلال السورى .

ولم تستطع مصر أن تظل فى معزل عن الأحداث ، فانزلت فى شهر اكتوبر ١٩٥٧ ، قوات مصرية فى ميناء اللاذقية للوقوف إلى جانب السوريين على الحدود من تركيا .

وقد تلقى الرأى العام العربى آنئذ نبأ اطلاق القمر الصناعى السوفيتى الأول بحماس ، إذ أن الاتحاد السوفيتى أثبت أنه دولة قوية هو الآخر مواجهة التهديد الامريكى المستند إلى القواعد المتقدمة له فى كل من تركيا واسرائيل .

وقد كتب أحد الباحثين الغربيين (٢) بهذا الصدد يقول .

كان أثر التدخل الامريكى فى الشئون العربية فى عام ١٩٥٧ ، هو التأكيد نهائيا بأن كلا من الاتحاد السوفيتى ومصر أصبح حاميا لسوريا فى مواجهة العداء الغربى لها .

---

(١) Rodinson, Maxime ، op. cit, pp. 61–63.

(٢) وهو باتريك سيل : Ibid p. 64

(٣) Ibid.

ويضيف فريق آخر من الباحثين إلى ذلك هذا القول :

« بل وقد ظهر كل من الاتحاد السوفيتي ومصر وكأنهما بطلان ليس بالنسبة لسوريا فحسب بل وبالنسبة لأماني الرأى العام العربي آنئذ بصفة عامة » .

وهكذا ظهر أن النفوذ السوفيتي الذى كان مجرد خرافة – قد تأكد الآن ، ومن هنا شعر الحزب الشيوعى السورى بشئ من التشجيع كما أن عدداً كبيرا من فئات الرأى العام السورى قد أحسوا باتجاه الأحداث فانضموا إلى ذلك وبدت فئات أخرى من الرأى العام السورى تشارك الأمريكيين قلقهم ، وقد شاركت أوساط الجيش السورى أو خصوصا تلك التى أبدت نفسها من محترفى السياسة المدنيين والذين – أى أوساط من الجيش السورى – ينظرون بحسد إلى المزايا التى تنعم بها فئة العسكريين فى مصر – شاركت هذا الأوساط بدور فعال فى الاتجاه صوب مصر وعبد الناصر خاصة وأنه عبأ خلفه كافة قطاعات الرأى العام العربى .

وفى الأردن لقيت حركة الضباط الأحرار آنئذ تعاطفا كبيرا فى أوساط الرأى العام الأردنى ، ولم يعد بالإمكان كبح جماحها بتلك الأساليب القديمة بينما تراجعت قدرة القيادة الإنجليزية ، فى الاعتماد على خلفائها ، وأظهر الجيش عجزه عن السيطرة على الأمور أثر انتفاضة حلف بغداد ، وبدت الحركة الوطنية وكان على القصر أن يراجع حساباته ويتحالف مع الطرف الأكثر قوة .

وكان الملك حسين قد أصدر مرسوما منذ أكثر من عام بالاستغناء عن خدمات جلوب وعدد من الضباط وأعقب ذلك الاستغناء عن بقية الضباط الإنجليز تدريجيا حيث كان التحرك الوطنى داخل الجيش الأردنى أمتدادا للحالة الجماهيرية وقد أقنعت حركة المعارضة الوطنية خاصياتها وتحالفاتها على هذا التحرك ، فكان هناك قاعدة للقاء تلك العناصر المعارضة تمثلت تلك المطالب الوطنية والديمقراطية ذات النزعة الليبرالية .

وقد تضمن البيان الرسمي الذى صدر من الملك حسين — الأسباب التى دفعته إلى عزل جلوب ومنها ما لاحظه المجلس الملكى من عدم تقيد جلوب بالنظام منذ أعتلاء الملك العرش وعدم رضى الضباط الشبان فى الجيش فضلا عن المعلومات غير الدقيقة التى كان ينقلها جلوب إلى الملك بخصوص كمية الذخائر لدى الجيش والسرقة من مخازن الجيش والخلاف على الإصلاحات الواجب إجراوءها فى الجيش وحول الاستراتيجية العسكرية ، وأيضا الخلاف حول تواجد القوات العسكرية وتحركاتها وأنسحابها من الضفة الغربية وكذلك نظرا للخطر المتمثل فى وجود جلوب بالجيش الأردنى ودوره فى هزيمة عام ١٩٤٨ فى فلسطين (١) .

وكان لعزل جلوب صدى كبير وردود فعل مختلفة ، فقد كتبت صحيفة واشنطن بوست الأمريكية فى مقال أفتتاحى تعليقا منها على قرار طرد جلوب بقولها :

« أن ذلك يشكل ضربة قوية للنفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط » بينما أفصح النائب البريطانى المعارض أنتونى ناتنج فى البرلمان البريطانى عن الدور المؤثر للضباط الإنجليز ، وأن تلك التغييرات المفاجئة فى قيادة الجيش الأردنى يجب النظر إليها بعين الجد ، إذ زادت احتمالات الحرب بين العرب وإسرائيل وراء الدور الضاغط الذى كانوا يمارسونه على الحياة السياسية فى الأردن(٢) .

غير أن جلوب يحلل أسباب عزله فيذكر كيف أن الملك حسين قرر فجأة أنه لايرتاح له سياسيا وأنه لم يكن فى نيته اتخاذ هذا القرار وقد أكد للجنرال تمبلر عزمه على أبقاء الضباط البريطانيين ، وكان حريصا على دخول

---

(١) Amri, Nasser H. Jordan : A study in Politcal development 1952–1968, pp. 171–177.

(٢) Documents On International Affairs 1959 pp. 7-15.

حلف بغداد وكان هذا سببا فى تلك الاضطرابات الداخلية والمشاكل مع مصر وأنعكاس ذلك كله على المشكلة الفلسطينية ، وقد أحيطت هذه السياسة بالسريةوأصبح من الأهمية بمكان أن يستعيد الملك رضا الشعب وخاصة فى الضفة الغربية وذلك بإجراء مفاجئ وسريع وسط جو من العداء الصارخ من جانب الرأى العام العربى(١) .

وقد استتبع طرد جلوب جملة تغييرات هامة فى الحياة السياسية واتخذ النضال الوطنى فى الأردن والضفة الغربية خاصة شكلا أكثر ديناميكية فلأول مره وجدت قوى المعارضة الوطنية قاعدة ديموقراطية تكون أساسا شرعيا لنضالها فجرى تكوين مجلس نيابى بعد انتخابات حرة بعيدة عن أساليب الضغط والأرهاب الحكوميين ، ونالت الأحزاب والقوى الوطنية أغلبية المقاعد الـ ٤٠ ـ وضمت لنفسها نحو ٣٠ منها ، وشكل تحالف الأحزاب الوطنية (الوطنى الاشتراكى ، البعث ، القوميون العرب والشيوعيون) محور الحياة السياسية فى تلك الفترة وذلك بعد تكليف سليمان النابلسى بتشكيل حكومته الوطنية التى أقبلت على تنفيذ برنامجها الوطنى بخطى حثيثة فألغت المعاهدة البريطانية فى ١٣ مارس ١٩٥٧ وتبع ذلك خروج القوات البريطانية التى كانت لاتزال موجودة فى الأردن بمقتضى هذه المعاهدة .

وعلى الصعيد العربى جرى توقيع « اتفاقية التضامن العربى فى ١٩ كانون الثانى عام ١٩٥٧ حيث تعهدت بمقتضاها كل من سوريا ومصر والسعودية بدفع مبلغ ١٢٫٥ مليون جنيه مصرى لدعم الأردن بدلا من الأعانة البريطانية ودخول قوات عسكرية عربية سورية وسعودية وعراقية إلى الأردن بعد العدوان الثلاثى على مصر .

وساد الرأى العام فى الأردن جو من الحريات العامة وتطوير مفاهيم

---

(١) Glubb J. B. A soldier with the Arabs op. cit, pp. 426-427.

الديمقراطية فى الحكم وسعت الحكومة إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية وجرى لأول مرة تقدير ميزانية الأردن فى عام ١٩٥٧ – ١٩٥٨ على أساس المساعدة العربية وجاءت خلوا من المساعدة الأجنبية .

أما فى القوات المسلحة فقد حدثت بعض التعديلات التى كان القصد منها تحقيق التلاؤم مع الصورة السياسية الجديدة وتخليص الجيش من دوره السابق وربطه بالقضية الوطنية ، وجاءت عناصر الحرس الوطنى من أبناء الفلاحين فى الضفتين فى الغالب (١) ، وكان من شأن ذلك أن يشكل عاملا جديداً فى التركيب البنيوى داخل الجيش لصالح القضية الوطنية ، غير أن التمويل المالى لتغطية مصاريف تلك القوة المسلحة الجديدة وتوفير الإمكانيات لها شكل عقبة رئيسية حاول الحكم الوطنى تذليلها بالمساعدات العربية وبحملات التبرع الممكنة حيث تم جمع أكثر من نصف مليون دينار (٢) .

محاولات الوحدة بين العرب وردود فعلها :

سوف يقتصر عرضنا هنا على الخطوط العريضة للتطور السياسى العربى فى الفترة الممتدة من نهاية العدوان الثلاثى ونهاية عام ١٩٦٣ وخصوصا فيما يتعلق بمحاولات (٣) الوحدة وردود فعلها على الرأى العام العربى وفى هذا الصدد لن نذكر اسم إسرائيل إلا عرضا مفضلين بحث علاقتها بمشكلة فلسطين فيما بعد . ففى سوريا كان حزب البعث يخشى بصفة خاصة من ازدياد النفوذ الشيوعى الذى يدعمه آنئذ التحالف السوفيتى ، وكان ذلك الحزب قد اجتذب عددا كبيرا من المؤيدين من قطاعات الرأى العام السورى بفضل قوة

---

(١) عباس مراد ، الدور السياسى للجيش الأردنى ١٩٢١–١٩٧٣ منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز ، الأبحاث ، بيروت ، ديسمبر ١٩٧٣ – ص ص ٨٤–٨٥ .

(٢) Shawdran Benjamin : jordan A state of tension, New York council for Middle Eastern Affairs Press 1959 pp. 87–38.

(٣) Safran Nadav : From War to War, op. cit, d. 72.

الأغراء التي تتمتع بها شعاراته المتفقة واتجاهات وأماني الرأي العام غير أنه كان يفتقد إلى الكوادر وإلى الأعضاء المستقرين في أخلاصهم اه ، وقد تزعم حزب البعث في ذلك الوقت ميشيل عفلق وهو مثقف تلقى تعليما فرنسيا وتكونت أراوءه في باريس قبل الحرب الثانية وكانت هذه الآراء تدور حول قومية اشتراكية تعتبر إلى حد كبير كرد فعل للشيوعية الستالينية واستراتيجيتها العالمية. التي تحقر من شأن المطالب القومية ـ كذلك تأثر عفلق كثيرا بكتابات اندريه جيد كما كان يخشى القوة التنظيمية للحزب الشيوعى حتى وأن كانت كامنة .

وهنا تراءى للبعث أنه ليس أمامه إلا سندا واحدا فقط وهو الاتجاه صوب مصر التي تتسم بقوميتها العربية وبمناهضتها للاستعمار الغربي خاصة وأن عبد الناصر كان بوسعه تعبئة كافة الجماهير العربية ، ومن شأن شعبيته الهائله آنئذ أن تحول الرأى العام العربي عن أغراء الشيوعية ، وقد شارك البعث في هذه المخاوف بعض القطاعات الأخرى من الرأي العام السورى وهو ما أدى إلى ظهور فكرة سادت أرجاء سوريا موداها إنشاء وحدة فيدرالية مع مصر كنواة للوحدة العربية التي طال انتظارها .

وفي مصرا ، كان عبد الناصر يؤيد بالطبع هذه الأفكار خاصة وأن تحقيق هذه الوحدة سوف يمنع وقوع سوريا تحت سيطرة قوة عربية اعتبرها عبد الناصر آنئذ قوة معادية وهي العراق ، غير أن عبد الناصر من ناحية أخرى كان يأبى أن يرتبط عن قرب شديد بالسياسة السورية الهوجاء ، وبالتنافس المعقد القائم بين مختلف مجموعات الضغوط العربية في آسيا ، فان مصر تخلق أمامه ما فيه الكفاية من المشاكل الصعبة :

وانقسم الرأى العام السورى بين مؤيد ومعارض ، فالبعثيون والجيش السورى أصروا على موقفهم ، أما الشيوعيون السوريون فكانوا يخشون من التحقيق العملي لهذه الوحدة بل وقد اعتبروا عبد الناصر نفسه أهم

عائق فى هذا السبيل خاصة وأن الشيوعيين فى مصر آنئذ كانوا يتعرضون للتعذيب ويشكلون نموذجا غير جذاب للشيوعيين فى سوريا الذين كانت فرصتهم ممتازة ، وقد قام الشيوعيون فى سوريا بالفعل انطلاقا من هذا التحليل بمحاولات مضنية لأحباط مشروع الوحدة ولم تسفر محاولاتهم إلا بمزيد من اندفاع البعث إلى المطالبة ليس بالاتحاد الفيدرالى فحسب بل بالوحدة الشاملة مع مصر أيضاً ، وذلك اعتقادا منه بأنه سوف يتمكن فى ظل الدولة العربية المتحدة الجديدة من تقديم الأيديولوجيه وبالتالى يمكنه توحيد سياستها فى حين يكتفى عبد الناصر بدور الرئيس الرمزى (١) .

أما عبد الناصر فقد قرر هو الآخر أن يستفيد من هذه العملية إلى أقصى درجة بالرغم من أنطوائها على المجازفة ، ومن ثم فقد فرض شروطه هو الآخر : لن يكون للجيش السورى أى نشاط سياسى ، كما أن جميع الأحزاب ستحل ، وتردد حزب البعث حيث اعتبر أن هذا بمثابة انتحار للحزب ، غير أن قادته قد فكروا فى أنه حتى ولو تم حل البعث رسميا فسوف يستطيع الحزب أن يعود وهو أكثر قوة فى صورة « الاتحاد القومى» أى التنظيم السياسى الوحيد على الطريقة الرسمية فى مصر وحاولت فئات أخرى من الرأى السورى العام يمثلها خالد بكداش وخالد العظم أن يردوا — الخطر الذى يهددهما وذلك بالعودة إلى طلبهما بالاكتفاء باتحاد فيدرالى ، غير أن القوة الأيديولوجية لفكرة الوحدة العربية أطاحت بجميع أوجه المقاومة وذلك علاجا للسنوات السابقة وخصوصا تلك التى قام فيها حلف بغداد والمحاولات التى بذلت من أجل فرض هذا الحلف على الرأى العام العربى وردود فعل الاتحاد السوفيتى ومن الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى الذين عرفوا كيف يستغلونه لمصلحتهم ، فالبعث قد قارن بين مختلف الاتجاهات

---

(١) Rodlnson, Maxime : Israel et le Refus Arabe, op. cit. pp. 55–58.

وأحس بخطر الشيوعيين الذين كانوا يمارسون منذ سنتين نفوذا سياسيا متفوقا فى سوريا ، ومن خلال حالة القلق التى اجتاحت حزب البعث برز أمامهم عبد الناصر كملجأ وطريق واحد إلى بر الأمان ، وقد أدرك البعث هذه الحقيقة منذ سنوات فجرت الأحاديث فى الوقت الذى وصل فيه الضغط ذروته من جانب الانجليز والأمريكيين والأتراك على سوريا منذ زمن طويل لجر السوريين إلى قبول الانضمام إلى حلف بغداد (١) .

وفى شهر يناير عام ١٩٥٨ لم يعد الأمر يتعلق بمجرد آراء تثار هنا وهناك وإنما بخطر مباشر يتعين تداركه ، ففى الحادى والثلاثين من ذلك الشهر قدمت إلى القاهرة لجنة حكومية سورية برياسة شكرى القوتلى ، وفى اليوم التالى بعد بضع ساعات فقط من المفاوضات ابرمت الوحدة بين البلدين ، وفى يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٩ ولدت رسميا « الجمهورية العربية المتحدة » .

فماذا كانت ردود الفعل المختلفة لهذه الوحدة :

لقد غمرت القوميين العرب التقليديين الغبطة والسرور حيث تحققت الوحدة العربية التى ظلت معلقة فى مكان ما بين السماء والأرض ، وكانت أشبه ما تكون بفكرة أفلاطونية أو مفهوم هيجلى ، وقد تجسدت الوحدة الآن فى الأرض وتكونت بذلك أول نواة للوحدة العربية .

غير أن التطور الفعلى اختلف كثيرا عن هذه الأحلام ، ففى سوريا أصبح الحزب الشيوعى حزبا سريا بعد مغادرة بكداش سوريا .

واحست كل من العراق والأردن أن من الخطر عليهما البقاء فى معزل بعد قيام هذه الوحدة بين الدولتين العربيتين الاشتراكيتين ، فاجتمع الملكان

---

(١) Safarn Nadav : From War to War op. cit, d. 74.

أبنا العم حسين وفيصل الثانى ، وأعلنا فى يوم ٢٤ من فبراير بعد محادثات سريعة بينهما أنشاء « الاتحاد العربى » الذى يضم مملكتيهما .

وفى يوم ٨ مارس تم اجتياز مرحلة أخرى جديدة ؛ إذ وقع عبد الناصر والأمير البدر ميثاق الدول العربية المتحدة وهو عبارة عن اتحاد فيدرالى بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن .

وفى إسرائيل أثارت محاولات الوحدة هذه ــ القلق فى قطاعات الرأى العام الإسرائيلى على اختلاف اتجاهاتها ، فقد وجدت إسرائيل نفسها وقد أصبحت لاتواجه ستا أو سبع دول عربية ذات سياسات متنافرة وإنما أمامها كتلتان متنافستان فيما بينهما ، ولكن كل منهما يمثل بالنسبة لها خصما .

غير أن هذه المخاوف الإسرائيلية تكشفت اعتبارا من الأشهر التالية للوحدة عن أوهام لا أساس لها .

ففى لبنان ، بالرغم من أن تكوين الجمهورية العربية المتحدة فقد أسفر عن حماس فى بعض قطاعات الرأى العام اللبنانى غير أن قلقا كبيرا سيطر على أنصار الاتجاهات المعارضة واندلعت النيران فى البارود عندما أعلن كميل شمعون الموالى تماما للغرب عن نيته فى طلب إعادة انتخابه الأمر الذى يتطلب تعديل الدستور الذى يحظر إعادة انتخاب رئيس الجمهورية لمدة رئاسة ثانية ، فضلا عن وقوع أحداث شغب فى لبنان تحولت إلى حرب أهلية اعتبرها كميل شمعون ومؤيدوه على أنها عدوان خارجى وعمليات تخريب بقيادة عبد الناصر ثم دفع شمعون المسألة إلى الأمم المتحدة .

وفى العراق أيضا كانت الهوه التى تفرق بين الرأى العام المحايد المتعاطف مع الموقف السورى المصرى وبين القادة المرتبطين بالتحالف الغربى والذين يكنون عداء شديدا لعبد الناصر وللسوريين ، وظهر نورى السعيد ــ بعد توقيع الاتحاد الفيدرالى مع الأردن ــ مرتبطا أكثر وأكثر بكل من بريطانيا

والولايات المتحدة وتركيا (١)وكأنه يقود المؤامرة الموجهة ضد سوريا ومصر المحايدتين والتى يشترك فيها كميل شمعون فى لبنان وحسين فى الأردن وكان هناك ما هو أسوأ من ذلك ، ففى لحظة تفجر أزمة العام الماضى فى الأردن عندما أقال الملك حسين وزراءه الحياديين وقضى على الثورة الشعبية، أعلن أيزنهاور أن سلامة الأردن تعتبر أمرا حيويا واحتفظت إسرائيل لنفسها بحق التدخل بحرية إذا ما تعرض الوضع القائم فى الأردن لأى أذى، ولم يكن كل هذا يعنى سوى قيام إسرائيل باحتلال الضفة الغربية للأردن إذا ما انضم الأردن لأى اتحاد عربى .

وفى شهر مايو من عام ١٨٥٨ عرض موشى ديان على الماريشال مونتجمرى خطه تحظى بتأييد بن جوريون ، وكانت ترمى إلى إقامة تحالف بين الدول المحيطة وهى إيران وتركيا وأثيوبيا وإسرائيل (٢) .

وفى يونيو من عام ١٩٥٨ سافر نورى السعيد إلى لندن حيث أدلى فى السابع والعشرين من نفس الشهر بحديث صحفى للتايمز وجه فيه نداء يكاد يكون سافرا من أجل التدخل الأنجلو - أمريكى ، ثم أجرى فى طريق عودته محادثات فى تركيا ، وأعلن عن اجتماع أعضاء حلف بغداد يوم ١٤ يونيه التالى ، وكان الرأى العام العربى يخشى من هجوم عسكرى مشترك بين الولايات المتحدة وبريطانيا والعراق لفصل سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، ولإقامة الهلال الخصيب ، تحت قيادة ملك هاشمى من أنصار بريطانيا ، ثم أرسل نورى السعيد قوات عسكرية إلى الأردن وربما كان هذا بهدف تحقيق خطة نورى السعيد التى كان يخشاها الرأى العام العربى لبدء المعركة فى سوريا .

---

(١) Vatcketds, F. J., Conflict in the Middle East, (London : George Allen and Unwin Ltd, 1971 p. 19.

(٢) Ibid, p. 20.

ولكن اللواءين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف اللذين كانا يقودان هذه القوات توجها بها صوب القصر الملكى والفيلا التى يقطن بها نورى السعيد حيث قتل كل من الملك والوصى على العرش ، أما نورى السعيد الذى هرب ، فقد وجد فى اليوم التالى وهو متنكر فى زى امرأة مسنة فقتلته الجماهير ، وكان هذا يوم الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٥٨ حيث انتصرت الثورة العربية مرة أخرى وهو ما أدى إلى أشعال حماس القوميين العرب وهم الأغلبية العظمى من الشعوب العربية آنئذ ، وأرهبت الثورة العراقية أولئك الذين يعارضون التيار العراقى (١) وهما الملك حسين وكميل شمعون اللذان وجها نداء للحصول على مساعدة الولايات المتحدة وبريطانيا ، وبالفعل نزل مشاة البحرية الأمريكيون فى بيروت يوم ١٥ من يوليو ثم هبط رجال مظلات بريطانيون فى عمان يوم ١٧ من نفس الشهر وكانوا قادمين من قبرص بعد أن حصلوا على تصريح من إسرائيل بالتحليق فى مجالها الجوى وأن كان الملك حسين يذكر أن الطائرات البريطانية : « لم يكن لديها متسع من الوقت لتوضيح ذلك للسلطات الإسرائيلية » (٢) .

كما يذكر الملك حسين أيضاً أن الطائرات الأمريكية قد قامت بنقل الوقود إلى الأردن بعد أن أصبح فى شبه عزلة كاملة .

وقد تساءل حينها أنورين بيفان — النائب العمالى البريطانى فى مجلس العموم — قائلا (٣) :

« ما الذى يدعو إلى أرسال أربعة الألف جندى بريطانى إلى الأردن

---

(١) Koury, Enver, M., The Patternr of mass movements in Arab Revolutionary – Pragressive states (The Hogue : Mouton and Co., 1976 p. 15.

(٢) الملك حسين : قصة حياتى ، المنشورة فى جريدة الديلى ميل اللندنية ، الترجمة العربية ، عمان المديرية العامة للمطبوعات بدون تاريخ إصدار ص ٦٥-٦٧.

(٣) الأهرام فى ١٩٥٨/٩/٢٩ .

لحماية الملك حسين من شعبه، أن نقله إلى لندن وحراسته هنا يكون أرخص نفقة ».

أما السعوديون — الذين خشوا التعرض لموجة من عدم الشعبية وسخط الرأى العام لديهم — فقد رفضوا السماح بعبور الوقود الأمريكى المتجه للأردن والذى أرسل بالطائرات عن طريق لبنان عبر المجال الجوى الإسرائيلى.

وكتب الملك حسين بحرارة فى مذكراته قائلا :

« لقد منحنا عدونا ما رفضت دولة عربية منحه أيانا » .

وهكذا جاء رد فعل الوحدة بين مصر وسوريا فى الأردن حيث لقت تجاوبا عريضا من فئات الرأى العام الأردنى والفلسطينى فى الضفة الغربية على وجه الخصوص ، — وذلك فى الوقت الذى جرى فيه ربط الأردن بمنظومة التحالف الجديد التى فرضتها الخطط الأمريكية آنئذ ، وقررت واشنطن أن تمنع بيد من حديد انتشار حركة التحرر العربية التى تقودها الجمهورية العربية المتحدة ولو اضطرت لاستخدام القوة (١) .

وفى العراق تأكد التضامن العربى بالأعلان الرسمى الوارد فى الدستور المؤقت الصادر يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٨ والقائل بأن الدولة العراقية هى جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، وبالرغم من ذلك فإن عبد الكريم قاسم الذى سانده آنئذ جزء من الجيش كان حريصا على عدم ضياع المزايا الكامنة فى القوة المستقلة وكان يقاوم الضغوط المفروضة عليه لتكوين وحدة عضوية مع الجمهورية العربية المتحدة ، وقد أعلن المكتب السياسى للحزب فى العراق يوم ٣ سبتمبر عام ١٩٥٨ : « أن فكرة الأنضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة تثير قلق شعبنا وأن مثل هذا الاتحاد لن يتيح أمام الاقتصاد ورأس المال القومى فرصة للازدهار والتطور » .

---

(١) يوسف عفرون ، فى يوم عاصف (عبرى) ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٧-١٧٨.

وقد نادى الشيوعيين ومعهم خالد بكداش بتكوين اتحاد فيدرالى وهم يعلمون تماما أن عبد الناصر لن يقبله ، وأيد عبد الكريم قاسم وجهة النظر هذه ضد البعثيين ، وضد زميله عبد السلام عارف الذى كان يؤيد عبد الناصر ، وقد أقال عبد الكريم قاسم ، رفيقه عبد السلام عارف فى سبتمبر عام ١٩٥٨ ، وعندما حاول هذا الأخير الرد بالتآمر ألقى القبض عليه وحكم عليه بالإعدام غير أن عبد الكريم قاسم عفا عنه .

وقد أدت ضرورة الاختيار بين « القاسمية » و« الناصرية » والمنافسة بين الحركتين والتنافس السياسى الدائم بين مصر والعراق آنئذ إلى حدوث تغيير من جانب الاتحاد السوفيتى فى موقفه ، فبدلا من مساندته لعبد الناصر الذى تجلى خلال العدوان الثلاثى نجد أن الاتحاد السوفيتى لقد زادت ريبته تجاه عبد الناصر لصداقته بتيتو من ناحية ، وللتشدد السوفيتى تجاه أحداث المجر وبولندا من ناحية أخرى ، ومن ثم فقد أدى ذلك إلى تفضيل قاسم على عبد الناصر (١).

وفى سوريا كان التطور يسير فى نفس الاتجاه ، فكثيرا ما تصرف العسكريون المصريون فى « الإقليم الشمالى » من الجمهورية العربية المتحدة على حد رأى أحد المؤرخين المعاصرين (٢) : « وكأنهم فى بلد مقهور ، حيث أخضع السوريون للمصريين فى كافة المجالات » .

ويستدل هذا الرأى حجته من أن جميع الأحزاب توحدت فى سوريا واستبدلت بالاتحاد القومى على النهج المصرى ، أما حزب البعث الذى شجع على إقامة الوحدة معتقدا أنه سيسيطر على الاتحاد القومى ، فقد تعرض لتفتيت تدريجى من قبل عبد الناصر الذى وجد أن فى استطاعته الاستغناء

---

(١) Rodinson, Maximc :: Israel at la refus Arabe, op. cit, p. 70.

(٢) Ibid pp. 70–71.

عن خدمات حزب البعث وفى نفس الوقت كان الشيوعيون والمحافظون الذين ازداد تمردهم أما الأضرار التى ألحقها عبد الناصر بمصالحهم الاقتصادية وغيرها ، قد اعتبروا حرب البعث مسئولا عن تحقيق هذه الوحدة ، وقد آثر عبد الناصر أن يمنح السلطة والتأييد إلى أحد السوريين وهو السراج وزير الداخلية الإقليمى آنئذ الذى تشدد تجاه المعارضين للوحدة ، و« ملأ السجون بهم (١) ومارس إزاءهم عمليات التعذيب على نطاق واسع » .

وقد قضى سقوط نورى السعيد على خطر ضم سوريا إلى العراق وكان هذا أحد الأخطار التى دفعت بالسوريين نحو مصر.

وهكذا ، فإن الشيوعيين وجزءا متزايدا من فئات الرأى العام فى سوريا أنقلبا ضد عبد الناصر ووصفوه بالاستبداد وبسياسته الخارجية السائرة فى فلك تيتو والتى لا تتفق بما فيه الكفاية وسياسة الاتحاد السوفيتى ، وهو ما أدى إلى مزيد من الغضب من جانب عبد الناصر وإلى مزيد من التشدد وانعكس ذلك على إلقاء القبض على مجموعة هامة من الشيوعيين المصريين فى بداية شهر يناير من عام ١٩٥٩ الأمر الذى زاد من أفساد العلاقات السوفيتية المصرية .

وقد أدى ذلك بالتالى إلى أن أعرب خروشوف فى ١٦ من مارس ١٩٥٩ عن رأيه فى أن نظام الحكم العراقى يعتبر أكثر تقدمية من نظام الحكم المصرى وبدأت فى نفس الوقت الحرب الباردة بين مصر والعراق وأنهالت الشتائم فى الأذاعة .

وفى شهر مارس سنة ١٩٥٩ تفجرت ثورة مؤيدة لعبد الناصر فى الموصل غير أن عبد الكريم قاسم تمكن من سحقها بمساعدة الشيوعيين المحليين

---

(١) Rodinson, Maxime : Israil ct la sefus Arabe, op. cit, p. 71.

والأكراد ، ومن جهة أخرى اتحد كل الأكراد الشيوعيون فى كركوك ضد فريق الرجعيين منهم فى يوليو سنة ١٩٥٩ وقد راح عبد الكريم قاسم للقضاء على التطرف مع احتفاظه فى نفس الوقت بمساندة اليسار وبتأييد جزء من بعض فئات الرأى العام العراقى آنئذ — غير أن الناصريين قد نددوا بالأرهاب الأحمر فى العراق وبالرفض العراقى للوحدة ، ونظراً لأن عبد الناصر كان يلتجئ إلى كل وسيلة فقد أبدى مظاهر واضحة من التقوى الإسلامية — على حد رأى أحد الباحثين — ثم هاجم الشيوعية الملحدة التى يتولى عبد الكريم قاسم تسليم العراق إليها ، وقد أدى هذا إلى مصالحة عبد الناصر للدول العربية ومنها الأردن والسعودية وتحسين علاقاته مع الولايات المتحدة والدول الغربية فى مواجهة الاتحاد السوفيتى الذى أصبح يكن له العداء وهكذا استؤنف تقديم المعونة الأمريكية لمصر .

ورغم العنف الشفوى المتبادل بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتى ، فإن العلاقات لم تقطع مع السوفيت ، وحاول عبد الناصر الإبقاء على علاقات مقبولة مع الكتلتين ذلك أن العلاقات الاقتصادية التى أصبحت وثيقة مع الدول الاشتراكية كان من الصعب استبدالها أو إنهاؤها ، ومن ناحية أخرى فقد ساهم العرب أيضاً فى الجهود الاقتصادية المصرية ، أما فى الداخل فلم يبد رأس المال الوطنى المصرى إلا استعداداً قليلا للاستثمار فى المجالات المختلفة بسبب القلق الذى إنتاب أصحاب رؤس الأموال من جراء سلسلة التأميم التى كان عبد الناصر قد أتبعها مع الشركات الإنجليزية والفرنسية واليهودية فى مصر عقب العدوان الثلاثى .

وبصفة عامة فإن دور الدولة قد تزايد كثيرا على حساب القطاع الخاص حين رؤى أن يتم البناء الاقتصادى تحت إشراف الدولة ، وهنا تمتعت فئة العسكريين المصريين بالسلطة شبه الكاملة وبمزايا هامة ؛ وأصبحت مهيمنة على التجارة الخارجية .

وفى شهر يونيو من عام ١٩٦١ اتخذت خطوة جديده : فقد تم تأميم تجارة القطن والبنوك وشركات التأمين فضلا عن ٤٤ شركة تعمل فى مجال الصناعات الأساسية ، وقد تم التركيز على التعويضات الممنوحة مقابل الممتلكات المصادرة وعلى حق الملكية الخاصة الذى لا يمكن التعرض له وعلى الطابع المتسامح لنظام الحكم نحو حقوق المواطنين وعلى الوفاء نحو الإسلام وقيمة الإنسان فى حين كان يجرى تعذيب المعارضين .

وفيما يخص السياسة الخارجية المصرية ، وعلى الأخص التقارب المصرى الأمريكى ومع الدول العربية «الرجعية» : فقد أدى هذا إلى إثارة بعض القلق مع المتعاطفين مع مصر فى الخارج وازداد فتور البعثيين تجاه مصر ، والأدهى من ذلك أن عبد الكريم قاسم أعلن فى نهاية يونيو سنة ١٩٦١ عن مطالبه الخاصة بإمارة الكويت العربية التى كانت قد حصلت على استقلالها منذ ستة أيام فقط بموجب معاهدة مبرمة مع بريطانيا ، وقد دفع العداء الذى يكنه عبد الناصر لعبد الكريم قاسم إلى الدفاع عن استقلال العاهل الكويتى بالإتفاق مع الأردن والمملكة العربية السعودية ، وحتى مع بريطانيا التى أرسلت قوات لحماية مصالح أمير البترول الكويتى المرتبطة بالمصالح البريطانية ولم يسفر استبدال القوات البريطانية بأخرى مشتركة من الجنود السعوديين والمصريين والأردنيين إلا عن تحسن طفيف .

أما عن رد الفعل لإعلان الوحدة بين مصر وسوريا ، فى الأردن ، فقد تكتلت الإتجاهات القومية والوحدوية داخل الأردن بالرغم من أن الملك حسين كان قد ضرب حركة المعارضة الوطنية مدعوما بالنفوذ الأمريكى الذى كان نتيجة ضغطه على الملك سعود فى مؤتمر جدة الذى انعقد آنئذ وحضرته وفود سورية ومصرية وسعودية ، وكان من نتيجة سحب القوات السورية الموجودة فى شمال الأردن . ومن هنـــا سعت القيادات الوطنية الأردنية والفلسطينية منها خاصة إلى الحفاظ على ديموقراطية الحكم ، غير أن الملك حسين قد تمكن ــ تحت مظلة الدعم

الأمريكي من أحكام قبضتـــه على الجيش وتوجيهه لضرب حركة المعارضة الوطنية .

ويصور جيمس موريس في كتابه « الموك الهاشميون » تلك الفترة بقـــوله :

« وهكذا انقضت الشهور وسار الأردن في طريقه، فالمعارضة مكبوته ومضطهده لا تستطيع أن تفعل شيئا ، والحكم قوى وعنيف ، وعندما خطا الأمريكيون ليحلوا محل الإنجليز فتحوا صناديقهم وبدأ نفوذهم يظهر في عمان ووصلت الأسلحة الأمريكية إلى الجيش وانهالت المنح والقروض ، وفي كل مرة يشعر حسين بالضيق يقترب الاسطول السادس من سواحل الشرق مهددا » (١) .

وقد ظهرت في تلك الاثناء داخل الجيش الأردني منشورات تحمل توقيع الجنود الاحرر في الجيش الاردني ، ووزعت على نطاق واسع بين الوحدات العسكرية ومعسكرات التدريب تحث الجنود : ـــ

« على الإلتحام مع الشعب لإنقاذ الوطن من الحكم الظالم والوقوف في وجه محاولات جعل الجيش مجموعة من الحراس للخونة والمأجورين، وأداة لضرب الشعب وقمع الشعور الوطني في البلاد »

وأعلنت السلطات الاردنية من جانبها أنها أحبطت محاولة إنقلابية ـــ يتزعمها أحـــد الضباط الذين هم من أصل فلسطيني (٢) ـــ كانت ستنفذ

---

(١) جيمس موريس ، الملوك الهاشميون ، الترجمة العربية ص ٣٤٦ .

(٢) وهو محمود الروساف، وكان برتبة رئيس في حرب فلسطين ، وقد أبعد إلى واشنطن بين عامي ٥٣ : ١٩٥٦ ولكنه عاد إلى الأردن عقب طرد جاوب ثم اختلف مع على أبونوار وشكل جناحاً معارضاً ثم أقصى عن الجيش في عام ١٩٥٦ وقد أيد الثورة الفلسطينية في مناسبات عديدة وآخرها حوادث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ فأسقطت عنه عضويته النيابية ،راجع، عباس مراد ، الدور السياسي الجيش الأردني : مرجع سابق ص ص ١٠٠-١٠١ .

في نفس اليوم مع ثورة العراق وألقت السلطات الاردنية القبض على عدد من العسكريين .

وقد بقى البريطانيون فى الاردن حتى أكتوبر ١٩٥٨ ولم يغادروها إلا بعد أن حصل الملك حسين على ضمانات أمريكية جديدة بالمحافظة على النظام وأصدر مجلس الأمن قرارا ينص على احترام الدول العربية المجاورة للأردن وسيادته واستقلاله وأوفدت الولايات المتحدة بعثة عسكرية تتألف من تسعة ضباط برئاسة الجنرال ريتشارد ردسين للوقوف على احتياجات الاردن المالية والعسكرية وتعهدت الحكومة الامريكية بدفع مبلغ ٤٠ مليون دولار سنويا للاردن لتعويضه عن المساعدة التى أوقفها البريطانيون بعد إلغاء المعاهدة (١) .

وتحت تأثير الاعتبارات المحلية والعربية وكرد فعل للوحدة بين مصر وسوريا قامت محاولتان انقلابيتان جديدتان فى الأردن أحدهما فى مارس ١٩٥٩ والأخرى فى شهر اغسطس ١٩٦٠ بهدف إسقاط الملك ، إلا أن ذلك جاء فى وقت تعانى منه الحركة الجماهيرية فى الأردن من الحصار الشديد .

ولقد حركت التيارات الوحدوية والناصرية مجموعات من فئات الرأى العام الأردنى والفلسطينى ودفعت حالة المد الوطنى الظاهر فى المنطقة العربية وبقيت تلك المجموعات بامتداداتها الشعبية واعتمادها إلى حد بعيد على التأييد السياسى للدول العربية المتحررة بقيادة عبد الناصر وتأثرت بالتالى لما تخضع له الأوضاع العربية من تأثيرات ومواقف .

غير أن الملك حسين تمكن من بعثرة هذه المجموعات والسيطرة عليها تماما ولم تفلح محاولات الانقلابات المتكررة ، وارتدت حركة المعارضة الوطنية

---

(١) الأهرام فى ١٦/٩/١٩٥٨ .

لتعبر عن نفسها فى حالات القهر بعمليات الإغتيال السياسى وعمليات التخريب مثل مقتل هزاع المجالى عام ١٩٦٠ ومحاولة قتل الملك حسين عام ١٩٦١ ولم تكن تلك الحوادث تعكس شكلا محددا للنضال الوطنى بل اتخذت شكل العمليات الخاصة وشارك فيها عدد من المدنيين والعسكريين على السواء ، واتهمت الحكومة الأردنية الجمهورية العربية المتحدة بتدبيرها بحشد بعض وحدات الجيش على الحدود السورية بينما شنت عمليات انتقامية بإلقاء عدد من المتفجرات فى الاراضى السورية واللبنانية عن طريق ملحقها العسكرى آنذاك والذى أبعد عن لبنان بعد أن افتضح أمره (١) .

وفى سوريا أدى إنسحاب حزب البعث من تأييده لعبد الناصر من ناحية وأحداث الاستبداد (٢) المصرى فى دمشق من ناحية أخرى فضلا عن الوصاية المصرية على سوريا (٣) — طبقا لآراء فريق من الباحثين — وأنفراد سوريا بدعم الاقتصاد المصرى إلى إشعال النيران فى البارود فأقيل عبد الحميد السراج من مهامه فى سوريا ليتولى إحدى الوظائف الفخرية فى مصر بعيدا عن أى سلطة ، وأدى الغضب العام بين السوريين إلى إنقلاب عسكرى فى دمشق حيث ألقى بعض الضباط القبض على عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية آنذاك يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ وإعادوه إلى مصر ثم أعانوا أنفصال سوريا التى أنسلخت عن الجمهورية العربية المتحدة التى ماتت بدورها ولم يبق منها غير الأسم فقط وقد ظلت مصر تحلى نفسها به .

وهكذا تفجرت نواة الوحدة العربية ، وقد أبدى عبد الناصر من الحكمة ما جعله يتغاضى عن الرد بارسال قوات تعيد فتح سوريا غير أنه شعر

---

(١) وهو غازى الخطيب ويرجع فى تفصيل ذلك إلى ، الأهرام = القاهرة بتاريخ ١٩٦٠/٩/٤ ، ١٩٦٠/٩/٨ ، ١٩٦٠/١١/٢٢ .

(٢) ، (٣) Rodinson, op. cit, pp. 72–73.
Aleum op. eit, pp. 395–396.

باضطراب عميق وأجرى مراجعة أليمة لسياسته فى كافة المجالات وقد أعرب عن كل هذا فى سلسلة من الخطب (١) التى نقد فيها نفسه خلال الثلاثة شهور الأخيرة من عام ١٩٦١ .

وقد أعترف عبد الناصر بأن المصريين قد أرتكبوا بعض الأخطاء حكم سوريا ولكنه كان يرى أن الأنفصال السورى ينطوى على خيانة « السوريين للمثل الأعلى للأمة العربية المتحدة والحرة ، فكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة المخالفة للطبيعة ؟ » .

وقد أعتبر عبد الناصر أن الأنفصال السورى نتج أساسا عن رد فعل أصحاب الامتيازات السوريين ضد الطابع الاشتراكى لنظام الحكم الذى زادت من حدته موجة التأميمات وأضاف عبد الناصر قائلا .

« لقد فكرت كثيرا ، واخترت ؛ أخترت أن أواصل الثورة التى بدأت منذ تسعة أعوام فى المجالات السياسية والاقتصادية مهما كان الثمن . . لقد بالغنا فى تقدير قوتنا وإمكانياتنا وأسأنا تقدير قوة وإمكانيات الرجعية . وبهذا تحالفنا مع الرجعيين ولم نوجه ضرباتنا كما ينبغى . . كما أننا منينا بفشل ذريع فى التنظيم الشعبى عندما فتحنا أبواب المؤتمر القومى أمام القوى الرجعية ولم نبذل الجهود الكافية لتوعية الجماهير . . » .

وقد اتجه عبد الناصر إلى محاولة تعبئة الرأى العام العربى ؛ ومن ذا الذى يستطيع تعبئة الجماهير أن لم تكن لديه مئات الآلاف من الكوادر الصغيرة المخلصة والقادرة على تقديم أكبر التضحيات حتى تشجع ملايين الفلاحين الذين ظلوا منذ عهد الفراعنة فى حالة تشكك أمام قادتهم حيث بدأ هؤلاء الفلاحون يدركون أنهم قد خدعوا فالموظفون العسكريين الذين لديهم استعداد بصفة خاصة للاستفادة إلى أقصى درجة من مناصبهم فضلا

---

(١) يرجع فى تفصيل ذلك إلى مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر — القسم الثانى — القاهرة — مصلحة الاستعلامات — بدون تاريخ إصدار .

عن أن هؤلاء العسكريين لم يمارسوا أى عمل ما قبل التحاقهم بالجيش ولا يحملون مؤهلا جامعيا فى الغالب ومع ذلك فهم لا يشبهون قط هذه الكوادر المخلصة حتى الموت التى تعرف كيف تجتذب الجماهير الصينية والفيتنامية والتى ضمنت فيما مضى النجاح النسبى للتنمية السوفيتية (١).

ولهذا رأى عبد الناصر أنه من الضرورى ضمان ظهور كوادر نابعة مباشرة من الجماهير المتألمة وكان من الضرورى أيضا الهاب حماس هذه الجماهير بأن تفتح أمامها أفاقا جديدة خلاف الاستقلال الخارجى الذى أصبح مضمونا وذلك بأن يقدم لها وعد بخوض معركة لاهوادة فيها ضد الامتيازات والحاصلين عليها وأنه ينبغى أعطاء الجماهير وعدا بالمساواة والحرية . (٢).

وهكذا تضاعفت حالات التأميم عقب الانفصال كما أنهالت موجة من الاعتقالات والمصادرة على أعضاء الطبقات المالكة القديمة وقام عبد الناصر بتنظيم أنتخابات مؤتمر قومى للقوى الشعبية حيث يكاد العمال والفلاحون يشكلون الأغلبية وصدر إعلان دستورى يوم ٢٧ سبتمبر عام ١٩٦٢ ينص — نظريا — على تكوين إدارة جماعية .

وعاد عبد الناصر إلى التزمت الإيديولوجى فى مواجهة الدول العربية فقطع العلاقات الدبلوماسية مع الأردن وندد بنظام الحكم السعودى ورفض الأعتراف بنظام الحكم السورى الجديد كما أنه حطم الاتحاد الكونفدرالى مع اليمن ، وقد أقترن الابتعاد الفعلى لمصر عن الشئون العربية آنذاك بتأكيدات مدوية عن الوحدة العربية الثورية وعلى التشدد تجاه قوى الامبريالية المتحالفة ومن بينها الصهيونية التى تحتل مكانا مرموقا (٣) .

---

(١) راجع : دكتور سعد الدين ابراهيم : فى سوسيولوجية الصراع العربى الإسرائيلى. بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ ص ص ٧٥–٨٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) راجع : السيد ياسين : الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلى والمفهوم العربى القاهرة ، مؤسسة الأهرام — مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٧٤ ص ص ٤٧ — ٥٢ .

وفى شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ انتصرت الموجة الثورية بدرجة غير متوقعة فى اليمن المتخلفة ، وأعلن قيام الجمهورية غير أن الملكيين عادوا إلى التجمع خلف الإمام البدر الذى تسانده المملكة السعودية ، كما أن الولايات المتحدة لم تعترف بالجمهورية .

وفى شهر أكتوبر أرسل عبد الناصر قوات مصرية لنجدة الجمهورية المهددة وأصبح بطل العروبة أكثر من أى وقت مضى .

وكان عبد الكريم قاسم قد اعترف أيضا بالجمهورية اليمنيه ، غير أنه لم يستطيع أن يفعل أكثر من هذا نظرا لتورطة فى صعاب معقدة فى العراق فهو كما يحلله الباحثون شخص غريب الأطوار ومعتوه حاول انتهاج سياسة توازن بين مختلف مجموعات الضغط العراقية وبين القوى الدولية ولكنه لم ينجح إلا فى أثارة التشكك تجاهه بين الجميع فان موجة المطالب الشعبية التى أطلق لها عبد الكريم قاسم العنان فى بداية حكمه والمظاهرات والاستيلاء عنوة على الأراضى الزراعية والمبالغات التى مارستها الجماهير الثائرة فضلا عن التنافس بين الطوائف العنصرية والدينية الذى لعب هو الآخر دورا كبيرا والجلسات المذاعة فى التليفزيون لمحكمة الثورة كلها أمور جعلت عبد الناصر يطلق على عبد الكريم قاسم بأنه قاسم العراق والواقع أن عبد الكريم قاسم لم ينجح فى « إيجاد دولة مستقرة ذات جهاز تنظيمى يعمل على التوفيق السلمى والدائم بين مختلف المصالح والأمانى والاتجاهات وقد ساعد عبدالناصر هو الآخر الاتجاهات الوحدوية وإيديولوجية القومية العربية الوحدوية مستغلا السلاح التكتيكى المتمثل فى الأعراب عن الغضب أمام أنعدام المظاهر الإسلامية وجوهرها فى العراق واتجاه قاسم إلى الانفصال وكان إسم قاسم هو الآخر يساعد على معنى بث الفرقة وقد استغله عبد الناصر ووصفه بأنه قاسم العراق فى خطاباته (١) .

---

(١) Rodinson Maxime, op. eit, pp. 55–59.

أما الجيش العراقي الذي اتحد حول فكرة الإيديولوجية القومية الوحدوية والذي سئم من كثرة رجوع عبد الكريم قاسم عن قوله ، فقد اتحد مع حزب البعث حتى يجد تحت تصرفه حزبا منظما قادرا على التأثير على الرأي العام العراقي .

وفي ٨ من فبراير عام ١٩٦٣ تم أنقلاب عسكري عرف تحت اسم أنقلاب الرابع عشر من رمضان وقد أطاح هذا الأنقلاب بعبد الكريم قاسم الذي صرع وانتقل الحكم بالتالي إلى أحلاف عبد الناصر من البعثيين وتمتع الآخرون في بادئ الأمر بمركز القوة ، واغتبطت جميع القوى المحافظة في العراق لزوال خطر الانزلاق نحو الشيوعية ، ثم قام البعثيون الجدد بتكوين ميليشيا طاردت الشيوعيين والمتعاطفين مع الشيوعية فقتلت نحو خمسة آلاف فرد ، وهكذا جرت تصفية حسابات دامية أشبعت خلالها الاحقاد المتراكمة منذ سنوات وانعكست أيضا ضد الناصرين الذين تم القضاء عليهم بواسطة البعثيين المتمتعين بمركز القوة الذي قاموا أيضا بتدعيم المعركة ضد الأكراد مما أدى إلى اتسام الحرب بالضراوة .

وفي ٨ مارس من عام ١٩٦٣ — أي بعد مرور شهر من الانقلاب العراقي — قام العسكريون السوريون في دمشق بانقلاب عسكري آخر قضى على نظام الحكم البرلماني المتردد الذي أقيم في أعقاب الانفصال وأتى بالبعثيين إلى السلطة كما هو الحال في بغداد .

وهكذا كان العالم العربي في الشرق في ربيع عام ١٩٦٣ خاضعا لنظامين يعلن كل منهما أنه يؤيد الاشتراكية ويعتنقان مبادئ القومية العربية الوحدوية ، وهما : حزب البعث في العراق وسوريا ، والناصرية في

مصر وبدأت مفاوضات بينهما فى القاهرة خلال شهرى مارس وإبريل عام ١٩٦٣ لأرساء قواعد الوحده .

غير أن الطرفين اللذين لدغا من تجربة الوحدة المصرية السورية من ١٩٥٨ إلى ١٩٦١ ، كانا يشعران بتشكك متبادل فى الحالتين وألقى كل منهما مسئولية فشل الوحدة على الآخر ، وكان البعث يرمى إلى أن يستغل لصالحه هيبة عبد الناصر دون التخلى عن شئ من سلطته .

أما عبد الناصر فلم يكن مستعدا لقبول الوحدة إلا بشرط ضمان سيادة الصيغ والحلول المصرية ، وهكذا فضت الاجتماعات بعد الإتفاق على تأجيل الحل .

وقد توترت العلاقات بين البعثيين والناصريين إلى أقصى حد بسبب المناورات البعثية للاحتفاظ بالسيطرة على المسرح السياسى والسورى خلافاً لما ورد فى اتفاقيات القاهرة وذلك بتطهير الجيش من الضباط الناصريين ثم بالقمع الدموى فى ١٨ يوليو ١٩٦٣ بمحاولة انقلاب ناصرى فى دمشق وبدأ عبد الناصر فى التنديد « بفاشستية » البعث واتهمه بالافتقار إلى الإصلاحات الاجتماعية بالقياس إلى ميثاق العمل الوطنى الذى كان قد صدر فى مصر .

وكانت المذابح التى قام بها البعث العراقى ضد الشيوعيين قد جعلت من المألوف أن يوصم هذا الحزب على هذا النحو ، مما جعل الحزب يتولى الحكم خلف ستار رئيس غير بعثى هو اللواء عبد السلام عارف الذى تخلص هو الآخر من البعث فى انقلاب قام به فى ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ وتقرب بذلك من القاهرة ، ذلك أنه كان شخصاً متديناً ومن أنصار التمسك بالتقاليد ومن المعجبين والمتحمسين لعبد الناصر .

إن العالم العربى لم يكن قط فى أى يوم مقسما كما كان فى أواخر عام ١٩٦٣ فقد كانت سوريا فى حالة حرب باردة مع كل من مصر والعراق، وفى حالة سلام فاتر مع لبنان، وقام عداء بين سوريا وكل من الأردن والمغرب .

أما مصر والسعودية فقد تحاربتا عسكرياً فى اليمن حيث ساعد كل منهما بصورة مستترة أو صريحة أحد أطراف الحرب الأهلية هناك ، وحتى بعيداً عن الشرق الأوسط نفسه كانت الجزائر فى خلاف مع المغرب حول الحدود (الأمر الذى استتبع تحركات عسكرية) ومع تونس التى اختلفت مع المغرب أيضاً بسبب موريتانيا ولكن إسرائيل تحركت فقامت الوحدة(١) ، وهكذا ، بعد انقضاء أقل من ثمانية أعوام على العدوان الثلاثى بدأت المشكلة الفلسطينية وكأنها فقدت جانبا من حدتها وانقشعت أسباب القلق وأصبحت الحروب الباردة والمقاطعة والمؤتمرات الدولية كلها ، رغم ما فيها من طابع الحدة والمعاناة، غير مصحوبة بمظاهر العنف . وقل عدد حوادث الحدود واقتصرت هذه الحوادث على الحدود التى تفصل بين إسرائيل وسوريا .

غير أن هذه الأوضاع قد تغيرت وازدادت خطورة ابتداء من عام ١٩٦٣ بسبب النزاع حول تقسيم مياه نهر الأردن وأصبحت المشكلة الفلسطينية فى ذلك الوقت متبلورة حول هذا الموضوع .

إسرائيل فى الداخل والخارج ١٩٥٧ — ١٩٦٣ :

من الثابت أنه لم يكن هناك أى عربى قد رضى خلال هذه الفترة عن الانتزاع العنيف لجزء من الأرض العربية وعن الجرح الذى لم يندمل بعد والمتمثل فى مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، غير أنه قد تم تأجيل العمل فى هذا المجال إلى ما بعد . . . إلى أجل اعتبر بعيداً بالرغم من الأمل الذى كان يراود

---

(١) جانيس تيرى : « سياسة إسرائيل تجاه الدول العربية » فى : إبراهيم أبو لغد (محرر)، تهويد فلسطين ص ص ٣٥٥–٣٧٠.

فئات من الرأى العام العربى فى أن يحدث هذا تقريباً ، فى حين أن قطاعات أخرى عمدت خلافاً لذلك إلى إرجائه إلى أبعد ما يمكن فى المستقبل حتى أن الأمل قد راود هذه القطاعات من الرأى العام العربى فى إمكانية وقوع أحداث لا يمكن توقعها ويكون من شأنها أن تؤدى فى يوم ما إلى حل غير أليم للمشكلة ، فى حين رمى البعض إلى ترك مجتمعاتهم العربية تستسلم إلى قدر كبير من التبعية للخارج وهى تبعية مربحة .

وفى إسرائيل تسببت القوة التى ألحقت الهزيمة بالعرب فى عامى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ إلى احتقار حقوق الشعب الفلسطينى (١) بالرغم من استمرار العرب بالمطالبة بهذه الحقوق بتصريحات شفوية متفاوتة الحماس ومصطنعة بشتى ألوان البلاغة العربية والتصريحات التى تنبض بأعنف الأهواء الأيديولوجية .

وكان الفلسطينيون وهم أكثر الأطراف تمسكاً واهتماماً بهذه الحقوق قد تلقوا حلولا بديلة ، غير أن ستاراً من القوات الدولية للأمم المتحدة حال على نحو ملائم للغاية دون وقوع أى حادث مع مصر إذ أن حامية من هذه القوات كانت تتيح لحركة الملاحة البحرية من إسرائيل وإليها المرور دون تعقيد عبر مضيق تيران المصرى ، الأمر الذى أزاح عن مصر مسئولية السماح بهذا المرور (٢) ؛

وظلت الحوادث ممكنة — ومتكررة على حدود إسرائيل مع الأردن وسوريا حيث كانت مسألة المناطق المنزوعة السلاح مصدرا دائما للصدامات مع لبنان الذى يدعو ضعفه العسكرى وطابعه التجارى المسالم إلى التهدئة ، غير أن هذه الحوادث بقيت محدودة وأقل خطورة مما كانت عليه فى الفترة السابقة .

---

(١) راجع : أسعد رزوق ، فى المجتمع الإسرائيلى ، القاهرة : جامعة الدول العربية : معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٧١ ص ص ١٤ — ١٧ .

(٢) راجع : هنرى كتن : فلسطين فى ضوء الحق والعدل . ترجمة وديع فلسطين : بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٠ .

وفي نفس الوقت شعرت إسرائيل بأنها معرضة لتهديد أقل ، فأمكن لقادتها أن يفكروا في وضع خطط طويلة الأجل للسياسة الخارجية كما أعطى الرأي العام الإسرائيلي أهمية أكبر للمشاكل الداخلية كما يحدث في أي بلد ينعم بسلام نسبي .

وكان بن جوريون لا يؤمن إلا بالقوة (١) وقد ظل محتفظا بالحكم وكان يرمي إلى تدعيم إسرائيل بالحصول على مساندة الأقوياء فتمادى إلى أقصى درجة تقربه من أمريكا ولكنه أقترب أيضا من بريطانيا وألمانيا الاتحادية ، كما أبقى على التحالف مع فرنسا ، فرغم تغيير نظام الحكم في فرنسا فيما عرف بثورة الجنرالات ووصول الجنرال ديجول إلى الحكم فإن شمعون بريس قد وصل في الشهر التالي مباشرة من حكم ديجول — أي في يونيو ١٩٥٨ — إلى فرنسا حيث شرح لجي موليه — الذي كان مازال رئيسا للوزارة الفرنسية — مطالب إسرائيل من الأسلحة الجديدة مؤكدا أهمية الوجود الإسرائيلي لاستقرار السلام في المنطقة قائلا :

« أن الدولة الوحيده الموجودة وسط البركان السياسي في الشرق الأوسط ، والتي تعمل من أجل الاستقرار هي إسرائيل » . وأنه خلال السنوات القليلة القادمة سوف يتضاعف عدد سكانها ويصل إلى أربعة ملايين نسمة في عالم التكنولوجيا الذي نعيش فيه ، وهي بذلك سوف تشكل قوة لا يستهان بها في المنطقة .

وفي عام ١٩٦٠ حدث توتر شديد بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة آنئذ نتيجة للنزاع حول المناطق المنزوعة السلاح على الحدود مع

---

(١) Patal Raphael : Israel Between East and West, Jewish publication society of Amarica : pp. 97–98.

سوريا وأدى إلى حشد القوات المصرية فى سيناء بعد أن هاجمت إسرائيل بلدة التوافيق السورية وأنعكس هذا التوتر على النشاط الخارجى الإسرائيلى حيث شاهد هذا العام نشاطا سياسيا واسع النطاق فزار بن جوريون فرنسا فى يونيو ١٩٦٠ مشاركا فى الجهود الرامية إلى أبرام صفقة الطائرات « ميراج » الجديدة .

وفى صيف عام ١٩٦١ عاد بن جوريون إلى فرنسا عقب زيارته للولايات المتحدة واتفاقه مع الرئيس كنيدى على صفقة صواريخ « هوك » المضادة للطائرات وفى ذلك الوقت بدأت إسرائيل تشعر باحتمالات تحول السياسة الفرنسية فى عهد ديجول بعد أن اختفى معظم أصدقاء إسرائيل القدامى من العسكريين والسياسيين الذين شاركوا فى مؤامرة التواطؤ الثلاثى ضد مصر من مسرح السياسة الفرنسية ومنذ ذلك الوقت ركزت الجهود السياسية لإسرائيل على كل من المانيا الغربية والولايات المتحدة ولم يكن ذلك يعنى استغناء إسرائيل عن فرنسا بل ظلت فرنسا هى الصديق الذى أمدها بأكبر قدر من الأسلحة .

أما فيما يخص علاقة إسرائيل بألمانيا الغربية فقد بدأ الفصل الأول من قصة المساعدات العسكرية الألمانية فى يونيو ١٩٥٧ ، فى هذا التاريخ قرر بن جوريون أيفاد شمعون بيريس إلى ألمانيا الغربية لبحث إمكان الحصول منها على السلاح وقد استطاع بيريس أن يحقق نجاحا مبدئيا مع فرانس جوزيف شتراوس وزير الدفاع فى حكومة بون وقتئذ .

وفى شهر مارس عام ١٩٦٠ ذهب بن جوريون إلى الولايات المتحدة فى زيارة مدبرة غير رسمية للاستعانة بالولايات المتحدة للضغط على ألمانيا الغربية حتى تقبل تزويد إسرائيل بالسلاح ، ولما عاد بن جوريون إلى

إسرائيل عرض الأمر على الكنيست وأمكنه أن يحصل على موافقته بشأن عقد صفقة الأسلحة مع ألمانيا الغربية (١) . وقد بدأت المفاوضات المطولة حول عقد اتفاقية كاملة « لبرنامج المساعدات العسكرية بين ألمانيا الغربية وإسرائيل » فى أوائل عام ١٩٦٢ ، وفى حديثه مع أديناور أشار شيمون بيريس — الذى كان قد تمكن أثناء زيارته للولايات المتحدة من أن يحصل على موافقة الرئيس كنيدى على الصفقة مع ألمانيا الغربية ثم عاد إلى ألمانيا الغربية — وأشار بيريس إلى :

« قوة الردع للجيش الإسرائيلى الآخذة فى الانقراض ، وعدم إمكان منع نشوب حرب فى المستقبل ، كما أكد أن النزاع بين إسرائيل والعرب ليس نزاعا محليا بل هو نزاع يرتبط بالصراع بين الكتلتين الغربية والشرقية وبما أن ميزان التسلح أخذ يميل ويرجح لصالح العرب ، لذلك فإنه من الضرورى سرعة تزويد إسرائيل بالأسلحة الفعالة حين لايتعرض السلام فى المنطقة للخطر . إذ أن ما يحدث فى الشرق الأوسط يهم الغرب كله ، كما أن تقوية إسرائيل تعد من مصالح الغرب الحيوية »

وفى ديسمبر ١٩٦٢ صدقت إحدى لجان برلمان المانيا الغربية على صفقة الأسلحة مع إسرئيل .

إما علاقات إسرائيل من حيث التسليح مع الولايات المتحدة الأمريكية فترجع إلى عام ١٩٥٨ حيث بدأت المساعى الإسرائيلية الجادة فى هذا الاتجاه فى أعقاب فشل « مبدأ أيزنهاور » بعد أن رفضته الدول العربية ، وبعد إخفاق التدخل العسكرى الأمريكى والبريطانى فى لبنان والأردن . ولم يفت إسرائيل أن تنهز هذه الفرصة ، وقد أدركت أن فشل المحاولات الاستعمارية فى قلب الأوضاع بالعالم العربى . قد يؤدى إلى أحداث تغيير أساسى فى

---

(١) Badt, Joseph, The Government of Israel, New York Twayne publishers, 1965 p. 213.

سياسة الولايات المتحدة ذاتها ، وهكذا أنتظرت اللحظة المناسبة لتلعب دورها ، ففي أعقاب الأزمة التي نشبت في أوائل عام ١٩٦٠ بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة حول المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود السورية — ذهب بن جوريون إلى الولايات المتحدة في مارس ١٩٦٠ ، حيث عقد الإتفاق المعروف مع أديناور ، كما قابل الرئيس ايزنهاور ، وقد أشار الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل عام ١٩٦١/٦٠ إلى مدى الدعم الأمريكي لإسرائيل في عبارة جاء فيها :

« أن الولايات المتحدة تؤكد في بيانها من جديد موقفها من إسرائيل ، وتنوه بأن وجود إسرائيل وإزدهارها جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية الأمريكية ، كما تقدر حكومة الولايات المتحدة محاولة إسرائيل تدعيم سياستها وضمان مستقبلها السياسي . وهي مستعدة لزيادة مساعدتها الفعالة من أجل تحقيق هذين الهدفين (١) » .

وفي نوفمبر عام ١٩٦٠ بدأ عهد جون كنيدي كرئيس للولايات المتحدة والواقع أن السياسة الأمريكية بالنسبة للشرق الأوسط لم تتبدل بعد أنتخابه رئيسا للدولة . إذ استمرت في سياسة تسليحها لإسرائيل والقائمة على الامتناع عن الدخول في هذا الميدان بشكل سافر ، أكتفاء بتولى الدول الغربية الأخرى (فرنسا وألمانيا الغربيه وبريطانيا) بتزويد إسرائيل بكل ما تحتاجه من سلاح ، واقتصار دور الولايات المتحدة على المؤازرة السياسية في تأييد هذا الدعم العسكري وأغراق المعونات المالية على إسرائيل ، إلا أن الأطماع الإسرائيلية لم تقنع بهذا القدر فعاد بن جوريون إلى الولايات المتحدة في مايو ١٩٦١ يجدد طلب السلاح مرة أخرى .

---

(١) Israel Government Year Book 1950–1961 Jeruralem, The government printer 1961 p. 213.

وفى مايو ١٩٦٢ ذهب شمعون بريس إلى الولايات المتحدة ليبدأ حملة مركزة تهدف إلى الحصول على موافقتها على مد إسرائيل بالسلاح ، وظل يقنع أكبر عدد من المسئولين الأمريكيين بوجهه نظر إسرائيل .

وبالرغم من عدم توافر أية نوايا عربية عدوانية ضد إسرائيل فى هذه الفترة إلا أن بريس راح يصور إسرائيل بالدولة الضعيفة التى تخشى الاعتداء عليها بينما إسرائيل فى واقع الأمر كانت منذ ذلك الحين تستعد لشن عدوان شامل ضد الدول العربية المجاورة .

وقد أسفرت زيارة بريس على نتيجتين ، إذ حصل على موافقة الولايات المتحدة على صفقة الأسلحة الكبيرة مع ألمانيا الغربية كما حصل على موافقتها على إمداد إسرائيل بصواريخ هوك المضادة للطائرات ، وتعتبر هذه الاتفاقية – رغم اقتصارها على هذا السلاح الدفاعى – نقطة تحول هامة فى سياسة الولايات المتحدة نحو إسرائيل . فلاول مرة تخرج الولايات المتحدة من خلف الستار ، وترسل الأسلحة إلى إسرائيل مباشرة ، وقد علقت جريدة نيويورك هيرالد تريبيون الأمريكية فى سبتمبر ١٩٦٢ على هذه الصفقة بقولها :

« أن الحكومة الأمريكية مهتمة بأن تشغل إسرائيل مركزا دفاعيا ضد جيرانها ذوى النوايا العدوانية (١) » .

وقد استمرت سياسة الولايات المتحدة دون تغير يذكر حتى نهاية عهد كنيدى و وصول جونسون إلى قمة السلطة فى الولايات المتحدة .

---

(١) صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » عدد ٣٩ سبتمبر ١٩٦٢ .
ويرجع فى تفضيل علاقة الولايات المتحدة باسرائيل إلى ،

Safran Nadav. The United staes and Israel» Gambridge Harvard University Press pp. 166–341.

وهكذا ظلت خطط بن جوريون عالمية النطاق ، فهو لا يؤمن إلا بالقوة ويسعى دائما إلى الحصول على مساندة الأقوياء (١) ، ومن هنا فان مساندة الدول الكبرى كانت دائما أمرا أساسيا بالنسبة لبن جوريون حيث من الأهمية بمكان الحصول على مساندات تتمشى والقواعد الأزلية للسياسة بمعنى أنها مساندات مشروطة ، ومن هنا أيضاً نبعت جهود بن جوريون من أجل التوصل إلى اتفاق غير مكتوب ولكنه متين مع تركيا من جهة وهي موالية لأمريكا ومعادية للإتحاد للسوفيتى فضـــلا عن كونها فى حالة خلاف مع كل من سوريا والعراق ؛ ومن جهة أخـــرى مع إيران التى تعانى من صعاب دائمة مع العراق ، وأخيراً [مع أثيوبيا التى انتابها القلق أمام موجات المد الناصرية فى إريتريا والصومال وفى المدى الأبعد ، كانت آســـيا ، وأفريقيا على وجه الخصوص تمثلان مجالات دبلوماسية يمكن الحصول فيها على تعاطف مفيد، ذلك أنه من الأفضل ألا تكون جميع أصوات دول للعالم الثالث معادية لإسرائيل فى الأمم المتحدة ، ففى مقدرة إسرائيل أن تقدم معونة فنية على درجة كبيرة من الفائدة لإسرائيل وكانت المستعمرات الزراعية الجماعية والتعاونية «الكيبوتيزيم(٢)والموشافيم » هى الانجازات التى أخذ بن جوريون يجذب بها دول آسيا وأفريقيا الجديدة ، وقد حاول بن جوريون جعل الأمريكيين يتولون تمويل هذه النشاطات وذلك بأن أغراهم بمدى فائدتها فى قطع الطريق أمام الشيوعية .

وكان بن جوريون يتقدم فى السن حيث بلغ من العمر أربعة وسبعون

---

(١)،(٢) يعقوب خورى : حقوق الإنسان فى فلسطين المحتلة، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث ١٩٦٨ (حقائق وأرقام-١٥) ص ٩ . رانظر أيضاً : محمد نصر مهنا تطور الاستيطان الزراعى ونموه ومشكلات فى ، الاستعمار الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين . القاهرة . معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥ ص ص ٢٤٩-٢٩٥ .

عاما فى عام ١٩٦٠ لذا فثمة أمور لم يعد يتبينها جيداً ، فقد ثار — مثلا ضد الصهاينة فى الخارج ومنهم بالأخص ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى — وذلك لتدخلهم فى الشئون الإسرئيلية الداخلية ، غير أنه كان يرى فى نفس الوقت أن مساندة الصهاينة فى الخارج لإسرائيل يعتبر أمرا رئيسيا .

وفى شهر ديسمبر ١٩٦٠ اكتشفت طائـرات التجسس الأمريكية المفاعل الذرى السرى الذى أقيم فى ديمونه بمساعدة فرنسا ، وهنا ثارت ثائرة الأمريكيين المتمسكين بسياسة عدم انتشار الأسرار النووية ، وطالبوا بفرض رقابة على المفاعل لمعرفة ما إذا كان يستخدم حقا لأهداف سليمة .

ثم أعربت الولايات المتحدة أيضا عن غضبها وهددت إسرائيل ، غير أن بن جوريون لم يرضخ ورفض أن تفرض على الإسرائليين أية رقابة ، ومن الغريب أن الأمر انتهى بالولايات المتحدة الأمريكية . . وهى الدولة العظمى . . بأن أذعنت أمام الدولة الإسرئيلية الصغيرة واكتفت بتقارير جواسيسها ، ومرة أخرى تأكد لرؤساء الدول العربيـة حتى أولئك الذين لايتحملون غير القليل من المسئولية ، أن إسرائيل قوية ، وفى يوليو عام ١٩٦١ أطلق أول صاروخ إسرئيلى .

وكان الأمريكيون يكتشفون أيضا من حين لآخر أن التوتر القائم بين إسـرائيل والعرب له مساوئه ، وأنه ليس فى استطاعتهم إلا أن يساندوا إسرائيل ، وأن هذه المساندة لا يمكن إلا أن تفقدهم ثقـة العرب ، ولذا اقترحوا خطة لتسوية الموقف ولجأوا إلى الضغط لفرضها ، وفى عام ١٩٦١ — ١٩٦٢ اقترح كنيدى خطتين متتاليتين تنصان على ضرورة قبول إسرائيل لجزء من أولئك اللاجئين الذين من المفروض استعادتهم جميعاً طبقا لقرارات الأمم المتحدة ،

غير أن الخطتين قد فشلتا بالرغم من ضغط كنيدى على بن جوريون بواسطة الصواريخ من طراز هوك التى كان قد وعده بها بأن يعطى الأمريكيون الصواريخ لإسرائيل مقابل موافقة هذه الأخيرة على إحدى الخطتين ، ولكن بن جوريون رفض الخطتين وحصل فى النهاية على الصواريخ .

وقد كان بن جوريون يريد السلام ، ولكن بالشروط التى تضعها إسرائيل ووفقا للاستراتيجة الاسرائيلية التى يقرها بن جورين ومؤداها كسب السلام من مركز القوة حيث كان يعتقد منذ نهاية الفتره السابقة على الحرب أن عمليات استعراض القوة وحدها هى التى ستجبر العرب على الاعتراف الذى طالما ترقبته هذه الدولة التى فرضت على العرب فى الواقع (١) كذلك لم يقتنع بن جوريون أبدا بعدم فاعلية هذه الطريقة حتى بعد فشل حربى ١٩٤٨ ؛ ١٩٥٦ فى حمل العرب على الاعتراف بإسرائيل وأيضا جميع عمليات الحدود العديدة فى تحقيق هذه النتيجة .

واعتبر العرب قرارات الأمم المتحدة هى القاعدة الوحيدة التى يمكن الرجوع إليها لحل المشكلة الفلسطينية (٢) ، وبالتالى لم يكن من مدعاة الدهشة فى ظل هذه الظروف أن تفشل المحاولات التى قام بها بن جوريون فى عام ١٩٦٢ وبداية عام ١٩٦٣ — على حد قول أحد المؤرخين (٣) المعاصرين — للقاء عبد الناصر عن طريق عدد من الوسطاء (من بينهم تيتو) ، وكان عبد الناصر قد أدلى بأقوال مشجعة آنئذ بالرغم من الصعاب

---

(١) المرجع السابق ص ص ٢٩٥ — ٣١٢ — ويرجع أيضاً إلى :
دكتور إسماعيل صبرى عبد الله : فى مواجهة إسرائيل : القاهرة : دار المعارف ١٩٦٩ ص ص ١٤ — ١٧ .

(٢) الياس موقص : المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن : بيروت : دار الحقيقة للطباعة والنشر ، ١٩٧١ ص ص ٥ — ٧ .

(٣) Rodinson op. cit, pp. 83-87.

التى اصطدم بها فى العالم العربى وأن :أية حركة تجاه إسرائيل ستجد من يندد بها أمام الرأى العام العربى على أنها استسلام كذلك كان عبد الناصر على علم أيضاً بأن بن جوريون غير مستعد لتقديم تنازلات ، كبيرة تسمح بانقاذ ماء الوجه ، وعلى كل فإن عبد الناصر حتى ذلك الحين لم يكن يعتقد بأن حل المشكلة أمر عاجل : وهو ما وجده الإسرائيليون أيضا حيث اعتادوا على طريقة المعيشة غير الطبيعية هذه مع العرب وكان الرأى العام الإسرائيلى مشغولا بالمشكلات اليومية وبالأوضاع الاقتصادية غير المستقرة ، وبالتالى بالسياسة الداخلية، حيث ظهرت أوجه التوتر الداخلى فكانت الإدارة المستبدة لبن جوريون لاتحتمل إلا بصبر نافذ ، حيث كان بن جوريون يعتمد على الجيش وعلى صديقيه الشابين اللذين يشاركانه آراءه المتطرفة وهما موشى ديان وشيمون بيريز ؛ فالأول كان قائدا عاما للجيش وأصبح سياسيا ثم وزيرا للزراعة ، والثانى الذى كان أولا مديرا للدفاع ثم وزيرا للدفاع فى عام ١٩٥٦ وكانت الأحزاب الأخرى توجه بالطبع هجوما متزايدا على الوسائل التى اعتبروها متعارضة والأسلوب الديموقراطى ، وحتى فى داخل حزبه الماباى نفسه ارتفعت الانتقادات تجاه بن جوريون وازداد طابعها اللاذع (١) .

ولم يغفر موشى شاريت قط لبن جوريون أنه انتزع منه الحكم ، وحتى جولدا مائير كانت هى الأخرى تعرب عن سخطها أمام بعض المبادرات الهامة للسياسة الخارجية التى كان يتخذها بن جوريون وشمعون بيريز دون علمهما .

وفى مارس ١٩٦٣ — فى أعقاب ألقاء القبض فى زيورخ على أثنين من العملاء الإسرائيليين السريين بتهمة تهديد شابة ألمانية ، كان والدها مهندسا يعمل فى مصر ونظمت الأجهزة السرية الإسرائيلية حملة دعائية شعواء تندد

---

(١) تايلور ، آلان : « الرؤيا والقصد فى الفكر الصهيونى » فى : ابراهيم أبولغد (محرر) تهويد فلسطين . مرجع سابق ص ص ٢٣ — ٤٠ .

بالتواطؤ بين العلماء الألمان ومصر وأعدت وصفا مبالغا فيه للغاية لمدى تقدم الفن العسكرى المصرى الذى يساعد فيه أولئك الألمان الذين وصفوا جميعا بأنهم من النازيين السابقين ، وقد أسهمت جولدا مائير من ناحيتها فى هذه الحملة التى جعلت مشاعر الرأى العام الإسرائيلى تتفاقم ، فقد كانت مائير تتسم بالتعصب العاطفى فى هذا الصدد ، الأمر الذى جعل بن جوريون يستشيط غضبا لأنه من ناحية كان يتبع سياسة الصداقة إلى حد ما مع ألمانيا ، ومن ناحية أخرى كان الطابع الشخصى لسياسته قد ضايق إلى أبعد حد أجهزته السرية التى خيلت للرأى العام الإسرائيلى أن هذه الصواريخ العربية . النازية « سوف نقضى على الإسرائيليين »(١) .

على أنه كان يوجد أمر هام آخر كان يطبع سياسة بن جوريون بالاستبداد وهذا الموضوع هو ما أكتسبه لافون من شعبية فى أوساط الرأى العام الإسرائيلى بوصفة ضحية لبن جوريون بعد أن كشف النقاب عن حقيقه أزمة لافون التى استمرت سنوات فى ظل ستار من السرية بفضل جهد بن جوريون ذاته ، وتتلخص هذه الأزمة « أزمة لافون » أن بن جوريون حينما عاد فى أواسط الخمسينات إلى الحكم كان ذلك على أثر قضية لافون الغامضة وكان لافون وزيرا للدفاع وهو خصم لديان وبيريز وأحد الساسة المرموقين فى الماباى ، وقد أدانه رفاقه بأنه مسئول عن عملية غير مضمونة نفذها العملاء السريون فى مصر ، ووقعت حوادث هذه العملية فى القاهرة بناء على خطة استفزازية وضعتها المخابرات الإسرائيلية بهدف أجبار بريطانيا قبيل منتصف الخمسينات على البقاء فى مصر عن طريق عمليات تخريبية ضدها تبدو فى ظاهرها مصرية ولكنها فى الواقع من تدبير عملاء إسرائيليين واعتبر لافون نفسه أنه ذهب ضحية لمناورات قام بها كل من ديان وبيريز لاثقال عاتقة بمسئولية كان يجب

---

(١) من الفكر الصهيونى المعاصر : بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٦٨ ، ص ص ١ — ٤٥ .

أن يتحملها بعض قادة أجهزة المخابرات أوبيريز نفسه كما رأى أن التعليمات الصادرة بإحاطة العمليات بالسرية قد لعبت دورا فى اتجاه واحد لتحول دون تبرئته (١) ، وقد نتج عن هذه العملية نفجار ثلاث قنابل فى القاهرة وأظهر التحقيق المصرى أن القصد منها هو أفساد العلاقات بين مصر من جانب وإنجلترا والولايات المتحدة من جانب آخر ، وألقت السلطات المصرية القبض على العملاء اليهود ، وكان شاريت ــ الذى كان يتولى الحكم قبل بن جوريون قد وجه نداء إلى عبد الناصر بالرأفة ولكن تم تنفيذ حكم الإعدام على ثلاثة منهم (٢) .

فلما أصبح لافون سكرتيرا عاما لاتحاد العمال ــ الهستدروت ــ طلب أن يرد إليه اعتباره وهاجم أجهزة الجيش كلا من ديان وبيريز أمام اللجان البرلمانية وقد عينت الحكومة الإسرائيلية ــ بالرغم من معارضة بن جوريون ــ لجنة مكونة من سبعة أعضاء وتولت فحص الملفات السرية وأعلنت براءة لافون ، وقد ثار بن جوريون على لافون ثم قدم استقالته ، وفى فبراير ١٩٦١ طردت اللجنة المركزية لحزب الماباى لافون من السكرتارية العامة للهستدروت سعيا منها للاحتفاظ برئيسها ، غير أن لافون كان قد اكتسب شعبية بوصفة ضحية لاستبداد بن جوريون فى حين تخلى عن هذا الأخير أعز أصدقائه ، كما أنه تم التنديد علنا أمام الرأى العام الإسرائيلى بالمناورات السرية للدوائر العسكرية والارتباط الوثيق بين رئيس الحكومة وهذه الدوائر خارج المحافل الديموقراطية .

وقد أضر بن جوريون كثيرا عناده فى قضية لافون ، ويرى الكثيرون فى ذلك العناد سمة من سمات الشيخوخة زادت من حدة الاستبداد المعروف

---

(١) Perlmutter, Amos « The Israeli. Army in Politics » world politics » vol. XX no 4, (July 1968).

(٢) Ibid.

عن الرجل المسن (١) .

وفى ربيع عام ١٩٦٣ تزعزعت الثقة الدولية بين جوريون بسبب الذعر الذى انتابه أمام الاتفاق الناقص منذ بداية المبرم بين مصر وسوريا والعراق وبسبب النداء الذى وجهه إلى الدول الكبرى المتشككة حول قرب قيام وحدة عربية جديدة .

وأخيرا شعر بن جوريون بذلك العداء المحيط به ، وعرف أن هناك من يجده غير متمشى مع هذا العهد لأنه قد أصبح عاجزا .

وفى ١٦ يونيو ١٩٦٣ استقال بن جورين واعتكف فى مستعمرة سدى بوكر ومن المرجح أنه كان يأمل فى أن فرصته فى الثأر لنفسه سوف تأتى سريعا وأنهم سوف يشعرون بأنه لاغنى عنه ثم يطالبون منه العودة .

وخلفه فى الحكم ليفى أشكول ، وهو شخص غير لبق ومتردد وأقل تألقا من بن جوريون ، غير أنه قد عرف عنه مهارته فى التنظيم وواقعيته إلى جانب تعصبه للصهيونية وإيمانه التام بها بالطبع بالإضافة إلى عضويته فى الماباى ، ولكنه من جهة أخرى كان لا يميل بطبعه للمغامرات ومن ثم فقد شعر بأن إسرائيل قد أرهقها العبء العسكرى وضاقت الدولة الصهيونية ذرعا بضرورة التعبئة بصورة دورية .

وعموما فإن الرأى العام الإسرائيلى منقسم على نفسه أكثر مما ينبغى فهو حديث العهد ويميل باستمرار إلى التطرف فى العنصرية (٢) ويخضع لضغط الأيديولوجية الصهيونية التى تنشرها المدرسة والجيش وأجهزة الحزب وكثرة الأطلاع على صفحات التوراة الداعية إلى الحرب والتى ييسر لها بقدر كبير

---

(١) Perlmutter, Amos « Military and Politics in Israel Nation Bulding and Role Expension New York, Frderick and Prager, 1969 pp. 75-79.

(٢) من الفكر الصهيونى المعاصر : مرجع سابق ص ص ٥٧ - ٥٩ .

العداء المستمر للجيران ، غير أن الرأى العام فى إسرائيل بالرغم من هذه السمات التى يتصف بها فإنه سرعان ما يصبح مستعدا للعودة إلى منازعاته الداخلية وإلى طرح مطالبه والتخلى عن التعبئة فور ما يسمح له بهذا من وجود جوسلمى نسبيا ، ويتكون الرأى العام الإسرائيلى إلى حد كبير من تلك الجماهير اليهودية الآتية من الدول العربية والتى قدمت ليس بدافع من الأيديولوجية بل لأنه لم يكن فى استطاعتها على ما يبدو أن تذهب إلى مكان آخر ، كما أن اليهود القادمين من أوروبا أقدموا على اختيار عملى وليس اختيارا نظريا أطلاقا ، بل أنهم سلكوا فحسب الطريق الذى عين لهم (١) :

وهكذا فإن إسرائيل سرعان ما تتعرض أثناء أقل فترة هدوء تحصل عليها إلى الانحدار نحو بعض « التخلص من الطابع الصهيونى » الأمر الذى كان يملأ نفوس المتطرفين بالغضب ، ويتساءل أحد المؤرخين (٢) ، ألا يعنى هذا التدهور نحو الهاوية ؟ :

وكان ليفى أشكول الذى لم يتخل اطلاقا عن الأفكار الأساسية للحركة الصهيونية — كان مدركا لكل هذه الاتجاهات والانفعالات لدى الرأى العام الإسرائيلى ، ومن هنا فقد كان لديه الاستعداد لأن يأخذ فى اعتباره — من ناحية أخرى — هذه العقلية السليمة البعيدة عن التعبئة وبالتالى للكشف عما إذا كان من الممكن فى مجال السياسة الخارجية أن يسلك طرقا أخرى غير تلك السياسة المتطرفة التى انتهجها سلفه بن جوريون وهى سياسة استعراض القوة ، وكان يستعيد بهذا الخط السياسى لموشى شاريت أو من سبقوه ممن أرادوا تحقيق اتجاه أكثر تصالحا تجاه العرب (٣) .

---

(١) راجع دكتور / حامد عبد الله ربيع : فلسفة الدعاية الإسرائيلية : بيروت ، مركز الأبحاث الفلسطينية : ١٩٧٠

(٢) Rodinson, op. cit, p. 87.

(٣) أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى : دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية — مركز الأبحاث ؛ ١٩٦٨ . كتب فلسطينية ١٣١ ص ص ٤١٢—٤١٥ .

وقد أندفع أشكول بهذا السعى لإيجاد ظروف لتفادى سباق التسلح وإلى اللجوء إلى الأمم المتحدة بدلا من احتقارها والاتجاه نحو شكل من أشكال عدم الانحياز مع التحلل من المساندة الأمريكية الخاصة ومع التقارب بعض الشئ من الكتلة السوفيتية، وعلى كل، فقد أعلن عن نيته فى إخضاع العسكريين للسلطة المدنية، وفى الحد من العمليات الانتقامية العسكرية ضد الدول العربية المجاورة غير أنه من ناحية أخرى أثار البلبلة لدى الرأى العام الإسرائيلى المتقلب بطبعه — عندما رفض أن يعيد موشى ديان أو شمعون بيريز إلى وزارة الدفاع عندما تولى تشكيل وزارته .

وقد ظهر بالتالى مدى تقلب الرأى العام الإسرائيلى آنئذ عبر نقاش حول مائدة مستديرة أجرته صحيفة « معاريف » فى هذه الفترة ، وقد لاحظ الإسرائيليون البارزون هذه المرة أن وضع خاتمة للنزاع العربى الإسرائيلى مع التساهل إلى حد ما مع الفلسطينيين — سوف يكون مهمة شاقة للغاية . فلم تعتبر من أقل الصعوبات قضية أنقسام الرأى العام الإسرائيلى نفسه حول المسألة الإقليمية (١) .

وقد كشف النقاش عن وجود قطاع من الرأى العام الإسرائيلى عاقد العزم على استرجاع الحدود التاريخية لأرض إسرائيل ، وتنبأ آخرون بتعديل حدود إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ بحيث تضم المزيد من الأراضى وتتيح خطوطا دفاعية أشد كفاية ، وكانت أشد وجهات النظر تطرفا تلك التى تبناها الشاعر الإسرائيلى يتسحاق شاليث الذى أبدى الملاحظة التالية بشأن الدول العربية :

« أن شعب إسرائيل ليس ملزما باحترام هذه « الأمم » وتلك «الممالك»

---

(١) راجع تفصيلا دكتور حامد عبد الله ربيع : فلسفة الدعاية الإسرائيلية ، مرجع سابق .

التى تفتحت من . . . شفتى لورنس وصحبه .. فلكية الأمم العربية لأراضيها جرى أختراعها والتوقيع عليها فى وزارات الخارجية . . لكل من بريطانيا وفرنسا (١) .

وعموما ، فإنه بالرغم من أنه قد جرت عدة محاولات لتخفيف حدة النزاع العربى الإسرائيلى من خارج المنطقة فى المقام الأول ، إلا أن مشكلة تحويل مياه نهر الأردن جاءت لتهدد بتجديد الصراع وهكذا تغيرت أوضاع النزاع العربى الإسرائيلى فبعد أن كان قد فقد جانبا من حدته جاءت هذه المشكلة لتزيد من خطورة الصراع ابتداء من عام ١٩٦٣ بسبب النزاع حول تقسيم مياه نهر الأردن وأصبحت المشكلة الفلسطينية فى ذلك الوقت متبلورة حول هذا الموضوع .

---

(١) How to speak to the Arabs, Round Table, August 1965 in ; Middle East Journal XVIII, (spring 1964) pp. 143-162 .

الفصل الثانى

النزاع حول مياه نهر الأردن وردود فعله

تعمير النقب كهدف قومى :

خلال السنوات الواقعة بين العدون الثلاثى على مصر وحرب ١٩٦٧ لعب النزاع حول مياه نهر الأردن دوراً هاماً فى المشكلة الفلسطينية .

ونهر الأردن هو النهر الوحيد ذوالأهمية الذى يشق إسرائيل وكمية المياه التى يعطيها هذا النهر سنويا تبلغ مليار ، ٨٨٠ مليون متر مكعب(١) ، وينبع نهر الأردن من ٣ منابع هى نهر الحصبانى (فى لبنان) : ونهر بنياس فى (سوريا) ونهر دان فى إسرائيل وتصب فيه بعض النهيرات التى تقع فى الأراضى الاردنية ويروى نهر الأردن إسرائيل والاردن معاً ، ومنذ الثلاثينات أعدت مشاريع (٢) عدة بغية الاستفادة من مياهه ، ولكن إسرائيل على حد قول فريق من الباحثين(٣) الإسرائيليين — لم تبدأ العمل الجدى

---

(١) ومما يجدر ذكره أنه بالمقارنة بنهر النيل نجد أن نهر النيل يعطى سنويا ٨٤ مليار متر مكعب .

(٢) تعرض الدكتور جلال يحيى تفصيلا لأهمية مشروعات المياه منذ عام ١٩١٨ حيث اهتمت اللجان الصهيونية بمصادر المياه اللازمة للزراعة ولتوليد القوى الكهربائية فى فلسطين منذ أن دخلت قوات الجنرال اللنبى فلسطين ، وأيضا تعرض سيادته تفصيلا لمشاريع المياه فى الثلاثينات والأربعينات وحتى الخمسينات راجع دكتور/جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق ص ص ٢٦٢ : ٢٧١ .

(3) Ilahu ben Elissar et zeev schiff : La guerre Israelo-Arabe 5-10 Juin 1967 op. cit, pp. 41-42.

غير أن إسرائيل قد بدأت بالفعل فى تنفيذ مشروعاتها بشأن تحويل مياه نهر الأردن اعتبارا من مارس ١٩٥١ وكانت الخطوة الأولى هى تجفيف بحيرة الحولة .

لاستغلال مياه نهر الأردن لرى أراضى النقب الصحراوية والجرداء إلا فى عام ١٩٥٣ .

وفى الفترة مابين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٦ أعد ايريك جونستون الممثل الشخصى للرئيس ايزنهاور مشروعاً لرى المنطقة ولم يتعرض هذا المشروع من قريب أو بعيد للمشكلة من الناحية السياسية ، وقد قدم هذا المندوب فى عام ١٩٥٣ إلى الدول العربية وإلى إسرائيل مشروعه الذى يتضمن الأشغال الكبرى المؤدية إلى تمكين الجانبين معاً من استغلال مياه حوض نهر الأردن وقد قصد هذا المشروع عمداً إلى عدم الاعتداد بفواصل الحدود بين إسرائيل والدول العربية ، وكان واحداً من بين المشروعات الكبرى الرامية إلى إعاده توطين اللاجئين ،وهو الأمر الذى تهدف إليه الأمم المتحدة وقد نفر الإسرائيليون والعرب على السواء من قبول هذا المشروع على أن أولئك وهؤلاء قبلوا بعد ذلك التقدم بمشروعات مضادة ، وقد استطاع جونستون أن يستمر فى مفاوضاته مع كل من العرب والإسرائيليين حتى عام ١٩٥٦ وهو يعيد النظر مرات عديدة فى مشروعاته لما يبديه الطرفان من اقتراحات وملاحظات ، وكان آخر اقتراح تقدم به جونستون فى العام الماضى – عام ١٩٥٥ أن يخصص(١) ٧٣٤ مليون متر مكعب من مياه النهر إلى الأردن ، ٣٩٤ مليون إلى إسرائيل ، ٤٥ مليون إلى سوريا ، وقد قبلت إسرائيل فى نهاية عام ١٩٥٥ الصيغة التى عرضت عليها أما الخبراء العرب ، وعلى وجه الخصوص الأردنيون منهم ، فقد بدوا مترددين وأخيراً رفضت الجامعة العربية المشروع نهائياً .

وقد فشلت الخطة الأمريكية « مين – جونستون » لسبب آخر هو موقف دالاس آنئذ من الشرق الأوسط .

---

(١) Ben Elissar aud Schiff : op. cit, pp 41-42.

أما إسرائيل فان بن جوريون قد تحدث فى إحدى المناسبات فى ذلك الوقت قائلا (١) :

« إن النقب هو اليوم نقطة الضعف فى إسرائيل ومصدر الخطر على مستقبلها وفى النقب ترسم أيضاً أعظم آمال اليهود « . . . إن دولة إسرائيل الصغيرة لاتستطيع الصبر طويلا على بقاء صحراء النقب — التى تشكل نصف مساحة أراضيها — على وضعها الحالى . وأن لم تستغلها إسرائيل ، فإن هذه الصحراء سوف ترسم نهايتها الواضحة » .

وإذا كان تعمير النقب يحقق استيعاب عدة ملايين من اليهود ، كما تأمل إسرائيل ... إلا أن أهميته الاستراتيجية قد بدت ، من وجهة نظر الأمن القومى الإسرائيلى ، أكثر الحاحاً ، دفعت بمسألة تعميره إلى مقـــدمة الأهداف الإسرائيلية ذلك لأن استمرار بقاءه منطقة صحراوية تكاد تخلو من السكان ، يمثل فراغاً يعتبر فى حد ذاته عيباً استراتيجيا خطيرا .

لذلك عملت إسرائيل دواما على محاولة توطين النقب وتكثيف السكان به ، ويزيد من اهتمام إسرائيل بالنقب أن امتداده إلى الجنوب هو السبيل الوحيد للوصول إلى خليج العقبة والبحر الأحمر وبالتالى اتصال إسرائيل بأفريقيا وآسيا ، ومن هنا كان سعى إسرائيل الدائب إلى زيادة قوة ارتكازها فى جنوب النقب لاهميته الاستراتيجية ولكونه المجال الطبيعى لاستيعاب أكبر عدد من المهاجرين إذا ما نجح مشروع تعميره ، أضف إلى ذلك الدوافع التاريخية ؛ ومن هنا قبلت إسرائيل الصيغة التى عرضت عليها وبادرت من ناحية أخرى إلى إعلان اعتزامها تنفيذ مشروعاتها الخاصة

---

(١) Israel government Year Book, 1956 – 1957 Jerusalem p 34.

وتحويل الجانب من مياه نهر الأردن عن طريق تمرير خط أنابيب بها إلى منطقة النقب ، على أن إسرائيل ، رغبة منها فى تهدئة الخواطر أعلنت تنازلها عن مشروعها الأصلى الذى كان يرمى إلى أخذ المياه من المجرى العلوى لنهر الأردن عند جسر بنات يعقوب ، وقررت ضخ المياه من بحيرة طبرية . وكان هذا المشروع من حيث اقتصادياته ، أقل فائدة من المشروع الأول ، ولكنه كان يمتاز بأن مأخذ المياه فيه يقع على بحيرة توجد بكاملها داخل نطاق الاراضى الإسرائيلية ، بدلا من وقوعه على النهر المنساب فى المنطقة المنزوعة السلاح ، مما تسبب من قبل فى حدوث تدخل من جانب مجلس الأمن فضلا عن ذلك تعهدت إسرائيل ، بطريقة غير رسمية ، بألا تضخ من المياه أكثر مما سبق أن تقرر لها فى مشروع جونستون .

أما الأردن فقد حصلت حينذاك على مساعدة من الولايات المتحدة لتنفيذ خطة رى محدودة تعتمد أساساً على استغلال نهر اليرموك ، وهو من روافد نهر الاردن ومن هنا جاء قرار إسرائيل بتنفيذ خطتها القومية المشار إليها لتحويل المياه من أعالى نهر الاردن إلى النقب الصحراوى الذى أعلن إنه يمكن أن يستوعب أربعة ملايين من المهاجرين المرتقبين ، وهو ماأثار قلق الرأى العام العربى وخشيت الأردن هى الأخرى أن يتعرض النهر لجفاف نسبى ولزيادة فى نسبة ملوحته مما قد يسفر عن نتائج خطيرة على المحاصيل ، أما سوريا فقد انتابتها هى الأخرى مخاوف مشابهة بالنسبة لمياه بحيرة طبرية .

ورغم المنازعات والاحداث التى دارت حول هذا الأمر وتدخل الأمم المتحدة فيه ، فقد تمكنت إسرائيل من اتمام تجفيف بحيرة الحولة تماماً فى أكتوبر عام ١٩٥٨ .

وفى عام ١٩٥٩ أعلنت إسرائيل رسمياً عن مشروعها القومى للأعوام

العشرة القادمة ، الذى يقوم أساساً على نقل خمسة ملايين يهودى إلى فلسطين وتحويل مياه نهر الأردن وروافده إلى النقب لتعميره ، واقامة المستعمرات فيه ، ولتنفيذ هذا البرنامج القومى العام ، وضعت إسرائيل مشروع تحويل مياه نهر الأردن ليتم خلال سبع سنوات .وكان هدف المشروع هو تحويل ٣٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً إلى النقب الشمالى والجنوبى عن طريق قناه مفتوحة ومحطات ضخ وخزانات مياه ، مع إنشاء محطة للقوى الكهربية واعتبار بحيرة طبرية خزاناً طبيعياً لنحو ٧٠٠ مليون متر مكعب من المياه وخطط لتنفيذ المشروع على مرحلتين :

المرحلة الأولى :

تستغرق ٤ سنوات (١٩٥٩ — ١٩٦٣) ويتم خلالها دفع مياه الاردن إلى السهل الساحلى حتى تل أبيب ، ٢٠٠ مليون متر مكعب سنوياً إلى النقب .

المرحلة الثانية :

وتستغرق ٣ سنوات (١٩٦٣ — ١٩٦٦) ويتم خلالها رى النقب حتى طرفه الجنوبى ، وإقامة شبكة قنوات حول المستعمرات والمنشآت العسكرية والاقتصادية الموزعة فى النقب على أن يبلغ حجم المياه المتدفقة فى نهاية هذه المرحلة ٣٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً .

وكان طبيعياً أن يرفض العرب مشروعات إسرائيل التى تضر بمصالحهم وتعتبر عدوانا على حقوقهم المشروعة فى الاستفادة من المياه التى تنبع من أراضيهم خاصة وأن تحول مياه الأردن إلى اسرائيل يعنى استيلاءها على نصف مياه النهر بما لا يترك للدول العربية الثلاث مجتمعة — الاردن ، سوريا ، لبنان سوى النصف الآخر رغم أن نسبة المياه التى تنبع من

الأراضى الإسرائيلية لاتتجاوز ٢٣٪ من إجمالى مياه الأردن وروافده(١) هذا علاوة على ماسوف يتسبب عنه ذلك من رفع نسبة ملوحة مياه النهر المخصصة لرى أراضى الضفة الغربية .

كذلك فقد كان طبيعياً أيضاً أن يقوم العرب بسلسلة من المشاورات بحثاً عن وسائل عرقلة تنفيذ المشروع الإسرائيلى، والبحث عن طرق فعالة للرد عليه وجرى الحديث عن تحويل مجرى الروافد العليا لنهر الأردن فى كل من سوريا ولبنان غير أنه قد اتضح أن هذا المشروع لن يسهل تنفيذه وإنه قد لايكون فعالا »

وقد حذرت اسرائيل العرب من الأقدام على مثل هذه المبادرة وذلك بأسلوبها المتطرف المعتاد فكتبت الصحف الإسرائيلية تقول أن محاولات تحويل منابع نهر الأردن فى كل من سوريا ولبنان لن يكون فحسب لعبا بالماء بل إنه لعب بالنار .

وكان من المقرر أن تنتهى المرحلة الأولى من المشروع الإسرائيلى فى عام ١٩٦٤ وقامت مختلف الدول العربية منذ عدة سنوات بتهديدات عنيفة ضد المشروع الإسرائيلى حيث عملت كل منها جاهدة على المزايدة حتى تضع الدول المجاورة لها فى موقف صعب ، غير أن استحالة تنفيذ أى شئ إيجابى فوراً ، كثيراً ما أضفى على مثل هذه التهديدات صيغة الشرط : ولسوف نرى الذى سيحدث عندما تنتقل إسرائيل إلى مرحلة التنفيذ وقد اقترب الموعد المحدد لهذا التنفيذ .

ففى عام ١٩٦٤ —ولأول مرة فى تاريخ فلسطين— كان نهر الأردن ينساب إلى النقب وهو ماجعل الرأى العام العربى يتعرض لصدمة عنيفة حيث

---

(١) راجع أسعد رزوق: سرائيل الكبرى، سلسلة كتب فلسطينية: إصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٨

أصبح الرأى العام العربى يواجه الأمر الواقع ويستولى عليه شعور جارف بخيبة الأمل(١) واستندت المعارضة العربية فى هذا الموضوع إلى اعتبارات بعضها قانونى والبعض الآخر اقتصادى وسياسى(٢) ، وكان أول رد فعل إيجابى من الأردن التى حذت حذو الاسرائيليين ، وراح الأردنيون يحولون مجرى اليرموك فى القناة الجانبية من مشروع الغور الذى سبق أن نص عليه فى مشروع جونستون ، ولكن فى صورة مختلفة ، والذى لا يمس مصالح إسرائيل فى المرحلة الحالية ..

مؤتمر القمة العربى الأول وردود فعله ·

فى نهاية عام ١٩٦٣ أدى النبأ القائل بأن العمل فى المشروع الإسرائيلى سوف يتم الانتهاء منه فى الشهور الأولى من السنة التالية إلى إثارة موجة من النشاط السياسى الواسع فى أوساط الرأى العام العربى الذى نظر أيضاً بقلق بالغ إلى ما أعلنته إسرائيل من قيامها بالتجربة الأولى لضخ مياه نهر الأردن .

غير أن هذا النشاط العربى شأنه فى ذلك شأن مكان يحدث فى كل من الأزمات السابقة لا يمكن إيجاد التفسير الكامل له فى أسباب مسندة إلى الإسرائيليين كما يرى أحد الباحثين(٣) – وانما يجب لفهم كنهه مراعاة المشكلات ذات الطابع العربى الصرف . وكان أهم تلك المشكلات فى ذلك الوقت ماتثيره المنافسة بين مصر وسوريا ، ذلك أن العلاقات بين هذين البلدين ظلت مفتقرة دائما الى الليونة بعد انفصام عرى الوحدة بينهما فى شهر سبتمبر عام ١٩٦١ بعد أن تراءى لحزب البعث فى سوريا أن سيطرة

(1) Ben Elissar and Schiff , op. cit, pp 43-44.

(٢) لا يتسع مجال هذا البحث لشرح هذه الاعتبارات جميعها ، أنظر فى تفصيل ذلك . دكتور جلال يحيى . مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، مرجع سابق .

(3) Aleum, op. cit 398-399.

عبد الناصر تجاوزت الحد ، وهذا الاحساس الذى استولى على إقادة الحركة البعثية آنئذ فى سوريا هو الذى ساهم فى حدوث الانفصال .

كذلك فقد تحول التنافس بين « المذهبين » — الناصرية وحركة البعث — إلى خصومة شخصية يشوبها خلاف فى الأسلوب ، وهنا بالذات تكمن النقطة الجوهرية ؛ فلكى يستطيع حزب البعث أن يؤيد مذهبه وينشره وأن يدعم حكمه فى سوريا ليجعل منه مثلا يحتذى به العرب ، فقد عمد إلى أمرين أولا أن يكون له كيان مستقل ينفرد به عن الناصرية وثانيا أن يبتعد عن الناصرية ، ولقد توصل الزعماء فى حزب البعث إلى هذا الآن عن طريق أتباع سياسة المنافسة والمزايدة فى المشكلة الفلسطينية ، ولذلك رأى حزب البعث على عكس ما يطالب به عبد الناصر العرب من صبر وأناة وعمل طويل للتحول الذاتى قبل البدء فى معركة حاسمة ضد إسرائيل يطالب حزب البعث العرب بخوض المعركة فورا ضد الصهاينة (١) .

وفى شهر أغسطس عام ١٩٦٢ بلغ التوتر بين مصر وسوريا أقصاه حينما أوشكت الجامعة العربية على التفكك فى اجتماع شتورة غير أن هذه الأزمة خفت حدتها على أثر الانقلاب العسكرى الذى وقع فى ٨ من مارس ١٩٦٣ وأدى إلى تولى حزب البعث من جديد مسئولية الحكم فى دمشق ، ولم تتغير الأهداف الرئيسية لحزب البعث وأن كانت الأساليب قد تغيرت نوعا ما وهو ما أدى إلى حدوث فترة قصيرة من الوفاق فى شهر إبريل من هذا العام تم التوقيع خلالها على مشروع اتحاد فدرالى بين مصر وسوريا والعراق ثم عادت الحالة فتدهورت بعد ثلاثة أشهر من ذلك التاريخ ووصلت إلى حد الأزمة العنيفة عندما اكتشفت مؤامرة موالية لعبد الناصر فى دمشق . وتم

---

(1) Ben Elissar and Schiff, op cit pp 44-45.

ويرى الباحثان الإسرائيليان أيضا أنه قد أسفر عن شدة تقارب البعث بالاتحاد السوفيتى نتيجتين : الأولى : تغلغل السوفيت فى سوريا أكثر من تغلغله فى مصر النتيجة الثانية : تحمل حزب البعث المسئولية فى تنفيذ فكرة « الحرب الشعبية » التى نادى بهاماوتس تونج لينقلها إلى فلسطين .

تنفيذ حكم الأعدام فى سبعة وعشرين من مدبريها ؛ وفى نهاية عام ١٩٦٣ كان اللواء أمين الحافظ يعارض فى عناد متزايد سياسية عبد الناصر .

وقد أدى تشغيل خط أنابيب الماء الإسرائيلى إلى أتاحة الفرصة أمام سوريا لاحراج عبد الناصر ، فقد صدرت التصريحات أكثر من مرة فى داخل الجامعة العربية وفى خارجها أن أقدام الإسرائيليين على هذا العمل سوف يعتبر حالة تدعو إلى الحرب لمقاومته ، وفى نفس الوقت راحت إسرائيل تستعد للحرب حتى يمكنها فرض ما تريدة على العرب فى النهاية بالقوة المسلحة ، وكانت كل الشواهد تدل على علم إسرائيل بأن مشروعات المياه هذه يمكن أن تؤدى إلى صدام بينها وبين العرب ؛ بل أن الصحافة الأسرائيلية راحت تحدد تاريخ هذا الصدام (١) .

ورأت سوريا بالتالى أن تضع عبد الناصر — الذى لم يكن يريد الحرب — فى موقف يضطر معه إلى الحنث بوعوده مع ما فى ذلك من عار عليه ، بل وأشكت سوريا أن تمادى فى ذلك إلى حد المبادرة بالبدء بالقتال وبذلك تجر وراءها مصر فى نزاع مسلح لم تكن مصر مستعدة له .

وأمام هذا الخطر قدم عبد الناصر دليلا جديدا على ما تميزت به عبقريته السياسية من مرونة ، فبعد أنفصال سوريا قرر عبد الناصر أن يتجاهل المسئولين العرب وأن يتوجه مباشرة إلى الرأى العام العربى وإلى الشعوب العربية ، وقد سبق أن أثبتت هذه الطريقة فعاليتها كما سبق لهذه الوسيلة التى اتبعها عبد الناصر أن أشاعت فى سوريا وفى العراق وفى الأردن أيضا جوا من عدم الاستقرار السياسى يلائم أهداف عبد الناصر ، غير أن الأمر فى أواخر عام ١٩٦٣ كان عكس ذلك تماما ، فلم يكن الغموض المنشود وقتئذ هو قلب أنظمة الحكم فى الدول العربية المجاورة ، وإنما التحلل من مسئولية

---

(١) فى ٢٥ مايو ١٩٦٢ نشرة مجلة « جويش أوبزرفر » — اللندنية على صدر غلافها أن الحرب ستكون فى عام ١٩٦٣ أو ١٩٦٤

النكوص عن التزام عربي عام ؛ وللوصول إلى هذا الهدف لم يعد فى استطاعة عبد الناصر أن يتوجه إلى شعوب طمست الشهوة لديها الإحساس بأية مسئولية ؛ بل كان عليه أن يجادل مع لون من رجال الدولة يمكن أقناعهم عن طريق الاستعراض الموضوعى للحالة بالعجز عن المواجهة المسلحة ولم يتردد طويلا فى العمل فأعلن فى الخطاب الذى ألقاه يوم ٢٣ من ديسمبر ١٩٦٣ أنه أمام الاعتداء الجديد من جانب إسرائيل يتعين على رؤساء الدول العربية جميعاأن يلتقوا أرسوا الأمر لمواجهة المشروعات الإشرائيلية لتحويل مياه نهر الأردن ، وجاء فى خطاب الدعوة الذى وجهته مصر إلى الجامعة العربية :

. . . أن هذا الاجتماع مقدمة ضرورية لمواجهة الموقف على مستوى المسئولية العربية . . أن الجمهورية العربية قامت دائما وتقوم بواجبها فى خدمة النضال . . مؤمنة أن ذلك قدرها الطليعى فى خدمة الأهداف العربية »

وإلى جانب موضوع مياه الأردن ، كانت هناك مسألتان لهما طابع عربى بحت ، دفعتا عبد الناصر إلى بدء عهد « مؤتمرات القمة (١) » ، هاتان المسألتان هما : الخطر المتمثل فى حزب البعث الذى كان يقوى باضطراد فى سوريا وفى العراق والذى راح يعرض على العرب ايديولوجية تستطيع أن تواجه الإيديولوجية الناصرية والمسألة الثانية التى دفعت بعبد الناصر إلى التعجيل بمؤتمرات القمة هى حالة الركود التى أصيب بها النزاع فى اليمن حيث كان الوضع يتطلب باستمرار إرسال الإمدادات الجديدة إلى تلك البلاد الأمر الذى كان يضغط باستمرار ماليا وعسكريا على مصر .

---

(١) معظم المعلومات الواردة عن مؤتمرات القمة فى هذا البحث مستمدة من المصدر الآتى :

Kadi, Leila S. Arab Summit conférences and the palestine problem (1936 – 1950) and (1964 – 1966) Palesitne books No 4, Palestine Liberation Organization, Research center, Beirut 1966 pp 91–210.

وكان عبد الناصر قد وضع قبل ذلك — فى أسلوب ملوه الحرص — برنامج المناقشة قال فيه :

« إذا لم تتحقق الوحدة السياسية فلن تقدم الجمهورية العربية المتحدة على العمل ضد إسرائيل عسكريا لمنعها من تحويل مياه نهر الأردن » .

وعلى أثر مؤتمر عقده رؤساء هيئات أركان الحرب العربية اجتمع مؤتمر القمة الأول فى القاهرة فى الفترة مابين ١٣ ، ١٧ من يناير عام ١٩٥٤ وحضره ثلاثة عشر عضوا مابين رؤساء دول أو ممثلين لرؤساء الدول العربية

وقد أعلن جانب من القرارات الأساسية التى اتخذت فى هذا المؤتمر صدر بها بلاغ ختامى ومؤتمر صحفى عقده الدكتور / حسونة الأمين العام للجامعة العربية وقتئذ ، وقد حدث ما توقعه عبد الناصر حيث رفضت وجهة النظر المتطرفة التى كان ينادى بها اللواء أمين الحافظ والذى كان يطالب بالقضاء على إسرائيل بالقوة وأن « سوريا مستعدة لخوض الحرب ضد إسرائيل و « أن قرار سوريا بخوضها الحرب ضد إسرائيل بعد قرار حتمياً (١) » .

غير أن وجهة النظر السورية هذه قد رفضت وتقرربدلا من ذلك أن يكون الرد على ما قدمت عليه إسرائيل من ضخ مياه نهر الأردن هو تحويل اثنين من روافد هذا النهر ينبعان فى الأراضى العربية وهما نهر الحاصبانى الذى يحول الى نهر الليطانى ونهر بانياس الذى يحول الى نهر اليرموك وكان الغرض من هذا المشروع حرمان اسرائيل من نصف مياه نهر الأردن الذى ماكان ليتلقى غير مياه نهر دان فقط .

---

(١) صحيفة النهار فى ١٩٦٤/١/١٧ ، ١٩٦٤/١/١٨ .

ومن أجل حماية هذه الأشغال والحيلولة دون حدوث أى تدخل يعوق الاستمرار فى إنجازها ، تم الاتفاق على وضع القوات العربية أو جزء منها تحت قيادة هيئة أركان حرب مشتركة يشرف عليها اللواء المصرى على على عامر وأن تخصص لتلك القوة ميزانية سنوية مقدارها خمسة عشر مليوناً من الجنيهات تصرف على دعمها .

ويمكن القول أن مؤتمر القمة العربى الأول وما تلاه بعد ذلك من مؤتمرات والتى عقدت بصورة مباشرة من أجل البحث فى موضوع تحويل إسرائيل لنهر الأردن ووضع الخطة العربية المضادة قد انتقلت الى معالجة مشكلة فلسطين بالكامل .

فلقد أقر مؤتمر القمة العربى الأول انشاء القيادة العربية الموحدة وتحددت أهداف هذه القيادة بتنظيم وتنسيق التعاون بين الجيوش العربية على أساس موحد ووضع أهداف القوة والتسلح ورسم خطط مواجهة المواقف الطارئة وما بعدها ووضع البرامج التى تساعد بعض الدول العربية على استكمال استعدادها الحربى لمواجهة أى عدوان(١) .

فضلا عن ذلك وافق رؤساء هيئة أركان الحرب بالدول العربية على تنظيم الشعب الفلسطينى فى « كيان » يكون له « جيش التحرير » الخاص به وأكدوا أن العرب فى سياسة الدفاع المشروع عن النفس التى يتبعونها سوف يقيمون علاقاتهم السياسية والاقتصادية فى المجال الدولى على أساس من موقف البلاد الأخرى حيال الكفاح العربى فى مواجهة الأطماع الصهيونية(٢) .

غير أنه لا يمكن فصل صورة الوضع العربى عن العلاقات الداخلية بين

---

(١) فلسطينيات – سلسلة كتب فلسطينية – رقم ١٢ – إصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ص ص ٤١-٤٢

(2) Kadi Leila S. : Arab Summit conferences and the Palestine problem ; op. cit, pp 151 – 155.

الدول العربية فى هذه الفقرة ، خاصة ما دعى بالدول « الثورية » وما دعى بالدول « الرجعية » . والدول الثورية هى نظم جمهورية تقدمية تتبع نهجاً اقتصادياً قائماً على الاشتراكية وتميل إلى الكتلة الشرقية وكان أهم ممثليها آنذاك مصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن ، والدول الرجعية هى نظم تقليدية ملكية محافظة تميل إلى التكتل الغربى وأهم ممثليها آنذاك السعودية والأردن ، واعتباراً من مؤتمر القمة العربية الأول نجد أنه قد تم التعاون بين « الثوريين » وبين « الرجعيين » وذلك لأن شعار « وحدة العمل » — الذى قصد عبد الناصر أن يعقد فى ظله مؤتمر القمة العربى الأول وما تلاه من مؤتمرات — يعنى التضامن القومى المعين لمحاربة العدو والالتقاء عند خط واحد بالذات يصب العرب فيه كل ما يتوافر لديهم من الإمكانيات مع تصفية الخلافات العربية الداخلية وإقامة العلاقات بين الدول العربية على أسس ودية(١) .

وتمشياً مع ذلك ذكر بيان القمة العربى الأول أنه تم « : . . إجماع الملوك والرؤساء العرب على إنهاء الخلافات وتصفية الجو العربى من جميع الشوائب وإيقاف حملات أجهزة الإعلام وتوثيق العلاقات بين الدول العربية الشقيقة ضماناً للتعاون البناء الجماعى ، ودرءاً للمطامع التوسعية العدوانية التى تهدد العرب جميعاً على السواء(٢) » .

كذلك كلف مؤتمر القمة العربى الأول السيد / أحمد الشقيرى مندوب فلسطين الدائم لدى جامعة الدول العربية — بمهمة التشاور مع ممثلى الشعب الفلسطينى والحكومات العربية لمناقشة أسس إقامة الكيان الفلسطينى ونص البيان الختامى للمؤتمر على أن مجلس الملوك والرؤساء العرب قد اتخذ القرارات العملية فى ميدان تنظيم الشعب الفلسطينى وتمكينه من القيام بدوره فى تحرير

---

(١) ج.ع م — مصلحة الاستعلامات : مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس عبد الناصر — القسم الخامس ، بدون تاريخ إصدار ص ص ٤٥٨ — ٤٥٩

(٢) المرجع السابق ص ٥٠٠

وطنه وتقرير مصيره(١) .

وتنفيذاً للمهمة قام الشقيرى بجولة فى الدول العربية فيما بين ١٩ / ٢ — ٥ / ٤ / ١٩٦٤ اجتمع خلالها بكبار المسئولين العرب فى كل البلدان العربية تقريباً — باستثناء المملكة العربية السعودية — التى تحفظت على طريقة بناء الكيان الفلسطينى وعلى شخص الشقيرى .

كما عقد الشقيرى ٣٠ اجتماعاً مع وفود تمثل تجمعات الشعب الفلسطينى فى البلاد العربية ، وفى جولته عرض الشقيرى مشروعى « الميثاق القومى الفلسطينى و« النظام الأساسى لمنظمة التحرير الفلسطينية والدعوة لعقد مؤتمر وطنى فلسطينى (٢) » .

وحين انعقد المؤتمر الفلسطينى الأول فى القدس فى ١٩٦٤/٥/٢٨ قام الملك حسين بإلقاء كلمة الافتتاح ، وحضره مندوبون عن الملوك والرؤساء العرب (باستثناء مندوب السعودية ، ولم يحضره أيضاً ١٢ عضواً فى المؤتمر تم اختيارهم كممثلين للفلسطينيين المقيمين فى السعودية) .

وقد قرر المؤتمر الموافقة على قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وتبنى الميثاق القومى الفلسطينى والنظام الأساسى لمنظمة التحرير الفلسطينية وانتخاب أحمد الشقيرى رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير(٣) .

وعلى الجانب الإسرائيلى فقد تم فى شهر مايو أيضاً استمرار تحدى إسرائيل لحق العرب فى المياه وأعلن ليفى أشكول أنه ·

---

(١) الجمهورية العربية المتحدة . مصلحة الاستعلامات : السياسة الخارجية والداخلية بدون تاريخ إصدار ص ٥٠

(٢) منظمة التحرير الفلسطينية : مواقف حاسمة وقومية فى قضية فلسطين بدون مكان أو تاريخ إصدار — ص ص ٢٣-٢٩

(٣) منظمة التحرير الفلسطينية — المؤتمر الفلسطينى الأول —١— تقرير عن اعمال المؤتمر — قرارات المؤتمر .

« رغم كل شئ فان حجز المياه سوف يتم، وأن إسرائيل سوف تتخذ إجراءاتها إذا ما حاول العرب تحويل منابع نهر الأردن(١) » .

أما فى واشنطن فقد أعلنت حكومة الولايات المتحدة أنها لن تقف مكتوفة الأيدى إزاء أى عدوان يقوم به أى بلد عربى فى الشرق الأوسط . ورحبت إسرائيل بتصريح الولايات المتحدة ونشرته صحيفة « جيروزاليم بوست » تحت عنوان « إسرائيل تحيى الإنذار الأمريكى ضد العدوان(٢) » .

مؤتمر القمة العربى الثانى وردود فعله :

فى شهر مايو ١٩٦٤ أجرت إسرائيل تجربة خط أنابيب المياه الخاص بها والذى بدأت تشغيله بالفعل فى شهر يونيو التالى ، وكنتيجة منطقية لذلك الإجراء بدأت إسرائيل تعد العدة لشن حربها المبيتة وتهيئ الرأى العام العالمى لها ، ولعل أبرز أحداث هذا العام — على الجانب الإسرائيلى — زيارة ليفى أشكول للولايات المتحدة ، وما تلقاه من ضمانات وتأييد على لسان الرئيس الأمريكى جونسون وكبار المسئولين فى الحكومة الأمريكية . وفى أعقاب هذه الزيارة مباشرة، أى فى نفس شهر يونيو ١٩٦٤ جرت مناورات عامة للجيش الإسرائيلى، وأدلى رئيس تدريب الجيش « أشعياهو جافيش(٣) » بتصريح عن هذه المناورات فحدد لها سبعة أهداف أهمها الاستعداد للحرب القادمة أما رئيس الأركان آنذاك وهو أسحق رابين فصرح فى اسبتمبر ١٩٦٤ بأن إسرائيل تعرف كيف تجد الطريق الملائم لتأمين حقوقها ولو كان ذلك عن طريق استخدام السلاح . وشاهد هذا العام — فى نصفه الثانى — بداية مرحلة خلق التوتر العسكرى على الحدود مع العرب ، وخاصة سوريا فازدادت كثافة الاشتباكات الإسرائيلية على الحدود السورية .

---

(١) صحيفة « جيروزاليم بوست » عدد ٢٠ مايو ١٩٦٤

(٢) المرجع السابق .

(٣) عين جافيش قائدا للجبهة الجنوبية المواجهة لمصر فى عام ١٩٦٧ ثم قاد هذه الجبهة فى حرب يونيو ١٩٦٧

وأمام هذا الواقع الجديد اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية فى الاسكندرية فى الفترة من ٥ إلى ١١ سبتمبر ١٩٦٤ وقرروا فى هذا الاجتماع البدء فورا فى تنفيذ مشروعات تحويل روافد نهر الأردن ، وذلك على الرغم من الرأى الذى أبداه اللواء أمين الحافظ والذى أقترح فيه مرة أخرى عملية عسكرية ضد إسرائيل تجعل من هذه الأعمال شيئا لافائدة منه (١) .

وبعد اتخاذ القرار كان لابد من البحث فى نتائجه . و أعلن رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة على عامر أن تدخلا عسكريا من جانب إسرائيل أمر لامناص منه فى مرحلة من الأعمال لايمكن توقعها الأمر الذى يستدعى النظر فى وضع قوات عسكرية عربية مشتركة منذ بداية تلك الأشغال ، كذلك أوضح على عامر — بوصفه القائد العام للقيادة الموحدة آنذاك — فى تقريره إلى المؤتمر أن الدول العربية قادرة على مواجهة أى تحد عسكرى إسرائيلى إذا تحققت وحدة القوات العسكرية العربية ، وطالب بالبدء فى تقوية الاستعدادات العسكرية فى كل من لبنان وسوريا والأردن ، وطالب أيضا بمنحه حرية تحريك القوات العسكرية من دولة عربية إلى أخرى بغية توحيد الجبهات العسكرية العربية ضد إسرائيل ولتأمين الحماية العسكرية الكاملة للمشروع العربى لتحويل مياه نهر الأردن وروافده (٢) .

ولم يقبل لبنان ولا الأردن مطالب الفريق / على على عامر ، وعارضت

---

(١) وفى أثناء المؤتمر استثار اللواء أمين الحافظ ضحك الأعضاء حينما قال : أن الجيش السورى قادر على أن يمحو إسرائيل فى مدى أربع وعشرين ساعة » وقد رد عليه الرئيس بن بيلا قائلا : « لا تتعجل ، نحن على إستعداد لأن نمنحك ثمانى وأربعين ساعة» . وفيما يتعلق بسير العمل فى المؤتمر يرجع الى :

Kadi, Leila. S. : Arab summit conferences and the Palestiue Problem op. cit,

(2) Ibid pp 130–133.

الدولتان فى وجود قوات مصرية فى أراضيهما فى وقت السلم ، وفى نفس الوقت رفضت هاتان الدولتان قبول التسليح السوفيتى الذى كانت مصر تلح عليهما فى قبوله فى سعيها إلى تحقيق التوحيد بين القوات .

وانقاذا للمؤتمر من الفشل تقرر الاكتفاء بالإجراءات المأمونة ، وقصر الأعمال الأولى فى عملية التحويل على بناء سد على نهر اليرموك ويرى البعض(١) أن الإسرائيليين لم يكونوا ليعترضوا على بناء هذا السد الذى نص عليه من قبل فى مشروع جونستون ، على أن يشرع فيما بعد فى حفر القنوات التى تؤدى إلى تحويل مياه النهر ، وذلك كله بغير عمل أى شئ فى الوقت الحاضر فى مجرى النهر نفسه .

وفيما يتعلق بالجيش العربى الموحد، فقد اتفق على أن تخصص له كل دولة جانبا من قواته تكون دائما فى وضع الاستعداد الكامل ، غير أن القائد العام لم يحصل على ما طلبه من إمكان نقل تلك القوات من بلد عربى إلى بلد عربى آخر .

وأعرب ملوك ورؤساء الدول العربية عن أغتباطهم بإنشاء جيش تحرير فلسطين ، وفى النهاية تفرقوا بعد أن أعلنوا موافقتهم على الاجتماع فى شهر سبتمبر من كل عام .

وفى تقييم هذا المؤتمر يقول الاستاذ أحمد الشقيرى(٢) :

« بعد مؤتمر القاهرة ، جاء مؤتمر الأسكندرية ، فى خريفها الفاتن ، فكانت المظاهر أجل أبداعا وأسمى روعة ، فقد أصبحت للملوك والرؤساء مهارة أكمل ، وخبرة أعظم فى تعبئة الجماهير العربية ، وخلع قلوبها من

---

(1) Aleum, Jean, Pierre : Juifs et Arabes, 3000 ans D' Historre : op. cit. pp 452–453.

(٢) أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، دار العودة ببيروت ١٩٧٢ ، ص ص ٥–٧

صدورها، واقتلاع عيونها من محاجرها، لتكون بين يدى الملوك والرؤساء أطوع من البنان »

« ولكن أصواتا حرة فى الأمة العربية، ومعهم رجال مؤمنون من الصف الثانى والثالث ممن يجلسون وراء الملوك والرؤساء، كانوا يخافون أن يكون العمل العربى الرسمى مايزال فى مثل حاله، منذ أن أصبح للعرب ملوك ورؤساء . . وكنت فى عداد أولئك الخائفين »

« ومن هنا فقد قرر مؤتمر القمة فى القاهرة وبصورة اجماعية لا يشوبها تردد أو تحفظ، إنشاء ثلاث مؤسسات عربية . « هيئة الروافد » لتنفيذ المشروع العربى لتحويل روافد نهر الأردن، و« قيادة عربية موحدة » لتنسيق الخطط العسكرية العربية، و« منظمة التحرير الفلسطينية » لأعداد الشعب الفلسطينى عسكريا للقيام بدوره فى تحرير وطنه » .

وقد حدثت ردود فعل متباينة ومثيرة فى الوقت نفسه بعد الموافقة على قيام منظمة التحرير الفلسطينية وانتخاب أحمد الشقيرى رئيسا للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير »

فالأردن يشك ويخشى فى الوقت ذاته من قيام عمل فلسطينى مستقل لأن ذلك سينازعه للصفة التمثيلية للفلسطينيين، وقد أوضح الأردن بالفعل فى مناسبات عديدة أن قيام كيان فلسطينى فى الأردن يمكن أن يهدد مستقبل الوحدة بين الضفة الشرقية والضفة الغربية للأردن، ويمكن أن يثير الحساسية بين الفلسطينى والأردنى داخل الأردن »

وقد عبر الملك حسين عن موقفه من منظمة التحرير الفلسطينية فى رسالة بعث بها إلى عبد الناصر حيث قال :

« أما المنظمة فقد فهمنا أن تشكيلها ما هو إلا لملء الفراغ فى المجتمعات الدولية وأبقاء القضية الفلسطينية حية فى الأذهان، والقيام بتنظيم وتعبئة

طاقات الفلسطينيين خارج الأردن — إذ أن الأردن مستمر فى ذلك التنظيم منذ زمن طويل ، وهو جزء من كيانة ووجوده وسهره على أطول خط للفداء والنار . . . وأنه لا يجوز بأى حال من الأحوال خلق أزدواجية داخل الأردن (١) » .

وحاول الشقيرى فى مناسبات عدة بعد ذلك أن يطمئن الملك حسين إلى أن الكيان الفلسطينى أو منظمة التحرير الفلسطينية لاتستهدف سلخ الضفة الغربية وتحرير فلسطين من إسرائيل ، وحين يتم التحرير يمكن للفلسطينيين أن يقرروا باختيارهم الحر مصيرهم ومستقبلهم السياسى فلهم أن ينشئوا دولة مستقلة ولهم أن أرادوا الدخول فى وحدة أو اتحاد مع أية دولة عربية ؛ وأضافت المنظمة أنها لاتعتزم ممارسة أية سلطة إقليمية فى الأردن ، وأنها لاتسعى لإقامة حكومة فلسطينية فى المنفى أو فى الوطن (٢) .

وفى سوريا ، أصدر حزب البعث العربى الاشتراكى خطة بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية تتكون من نقطتين : فطالبت الخطة بمنح الفلسطينيين السيادة الكاملة على فلسطين بحيث يقوم الكيان الفلسطينى فى المنطقة المتبقية من فلسطين (الضفة الغربية ، قطاع غزة ، منطقة الحمة) وأن تقوم العضوية فى مؤسسات الكيان الفلسطينى على أساس الانتخابات (٣) ورد الشقيرى أنه ليس لديه اعتراض على هذه الخطة ، ولكن الوضع الفلسطينى والعربى يحول دون تنفيذها . وكان دفع الشقيرى أمام مؤتمر القمة العربى الثانى أنه يجب الأخذ فى الاعتبار أن الفلسطينيين لايمارسون السيادة على أية

---

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينعة ، بيروت ، ١٩٦٧ ص ص ٥٧٥

(٢) مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد الشقيرى ، القاهرة ١٩٧٥/١/٨ ، راجع أيضا: أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب — ط — دار العودة ، بيروت ١٩٧١ ص ص ٤٦ ، ٦٩

(3) Kadi, Leila. S., op. cit, pp 205-20 .

أرض فلسطينية رغم أنها ملك لهم ، وعلى فرض أنهم منحوا السيادة على هذه المناطق فمن سيدافع عنها ضد عدوان إسرائيلى مباشر . وأضاف الشقيرى أن عملية الانتخاب غير عملية لأن هناك بعض الدول العربية (سوريا ، العراق ، السعودية) لا تطبق نظام الانتخابات على مواطنيها ، وعلى فرض أنه تم إجراء هذه الانتخابات فمن يضمن أن الفلسطينيين المقيمين فى الأردن ولبنان ستتاح لهم فرصة الانتخاب الحر دون تدخل حكومى (١) .

أما السعودية فقد أوضحت أنها لا تعارض الكيان الفلسطينى وإنما يتركز تحفظها فى نقد طريقة بناء هذا الكيان ، والتى تمت على أساس الاختيار وليس على الأساس السليم وهو الانتخاب ، وأنها فهمت أن مؤتمر القمة العربى الأول قد فوض الشقيرى بتقديم دراسة فى شكل تقرير إلى مؤتمر القمة الثانى الذى له وحده حق تقرير أقامة الكيان الفلسطينى ، وأنها ستشكل رأيها فى الكيان الفلسطينى وفق الآراء ، والقرارات التى ستتخذها الدول العربية الأخرى (٢) .

وأجاب الشقيرى الملك فيصل فى مؤتمر القمة العربى الثانى أنه لم يفهم ولم يفسر له أى مسئول عربى فى البلاد العربية التى زارها أن مهمته تقتصر على كتابة تقرير . وأضاف أنه حاول زيارة السعودية لتبديد تحفظاتها ولكنها رفضت استقباله ، وأردف أنه لا يدعى أن العملية التى أقيم بها الكيان الفلسطينى « مثالية » ولكن ظروف الشعب الفلسطينى هى التى تحكمت فيها .

أما لبنان فقد أعلن موافقته على قيام منظمة التحرير الفلسطينية ككيان سياسى ولكنه لم يقبل أن تنتهز المنظمة هذه الفرصة لتمارس مهاما عسكرية صورة تدريب الفلسطينيين فى لبنان عسكريا .

---

(1) Ibid pp 136–137

(٢) أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب ، مرجع سابق ، ص ص ١٣١–١٣٢

وقد رد الشقيرى على بعض الانتقادات ؛ فقال أن الكيان الفلسطينى لا يقصد منه أن تتخلى الدول العربية عن واجبها القومى فى العمل من أجل تحرير فلسطين لأن التحرير تبعة قومية كبرى تقع على عاتق الأمة العربية حكومات وشعوباً ومن جملتها الشعب الفلسطينى ، وأنه ليس من هدف هذا الكيان إلقاء العبء على أهل فلسطين وحدهم ، وإنما هدف هذا الكيان هو أن يصبح أهل فلسطين قـــوة وطنية عاملة تسهم فى تحرير فلسطين إلى جانب جهود الأمة العربية(١) .

وكان الشقيرى بهذا يحاول أن يبدد اتهام سوريا بأن عبد الناصر يؤيد الكيان الفلسطينى ليتخلى عن أعباء مشكلة فلسطين ويلقى بها على أكتاف الشب الفلسطنى (٢).

كذلك أعلنت ٦ منظمات فلسطينية سرية أنها ترى أن الكيان الفاسطينى نشأ جهازاً سياسياً خالياً من المضمون الثورى وأنها ترى أن الكفاح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين (٣) .

ورغم كل هذه الاعتراضات فقد كان على الشقيرى أن يحمل ماانتهى إليه المؤتمر الفلسطينى الأول إلى مؤتمر القمة العربى الثانى ليقرر بشأنه مايراه .

وأمام المؤتمر أوضح الشقيرى « ... إن الكيان الفلسطينى كيان لفلسطين وكيان لشعب فلسطين ، يبنيه لنفسه بعقله وإرادته ، ويختار نهجه وطريقه وشكله بمحض مشيئته واختياره ، وأن دور الدول العربية بالنسبة للكيان...

---

(١) منظمة التحرير الفلسطينية ، مواقف حاسمة وقومية ، مرجع سابق ص ص ٧-٨ ، ١٤-١٥ .

(٢) : أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب : مرجع سابق ص ١٥٧ .

(3) Kadi, leila, op. cit, p. 106.

لابناؤه ولا إنشاؤه ، بل التيسير والتسهيل قبل قيامه والتأييد والتعضيد بعد قيامه (١) .

ثم انتقل الشقيرى للمطالبة بانشاء قوات فلسطينية مسلحة (نظامية وفدائية) وإقامة معسكرات تدريب شعبية وتعزيز الأوضاع العسكرية فى القرى الأمامية من فلسطين ثم أكد الشقيرى أن خطة منظمة الأمم المتحدة الأمريكية تقوم على عدة بديهيات أساسية هى : أن شعب فلسطين مصمم تصميما قاطعاً لا ينثى على تحرير وطنه ، وأنه كائنة ما كانت الخطة العربية فلا غنى عن شعب فلسطين فى تحرير فلسطين ولذا لابد لتحرير فلسطين من إعداد شعب فلسطين عسكريا وروحيا ، وأن الاحتلال الإسرائيلى هو خطر يهدد الأمة العربية وبالتالى فان مسئولية درئه تقع عليها جميعاً وأن الشعب الفلسطينى هو الطليعة ، وأن قضية فلسطين من غير انتقاض للجهود السياسية والدعائية ليس لها حل سياسى أو دبلوماسى لا داخل الأمم المتحدة ولا خارجها وأنه لن يتم تحرير فلسطين إلا بالكفاح والسلاح وعلى أرض فلسطين ، وأن كارثة فلسطين يجب أن تكون عامل وحدة بين الدول العربية(٢) .

وحول إنشاء جيش التحرير الفلسطينى اقترح عبد الناصر فى المؤتمر أن تصدر منظمة التحرير الفلسطينية القرار المتعلق بانشاء هذا الجيش ثم يوافق عليه المؤتمر العربى ، وبالفعل أصدرت المنظمة هذا القرار وأعلن عبد الناصر إنه وافق على أن يتخذ هذا الجيش من قطاع غزة وسيناء أماكن لمرابطة وحداته وميدانا لتدريباته كما وافقت سوريا والعراق على إنشاء وحدات لهذا الجيش فى أراضيها ولكن الأردن رفض تكوين أو

---

(١) منظمة التحرير الفلسطينية : مواقف حاسمة وقومية ، مرجع سابق ص ٤١ .

(٢) المرجع السابق ، (نص خطاب الأستاذ أحمد الشقيرى أمام مؤتمر القمة العربى الثانى : الأسكندرية ، سبتمبر ١٩٦٤) .

مرابطة وحدات من جيش التحرير فى أراضيه لأن الجيش الأردنى يتكون من عناصر فلسطينية وأردنية ، ولأن خلق جيش فلسطينى فى الضفة الغربية سيخلق تعقيدات خطيرة ، كما رفض لبنان إنشاء جيش فلسطينى لأن ذلك سيوجد جيشاً ثانياً إلى جانب الجيش اللبنانى(١) .

وانتهت الخطة العربية بخصوص جيش التحرير إلى أن يتكون هذا الجيش من ١٥ ألف فرد وأن يخضع فى العمليات الحربية وفى تسليحه وتدريبه للقيادة الموحدة ، وأن تنشئه القيادات العربية فى مصروسوريا والعراق كل على أرضه بشرط أن يتم تسليمه لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد اتمام انشائه وأن تساهم الدول العربية بحصص معينة المیزانية السنوية للجيش تودعها ميزانية جامعة الدول العربية (٢) .

وأعلن المؤتمر الثانى للقمة العربية فى بيانه الختامى ترحيبه بقيام منظمة التحرير الفلسطينية (خصص لها ميزانية سنوية قدرها مليون دولار تسهم منها الدول العربية بحصص معينة) دعما للكيان الفلسطينى وطليعة للنضال العربى الجماعى لتحرير فلسطين ، واعتمد قرار منظمة التحرير إنشاء جيش التحرير الفلسطينى وعين التزامات الدول الأعضاء لمعاونتها فى آداء مهامها(٣) . ثم أقر المؤتمر توصيات محددة بصدد المشروع العربى لتحويل مجرى نهر الأردن ويقول الشقيرى فى هذا الصدد(٤) .

---

(١) أحمد الشقيرى ، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب ، مرجع سابق ص ص ١٣٦-١٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ص ١٤٠-١٥٥ .

(٣) الجمهورية العربية المتحدة : مصلحة الاستعلامات : السياسية الداخلية مرجع سابق ص ٥٥ .

(٤) أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب ، مرجع سابق ص ١٤٣-١٤٥ .

« ولا أرى داعياً لذكر أو تلخيص هذه التوصيات .. فانى لم أكن أؤمن أصلا بهذا المشروع .. ولم أكن أراه فى البداية إلا تحويلا للجهد العربى من الأصل إلى الفرع » .

ويضيف الشقيرى فى ختام تقييمه لهذا المؤتمر قائلا.

« ولقد انفض المؤتمر على « فرقعات » آلات التصوير العربية والعالمية ، وتسابقت الصحف العربية فى اليوم التالى ، بعد أن « سمح » بأن تتسرب إليها المقررات السرية الخطيرة ، فنشرت أكثر مما جرى ، وأكثر مما سيجرى وشحنت الأمة العربية بالآمال الكبار والأمانى الجسام . وعمت العالم العربى موجة من الابتهاج والانفراج .. لا تعد لها إلا الفرحة الكبرى بتحرير فلسطين . وتسابق الملوك والرؤساء وهم يعودون إلى عواصمهم فى إطلاق « بطاريات » التصاريح الطنانة من المدافع الكلامية الرنانة ، وكان أغرب هذه الأقوال ، ما أعلنه الملك الحسن الثانى من أن اختلاف النظم الداخلية بين الدول العربية لا يمنع قيام اتحاد فيدرالى بينها . وسألنى الرئيس الجزائرى أحمد بن بيلا هل قرأت هذا التصريح . قلت نعم لقد قرأته فى الصباح .. أنه كالورود الاصطناعية ، جميلة جميلة .. ولكنها من غير رداء ولا رائحة .. بل إنه كالشعر أعذبه أكذبه .

ولكن العذب حقاً ، والحلو صدقا ، من الملك حسين ، لا من الملك الحسن فقد تذوقه الملوك والرؤساء ، وكان عذباً حقا ، وحلوا صدقا ، فقد تجلى فى أربعة وستين صندوقا من عنب الخليل حملها الملك حسين من الأردن بطائرته ، عليها بطاقة جميلة : « هدية من الملك حسين » وتقاسمها الملوك والرؤساء . وعقب عليها فم الزمان بحكمته المأثورة : تقاسموها وأنت عنها غائب .. »

أما عن رد فعل هذا المؤتمر لدى الشقيرى فيلخصه فيما يلى :

«وخرجت من المؤتمر أتأبط ملف المؤتمر ، وعقلي لا يجرؤ أن يكذب ماسمع ، فقد أعلن الملوك والرؤساء ، أن كلمتهم « تعتبر الضمان الوحيد للوفاء بالالتزامات » ، وتركت مذكراتي أن تتحدث عن كلمة الملوك والرؤساء ... ولتروى للأمة العربية أن كلمة الملوك والرؤساء قد حنثت بكل كلمة من كلماتهم ونكثت بكل قرار من قراراتهم(١) .

وهكذا لم يكن مؤتمر القمة العربي الثاني بأسعد حظا من مؤتمر القمة العربي الأول ولم يكن الملوك والرؤساء العرب على مستوى الجدية أو الصدق ومنذ الأربعينات وحتى الستينات كان الحال هو الحال والرجال هم الرجال .

فلقد حاول مؤتمرا القمة العربي الأول في القاهرة والثاني في الاسكندرية أن يثبت للأمة العربية جدارتها ، ويؤكدا جديتهما وقدرتهما وأن حكام العرب البائدين الذين قامت إسرائيل في عهدهم قد ذهبوا وذهبت معهم مفاسدهم وخياناتهم ، وأن هذا الزمان هو زمن العمل الجماعي الوحيد، والتضامن العربي المؤكد ، والخطط المدروسة المنسقة، والقرارات التي تنفذ من غير إبطاء ؛ وفوق هذا وذاك فانه زمن المبادرة العربية الخاطفة لتدمير إسرائيل وتحرير فلسطين .

وتوكيدا لذلك وامعانا من الملوك والرؤساء في اثبات رغبتهم في تنفيذ قراراتهم « الضخمة » بشأن مشكلة فلسطين إبتداء بإنشاء هيئة الروافد إلى تكوين قيادة عربية موحدة ووصولا إلى إعداد الشعب الفلسطيني للقيام بدوره في تحرير وطنه بانشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، ... فقد ابتدعوا أسلوبا جديداً للتنفيذ والتطبيق لم يسبقهم إليه الذين سبقوهم في الأربعينات

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٥ .

من الملوك والرؤساء ... ومن هنا فقد اهتدى البارعون فى صناعة الالهاء فصاغوا للامة العربية والرأى العام العالمى قرارات لم ترتق أبدا لمستوى التنفيذ وترتب على ذلك نتائج وخيمة فضلا عن عدم فاعلية هذه القرارات نتيجة لتصور جدية الكثير من الدول العربية فى معالجة هذه المشكلة المصيرية ، ... فضلا عن ذلك فقد أخذت هذه القرارات طابع الجامعة العربية فى مظهرها وجوهرها . . تلك التى أورثت الرأى العام العربى السأم والضجر ، وهو ماتلقفته إسرائيل بذكاء وحذق ومهارة انعكست آنئذ على استغلالها هذه القرارات المعلنة بأساليبها الدعائية والملتوية إلى حد أنها طالبت « الأمم المتحدة والشعوب المحبة للسلام » أن تعلن عدم موافقتها على بيان مؤتمر القمة العربى الثانى هذا بينما كان تدفق الأسلحة الأمريكية من المانيا الغربية إلى إسرائيل قد بلغ ذروته فى هذا العام ، بل أن أنباء هذه الصفقة السرية كانت قد بدأت تنتشر فى الصحف العالمية ، وفى نفس الوقت كانت إسرائيل تمارس أقصى درجات الإلحاح لدفع الولايات المتحدة إلى تلبية طلباتها من الأسلحة الهجومية .

وبنهاية عام ١٩٦٤ بدأ تنفيذ المرحلة الأولى من الخطة العربية الخاصة بتحويل روافد نهر الأردن فى نفس الوقت الذى اتخـذت فيه إسرائيل اتجاها عدوانيا سافرا أدى تفاقم الأحداث العسكرية ، ووقوع سلسلة من الإشتباكات المسلحة على الحدود السورية انتقلت فى العام التالى إلى الحدود الأردنية وكانت إسرائيل تعلم أن مثل هذه الأعمال العسكرية سوف تؤدى إلى وقوع الصدام الواسع الذى تعـد له حتى أن المعلقين الإسرائيليين أجمعوا فى هذه الفترة — فى مجال تعليقاتهم على طبيعة هذه الاعتداءات — على أن الجولة الثالثة من الحرب العربية الإسرائيلية لن يمكن تحاشيها ، أما ديان فراح يطالب فى صراحة بشن العمليات العسكرية لعرقلة تحويل روافد نهر الأردن (١) .

(١) New Out look, Israel, Junuary 1965 pp. 1-8.

كذلك كانت إسرائيل فى هذه الفترة تبيت موقفها ونواياها العدوانية وهو ما تشهد به الوثائق الإسرائيلية ذاتها (١) ، من « ان إسرائيل تمثل مركز التهديد وإثارة الخوف فى الدول العربية ، وقد أعلن القـادة الإسرائيليون مرارا أن محاولة حرمان إسرائيل من مياه نهر الأردن ، سينظر إليها كعدوان على الأراضى الإسرائيلية وأن إسرائيل إزاء ذلك تحتفظ بحقها فى التحرك .. وسوف تدافع عن حقوقها بكل ما تملك من قوة (٢) » .

وفى مطلع عام ١٩٦٥ ، عندما بدأت بعض أعمال المقاومة الفلسطينية ضد مشروعات المياة الإسرائيلية ، اعترض موشى ديان على أسلوب معالجة هذا النشاط ، واستنكر سياسة « ضبط النفس » التى تتبعها الحكومة ، أو الاكتفاء باتباع إجراءات دفاعية وقائية كاقامة الأسوار المكهربة على الحدود ، وهو ما نادى به بعض الساسة الاسرائيلين وأعن ديان أنه إذا اتبعت هذه الأساليب » فسوف تتحول البلاد إلى « جيتو » لليهود خلف الأسلاك الشائكة ، كما دعى إلى شن الحرب على العرب لأن « قوة إسرائيل تكمن فى استعدادها لمقابلة العدو وسحقه قبل أن يشب عليها (٣) » .

وأكمل اسحق رابين صورة هـذه السياسة النابعة عن العقيدة الصهيونية العدوانية فأكد قوة الردع الاسرائيلية وهدد باستخدام القوات المسلحة « إذا لم تحترم الدول العربية طاقة الردع الاسرائيلية » .

ومع استمرار المشروع العربى — رغم البطء الشديد فى التنفيذ — كان لزاما وفقا للسياسة الاسرائيلية أن تواصل اعتداائها على مواقع العمل

---

(١) Israel Government Year Book, 1995-1966, Jernsalem 1966 p. 170.

(٢) lau-Lavie N. : Moshe Dayan, A biography, london Vallacntin Mitchcil, 1965 p. 167.

(٣) Ibid

لمشرعات التحويل بعنف متصاعد ، وخرج ليفى أشكول فى ١٧ مايو ١٩٦٥ بما أسماه « مشروع السلام » ذكر فيه أن أساس خطة إسرائيل للسلام » الكامل لاستقلال وسيادة ووحدة أراضى كل دولة فى المنطقة وأن التسوية السلمية ستقوم على أساس أن إسرائيل كما هى الآن . . . وإن كل عربى يدعى الخوف من أى اعتداء قد تقوم به إسرائيل ضد أية دولة عربية ، أما أن يكون ضحية للدعاية أولا يعرف الحقيقة أو يتمرد عليها . . . » .

ومن الواضح أن مشروع أشكول لم يزد عن مناورة سياسية اعتمدت أساساً على التضليل ، وكان هدفها الأول تغطية الأعمال العسكرية المتصاعدة فى مناطق الحدود أما هدفها الثانى فهو إعطاء المبرر للعدوان المتزايد الذى بلغ حد الحرب الشاملة بعد ذلك بسنتين ، وليس أدل على ذلك ، أنه بعد عشرة أيام من هذا الحديث — أى فى ٢٧ مايو ١٩٦٥ — اقتحمت قوات المظلات الاسرائيلية ثلاث نقط أردنية أمامية فى المنشية وجنين وقليقة حيث نكلت بالسكان المدنيين فيها .

ألمانيا بين إسرائيل والعرب :

بدأت الأزمة بين ألمانيا والعرب فى شهر ديسمبر عام ١٩٦٤ حينما انتشرت الشائعات عن قرب إقامة العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا وإسرائيل ، وحينما طلب السفراء العرب فى بون عقد اجتماع غير عادى لمجلس الجامعة العربية للنظر فيما يتخذ من الاجراءات فى حالة تحقق هذا الاحتمال .

وفى يوم ٢٤ من ديسمبر من نفس العام ألقى عبد الناصر خطابا ندد فيه بصفقات الأسلحة الألمانية الموردة لاسرائيل والتى تدفع الولايات المتحدة الأمريكية ثمنها .

ودخلت الأزمة فى طور حاد يوم ١٤ من يناير ١٩٦٥ حينما أعلنت الصحف المصرية أن والتر أولبرخت رئيس مجلس الدولة فى جمهورية

ألمانيا الديموقراطية قد تلقى الدعوة لزيارة مصر ، وأنه سيقوم بزيارة رسمية لها فى شهر فبراير التالى . وجاء رد فعل بون سريعا على هذا النبأ ، إذ توجه السفير الألمانى فى القاهرة فى يوم ٣١ من يناير لمقابلة عبد الناصر ، وقد أوردت أجهزة الأعلام المصرية وصفا لهذه المقابلة وفيها أخبر السفير الألمانى عبد الناصر أن حكومته تنظر بعين غير راضية لهذه الزيارة ، وقد رفض عبد الناصر قبول هذا الاحتجاج وجدد الاتهام الذى سبق أن وجهه لألمانيا الغربية بأنها تورد الأسلحة فعلا وأكد عبد الناصر للسفير الألمانى أن مصر سوف تعترف بألمانيا الشرقية إذا ما استمرت هذه الصفقات .

كانت هذه الصفقات من الأسلحة التى كشف عبد الناصر النقاب عنها للمرة الثانية . صفقات حقيقية فعلا ، وكانت تتم وفقا لاتفاق سرى أبرم عام ١٩٦٠ منذ سنوات بين بن جوريون واديناور وكانت تشتمل على مائتى مصفحة ومعدات (١) عسكرية أخرى تبلغ قيمتها ٣٢٠ مليونا من الماركات وكان جزء كبير منها قد ورد فعلا فى أوائل عام ١٩٦٥ (٢) .

هذه المقابلة وكذا الوساطة التى قام بها فى القاهرة ماركيز دى نوفا المبعوث الشخصى للجنرال فرانكو أسفرتا مؤقتا عن وقف توريدات الأسلحة الألمانية لاسرائيل وقد أعلن القرار الخاص بذلك يوم ١٢ من فبراير فى بون ، غير أن هذا التنازل من قبل ألمانيا لم يقابله من جانب مصر — كما يرى بعض الباحثين (٣) — إلغاء زيارة الدكتور أولبرخت وقد استقبل هذا الأخير فى الاسكندرية استقبال رؤساء الدول وأطلقت له

---

(١) : (٢) أورد السيد أحمد الشقيرى خلال اجتماعات مجلس رؤساء الحكومات العربية فى القاهرة فى ١٦/٤/١٩٦٥ بياناً بالمعدات والأسلحة التى حصلت عليها إسرائيل بالفعل من طائرات ودبابات ومدافع وقطع بحرية وتفصيل ذلك فى :

أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ص ١٥-٥٣ .

(٣) Aleum, Jean Pierre, Juifs et Arabes, up. cit pp. 406, 581–584.

إحدى وعشرون طلقة مدفع ، وفى خلال هذه الزيارة أبرم اتفاق اقتصادى بين ألمانيا الشرقية ومصر :

وبالرغم من أن مصر لم تعترف رسمياً بألمانيا الشرقية — وإلا لو حدث ذلك لترتب عليه فوراً من جانب بون قطع العلاقات الدبلوماسية — غير أن زيارة الدكتور أولبرخت وما صاحبها من بذخ وتكريم اعتبرا فى نظر بون تحديا يجب الرد عليه .

وفى يوم ٧ من مارس أعلنت حكومة ألمانيا الاتحادية قطع معونتها الاقتصادية عن مصر وإن الاجراءات سوف تتخذ فوراً لاقامة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وفعلا أرسل أحد الدبلوماسيين الألمان هوكورت بيرنباخ فى نفس ذلك اليوم إلى القدس للقيام بهذه الاجراءات .

وفى يوم ٩ من مارس ، على أثر مبادرة من جانب العراق انعقد فى القاهرة اجتماع من ممثلى ورؤساء الدول العربية واتخذ قرارات أربعة لعرضها على مؤتمر خاص من وزراء الخارجية العرب هى :

أولا : سحب السفراء العرب فوراً من بون ؛

ثانياً : قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا فى حالة اعترافها باسرائيل .

ثالثا : قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا إذا ماتمادت فى موقفها العدائى من مصر .

رابعا : التهديد بقطع كافة العلاقات الاقتصادية مع الدول الكبرى التى تساند إسرائيل (ويشير هذا التهديد بوجه خاص إلى امتيازات البترول (١)) .

وأضاف عبد الناصر أنه فى حالة اعتراف ألمانيا الاتحادية باسرائيل

---

(١) أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ص ٢٩—٣١ .

فإن مصر سوف تعلن اعترافها بألمانيا الشرقية وتصادر جميع الأموال الألمانية فى مصر .

غير أنه عندما اجتمع مؤتمر وزراء الخارجية العرب فى يومى ١٤ ، ١٥ من مارس ظهر شيء من التردد ؛ ذلك أن القرارات التى تمت الموافقة عليها قبل أربعة أيام من ذلك التاريخ بناء على اقتراح من عبد الناصر كانت ترمى إلى مجرد إلقاء العالم العربى كله فى أحضان المعسكر السوفيتى فى حالة إقامة العلاقات الدبلوماسية بين بون والقدس . وكانت غالبيـــة الدول العربية تعارض مثل هذا الاتجاه ، ورأى بعض هذه الدول أن الأزمة قد نشأت بمبادرة عبد الناصر حينما دعا أولبرخت لزيارة مصر ، وبما أنهم لم يستشاروا عندما تقررت هذه المبادرة فليس لهم أن يتحملوا نتائجها المخربة (١) ، هذا بينما لم يكن هناك — من ناحية أخرى — عضو واحد من أعضاء الجامعة العربية ليستطيع من جهة أخرى أن يظل هادئا أمام اعتراف ألمانيا بإسرائيل اعترافا رسمياً دون أن يثير الشكوك فى إخلاصه للقضية العروبة .

هذا التمنع من بعض الدول العربية بالإضافة إلى الاعتبارات المتعارضة بين الدول الثورية والدول الرجعية — وحتى الآراء المتباينة (٢) بين الدول الرجعية ذاتها بخصوص العلاقات بينها وبين ألمانيا الاتحادية ... كل هذا أدى بالوزراء إلى اتخاذ قرارات روعى فيها جانب الترضية وإن كان أخطر ما فيها أنها وضعت حدا لإجماع الرأى بين العرب ، فقد تم التصديق على القرارين الأول والثانى من قرارات ٩ مارس ، القرار الأول بالاجماع ، والقرار الثانى بالأغلبية فقط حيث أبدى كل من المغرب وتونس وليبيا تحفظات فى شأنه .

---

(١) Rodinson, Maxime : Israel et le Refus Arabe, op. cit, pp. 12 –127.

(٢) Aleum, jean pierre, juifs et Arabes. op, cit, pp. 409–409.

أما القراران الثالث والرابع فقد تركا ، إذ أنهما لم يحصلا إلا على أصوات مصر والعراق اليمن فقط . أما عن الاعتراف المشروط بألمانيا الشرقية فلم توافق ؛ عليه غير ٦ دول فقط هى مصر والعراق واليمن والجزائر والسودان والكويت .

ولم يلبث الشرط الراقف الذى شمل به العرب قرارتهم أن تحقق بعد قليل إذ تمت فى اليوم الثانى عشر من شهر مايو ١٩٦٥ إقامة العلاقات الدبلوماسية رسميا بين ألمانيا وإسرائيل عن طريق الرسائل المتبادلة بين إيرهارد وأشكول وفى اليوم نفسه قطعت العراق علاقاتها مع ألمانيا ، وفى اليوم التالى قطعت كل من مصر وسوريا ولبنان والعربية السعودية والأردن والكويت واليمن والجزائر تلك العلاقة .

وفى ١٦ من مايو اتخذت السودان قرارها بقطع العلاقات مع ألمانيا ، أما المغرب وتونس وليبيا فقد رفضت الاشتراك فى هذا القرار .

مقترحات الرئيس بورقيبة وردود فعلها :

« قنبلة السلام التونسية »

تزعزع الترابط بين العرب فى شهر مارس عام ١٩٦٥ بسبب النزاع مع ألمانيا ومن جهة أخرى كان التضامن بين أمريكا وإسرائيل قد تأكد على صور مختلفة ، أبرزها تسليم إسرائيل دفعة من صواريخ هوك التى تستعمل من الأرض إلى الجو وذلك فى ١٩ إبريل من هذا العام ، وأدت هذه الحوادث فى مجموعها إلى طمس حالة التهديد بقيام مواجهة مسلحة بين العرب وإسرائيل التى وصلت فى وقت من الأوقات إلى حد مقلق .

خلال هذه الفترة نشأت المحاولات الرامية إلى تخفيف حدة الصراع العربى الإسرائيلى من خارج المنطقة فى المقام الأول(١) .

---

(١) دكتور ابراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين ، مرجع سابق ش ص ٢٧٠-٢٧٦ .

غير أن المحاولة الآتية لحل مشكلة فلسطين جاءت من داخل المنطقة ذاتها وربما يفسر جملة الحوادث السابقة هذه المحاولة أو على الأقل فان هذه الحوادث هى التى أتاحت تلك الواقعة التى لم يسمع بمثلها من قبل وهى واقعية إقبال أحد الرؤساء العرب على التحدث عن حل النزاع يقوم على أساس المفاوضات .

ففى يوم ١٦ من فبراير ، غادر الرئيس بورقيبة مدينة تونس برحلة فى أرجاء الشرق الأوسط استغرقت من الوقت عشرة أسابيع مبتدئا المشاورات مع عبد الناصر وبالغ هذا الأخير بالحفاوة « بضيفه العظيم » وهتفت له جماهير القاهرة بكل جوارحها فقد عرفته لاجئا إلى قهوة الفيشاوى فى مصر .

وألقى الرئيس بورقيبة فى جامعة القاهرة خطابا كانت له بين سطوره إشارة ناعمة كأنها تقول لعبد الناصر وللشعب المصرى « ألزموا حدودكم »(١) وقد كان الرئيس بورقيبة يأخذ على عبد الناصر أنه يمسك بزمام المبادرة بمشكلة فلسطين وبالقضية العربية ، دون تشاور سابق مع الرؤساء العرب ؟

وبعد انتهاء المباحثات بين الرئيس بورقيبة وعبد الناصر صدر البلاغ المشترك فى ١٩٦٥/٢/٢٣ معلنا أن الرئيسين يؤكدان تأييدهما لمنظمة التحرير الفلسطينية و مساعدتهما على استرداد حقوق الشعب الفلسطينى كاملة (٢) .

ثم توجه الرئيس بوقيبة بعد ذلك إلى الأردن وزار مدينتى إريحا ونابلس ومخيم عقبة جبر ، وأخذ يرثى لحال اللاجئين ويندب سوء طالعهم ، ويندد بالسياسة التى أدت إلى نزوح الفلسطينيين عن مدنهم وقراهم ليعيشوا فى الخيام تفتك بهم الأمراض والأوبئة ويقرصهم الشتاء القارص ويلهبهم الحر اللاهب وأنه لا سبيل للخلاص من هذا العناء والبلاء إلا بالاعتراف بالأمر الواقع

---

(١) أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء : مرجع سابق ص ص ١٩٩ ؛ ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ص ٢٠١-٢٠٢.

على أساس الاحترام المتبادل بين العرب وإسرائيل ، وإن التعايش السلمى بين الدول العربية وإسرائيل هو الحل الوحيد لتسوية المشكلة الفلسطينية ، وإن إسرائيل عضو فى الأمم المتحدة ، وإن إزالتها مناف لميثاق الأمم المتحدة وللأخلاق الدولية ».

وألقى الرئيس بورقيبة خطابين أحدهما فى مدينة أريحا يوم ٣ من مارس والثانى فى مدينة القدس يوم ٥ من مارس ، ثم عقد مؤتمرا صحفيا . وأثار الخطابان والمؤتمر كثيرا من الاهتمام وردود فعل عنيفة بين أوساط الرأى العام العربى .

قال الرئيس بورقيبة : « يجب على رجال الدولة العرب ألا يخدعوا شعوبهم يجب عليهم أن يكونوا صرحاء وألا يستسلموا للعاطفة » وبعد ذلك تعرض لمشكلة فلسطين بصراحة وبكلام خال من كل إبهام أو تلميح فأعلن فى غير مواراة :

فلنترك السلاح جانبا ولينظر رجال السياسة إلى أعلى وإلى الأبد . . .

يستطيع العرب والاسرائيليون أن يعيشوا فى وفاق إذا ما تخلصوا من الأحقاد وإذا ماتحرروا من العقد ومن المتطرفين فيهم »(١) .

غير أن الرئيس بورقيبة حتى هذه المرحلة لم يكن قد عرض أى نوع من أنواع الحل ، وإن كان قد أشار مع ذلك إلى المشروع الإتحادى الذى سبق أن عرضه بشير بن محمد فى المجلة الأسبوعية التونسية « جون افريك » يوم ٢٧ من ديسمبر عام ١٩٦٤ ، فقد كتب بن محمد يقول : أنه مادامت مشكلة فلسطين لا يمكن حلها لا بالقضاء على إسرائيل الذى يبدو عملا محفوفاً بالمخاطر وغير محتمل الحدوث ولا بتدعيم تلك الدولة الذى يبدو عملا

---

(١) Aleum, Jean pierre, juifs et Arabes, op. cit, op. citt, pp. 404-411,

لن يرضى به العرب ، فان الحل الممكن هو تجميع دول الشرق الأوسط داخل نطاق اتحاد تجد اسرائيل مكانها فيه . . . على أن الواجب يقضى مع ذلك على اسرائيل أن تقبل عودة جزء من اللاجئين إلى بلادهم وأن تدفع التعويضات للجزء الآخر منهم .

وعموما فقد كان حديث بورقيبة حتى هذه المرحلة جديدا فى نوعه ونغمته كانت على عكس المهاترات الانفعالية التى درج السياسيون العرب فى معظمهم على تغذية الرأى العام العربى بها .

ومن الطريف أن بورقيبة رأى من المناسب أن يضيف إلى ماقال :

« هذا هو رأيى ، أرجو ألا أتهم بسببه بالخيانة ، وأرجو ألا أتعرض بسببه للاغتيال »(١)

وصادف فى ذلك الوقت إن كان الملك الحسن الثانى فى زيارته لمصر فشجب تصريحات الرئيس بورقيبة دون أن يذكر اسمه وخطب عبد الناصر مندداً بأراء بورقيبة وإن الزمن زمن نضال ، وليس وقت فلسفة ومراحل على طريقة « أبو رقيبة » .

فماذا كان رد الفعل تصريحات بورقيبة على الرأى العام العالمى؟ لقد ساد(٢) الهياج والاحتجاج العام العربى بأسره على حين انبرت إسرائيل تلمح بالترحيب بهذه التصريحات ، وأعلنت جولدا مائير فى مأدبة غداء أقامها نادى الصحافة فى تل أبيب ، عن ابتهاجها بأنه : « وجد زعيم عربى لا يتحدث عن الحرب وعن تصفية إسرائيل بل يدعو إلى السلام والتعايش مع إسرائيل » .

---

(١) Ibid. p, 411,

(٢) أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء : مرجع سابق ، ص ص ٢٥١-٢٦٢ ،

ونشرت جريدة « جيروزالم بوست » برقية من رئيس بلدية عكا (العربى) يطلب فيها من الرئيس بورقيبة أن « يزور إسرائيل ليتحقق بنفسه كيف يسود السلام والتعايش الأخوى بين اليهود والمسلمين والمسيحيين تحت علم إسرائيل » ؟

وأعلنت الأوساط الغربية من جانبها فى أمريكا وبريطانيا تقديرها لشجاعة الرئيس بورقيبة وواقعيته ، وأعربت عن تمنياتها أن يقوم الرئيس بورقيبة بدور قيادى فى تسوية مشكلة فلسطين وأنهاء النزاع بين الدول العربية وإسرائيل

كذلك أعلن الاتحاد السوفيتى تأييده لسياسة بورقيبة ، فقد رحبت جريدة « أزفستيا » الناطق الرسمى بلسان الاتحاد السوفيتى « بالسياسة الواقعية » التى أعلنها الرئيس بورقيبه ودعوته إلى إجراء مفاوضات سلمية مع إسرائيل .

وفى خلال الأيام والأسابيع التى تلت راح الرئيس التونسى يتخذ لنفسه وضعا يزداد ميلا نحو حل النزاع بطريق المفاوضات ، وقد شجعه فى ذلك ردود الفعل المتباينة لآرائه فبالرغم من استنكار فئات من الرأى العام العربى آنئذ لهذه الآراء إلا أن ردود فعل الدول الغربية والاتحاد السوفيتى قد شجعته على مواصلة هذه التصريحات حيث كانت قد صدرت له فى طهران وفى اسطنبول تصريحات جاء فيها « أمام هذا الجمود وهذا العجز اللذين ظلا قائمين منذ سبعة عشر عاما ، اقترحنا الأخذ بأساليب أثبتت نجاحها فى تونس »(١)

وفى حديثه أمام التليفزيون الفرنسى أيضا قال (٢) :

« ولقد أنضم إلى رأيى ومقترحاتى عدد من الزعماء العرب ، ولكنهم لايستطيعون الاعتراف بذلك علنا » .

وفى حديث مع جريدة (٣) لوموند قال :

---

(١) جريدة لوموند الفرنسية فى ١٩٦٥/٣/٢٥ .
(٢) جريدة لوموند الفرنسية فى ١٩٦٥/٣/٢١ .
(٣) جريدة لوموند الفرنسية فى ١٩٦٥/٩/٢ .

« يجب علينا أن نتسلح بالواقعية وأن نجتاز مرحلة الاتهامات والتباكى ..»
ومن بين الحلول التى يمكن الأخذ بها تطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة »

وفى تصريح له أيضا إلى مجلة «أوروب »(١) قال :

« من الأمور البديهية أن إسرائيل موجودة فعلا » .

وفى حديث مع جريدة نوفل أو بسرفاتور قال بورقيبة :

« لن تتمكن البلاد العربية إبدا من ألقاء الإسرائيليين إلى البحر » . .
« لذلك كان من الواجب عليهم إذن أن يبحثوا عن طرق التعايش (٢) »

وفى حديث إلى جريدة النيو زويك قال بورقيبة :

« يجب علينا ألا نغفل عن أن إسرائيل دولة عضو فى هيئة الأمم المتحدة؟ وما من أحد يحمل كلا منا على محمل الجد عندما نتحدث عن الحرب ، لأن جميع الدول بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ، التى لها علاقات مع إسرائيل ، لن تتردد فى التدخل من أجل وضع حد للحرب».

وهكذا أزداد ميل الرئيس بورقيبة نحو حل النزاع بطريق المفاوضات إلى أن حل يوم ٢١ من إبريل ١٩٦٠ حيث ألقى خطابا أمام الطلبة فى عاصمة بلاده — بعد عودته مرورا بلبنان وتركيا مؤكدا نفس المعانى — وقد تخطى فى هذه الخطاب المرحلة الأخيرة من تصعيده للحل السلمى إذ طلب فى وضوح إلى إسرائيل أن تبدى رأيها فى المقترحات أعلنها على النحو التالى : تجرى مفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل على أساس من قرارات هيئة الأمم المتحدة الصادرة فى عام ١٩٤٧ (تقسيم فلسطين) وفى عام ١٩٤٨ (قرارات اللاجئين) ، على أن يعقد بعد هذه المفاوضات مؤتمر إسرائيلى عربى يكون مقره فى روما أو فى إحدى العواصم الأخرى . فإذا قبلت إسرائيل المبدأ الذى تقوم عليه هذه المقترحات فإن الرئيس بورقيبه يتعهد بعرضها أمام

---

(١) مجلة أوروب عدد رقم ١ بتاريخ ١٢/٤/١٩٦٥ .

(٢) جريدة نوفل أوبسرفاتور فى ١٥/٤/٠٦٥ .

مؤتمر القمة العربى(١) القادم ويناقشها مع الرئيس عبد الناصر مباشرة » .

وفى إسرائيل أعلن المسئولون أنهم يسجلون مع الرضاء اقتراح بورقيبة الخاص بحل النزاع عن طريق المفاوضات ، وقالوا أنهم دائما على استعداد للدخول فى محادثات مع العرب . ولكنهم وضعوا لذلك شرطا هو ألا تسبق تلك المحادثات أية شروط ، ثم أشاروا إلى أن موقف الحكومة الإسرائيلية سبق إعلانه بوضوح على لسان آبا أبيان نائب رئيس الوزراء الذى قال :

« أن محاولة العودة إلى قرارات أصدرتها هيئة الأمم المتحدة منذ سبع عشر سنة مضت ، والاعتقاد فى مكان تطبيق هذه القرارات فى الوقت الحاضر لهما دليل على إنعدام الواقعية إنعداما كاملا . . . أن مشروع التقسيم الصادر فى عام ١٩٤٧ هو اليوم فى حكم البيضة التى كسرت » .

وفى الحقيقة لم تحدث المبادرة التى صدرت عن الرئيس بورقيبة ، رغم ما فيها من جرأة ورغم ما احتوت عليه من اتجاه جديد ، أى إثارة فى إسرائيل . أما السبب الحقيقى لهذا الاستقبال غير المتحمس فقد أعرب عنه شيمون بيريز حيث قال :

« أن حل المشكلة الإسرائيلية العربية لا يوجد بين يدى الرئيس بورقيبة ولكن بين يدى الرئيس عبد الناصر » .

أما فى الجانب العربى فقد حدث تحول عن موقف الحياد المصحوب بالتقدير أحيانا الذى ساد من قبل حيال الخطاب الأول وما تلاه من خطابات والتى ألقاها الرئيس بورقيبه وأنهالت الردود على مقترحاته الأخيرة هذه مصحوبة بسيل من الشتائم والأهانات وطالب عدد من رجال السياسة العرب بطرد تونس من عضوية الجامعة العربية وأخذت جريدة الأهرام

---

(١) Kadi, leila. B. Arab Summit conferences and the palestine prblem. op. cit, pp. cit, pp, 173-s75,

شبه الرسمية بالقاهرة تؤكد أن المسئولين المصريين لم يعد فى استطاعتهم الجلوس إلى جانب الرئيس بورقيبة بعد الخطابات والتصريحات التى صدرت عنه على أى مائدة من موائد المؤتمرات ، وقالت الأهرام :

لن تسمح مصر بعد اليوم أن تبلغ السيد بورقيبة أى إسرار تتعلق بدفاعها»

أما عن موضوع مقترحات بورقيبة نفسها فكان نصيبها الرفض القاطع ، وقام وزير الخارجية المصرى فى يوم ٢٧ من شهر إبريل يعرض الوضع الرسمى لغالبية الدول العربية حول هذا الموضوع فقال(١) :

« من غير المعقول قبول فكرة الوساطة طالما أن الوطن العربى ضحية للاغتصاب من جانب الاستعمار الصهيونى » .

ثم أضاف قائلا :

« لا يمكن النظر فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية لا فى وساطة ولا فى مفاوضة ولا فى صلح » .

وكان هذا الوضع هو وضع غالبية الدول العربية ، لا وضع اجماعهم إذ أن ثلاثا من تلك الدول ، هى المغرب وليبيا والعربية السعودية ، أمتنعت عن التعليق على المبادرة التونسية .

ولقد كانت ردود الفعل لمقترحات بورقيبة ردود فعل عنيفة حقا وخصوصا فى العالم العربى وفى تونس ذاتها ، ففى الوقت الذى كانت تنهال فيه الهجمات والشتائم على الرئيس بورقيبة كان الطلبة التونسيون يجتمعون فى مظاهرة نظموها لتأييد رئيسهم ، وفى ليلة ٢٧ من إبريل هاجموا سفارات مصر وسوريا والعراق وألقوا عليها الحجارة ، وفى اليوم التالى قام ثلاثة آلاف طالب مصرى باحراق سفارة تونس فى القاهرة وهم يصيحون : « الموت لبورقيبة » .

---

(١) وذلك أمام الجمعية الوطنية الفرنسية .

ولم تسمح أعمال العنف هذه للسفير التونسى — الذى استدعى إلى بلاده فى اليوم التالى — بأن يسلم إلى عبد الناصر الرسالة التى وجهها إليه بورقيبة ، والتى نشرت تونس فى يوم ٢٩ ونصها :

« أن المشروع الذى أقترحته إنما يهدف إلى إخراج إسرائيل وإلى قلب موازين القوى وكسب التأييد من قبل الرأى العام العالمى لقضيتنا وهو لا يختلف فى مبدئه عن الوضع الذى أشرتم إليه باختصار فى تصريحاتكم التى أدليتم بها حديثا إلى إحدى المجلات الفرنسية » .

وقد أدت أعمال العنف التى وقعت فى كل من تونس والقاهرة إلى عقد اجتماع جديد لممثلى رؤساء الدول العربية ، امتنعت تونس عن حضوره ، وتم هذا الاجتماع فى القاهرة فى يومى ٢٨ ، ٢٩ من إبريل . وصدرت فى نهاية الاجتماع قرارات ندد « بكل من ينادى بالاعتراف بإسرائيل أو الصلح معها أو التعايش معها » . وجددت هذه القرارات تشجيعها وتأييدها للقيادة العربية الموحدة ولمنظمة التحرير الفلسطينية وأكدت القرارات السابق إصدارها الخاصة بتحويل فروع نهر الأردن . ولكن المندوبين لم يوافقوا الشقيرى فيما طلبه باستبعاد تونس من عضوية الجامعة العربية ، حيث اعترض كل من المغرب وليبيا ولبنان والعربية السعودية إلى الالتجاء إلى مثل هذه الإجراءات القصوى (١) .

وفى الجانب الإسرائيلى أعلن أشكول رئيس وزراء إسرائيل آنئذ تأييده الرسمى للتصريحات التى سبق صدورها من وزرائه . ورفضه لمشروع بورقيبة ، وأعرب فى الوقت نفسه عن اغتباطه لكون واحد من أهم الرؤساء العرب قد أخذ يتحدث لأول مرة عن السلام وعن الصلح ، وبعد خمسة عشر يوما

---

(١) أحمد الشقيرى ، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء : مرجع سابق ص ٢١١ .

من ذلك التاريخ وقف أشكول فى الكنيست يلقى خطابا عرض فيه بدوره مشروعا يرمى إلى حل مشكلة فلسطين ، وكان العنصر الأساسى فى هذا الحل المقترح هو تخفيض النفقات العسكرية عن طريق تحديد التسلح تحت الرقابة المتبادلة ، ثم تخصيص الموارد المتحصلة عن هذا الطريق لتوطين اللاجئين الفلسطينيين فى « مواطنهم القومية الطبيعية » ، أى فى البلاد العربية .

وكان نصيب هذه المقترحات التى تقدم بها أشكول الرفض أو التجاهل من قبل الحكومات العربية ، وأجمعت الصحافة العربية بما فى ذلك وكالة الأنباء التونسية ، على التنديد بهذه المقترحات حيث كانت تتضمن أيضا مفاوضات مباشرة بين الموقعين على معاهدات الهدنة المبرمة فى عام ١٩٤٩ وعلى أساس من احترام سلامة أراضى كل من المتفاوضين ، وقال أشكول أيضاً :

« قد تحدث بطبيعة الحال تعديلات إقليمية صغيرة يتم الاتفاق عليها تبادليا بين الأطراف المعنية ، وذلك فى المواقع التى تؤدى فيها هذه التعديلات إلى تيسير الحياة اليومية على السكان » .

كذلك عرض أشكول على الأردن مناطق حرة لها فى الموانىء الاسرائيلية الواقعة على البحر المتوسط ، مع تعاون اقتصادى عام وأبحاث مشتركة تجرى من أجل إزالة ملوحة مياه البحر وغير ذلك .

وفى اليوم التالى أعلن موشى ديان أن المشروع سوف يشتمل أيضاً على التنازل لصالح الأردن عن ممر أرضى يصلها بمنطقة غزة بحيث تحصل بذلك على منفذ إلى البحر المتوسط(١) .

---

(١) Merlin, Samuel, The Search for reace in the Middle East : The story of bcnrgniba›s compaign for a Negotiated peacc between Israel aud Arabe states.

وفى يوم ١٨ من مايو رفضت الأردن مشروع أشكول هذا ، وكان رفضها هذا ضمن تصريح مقتضب صدر عن وزير الاستعلامات قال فيه :

« إن مشكلة فلسطين هى مسألة مبدأ وليست مسألة مصلحة ، وأن الأردن لا تعترف للصهيونية بوجود فى فلسطين » .

وهكذا فشلت فى شهر مايو من عام ١٩٦٥ المحاولة التى قام بها الرئيس بورقيبة والمحاولات الأخرى التى تولدت عنها ، ولم يبق من مبادرة الرئيس التونسى غير ذكرى الغضبة الكبرى التى اجتاحت العالم العربى بسببها ، وسوف تكشف السنوات المقبلة عما إذا كانت هذه الظواهر حقيقة ، وأن هذا الأسلوب الواقعى فى تناول مشكلة فلسطين للمرة الأولى من الجانب العربى كفيل بأن يغير مسلك رجال آخرين من بين ساسة الدول العربية ، بل أن المرء ليتساءل عما إذا كان عبد الناصر نفسه لم يستوح هذا الاتجاه فى الخطاب الرنان الذى ألقاه يوم ٣١ من مايو ١٩٦٥ أمام المؤتمر الفلسطينى فى القاهرة والذى ندد فيه « بانهزامية » الرئيس بورقيبة ، واستعمل فى نفس الوقت أسلوبا لا يختلف كثيراً عن الأسلوب الذى تحدث به الرئيس التونسى فقد جاء فى الخطاب قول عبد الناصر :

« ليس فى استطاعتنا بحال من من الأحوال اتباع طريق المزايدات .. وإذا كنا اليوم لانستطيع تحويل روافد نهر الأردن ، فاننا نقترح تأجيل تنفيذ هذه الأشغال حتى يحين الوقت الذى نصبح فيه قادرين على توفير الحماية لها . يجب أن نكون — مع أنفسنا(١) صرحاء »

فهل كان عبد الناصر صادق الفراسة ؟ بل هل كان عبد الناصر صادقاً فيما يقول ؟ وهل هذا الأسلوب يختلف عما تحدث به الرئيس بورقيبة ؟ .

---

(١) ج . ع . م — مصلحة الاستعلامات : مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر — القسم الخامس ص ص ٤٢٧-٤٢٩ .

والسؤال الأهم هو لماذا أقدم الرئيس بورقيبة على المخاطرة باثارة غضب زملائه العرب حينما تدخل فى موضوع لا علاقة له مباشرة بتونس — والتى تعتبرها إسرائيل من دول الهامش ؟

لقد افترض فى أول الأمر إنه إنما قام به بناء على طلب من عبدالناصر — على حد قول أحد الباحثين(١) الذى أراد منع أو تأجيل اندلاع مسلح فى الوقت الذى لايستطيع فيه ، باعتباره زعيم القومية العربية ، أن يتحدث عن إمكان إجراء مفاوضات مع الإسرائيليين ، وقد تأيد هذا الافتراض بالعديد من الملاحظات ، منها : المحادثات التى جرت بين رئيسى الدولتين قبل يومين من خطاب بورقيبة فى اريحا وكان الطابع البادى عليها هو طابع الود والتفاهم ، ثم امتناع الصحافة المصرية عن التعليق على التصريحات الأولى التى صدرت من الرئيس بورقيبة فى هذا الشأن ثم أخيرا قيام عبد الناصر فى الوقت نفسه الذى كان فيه الرئيس التونسى يدلى بآرائه حول فلسطين ، باعطاء إحدى المجلات الفرنسية حديثاً لم يشر فيه بطبيعة الحال إلى المفاوضات ، وإنما ملمح ضمنا بأن تنفيذ القرارات التى أصدرتها هيئة الأمم المتحدة قد يؤدى إلى نوع من التعايش السلمى ، وتفصيل ذلك أن عبد الناصر ذكر أن الأمم الأفرو آسيوية فى مؤتمر باندونج قالت إنها تعتبر نفسها قانعة إذا ما طبقت قرارات الأمم المتحدة هذه والدول العربية موافقة على هذه النقطة ومعنى ذلك أن عبد الناصر يرى أن تطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة الصادرة فى ٢ ديسمبر عام ١٩٤٨ — ونعنى به القرار رقم ١٩٤ — لن يزيل إسرائيل وإنما سوف تبقى رغم ذلك دولة إسرائيلية قائمة فى وسط العالم العربى (٢) .

---

(١) Aleum, Jean Pierre : op. cit. p. 414

(٢) جريدة « رياليتيه » أبريل عام ١٠٦٥ رقم ٢٢١ .

جريدة « لوموند » بتاريخ ١٦ ابريل عام ١٩٦٥ .

مجلة جون افريك بتاريخ ١٨ من أبريل عام ١٩٦٥ .

على أن تسلسل الأحداث جاء فى مظهره مكذباً للافتراض الأول إما الافتراض الثانى وهو متعارض تماماً مع الأول فيستند إلى رغبة بورقيبة فى زيادة نفوذه وهيبته عن طريق عمل جرئ يقوم به ويحتل بوساطته مركزاً يستطيع منه أن يكشف عن نزعة التسلط والتحكم لدى عبدالناصر، وإذا كان لهذا التفسير نصيب من الصحة ، وجب علينا أن نعترف بأن بورقيبة لم يوفق كل التوفيق فيما قصد إليه حيث لم يتلق أى تهنئة من الولايات المتحدة ، وأن كان قد لاح فى الأفق مسحة من الرضاء الأمريكى على بورقيبة انعكست فى تصريح الناطق بلسان وزارة الخارجية الأمريكية قائلا(١).

« إن الولايات المتحدة ترحب بكل مبادرة يكون الغرض منها إيجاد حل دائم وسلمى للخلاف الناشب بين إسرائيل والبلاد العربية... وأن الطريقة الصريحة التى استخدمها الرئيس بورقيبة فى مواجهة هذا الموضوع لمما يسمح بقيام الأمل فى أن تتخذ مبادرات جديدة من أجل الوصول إلى تسوية لهذه المشكلة ... لقد أعرب الرئيس التونسى عن بعض المقترحات التى يمكن أن تصبح أساساً للمفاوضات على أنه من المحتمل (٢) أن يكون الرئيسان بورقيبة وعبد الناصر قد التقيا فى أثناء محادثاتهما فى القاهرة حول ضرورة إعادة النظر فى الاستراتيجية الفلسطينية على ضوء من الواقعية .

وبالرغم من أننا ليس لدينا الوثائق – باستثناء الوقائع التى يسردها الشقيرى مع الملوك والرؤساء العرب – وهى من جانب واحد – وبالتالى

(١) جريدة لوموند بتاريخ ٢٥ من أبريل عام ١٩٦٥ .

(٢) Aleum, Jean Pierre : juifs et Arabes, op. cit, p. 415.

Merlin, Sumuel, The search for peaee In the Middle East, op. cit. p. 81.

لا تتيح لنا الاعراب عن رأى أكيد بهذا الصدد ، غير أنه من المؤكد أن فرضنا بإعادة النظر فى الاستراتيجية الفلسطينية من وجهة نظر عبد الناصر فى هذه الفترة يعتبر قائماً .

أما تفسير ما حدث بعد ذلك فهو معروف حيث حدثت الملابسات السياسية المختلفة التى لاعلاقة لها بالموضوع مما حمل بورقيبة على تجاوز ماتم الاتفاق عليه من قبل وما دفع بعبد الناصر إلى انكار ماسبق أن وافق عليه ، ومن بين هذه الملابسات المختلفة يجب بالتأكيد ذكر امتناع بورقيبة عن السير وراء مصر فى تطبيق إجراءات القمع ضد المانيا .

وهناك أيضاً تفسير آخر لهذا الموقف من قبل الرئيس بورقيبة تدل عليه سوابق له قد ينساها البعض أو يتجاهلها الآخرون ، ذلك أن بورقيبة فى الواقع لم يفعل سوى الافصاح علنا فى عام ١٩٦٥ عن رأى له سبق أن أبداه فى أحاديثه الخاصة منذ عشر سنوات حين قال أنه يجب على إسرائيل وعلى الدول العربية أن تبحث فيما بينها عن الحل لجميع المشكلات التى تسبب الفرقة بينهما وأن تدخلا من جانبى فى ذلك ليس بالأمر المستبعد ولكن هذا التدخل ليس اليوم موعده وإنما موعدة بعد أن تستقل تونس .

وعموما — فمهما قيل فى تفسير « قنبلة السلام التونسية » التى أطلقها الرئيس بورقيبة فقد تفاوتت ردود فعلها حقاً ففى الوقت الذى جاءت فيه هذه القنبلة تمثل صدمة للرأى العام العربى وقيام المظاهرات من بغداد إلى القاهرة تطالب برأسه ، فى هذا الوقت أيضاً طالبت الصحافة الأمريكية والأوروبية بمنحه جائزة نوبل للسلام(١) .

---

(١) Merlin, Samuel, The Search for peace in the Middle East, The story of Bourguiba's compaign for a Negotiated peace between Israel and Arab states (Thomas Yoreloff, New York 1958) pp. 29-31.

والخلاصة أن الرئيس بورقيبة لم يفرض فكرة وحدة الأمة العربية بل اعتبرها مجرد أسطورة فى الوقت الذى اعتبر فيه إسرائيل« حقيقةتاريخية» كذلك أدت قنبلة السلام التونسية بالفعل إلى اهتزاز العلاقات العربية بشدة وازدياد انقسامات الجبهة العربية انقساماً على انقساماتها(١) .

مؤتمر القمة العربى الثالث وردود فعله :

فى يوم ١٧ من مارس ١٩٦٥ انتشرت الأنباء فى أرجاء الوطن العربى بأن المشروع العربى لتحويل روافد الأردن الذى أقره الملوك والرؤساء فى مؤتمر القمة الثانى قد ضربته إسرائيل ، وكان ذلك أول تحـــد عسكرى صارخ واجهته الدول العربية بعد مؤتمر القمة الأول فى القاهرة ، والثانى فى الاسكندرية ، وفى نفس الوقت كان ذلك أول تحد فاصل واجهته القيادة العربية الموحدة التى ألقى عليهـــا عبء الحماية العسكرية لتحويل الروافد .

وتساءل الرأى العام العربى آنئذ .. أين مؤتمرات القمة وقراراتها ، أين الاستعدادات العسكرية ، أين القيادة العربية الموحدة .. أين أين(٢)؟ .

وإزاء هذه التمنيات والتساؤلات راحت الأجهزة العربية الرسمية كعادتها ، ترغى وتزبد ، وترسل التصريحات جزافا .

ومن المصادفات الحزينة أن مجلس الجامعة العربية كان مجتمعا فى دورته العادية فى نفس الشهر ، ونظر فى التقرير المقدم من الحكومة السورية بصدد العدوان الإسرائيلى .

---

(١) Brecher, Michael, The Foreign policy system of Israel, op. cit. 93.

(٢) أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ص ٢٥ - ٣٩ ..

غير أن قرار المجلس الذى صدر بالإجماع واحتوى مزيدا من العبارات الإنشائية البليغة التى تصدرها الجامعة العربية فى مثل هذه المناسبات ، جاء هذا القرار هزيلا – رغم خطورة توصيته – فلم تنفذ أى من الدول العربية ، وجاء القرار ليزيد الرأى العام العربى غضبا على مؤتمرات القمة وعلى الملوك والرؤساء وعلى القيادة العربية الموحدة ، وهنا جاءت الفرصة الذهبية لحزب البعث (١) فى دمشق ليعلن عن عدائه التقليدى لعبد الناصر ، وكان عبدالناصر آنئذ يتمسك بسياسة المخاطرة المحسوبة التى اتبعها من قبل ، وكان مدركا تماما للأوضاع العربية وأحوالها البادية الوهن والضعف رغم ما أحرزه التنظيم العربى المشترك من تقدم كان فى أغلبه على الورق فقط ذلك أن نصف الجيش المصرى كان مقيد الحركة فى اليمن ، والجيش العراقى كان يخوض غمار حرب غير محققة النتيجة ضد الأكراد والفيلق العربى كان يعيد تنظيم قواته والجيش السورى كان فى حالة شلل من جراء أوضاعها السياسية والاقتصادية المتعثرة ، وبالإضافة إلى ذلك فكان هناك فى إسرائيل من يرى أنه مادامت الشروط اللازمة لشن الحرب يمكن أن تجتمع بعد سنة مع التحويل الفعلى لمنابع نهر الأردن ، فإن من الخير بدء القتال فورا ، حيث كانت الملابسات مواتية جدا ، وكان المعبر عن آراء أنصار الحرب هؤلاء هو موشى ديان وقد بلغت الحملة التى شنوها من أجل انجاح وجهة نظرهم من الخطورة حداً جعل رئيس الولايات المتحدة يسرع بإرسال أفريل هاريمان سفيره فى المهام الكبرى إلى القدس فى الأيام الأخيرة من شهر فبراير .

ولم يصدر أى بيان على أثر الأيام الخمسة التى قضاها هاريمان فى إسرائيل وإن كان ماكنمارا وزير الدفاع الأمريكى آنئذ قد صرح خلال النصف الثانى من شهر فبراير ، قائلا :

« أن نزاعا قد ينشب فى أية لحظة فى الشرق الأوسط بسبب مياه نهر

---

(١) وذلك قبل تولى الفريق حافظ الأسد زمام القيادة فى سوريا .

الأردن » وعلى أى حال فقد قضى أفريل هاريمان فى القدس المدة مابين ٢٧ من فبراير و٣ من مارس . ومن المحتمل- كما يرى بعض الباحثين-(١) أن يكون قد طلب إلى الحكومة الإسرائيلية ألا تبدأ الحرب بطريقة تلقائية فى حالة تحويل منابع نهر الأردن وعلى كل حال ، ألا تتخذ أى قرار فى هذا الشأن إلا بعد التفاوض مع الحكومة الأمريكية ».

غير أن قادة اسرائيل شرعوا يكاشفون الرأى العام الإسرائيلى والعالمى على السواء بالموقف الصارم الحازم : يجب اتخاذ إجراءات عسكرية لمنع الدول العربية من تنفيذ برامجها الخاصة بتحويل روافد نهر الأردن « وهذا مادعا إليه علانية موشى ديان بالرغم من أنه لم يكن يومئذ (٦٥/٣/٢٦) إلا مواطنا إسرائيليا ورئيس الأركان العامة للجيش الإسرائيلى السابق .

وصادف فى تلك الفترة أن كان أشكول رئيس وزراء إسرائيل وقتئذ فى زيارة لبريطانيا ، فأعلن فى حديث نقلته الإذاعة البريطانية فى ٦٥/٣/٢٩ إنه : « إذا أقدم السوريون على تنفيذ مشاريعهم الحالية فى تحويل المياه التى تصفى بحيرة طبرية فاننا سنعتبر ذلك بمثابة عدوان إقليمى ، وسنرد بما هو مناسب ، وستلجأ إسرائيل إلى جميع الإجراءات لتحول دون ذلك ».

وتجاوبت جولدا مائير مع هذا التهديد ، فأعلنت هى الأخرى أمام الكنيست أن الحكومة الإسرائيلية » مصممة على السماح لعرقلة المشروع الإسرائيلى لتحويل مياه نهر الأردن .

وفى سوريا ، شددت أجهزة الإعلام والصحافة السورية من هجومها على عبد الناصر وأخذت تكيل له الاتهامات لأنه لم يدفع بطائراته إلى تل أبيب انتقاماً للغارة الإسرائيلية على المواقع السورية التى كان يجرى فيها

---

(١) Aleum, jean Pierre : juifs et Arabes - 3000 ans D'Historre, op. eit, pp. 403-405.

مشروع تحويل الروافد ، وأخذت الصحافة المصرية هى الأخرى تندد بسياسة المزايدات التى يتبعها حزب البعث الحاكم فى سوريا .

وكان الرئيس اللبنانى شارل حلو فى زيارة للقاهرة فى أول مايو ١٩٦٥ وأثار مع عبد الناصر مخاوف لبنان من العدوان الإسرائيلى ، وتناول عبد الناصر الموضوع بإسهاب منذ أن نشأت أزمة تحويل مجرى نهر الأردن . . وقال(١) :

« . . . نعمل إيه . . البعث فى سوريا هو أصل المشكلة . . المزايدات السورية اللى جابت لنا المشكلة . . موضوع نهر الأردن جزء من مشكلة فلسطين ، ومشكلة فلسطين محتاجة لوقت طويل واستعداد كبير ، البعث عاوزنى أحرر فلسطين . . أنا ما أقدرش أحرر فلسطين . . البعث طرح شعاراً لتحرير فلسطين . . اليوم قبل الغد . . قبل ما نصنع طائرات ودبابات ما نقدرش نحرر فلسطين . . لكن نعمل ايه . . البعث عاوز يحكم سوريا . . ويحكم البلاد العربية . . أخيراً عقدنا مؤتمرات القمة ، واتفقنا على كل حاجة . . إسرائيل أخيراً ضربت مواقع العمل السورية . . صاحت سوريا . . لازم نهاجم . . أنا بأقول نحن لا نقدر أن نهاجم . . يمكن لا نقدر أن ندافع فى الظروف الراهنة . . لازم نكمل استعدادنا . . . » .

ولم يكد شارل حلو يغادر القاهرة إلى باريس ليبدأ مباحثات مع الرئيس ديجول حتى راحت إسرائيل تصعد الأزمة .

وجاء دور الاتحاد السوفيتى ، فنطق الكس كوسيجين بكلام ساخن بعض الشئ يقول فيه : « إن اتفاق المصالح الاستعمارية والإمبريالية الغربية تجعلنا لا نستبعد حرب سويس ثانية . » وأن هذه الحرب إذا قامت فلن تقتصر على الجمهورية العربية المتحدة وحدها ، ولكنها ستشمل المنطقة بأسرها وخاصة

---

(١) أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ص ٤٢ — ٤٣ .

الدول العربية .. وأن الاتحاد السوفيتى يؤيد الجمهورية العربية المتحدة بكل إمكاناته ، وأنه مستعد لتقديم كل المساعدة الممكنة لها » .

وكان لفظ المساعدة(١) الممكنة « لا يتناسب مع المساعدات الأمريكية غير المحدودة لإسرائيل ،وعموماً فقد نفذت إسرائيل تهديداتها حيث تعرضت سوريا لأربعة اعتداءات جديدة فى منطقة الدكة قريباً من خطوط الهدنة العربية الإسرائيلية .

وفى مثل هذا الجو المأزوم المحموم هرول رؤساء الحكومات العربية إلى القاهرة فى ١٩٦٥/٥/٢٦ لعقد ما يسمى بمجلس رؤساء الحكومات العربية ، وبدأت الاجتماعات لتشهد تبخر المشروع العربى لتحويل مجرى الأردن ، وتعثر عمل القيادة العربية الموحدة ، وأخذت هيئة المشروع تشكو من توقف العمل فى سوريا ولبنان ، وتقدمت القيادة العربية الموحدة تشكو هى الأخرى من الدول العربية امام تنفيذ المطالب العسكرية وتقدمت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تشكو عدم الوفاء بالالتزامات المالية .

وساد الاجتماعات السرية كلام مفجع ، وذلك بعكس ما أعلنته أجهزة الإعلام والصحافة العربية للرأى العام العربى من أن العمل فى خطة الملوك والرؤساء العرب يسير قدماً بعزم أكيد فى جميع الميادين . . . وأن الأمة العربية ماضية فى سبيلها قدما » .

---

(١) اعتمدنا فى هذه الجزء الدراسة على : مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد الشقيرى القاهرة ١٩٧٥/١/١٥ .

أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء مرجع سابق ص ص ٤٣-٤٩ .

أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء : مرجع سابق ص ص ١١٠ ، ٢١٢-٢٧٤ — أحمد الشقيرى : حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء : دار العودة ، بيروت ص ٧٥-٨٥ .

وهذه عينة من الكلام المفجع الذى قيل فى هذه الجلسات :

فقد ذكر الدكتور نور الدين الأتاسى فى رده على [السيد / زكريا محي الدين الذى كان يرى ضرورة التفريق بين الاعتداءات الإسرائيلية المحدودة والاعتداءات الشاملة . وقال الأتاسى فى رده : « الاعتداء اعتداء هذا ما نفهمه فى سوريا » .

كذلك فقد وقعت مشادة بين الفريق على على عامر والعقيد فهد الشاعر رئيس الأركان السورى عما إذا كانت القيادة العربية الموحدة لجنة استشارية للدول العربية أم هى خلاف ذلك :

أما وصفى التل — الذى أصبح رئيساً للوزراء وطلب إليه الملك حسين فى « كتاب التكليف السامى » أن يمضى قدماً فى حمل « رسالة الثورة العربية الكبرى ليكون الأردن خط الدفاع الأول عن دنيا العرب و ... و ... » فقال أنه لا يوافق على دخول القوات العراقية والسعودية إلى الأردن إلا بعد أن تستكمل القياده العربية الموحدة استعداداتها العسكرية « وهنا قال اللواء عبد المنعم رياض أن دخول القوات العراقية والسعودية إلى مراكزها المحددة لها فى الأردن هو جزء من الاستعدادات العسكرية وأن معارضة الأردن تعطل كل خططنا العسكرية وتعرض موقفنا للخطر ، ولم يقنع السيد وصفى التل بهذا الجواب ، وراح يفند أقوال اللواء عبد المنعم رياض مستعملا بعض التعابير العسكرية مثل : الحشد ، التعبئة ، مركز القوة ، الالتفاف ، غير أنه فى بداية الجلسة السرية التالية طلب السيد وصفى التل الإذن بالكلام حيث قال « إن وحدات من الجيش الإسرائيلى قامت ليلة ١٩٦٥/٥/٢٨ بغارات شملت قرية المنشية فى شمال الأردن ، وجنين وقلقيلية » وأضاف قائلا :

« إن الأردن مستعد لرد مثل هذه الاعتداءات ، ونحن لسنا كغيرنا — معرضاً لسوريا — ونحن قادرون أن نرد الصاع صاعين » .

وهنا قال السيد / أحمد الشقيرى :

« منذ أن وقعت اتفاقية الهدنة فى عام ١٩٤٩ لا أعلم أن الأردن قد رد على إسرائيل فى غارة واحدة .. انتقاماً لآلاف الغارات التى شنتها إسرائيل » .

وقاطعه السيد وصفى التل قائلا أن رقم « آلاف » مبالغ فيه كثيراً ، وهذا هو أسلوب منظمة التحرير ، فرد عليه الشقيرى قائلا :

« إن معى الآن كشفاً مؤرخاً ١٠/٤/١٩٦٥ موقعاً من المقدم محمد داود رئيس الجانب الأردنى فى لجنة الهدنة المشتركة يذكر فيه :

« إن إسرائيل أطلقت النار على الأردن ١٣٧٥ مرة ، واجتازت قواتها خط الهدنة ١٧٢ مرة ، وحشدت قواتها على الحدود ٧٤ مرة ، وطردت السكان العرب من إسرائيل إلى الأردن ٧٧ مرة ، واعتدت على مدينة القدس ٥٣١ مرة وقامت باعتداء جوى ٤٢٩٩ مرة . . . » .

وكان ما أجابه وصفى التل أن قال :

« نحن لا نريد أن ندخل فى حوار مع منظمة التحرير . . . » .

وهكذا طوى الموضوع مع الموضوع الكبير ، العدوان الإسرائيلى على سوريا .. وجرى تحويله على مؤتمر الدار البيضاء .

وفى الدار البيضاء عقد مؤتمر القمة العربى الثالث فى الفترة من ١٣ إلى ١٧ من سبتمبر ١٩٦٥(١) ، ومع أن المؤتمرين الأول والثانى عقدا خلال عام ١٩٦٤ إلا أنه لا يمكن فصل ما أسفر عنه هذان المؤتمران عن نتائج المؤتمر الثالث .

وقد بدأ المؤتمر باستعراض عام للموقف ، فتحدث عبد الناصر عن

---

(١) وقد حضر هذا المؤتمر ١٢ دولة عربية وامتنعت تونس عن الحضور .

استعداد الجيش المصرى تدريباً وتسليحاً وأفضى إلى الاجتماع بأنه عقد صفقة كبرى للسلاح مع السوفييت بما قيمته مائة مليون دولار. وأن مصر تعد نفسها للمعركة كما لو كانت وحدها ».

ثم تكلم أمين الحافظ عما أنجزته سوريا فى الميدان العسكرى وأن ٦٠ ٪ من ميزانيتها مكرس للجيوش ، وأن على الدول البترولية أن تؤدى واجبها كاملا وأن المال لن ينفع أصحابه(١).

وأسهب عبد السلام عارف فى المدى الذى وصل إليه الجيش العراقى من الاستعداد.

وتكلم الرئيس شارل حلو والملك حسين عن المصاعب التى تعترض أعمال تحويل الأردن واعتداءات إسرائيل المتكررة.

وتحدث بومدين عن تجارب الثورة الجزائرية وأن تحرير فلسطين لا يتم عن طريق الحرب النظامية وأن الوسيلة المثلى هى حرب العصابات.

وأشار الملك الحسن الثانى إلى الدور الكبير الذى يمكن أن تلعبه دول المغرب فى مشكلة فلسطين.

أما الملك فيصل فأشار فى عبارة موجزة بأن « لا ننسى دور العالم الإسلامى فى مشكلة فلسطين ونحن من جانبنا حاضرون للقيام بأى عمل نتفاهم عليه مع الدول الإسلامية ».

---

(١) وقد ضرب مثالا بديئاً لذلك حيث قال : إن المرء إذا مات لا يأخذ معه إلا قطنة تحشر فى...» هكذا كان الحافظ ينظر تارة إلى أمير الكويت وتارة إلى الملك فيصل ومرة ثالثة إلى ولى عهد ليبيا.».

ويذكر الشقيرى أنه أعجب جداً ببذاءة وشجاعة أمين الحافظ :

أحمد الشقيرى ، على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق، ص ٨١ .

وهنا رد عليه الشقيرى قائلا :

« أن العالم الإسلامى ذخيرة كبرى للمشكلة الفلسطينية . . وإنى أعلن باسم منظمة التحرير أننا نساند جهود الملك فيصل فى هذا السبيل . ولكننا نريده مؤتمرا إسلامياً حقيقياً يساند الأمة العربية فى انقاذ الديار المقدسة من أيدى إسرائيل » .

وكان مقدرا لهذا الحديث أن يكون هو الركيزة التى اعتمدها الملك فيصل فيما بعد للدعوة إلى مؤتمر للدول الإسلامية ، فكان مثارا لشجار كبير بين الرياض والقاهرة وعادد من العواصم العربية والرأى العام العربى على السواء .

وبدأت الجلسة التالية حيث تحدث فيها الشقيرى فعرض أولا موضوع الإقامة والسفر والعمل لأبناء فلسطين وشرح مايلاقيه أبناء فلسطين من المتاعب والقيود فيما يتصل بعملهم وسفرهم وإقامتهم وأن هذا لا يليق بالأخوة العربية ، وشرح بعض « المفجعات » فى هذا الصدد مثل السماح « للجثمان » باجتياز الحدود بين سوريا ولبنان وعدم السماح لأصحاب « الجثمان » بالمرور وختم الشقيرى فى النهاية بأن الجامعة العربية قد وضعت « بروتوكولا » لتنظيم شئون الفلسطينيين وهو يمثل الحد الأدنى من التسهيلات للشعب الفلسطينى .

ورد أمين الحافظ بأن سوريا تعامل الفلسطينيين كمعاملة السوريين سواء بسواء ، وتكلم الملك حسين بكلام مماثل ، أما الملك فيصل فقد تحدث غاضباً من هذه المعاملات المشينة التى يتعرض لها الفلسطينيون والتى لا تتفق مع الأخوة فى الدين ، أما الذين يمنعون من دخول المملكة أو يطردون منها فهى أمور متعلقة بالأمن »

على أن موضوع البروتوكول قد غرق فى خضم هذه « النخوات »(١)

---

(١) المرجع السابق ص ٩٠ .

والمفارقات وفى بحار من التحفظات وبقى البروتوكول من غير توقيع فى أوراق الجامعة العربية التى تحرق كل خمسة أعوام فى جملة ما يحرق من المهملات .

ثم تناول الشقيرى بعد ذلك موضوع الانتخابات العامة لاختيار مجلس وطنى تنبثق منه قيادة فلسطينية تكون مسئولة أمام الشعب الفلسطينى ، وطالب الشقيرى الملوك والرؤساء العرب تيسير ذلك للمنظمة ، ولم يرد عليه سوى الملك فيصل والملك حسين .

فاشترط الأول أن تتم الانتخابات بعيداً عن المنظمة وأن يتولى الإشراف عليها « القضاة الشرعيون » .

أما الملك حسين فكان يرى وجوب أن تكون أكثرية المجلس الوطنى الفلسطينى من الفلسطينيين الأردنيين .

وعموماً فان الملوك والرؤساء لم يتفقوا على صيغة موحدة تجاه ذلك « وزحلقوا » الموضوع بأن أوكلوه إلى المنظمة للاتفاق مع الدول العربية » .

ثم عرض الشقيرى مسألة التجنيد الإجبارى لأبناء فلسطين فى الأردن فعارض الملك حسين « لأسباب اقتصادية واجتماعية تعرفونها ولأننا لانريد أن نخلق حساسية بين فلسطينى وأردنى » ولم يتكلم أحد من الملوك والرؤساء العرب إزاء أصرار الملك حسين .

وأخيراً تعرض الشقيرى إلى إنشاء قوات فلسطينية إضافية . . سبعة كتائب صاعقة ، أربعة منها فى سوريا وثلاثة فى قطاع غزة وذلك بموجب خطة القيادة العربية الموحدة ، وقد قرر الملوك والرؤساء — على الورق طبعاً — تكليف القيادة الموحدة بالاشتراك مع منظمة التحرير

الفلسطينية في إنشاء القوات الفلسطينية المنصوص عليها في خطة الإنشاء » .

وهنا تحدث الفريق على عامر عن المال ، وطلب خمسة ملايين ونصف مليون جنيه استرليني فنظر الملوك والرؤساء العرب إلى وجوه بعض وقالوا دبر أمرك .. وفر ودبر .. فرد الفريق على عامر بأنه لا يوجد وفورات .

وبعد ذلك تحدث عبد الناصر عن خطة تحرير فلسطين وذلك بعد أن شرح الفريق على عامر المصاعب التي يواجهها مع السلطات السورية واللبنانية بصدد نقل القوات العربية وتدعيم الجبهتين السورية واللبنانية ثم شكا من موقف العناد الذي يقفه الأردن وأثر ذلك على الخطة العسكرية في مجموعها ثم تحدث تفصيلا عن العوامل الثلاثة في معركة التحرير : القوات العسكرية اللازمة ، الأموال الكافية ، التوقيت الملائم . . « وفي ستة أيام نكون قادرين على تحرير فلسطين » وكأنما نحن وضعنا الخطة وبادرت إسرائيل لتنفيذها ، ولكن نصراً لها وهزيمة علينا .

وتعاقب الملوك والرؤساء في الثناء على الخطة ثم تحدث الشقيري فقال(١) : « ليست هذه أول مرة توضع فيها خطة لتحرير فلسطين . . لقد عشت مؤتمرات سابقة وضعت فيها مثل هذه الخطة .. وأني أدعو الله أن نكون اليوم أمام الخطة الأخيرة ، ويتم تحرير فلسطين لتستريح الأمة العربية إلى الأبد ... المشكلة الفلسطينية كلفت الأمة العربية ثمنا غاليا من الرجال والجهود والأموال .. وأن الأرخص هو تحرير فلسطين ... ولو أنكم وضعتم على هذه المائدة نصف إمكاناتكم المالية وتقشفتم عاما أو عامين لاسترحتم من إسرائيل كل العمر » .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٣-٨٤ .

أما من ناحية إلتزام الشعب الفلسطيني المادى فقد رأى الشقيرى ضرورة فرض ضريبة التحرير على الفلسطينيين أينما كانوا بواقع ٣ — ٦٪ من دخولهم وبتسديد للدول العربية لتأخراتها المالية المستحقة لمنظمة التحرير وجيش التحرير الفلسطيني(١) .

وانتهى مؤتمر القمة على نغمات التفاؤل الحلوة وجاء دور القرارات العلنية للرأى العام العربي ، وكان أهم قرارات هذا المؤتمر « ميثاق التضامن العربي » القاضى بتحقيق التضامن في القضايا العربيا خاصة مسألة تحرير فلسطين وأحترام سيادة كل دولة عربية ونظامها الداخلى وفقاً لدستورها وقوانينها الداخلية واستخدام كل وسائل الإعلام في خدمة القضية العربية والمحافظة على المناقشة الموضوعية والنقد البناء فيما يختص بالقضايا العربية .

وفى تقييم مؤتمرات القمة العربية للثلاثة الماضية فإننا نجد أن الوقت قد مر عليها وهى تترنح فى الفضاء بين اليأس والرجاء ، وقد كان مؤتمر الدار البيضاء هو آخر مؤتمر للملوك والرؤساء ولم يعقد بعده مؤتمر القمة فى الجزائر كما تعاهدوا قبل أن يتفرقوا .

واتسمت فترة مؤتمرات القمة الثلاثة السابقة بعدم حل التنافس والاختلاف بين « الدول الثورية(٢) » ، وقد رأينا كيف دعت سوريا قبل وأثناء انعقاد المؤتمر الثالث إلى شن هجوم عسكرى عربي على إسرائيل اليوم قبل الغد(٣) ، وهذا يناقض ما كانت تؤمن به من مصر من ضرورة تدعيم الاستعدادات العسكرية العربية تمهيدا لخوض معركة مصيرية ضد إسرائيل ، كما أن التنافس بين سوريا والعراق ظل قائما .

---

(١) Kddi, Leila S. : Arab Summit Conferinces and the Palestine Problem op. cit, pp. 169–185.

(٢) Ibid, pp. 181–183.

(٣) Ibid, p. 180.

وفى الفترة التالية لمؤتمر القمة العربى الثالث برزت مرة ثانية جذور التناقض بين الدول العربية الملكية ، ووقفت مصر بصورة رئيسية وراء الجمهورية اليمنية ، وهاجمت مصر أيضاً بعض الدول « الرجعية » بسبب عدم قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية بعد اكتشاف مساعداتها العسكرية لإسرائيل(١) ، وفى مسألة التجمع أو الحلف الإسلامى أو المؤتمر الإسلامى الذى اعتبرته الدول الثورية « تكتلا رجعيا استعماريا لها(٢) » .

وفى هذه الفترة أيضاً أعلنت الأنظمة الرجعية « التمسك بسياسة مؤتمرات القمة ، ودعت للحفاظ على التضامن العربى(٢) » .

أما الدول « الثورية » فقد هاجمت سياسة مؤتمرات القمة العربية واعتبرت أنها سياسة انتهت لصالح العناصر الرجعية لأنها عودة إلى العمل العربى التقليدى إزاء تحرير فلسطين ، وأنها تضليل للشعب العربى وامتصاص لنقمته وتمييع لمشكلة فلسطين(٣) .

كذلك اتسمت فترة مؤتمرات القمة برفض الرأى العام العربى والجماهير العربية الحلول التى لا تتواءم وأهداف العمل الجماعى العربى آنئذ ، وتجاوبا مع هدف النضال القومى هذا رفض العرب اقتراحات الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة ، واتهمته الدول « الثورية » بالرجعية وأن مثل هذه الحلول هى وأد لتطلعات الجماهير العربية(٤) .

أيضاً اتسمت فترة ما بعد لمؤتمر القمة العربى الثالث بتوتر العلاقات

---

(١) Ibid, p. 146–162.

(٢) وهو ما سوف نتعرض له تفصيلا .

(٣) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٧ ص ص ٧٦ – ٨٣ ، ١١٨ – ١٤٢٠ .

(٤) المرجع السابق ص ص ٥١ ، ٥٩ ، ٣٤٦ ، ٣٠٧ – ٣٦١ .

وبالاختلافات والاتهامات المتبادلة والتشكيك فإذا كان هناك عدم رضا المملكة العربية السعودية والأردن – خاصة – على طلب مصر تأجيل مؤتمر القمة العربى الرابع المقرر عقده(١) ، فإن هناك قيام الأردن بشن هجوم إعلامى على الجمهورية العربية المتحدة .

وهناك أيضاً مسألة توتر العلاقات بين سوريا والأردن إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بعد أن اتهمت سوريا الأردن بتدبير انقلاب ضدها(٢) .

ورغم حالة التمزق التى سادت العالم العربى بالإضافة إلى حرب الجبهات العربية فقد حدثت فيما بعد أيام قليلة من التماسك وخصوصا على الجبهة العربية المواجهة لإسرائيل .

وعموماً فإن الحرب الباردة بين الدول العربية قد أصابت العمل العربى المشترك بأضرار بالغة بحيث بلغت المأساة قمتها حين بدأت الدول العربية فى تنسيق خططها وجهودها فيما بعد بدون جدوى .

وفيما يختص بالعمل الفلسطينى فقد انقسم إلى صيغتين إحداهما منظمة التحرير الفلسطينية التى سبق أن أوضحنا ظروف تكوينها والأخرى فتح التى نستعرض تكوينها وظروف عملها وأوضاعها المميزة فيما يلى :

حركة التحرير الفلسطينية « فتح »

ظروف تكوينها . . نشاطها الفدائى وردود الفعل :

تعنى كلمة فتح الحروف الأولى التى تتكون منها حركة التحرير الفلسطينية حركة تحرير فلسطين حيث تقرأ من اليسار إلى اليمين ، وفتح هى منظمة

---

(١) الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٦ ، مرجع سابق ص ص ٧٥٥ – ٣٥١ ، ٣٥٧ – ٣٦١ – ٣٩٤ .

(٢) السياسة الدولية – العدد ٨ أبريل ١٩٦٧ ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ١٩٨ .

سياسة فدائية فلسطينية أقامت تنظيمها على أساس الخلايا السرية منذ أواخر الخمسينات حيث أسسها ياسر عرفات وهانى الحسن وخليل الوزير ثم شاركهم زملاء آخرون ممن كانوا يدرسون مع ياسر عرفات بجامعة شتتوجارت ، وانضم بعد ذلك إلى منظمة فتح مزيد من الطلبة الفلسطينيين الذين يدرسون فى جامعات أخرى فى ألمانيا والنمسا .

وأخذ ياسر عرفات وزملاؤه يشرحون بالتفصيل مبادىء وعقائد حركة فتح وكان هدفهم الأول هو تحرير فلسطين وكانت جميع المشاكل العربية الأخرى تعتبر هدفا ثانويا وقرروا - على حد قول فريق من كتاب الإسرائيليين المعاصرين(١) - عدم الاعتماد على أى قائد عربى ، وأن على الفلسطينيين أنفسهم أن يحاربوا لتحرير وطنهم وأن السبيل لتحقيق ذلك هو ارغام الدول العربية على القتال وذلك بالعمل على تصعيد العداء بين العرب وإسرائيل .

وفى مصر كان الطلبة الفلسطينيون قد انتظموا فى اتحاد باسمهم فى القاهرة وإن كان هذا الاتحاد - قد خضع تماما للنفوذ المصرى وقتئذ .

أما فى ألمانيا فقد بقى الجزء الأكبر من أعضاء هذا الاتحاد وكان يتبع اتحاد ألمانيا فرع آخر له فى النمسا ، وبدأ طلبة فتح يسيطرون على فرع المنظمة ونجحوا فى الحصول على المراكز القيادية فيه .

وفى عام ١٩٦٤ أصبح لأعضاء الاتحاد فى ألمانيا السيطرة الكاملة على اتحاد الطلبة الفلسطينيين فى ألمانيا والنمسا واستقلوا به تماما من المنظمة المصرية الأم ، وعندئذ سجلوا أسماء عدة مئات من الطلبة فى منظمة فتح وكونوا خلايا تابعة لها فى كل الجامعات الكبيرة فى ألمانيا والنمسا ، وكذلك فى إيطاليا

---

(١) Kimch (David) and Bawly (Dan), The sandstorm, the Ara- BIsracli war of I997, Prelude and Aftcrmath pp. 1–2, 7 – 8,

وأسبانيا ويوغوسلافيا ؛ وكان السواد الأعظم من هؤلاء الطلبة يمارسون نشر مبادئهم بين الطلبة العرب هناك واقتصرت الأعمال الإيجابية الفدائية على ذوى الخبرة من الصفوة والتى كانت تتركز فى شتتوجارت .

كذلك كان رؤساء منظمة فتح قد اتجهوا منذ أوائل الستينيات نحو بكين وحصلوا على وعد بالمساعدة بل وانتظموا فى برنامج قاسى للتدريب على فنون حرب العصابات وأساليب القتال .

وبمجرد أن حصلت الجزائر على استقلالها ، أقيمت فيها معسكرات لتدريب الوطنيين من أفريقيا ، وأرسل قادة فتح كل من يرغب من الفلسطينيين إليها ، كذلك تم هناك إنشاء مكتب يسجل فيه أسماء الفلسطينيين الذين يرغبون فى الحصول على عمل بالجزائر .

وفى الكويت كان الفلسطينيون يشكلون نسبة كبيرة من عدد السكان ووافق أمير الكويت على إقامة معسكرات للتدريب .

وفى سوريا التى كان قد بدأ فيها الفلسطينيون نشاطهم منذ أوسط الخمسينات اتجه إليها ياسر عرفات لقربها من إسرائيل بالنسبة للفدائيين فضلا عن الحفاوة البالغة التى استقبل بها هناك ولسماح سوريا للفلسطينيين بالحفاظ على استقلالهم بل ومعاونتهم .

وقد لجأ قادة فتح إلى أحكام الأمن والسيطرة والاحتفاظ بسرية الحركة فأخذوا يعملون تحت أسماء مستعارة واتخذ ياسر عرفات لنفسه اسما مستعارا هو « أبوعمار » وذلك عقب العمليات الفدائية الأولى التى قامت بها فتح فى منتصف الستينات .

وهذا التحول الذى طرأ على حركة فتح من فلسطينيين مقيمين فى ألمانيا والجزائر والكويت إلى النشاط بين اللاجئين المقيمين فى الأردن ولبنان وسوريا

هو الذى جعل قادة فتح يغيرون من أساليبهم فى القتال ، وفى هذه الفترة لم يستطع قادة فتح السيطرة على جميع المتطوعين الفلسطينين وتجنيدهم واعداد الفدائيين منهم — أى من اللاجئين .

وقد مدت سوريا لمنظمة فتح يد المساعدة الفعلية وكونت منهم مجموعات منتشرة فى مدن ومعسكرات اللاجئين ، وقد تبنت سوريا فى الوقت ذاته حماية النضال العربى لتحرير فلسطين بالنضال ضد إسرائيل وهنا ظهرت فى الصورة منظمة فتح التى صار مبدأها طرح التساؤلات الخمس الآتية — كما يقول أحد قادتها(١) .

ماذ نريد ؟

وكيف ؟

وبمن ؟

ومن أين ؟

ومتى ؟

ومن الإجابة عليها تكونت العناصر الأساسية لنظرية فتح ، فقد قالت. أننا نريد التحرير.. وسيلتنا هى تحريك الوجود الفلسطينى ..وبعث الشخصية الفلسطينية محليا ودوليا من خلال تكوين المقاتل الفلسطينى الصعب العنيد القادر على تحطيم أسطورة المناعة الإسرائيلية .. ذلك يتطلب طليعة قادرة على استقطاب الجماهير الفلسطينية ومن خلفها كل الجماهير العربية فى طريق الثورة المسلحة وحشدها فيها لتكون قادرة بها على ٠

(ا) تجميد حركة نموالوجود الإسرائيلى الصهيونى.

---

(١) فتح : الميلاد والمسيرة ، حديث مع كمال عدوان — مجلة شئون فلسطينية رقم ١٧ كانون الثانى (يناير) ١٩٧٣ — إصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ص ص ٤٧ - ٤٩ .

(ب) تقطيع هذا الوجود .

(حـ) تصفية الدولة رمز هذا الوجود .

(د) اعادة بناء الدولة الفلسطينية حرة ديمقراطية وهكذا مارست فتح عملها الفدائى ضد إسرائيل منذ عام ١٩٦٥ بفكر وأسلوب سياسى وعسكرى يخالف التيار السياسى العربى السائد آنذاك بخصوص التعامل مع المشكلة الفلسطينية .

وفى مصر — لم يكن عبد الناصر مستعدا لمثل هذا التعامل مع إسرائيل بهذا الأسلوب ، بمعنى أن عبد الناصر لم يكن مستعدا لشن مثل هذه الحرب حيث كان يتجنب نارا قد يشتد أوارها فلا تبقى ولا تذر ، وكان يعرف نقطة الضعف ، وهى أنه من الجنون حينئذ استفزاز اسرائيل للقتال قبل استكمال الجيش المصرى ليصبح قادرا على إبادة إسرائيل خصوصاً وأن نصف الجيش المصرى مشغول فى اليمن وهذا ما جعله يلتزم الحرص والحذر فى معالجة المشكلة الفلسطينية .

غير أن مبادرة فتح إلى شن عملياتها الفدائية ضد إسرائيل قد فجرت الكثير من الجدل والاختلاف ، وليس هذا منعزلا عن صراعات وتنافس الدول العربية .

فمن جانب أوضحت فتح فى البيان السياسى الأول الذى أذاعته القيادة العامة لقوات العاصفة .

أن مخططاتنا فى الميدانين العسكرى والسياسى لاتتعارض مع المخطط الفلسطينى والعربى الرسميين فى المنطقة ، لأن الكفاح من أجل فلسطين يصب فى مجرى واحد يبتدىء وينتهى باجتثاث الخطر الصهيونى من على أرضنا(١) .

---

(١) حركة التحرير الفلسطينى « فتح » : مشاعل الثورة على درب العودة ، ط ١ ١٩٦٥ — ١٩٦٦ ص ١٥ .

وفى جانب آخر فقد كشف رئيس الحكومة اللبنانية فى تصريحة أمام لجنة الشئون الخارجية فى البرلمان اللبنانى فى ١٨/٦/١٩٦٥ عن موقف لبنان من عمليات فتح الفدائية قوله .

« أن القائد العام للقيادة العربية الموحدة يعتبر أن حركة الفدائيين ليست فى مصلحة المشكلة الفلسطينية ، وأن عبء تحرير فلسطين لا يمكن أن تتحمله الا الجيوش العربية النظامية » .

كما أجاب وصفى التل رئيس وزراء الأردن آنئذ على ماقيل حول منع الفدائيين من المرور إلى إسرائيل .

« أن هذا القرار اتخذ فى مؤتمر القمة ، وأن القيادة العربية الموحدة قد أرسلت لنا ولجميع الدول العربية المحيطة باسرائيل عشرات التعاميم حول هذه النقطة(١) » .

وقد تقدمت فتح بمذكرة إلى مؤتمر القمة العربى الثالث قالت فيها(٢) أن فتح هى مجموعة من الشباب الذين عقدوا العزم على استرداد وطنهم فى معركة شرف حقيقية بعد أن هدهم الشوق إلى أرضهم وصل بينهم وبين الجهاد الذى يتوقون إليه . وقالت أنها منذ انتهجت الكفاح المسلح خطا لهم عرفت وعرفت ومعها الجماهير أن :

« الرصاصة فى ظروف تاريخية معينة ، تعنى ظروف التحرير ، هى التى تفعل وتقرر وتقوض الظلم وتبنى الأوطان » .

وأضافت المذكرة قائلة أن الوقت فى صالح إسرائيل وأن طبيعة الحكم والأوضاع الداخلية فى الدول العربية يجعلها تميل إلى المعركة إلى ما لا نهاية ولذا فإن . ٥ « . . . . المعركة يجب أن تكون اليوم لا غداً . . » .

---

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ — مرجع سابق ص ص ٥٤٤-٥٤٦ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠٣-١٠٦ .

وقالت المذكرة أيضاً : « إن فلسطين هى طريق للوحدة العربية » ذلك أن معركة تحرير فلسطين ستكون قادرة على حل تناقضات العرب وتجميع كافة طاقات الأمة العربية ، وأعلنت أنها على استعداد للتعاون والتنسيق مع أى جبهة عربية تنوى العمل لتحرير فلسطين على أن تبقى القيادة فى أيدى الفلسطينيين .

وطالبت المذكرة الدول العربية بالكف عن ملاحقة قوات الصاعقة وقهر أفرادها وإطلاق حريتها فى العمل ، ورفع الحظر المضروب فى العالم العربى على نشر أنباء عمليات العاصفة بناء على توصية القيادة العربية الموحدة .

ثم انتقلت مذكرة فتح إلى نقطة ثانية ، فقالت أنها حاولت أن تكون إيجابية مع منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكن تبين لها أن المنظمة هى « وليدة مؤتمر القمة ، سترث عن هذا المؤتمر دمه ولحمه ، وسوف تنعكس عليها طبيعة التناقضات التى تكشف عنها فيما بعد . . . وأن المنظمة بصرف النظر عن طبيعة إعدادها للمعركة المقبلة ، إنما تهيئ نفسها لمعركة بعيدة المدى ، وليس من طبيعة عمليات الإعداد الجارية فيها ما ينبئ بالاستعداد لمعركة قريبة وهذا وحده لا يتفق مع منطقنا . . . . » .

وطالبت المذكرة بعد ذلك بلقاء القوى الفلسطينية على أرض المعركة .

منظمة التحرير الفلسطينية والاستقطاب العربى :

صدر البلاغ الختامى لمؤتمر القمة العربى الثالث ليؤكد أن القيادة العربية المشتركة سوف تدخل عليها تحسينات ، وأن منظمة التحرير الفلسطينية وجيشها سوف تزداد قواتهما ، وأن أشغال التحويل سوف تستمر وفقاً للتصميمات الموضوعة لها ، وأن الدول العربية سوف توحد نشاطها فى داخل هيئة الأمم المتحدة ، وفى محافل العالم الثالث من أجل الوقوف فى وجه كل محاولة ترمى إلى « تصفية قضية اللاجئين » .

وهكذا جاء التعريف بالاستراتيجية العربية الجديدة التى سوف ينتقل

مجال تطبيقها من منطقة الحدود ومن حوض الأردن إلى مجال آخر أكثر سلاماً، وهو مجال المنظمات الدولية . وكان فى ذلك تطور متفق، فى مجموعه، مع المقترحات التى صدرت عن الرئيس بورقيبة ، ذلك الرجل الغائب عن جلسات المؤتمر ، ورغبة من المؤتمرين فى تجسيد وحدة العمل السياسى التى تقررت فيما بينهم ، وقعوا جميعاً على ميثاق للتضامن العربى بتاريخ ١٦ من سبتمبر ١٩٦٥ .

غير أن رؤساء الدول العربية الموجودين فى المؤتمر أرادوا أن يتخلصوا بكرامة من المأزق الفلسطينى الذى أمامهم فعمدوا بعد النص على بعض البنود الكلامية التى لا تقدم ولا تؤخر ، إلى قصر مطامعهم الفلسطينية على أهداف محدودة، بل ولم يراعوا فى صياغتهم لهذه الأهداف ما إذا كانت قابلة للتحقيق من عدمه، ويرجع سبب ذلك إلى أن العالم العربى ، ولما ينقض عليه عام كامل بعد فرحة المؤتمرين السابقين، كان فى ذلك الوقت مسرحاً للكثير من الأزمات والتمردات والمنازعات التى تعتمل فى كل مكان على الأفق .

ففى مصر كان الإخوان المسلمون الذين راحوا منذ بضعة شهور يبدون معارضة شديدة لنظام الحكم قد ارتكبوا فى يوم ٨ من سبتمبر عدة حوادث فى الاسكندرية وفى القاهرة وفى أسوان .

وفى نفس الفترة التى كان مؤتمر القمة منعقداً فيها ، وقعت محاولة إنقلاب فى بغداد ، قيل وقتها أنها من فعل فريق من الموالين لعبد الناصر.

وفى اليمن أدى النزاع المستحكم بين الخصمين من ملكيين وجمهوريين إلى إعادة النقاش حول الاتفاقيات التى أبرمت يوم ٢٢ من أغسطس فى جدة فيما بين الملك فيصل وعبد الناصر والتى نص فيها على إتمام سحب القوات المصرية من اليمن فى شهر سبتمبر عام ١٩٦٦ ، ولكن فى هذا التاريخ لم يكن قد تم سحب شىء من تلك القوات بل على العكس زيد عددها حتى وصلت إلى ستين ألف رجل ، وهكذا كان جانب هام من

الجيش المصرى مقيد الحركه على بعد ألفى كيلو متر من قواعده .

واذ خشى الملك فيصل أن يؤدى فشل محاولات الوساطة فى اليمن إلى وقوع اعتداءات مصرية جديدة ، اتجه نحو الولايات المتحدة الأمريكية يطلب منها العون السياسى وتزويده بالأسلحة . ثم كان ما هو أهم من ذلك إذ بدأ الملك فيصل فى خلال شهر ديسمبر عام ١٩٦٥ يعد فى طهران مع شاه إيران مشروع تحالف إسلامى . وقد بدأ أن تونس وليبيا والمغرب والكويت ، بل والعراق أيضاً ، كانت تنظر بارتياح إلى هذه المحاولة الجديدة لأنها كانت موجهه ضد مصر الناصرية ، مما قد يؤدى إلى تفكك التحالف المقدس الذى عقد فى الدار البيضاء .

وكانت سوريا هى التى شهدت الحادث الذى قدر له أن يؤثر تأثيراً رهيبا ، فى المدى القريب ، على مصير العالم العربى ومصير إسرائيل ، ذلك أن اللواء أمين الحافظ ، الذى بدأ وكأنه يحاول إيجاد تقارب مع مصر – باعتبارهما معا (١) يمثلان الاتجاه الثورى فى مواجهة الاتجاه الرجعى – ومحوره السعودية والأردن – ثم إلقاء القبض عليه هو وميشيل عفلق مؤسس حزب البعث ، وفريق من أقدم المناضلين فى صفوف هذا الحزب ، وكانت التهمة الموجهة إلى هؤلاء المقبوض عليهم هى محاولة تحطيم التجربة الاشتراكية ، .

ثم تولى الدكتور نور الدين الأتاسى ، رئيس الدولة الجديدة قيادة مجموعة الأحرار الذين دبروا الانقلاب وقاموا به .

أما الأردن فلم تأت مؤتمرات القمة بجهود على الصعيد الرسمى للنظام الأردنى وبقيت قرارات اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية الخاصة بتقوية دفاعات الجيش الأردنى ودخول جيوش عربية إلى الأردن أمرا غير

---

(١) أى مصر وسوريا .

ذى بال ، واستخدمت سياسة الإنفتاح العربى بمهارة كمظلة واقية للملك حسين من التأثيرات الوطنية والشعبية لمختلف قطاعات الرأى العام هناك .

غير أن النظام الأردنى عاد من جديد — بعد خطة تبيض السجون والافراج عن ٢٠٠٠ معتقل سياسى — عاد النظام من جديد لينقض على القــوى الوطنية ويعتقل قياداتها التى كانت تسعى لايجاد جبهة وطنية تقدمية (١) .

ويبدوا أن منظمة التحرير الفلسطينية قد دخلت هى الأخرى دائرة الأستقطاب العربى مابين دول « تقدمية » وبين دول « رجعية » وانحازت إلى دول المعسكر الأول .

فقد أصدر المجلس الوطنى الفلسطينى فى دورته الثالثة (غزة : ٢٠ — ٢٤ / ٥ / ٦٥) قرار بخصوص الخلافات العربية ذكر فيه أنه :

« بما أن مشكلة فلسطين ليست مشكلة الشعب العربى الفلسطينى وحده ، وأن مستقبلها مرتبط بمستقبل الثورة العربية ولأنها مشكلة الأمة العربية كلها ، ولما كانت التناقضات والخلافات العربية تؤثر على مستقبلها ، فان منظمة التحرير الفلسطينية لا تستطيع أن تعزل نفسها عن هذه الخلافات والتناقضات إذ يحتم عليها أن تقف الموقف الذى يمليه تحرير فلسطين » .

وأكد المجلس الوطنى الفلسطينى باسم الشعب الفلسطينى أن المعركة يجب أن تخاض حتما على اعتبار أنها المعركة الحاسمة فى تقرير المصير العربى كله ، وأن الوقت قد حان للانتقال من مرحلة الاستعداد إلى « مرحلة التهيئة الفعلية النهائية ضمن الاستراتيجية العربية الثورية ، وأن واجب إشعال المعركة يقع على القوى الثورية العربية التى يتوجب عليها أن ترفع راية المعركة وتتكتل

---

(١) المحرر اللبنانية ١٩٦٥/٤/٦ ، الأهرام ١٩٦٥/٤/٦ .

فوراً حولها وتستقطب جماهير الأمة العربية كلها لهذا الكفاح التاريخي، وأن الإحجام عن خوض المعركة مرداف لخسارتها . . فيه قبول التجزئة بدلا من الوحدة العربية . . وفيه الخطر الدائم بدلا من الأمان وتعويض الأمة العربية لخسارة المزيد من أراضيها وتخل عن الأهداف الثورية العربية .

ثم أعلن المجلس الوطني الفلسطيني استنكاره للمؤتمر أو الحلف الإسلامي وشجب كل المحاولات الداعية إلى ربط العرب بالاحلاف الاستعمارية ، وأبرز تأييده للثورة في اليمن (١) .

وفي الطرف الآخر ، أعلنت الدول « الثورية » تأييدها ودعمها لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فقد أعلن عبد الناصر تأييده لمنظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحر الفلسطيني » قلبا وقالبا (٢) .

كما أعلنت مصر والعراق (٣) ، والعراق والجزائر (٤) — في بيانين مشتركين — تأييدهما لمنظمة التحرير الفلسطينية .

غير أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تستطع الاستحواذ على رضا سوريا بالرغم من كونها من الدول « الثورية » ، وهنا يقول الشقيري أنه وجـد التجاوب دائماً : « فاتراً ، متحفظا ، غامضا (٥) » .

وبالطبع لا يمكن فصل ذلك عن قضية التنافس الشديد بين مصر وسوريا ، حيث أيدت الأولى منظمة التحرير واتجهت الثانية إلى توجيه تأييدها إلى الرئيسي

---

(١) منظمة التحرير الفلسطينية : الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني غزة ، ٢٠–٢٤ أيار (مايو) ١٩٦٦ ص ص ٦٦–٧٠ .

(٢) منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة الأعلام والتوجيه المعنوي ، المجلس الوطني الفلسطيني — الدورة الثانية للمجلس الوطني ، القاهرة ٣١/٥/٦٥ — ٤/٦/٦٦ ص ص ٣١–٣٢ .

(٣) ، (٤) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ مرجع سابق ص ص ٢٧٧ ، ٥٢٠ .

(٥) أحمد الشقيري : من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ص ١٨٨ — ١٨٩ .

إلى حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » ولكنها لم تنفض يدها من منظمة التحرير الفلسطينية .

أما معسكر الدول « الرجعية » ـــ خاصة السعودية والأردن ـــ فقد طالب بأن يظل عمل المنظمة بعيدا عن أية سيطرة حزبية أو الدخول فى معترك المنازعات السياسية والعقائدية بين الأحزاب والدول العربية أو أداة لحركة مذهبية أو دولية (١) ، ثم ألقت على الشقيرى مسئولية الانحراف عن المنهج الصحيح وعن المهمة التى أنشئت من أجلها منظمة التحرير بعد أن دفع بها لتكون طرفا فى الخلافات والمعسكرات الدولية ، وأخيرا قررت أنها لا ترى فيــه الشخص الجدير بتمثيل الكيان الفلسطينى المنبثق عن مؤتمرات القمة (٢) .

ومما عمق الخلافات بين منظمة التحرير الفلسطينية والدول « الرجعية » الأزمة المحتدمة بين المنظمة والأردن طوال عام ١٩٦٦ والنصف الأول من عام ١٩٦٧ وتتلخص أهم شواهد هـــذه الأزمة فى أن منظمة التحرير الفلسطينية تقدمت بمجموعة من المطالب لتنفيذها فى الأردن منها تطبيق التجنيد الإجبارى وتدريب الفلسطينيين عسكريا وتسليح المدن والقرى الأمامية ومباشرة منظمة التحرير تطبيق قانون التنظيم الشعبى وعقد انتخابات المجلس الوطنى فى الأردن ، وتطبيق بروتوكول الإقامة والسفر والعمل الخاص بالفلسطينيين (٣) .

ولم يتجاوب الأردن مع مطالب المنظمة ، وحتى الإتفاق الذى وقع بينهما فى ١٩٦٦/٣/١ لم ينفذ (٤) ، وتعقدت العلاقة بينهما بعد حادث

---

(١) الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٦ مرجع سابق ص ص ٢٦٣ ، ٥٧٥ .

(٢) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ مرجع سابق ص ٩٩ .

(٣) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ مرجع سابق ص ص ٧٤-٨٦ .

(٤) المرجع السابق ص ص ٨٩-٩١ .

السموع فى ١٩٦٦/١١/٦ ، فقد اضطر الأردن أمام هياج الرأى العـــام العربى والفلسطينى إزاء هذا الحادث إلى إقرار نظام التجنيد الإجبارى ، ثم أعلن فى وقت لاحق سحب اعترافه بمنظمة التحرير وردت منظمة التحرير على هذا الإعلان بدعوة جامعة الدول العربية إلى إجراء استفتاء شعبى عام الأردن بضفتيه للتعرف على ثقة الشعب بالمنظمة ورئيسها (١) .

ورغم الحملات السياسية والأعلامية المتبادلة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، فقد اضطر الطرفان قبل نشوب حرب ١٩٦٧ إلى الالتقاء ومحاولة ترتيب تعاونهما بعد أن وقعت مصر والأردن اتفاقية الدفاع المشترك وبعد أن بدا أن الحرب أكيدة الوقوع وعاد حسين والشقيرى معا إلى عمان .

وهكذا كان طبيعيا أن تولد منظمة التحرير الفلسطينية كما قال الشقيرى — بقرار من الدول العربية نظرا للظروف الخاصة بمشكلة فلسطين وظروف الشعب الفلسطينى ، وقد حققت هذه المنظمة فى هذه الفترة ما أنجزته بترخيص من الدول العربية وإلى المدى الذى سار فيه هذا الترخيص (٢) .

وبالطبع فإن « هناك فارقا كبيرا فى نشاط منظمة التحرير بين الترخيص وهو يتفاوت من دولة لأخرى ، وبين الإرادة الحرة القادرة على التخطيط الحر والتنفيذ الحر على أرض الوطن ومع الشعب (٣) » .

وعموما ، فقد طغى على علاقات منظمة التحرير الفلسطينية فى المجال العربى الارتباط بمصر ذلك بالرغم من أن الشقيرى ينفى ذلك فى

(١) السياسة الدولية ، العدد ٨ أبريل ١٦٦٧ مرجع سابق ص ص ٢١١—٢٢٠ .
(٢) منظمة التحرير الفلسطينية ، كلمات على طريق التحرير ١١٦٥ ص ص ٣٩ — ٤١ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٢ .

مناسبات (١) عديدة ـــ غير أن مصر فى هذه الفترة كانت بدون شك تدعو إلى إعطاء مزيد من الاستعداد العسكرى تمهيداً لخوض معركة مصيرية شاملة ضد إسرائيل .

---

(١) أحمد الشقيرى : مقابلة شخصية مع سيادته – القاهرة ١٠/١/١٩٧٥ .
وأيضاً :
أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ، مرجع سابق ص ص ١٤٤ – ١٤٥ وما بعدها .

الباب الرابع

حرب يونيو ١٩٦٧



الفصل الأول

خلفية الحرب

موقف الدول العربية تجاه العمل الفدائي الفلسطيني :

الجزائر :

طلب الرئيس هوارى بومدين بتحويل جيش التحرير الفلسطيني إلى وحدات فدائية تقوم بشن حرب عصابات داخل إسرائيل وذلك بدلا من بقاء جيش التحرير الفلسطيني كمجرد جيش نظامي تقليدي صغير يقف على الحدود غير مزود بخطة لشن هجوم فعال ضد إسرائيل .

وقد تأثر الرئيس هوارى بومدين بالتجربة الذاتية التي خاضتها الجزائر في اكتساب الاستقلال وتحقيق التحرير عن طريق شن حرب العصابات ، ومن هنا كان دعم الجزائر الكبير لفتح والسماح لها بافتتاح مكتب في العاصمة الجزائر منذ سنوات .

لبنان :

نسبت جريدة الحياة البيروتية إلى مصدر لبناني مسئول أن السلطات اللبنانية لا تقر أعمال منظمة فتح لأن هذا يتناقض وتوجيهات مؤتمر القمة ولأنها تعطل مخطط الدول العربية المدروس ، ولأنها تخلق أزمات على الحدود في أوقات غير مواتية للعمل العربي المرسوم وتنتزع المبادرة من الدول العربية(١)

وتأكيد لذلك بعثت قيادة الجيش اللبناني إلى الصحف اللبنانية تطلب منها

---

(١) اليوميات الفلسطينية ، المجلد الأول؛ ١/١/١٩٦٥ — ٣٠/٦/١٩٦٥ إصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ؛ بيروت ص ص ٢٦٨—٢٦٩

عدم نشر أنباء العمليات الفدائية التى تقع داخل إسرائيل(١) ..

وأضاف لبنان إلى ذلك قيامه بعمليات مطاردة وقمع ضد الفدائيين ودورياتهم العائدة من الأرض المحتلة ، بل قامت المخابرات اللبنانية باعتقال بعض الفدائيين وتعذيبهم حتى الموت (كلال كعوش مثلا) .

الأردن :

صرح الملك حسين فى ١٩٦٦/١١/٢٥ أنه :

« بالنسبة لقضية الفدائيين فموقفنا نابع من مؤتمرات القمة العربية وتعليمات القيادة الموحدة ، فلو كان إرسال الفدائيين سياسة عربية فلماذا لا ينطلقون من سيناء وغزة وسوريا »(٢) .

وأضاف :

« إن المفهوم الصحيح للفدائيين هو تدريبهم وإعدادهم للتخريب داخل منطقة العدو قبل العمليات الحاسمة » .

بيد أن موقف الأردن تعدى بمراحل كثيرة مجرد التصريحات ، فقد أوردت بعض التقارير أن إسرائيل طلبت من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا أن تستخدم نفوذها لدى السلطات الأردنية لوقف العمليات الفدائية .

كذلك فقد أوردت الصحف حينئذ أنباء مفادها أن الدوائر العربية فى الأمم المتحدة صرحت لمندوبها فى نيويورك ، أن مندوب إسرائيل الدائم لدى الأمم المتحدة قد وجه رسالة سرية إلى السكرتير العام للأمم المتحدة يبلغه فيها أن إسرائيل والأردن يتعاونان على كافة المستويات فى ملاحقة

---

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦ ، مرجع سابق : ص ص ٦٠٤-٦ .

(٢) Keasing's Contemparary Archives, Vol N. XV (1965–1966) Kcesing's Publishers Ltd, London, pp. 21515–21516.

عناصر الفدائيين ، وأن ذلك خفف كثيراً من عملياتهم(١) ، وقد تصدى الأردن بعنف للفدائيين فطاردهم وقبض عليهم بل وقتل البعض منهم(٢) .

ج . ع . م :

أوردت بعض المصادر الإسرائيلية أن السلطات المصرية قد ألقت القبض على عدد من الفدائيين وأوقفت نشاطهم في أراضيها(٣) ، وادعت صحيفة ها آرتس الإسرائيلية أن البوادر تدل على أن ج . ع . م قد سحبت مؤخراً معارضتها « لعمليات التخريب » داخل إسرائيل فغيرت موقفها من منظمة فتح ، ولكنها ما زالت تشترط لانسحابها الكامل مع هذه العمليات شرطين : أولهما : ألا يعمل « المخربون » في هذه المرحلة من قطاع غزة ، والثاني أن تتم عمليات التدمير وفق خطة تنسقها فتح مع منظمة التحرير الفلسطينية(٤) .

ويتلخص موقف مصر في أنها رأت ضرورة الإعداد وحشد كل جهود الأمة العربية لخوض معركة مصيرية ضد إسرائيل ، وأنها أيدت صيغة منظمة التحرير الفلسطينية بدرجة أكبر وأوضح عن صيغة فتح الفدائية كأداتين للعمل الفلسطيني لأنها رأت أن عمل فتح يمكن أن يجر إلى صدام مع إسرائيل تحدده هي ولا يكون العرب متأهبين له .

سوريا :

تلقت فتح التأييد الأعظم من سوريا في صور ممارسة تدريب الفدائيين عسكرياً وتزويدها بالمدد والعون المتنوع وإذاعة بلاغاتها من إذاعة دمشق باستمرار وطباعة مجلة صوت العاصفة .

---

(١) اليوميات الفلسطينية ، المجلدين الرابع والخامس ، مرجع سابق ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٩ .

(٣) Keesing's Contemparary Archives, Vol, XV, 1965-1960, op. cit, pp. 21515-11516.

(٤) اليوميات الفلسطينية ، المجلدين الرابع والخامس ، مرجع سابق ص ٣٦٣ .

(٥) الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٦ ، مرجع سابق ص ٤٧٩ .

وقد انتقلت سوريا من مرحلة التأييد المستمر إلى مرحلة الإعلان جهاراً عن تأييدها خاصة بعد تولى جناح صلاح جديد ـ نور الدين الأتاسى الحكم فى ٢٣/٢/١٩٦٦ ، فقد قال الأتاسى « أننا نؤكد ، بأننا لا يمكن أن نكون إلا مع الفدائيين العرب ، ونحن مستعدون لخوض المعركة مهما كلفنا ذلك من تضحيات . . .

كذلك لا يمكن إخفاء أن سوريا كانت تتحدث فى تأييدها لفتح والعمل الفدائى من واقع مناداتها بشن حرب تحرير شعبية ضد إسرائيل ، اليوم قبل الغد ، كما لا يمكن عزل هذا التأييد عن واقع العلاقات بين مصر وسوريا فقد أعطت الأولى تأييدها الكلى لمنظمة التحرير الفلسطينية وأعطت الثانية جل تأييدها لفتح .

وعموماً فقد كان شن الغارات الإسرائيلية فى أبريل عام ١٩٦٧ ، وتهديد ضابط إسرائيلى كبير باحتلال دمشق لإنهاء غارات فتح على إسرائيل حيث أن سوريا مسئولة عن نشاط الفدائيين الفلسطينيين كلها مجرد ذرائع تمهيداً لشن إسرائيل حرب يونيو ١٩٦٧ على العرب(١) .

تصاعد الأخطار :

أولا ـ على الجانب الإسرائيلى :

إن الارتكاز الرئيسى للمجابهة العسكرية منذ منتصف الستينات كان بين إسرائيل وسوريا ، ويرجع مصدر هذا العداء المتجدد إلى المحاولات الإسرائيلية لحراثة المناطق المجردة من السلاح ، فعندما حاولت إسرائيل حراثة هذه المناطق عبر كيبوتزيم الناحال ـ وهى مستوطنات زراعية شبه عسكرية ـ ردت عليها سوريا بقصف المنطقة بالمدفعية ، وأوجد ذلك وضعاً شعرت إسرائيل فيه أن انتقامها له ما يبرره ، مما أدى إلى تصعيد مضطرد لحوادث الحدود ،

---

(١) Rodinson, Maxcime, Israel et le Refus Arbe, op, cit. pp. 151-3.

وهنا أيضاً كان القرار الإسرائيلي لامتحان المناطق المجردة من السلاح منذ سنوات ، ومدى تقيد الحرب باتفاقيات الهدنة يستند إلى حد كبير على القوة العسكرية الإسرائيلية وعلى الالتقاء مع التأييد الضمني من جانب الولايات المتحدة ، أو على الأقل في كونها لن تحرك ساكناً ، أضف إلى ذلك ضعف الحكومات العربية :

وبما أن مشاريع الري ومستودعات توطين اللاجئين وإسكانهم كانت ترجع في نشأتها لدرجة كبيرة إلى خارج المنطقة بالذات ، فهي لم تنل سوى التأييد الضئيل من داخل الدول العربية وإسرائيل على السواء ، ولم تحظ أيضاً بأي تأييد البته من بين صفوف الفلسطينيين .

كذلك كان قد نشأ تفكير في الغرب — بنوع خاص — مؤداه أن التقليل من الصعوبات الاقتصادية لدى الجانبين — العربي والاسرائيلي — سوف يؤدي — بدوره إلى تخفيف حدة التوترات السياسية بينهما ، لكن هـذه المخططات على العموم أسفرت بدل ذلك عن تصعيد الخلاف حول مياه النهر وزادت النزاع المسلح ، لاسيما بين إسرائيل والأردن(١) .

أمضت إسرائيل السنوات التالية ١٩٦٥ – ١٩٦٧ في إعادة تقييم لموقفها العالمي وفي محاولات رامية لتعزيز علاقاتها مع الولايات المتحدة(٢) وحدث

---

(١) Kaskeer K. Nijin : « The Jardan Basin and International Ripsian Disputes : A Searck for Patterns ».

وهو بحث مقدم إلى مؤتمر جمعية دراسات الشرق الأوسط ، كولومبوس في نوفمبر ١٩٧٠ وانظر أيضاً :

Khuuri : Arab – Isreal Dilemma, op. cit. p. 75.

(٢) هناك بحث في موضوع هذا النشاط ، خصوصاً بالنسبة للولايات المتحدة بعنوان سياسة إسرائيل العربية بقلم الدكتور إبراهيم أبولغد في :

The Transformation of Palestine : Essays on the Origin and development of the Arab Israel conflict, edited by Ibrahim Abu Luged North Western University Press. Ebonstion 1971.

انشقاق بين القادة الاسرائيليين حول الموقف الذى ينبغى أن تتخذه إسرائيل من الدول العربية ومن حلفائها الغربيين ، فكانت حجة موشى ديان وغيره أن النصر العسكرى هو الطريقة الوحيدة لحمل العرب فى نهاية الأمر على قبول إسرائيل ، واستندت هذه الحجة إلى الاعتقاد الاسرائيلى القائل بأن الشيء الأوحد الذى يحترمه العرب بالفعل هو القوة ، ولن تستطيع أى كمية من الضغط الخارجى أو إعادة تنظيم التكتلات أن تغير من ذلك ، كما كان هذا الاعتقاد الاسرائيلى يفترض بأن العرب قوميون ولن يتخلوا بهذه السهولة عن مطالبهم فى فلسطين التى اعتبرها العرب بمثابة إنها تشكل جزءا لا يتجزأ من أراضى وطنهم(١) .

لكن أبا إيبان — من جهة أخرى — اقترح أن تتبنى إسرائيل المشروع الأكثر صعوبة والأبعد مدى فى محاولة المضى بتجزئة الدول العربية وتفكيك تحالفاتها الواهية ، لكى يتسنى من خلال ذلك وعلى درجات انتزاع القبول الضمنى من — جانب تلك الدول(٢) ، وأيضا بممارسة الضغط على الحكومات العربية بغية حملها على تلبية مطالب إسرائيل وكذلك باستغلال التنافس القائم بين الدول العربية والعمل تصعيده واستفحاله ، وكانت السياسة الاسرائيلية بموجب — خطة أبا إيبان هذه — تتوزع على أربع قنوات كالآتى :

١ — الحصول على مزيد من التعهدات والالتزامات من الغرب ولا سيما من الولايات المتحدة .

٢ — الاستمرار فى المشاريع الانمائية بغض النظر عن المعارضة لها .

٣ — إستخدام الخلافات والنزاعات القائمة بين العرب على أفضل وجه ممكن لصالح إسرائيل .

---

(١) Rodinson, Maximc : Op. cit.

(٢) Eban, Abba : "Reallity and vision in the Middle East" in : Foreign Affairs, 1965 pp. 626-638.

٤ ــ الاحتفاظ بتفوق عسكرى واضح المعالم والأبعاد(١) .

ومن المفيد أن يتذكر المرء الحالة الاقتصادية المتدهورة تدهورا مطردا فى إسرائيل ، فهذا يمكن أن يفسر الأخطار التى تصاعدت على الجانب الاسرائيلى فى هذه الفترة ومن ناحية أخرى فإن هذا يفسر أيضا موقف إسرائيل العدوانى كمحاولة لإبعاد المتاعب الداخلية .

وقد كشفت مجلة النيوزويك الأمريكية(٢) الشهيرة عن بعض الحقائق المذهلة المتعلقة بالأحوال الأقتصادية السائدة فى إسرائيل حينئذ فقد نشرت المجلة تقريرا يكشف زيف الادعاءات الاسرائيلية ، ويقول التقرير :

« أن العجز المزمن فى الميزان التجارى لاسرائيل يزداد بسرعة مذهلة ويقرر الاقتصاديون جملة ما ستسحبه إسرائيل من احتياطيها من العملة الصعبة فى عام ١٩٦٧ بمبلغ ٦٦٠ مليون دولار » .

وذكرت المجلة أمثلة من الحيل التى تعودت عليها إسرائيل فى عرض الأرقام فقالت : « إن منتقدى أشكول يشكون من عدم صدقه فى عرض الأزمة على شعب إسرائيل المكون من مليونين ونصف مليون نسمة وحولت المناقشات على منبر البرلمان إلى اللجان المغلقة التى تسيطر عليها معظم حكومة أشكول الائتلافية ، وعندما تكون المناقشات علنية يلجأ المتحدثون باسم الحكومة إلى إذاعة بيانات متضاربة ، فخلال أسبوع واحد فى الفترة الأخيرة أعلن إيجال آلون وزير العمل أن عدد المتعطلين فى إسرائيل يبلغ خمسة عشر ألف ، وبعد ذلك بيوم واحد أعلن بنك الدولة أن عدد العاطلين يتراوح

---

(١) إذاعة إسرائيل فى ١١ سبتمبر ١٩٦٦ وهى الكلمة التى وجهها ليفى أشكول من الاذاعة إلى مواطنى إسرائيل بمناسبة اقتراب رأس السنة اليهودية .

(٢) مجلة نيوزويك ١٦ يناير عام ١٩٦٧ .

بين ٣٥٫٠٠٠، ٤٠٫٠٩٠ وبعدذلك بيومين أعلنت إدارةالتخطيط الاقتصادى إن الرقم يقترب من ٦٠ ألفا (حوالى ١٠٪ من القوة العاملة) وهو آخذ فى الزيادة(١) .

وكذلك مجلة تايم الأمريكية رغم كونها متحيزة صراحة لإسرائيل فإنها لم تستطع إخفاء الحقيقة ، فقد ذكرت فى تقرير عن هذه الفترة أن المتاعب المتزايدة فى الجبهة الداخلية قد تكون دافعا هاما وراء تصرفات إسرائيل العسكرية . « فالأزمة فى كل ناحية من نواحى الحياة فى إسرائيل » .

واستعرضت التايم الاتجاهات الاقتصادية فى إسرائيل منذ سنوات حين بدأ الاقتصاد الاسرائيلى يهبط ، ويرجع ذلك جزئيا إلى محاولات الحكومة المتعددة لوقف التضخم الذى كان قد وصل إلى ١٠ / فى السنة . كما يرجع فى جزء منه إلى نقص الدخل الخارجى ، فالمانيا الغربيةانتهت من دفع التعويضات والمعونة الأمريكية هبطت ، والمنظمات الصهيونية أصبحت تلقى مصاعب متزايدة فى الحصول على تبرعات من الطوائف اليهودية فى الخارج ولكن الهبوط الاقتصادى فى إسرائيل يعتبر أيضاً نتيجة مباشرة لشىء أكثر خطورة وهو توقف الهجرة إلى إسرائيل فقد ضبط عدد اليهود الذين وصلوا إسرائيل فى عام ١٩٤٩ إلى ٣١٫٦٠٠ فى عام ١٩٦٥ ثم هبط مرة أخرى إلى ١٢٫٠٠٠ فى عام ١٩٦٦ .

واستمرت مجلة تايم الأمريكية تقول :

« إن الهبوط الاقتصادى فى إسرائيل سرعان ما تطور إلى تدهور عام ، فأعمال التشييد هبطت ٤٠٪ والائتمان انكمش انكماشا شديدا ، والحكومة التى أتمت فى العام الماضى مشروعين من مشروعات التنمية رفضت أن تبدأ فى مشرعات جديدة ، والصناعات القائمة احتفظت بخطوط إنتاجها ولم تزد عليها إلا خطوطا قليلة ، ومعدل الإنتاج القومى الذى ظل أكثر من عشر

---

(١) المرجع السابق .

سنوات يحقق نموا قياسيا لم يرتفع فى العام الماضى إلا بنسبة ٦ر١٪ فقط بما لا يوازى حتى معدل نمو السكان . وفى نهاية العام أصبحت البلاد التى لم تعرف كلمة البطالة إلا نادرا — تضم ٠٠٠ر١٠٠ عامل (أكثر من ١٠٪ من القوة العاملة) يبحثون عن عمل » .

واستمرت التايم تقول(١) :

أن هبوط الحماسة والاقتصاد معا — ولو إن هبوطهما لم يكن بدرجه مزعجة — كان كفيلا باشاعة القلق وعدم الرضا ، كما كان سببا فى بداية زوال الأوهام والأحلام . ففى العام الماضى شد ٠٠٠و١١ يهودى رحالهم وغادروا إسرائيل . وكان بعضهم مكتئبا من إستمرار الغارات الأرهابية عبر حدود إسرائيل بدرجة متزايدة . وكان هؤلاء المهاجرون من إسرائيل يضمون نسبة عالية بدرجة مزعجة من المهنيين والمديرين والفنيين الذين صنعوا معجزة الاقتصاد الاسرائيلى ، وفى بعض الحالات عاد الراحلون إلى اقطارهم التى ولدوا فيها وفى حالات أخرى قصدوا بلادا جديدة وعلى الأخص كندا والولايات المتحدة .

« وفى نهاية العام الماضى أصبح خروج اليهود من إسرائيل أشبه بفضيحة قومية ، وفى هذا قال رئيس الوزراء ليفى أشكول :

« لقد كنا قادرين على بناء دولة إسرائيل والمحافظة عليها بفضل نوعية مواطنيها ، ولكن هذه النوعية الممتازة فى خطر الآن ، فمن أين نحصل على الرائد ، معمر الأرض المخلص الغيور المثابر .

ومع هذا فليست مشاكل إسرائيل الداخلية هى الدافع الوحيد وراء نزعتها العدوانية المتزايدة ، فلقد كان هناك أيضا إدراك إسرائيل أن الوقت قد حان لكى توجه ضربة ضد العرب حتى لا يصبحوا أقوياء بدرجة تتحدى

---

(١) مجلة تايم ٩ يونيو عام ١٩٦٧ .

قوى التوسع الصهيونى ، وقد اقترن بهذا الحساب الرغبة فى إسقاط نظم الحكم القائمة فى سوريا والأردن ومصر ، وأن الاتجاه نحو الوحدة العربية كما أعرب عنه زعماء الأقطار الثلاثة طبقا لبعض الآراء(١) قد أفزع زعماء إسرائيل الذين كانوا يعتمدون دائما على خلافات العرب لتحقيق أهداف الصهيونية . ولا بد أن تل أبيب قدرت أن الوقت قد حان لأن تخلق أزمة عن طريق عمل مذهل يدفع شعوب تلك الأقطار إلى نبذ زعمائهم ، كذلك فقد ظهر بعض الاسرائيلين لحكومات سوريا والأردن ومصر وهو ما لعب دورا هاما فى تخطيطهم للحرب الخاطفة ضد العرب فى جميع تلك الجبهات.

ومن ناحية أخرى كانت إسرائيل قد أطمأنت إلى الدعم السياسى من الولايات المتحدة الأمريكية ، بفضل التأكيدات التى تلقتها من حكومتها أثناء زيارة ليفى أشكول لها مع نجاح إسرائيل فى إقناع الولايات المتحدة بتزويدها بالسلاح الأمر الذى تحقق فعلا مع بداية عام ١٩٦٦ ، بوصول الدبابات الأمريكية من الولايات المتحدة مباشرة ثم تأكد تماما بعد عقد صفقة الطائرات « سكاى هوك » فى نفس العام ، وبذلك اكتملت عناصر الدعم الأمريكى بجانبيه السياسى والعسكرى . هذا بينما كانت العلاقات بين الولايات المتحدة والدول العربية « التقدمية » تدهورت من سىء إلى أسوأ ، كما كانت معظم الدول العربية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية بألمانيا الغربية .

كذلك فقد عكست مؤتمرات القمة العربية صورة ظاهرية من التضامن العربى نجحت إسرائيل فى إستغلالها — فضلا عن بعض تصريحات عربية طائشة — وإظهار الدول العربية فى تضامنها هذا فى شكل الدول المعتدية التى تبغى تدمير إسرائيل والقائها فى البحر . وبذلك تهيأ الرأى العام العالمى —

---

(١) D. Ramath, Dewan berind, Op. cit. pp. 52–3.

وخاصة الغربى — لقبول مزاعم إسرائيل بحقها فى الدفاع عن النفس ورد العدوان قبل وقوعه .

وقد انتهزت إسرائيل أيضا فرصة حالة التفسخ فى العلاقات العربية خصوصا وأن نصف الجيش المصرى منشغلا بعيدا فى اليمن وأصبحت الحرب هى الحل الوحيد المناسب ، غير أنه كان من اللازم أن تبحث إسرائيل عن ذريعة لها وأن تعثر على المدخل المناسب لبدء العدوان وقد وجدت إسرائيل فى سوريا هذا المدخل المناسب والذى يمكن أن يحقق الذريعة ويقود إلى الحرب ، وذلك لأسباب كثيرة منها ، أن سوريا كانت إحدى الدول الثلاث القائمة بتنفيذ مشروعات المياه العربية التى تعمل إسرائيل على إحباطها بشتى الوسائل وعلى رأسها الأعمال العسكرية ، ومع إصرار العرب على إستمرار العمل وجدت إسرائيل فرصتها ، فى تصعيد العمل العسكرى ، ومع إصرار وإثارة التوتر الشديد على هـــذه الجبهة سواء بحشد القوات أو باطلاق التصريحات التى تحمل تهديدا مباشرا لسوريا ، مما يتسبب فى النهاية إلى خلق أزمة تؤدى إلى إشتعال الحرب . ولما كانت مصر هى الهدف الأول للحرب العدوانية الاسرائيلية ، ومع علم إسرائيل بأن تعرض سوريا للتهديد بالعدوان سوف يدفع مصر إلى الوفاء بالتزاماتها العربية وإتخاذ الإجراءات لتخفيف الضغط عن سوريا والدفاع عن الحقوق العربية ، وبهذا تتاح لاسرائيل الظروف المناسبة لخلق ذريعة للحرب وبشن هجومها أساسا ضد مصر ثم الأردن إذا أستدعى الأمر .

ومن ناحية أخرى كانت المرتفعات السورية — حيث تنتشر المواقع العسكرية المتحكمة فى الأراضى الإسرائيلية المنخفضة — هدفا من أهداف الحرب الاسرائيلية فضلا عن أن منطقة الحدود السورية قد تجمع حولها أنواع متعددة من النزعات التى تمثل فى مجموعها محصلة لطبيعة الأطماع الإسرائيلية سواء فى المياه العربية أو فى الأراضى العربية أو متطلبات الأمن من وجهة نظر إسرائيل وأخيرا يأتى الاتهام الذى دأبت إسرائيل

على توجيهه إلى سوريا طوال هذه الفترة ... بأنها الدولة التى تشجع النشاط المتزايد للمقاومة الفلسطينية داخل الأراضى الإسرائيلية لذلك كله فإن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية كانت تعتقد بوجود « حساب قديم يلزم تسويته مع الجيش السورى ، الذى لم يكف — مستغلا ميزة طبوغرافية — عن ملاحقة وضرب المستعمرات الزراعية التى يشرف عليها من أعلى الهضبة » (١) .

ورغم كل هذه الحجج ، فأنها فى واقع الأمر لم تكد تمثل الأسباب الحقيقية وراء شن الحرب إذ كان الهدف الأساسى هو تدمير الجيوش العربية والتوسع الاقليمى ، وفرض السلام الاسرائيلى . ولكنها كانت الحجج المعلنة المناسبة لتطوير النزاع وخلق مبرارت الحرب فى المنطقة ، وعند ذلك تتحول الجهود الأساسية للقوات المسلحة الاسرائيلية نحو الاتجاه الرئيسى لتبدأ الحرب ضد الجبهة المصرية والقوات المسلحة المصرية ... وهكذا استمرت إسرائيل توالى تهديداتها واعتداأتها على سوريا دائما والأردن أحيانا ، وتهيىء فى نفس الوقت الرأى العام الاسرائيلى والعالمى لتقبل نواياها المبيته ، بعد أن تغلفها فى قوالب غير حقيقية من ألفاظ خادعة مثل « حق الدفاع عن النفس» ؛ إعادة السلام إلى المنطقة .

ومنذ منتصف عام ١٩٦٦ بدأت إسرائيل عمليات التصاعد العسكرى الحاد فشنت فى يوليو ١٩٦٦ هجوما جويا كبيراً على مناطق التحويل فى سوريا لتدمير المعدات المخصصة لتنفيذ مشروعات المياه عند منابع الأردن .

وفى نوفمبر ١٩٦٦ — شنت إسرائيل عدونا بريا واسع النطاق ضد قرية السموع فى قطاع الخليل بالضفة الغربية للأردن ، وتحت حجة التصاعد على نشاط الفدائيين الفلسطينيين ، اقتحمت القرية ونسفت مبانيها ، مما ادى إلى قتل ما يزيد عن ٢٠٠ مواطن من سكانها . وكانت هذه العملية الوحشية سببا

---

(١) Ben Elisser, Eliaho & Sachiff - Zeev : Le Juerre Israelo - Arabe, op. cit. pp. 63-4.

فى إزدياد التوتر وتصاعد الصدام المسلح عبر الحدود وخطوط الهدنة ، ورغم الاستنكار الشديد الذى قوبلت به حادثة السموع فى أنحاء العالم وإدانة إسرائيل على هذا العمل الوحشى ، فقد ظلت إسرائيل حريصة على تصعيد الموقف ومتابعة التهديد . ففى الشهر التالى مباشرة - ديسمبر ١٩٦٦ - أعلن ليفى أشكول عن استعداد إسرائيل لشن الحرب ، فقال : (١)

« أن قوة الجيش الإسرائيلى قد أصبحت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه فى السابق . وأن القوات المسلحة تركز استعداداتها لصد العدو ونقل الحرب إلى أراضيه » وهكذا تسببت إسرائيل نفسها فى تصاعد الأخطار وأمسكت بزمام المبادرة منذ البداية ، وعلى عكس ذلك تماما جاءت ردود فعل الدول العربية فى جميع الأحداث بنت ساعتها وعديمة الفعالية(٢) .

ومنذ أوائل عام ١٩٦٧ بدأ التوتر فى المنطقة يتخذ أبعادا جديدة نتيجة لتحول قادة إسرائيل إلى إعلان التهديد المباشر « بغزو الأراضى السورية » بل ذهب تهديدهم إلى حد المطالبة بالاستيلاء على دمشق واسقاط النظام الحاكم فيها وقد نجحت المجموعة المتطرفة الإسرائيلية بذلك فى وضع - من يطلق عليهم بعض الباحثين - أصحاب الحلول السلمية وأولهم عبد الناصر والملك حسين وليفى أشكول وآبا إيبان فى موقع صعب للغاية حيث لم يكن بوسع الاثنين الآخرين أن يظهرا بعض التحفظ أمام العمليات الفدائية التى كان يفترض فيها ضمان الأمن اليومى للاسرائيليين وإن كانت المعارضة البرلمانية عاجزة نظرا لأن حزب « تجمع » رافى نفسه انقسم إلى جزئين مما يتوازن مع تقارب بن جوريون من مناحم بيجن ومن الذين أطلق عليهم « لمامة من الفاشيين » ، فان القادة الاسرائيليين حينئذ كانوا يخضعون لحملة من

(١) تصريح اسحق وايين من إذاعة إسرائيل يوم ١٢ مايو ١٩٦٧ .

(٢) Houroni, Cecil ; The Moment of truth : in Laqueur, Welter, (ed), The Israel - Arab : A D-ocunentary History of the Middle East Conflict (New York Press, 1968) pp. 254-256.

زاد من خطورتها إنها كانت نابعة جزئيا من الدوائر المتطرفة القوية في الجيش الاسرائيلي .

وفي هذه الفترة أيضاً نسبت لاشكول ولتهاونه المزعوم كافة الظواهر السلبية التي كانت تحدث في إسرائيل ومنها مغادرة اليهود المؤهلين إسرائيل حيث إزداد الوضع الاقتصادي سوءاً ، وانتشرت في إسرائيل الفكاهة التالية : وضعت في مطار اللد لافتة تحمل هذه العبارة :

(الرجا من آخر من يغادر إسرائيل أن يطفئ النور) .

ولم يكن في استطاعة أشكول أن يبدى أقل قدر من « الضغط » وفي نفس الوقت لم يكن بوسع القادة العرب أن يبدوا سلبية أكثر مما ينبغي أو عداء أكبر مما ينبغي تجاه العناصر المناضلة التي لا يمكن لأحد أن ينكرها .

ومن جهة أخرى فإن العرب الذين انتابهم القلق أمام القوة العسكرية الإسرائيلية والذين ازداد شعورهم بأنهم لن ينجحوا بصفة دائمة في تفادى « مصيدة » أحداث الحدود والعمليات الانتقامية .

وبالفعل فقد تصاعدت الأخطار خلال الربع الأول من عام ١٩٦٧ وليس ثمة شك في أن هذا التصاعد على الجانب الإسرائيلي كان يستمد عناصره الأساسية من موقف الولايات المتحدة ، التي كانت تواجه مرحلة هامة من مراحل تدهور النفوذ الغربي في المنطقة ، بينما عامل الوقت كان هو أحد الدوافع الحقيقية لتدبير العدوان وشن الحرب من جانب إسرائيل(١)

لذلك كانت من سمات هذه الفترة ذلك النشاط السياسي الكبير بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، واتساع نطاق الزيارات المتبادلة بين المسئولين من البلدين ، حتى أنه في شهر مارس ١٩٦٧ زار إسرائيل في وقت واحد

---

(١) والتر - لاكور - الطريق إلى حرب ١٩٦٧ - الهيئة العامة للاستعلامات القاهرة كتب مترجمة ، ج ٢ ص ص ١٧ - ١٩ .

كل من : لوشيوس باتل مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط وجنوب آسيا ، وهارولد ساندرز مستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط ، وتاونسند هوبز من وزارة الدفاع الأمريكية . وقد حددت مجلة « جويش كرونيكل البريطانية موضوعات البحث الذى دار خلال هذه الزيارات فى عددها بتاريخ ١٤ مارس ١٩٦٧ بقولها :

« أن حدود إسرائيل مع الدول العربية بشكل عام وحالة التوتر على الحدود مع سوريا ، كانا الموضوعين الرئيسيين فى المباحثات التى دات بين الطرفين » .

وخلال الشهر التالى مباشرة وصلت الاعتداءات الإسرائيلية إلى ذروتها حيث كانت أكثر عنفا — بعد خمسة شهور من غارة السموع الأردنية — ففى يوم الجمعة ٧ إبريل ١٩٦٧ شنت اسرائيل هجوما جويا ضخما على سوريا بحجة أن المدافع السورية تطلق قذائفها على المستعمرات الاسرائيلية وقد أرسلت سوريا طائراتها الميج ٢١ فأسقطت إسرائيل ستا منها حيث اشترك فى هذا الهجوم ستون طائرة إسرائيلية ، وكان لإسقاط الطائرات السورية أسوأ الأثر فى نفوس السوريين ، غير أن محاولة تحقيق الهدف الأساسى لإسرائيل — من توجيه هذه الضربة ضد سوريا — لم يتحقق ولم تتزعزع سوريا عن موقفها . وبعد يومين فقط من هذا الهجوم الجوى توجه زفى دينشتاين نائب وزير الدفاع الاسرائيلى وقتئذ إلى الولايات المتحدة حيث أجرى مشاورات فى أمور « الدفاع » ومن بينها أمر المعدات العسكرية ، كما تناول البحث مع نائب وزير الدفاع الأمريكى « الوضع على الحدود الاسرائيلية » .

ومع تصاعد الأزمة ، فقد أرسلت سوريا مذكرة إلى مجلس الأمن محذرة بأن اعتداءا إسرائيليا على سوريا وشيك الوقوع .

ومع بداية شهر مايو ١٩٦٧ تزايدت التهديدات على كافة المستويات الاسرائيلية ابتداء من رئيس الوزراء ، حتى أعضاء « الكنيست » وكانت

جميعها موجهة إلى سوريا : فهدد رئيس الأركان العامة باحتلال دمشق ، وطالب وزير الخارجية بشن عمليات تأديبية واسعة .

وفى ٩ مايو ١٩٦٧ وقبل أى تحرك عربى مضاد ، منحت لجنة شئون الأمن فى الكنيست سلطات كاملة للحكومة للقيام بعمليات عسكرية ضد سوريا ، بينما تواترت الأنباء(١) عن إعلان التعبئة الجزئية فى الجيش الإسرائيلى.

وفى ١٩ مايو هدد مصدر عسكرى إسرائيلى سوريا قائلا :

« إن أمام إسرئيل عدداً من الاحتمالات يتراوح بين شن حرب عصابات على سورية وبين غزو سورية واحتلال دمشق » وأضاف :

« إن السبيل السليم والأكيد لحل المشكلة السورية هو القيام بعملية عسكرية كبيرة(٢) .

وفى يوم ١٣ مايو أذاعت وكالة أسوشيتدبرس أن رئيس الوزراء ليفى أشكول هدد باتخاذ إجراء قاسى ضد سوريا وأضاف : « لقد اتفقنا على أننا سنختار المكان والوقت والوسائل المناسبة لذلك(٣) » .

ومرة ثانية أذاعت نفس الوكالة يوم ١٤ مايو نبأ من القدس المحتلة ذكرت فيه أن « مصدراً » قال إن إسرائيل ستقوم بعمل عسكرى « بهدف إسقاط الحكم السورى » .

وعلى أية حال فقد ارتكب رئيس الوزراء الإسرئيلى فى تلك الفترة عن غير عمد خطأ كبيراً فقد قال فى بيانه قصد به إخافة العرب :

(١) وكالة الصحافة المشتركة ١٢/٥/١٩٦٧ انظر ؛
"Gohione l'Orieut Comtemporaire"
La documentation Francaise جامعة باريس ، المجلد ٦٧ ، عدد خاص ، اكتوبر ١٩٦٧ ص ص ٤-٥ .

(٢) وهو ما ذكرتها أيضا الجارديان وقتئذ ، ١٤ مايو ١٩٦٧ .

(٣) دا ستيتسمان ل نيودلهى ، ١٤ مايو ١٩٦٧ .

إن حماية إسرائيل تعتمد على وجود الأسطول السادس فى البحر الأبيض المتوسط » .

وهكذا كشفت المؤسسة العسكرية فى إسرائيل أن هذه البيانات التهديدية تشير إلى أكثر من مجرد حرب إقليمية محدودة ، لقد كانت تشير صراحة إلى « سويس جديدة »(١) .

ثانيا : على الجانب العربى :

أدت دبلوماسية القمة إلى تخفيف حدة الحرب الباردة العربية ولو نسبياً ، فقد بدأت بعض الدول العربية تدرك بالفعل مغبة الدعاية غير المسئولة ، إلى جانب أن دبلوماسية القمة العربية هذه قد أناطت بالفلسطينيين مسئولية حل المشكلة الفلسطينية بأنفسهم(٢) ، وكذلك فإن الخطط والتصورات التى وضعتها جاءت شاملة ، لكنها فى التحليل النهائى كانت رد فعل وليست مبادرة(٣) .

كذلك فقد أكدت مؤتمرات القمة العربية — فى جانب منها — صعوبة تفويض السلطة فى النظم العربية — على اختلافها — واستحالة وصول المستوى الأدنى منها لقرارات ملزمة ، وأيضاً جاءت قرارت القمة كلها محددة بما سبق أن قرره الجانب الآخر ، وما من مؤتمر قمة دعى لرسم سياسة(٤) إيجابية بحق . أضف إلى ذلك أن جميع قرارات القمة شكلت ارتباطات شخصية . وأخيراً فإن تطلب توافر الإجماع بين الأطراف

---

(١) يقصد (بالسويس) العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ .

(٢) Evron, Yain : The Middle East : Nations, Super – Powers and wars, London : Elak Book limited, 1973, p. 54.

(٣) دكترر سيد نوفل : (الدبلوماسية العربية فى خمسة وعشرون عاماً) فى : مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، فبراير ١٩٧١ ص ص ٢١ – ٦٤ .

(٤) هشام شرابى : المقاومة الفلسطينية فى وجه أمريكا وإسرائيل – ترجمة انعام رعد ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٠ ص ص ٩١–٤ .

على الدعوة للمؤتمر لعقده شكل قيداً آخر على هذا النمط من أنماط السياسات العربية فإن أى تبديل فى القيادة للدول العربية قد انطوى دائماً على تبديل فى الارتباطات(١) .

ومن الثابت أن هذا النمط من السياسات قد أدى إلى نتائج بالغة الخطورة ، فعلى مستوى المواجهة أظهر العرب بأنهم مصممون على الحرب وبذلك ساعدوا إسرائيل على أن تصعد الأخطار ، وجاءت الأحداث لتثبت أن هؤلاء الذين ذاع صيتهم كمعتدين عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم وعلى مستوى العلاقات العربية أدى ذلك إلى قيام تحالفات مضادة ضمنية أو سافرة ، الأمر الذى عزز عملية الاستقطاب فى العالم العربى ، وهكذا كانت المفارقة الكبرى ، إذ تفاقمت الصعوبات أمام تحقيق الوحدة العربية أو التعاون والتنسيق بين الدول العربية كلما بدت الشروط الإيجابية اللازمة لتحقيقها أكثر توافراً . وكانت النتيجة هو عجز الدول العربية عن شن الحرب ، بل وعدم السماح للفلسطينيين — الفدائيين منهم — بشنها ، وذلك بالرغم من التصريحات العربية الطائشة التى تلقفتها إسرائيل لكى تهيئ الرأى العام العالمى لقبول مزاعمها بحقها فى الدفاع عن نفسها .

ولقد كانت العلاقات العربية فى هذه الفترة فى حالة من التفسخ لم تعانها من قبل فضلا عن أن الأوضاع الداخلية فى أى من الدول العربية لم تكن تسمح إطلاقاً بتصاعد الأخطار نحو الحرب مع إسرائيل والتعجيل بها .

ففى مصر(٢) التى لم تغير قط سياستها المعتادة تجاه إسرائيل : وهى :

---

(١) تزداد أهمية هذه الحقيقة عندما تتذكر أنه فى الفترة ما بين ٤٨ ، ٦٧ شهدت سوريا عشرين انقلاباً ، بين ناجح وفاشل ، وشهد العراق ١٦ انقلاباً وشهدت مصر ٧ انقلابات . راجع : هدسون (مايكل. س) سياسة الدول العربية تجاه إسرائيل فى : أبو لغد (د. ابراهيم) مرجع سابق ١٨٢ .

(٢) Rodinson, Maxime : p. cit., p. 122–3

التشدد الشفوى والسلبية فى التنفيذ — فلم يكن هناك ما يدفع عبد الناصر إلى السعى للصراع المسلح بل كان هناك ما يدفع عبد الناصر إلى عكس هذا حيث انشغل بمعالجة الأوضاع الداخلية ومنها تصفية هؤلاء الذين يعارضون التدخل المصرى فى اليمن وهم فى غالبيتهم من الحزب الشيوعى المصرى بالإضافة إلى أحداث الشغب التى قام بها الإخوان المسلمون حيث قامت الشرطة بعملية واسعة النطاق أسفرت عن إلقاء القبض على مئات من الأفراد فى أحد ضواحى القاهرة ، وما أعقب ذلك من تولى زكريا محيى الدين رئاسة الحكومة وما اتسم به من قبضة قوية ، ومن جهة أخرى فقد أدت عمليات تحريض بعض الملاك الأغنياء ضد أعضاء الاتحاد الاشتراكى عن وضع الحراسة على ممتلكات ١٦٩ عائلة وعن تحديد إقامة عدد من « الإقطاعيين » وعن تطهير عدد من المصالح الحكومية والجيش .

غير أنه فى سبتمبر ١٩٦٦ — استبدل زكريا محيى الدين الرجل القوى بصدقى سليمان وزير السد العالى السابق وهو من الفنيين ، وكان مغزى هذا التغيير هو الانتقال إلى المهام البناءة وإعادة النظر فى الخطة واستمرار عملية التطهير المضاد للإقطاع .

وفى الأردن :

انشغل النظام الأردنى بالقضاء على القوى الوطنية واعتقال قيادتها التى كانت تسعى لإيجاد جبهة وطنية تقدمية وقامت انتفاضات شعبية كبيرة عقب الاعتداء على قرية السموع ليلة ١٣ / ١١ / ١٩٦٦ حيث خرجت الجماهير فى الضفتين الشرقية والغربية تندد بتخاذل السلطة وعدم التزامها بتنفيذ مقررات القمة بتقرير السياسة العربية الدفاعية وحدثت اشتباكات واسعة مع السلطات وتدخل الجيش لإخماد المظاهرات ، وعقدت القوى الوطنية مؤتمراً لها فى نابلس طالبت فيه بضرورة التسليح وتنفيذ قرارات القيادة الموحدة بتحصين القرى الأمامية وانهالت الطلبات على الشقيرى بضرورة مد الضفة الغربية بالسلاح لمقاومة الاعتداءات الصهيونية المتكررة

والسماح فى نفس الوقت لوحدات من الجيوش العربية بدخول الأردن والتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية وعدم التعرض للفدائيين(١) .

وفى الوقت الذى وقع فيه الاعتداء على السموع كان النظام الأردنى قد وكل للجيش العربى مهمة ملاحقة واعتقال(٢) الطلائع المسلحة من الفدائيين الفلسطينيين التى أخذت تنشط داخل إسرائيل ، فقام الجيش الأردنى بمحاصرة تل الأربعين وقرية القليعات فى مناطق الأغوار وشن حملة تفتيش واسعة أسفرت عن اعتقال عدد من الفدائيين الفلسطينيين بقوا رهن الاعتقال والتعذيب حتى حرب يونيو فى العام التالى(٣) .

وفى السعودية :

قام الملك فيصل فى بداية عام ١٩٦٦ بطريقة حذرة للغاية بإطلاق فكرة عقد مؤتمر قمة إسلامى ينطوى من وجهة نظره على مزايا عديدة ذلك أن التحالف على الصعيد الإسلامى العام سيكون من شأنه أن يفرق كلا من مصر وسوريا والجزائر فى مجموعة يكون فيها للدول الإسلامية المحافظة وغير العربية وزن كبير ، كما أن المناداة بمصالح الإسلام ستوازن بضرورة فعالة اتجاهات العروبة الثورية ، وستتاح فرصة توجيه النقد ضد الإجراءات المتجهة نحو الاشتراكية بصورة راديكالية على أنها تتنافى مع المبادئ الاسلامية كما يمكن إعادة المعارضة إلى الغرب الرأسمالى إلى الحد المعقول بمدى مساومة تراعى جيداً المصالح الغربية الكبرى ، وسيصبح من الممكن أيضاً التنديد بالمساندة التى تسعى نظم الحكم الثورية إلى الحصول عليها فى العالم الإشتراكى بحجة الاحتجاج على الموقف المناهض للدين لكل من الاتحاد السوفيتى والصين فى آسيا الوسطى الإسلامية .

---

(١) المحرر اللبنانية ٢١/١١/١٩٦٦ ، الثوره السورية ٢٣/١١/١٢٦٦ .

(٢) البعث السورية ١٢/١٠/١٩٦٦ : صوت العروبة ٢٣/١٠/١٩٦٦ .

(٣) عباس مراد ، الدور السياسى الجيش الأردنى ، مرجع سابق ص ص ١١٥–١١٩ .

كذلك فقد أحاط فيصل مشروعه بحجج أخرى حتى يقبله الرأى العام العربى حينئذ فقد كانت هناك بالطبع مساندة الإسلام بصفة خاصة للمطالب العربية تجاه إسرائيل مما يكون من شأنه الاتجاه نحو تحويل جذرى للنضال السياسى من أجل فلسطين إلى مطالبة دينية من قبل الإسلام ضد الديانة اليهودية .

وسرعان ما أدركت نظم الحكم الثورية أهداف « المناورة » السعودية وشجبتها كذلك فقد كانت ردود فعل الدول المتجهة الى الاشتراكية عنيفة للغاية رغم كافة الاحتياطيات التى التزم بها الملك فيصل فى صياغة مشروعة ، وعارض لبنان المشروع بطبيعة الحال بصفته دولة قائمة على الديانتين الإسلامية والمسيحية فى إطار العروبة .

أما الملك حسين فكان أول من أيد المشروع بحماس ، كذلك كان الحبيب بورقيبة هو أكثر رؤساء الدول العربية اهتماماً بالمشروع رغم ما أبداه من عزم وشجاعة من أجل تحويل تونس إلى دولة علمانية (بالمعنى الفرنسى للكلمة)(١) .

وأمام ردود الفعل هذه وجد عدد كبير من القادة العرب حتى الرجعيين منهم أنه من الحكمة الالتزام بموقف يتسم بأكبر قدر من التحفظ ، ولم يؤد مشروع الحلف الإسلامى إلا لزيادة التباعد بين الدول الرامية إلى الاشتراكية والدول الموالية للغرب فى العالم العربى .

وثمة عوامل كثيرة كانت تتجه إلى إبعاد إسرائيل من مسرح الصراعات الملموسة التى دخلت فيها الدول العربية ، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يزيل من فكره هذا الكيان الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين من أى برنامج موضوع للمستقبل غير أنه كان من الممكن أن يرجأ الحل مهما كان إلى وقت

---

(١) Radinson, Maxime : op. cit., p. 128.

لاحق ، وكما رأينا فقد كان عبد الناصر ينتهج هذا السبيل ، وقد انتهى الأمر به شخصياً وبحسنين هيكل المتحدث باسمه أن يفصحا عن ذلك بصورة تزداد صراحة فلا يتعين الاندفاع بتهور إلى الحرب ، فإن تحويل نهر الأردن لا يهدد العالم العربي بل وإنه من غير المجدى ضياع الوقت والمال في تحويل روافد النهر على سبيل الانتقام .

وقد أعلن عبد الناصر حتى تقبل هذه العبارات المهدئة أن التعايش مستحيل على الأمد الطويل غير أنه ذكر بأن مسلمى العصور الوسطى انتظروا لمدة سبعين عاماً قبل أن يحرزوا أول انتصار هام على الصليبيين .

وكانت هذه التهديدات المشروطة ترمى إلى أن تثبت دون أى خطر مباشر أن عبد الناصر لا يتخلى عن مشكلة فلسطين فهو سيشن الحرب الوقائية إذ بدأت إسرائيل في الحصول على أسلحة ذرية وهو سيتضامن عسكرياً مع كل دولة عربية تتعرض لهجوم من الدولة اليهودية .

غير أن عوامل هامة كانت تعمل في اتجاه عكسى تماماً ، فكانت هناك مجموعتى ضغط لديهما دوافع هامة للإبقاء بصفة دائمة على جو حربى مع إسرائيل — كما كانت كل منهما على علم أيضاً بأنه ليس في استطاعتهما وحدهما الانتصار على إسرائيل إذا قررت على أن تقدم على إجراءات عسكرية عنيفة كما اعتادت أن تفعل ، غير أنهما كانتا تعتمدان على الالتزام الذى سيجبر أكثر الدول العربية فتوراً على مساندتها بفضل قوة القومية العربية لدى الجماهير ، وعلى كل فلم يكن لديهما ما تفقدانه ، وهاتان المجموعتان هما المنظمات الفلسطينية في مجموعها واليسار الثورى السورى(١) .

وبالنسبة للمنظمات الفلسطينية في مجموعها فقد سبق أن تعرضنا لأوضاعها أما بالنسبة لليسار الثورى الجديد فإننا نجد أنه جاء إلى الحكم عقب

---

(١) Ibid

المناورات الغامضة من جانب اليمين والوسط للاحتفاظ بسيطرتهما حيث تكاثرت المحالفات فى الخفاء واستغل الجميع مختلف أجهزة الحزب ، وأخيراً دبرت مجموعة صلاح جديد يوم ٢٣ من فبراير عام ١٩٦٦ انقلاباً عسكرياً أطاح بحكومة البعث اليمنية ، وتولى [يوسف زعين تشكيل وزارة تضم إثنين من الشيوعيين وسجن القادة البعثيون التابعين لليمن وللوسط ؟

وسرعان ما اتضح الطابع الراديكالى للفريق الجديد الحاكم واستمرت إجراءات التأمين ، ثم شددت قبضة من حديد على المعارضين الذين نددوا « بنظام الحكم الملحد والمناهض للعروبة والإسلام » .

وقد تم اكتشاف مؤامرة عسكرية ، وهو ما اتخذ ذريعة تشكيل ميليشيا شعبية وزعت فيها الأسلحة ، ثم سمح لخالد بكداش بالعودة إلى دمشق فضلا عن استئناف صدور صحيفة الحزب الشيوعى علناً .

وقد سمح لإدارة المخابرات السورية بالإشراف على منظمة فتح فى سوريا ، ومنذ ذلك الحين والمسئولون السوريون يطلقون التصريحات التى تحمل تهديداً مباشراً تجاه إسرائيل ، وهو ما أخذته إسرائيل ذريعة نحو الحرب وأن مدخل هذه الحرب هى سوريا

وقد أمسكت اسرائيل بالتصريحات السورية واعتبرت أن الحرب قد قامت فعلا — على حد رأى الباحثين الاسرائيليين — ومن هذه التصريحات ما أدلى به الرئيس الأتاسى فى حمص فى ١٧ من إبريل عام ١٩٦٦ بالتصريح التالى :

« إن الحرب الشعبية الشاملة هى الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين » ؟
كما أدلى رئيس الأركان السورى فى ٢٢ مايو ١٩٦٦ بتصريح قال فيه :
« ليس أمامنا أى مخرج إلا حرب التحرير ، ولابد أن تكون الجزائر وفيتنام قدوة لنا » .

وفى أكتوبر من عام ١٩٦٦ أعلن الرئيس السورى :

« أننا سنحول المنطقة بأسرها إلى جحيم » .

وفى ٩ أكتوبر أدلى القائد العام للحرس الوطنى السورى بالتصريح الآتى :
« إننى لا أكشف لكم عن سر إذا قلت لكم بأن رجال فتح أصبحوا جزءاً لا يتجزء من الحرس القومى الذى يتولى تدريبهم » .

وكذا تسببت إسرائيل فى تصاعد الأخطار بأن أوقعت السوريين فى شراك تصريحاتهم وشعاراتهم متخذة من هذه التصريحات والشعارات مدخلا مناسباً تماماً لتحويل المنطقة باسرها إلى جحيم ليس من جانب السوريين دائماً بل بسبب أيديولوجية الصهيونية العدوانية ذاتها .

وقد وقعت سوريا فى الفخ بالفعل الذى نصبه لها الإسرائيليون بخبث ودهاء ، فحقق النظام السورى لنفسه هدف الصهيونية ، ومما ساعد على إذكاء النزاع مع اسرائيل ما هو معروف عن قصر الحدود الممتدة بين سوريا والدولة اليهودية فهى حدود لا تجاوز السبعين كيلو متراً تتمتع فيها سوريا بميزة استراتيجية هائلة حتى احتلالها لقسم التلال المنتشرة فى هذه المنطقة .

وقد أصرت سوريا هى الأخرى على تطبيق أساليب الضغط(١) على إسرائيل ومنها إطلاق نيران مدافعها على العمال الزراعيين فى الكيبوتزيم الواقعة على الحدود وتشجيع العمليات الفدائية التى تقوم بها فتح حيث بلغت هذه العمليات فى الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٦٥ وعام ١٩٦٧ (١١٣) عملية فدائية داخل إسرائيل طبقاً لما ذكرته المصادر الإسرائيلية(٢) ، كذلك نشطت هذه العمليات الفدائية ليس فقط على الحدود بين إسرائيل وسوريا وإنما أيضاً على الحدود بين إسرائيل والأردن .

---

(١) Aleum, op. eit., p. 423.

(٢) Ben Elisser, Eliahu and Schiff – Zeev ; op. cit. p. 50.

وقد بلغت الأوضاع بين إسرائيل وسوريا حداً من التوتر جعل السفير السوفيتى فى تل أبيب يقوم بمسعى لدى ليفى أشكول ليحذره من أى عمل عسكرى انتقامى تقوم به إسرائيل .

وقد ابتدأت إسرائيل بالفعل تصرح عن نواياها العدوانية صراحة اعتباراً من ١٨ أكتوبر ١٩٦٦ حيث صرح أشكول قائلا بخبث ودهاء :

« إذا لم تراجع سوريا عملها ضد إسرائيل فستكون هناك حرب » .

وفى اليوم التالى فى الوقت الذى كانت فيه إذاعة دمشق تذيع نبأ إعداد وتكوين جيش شعبى ، كان وزير الداخلية السورى يصرح قائلا : « إن المواجهة ضد إسرائيل لم يعد من الممكن تحاشيها » .

وفى ٤ نوفمبر أبرم اتفاق للدفاع المشترك بين مصر وسوريا ، وكان هذا الاتفاق موجهاً بالطبع ضد إسرائيل .

غير أن عبد الناصر كان يرى أن بوسعه أن يمنح سوريا مساندة فعالة إذا ما تعرضت لضربة قوية ، وخلافاً لهذا اعتقد عبد الناصر أنه يستطيع السيطرة على المبادرة الخطرة من جانب سوريا ، بل ويخفف أيضاً من حدتها .

وقد ظهرت انعكاسات الاتفاق بين مصر وسوريا فى إسرائيل مباشرة حيث أطالت مدة الخدمة العسكرية فيها إلى ثلاثين شهراً ، وأخذت تصعد من عملياتها الانتقامية ضد عمليات الفدائيين الفلسطينيين واجتاحت القوات الإسرائيلية أربع قرى أردنية هى : ساموع ، واقات ، ضربة العصفر ، وضربة المركز ويؤخذ من التقرير الذى وضعه أودبول كبير المراقبين التابعين لهيئة الأمم المتحدة أن الخسائر فى الأموال كانت جسيمة حيث تمثلت فى هدم مائة وخمسة وعشرين منزلا ، وكانت الخسائر كبيرة فى الأرواح سواء فى صفوف الجيش الأردنى أو المدنيين فبلغت ١٨ قتيلا منهم ٣ من المدنيين ، ١٥ من العسكريين و ١٣٤ جريحاً ، منهم ٩٧ من المدنيين و ٣٧ من العسكريين

أما الإسرائيليون فقدأعلنوا من جانبهم أن خسائرهم اقتصرت على قتيل واحد وعشرة من الجرحى(١) .

وقد أبدى معظم المراقبين اشمئزازهم لضخامة الوسائل التى استخدمت فى هذه العملية من ناحية القسوة والانتقام من ناحية أخرى وخصوصاً للجهة التى اختيرت ميداناً لتطبيقها وهى الأردن التى كانت تبذل الجهود الصادقة بالفعل لمنع الفدائيين الفلسطينيين من العمل داخل أراضيها ، لذلك أصدر مجلس الأمن فى يوم ٢٤ من نوفمبر ١٩٦٦ قراراً بلوم إسرائيل لوماً شديداً على قيامها « بعمليتها العسكرية على نطاق واسع » .

عندئذ انتقلت « المنطقة الساخنة » فى اتجاه الشمال إلى الحدود السورية ، حيث تكررت الأعمال الفدائية ، وقد اتخذت إسرائيل ذلك ذريعة فوصفت الأعمال الفدائية من جانب منظمة فتح بأنها فائقة الخطورة واستنجدت بمجلس الأمن ،وهنا وجه أوثانت نداء إلى الجانبين يدعوهما فيه إلى التعقل والاعتدال ، وحصل سكرتير عام الأمم المتحدة من ذلك على نتائج بدت مشجعة لفترة من الزمن ، إذ قبلت الحكومتان السورية والإسرائيلية أن تعقد لجنة الهدنة المختلطة اجتماعاً غير عادى بعد أن ظلت راكدة لمدة ست سنوات .

وقد اجتمعت هذه اللجنة فى الواقع ثلاث مرات ، غير أن مداولاتها لم تسفر عن أية نتيجة إيجابية فقد أراد المندوبون الإسرائيليون أن تقتصر المناقشة على وسائل منع وقوع الحوادث من غير أن تمتد إلى الوضع الخاص بالمناطق المنزوعة السلاح ،حيث لا يقبلون أى نقاش حول سيادتهم عليها . وفى مقابل ذلك كان المندوبون السوريون يطلبون البدء بتطبيق شروط اتفاقية الهدنة على تلك المناطق ،وتقضى هذه الشروط بهدم ما فيها من تحصينات وسحب العناصر المسلحة منها وعودة العرب إلى أملاكهم فيها .

وعقب الهجوم الجوى الإسرائيلى العنيف على سوريا فى ٧ أبريل —

---

(١) Aleum, Jean, Pierre : op., cit. p. 426.

صدرت التصريحات السورية تكرر « بأن الهدوء لن يعود إلى مناطق الهدنة طالما هناك احتلال صهيونى لفلسطين ، وأن العمل لتحرير فلسطين لا يمكن أن يتم على طريقة « الحرب التقليدية » وإنما عن طريق « الحرب الشعبية » أى عن طريق « سحب القضية من أيدى القلة المسئولين ،ووضعها فى أيدى الأجيال والقواعد العريضة للجماهير الكادحة »(١) و « أن سورية ماضية فى طريقها لتحرير فلسطين ،وأن الجيش الشعبى السورى يقف بالمرصاد لكل التحركات الرجعية فى المنطقة »(٢) .

ومن جهة أخرى ، قالت صحيفة « البعث » أن العدوان الإسرائيلى كان يهدف إلى اختبار فعالية الدفاع المشترك بين القاهرة ودمشق ، وتوجيه ضربة إلى النظام الثورى فى سوريا(٣) .

وفى ١٧ أبريل ألقى الدكتور نور الدين الأتاسى رئيس الدولة السورى خطاباً فى احتفالات الذكرى العشرين للجلاء فقال إن سورية مصممة على منع إسرائيل من احتلال أراضى المنطقة المجردة من السلاح « مهما بلغت التضحيات » وأعلن « أن قضية تحرير فلسطين هى قضيتنا المصيرية وأن أسلوب سورية فى تحريرها هو أسلوب حرب التحرير الشعبية » : وأضاف أن سورية » لا يمكن إلا أن تكون مع الفدائيين العرب ، وأن طلائع الفدائيين لن تثنيها حدود وهمية ولا حكومات عميلة تتآمر ضدها(٤) :

وقد أشاد الرئيس السورى باتفاق الدفاع المشترك بين مصر وسورية وأعلن أن حكومته كانت على اتصال دائم مع ج . ع . م أثناء العدوان

---

(١) هاتمسوفيه ١٩٦٧/٤/٨ .

(٢) من تصريح للدكتور نور الدين الأتاسى خلال زيارته للمنطقة التى حدث فيها الهجوم الإسرائيلى أنظر : الحياة ١٩٦٧/٤/١١ .

(٣) البعث ١٩٦٧/٤/١٠ .

(٤) (المحرر) ١٩٦٧/٤/١٨ .

الأخير على سورية « استعداداً لاتخاذ الإجراءات المشتركة التى يتطلبها الموقف من خلال تطور الحركه » ،

وفى ٢١ أبريل تحدث رئيس أركان الجيش السورى عن اشتباكات ٧ أبريل وعن اتفاقية الدفاع المشترك السورية ـ المصرية والقيادة العربية الموحدة فقال :

« إن اتفاقية الدفاع المشترك لا تعنى إطلاق رصاصة على جبهة غزة إذا أطلقت رصاصة على جبهة طبرية » ،

ثم وصف القيادة العربية الموحدة بـ « المرحومة » وقال أنه لم يكن لها أى عمل إيجابى « وبالنسبة لنا فهى غير موضوعة بالحساب » .

ثم وجه اللوم إلى الأردن بسبب عدم إبلاغها سورية عن حركة الطائرات الإسرائيلية بسرعة بحيث تستطيع المدافع والطائرات السورية .. مواجهة الغارة » .

وفى ٢٢ أبريل أكد البيان المشترك بينهما ـ الذى صدر عقب محادثات محمد صدقى سليمان رئيس وزراء مصر مع المسئولين السوريين ـ عن عزم البلدين على تنفيذ اتفاق الدفاع المشترك بينهما ، وأكد أن البلدين كانا على اتصال مستمر خلال معركة ٧ أبريل وبعدها(١) .

فقد كان هذا التاريخ ـ على وجه التقريب ـ كما يرى أحد الباحثين(٢) هو الذى وقع فيه تدخل حاسم من جانب الدبلوماسية السوفيتية ، إذ أبلغ الروس كلا من الحكومتين السورية والمصرية أن الجيش الإسرائيلى سوف يهاجم سوريا فى اليوم السابع عشر من مايو ، ومن الأمور المشكوك فيها أن يتمكن أحد فى يوم من الأيام من التحقق من صحة أو كذب هذا التبليغ ،

---

(١) الأهرام ٢٢/٤/١٩٦٧ .

(٢) Alum, Jean Pierre, op. cit., pp. 426-7.

ولكن هذا التبليغ سواء أكان صحيحاً أو كاذبا ، لعب دوراً مؤثراً فى تطور النزاع الناشب بين إسرائيل والعرب .

وعموماً فقد جاء تطور الأحداث فى تصاعد الأخطار ليوضح احتمال أن يكون العدوان الإسرائيلى وشيك الوقوع .

ففى ١١ مايو بعث مكتب العلاقات الخارجية فى القيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى بمذكرة إلى « الحركات التقدمية فى الوطن العربى والعالم »حذر فيها من تزايد احتمال وقوع عدوان عسكرى إسرائيلى جديد على سوريا .

وفى ١٣ مايو إستدعت وزارة الخارجية السورية ممثلى الدول الأعضاء مجلس الأمن وأعلمتهم بأن إسرائيل تعد لشن هجوم على سوريا بحجة أن سوريا هى المسئولة عن نشاط الفدائيين ، وأكدت الوزارة للممثلين أن سوريا « تحمل إسرائيل وحماتها مسئولية ما سيحدث فى المنطقة » وأنها لتؤكد استعداد الحكومة والشعب لمواجهة أى عدوان . » . وستوضع اتفاقات الدفاع المشترك موضع التنفيذ(١) .

وفى نفس اليوم أعلن عبد الناصر فى رسالته إلى مؤتمر فلسطين الذى عقد فى لندن بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة للخامس عشر من مايو — أعلن عبد الناصر بأن « الأمة العربية تخوض مرحلة حاسمة من مراحل كفاحها .. وهى تواجه تآمر شاملا لمحاصرتها من كل جانب وأضاف :

« ان واجبنا أن نستعد للمعركة الفاصلة فى فلسطين وغير فلسطين(٢) .

وفى ١٤ مايو عقد المشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة سلسلة من الاجتماعات العسكرية أصدر

---

(١) النهار ١٢/٥/١٩٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ١٥/٥/١٩٦٧.

على أثرها أمرا للقوات المسلحة المصرية لتكون مستعدة لتنفيذ جميع مهام القتال على الجبهة مع إسرائيل فى تطورات الموقف (١) .

كما أوفد المشير عامر الفريق أول محمد فوزى رئيس الأركان المصرى وقتئذ إلى دمشق حيث بحث مع المسئولين السوريين فى بعض الأمور المتعلقة بالدفاع المشترك ضد إسرائيل(٢) .

وقد ذكر عبد الناصر فيما بعد حينما تحدث عن ظروف الحرب والأزمة التى سبقتها أنه « كانت هناك خطة مبيتة من العدو لغزو سوريا ، وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير » .

وقال عبد الناصر بأن هذه الأدلة كانت المصادر السورية الناطقة والمعلومات الوثيقة لدى مصر وكذلك معلومات الإتحاد السوفييتى « بأن هناك قصداً مبيتاً ضد سوريا »(٣) .

وهكذا أخذت الحوادث منذ ذلك الوقت تتوالى بسرعة بصورة مثيرة ففى ١٥ مايو نقلت وحدات من الجيش المصرى الى سيناء مروراً بشوارع القاهرة الرئيسية بعد أن وضعت مصر موضع التطبيق إبتداء من ذلك التاريخ كل الإجراءات التى تقتضيها حالة الاستعداد لتنفيذ إتفاقية الدفاع المشترك بينها وبين سوريا(٤) .

---

(١) المصدر نفسه ١٩٦٧/٥/١٧ .

(٢) المصدر نفسه ١٩٦٧/٥/١٦ .

(٣) وهو ما ذكره الرئيس عبد الناصر فى خطاب استقالته فى ٩ يونيو حينما تحدث عن ظروف الحرب والأزمة التى سبقتها — الأهرام ١٠ — ٦ — ١٩٦٧ ، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ جمع وتصنيف جورج خورى نصر الله إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية رقم ٢٨١ — بيروت — بدون تاريخ إصدار ، ص ص ٣٥٧—٨ .

(٤) الأهرام ١٩٦٧/٥/١٦ .

المذكرة السوفيتية لإسرائيل :

يؤكد أحد المؤرخين الغربيين المعاصرين(١) أن تدخل الدبلوماسية السوفيتية جاء حاسماً – على وجه التقريب – فى منتصف إبريل ١٩٦٧ حيث ابلغ السوفييت كلا من الحكومتين السورية والمصرية رسالة تقول أن الجيش الإسرائيلى سوف يقوم بمهاجمة سوريا فى اليوم السابع عشر من مايو ، وهو مالعب دوراً مؤثراً فى تطور مشكلة فلسطين والصراع بين العرب واسرائيل .

وطبقاً للروايات الإسرائيلية(٢) فإن الاتحاد السوفييتى قد أرسل مذكرة شديدة اللهجة إلى حكومة إسرائيل فى ٢٦ إبريل ١٩٦٧ وحذرت إسرائيل من القيام بأى عمل يثير ثائرة العرب ، وأوضحت المذكرة أن سياسة إسرائيل محفوفة بالمخاطر الجسمية .

وفى نفس اليوم قابل « جدعون روفائيل » الممثل الجديد لإسرائيل فى الأمم المتحدة نائب وزير خارجية الاتحاد السوفييتى « سيمونوف » فى موسكو والذى قدم له هو الآخر إنذاراً مماثلا ، وفى نفس الوقت حذر السفير السوفيتى فى دمشق وزير خارجية إسرائيل من النتائج الخطيرة التى قد تقع على سوريا إذا ماسمح لمنظمة فتح فى الاستمرار فى هجماتها .

غير أنه – كما تستطرد هذه الروايات الإسرائيلية – قد ذهبت أدراج الرياح كل هذه التحذيرات السوفيتية لسوريا فلم يلتفت إليها السوريون وإزدادت الغارات السورية على الحدود حتى النصف الأول من شهر مايو ١٩٦٧ وقد بلغت هذه الغارات فى العشر أيام الأولى من شهر مايو – إحدى عشر حادثة .

---

(١) Aleum, Jean Pierre : Juifs et Arabes : op. cit, pp. 427–8.

(٢) Kimch, David and Bowly. dan, The Sand storm, op. cit. pp. 67–9.

وتدعى هذه الروايات أن الزعماء الإسرائليين قد فضلوا الهجوم الكلامى بهدف تخويف السوريين ، وفى ١١ مايو حذر ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل وقتئذ سوريا بأنها إذا لم تتوقف عن أعمال العنف فإن الجيش الإسرائيلى سيرد بعنف وشدة بالطريقة وفى المكان والزمان الذى يختاره ويحدده ، وحذا المسئولون الإسرائيليون حذو أشكول فى توجيه النقد لسوريا بعنف وشدة .

ومن الغريب حقا أن يدعى الباحثون الإسرائيليون أن هذه الأحاديث قد فسرتها الصحافة العالمية بأنها بداية هجوم ضخم تدبره إسرائيل ضد دمشق الأمر الذى اضطر سوريا إلى اتخاذ كافة الاحتياطيات لاشتداد لهجة الإنذارات الإسرائيلية .

كذلك بعث الاتحاد السوفييتى برسالة عاجلة للزعماء السوريين فى دمشق وكذلك لعبد الناصر فى القاهرة وذكر الاتحاد السوفييتى بأن الإسرائيليين يقومون بحشد قوات كبيرة لتركيزها على مقربة من حدود سوريا وأن هناك هجوما وشيك الوقوع ، وتلا ذلك إنذار سوفييتى ثان كان أكثر دقة وتحديدا لموعد الهجوم الإسرائيلى وبأنه سيكون فى الساعة الرابعة صباح يوم ١٧ مايو .

وتختلف الدراسات الإسرائيلية فى أسلوب عرض هذه الأفكار بحذق وخبث ومهارة ، فإحدى هذه الدراسات (١) مثلا تعرض كيف استخدم السوفييت فى شهرى إبريل ومايو ١٩٦٧ أسلوب التحذيرات بشكل خطير ومتفجر ، بل أن السوفييت — وفقا لهذه الدراسات قد قرروا أن يؤكدوا لحكومة دمشق تأييدهم لها ولذلك قاموا بعدة تهديدات ضد إسرائيل وفى نفس الوقت استعانوا بعبد الناصر وطلبوا منه أن يتدخل لكى يهدئ من روع

---

(١) Ben Elisear, Eliahu aud Scliff, Zeev ، op. eit., pp. 55—7.

حكومة دمشق وقام عبد الناصر بالمهمة التي أوكلت إليه وأعلن أنه قد تولى الدفاع عن سوريا ، وهكذا اخرجت هذه اللعبة الخطيرة ـ طبقا لهذه الدراسات الإسرائيلية ـ التي أثارها السوفييت من أيديهم عندما أراد عبد الناصر أن يستغلها لمصلحته هو .

وبنفس الحذق والخبث والمهارة ـ وأن كانت تختلف في أسلوب العرض تشير دراسة إسرائيلية أخرى إلى أن إسرائيل وقتئذ لم تكن على استعداد لمهاجمة سوريا وتنحي باللائمة على الاتحاد السوفييتي حيث كان أولى بموظفي السفارة السوفيتية في تل أبيب ـ ولديهم الفرصة ـ أن يرووا بأعينهم وقتئذ أنه لم تكن هناك حشود إسرائيلية على الحدود مع سوريا ، وأن التقارير المفزعة التي كان يبعث بها السوفييت ينبغي البحث عن كنهها أما بين العرب أنفسهم وأما بين العرب والسوفييت وأما في داخل سوريا نفسها .

وعموما فإن الدراسات الاسرائيلية تفسر هذه الأحداث بأنه من المحتمل أن السوفييت والعرب عموما والسوريين على وجه الخصوص قد لعبوا دورهم ومن ثم فقد اهتم السوفييت بطريقة الاستهتار التي يلجأ إليها السوريون في تعجل الكارثة ، ويحتمل ـ طبقا أيضاً لما تذهب إليه هذه الدراسات في تفسيرها ـ أن يكون تقرير السوفييت عن الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية قد قصد به السوفييت أن يقلع السوريون عن هجمات الفدائيين الفلسطينيين على إسرائيل .

غير أن هذه الدراسات تذهب إلى القول أن موقف السوفييت هذا لم يكن صحيحا وأن ما كان يأمل فيه السوفييت هو أن يحصلوا على مكاسب سياسية من وراء هذه الحيل وذلك لأن مصر سوف لا تجد مناصا من إرسال قواتها إلى سيناء بعد التحذير السوفييتي وذلك أثناء زيارة وزير خارجية الاتحاد السوفييتي لمصر وقتئذ ، وبهذه الطريقة سوف تسترد مصر مكانتها ومركزها القيادي

فى العالم العربى خاصة وأن عبد الناصر كان قد تعرض لهجمات متواصلة من جانب السوريين والفلسطينيين والأردنيين الذين اتهموه بالسلبية والاعتدال إزاء إسرائيل ، وقد أراد عبد الناصر بالتالى أن يثبت تصميمه وعزمه عن الدفاع عن سوريا .

وأخيرا تتفق الدراسات الاسرائيلية فى أن خطة السوفييت هذه قد نجحت فى أن يعم دمشق التحفز فى حين قرر عبد الناصر أن يقضى على الضغط الإسرائيلى « المزعوم » على سوريا فاصدر أوامره فى ١٥ مايو بأن يتحرك الجيش المصرى نحو حدود إسرائيل ، وهكذا — طبقا لهذه الدراسات والروايات الإسرائيلية — أشعلت الشرارة التى أطلقها السوفييت بغير حذر والتى كانت تستهدف من وراء أطلاقها الظهور بمظهر الحليف الأمين الحقيقى للعالم العربى أشعلت النار فى الشرق الأوسط ، تلك النار التى كانت على الدوام حجرا تغطيه الرماد .

إسرائيل والأندفاع نحو الحرب :

أخذت الحوادث تتوالى بسرعة مثيرة منذ ١٥ مايو ١٩٦٧ ، ويناسب هذا اليوم ذكرى إنشاء الدولة اليهودية ويعتبر يوم العيد القومى لإسرائيل وقد انتهزت إسرائيل هذه الفرصة لتعرب بها عن رفضها لقرارات الأمم المتحدة وانعكس ذلك على تنظيم إسرائيل لاستعراض عسكرى كبير فى مدينة القدس بالرغم من اعتراف المنظمة بالسيادة الشرعية على المدينة المقدسة ولا يحقها فى آن تجعل إسرائيل من القدس عاصمة لها ، ولا أن تحشد فيها قوات مسلحة .

وفى نفس اليوم بدأت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تمسك زمام الموقف فقد وجه أسحق رابين رئيس الأركان العامة الدعوة لجميع رؤساء الأركان القدامى للاجتماع وهم الذين اعتبروا أن التجمعات المصرية فى سيناء هى مظهر من مظاهر القوة ، أما موشى ديان فقد قال :

أن مصر هى عدونا الحقيقى وأن علينا أن نركز اهتمامنا نحوها أساسا (١) وقد اعتبر الرأى العام العربى ذلك تحديا لهم وظنوا أن خطأ أو صوابا أن ذلك ليس سوى حجة الغرض منها إقامة جهار هجومى إسرائيلى ، فوجه الرئيس السورى إلى مجلس الأمن رسالة اتهم فيها إسرائيل بأنها تعد « لحرب سويس جديدة » وأنها تعمل على قلب نظام الحكم التقدمى فى دمشق مؤدية بذلك الدور الذى خصص لها ضمن مؤامرة واسعة النطاق قام الحلف المركزى بتدبيرها وتمويلها » .

وفى مصر أصدر المشير عبد الحكيم عامر أمر القتال رقم واحد فى الساعة ١٤٣٠ يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ بأن يكون الجيش فى حالة طوارئ قصوى وأن على القوات المسلحة أن تكون مستعدة للمعركة ضد إسرائيل على الحدود الأمامية طبقا لتطورات الموقف(٢) « وتنفيذا لذلك فقد تم استدعاء جميع الضباط المتغيبين فى إجازات وشهدت شوارع القاهرة بالفعل الوحدات وهى تستعرض قوتها بشكل يدعو إلى الحماس .

وفى ١٦ مايو ذكرت صحيفة الأهرام أن محررها السياسى علم « استنادا إلى أوثق المصادر أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تخوض المعركة ضد إسرائيل إذا تعرض الوطن السورى لعدوان يهدد أراضيه أو سلامته ، وأن ذلك لا يحدث فقط تنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسورية التى تلتزم بها الجمهورية العربية المتحدة التزاما كاملا ، وإنما هو موقف القاهرة الثابت والدائم إذا دخلت إسرائيل حربا ضد أى دولة عربية

---

(١) Lau-Lavie. N: Moshe Dayan : A biogrophy, op. cit, p. 291.

(٢) Kimche, David and Bowl S,Dan : The Sand Storm, op. cit. p. 93.

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن من تداعى الأحداث والذى تعتبر الإجابة عليه من أصعب الأمور أن لم تكن أصعبها على الإطلاق نظرا لغياب الوثائق التى تعتبر المرجع الرئيسى للمؤرخ .. السؤال هو :

هل كانت هناك بالفعل حشود إسرائيلية على طول الحدود مع سوريا

سوف نسوق هنا مجموعة من التصريحات التى قيلت بهذا الخصوص .

فقد نشرت صحيفة البرافدا فى موسكو بتاريخ (١) ١٦ مايو نبأ يقول أن : « . . . . حشدالقوات الإسرائيلية على الحدود السورية يقطع بأن إسرائيل تشكل مصدر التوتر فى الشرق الأوسط » .

ومن جهة أخرى ندد المعلق فى إذاعة موسكو بأن « الفئة العسكرية الإسرائيلية التى تعمل وفق رغبة الأمبريالية الغربية قد ضاعفت من تحدياتها واستفزازاتها ضد مختلف الدول العربية »

كذلك فقد كان يبدو وقتها أن التصريحات التى أدلى بها اسحق رابين والتى نشرتها الصحف البريطانية تؤكد هذا الأمر .

غير أن عبد الناصر — بالرغم من ذلك ولما هو معروف عنه من تشكك قد طلب أيضاحات بهذا الصدد ؛ فجاءته تقارير لبنانية وسورية وسوفيتية بل وتقارير من أجهزة مخابراته تؤكد وجود حشود إسرائيلية بالقرب من الحدود السورية . ويبدو أيضا أن التقارير السوفيتية قدعملت بصفة خاصة على اقناع الزعيم المصرى بحقيقة هذا الخطر لاسيما وأنه قد تردد أيضا أن المخابرات السوفيتية قد حصلت على خطة إسرائيلية أولية — شبيهة بالخطط التى تضعها جميع أركان الحرب استعداد لأى طارىء محتمل — وأنها قدمتها لعبد الناصر على أنها تمثل خطة هجوم حقيقة وشيكة .

---

(١) Ben Élissar, Elahu and Schiff, Zeev : Le Guerre Istaelo – Arabe : op. cit., pp. 58-9.

وقيل أيضا إن القوات الإسرائيلية التى كانت قد أرسلت إلى الشمال وقت وقوع الحوادث الخطيرة فى الشهر الماضى ولم تسحب كلها قد أعطت انطباعا « خطأ » بوجود حشود ذات طابع هجومى .

وعرض ليفى أشكول على السفير السوفييتى أن يتأكد بنفسه من عدم وجود أية حشود — ولكن هذا الأخير رفض القيام بهذا الأمر ..

وهكذا فإن أى دبلوماسى قد يرى أنه ليس بالشخص الذى يمكنه أن يكتشف وجود حشود عسكرية .

وذكر مراقبو الأمم المتحدة أنه ليست هناك حشود أو تحركات عسكرية هامة .

والواقع أنه حتى الآن فإنه لا يمكن لأى من الطرفين أن يتقدم بدليل حاسم يدل على حقيقة هذا الخطر كما يرى فريق من المؤرخين المعاصرين(١) الذين يرون أيضا أنه ربما حاولت هيئة أركان الحرب الإسرائيلية أن تقنع السوفييت والعرب على السواء أن الهجوم وشيك الوقوع وأنها تعمدت لذلك أن تترك جزءا محسوبا من خططها يتسرب ، وقد يكون ذلك قد تم (وفقا لرأى جنرال فرنسى لا يريد أن يكشف عن أسمه (٢) عن طريق بعث رسائل لاسلكية تمويهية من شبكة ميدانية وهمية — التقطتها سفن سوفيتية فى البحر المتوسط أو محطات استماع سورية أو مصرية .

غير أنه ليس من السهولة إثبات صحة هذا الغرض - وأن كانت تصريحات رابين والدوائر العسكرية الإسرائيلية تؤيده .

فهل كان الهدف المنشود هو مجرد تخويف السوريين كما يقول أصحاب هذه النظرية سالفة الذكر ؟ .

---

(١) Rodinson, Maxime : Israei et le Refus Arabe : op. cit. p. 753.

(٢) Ibid

وهل كان الغرض هو الحصول نتيجة لذلك على وقف تام للمساعدة التي تقدم لغارات الفدائيين الفلسطينيين ؟

إن القائل بذلك يبرهن بجهل تام لردود الفعل المنتظرة من قبل السوريين والرأى العام العربى عموما – وهو أمر شائع إلى حد ما فى الدوائر السياسية الإسرائيلية وإن كان نادرا فى أوساط العسكريين الإسرائيليين ولاسيما أجهزة المخابرات هناك .

ومن هنا فإنه لا يسعنا إلا أن نؤيد وجهة النظر التى تأخذ إلى حد ما بإمكانية الافتراض السياسى الفرعى الذى يرى أن هذه الحملة النفسية كانت عبارة عن مناورة للمتطرفين الإسرائيليين الذين كانوا ينتظرون حدوث رد فعل عربى يدفع إسرائيل إلى اتخاذ سياسة « حازمة » وتجىء بهم إلى الحكم (١) ، إلا أنه من المؤكد أن الخطر الذى يهدد سوريا كان بالفعل افتراضا معقولا وأن عبد الناصر قد صدقه ، كما أن السوفييت كانوا يخشون بكل تأكيد وقوع هجوم أمريكى (وكان سيكون هجوما أمريكيا إسرائيليا فى أغلب الظن) ضد سوريا فى فترة قريبة نسبيا . ورأوا أن تهديدات إسرائيل تعتبر أيذانا بوقوع هذا الهجوم الوشيك ، ويبدو أيضاً أن السوفييت هم الذين شجعوا عبد الناصر على الإقدام على اتخاذ خطوة ملموسة للتضامن مع سوريا آملين بذلك ..... بدون شك فى أن يبعد ذلك مخاطر وقوع هجوم إسرائيلى .

ومن الواضح أن عبد الناصر كان يعتقد وقتئذ نفس الشىء إذ أن خصوم العرب كانوا قد شككوا (٢) خلال الشهور السابقة فى هذا التضامن . فهاجموا جميعا موقفه السلبى أثناء الغارات الإسرائيلية الانتقامية على قرية السموع فى الأردن والغارة الإسرائيلية الجوية على دمشق منذ شهر ونستدل على ذلك من

---

(١) Ibid

(٢) Ben Elissar, Elahu aud Sehiff, Zeev, La Juirre Isrealo Arabe, od. eit. pp. 52–53.

العبارة الآتية التى بعث بها الملك حسين ضمن خطاب وجهه إلى عبد الناصر حينئذ قائلا :

« رغم أنك ناصر الكبير ، فانت لاتقوم بشن غارات على أيدى الفدائيين من الأراضى المصرية ، وأنت تعلم أن قوات الطوارئ تفصل حدودك عن الإسرائيليين ، وبجانب ذلك فانك ترسل إلى رجال من منظمة فتح ليقوموا بعمليات من حدود الأردن ، ومع ذلك لا تريد أن تساعدنى ، بل ولا تريد أن تغلق مضيق تيران فى وجه الملاحة الإسرائيلية » .

وفى الواقع فقد كان هناك الفريق على على عامر على رأس القيادة العربية الموحدة والتى كانت مسئولة من حيث المبدأ عن الدفاع المشترك عن عدد الدول العربية غير أن هذا القائد لم يحرك ساكنا عند وقوع الهجوم بين الإسرائيليين سالفى الذكر ، وكان من المهم لعبد الناصر — والحال هكذا أن يبرهن بطريقة دعائية على مساهمته الفعالة فى القضية العربية ، إلا أنه كان عليه أن يقدم على ذلك بحذر تام حتى لايساق به إلى الحرب ، ووصل رئيس أركان حرب الجيش المصرى وقائد القوات الجوية إلى دمشق ليؤكدا لدمشق مساندة مصر لها .

وفى نفس الوقت تقدمت سوريا بشكوى إلى مجلس الأمن وتنصلت من مسئولية الفدائيين الفلسطينيين ، وقيل حينئذ إذا كان نصف مليون جندى أمريكى عاجزين عن وقف التسلل عبر الحدود الفيتنامية فكيف يمكن لسوريا أن تراقب الحدود الإسرائيلية بصورة أكثر فاعلية من الإسرائيليين أنفسهم ،

غير أن السوريين والأردنيين — وحتى الإسرائيليين(١) — قد أعربوا عن عدم اقتناعهم التام بالاستعراضات العسكرية المصرية — وتكررت

---

(١) Rodinson, Maxeime ; Israel at Le Refns Arabe, cit. p. 154.

الاتهامات المعتادة ــ القائلة أن عبدالناصر سعيد للغاية بوجود قوات الطوارئ الدولية التي تحول دون وقوع مواجهة مصرية إسرائيلية .

وقد أثمر هذا الضغط المتزايد على عبد الناصر بالفعل ، ففي ١٦ مايو طلب ضابط الاتصال المصري لدى قوات الأمم المتحدة في قطاع غزة مقابلة الجنرال الهندي / ريكهى قائد قوات الطوارئ الدولية وسلمه مذكرة من رئيس أركان حرب الجيش المصري حيث أوضحت المذكرة أن إسرائيل تحشد قواتها على الحدود السورية ، فإذا هاجمت سوريا فإن مصر سوف تزحف لنجدة السوريين ، وإذا مابدأت الحرب فإن قوات الأمم المتحدة سوف تكون في خطر ولذلك يجب عليهم أن ينسحبوا أولا (١) ، وقد رد الجنرال ريكهى على ضابط الاتصال المصري قائلا : « أنني لاأستطيع أن أعمل شيئا وسأرسل المذكرة إلى أوثانت للبت فيها » .

وقد وصف أوثانت هذه الرسالة بأنها ذات طابع سرى وغامض وغير مقبولة ولكنها كانت لاتشير إلى غزة أو إلى شرم الشيخ المتحكمة في مضيق تيران والواقعة بعيدا عن الحدود (٢) .

وتشير الروايات الإسرائيلية إلى أن مصر لم تطلب إجلاء قوات الأمم المتحدة إجلاء كاملا ولكن طلبت إنسحابها فقط من حدود سيناء وقطاع غزة إلى معسكرات الأمم المتحدة بخان يونس ورفح ، وتستطرد الدراسات الإسرائيلية قائلة أن عبد الناصر قد قصد بذلك إلى أسكات أبواق الدعاية المعادية له ، وأنه حتى هذه اللحظة لم يكن عبد الناصر يفكر في نشوب الحرب بالفعل (٣) .

---

(١) Ben Elissar and Schiff, Zeev : la juerre Israelo Arabe,

(٢) Rodinson, Maxime : Isreal et la Refus Arape, op. cit. p. 154.

(٣) Kimch, David and Bawly Don : the Snnd Strom, op. cit. p. 97.

ويبدو أن أوثانت أراد أن « يبلف » ليمنع عبد الناصر من الاستمرار فى التقدم بطلبه إذ كان يعتقد بدوره أن هذا الطلب ليس سوى عملية « بلف » فأخبره أنه ليس فى وسع رئس الجمهورية المصرى أن يصدر أمرا إلى القوات الدولية بالتحرك وأن كل ما يمكن أن يفعله هو سحب الترخيص الذى منحه لهذه القوات فى عام ١٩٥٦ بالبقاء فى الأراضى المصرية .

وقد جاء رد أوثانت هذا بعد تشاوره مع رالف بانش الرجل العليم بمشكلة فلسطين والذى أعد اتفاقات الهدنة بين العرب وإسرائيل فى عام ١٩٤٨ وكان رأى رالف بانش أن عبدالناصر — فى هذا الوقت بالذات — ليست له مصلحة فى تصعيد الموقف فى المنطقة ولاخوض حرب ليس على استعداد لخوضها ولذلك نصح رالف بانش يوثانت أن يمارس « لعبة البوكر » كما يمارسها عبد الناصر ولإرغامه على التسليم كان من اللازم وضع عبد الناصر — طبقا لقواعد اللعبة — أمام أحد أمرين : أما إعطائه كل مايريد أو عدم إعطائه أى شئ .

ومضت اللعبة إلى نهايتها ، ففى الساعة ١٨ بالتوقيت المحلى دخل السفير المصرى محمد القونى مكتب السكرتير العام وقام هذا الأخير بابلاغ السفير بأن طلب الحكومة المصرية بات مرفوضا بدعوى أن الجنرال ريكهى لايتلقى الأوامر من قائد مصرى ولكنه يأتمر فقط بأوامر سكرتير الأمم المتحدة وبالإضافة إلى ذلك فإن القوات الدولية لاتستطيع القيام بالمهمة الموكلة إليها الا إذا كانت قادرة على التحرك بحرية على طول الحدود ، كما وأن كل طلب يتناول إنسحابا جزئيا موقتا لقوات الطوارئ الدولية يعتبر فى حقيقة أمره طلب شامل بالانسحاب فإذا ما تقدمت مصر بطلب الانسحاب الشامل فإنه لن يسع السكرتير العام إلا إصدار أمره بانسحاب قواته إنسحابا كاملا وعلى ذلك وعد القونى بالاتصال بحكومته ليطلب منها توضيحات .

إذا ، فقد كان على عبد الناصر أن يختار بين أمرين ، إما الإبقاء على قوة الأمم المتحدة كما كانت وإما المطالبة بإجلائها إجلاءاً تاماً ونهائياً ، خصوصاً بعد أن صرح أوثانت أن الأمم المتحدة لاتقبل أن يطلب منها أن تتنحى حتى يتمكن الطرفان من استئناف القتال ، كذلك أعلن أوثانت أن من حق مصر أن تطالب بجلاء قوات الطوارئ الدولية دون معارضة أحد .

وبعد أن تردد عبد الناصر بعض الشيء ، قرر أنه لايمكنه أن يتراجع إذا كان مايزال خاضعاً لضغوط داخلية وخارجية ، فقد عادت الإذاعة الأردنية تذكر بوجود شرم الشيخ وتهكمت على الخطوات التي اتخذها والتي لاتنفع ولا تضر والتي هي أشبه بالاستعراضات : كما كان السوريون يلحون على عبد الناصر من جانب آخر . وفي ظهر يوم الخميس ١٨ مايو ١٩٦٧ قدم محمد القوني رئيس الوفد المصري في الأمم المتحدة رسمياً إلى أوثانت طلباً رسمياً من وزير الخارجية محمود رياض بسحب قوة الطوارئ الدولية من الحدود المصرية الإسرائيلية ، وقال محمود رياض في برقيته إلى أوثانت أن حكومته قد قررت أنهاء وجود قوة الطوارئ الدولية من الحدود المصرية الإسرائيلية وقال محمود رياض في برقيته إلى أوثانت أن حكومته قد قررت إنهاء وجود قوة الطوارئ الدولية تلك في مصر وقطاع غزة ، وذكر وزير الخارجية المصري في برقيته بأن مرابطة تلك القوة هناك كان بناء على دعوة حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وأن استمرار وجودها يتوقف على موافقة مصر وطلب سحبها « في أسرع وقت ممكن » .

كذلك أوضح ممثل الجمهورية العربية الدائم ، أن محاولة إبقاء هذه القوات ضد رغبة الحكومة المصرية سوف يؤدي إلى اعتبارها « قوات احتلال » .

وفي رد أوثانت اعترف بأن قوة الطوارئ الدولية دخلت الأراضي المصرية بموافقة الحكومة المصرية وأنها لاتستطيع البقاء إلا باستمرار تلك الموافقة وبناء على ذلك قال السكرتير العام للأمم المتحدة أنه سيستجيب لطلب

الجمهورية العربية المتحدة وسيشرع فى إصدار التعليمات لاتخاذ الترتيبات الضرورية لانسحاب القوة (١) والعربات والمعدات انسحابا منظما وبدون تأخير »

ولا شك أن أوثانت كان يأمل فى أن يتمكن فيما بعد بالطرق الدبلوماسية من وقف تدهور العملية الخطيرة التى بدأت ، وقد احتج المندوب الإسرائيلى فى الأمم المتحدة على الفور لدى أوثانت ضد هذا العمل الذى اتخذ من جانب واحد ولكنه رفض اقتراح السكرتير العام بخصوص وضع قوات الطوارىء على الجانب الإسرائيلى من الحدود ، وعلى الفور احتلت القوات المصرية موقعاً على الحدود الإسرائيلية ، أما إسرائيل فقد أعلنت رسمياً « أنها قد اتخذت الخطوات والإجراءات المناسبة(٢) » ، وجاءت ردود الفعل العالية منتقدة أوثانت ، فقد انتقدت الولايات المتحدة ودول أوروبا أوثانت انتقاداً شديداً لأنه أساء التصرف فى هذا الموضوع ، وكان أقل ما يجب عمله — طبقاً لما تراه الدراسات الإسرائيلية والغربية(٣) — هو أن يعرض طلب مصر على الجمعية العامة حسب الاتفاق الذى تم بين السكرتير العام السابق داج همرشلد وعبد الناصر فى نوفمبر ١٩٥٦ بعدما استقر الرأى فى الجمعية العامة على إيفاد قوات الأمم المتحدة بعد ذلك بقليل وطبقاً لهذه الاتفاقية فإن طلب مصر بجلاء قوات الطوارىء الدولية «كان يجب أن يعرض فى الحال على الجمعية العامة ،

---

(١) كانت قوة الطوارىء الدولية تقوم منذ أزمة السويس فى عام ١٩٥٦ بدوريات على الحدود المصرية الإسرائيلية فى سيناء وقطاع غزة التى يبلغ دولها ١١٧ ميلا . وقد كانت ترابط على الجانب المصرى من الحدود بموافقة الحكومة المصرية . وكانت تلك القوة تتكون من ٣٣٩٣ رجلا — منهم ٩٧٨ هندياً ، و ٨٠٠ كندى : ٥٨٠ يوغوسلافيا ، و٥٢٨ سويدياً ، ٤٣٢ برازيلياً : ٧٢ نرويجياً وثلاثة دانمركيين .

(٢) شلربرنيكدمون : (ما قبل ساعة الصفر) وقصة الأحداث التى سبقت حرب الأيام الستة ، تل أبيب ، ١٩٦٨ (عبرى) ، ترجمة خاصة ، ص ص ١٤–١٦ .

(٣) المرجع السابق .

وإذا رأت الجمعية العامة ، أن مهمة قوات الطوارىء الدولية لم تتم وأن مصر احتفظت كذلك بموقفها ولم تتنازل عنه وأجبرت القوات على الانسحاب فإن مصر تكون قد نقضت هذه الاتفاقية مع الأمم المتحدة » .

كذلك فإن من ضمن الانتقادات التى وجهت إلى أوثانت هو اتهامه بأنه يمالىء مصر ويجامل المصريين ويعطف على دولة من دول العالم الآسيوى الأفريقى ، غير أن الحقائق لم تدعم هذا الاتهام بل على العكس فقد أخذ على أوثانت فى الماضى(١) عطفه على إسرائيل .

أما فى مصر فقد كان الرأى العام مؤيداً باندفاع لجلاء قوات الطوارىء الدولية وانعكس ذلك على الإذاعة حيث ذكرت إذاعة صوت العرب يوم ١٨ مايو :

« أما اليوم فلا توجد قوات طوارىء دولية لتحمى إسرائيل ولن نصبر أكثر مما صبرنا وسوف لا نشكو إسرائيل للأمم المتحدة بعد ذلك ، إن السبيل الوحيد الذى سوف نسلكه مع إسرائيل هو الحرب الشاملة التى ستنتهى بزوال الوجود الصهيونى نهائياً » .

وتدعى بعض الدراسات الإسرائيلية والغربية أن أوثانت لم يبين أو يفسر للرأى العام العالمى سبب السرعة العجيبة التى استجاب فيها لطلب عبدالناصر(٢) ومن ثم فقد جاءت استجابة أوثانت المباشرة بسحب قوات الطوارىء غير

---

(١) ففى ١٧ مايو عام ١٩٥٨ عندما كان أوثانت سفيراً لبلاده فى بورما فى الولايات المتحدة ، قال فى خطاب له فى اجتماع أمريكى يهودى .

(إن عودة الشعب اليهودى إلى وطنه الأصلى – فى الشرق – فى رأى كثير من الأسيويين الذين يهتمون بالأجناس تشبه تماماً عودة أقارب لهم إلى منازلهم ومدنهم بعد أن فرقت بينهم الأيام لأمد طويل) .

(٢) Kimch, David and Bawly Dan, the Sand Storm op. cit. pp. 98–9.

مفهومة جيداً فى أسبابها(١) .

وقد أجاب السكرتير العام نفسه على ناقديه إجابة منطقية وقاطعة ، ففى تقريره إلى مجلس الأمن قال أوثانت أنه استجاب لطلب الجمهورية العربية المتحدة بسحب قوات الطوارىء الدولية للأسباب الآتية :

(أ) أن قوة الطوارىء الدولية دخلت أرض ج . ع . م على أساس اتفاق تم فى القاهرة (فى عام ١٩٥٦) بين السكرتير العام (دكتور همرشلد) ورئيس جمهورية مصر ، وعلى هذا بدا واضحاً تماماً أنه من المحتم على السكرتير العام — لما أن ج . ع . م قد سحبت موافقتها — أن يعطى أوامر بسحب القوة ، إن موافقة الدولة المضيفة مبدأ أساسى التزم به فى جميع عمليات حفظ السلام التى قامت بها الأمم المتحدة .

(ب) إن قوة الطوارىء الدولية — حتى من وجهة النظر العملية — لن تستطيع ممارسة مهمتها دون تعاون الدولة المضيفة .

(ج) أن الهند ويوغوسلافيا وهما الدولتان الرئيسيتان المشتركتان فى قوة الطوارىء أبديا فعلا عزمهما على سحب قواتهما .

وقد كانت الهند فى مواقفها فى السنوات الماضية — حيث لعب جنودها وضباطها دوراً هاماً فى قوات الطوارىء — كانت تلك المواقف مؤيدة تماماً لتصرف السكرتير العام للأمم المتحدة ، فلقد أرسلت حكومة(٢) الهند خطاباً إلى السكرتير العام للمنظمة الدولية فى ٦ نوفمبر عام ١٩٥٦ توضح فيه أن قوة الطوارىء الدولية لن تكون بأية حال من خليفة لقوات الغزو الأنجلو — فرنسية ولن تنهض بأعمالها ولا ينبغى أن توجد إلا بموافقة مصر ، ويجب أن نتذكر

---

(١) Rodinson, Maxime : Israel et Le Rofus Arabe, op. cit., p. 159.

(٢) Dranth, Dewan Bereid : op. cit, pp. 64-56.

أن قوة الطوارىء الدولية قد رابطت على أرض ج . ع . م وحدها وبموافقتها ، ومن ثم لا يمكن استمرار وجودها هناك إلا برغبة الج . ع . م وحدها ، كذلك يجب أن نلاحظ أن إسرائيل رفضت مرابطة قوة الطوارىء الدولية على الجانب الإسرائيلي عندما اقترح أوثانت ذلك .

ولو أن قوة الطوارىء الدولية كانت قد رابطت على جانبي الحدود كما كان متصوراً أصلا طبقاً لقرار الجمعية العامة لكان من الممكن استمرارها في أداء وظيفتها كحاجز بين الطرفين ، وعلى أية حال فان إسرائيل لم تسمح قط بوجود تلك القوة على أرضها .

وعموماً ، فخلال هذه الأثناء ، كان التوتر يتصاعد رغم الجهود البطولية التي بذلها يوثانت للمحافظة على السلام ، وقد اضطر للاعتراف بفشله نظراً لموقف إسرائيل العدواني وتصريحاتها المتناقضة .

وفي تقريرة لمجلس الأمن يوم ١٩ مايو قال يوثانت :

لقد أكدت لي حكومة إسرائيل أخيرا جداً أنه لا توجد حشود عسكرية غير عادية أو تحركات على طول الحدود السورية ولا يمكن أن يوجد مثل هذا ، ولكن في الأيام الماضية وردت أنباء ملحة عن وجود حشود وتحركات عسكرية على الجانب الإسرائيلي على وجه الخصوص » .

وكان السكرتير العام للأمم المتحدة قلقاً جداً من التصريحات شبه الحربية التي تدلي بها الحكومة الإسرائيلية ، ولهذا قال :

« لقد أثارت تلك التصريحات القلق بل والانزعاج » .

وفي التقرير نفسه ذكر يوثانت أيضاً الحقيقة التالية :

« وفي الأسابيع الأخيرة خرجت من إسرائيل أنباء نسبت للمصادر الرسمية في تلك الدولة ، بيانات ملتهبة تعطي الإحساس بأنها لا يمكن أن تهدف إلا إلى إثارة المشاعر ومن ثم زيادة حدة التوتر(١) » .

---

(١) هندوستان تايمز ، نيودلهي ، ٢١ مايو ١٩٦٧ .

وفى يوم ١٩ مايو أنزل علم الأمم المتحدة الذى كان يرفرف على المركز الرئيسى لقوات الطوارىء الدولية فى غزة ، وتم إخلاء جميع مراكز المراقبة واتخذت بعض الوحدات الفلسطينية فى غزة موقعاً لها بالقرب من القوات المصرية وأعلنت كل من مصر وسوريا وإسرائيل أيضاً حالة الطوارىء فى قواتها ، وبدأ الرأى العام العالمى يقلق فطلبت « جماعة الأمم المتحدة فى بريطانيا » من إسرائيل استقبال قوات الطوارىء الدولية فى أراضيها ولكن أشكول رفض .

ومنذ ١٩ مايو أخذت مصر تسرع الخطى فى تحركات قواتها إلى سيناء ، وكان الاهتمام مركزاً وقتئذ على الوحدات المدرعة وأسقطت جنود المظلات المصرية فوق شرم الشيخ لمنع أى احتمال لأى تحرك إسرائيلى للاستيلاء على هذه المنطقة الحساسة ، كذلك أرسلت قطع الأسطول المصرى عن طريق قناة السويس إلى البحر الأحمر ليدخل خليج العقبة .

وربما كان السلام حتى هذه اللحظة غير معرض للخطر تماماً ويستدل على ذلك من قول القائد المصرى(١) فى سيناء من أن مجرد وقوع حادثة صغيرة لن يكون كافياً لبدء العمليات العسكرية وأن الهجوم الإسرائيلى على سوريا وحده هو الذى يؤدى إلى هذه النتيجة .

وأعلن الشقيرى نفسه أنه وضع قواته فى غزة تحت أوامر القيادة المصرية وأن الملك حسين يجب أن يسقط عن العرش قبل التفكير فى حرب التحرير ضد إسرائيل .

وكانت المشكلة الرئيسية هى مشكلة مضيق تيران فطالما أن قوات الطوارىء ستغادر الأراضى المصرية فإن عبد الناصر لن تكون لديه أية حجة لعدم إعادة الاستيلاء على شرم الشيخ المشرفة على مضيق تيران أى على منفذ خليج العقبة على البحر الأحمر .

---

(١) وكان وقتئذ الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى (الباحث) .

وفى يوم ٢١ مايو حلت القوات المصرية فى شرم الشيخ محل قوات الطوارىء الدولية ، وكان على عبد الناصر أن يتخذ حينئذ قراراً بشأن الملاحة الاسرائيلية عن طريق هذا الممر الذى يصل فيه عرض الممر المستخدم فى الملاحة حداً ضئيلا بحيث يمكن لأى سلاح نارى أن يمنع المرور فيه ، غير أن عبد الناصر قد تردد أولا فى إغلاق المضيق وأخبر المشير عبد الحكيم عامر بذلك ، ولكن صدى انتقادات الأردن لا زالت ماثلة أمام عبد الناصر حيث لزم الأردن الصمت إزاء ما حدث فى مصر بعد ١٥ مايو ١٩٦٧ مدعياً عدم وجود النية الأكيدة لدى مصر للقتال وأخذ راديو عمان يردد :

« إن المصريين يتكلمون أكثر مما يفعلون ،إن السفن الإسرائيلية لا زالت تمر فى مضايق تيران » .

وفى مساء ٢٢ مايو أبلغ عبد الناصر وزراءه ومستشاريه(١) أنه عقد العزم على إعلان إغلاق مضايق تيران فى وجه السفن الاسرائيلية ، وقد أذاع راديو القاهرة بعد منتصف الليل بقليل هذا القرار :

« إن العلم الإسرائيلى لن يمر بعد ذلك فى خليج العقبة ، وسيادتنا على الخليج لا تقبل المناقشة . . وأننا نقف الآن فى حرب مع إسرائيل ،إن إسرائيل وحدها اليوم وليس معها بريطانيا وفرنسا كما حدث فى عام ١٩٥٦ إننا الآن وجهاً لوجه مع إسرائيل ، إن اليهود يهددوننا بالحرب ونحن نقول لهم أهلا وسهلا ولتتقدموا » .

ويدعى السوفييت أن أحداً لم يشاركهم(٢) فى هذا الأمر ، وكانت مصر قد أشرفت على المضيق من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٦ — «مضيقة» بذلك من

---

(١) وكان فى الواقع هذا القرار قد أبلغ بواسطة عبد الناصر والمشير عامر صباح اليوم نفسه عند ما كان فى زيارة لقاعدة جوية بالقرب من قناة السويس وحضر هذه الزيارة ضباط من القيادات المختلفة بالقوات المسلحة . (الباحث)

(٢) Radinson, Maxime ، Israel et Le Refus Arabe op. cit, pp. 156-7.

حيث المبدأ الخناق على ميناء إيلات الواقع فى نهاية الخليج والذى أقامته إسرائيل على ١٢ كيلو متراً من الشواطىء التى استولى عليها الجيش الإسرائيلى فى مارس عام ١٩٤٩ ،وكان لا يمكن للسفن الإسرائيلية عبور المضيق ،كذلك كان حال السفن الأجنبية أن تخطر قائدى كل من مينائى بورسعيد والسويس بموعد مرورها وقد استولت إسرائيل على هذا المركز خلال العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ثم تخلت عنه عند جلائها عن بقية الأراضى المحتلة بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية ،غير أن القوات الإسرائيلية أبدلت بقوات دولية وأصبح بإمكان السفن أن تمر بحرية .

والواقع أن السفن الإسرائيلية التى كانت تعبر المضيق قليلة للغاية وإن زاد الأمر بالنسبة للسفن الأجنبية إلى إيلات أو الراجعة منها ، فكانت لا تمر من هنا سوى ٥ ٪ فقط من تجارة إسرائيل — وإن كان يمر منها أيضاً الجزء الأكبر من تموين إسرائيل بالبترول ، كذلك كان هناك خط أنابيب بترول ينقل النفط حتى بئر سبع وكان مقدراً مده في المستقبل ليصل إلى حيفا ، وكان الخام يصل إلى إيلات فى الغالب على ظهر ناقلات بترول غير إسرائيلية ، وهناك مشروع قناة يسمح لإسرائيل (أو لغيرها) أن تتحاشى يوماً المرور فى قناة السويس للذهاب إلى البحرين الأحمر أو المتوسط وبالعكس .

وعندما اتخذ عبد الناصر قراره بإغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية أوضح أن السفن غير الإسرائيلية الحاملة لمواد استراتيجية أو لبترول والمتجهة إلى إيلات ستمنع من المرور فى المضيق .

وهكذا جاء هذا العمل أيضاً رداً على جميع تهم التراخى بل والتواطؤ مع الصهيونية(١) التى كانت توجه إلى عبد الناصر — بل والتى كانت التلميحات تكثر بشأنها فى العالم العربى .

---

(١) Kimche David and Bawly Dan : the Sand strom pp. 153-5.

وكانت حرية المرور فى مضيق تيران هى الميزة الإيجابية الوحيدة التى خرجت بها إسرائيل من حملة سيناء — فعندما حرمهم عبد الناصر من هذه الميزة أنقذ سوريا وحصل فى الوقت نفسه على النصر الوحيد الذى حققة العرب منذ وقت طويل ومحا بذلك آخر أثر للانتصار العسكرى فى عام ١٩٥٦ واستعاد لمصر سيادتها التامة على جميع أراضيها ، وبالتالى فلم يعد لأحد فى العالم العربى أن يناقشه أو أن يشكك فى إخلاصه .

وكان عبد الناصر يعتقد أن هناك فرصاً كبيرة فى أن لاتتحرك إسرائيل ؛ من ناحية كان الاتحاد السوفييتى يحميه ومن ناحية أخرى فإن كثيراً من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة بل وسكرتير عام المنظمة الدولية تفهم موقفه ، وكان يعتقد أيضاً أن لديه مؤيدين أقوياء فى وزارة الخارجية الأمريكية وأن جونسون مشغول بما يدور فى فيتنام ولا يميل كثيراً إلى التورط فى الشرق الأوسط .

أما الرأى العام العربى فقد وقف كله وراء عبد الناصر .

وفى يوم ٢٣ مايو استقبل عبد الناصر يوثانت فى القاهرة وعقد معه اتفاقاً تعهد فيه بالامتناع عن أى عمل جديد قد يكون من شأنه زيادة حدة التوتر ، واتفق على أن يقوم أحد ممثلى السكرتير العام بزيارة كل من القاهرة وتل أبيب لمحاولة التوصل إلى أساس للاتفاق وأن يطلب أوثانت من الدول العظمى مهلة للتوصل إلى الحل الوسط — بأن تمتنع عن إرسال مواد استراتيجية إلى إسرائيل عن طريق ميناء إيلات وتبعث بهذه المواد عن طريق حيفا ، وهكذا يمكن لمصر أن لا تقدم على أى عمل استفزازى فى شرم الشيخ .

أما الولايات المتحدة فقد أكدت ضمن رسالة بعث بها جونسون(١) إلى

(١) رسالة جونسون إلى الرئيس عبد الناصر فى ٢٣ مايو ١٩٦٧ وكذا مذكرة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى : ملف وثائق فلسطين (مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية (الجزء الثانى ، مرجع سابق ص ص ١٥٥٣-٦ .

عبد الناصر مساء يوم ٢٣ مايو أن المضيق يعتبر ممراً دولياً وأنه من الضرورى ضمان حرية المرور فيه، واقترح السفير الأمريكى فى القاهرة على عبد الناصر مشروعا يلغى آثار الحركة المصرية الإخيرة ولكن عبد الناصر رفض بشدة هذا المشروع ، كما طالب روبرت كينيدى فى نفس اليوم أمام جمعية بناى بريت اليهودية الأمريكية بإرسال قوة بحرية تابعة الأمم المتحدة عبر المضيق، وفى ٢٤ مايو أكد هارولد ويلسون دون أن يشير إلى الأمم المتحدة استعداد بلاده للاشتراك فى عمل دولى بهذا المعنى لإعادة فتح المضيق بالقوة .

ردود الفعل الاسرائيلى بعد اغلاق مضيق تيران :

أما ردود الفعل الإسرائيلى تجاة غلق مصر لخليج العقبة فقد جسدته المؤسسة العسكرية الإسرائيلية كمشكلة خطيرة للغاية باعثا على حرب ، فالأمر من وجهة نظرها لايقتصر على مجرد فقد حرية الملاحة بمضايق خليج العقبة ، بل أن إسرائيل فقدت امتلاكها « لليد العليا » وأنها بذلك سوف تفقد قدرتها تماما على الردع ، حتى ولوكانت القرارات والأعمال التى اتخذتها أو أقدمت عليها مصر تتعلق بالسيادة على أراضيها ومياهها الإقليمية .

وأثار احتـــلال القوات المصرية لمنطقة شرم الشيخ وقيامها بقفل مدخل خليج العقبـــة زوبعة سياسيه عاتية أثارتها إســرائيل ونشط الدبلوماسيون الإسرائيليون فى واشنطن وأخذوا يطالبون الحكومة الأمريكية بأن تنفذ تعهدها السابق إبان العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ «بحماية حرية الملاحة فى خليج العقبة » غير أن هذه الجهود الدبلوماسية لم تعكس أى أثر على استمرار الاستعدادت العسكرية الإسرائيلية المقبلة .

وكان أشكول قد أكد منذ عشرة أيام بأن حكومته لن تقبل أى عمل يعيق حرية الملاحة فى البحر الأحمر . فلما أقدم عبد الناصر على قفل مدخل خليج العقبة كان رد الفعل الذى طبعت به المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الرأى للعام الإسرائيلى : «بأنها الحرب و ليس منها مفر »

وقد تم عقد اجتماع هيئة أركان الحرب الإسرائيلية على وجه السرعة في تل أبيب في الصباح الباكر يوم ٢٤ مايو ، وفي هذا الاجتماع ذكر رئيس الوزراء الإسرائيلي من أنه :

« يبدو أنه ليس هناك طريق آخر للخروج من الأزمة ».

وتذكر المصادر الإسرائيلية أنه تم في هذا الاجتماع مراجعة الخطة النهائية للعمليات الحربية . ومن ناحية أخرى كانت الحكومة الإسرائيلية قد تسلمت برقية عاجلة من سفيرها في واشنطن تفيد بأن الولايات المتحدة سوف تبذل كل ما في وسعها لاعادة فتح المضايق .

وفي أثناء عقد اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي في ذلك اليوم عقب إغلاق المضايق ، تقدم وزير خارجية إسرائيلي — أبا إيبان — بخطة وضعها بنفسه على أساس برقية واشنطن ، وأعلن أن إسرائيل قد أخذت ضمانات قوية من الدول الغربية بحقها في حرية الملاحة في خليج العقبة وإن إسرائيل بناء على هذه الضمانات قبلت الإنسحاب من سيناء عام ١٩٥٧ ، وفي رأية أنه قد حان الوقت للمطالبة بتحقيق هذه الضمانات ومن ثم فهو يرى أن يسافر إلى واشنطن ويطلب إلى الرئيس الأمريكي بالحاح لاتخاذ إجراء عاجل لإعادة فتح المضايق .

ومن ناحية أخرى كان الجيش الإسرائيل قد اتم حشد قواته النهائية ضد الجبهة المصرية في يوم ٢٥ مايو حيث قام ليفي أشكول وإيجال آلون ومعهما اسحق رابين رئيس الأركان العامة ونائبه حاييم بارليف بجولة على امتداد الجبهة الجنوبية التقوا فيها بقائد الجبهة وقادة مجموعات العمليات المخصصة للهجوم على سيناء ، ودار النقاش حول سياسة الإنتظار التي تتبعها الحكومة وأبدى الضباط إعتراضهم على هذه السياسة ، بينما تساءلوا عمن تقع عليه

مسئولية إزدياد الضحايا الذى ستؤدى إليه سياسة الانتظار(١) . فقد كان العسكريون يريدون الهجوم فورا ويقولون ان الدولة الإسرائيلية ستتعرض لأكبر المخاطر لو وجه العرب الضربة الأولى ، ولكن من الأمور المتناقضة إنهم كانوا يغضبون عندما كان بعض المدنيين يشككون فى قوة الجيش ويطالبون نتيجة لذلك بتسوية المسألة بالوسائل الدبلوماسية ولشد ما كانت الدهشة عندما وجدنا بن جوريون نفسه يقف فى صف هؤلاء المدنيين — إذ كان يعتقد أن خلفاءه — ولا سيما أشكول — قد أفسدوا هـذا الجيش الذى صنعه بيديه ، كما انة كان يسير على المبدأ القائل بأن إسرائيل لا ينبغى لها أن تخاطر بالدخول فى حرب إلا أذا حصلت على تأييد محدد من إحدى الدول الكبرى على الأقل .

،كان أشكول قد دعا أيضاً اللجنة الوزارية للدفاع الوطنى إلى الانعقاد واشترك فيها عدد من الشخصيات البارزة من بينهم ديان وبيريز وبيجين وقام الجنرالات بعرض الموقف .

كذلك قابل أبا إيبان ديجول فى ٢٤ مايو ونصحه هذا الأخير بصورة قاطعة بأن لا تقوم إسرائيل بالهجوم ، واقترح ديجول عقد مؤتمر للدول الأربع الكبرى : الولايات ألمتحدة والإتحاد السوفييتى وبريطانيا وفرنسا .ثم توجه أبا إيبان إلى لندن حيث أخبره ويلسون أن بلاده ستشارك فى آية خطوة تتخذها أمريكا أو الأمم المتحدة لإعادة فتح مضيق تيران .

وفى يوم ٢٥ مايو وصل وزير الخارجية الإسرائيلية إلى واشنطن حيث أبدت هيئة الإركان العامة الأمريكية معرفة جيدة بما يدور إذا كانت مقتنعة بتفوق إسرائيل الساحق (فقد دلت حسابات العقول الالكترونية أن النصر ممكن فى ظرف خمسة أيام) وكانت تتوقع حدوث هجوم إسرائيلى وشيك

---

(١) شلومونيكدمين ، (ماقبل ساعة الصفر) مرجع سابق ص ١٠٠ .

واستقبل جونسون أبا إيبان وطلب منه الانتظار ووعده بإعادة فتح مضيق تيران بأية وسيلة .

والواقع أن الرأى العام الغربى(١) سرعان ما أيد إسرائيل فى وجهة نظرها تجاه إغلاق المضيق ، غير انه كان هناك حد أدنى من الحجج الحادة التى كان يمكن لمصر أن تتقدم بها فى حالة قيام مناقشة قانونية لهذه النقطة الشائكة فى القانون الدولى ، فنظرا لعدم وجود إتفاقية دولية محددة بهذا الشأن ؛ هل تعتبر الدولة ملزمة بالسماح بالمرور بمواد إستراتيجية مرسلة إلى دولة آخرى تعتبر فى حالة حرب معها من الناحية القانونية وذلك فى المياه التى تمتد لمسافة كيلو مترين من شواطئها ، وبالإضافة إلى ذلك فان الأمر كان عبارة عن مجرد رجوع للموضوع الذى كان قائما من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦ ، وعلى آية حال فإن هذه المسألة كان يمكن عرضها على محكمة دولية لترى ما إذا كان هل من حق الدولة التى لها مضايق فى مياهها الأقليمية أن توقف — فى ظل ظروف معينة — إستخدام دولة أخرى لتلك المضايق . أن الطبيعة القانونية لدعوى مصر فى ذلك الصدد لا تبيح لأى من الطرفين أن يتخذ فيها قرارا بمفرده ، وقد كان ينبغى طرحها على الأقل لمناقشتها أمام محكمة العدل الدولية فى لاهاى ، وربما كان هذا هو الخطأ المصرى الذى لم يفطن إليه عبد الناصر بعد إعلانه غلق مضيق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية .

ولنعد إلى سرد الأحداث التى سبقت الحرب على الجانب الإسرائيلى ففى يوم ٢٦ مايو ، أبلغت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الرئيس جونسون أن إسرائيل قد أتمت إستعدادها لشن الهجوم على مصر(٢) .

وفى نفس اليوم كان أبا إيبان يجتمع فى واشنطن مع ما كنمارا وزير الدفاع

---

(١) Rodinson, Maxime ; Israel et La Refus Arabe. op. cit., p. 160.

(٢) شلومو نيكدمون : (ما قبل ساعة الصفر) مرجع سابق ١٣٢ .

الأمريكى ودين راسك وزير الخارجية ويوجين روستو مستشار جونسون، ليعرض عليهم ما ازمعت إسرائيل أن تقوم به ، ويأخذ موافقتهم على ذلك : وحضر هذا الاجتماع العام الجنرال إيرل هوبار رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية ، والذى أكد أن التشكيل العسكرى المصرى فى سيناء لا يحمل أى طابع للهجوم ، وطمأن المجتمعين بنتائج الحرب المنتظرة ، وصرح بأن إسرائيل سوف تنتصر إذا ما شنت الحرب على مصر وأن ذلك الاستنتاج يعتمد على دراسات دقيقة وشاملة أجرتها لجان خاصة تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية توصلت إلى هذه النتيجة بعد أن قامت بجمع كل الأرقام والإحصائيات الخاصة بكل من الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى(١) . وكان هويلر مقتنعا تماما بأن القيادة الاسرائيلية قد أعدت كل شىء لشن الحرب على مصر فورا . ويبدو أن هذا التصريح الذى قاله هويلر فى الاجتماع ، كان غرضه الأساسى بث الأطمئنان لدى كبار رجال السياسة الأمريكية عن نتائج الحرب وضمانات النصر قبل أن يتخذوا قرارتهم بشأن تأييد إسرائيل وتحديد أسلوب تصرفهم حيال الأزمة عند نشوبها .

وبينما كان إيبان يستمع مع المسئولين الأمريكيين ألى تقرير هويلر وتأكيداته كان إيجال آلون يستعد لعرض تقرير عسكرى شامل على أشكول بناء على تكليف منه بعد أن استمع إلى كبار ضباط الجيش ومنهم حاييم بارليف نائب رئيس الأركان العامة ومردخاى هود قائد القوات الجوية وأهارن باريف مدير المخابرات الحربية وناقش معهم تقاريرهم المنفصلة عن الموقف وبحث تقديراتهم الحربية ؛ كما درس كذلك كل الخطط الممكن تنفيذها عند نشوب الحرب، بما فى ذلك الخطط الخاصة بلبنان(٢) . وعرض آلون تقريره على أشكول متضمنا خطة كاملة للحرب ، وأشار عليه بعقد اجتماع عاجل للجنة الوزارية لشئون الأمن لبحث هذه الخطة ،

---

(١) المرجع السابق ص ص ١٣٣-٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ص ١٢٧-٩ .

مؤكدا ضرورة المبادرة بشن الحرب الوقائية وضرب تجمعات « العدو» واحتلال المواقع الحيوية داخل حدوده(١) :

وفى صباح يوم ٢٧ مايو عاد رئيس الأركان العامة فأكد مرة أخرى لأشكول أن الجيش قد أتم كافةإجراءاته ، وأنه يقف مستعدا على الحدود فى انتظار صدور الأمر له بالهجوم . وفى نفس اليوم رجع إيبانإلى إسرائيل وقد حمل معه التأييد الأمريكى الذى عبر عنه فى اليوم التالى للصحفيين ، « إن إسرائيل متأكدة من أنها لن تجتاز هذا الأمتحان بمفردها » بينما كانت القيادة العامة قد بلغ بها السخط مداه ، إزاء هذا العمل السياسى العقيم(٢) : وطالبت الحكومة بالانتقال إلى مجال العمل أى الحرب . ولم تنتظر القيادة العامة قرار الحكومة ، فأصدرت أوامرها فى نفس اليوم بأن تتحرك القوات المتجمعة فى الخلف إلى الخطوط الأمامية ، وذلك لكى تضع الحكومة أمام الأمر الواقع وتدفعها إلى عدم التقاعس عن شن الحرب . وكانت هذه الخطوة . مقصودة توقيتها حيث كان من المقرر أن يجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى فى نفس اليوم ليتخذ قرارة النهائى على ضوء الاتصالات التى أجراها أيبان فى الدول الغربية الثلاث . وبحث المجلس نصيحة الولايات المتحدة بالتريث إلى أن « تستنفذ أولا جميع الوسائل الدبلوماسية قبل شن الحرب(٣) » ، وحضر هذا الاجتماع من ضباط القيادة العامة أسحق رابين وحايم بارليف وعيزر فايتسمان واهارون ياويت وعندما أوصى ايبان بأن يؤجل موقتا اتخاذ أى قرار أنتظاراً لنتائج ومحاولات الحكومة الأمريكية بشأن تشكيل قوة بحرية لأقتحام مضايق خليج العقبة وفتحها ، أنقسم مجلس الوزراء إلى معارضين ومؤيدين ، وأعترض العسكريون على أى تأجيل لشن

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٩

(٢) Ben Elissar, Elaho and Schiff Zeev : Le Guerro Isreala Arabe, op. cit pp. 97-5.

(٣) Ibid

الحرب ، غير أن المجلس لم يتوصل إلى تحديد موعد للهجوم فى هذه الجلسة .

وفى اليوم التالى اجتمع المجلس مرة أخرى واتخذ قراراً بالتأجيل ، بعد وصول رسالة جديدة ، من جونسون يطلب فيها ذلك . واتفق على أن يذيع أشكول بياناً فى الراديو بهذا المعنى . وعندما أستدعى أشكول رئيس الأركان العامة ليبلغه قرار الحكومة ، رفض رابين أن يتولى تبليغ القرار إلى القادة العسكريين ، وطلب من أشكول بأن يتولى ذلك بنفسه بوصفه وزيراً للدفاع . وكان رابين يهدف إلى أن يواجه أشكول زعماء المؤسسة العسكرية مراجهة مباشرة. وفى هذا الاجتماع بلغ الضغط بالمؤسسة العسكرية الإسرائيلية ذروته . وحاول أشكول أن يقنع المجتمعين بأن قرار التأجيل ضرورى للحصول على الضمانات السياسية اللازمة من الولايات المتحدة ، ولتفادى الاضطرار للإنسحاب من المناطق التى سوف يحتلها الجيش الإسرائيلى أثناء الحرب ، وحتى لايتكرر ما حدث عام ١٩٥٧ عندما خسرت إسرائيل معركتها السياسية(١) .

وما أن أستمع القادة إلى رأى رئيس الحكومة حتى حدثت ثورة عامة ، وصرخ العميد أريل شارون فى وجه أشكول قائلا :

« أن تأخيركم سيكلفنا آلافاً من القتلى . . . » أما عيزر فايتسمان فقد أعلن « أن سياسة الحكومة سوف تؤدى إلى تدمير الدولة اليهودية الثالثة » ، وهدد آخرون بتقديم استقالاتهم ما لم تجب مطالبهم بشن الحرب فوراً وأنحصرت أوجه الأعتراض بين أعضاء المؤسسة العسكرية الإسرائيلية فيما يلى :

١ ــ ضرورة الحرص على ألا تفقد القوات الإسرائيلية ميزة « المبادأة » .

---

(٢) شلومر نيكدمرن : (ماقبل ساعة الصفر) ، مرجع سابق .

٢ ـ أن التحدى العربى لايمكن السكوت عليه وإلا فقدت إسرائيل قدرتها على الردع ؛

٣ ـ الحكومة مترددة بشأن إتخاذ موقف ثابت ، كما لم تلتزم بقرار محدد أو سياسة واضحة .

٤ ـ ضرورة كسب الوقت ، فكل يوم يمر يعنى مزيداً من الخسائر حيث يزداد العدو قوة ، فتضعف بالتبعية قوة الردع الإسرائيلية .

٥ ـ أنه يجب القضاء فوراً على القوات المصرية الضخمة قبل أن تقضى على الجيش الإسرائيلى .

وأنهى المؤتمر العاصف بعبارة قالها رابين رئيس الأركان : أن القوة الوحيدة التى يمكن الاعتماد عليها فى هذا البلد هى الجيش(١) ، وكان هذا بمثابة تهديد مباشر موجه إلى ليفى أشكول ، وبلغت الأزمة حداً دفع بن جوريون إلى عقد مؤتمر صحفى ، يحذر فيه من تفاقم الوضع ويعلن :

١ ـ أن أى جيش فى بلاد ديموقراطية لايتصرف من نفسه ، ولا بناء على أوامر قادته العسكرية ، ولكن بناء على رأى الحكومة المدنية وتعليماتها .

٢ ـ أن الحرب لاتدار عن طريق العمليات الحربية فحسب ؛ بل يلزمها كذلك عمل سياسى . . فهناك أصدقاء لا يستهان بقدرتهم ، ويستلزم الأمر العمل الدائم لدعم هذه الصداقة .

٣ ـ أنه يجب حسم موضوع سياستنا على اعتبار واحد هو « الأمن » والمحافظة على كياننا .

وفى ٣٠ مايو ١٩٦٧ ، تم توقيع « ميثاق الدفاع المشترك » بين الأردن

---

(١) Ben Elisser Ellahu and Schiff Zeev : La Guerr Esraela – Arabe, op. cit., p. 97.

ومصر وكان هذا الميثاق هو الذريعة الجديدة التي تلقفتها المؤسسة العسكرية لتمارس مزيداً من الضغط ، وأرتفعت الأصوات تطالب بعودة دافيد بن جوريون – رجل المؤسسة الأول والقادر على خلق التوازن بين العمل السياسي والعمل العسكري – لكي يقود البلاد إلى الحرب ومعه موشي ديان ومناحم بيجن حتى تستكمل الحكومة كل العناصر السياسية والعسكرية والأرهابية التي يريدها الجيش . ولأول مرة منذ عشرين عاماً(١) يستقبل بن جوريون خصمه اللدود مناحم بيجن في منزله ، ويحمل هذا اللقاء دلالة عميقة يجب التنوية عنها(٢) وهي أن أهداف الصهيونية قد وصلت فعلا إلى المرحلة التي كان يطالب بها جابوتنسكي وتلميذه مناحم بيجن ، وهي أهداف تنادي « بفلسطين التاريخية أرضا لإسرائيل ، وتعتبر الحرب والأرهاب هما الوسيلة لتحقيق هذه الأهداف وفي عام ١٩٦٧ لم تعد هذه المطالب تمثل تطرفاً أو انحرافاً ، بل أصبحت تعبر عن واقع الأهداف الصهيونية في هذه المرحلة من مراحل التوسع بالعدوان ».

وبحلول يوم ٣٠ مايو ، لم يعد هناك خلاف بين جميع الفئات السياسية والعسكرية في إسرائيل حول ضرورة شن الحرب فوراً ، وانحصر الخلاف حول أسلوب شن هذه الحرب والجهاز اللازم لإدارتها ، وتولي مسئوليتها ، وهل يوكل ذلك إلى « مجلس حرب » أو « جماعة قيادة خاصة » أو إلى « ائتلاف حكومي » يشارك فيه بن جوريون » ، ورفض آشكول منذ

---

(١) وذلك منذ أن قضى بن جوريون على عصابة آرجون بعد حادثة للسفينة التالينا في يونيو ١٩٤٨ .

(٢) فمن المعروف أن مناحم بيجن يمثل قمة التطرف الصهيوني كخليفة لفلاديمير جابوتنسكي الذي كان يطالب (بأرض إسرائيل) عبر الأردن ، وحينما حمل بيجن رسالة جابوتنسكي اتهمه زعماء المنظمة الصهيونية ومنهم بن جوريون بالتطرف والانحراف . وكانت القطيعة منذ ذلك ذلك الوقت بن جوريون ومناحم بيجن وحتى ٣٠ مايو ١٩٦٧ عندما استقبل بن جوريون خصمه السابق مناحم بيجن .

البداية عودة بن جوريون ومشاركته فى الوزارة قائلا :

« أن وجود جوادين عجوزين – يقصد نفسه و بن جوريون – لن يستطيعاً جر عربة واحدة سوياً ، فإما أنا وإما هو(١) . واقترح أشكول تشكيل « مجلس حرب » يضم إلى جانب أعضائه موشى ديان وإيجال يادين ، وإيجال آلون ، وماثير عجيت (أحد الرؤساء السابقين بجهاز المخابرات) ورفض ديان الانضمام لهذا المجلس »

وفى ٣١ مايو عرض تكوين جماعة قيادة خاصة من ديان كوزير دفاع » ورفض ديان ذلك للمرة الثانية فعرض عليه قيادة « الجبهة الجنوبية » حتى يقود الحرب ضد مصر ، ولكن المؤسسة العسكرية تمسكت بتوليه وزارة الدفاع (٢) »

وفى أول يونيو ١٩٦٧ أضطر أشـكول أن برضخ لمطالب المؤسسة العسكرية وأن يعيد تشكيل وزارته ، ليدخلها اثنان من أكبر دعاة الحرب والقوة ، هما موشى ديان الذى تولى منصب وزير الدفاع ، ومناحم بيجن الذى تولى منصب وزير الدولة . وبذلك أصبحت الوزارة تضم كافة الأحزاب الإسرائيلية الكبرى – بدخول حزب جحل – لتكون المسئولية مشتركة فى المرحلة الحاسمة المقبلة .

على هذا النحو أتمت إسرائيل تشكيل أجهزتها القادرة على شن الحرب وإدارتها وتحمل تبعاتها ، وفى نفس الوقت نشطت الدعوة للتطوع بين الجاليات اليهودية فى العالم . وقامت المنظمة الصهيونية بدورها التقليدى فى هذا المجال فنظمت المظاهرات المؤيدة لإسرائيل وقامت بتسجيل آلاف المتطوعين فى سفارات إسرائيل بالخارج تمهيدا لنقلهم إلى إسرائيل . كما نشطت « جباية

---

(١) شلومو نيكدمون . ماقبل ساعة الصفر ، المرجع سابق ص ٠٧ .

(٢) Ben Elissar, Elahu and Schiff, Zeev : La Guerro Israelo – Arabe, op. cit., pp. 98–9.

الطوارىء « بين يهود العالم » وعينت لجنة لهذه المهمة من حاييم لاسكوف وزفى نسور وبنحاس سابير وزير الخزانة . ونجح حاييم لاسكوف فى جمع سندات بمبلغ ٥,٥ مليون دولار – كمساهمة فى جباية الطوارىء خلال اجتماع سرى عقده مع أربعين مليونيرا يهوديا فى فندق بيت مايكل بلندن؛ كما ساهم اللورد روتشلد البريطانى بمبلغ مليون جنيه استرلينى عند اجتماعه بسفراء إسرائيل فى أوروبا ، ودفع أصحاب رؤوس الأموال اليهود فى قاعة خاصة بمطار أورلى فى باريس بمبلغ ٣٥ مليون جنيه إسترلينى لحاييم لاسكوف وبنحاس سابير .

وفى ٢ يونيو ١٩٦٧ – اليوم التالى لتشكيل وزارة الحرب الإسرائيلية اجتمع مجلس الوزراء الفرنسى برئاسة الجنرال ديجول ، وأعلنت فرنسا إنها تقف على الحياد من النزاع ، ولكنها ترى أن البدء فى القتال سوف يكون اسوأ ما فى الأمر ، لذلك فإن الدولة التى ستبدأ الحرب والتى ستطلق الطلقة الأولى ، لن تحصل على تأييد الحكومة الفرنسية .

وكان هذا التحذير موجها بالدرجة الأولى إلى إسرائيل ، أولا باعتبارها الدولة التى تبيت العدوان ، وتصر على الحرب التى أعدت لها منذ زمن بعيد ، وثانيا لكونها سوف تتأثر تأثرا مباشرا بالموقف المنتظر أن تتخذه فرنسا ضدها باعتبارها الدولة البادئة بالعدوان ، والتى تعتمد فى نفس الوقت إعتمادا أساسيا على التسليح الفرنسى ، وخاصة بالنسبة للطائرات وقطع الغيار والأجهزة الالكترونية ، لقد أردات فرنسا أن تمنع إسرائيل عن الاقدام على شن الحرب ، ولكن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التى وصلت فى إصرارها على الحرب إلى مرحلة اللاعودة – لم يردعها موقف فرنسا ، بل حاولت أن تتخذ منه ذريعة جديدة للاسراع فى شن الحرب والتعجيل بها .. فنددت بموقف فرنسا وأن هذا يحتم « اختراق المسافات » وبدء العمل العدوانى سريعا ، قبل أن تتفاقم آثار السياسة الفرنسية وتؤدى إلى شل إسرائيل ومنعها من حرية الحركة ، وتوجيه ضربتها ضد مصر ،

خاصة وأن التعبئة العامة سارية منذ ٢٣ مايو (١) ، وهى تستنزف الكثير من اقتصاد اسرائيل ، ولهذا أعلنت أن الانتظار لايعنى سوى تبديد إمكانيات العمل للجيش الاسرائيلى ، الذى قدينقطع عنه أهم مصادر إمداده وأكثرها حيوية ، وكان التشجيع الأساسى لموقف اسرائيل هو التأييد الأمريكى لها والاطمئنان إلى موقف الولايات المتحدة وموافقتها على شن الحرب وضمان نتائجها المحسوبة .

وبناء على ذلك عقد مجلس الوزراء الاسرائيلى الجديد اجتماعا يوم ٤ يونية ٦٧ حيث أعلن المجلس القرار بشن الحرب فى صباح اليوم التالى ، ولم تكد تمضى ٢٤ ساعة حتى دخلت اسرائيل الحرب .

رد الفعل العربى بعد اغلاق مضيق تيران :

أما عن رد الفعل العربى بعد اغلاق مضيق تيران ، فقد ساعد العرب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى الإندفاع نحو الحرب حقا ، إذ أن الحركة المسرحية الخاصة بإغلاق مضيق تيران كانت قد الهبت حماس الرأى العام العربى إلى أبعد حد ، حيث كانت نفوسهم تمتلىء حماسا وثقة بهذا النصر الذى لم ينقصهم شيئا وقضى على أخر مكاسب إسرائيل من العدوان الثلاثى (٢) خاصة وان رد الفعل الاسرائيلى تأخر كماأنه من المتوقع أن توجد المساندة السوفيتية توازنا فعالا لتأييد الانجلوساكسونيين للدولة اليهودية أيضا فان فرنسا كانت تتخذ موقفا محايدا مليئا بالفهم تجاه العرب .

وجرف التيار من العواطف الجياشة جميع فئات الرأى العام العربى

---

(١) عن الموقف فى إسرائيل تفصيلا فى الفترة من ١٥ مايو حتى ٥ يونيو ١٩٦٧ هناك عديد من الروايات والدراسات الاسرائيلية ولعل أفضلها :

Kemiche, David and Bowly, Dan : The Sand Strom : op. cit., pp. 145–173.

(٢) الأهرام ١٣/٥/١٩٦٧ ؛ ٢٧/٥/١٩٦٧ المصور ١٨/٥/١٩٦٨ .

ونشأت عن ذلك وحدة مقدسة قائمة على أبسط المشاعر وأكثرها شيوعا وتغذيها المشاعر الوطنية والقومية ، كما جاء الدين ليدعم هذا الموقف ، فأخذ مشايخ المسلمين وعلماؤهم وبطاركة المسيحين يدينون اسرائيل وأصبحت الفوارق القائمة على المواقف السياسية والاجتماعية غير ذى بال ، ولم يشذ عن ذلك سوى قادة سوريا الثوريين الذين ظلوا رافضين التحالف مع الحكومات « الرجعية » العربية .(١)

واعتقد عبد الناصر فى البداية انه من غير المرجح حدوث رد فعل عسكرى – اسرائيلى وكانت المساعى السرية التى أقدم عليها تسير فى اتجاه تسوية تترك له كسبا أدبيا من حركته الدعائية ، غير أن الموجة التى أطلقها من عقالها بدأت تمسه ، فقد كان العسكريون المصريون يخشون هجوما إسرائيليا ويضغطون على عبد الناصر ليتخذ المبادأة .

كذلك فقد تعرض عبد الناصر أيضا لضغط من الضباط الموجودين فى اليمن وأولئك الذين فى القاهرة لاستغلال الميزة الواضحة التى اكتسبتها مصر تجاه إسرائيل فضلا عن الضغط السورى المتشدد على عبد الناصر بأخذ زمام المبادأة ، كذلك تعرض عبد الناصر لضغط الولايات المتحدة التى عرضت إرسال نائب الرئيس الأمريكى مستر هيوبرت همفرى إلى القاهرة لإجراء محادثات حول التطورات فى المنطقة ، وأجاب عبد الناصر بأنه فى الوقت نفسه الذى ستستمر فيه مصر فى سياسة الدفاع عن نفسها وعن الدول العربية الشقيقة إذا هاجمت اسرائيل أيامنها فانه يرحب بمقدم نائب رئيس الجمهورية الأمريكى إلى القاهرة لاجراء محادثات ، وفى الوقت نفسه عرض عبد الناصر أن يبعث نائبه زكريا محيى الدين إلى واشنطن للقيام بمحادثات ، إذا رغبت الولايات المتحدة فى ذلك ، ووافقت وزارة الخارجية الأمريكية على هذا لاقتراح وكان زكريا محيى الدين فى طريقه إلى واشنطن عندما شنت إسرائيل هجومها .

---

(١) المحرر ١٩٦٧/٥/٢٤ البعث ٦/٥ ، ١٩٦٧/٦/٦ .

وفى يوم ٢٦ مايو قابل يوجين روستو وكيل الخارجية الأمريكية المفير المصرى فى واشنطن وأبلغه أن أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل طلب منذ ساعات قليلة مقابلة عاجلة مع دين راسك وزير الخارجية الأمريكية ونقل إليه احساسه بأن مصر تعد لهجوم على إسرائيل فى مساء اليوم ذاته (٢٦ مايو) وأضاف روستو أنه مكلف من الرئيس جونسون شخصيا بأن ينقل إلى مصر ما يلى . —

« إذا حدث أى هجوم فستترتب عليه عواقب خطيرة » كذلك أكد المسئول الأمريكى للسفير المصرى أن واشنطن تمنع إسرائيل من الإقدام على أى هجوم(١) وتلا هذا اجتماع بين دين راسك والسفير المصرى يوم ١ يونيو ذكرت فيه الأفكار نفسها والتأكيدات التى دونت عقب ذلك فى مذكرة مكتوبة سلمها السفير الأمريكى فى القاهرة لمحمود رياض وزير خارجية مصر وقتئذ وقد جاء فى المذكرة .

« أن الولايات المتحدة ليس لديها سبب يدعو إلى الإعتقاد بأن أيا من أطراف الهدنة — بين الدول العربية وإسرائيل — لديه نية القيام بهجوم » كذلك أبلغت المذكرة مصر والدول العربية الأخرى :—

« أنها تستطيع أن تتأكد أن الولايات المتحدة الأمريكية ستواصل معارضتها الجارية لأى عدوان فى المنطقة بأى شكل ومن أى طرف ، سواء كان هذا العدوان صريحا أو مستترا وبقوات نظامية أو غير نظامية » .

ولقد قيل الكثير عن التواطؤ الأمريكى الإسرائيلى فى هذه الفترة ، أما موقف الاتحاد السوفيتى فيحتاج إلى وقفة خاصة للتفسير والتعليل ، فقد كانت الصورة الوردية التى أمام الإتحاد السوفيتى فى الأيام الأخيرة من شهر مايو تتلخص فى منع إسرائيل بأى ثمن من أن تشن حربا ضد مصر لأن

---

(١) Kimche, David and Bowiy, dan : op. cit, pp. 211.

المكاسب السياسية التى حققها عبد الناصر بعد ١٥ مايو ١٩٦٧ إعادت للاتحاد السوفيتى تقوية مركزة فى المنطقة وإعتقد السوفيت أن الحكومات العربية الموالية للغرب « الرجعية » والتى كانت تتآمر على الاطاحة بالحكومة السورية قد أخرست تماما بالإضافة إلى أن المملكه العربية السعودية وإمارات الخليج العربى والكويت والأردن والعـراق كلها سوف تسير فى فلك الإتحاد السوفيتى بعد المكاسب السياسية التى حققها عبد الناصر .

وهكذا لم يكن للاتحاد السوفيتى فيما بين ١٥ مايو — ٥ يونيو مصلحة فى التدخل وكان ما يدور فى ذهن السوفيت هو الانفجار الذى سيحدث على طول الحدود السورية الإسرائيلية ولم يهتم الاتحاد السوفيتى بسحب العاصفة المتجمعة فى الجنوب ، ومن ثم لجأ الاتحاد السوفيتى — كما تدعى إحدى الدراسات الإسرائيلية(١) — إلى تخويف سوريا بتقارير الهجوم الإسرائيل الوشيك .

والأسئلة التى لاتزال إجاباتها بعيدة عن متناول المؤرخ نظرا لغياب الرواية السوفيتية عنها :—

هل كان السوفيت يعرفون جيدا بأن قصصهم عن الحشود الإسرائيلية على حدود سوريا صحيحة ؟

وهل كان السوفيت يتوقعون بالفعل هجوما إسرائيليا وشيكا على سوريا يوم ١٧ مايو ؟

وإذا ما حاولنا الاقتراب من وجهتى النظر الإسرائيلية والعربية للإجابة على هذا السؤال ، فاننا نجد أن الاتحاد السوفيتى هو الذى أصر على وجود حشود إسرائيلية على حدود سوريا ، بل وقدر السوفيت هذه الحشود بثلاثة عشر لواء إسرائيليا .

Kimche, David and Bowly, Dan : op. cit., pp. 122–124. (١)

وتدعى الروايات الإسرائيلية(١) أن هـذه الحشود لم تكن موجودة قط وأن سفارة الاتحاد السوفيتى فى تل أبيب لديها وسائل عديدة للتحقق من ذلك .

غير أن وجهة النظر الإسرائيلية هذه تتخبط وتناقض نفسها بنفسها مما يتضح من مناقشة البيان السوفيتى الذى أصدره الاتحاد السوفيتى وقتئذ حيث لم يشر إلا إشارة عابرة إلى طرد قوات الطوارئ الدولية دون أن يذكر كلمة واحدة عن إغلاق مضيق تيران وفى نفس الوقت سلمت مذكرة إلى السفير الإسرائيلى فى موسكو تحذر فيها إسرائيل بلهجة قاطعة من الاعتداء على سوريا .

كذلك فان من الأسئلة التى تستأهل إجابة من المؤرخين المعاصرين ما يلى :

هل نصح الاتحاد السوفيتى مصر بإرسال قواتها إلى سيناء لتخويف إسرائيل ؟

وهل أخبار الاتحاد السوفيتى لمصر بأمر الاعتداء الإسرائيلى الوشيك كان حقيقة لاريب ؟ ولماذا تجاهل السوفيت حركة الأسطول السادس فى البحر المتوسط(٢) وقتئذ .

وهل كان يوجد تواطؤ سوفيتى لتشجيع مصر على طلب اجلاء قوات الطوارئ الدولية وإغلاق مضايق تيران ؟

وهل يمكن تأويل عدد المرات التى استدعى فيها السفير السوفيتى إلى وزارة الخارجية المصرية أثناء الأسبوع الأول للازمة بأن الاتحاد السوفيتى قد أحيط علما بالحركة المصرية الخاصة بخليج العقبة ؟

---

(١) المرجع السابق .
(٢) أنظر ملحق الخرائط .

وما معنى استبدال السفير السوفيتى فى القاهرة بآخر بالرغم من أن السفير القديم كان ضمن شهود التطورات التى حدثت فى القــاهرة فى الأسبوع الماضى ؟

وإذا ما حاولنا الإجابة على التساؤلات السابقة — مع غياب الدراسات السوفيتية المتخصصة — فاننا نقول ببساطة أن السوفيت قد خشوا من اندلاع نزاع حقيقى وكانوا يخشون تسلسل الأحداث التى قد تؤدى إلى نشوب حرب عالمية ، فكانوا مترددين كطابعهم ومترددين أيضاً فى حث عبد الناصر ، وهو ما أدى بالتالى إلى تردد عبد الناصر واتخاذه موقفا معتدلا من الأزمة رغم تصاعدها أو اندفاع إسرائيل نحو الحرب ومن المرجح(١) أنه جرى إتصال بين موسكو وواشنطون على خط التليفون المباشر (التليفون الأحمر) ؟

وكانت موسكو تفضل القيام بعمل مشترك مع جونسون أى حدوث إتفاق مباشر بين الدولتين العظميين بدلا من المؤتمر الرباعى الذى اقترحه ديجول .

وإذا ماحاولنا تتبع الأحداث السوفيتية العربية التالية ، فإننا نجد أن شمس بدران وزير الحربية المصرى ، قد وصل إلى موسكو فى ٢٥ مايو للحصول على مساعدات سياسية وعسكرية وأنه أجيب إلى طلبه بدليل ما قاله عبد الناصر لأعضاء مجلس الأمة يوم ٢٩ مايو .

« بعد أن استمعت إلى تقرير بدران وزير الحربية عن محادثاته فى موسكو استطيع أن أقول لكم اليوم أن الاتحاد السوفيتى بلد صديق ، يقف بجانبنا كصديق شريف نزيه » وبعد سفر وزير الحربية المصرى بأربعة وعشرين ساعة ؛ وصلت إلى العاصمة السوفيتية بعثة سورية وعلى رأسها الدكتور / نور الدين الاتاسى رئيس الدولة السورى لطلب معونات سوفيتية أيضاً .

---

(١) Kimch, David, Bowly Dan ; The Sandstorm op. cit. pp. 122–124.

وقد نشط الاتحاد السوفيتى وقتئذ فى تحركاته حيث نجح فى هذه الفترة فى تحويل الموقف فى الشرق الأوسط لصالح مصر ، وكان الاتحاد السوفيتى يرى أربعة إحتمالات :

تواطؤ أمريكى إسرائيلى قد يقود إلى الحرب مما يؤدى إلى موقف خطر لأن الولايات المتحدة لن تعط الإشارة الخضراء لاسرائيل حتى تدخل الحرب وبذلك تقف إسرائيل بمفردها بدون مساندة أمريكية وبهذا تحتفظ مصر بمكاسبها السياسية وتدعمها .

أو أن تعمل الولايات المتحدة بمفردها أو بالاشتراك مع الدول البحرية الأخرى لفتح مضايق العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية ، ومثل هذه الحركة تدفع جميع العرب للارتماء فى احضان السوفيت مما يزيد من مركزهم الشرق الأوسط ».

أو ربما تقرر إسرائيل دخول الحرب بمفردها على الرغم من أنها فى حاجة إلى معاونة الولايات المتحدة ».

ومن هنا كان هدف إتصالات السوفيت بالولايات المتحدة هو العمل على تجنب الاحتمال الأول ، وفى هذه الفترة تم اتصال بالولايات المتحدة يوم ٢٦ مايو عندما اقترح الكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى بأنه يجب على الدولتين أن تعملا معا لتخفيف حدة التوتر فى الشرق الأوسط واقترح لذلك أن يعمل الرئيس جونسون على كبح جماح إسرائيل وسيعمل الاتحاد السوفيتى من جانبه كل ما يستطيع لمنع أى عمل عدوانى من جانب مصر ، وقد وافق جونسون على ذلك على حسب ماتدعى الروايات الاسرائيلية(١) ، إلا أن هناك دراسة أخرى تكذب هذه الروايات وهى أقرب إلى الصواب من وجهة نظرنا — وتتلخص فى أن اقتراح كوسجين قد رفض من جانب جونسون تماما فى ٣٠ مايو وفى أثناء ذلك الوقت اجتمع أندريه جروميكو

---

(١) Kimch David and Bowly, Dan : op. cit. p. 123.

وزير الخارجية السوفيتي بجورج براون وزير خارجية بريطانيا بينما كان وزير الحربية المصرى يتباحث فى موسكو منذ أيام مع وزير الدفاع السوفيتي.

كذلك أسرع الاتحاد السوفيتي بتنفيذ وعده للولايات المتحدة الأمريكية بعد إطلاعه على التقرير الأمريكي بمخاوف إسرائيل من قيام مصر بأى عمل غير مشروع.

وفى الساعة ٣٠٠ من صباح اليوم التالى اتصل السفير السوفيتي بالقاهرة بمكتب الرئيس عبد الناصر لطلب مقابلته فى الحال حيث يريد تسليمه مذكرة من الحكومة السوفيتية ولا يستطيع التأخير، وقد أيقظ عبد الناصر فعلا من نومه وقابل السفير واستمع إلى محتويات المذكرة التى قرأها السفير وكانت هذه المذكرة من كوسيجين ولكن محتوياتها كانت تطلب من عبد الناصر ضبط النفس وأضاف كوسيجين بأن أى اعتداء ربما يكون له عواقب وخيمة على العالم بأسره.

وفى ٢٧ مايو طلب السفير السوفيتي — كما تذكر إحدى الدراسات الإسرائيلية(١) فى تل أبيب مقابلة رئيس وزراء إسرائيل مرتين لتسليمه مذكرة من رئيس الوزراء السوفيتي وكانت المرة الأولى التى طلب المقابلة فيها السفير السوفيتي هى الساعة ٢٣٠ صباحا وقد أيقظ رئيس الوزراء وقابل السفير السوفيتي وتسلم رئيس الوزراء المذكرة حيث طلب الاتحاد السوفيتي من إسرائيل إلا يسير وراء المستعمرين وأن يحاول ضبط النفس ما استطاع الى ذلك سبيلا وأن الاتحاد السوفيتي يبذل قصارى جهده ليكبح جماح العرب.

وإذا كان لنا أن ندلى برأى عن موقف الاتحاد السوفيتي وقتئذ بالنسبة إلى اطمئنانه إلى أن إسرائيل لن تبادر بالهجوم فإننا نقول أن هذا الموقف ربما جاء بناء على تحليل سوفيتي خاطئ للموقف الداخلى والضوابط الداخلية للنظام السياسى لإسرائيل الذى استطاع أن يوهم السوفيت بأن هجوم إسرائيل سوف يكون بعيد المنال وصعباً فى تحقيقه، وهكذا خابت جهود الاتحاد السوفيتي تجاه إسرائيل، ولم تفلح لهجته الشديدة فى «المقاومة الصلبة» التى

---

(٢) Ibid.

سيواجه بها إسرائيل إذا ماحدث منها اعتداء على العرب – فى منع إسرائيل من دخول الحرب .

على أن هناك من يشير (١) بأصابع الاتهام ضد الاتحاد السوفيتى ، ويعتمد هذا الرأى على الأسانيد الآتية :

أن قيمة الأسلحة التى وصلت مصر فى الفترة من ١٩٥٥ حتى ١٩٦٧ فاقت قدرات الشعب المصرى الشرائية باعتبار هذه الأسلحة صفقات تجارية يراعى فيها عائد رأس المال بالنسبة لطول أجل السداد ، فالاتحاد السوفيتى ومن يدور فى فلكه أصبحوا يدينون مصر – فى هذه الفترة بما لا قدرة لمصر به ؟ فإذا أضفنا إلى ذلك أن اتفاقيات توريد الأسلحة قد وقعت مبكراً قبل عام ١٩٦٧ ومع ذلك لم تكن فى حوزة مصر حتى انتهاء حرب الأيام الستة ، وهنا يقفز أمامنا هذا السؤال :

لماذا سمح لنا الأصدقاء السوفيت بل وأغرونا على الدخول فى مغامرة يونيو ١٩٦٧ ؟

لقد كان السوفيت مدركين يقينا بحالة قواتنا المسلحة تسليحا وتدريباً ، فكراً وأسلوباً حيث انتشر خبراؤهم العسكريون فى الوحدات والتشكيلات والرئاسات والقيادات ، وفى نفس الوقت كانوا بدون شك على علم بحقيقة قوة إسرائيل العسكرية .

فلماذا إذن أطلقوا صفارة بدء المباراة عندما نقلوا إلينا معلومات مثيرة عن الحشود الإسرائيلية التى تتأهب لغزو سوريا ؟

وهل كانت هذه المعلومات صحيحة ؟

وإذا كانت صحيحة . . فهل تستدعى كل هذا الضجيج وتتسبب فى النتيجة الخطيرة التى ستصل إليها ؟

---

(١) الفريق صلاح الدين الحديدى : شاهد على حرب ١٩٦٧ ، دار الشروق ، بيروت ، بدون تاريخ إصدار ص ٢٠٢ ، ٤٠٤ .

ثم لماذا حال السوفيت بيننا وبين التمتع بالمبادأة فى أواخر مايو عندما طلب السفير السوفيتى مقابلة عبد الناصر فى ميعاد غير مألوف ليبلغه رسالة من موسكو تطلب منه التريث والانتظار ؟

وهل خدع الأصدقاء السوفيت كما خدعنا فى نوايا إسرائيل وقدرتها العسكرية ومدى معاونة أمريكا لها ؟

أغلب الظن – كما يتصور البعض –(١) أن المشير عبد الحكيم عامر قد أثار هذه التساؤلات مع السفير السوفيتى عند استدعائه فيما بعد (٢) – حتى لو كان هذا التصور صحيحاً – فإن هذا العتاب لا قيمة له وكان من الأجدى تجنب أسبابه ومن هذه الأسباب – طبقا لهذا الرأى – المشير عامر نفسه فقد ربط المشير عبد الحكيم عامر وليس سواه بعجلة القوات المسلحة المصرية منذ اليوم الأول للثورة المصرية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكان اختياره بالذات لهذه المسئولية يرجع فى نظر البعض(٣) إلى عدة أسباب فهو الصديق الصدوق لعبد الناصر والثقة بينهما كاملة كما أن الانسجام الفكرى أيضاً كان تاماً ، هذا بالإضافة إلى شخصية عبد الحكيم عامر نفسه فرغم ما كان يتمتع به من مزايا فى بعض النواحى فإنه لم يكن يميل كثيراً بطبيعته إلى الانضباط العسكرى .

وقد رأى عبد الناصر أن يعين صديقه الحميم الذى يعرف فيه الوفاء أولا ، ويعرف فيه – إلى جانب الوفاء – أنه ليس ثمة «طموح» لديه – عينه عبد الناصر قائدا عاماً للقوات المسلحة . وقفز به من رتبة « الصاغ » إلى رتبة «اللواء» دفعة واحدة مع أنه – أى عبد الحكيم عامر – لم يكن له – ، فى المرحلة الأولى

---

(١) الفريق صلاح الدين الحديدى : شاهد على حرب ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٢٠٦–١٠٧ .

(٢) وذلك قبيل تقديم المشير عامر استقالته من جميع مناصبه السياسية والعسكرية التى كان يشغلها .

(٣) الفريق صلاح الدين الحديدى : شاهد على حرب ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٢٠٢ .

للثورة — وهى مرحلة تطهير الجيش . . وتغيير رئاساته ، وقياداته « أية علاقة بأمور الجيش ، ومن هنا صار عبد الحكيم عامر الذى كان الوفاء ثم « اللاطموح » هى أبرز صفاته .

بالإضافة إلى « الصفات السلبية » الأخرى وهى الصفات التى كانت تتركز فى عدم الجلد على العمل ، وفى عدم الصبر عليه(١) ، وقنع الرجل وإلى أبعد حدود القناعة بما وصل إليه النائب الأول لرئيس الجمهورية . . ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة .

وإذا كان هناك صراع بين الرجلين ، فلم يكن بين عبد الناصر وعامر فى شخصهما ولكنه كان بين الرجال المحيطين بكل منهما .

وكان هذا « الطرف الأقوى « هو « عبد الناصر » الذى كان بدوره حريصاً على تأكيد قوته وعلى القضاء أولا بأول على كل فتنة يمكن أن تقوم فى الأذهان بأنه يوجد على المسرح من يقاسمه قوتة ، فكان عبد الناصر — بهذا التفسير — هو الذى يملك ويحكم ، لا أحد فوقه ، ولا أحد معه ، ولا أحد بجانبه ومن هنا استطاع عبد الناصر أن يجد علاجاً لعيوب الجيش المصرى من وجهة نظره ، ولكن نظام « الشلل » أساء إلى الوضع داخل القوات المسلحة حيث استشرت فيها مواطن الضعف ، وأبعدت مراكز القوى عدداً كبيراً من أكفأ الضباط عن الوحدات والتشكيلات فى مواجهة إسرائيل .

---

(١) حلمى سلام : «عبدالناصر . . وعامر وحقيقة العلاقات بينهما ق ، مجلة الفجر مؤسسة قطر الوطنية للصحافة والطباعة والنشر : الدوحة ، قطر : السنه الأولى العدد ٢١ يونيو ١٩٧٥ ص ١٦—١٩ ، أما عن حقيقة العلاقات بينهما فلا يعرفها بالفعل إلا أشخاص عددهم على أصابع اليد الواحدة ولم يكن فى استطاعة الباحث الحصول على معلومات أكثر عن حقيقة هذه العلاقة .

غير أن حجة عبد الناصر بهذا الخصوص كانت تتلخص فى أن تنحية عديد من الضباط — ومنهم معظم الضباط الأحرار — عن مراكزهم داخل الجيش إنما يرجع إلى أنهم كانوا من الضباط المتطلعين للحصول على مكاسب الثورة أو من المعارضين لها وكان عبد الناصر يرى أن هذا الإجراء يهدف إلى إبعاد الجيش عن المسئولية السياسية وبناء جيش جديد منفرغ للمهام والحياة العسكرية. وحتى يعوض عبد الناصر من نمو مراكزهم داخل الجيش، فقد عهد إليهم بمناصب مدنية داخل الحكومة وداخل المؤسسات العامة . . . وقد تجمعت هذه العناصر داخل وضع أشبه بالوضع الحزبى فأصبح هناك حزب ليس له كيان ولا اعتراف رسمى ، ولكنه حزب . . وحزب واحد هو الحزب الاقرب الذى يتحملى مسئولية الحكم ثم أمتد نفوذ هذا الحزب إلى داخل الجيش ذاته ، والذى كان مفروضا أن ينحى عنه ، وهو ما أصبح يسمى بعد ذلك « مراكز القوى » .

ولا شك أن عبد الناصر حاول كثيراً أن يحد من نفوذ هذا الحزب وأراد أن يقيم تكوينا شعبيا يصبح قوة مسيطرة . . هيئة التحرير، ثم الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى ، ولكن بقيت القوة دائما فى يد الحزب ولأنه ليس حزبا علنيا معترفا به رسميا فقد كان غير مسئول شعبيا وهو ما أدى — فى المستقبل القريب — إلى كثير من الاخطاء التى انتهت بهزيمة ١٩٦٧ .

وإذا عدنا لسود بقية الأحداث التى سبقت الحرب فإننا نجد أن عبد الناصر فى مصر تعرض لضغط تلو الآخر — فقد كان الضباط الشبان يحاصرونه حيث كانوا يريدون شن هجوم وقائى قبل أن تقدم إسرائيل على الهجوم .

وفى يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ عقد عبد الناصر مؤتمرا صحفيا وكان عصبيا للغاية وكان يريد هو الآخر أن يظل ممسكاً على زمام الموقف عن طريق تقديم

تنازلات شفوية فاستخدم أسلوب العنف وأخذ يعدد انتهاكات إسرائيل الماضية لقرارات الأمم المتحدة وقال إذا ارادت إسرائيل أن تهاجمنا فسنقول لها أهلا وسهلا .

ثم قال أن من حق الفسلطينين أن يهاجموا لاستعادة حقوقهم المغتصبة وإذا أصبحت حرب التحرير حربا شاملة فى الشرق الأوسط فإننا مستعدون لهذه المعركة ، ثم أشار إلى المعركة المستمرة وعدم الاعتراف الأساسى بإسرائيل قائلا :

« لن نقبل أى نوع من التعايش مع إسرائيل لأن خلق هذه الدولة يعتبر فى حد ذاته عدوانا ضد العرب » .

غير أن عبد الناصر عاد بعد ذلك وترك الأبواب المفتوحة — فعندما سئل عما إذا كان البترول يدخل فى عداد المواد الاستراتيجية التى سيمنع مرورها فى تيران — أجاب قائلا أنه لايعرف وأنه ينبغى الرجوع فى هذا الأمر إلى قائمة الممنوعات كذلك أعلن عبد الناصر فى المؤتمر عن استعداده للجلوس على مائدة لجنة الهدنة المصرية الإسرائيلية المشتركة إذا ماقبلت إسرائيل عودة هذه اللجنة إلى مباشرة أعمالها بناء على طلب يوثانت(١) .

وأشار عبد الناصر أيضاً فى هذا المؤتمر إلى إمكانية مناقشة المشكلة الفلسطينية كلها بصورة شاملة وإجراء مفاوضات بشأن جميع المشاكل المعلقة بواسطة بعض الاطراف الأخرى .

وبينما أخذ عبد الناصر يصدر فى الساعات والأيام التالية لذالك سلسلة من التصريحات ذات الطابع الداعى للحرب ، أخذ كبار موظفيه ودبلوماسيه

---

(٣) ومن المعروف فى هذا المجال أن إسرائيل هى التى أنهت أعمال هذه اللجنة فى عام ١٩٥٦ .
الباحث

يبذلون الضمانات السلمية وراء الكواليس ، فأبدوا استعدادا لمناقشه المرور فى تيران بل وفى قناة السويس على أن تتناول المناقشة فى الوقت نفسه قرارات الأمم المتحدة الصادرة فيما بين عام ١٩٤٧ وعام ١٩٥٠ والتى رفضت إسرائيل تطبيقها ، وكان من الممكن قيام عملية مساومة كبيرة .

وأخذت الصحافة العالمية والاسرائيلية على وجه الخصوص تردد بصفة أكبر أكثر تصريحات عبد الناصر بالتهديد موقعة إياه فى فخ تصريحاته مما اقنع الرأى العام العالمى أن هناك هجوما عربيا وشيك الوقوع . فقد تأثر الرأى العام العالمى بالاستعراضات الكلامية للعرب .

وكان ينقص الجبهة العربية عنصر أساسى هو الأردن فقد كان الملك حسين موضع هجوم يومى من قبل القاهرة ودمشق ولم يكن يرغب فى الانضمام لا إلى القاهرة ولا إلى دمشق .

وقد لمحت إسرائيل للملك حسين بأنها لن تهاجمه إذا هو لم يتحرك من جانبه وأعلن حسين أنه سيظل محايدا غير أنه سرعان ما تملكته الثقة العامة بالنصر العربى فإذا ما نشبت الحرب فإن شعبه لن يمكنه أن يقبل الحياة وسينهار عرشه وإذا انتصر العرب فإنه سيجرف بصورة أكثر تأكيدا نتيجة للهزيمة الإسرائيلية ، وربما كان يحرك الملك حسين شعور وطنى مخلص ، وعلى أى حال ففى يوم ٣١ مايو وقع الحادث الثانى بين الحوادث التى عجلت بنشوب الحرب ، فى ذلك اليوم قام الملك حسين الذى جاء إلى القاهرة فى اليوم السابق على ظهر طائرة مدنية كان يقودها بنفسه مصطحبا معه رئيس وزرائه ورئيس هيئة أركان حربه — قام بالتوقيع مع عبد الناصر على — اتفاقية دفاع مشترك بين الأردن(١) ومصر ، وفى اليوم التالى عاد إلى عمان وفى صحبته أحمد الشقيرى خصمه القديم الذى كان قد حرم دخوله إلى الأردن قبل ذلك بقليل .

وهكذا حدثت عملية التصالح الكبيرة ، فقد اعاد الشقيرى فى اليوم التالى

---

(١) الأهرام ١٩٦٧/٥/٣١ .

افتتاح مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في القدس القديمة وهو المكتب الذى كان الملك حسين قد أغلقه .

وكان عبد الناصر قد أعلن فى كلمة الترحيب التى ألقاها عند استقبال الملك حسين قائلا : —

« سيرى العالم أن العرب يتحدون فى الأوقات الحرجة » .

والأصح من ذلك أن هذا الاتفاق قد تم بصورة غير محسوبة وأدى إلى مرحلة جديدة من النزاع بينما كانت تنحصر الخطة بالفعل فى الاستعراضات الكلامية وتحريك القوات العسكرية .

فقد بدأت هذه المرحلة عند إغلاق مضيق تيران وتأكدت عند تصالح عبد الناصر وحسين ، وقد أدى هذا التصالح إلى دهشة كبيرة فى جميع أوساط الرأى العام العربى ، على أن من المستطاع تفسيره إذا ما راعينا الأوضاع الداخلية التى كانت سائدة فى الأردن ، ففى ذلك الوقت كان الفلسطينيون المقيمون فى المملكة الأردنية قد بلغوا الحد الأقصى من الفوران ، وكان الجيش الأردنى نفسه أو على الأقل بعض العناصر فيه على استعداد للتمرد(١) إذا ما رفضت الحكومة السير وفقا للخط المصرى ، وكان انضمام الملك حسين الى السياسة السورية المصرية السبب الثانى من أسباب وقوع الحرب على حد رأى فريق من الباحثين الغربيين(٢) .

أما عبد الناصر فقد أعتقد أن بإمكانه أن ينتقل من التهديد الرامى إلى ردع إسرائيل عن مهاجمة سوريا إلى تهديد أقوى يجبر إسرائيل على الدخول فى مفاوضات بشأن جميع المشكلات التى ترتبت على نشأتها ، وأعتقد عبد الناصر

---

(١) عباس مراد : الدور السياسى للجيش الأردنى ، مرجع سابق ص ١١٥–١١٩ .
(٢) Aleum op. cit. PP. 431–432.
Rodinsov Maxime op. cit. PP. 156–157.

أيضاً – خصوصاً بعد أن قررت العراق فى ٣١ مايو إرسال قواتها لنجدة الأردن وما أعلنته كل من الجزائر والمغرب عن استعدادهما لإرسال القوات – أعتقد عبد الناصر أن هذا التهديد قد يجبر إسرائيل للمرة الأولى على تقديم تنازلات بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين وما حصلت علية إسرائيل فى عام ١٩٤٨ – وعندئذ فإن الأمر لايتعلق بمجرد الدفاع عن نظام الحكم السورى بل بمطالب أساسية لا يمكن لأى عربى أن يتنكر لها وأن جميع معاهدات واتفاقيات الدفاع المشتركة هذه – صالحة لإخافة إسرائيل . ومن جهة أخرى فإن عبد الناصر اعتقد بالتالى أنه سيكون مطلق اليدين بالنسبة للمفاوضات الكبرى النهائية إذا ماتشكلت جبهة عربية مشتركة وقوية وراءه .

غير أن المخاطر كانت كبيرة إذا كان هناك إحتمال فى أن تهاجم إسرائيل ولكن عبد الناصر اعتقد أنها (أى إسرائيل) سترى أنها فى موقف أضعف وأنها لن تهاجم – ولكن هل كانت إسرائيل ضعيفة حقاً ؟ أن منتقديه ولا سيما العسكرين الشباب منهم خاصة الذين كانوا يوجهون إليه هذا السؤال يقولون له لماذا لا تهاجم إذن ؟

وكانت الجماهير لجهلها بالعلاقات الحقيقية بين القوى تتدفق فى هذا الاتجاه . . . فقد كان أكثر من ٧٠٪ من الشعب المصرى فلاحون يعيشون فى الريف حيث تسود علاقات اجتماعية تجعل حياة الفلاح المصرى بعيدة كل البعد عن الإحساس بالمواطنة واكثر من ذلك... أبعد عن الإحساس بالقومية ، ولا نعنى بذلك أن الفلاح المصرى لم يسمع عن فلسطين « أو » إسرائيل « أو الوحدة العربية » وإنما نعنى أن مثل هذه الكلمات كانت هامشية لوجوده ، وبعيدة عن(١) معركته اليومية ، ولا أن يفهم من هذا أن ذلك هو خطأ الفلاح المصرى . . . فالأخير هو فى الواقع ضحية تاريخية لقسوة اجتماعية عزلته

(١) دكتور سعد الدين إبراهيم فى سوسيولوجية الصراع العربى الإسرائيلى مرجع سابق ص ١٧٦–١٨٣ .

واستعبدته لقرون طويلة وجعلت إطاره المرجعي لايعدو حدود عائلته أو قبيلته أو قريته أو أقرب مدينة يستطيع أن يمشي إليها على قدميه أو حماره ..

حتى ثورة يوليو وما حققه عبد الناصر ذاته من أعمال مجيدة فى بطن الريف المصرى . . . كل هذا لم ينجح فى ربط الحياة اليومية لهذا الفلاح بالقومية والإشتراكية وكان السوريون هم الآخرون يفكرون أولاً وقبل كل شيء فى مشاكلهم الداخلية فلقد وضعوا الصراع العربى الإسرائيلى داخل إطار كفاح العالم الثالث المستغل ضد الإمبريالية الأمريكية– وكانوا لايريدون التخلى عن هذا المفهوم وإلا كان معنى ذلك فى تصالحهم مع أعدائهم فى الداخل والخارج أى التخلى عن إجراءاتهم الثورية وربما عن السلطة فى المدى البعيد ، وكانوا بذلك غير ميالين إلى اندلاع – حرب تقليدية ، بل أنهم اعتبروا أنه من الأفضل الدعوة لحرب ثورية يشنها الفدائيون الفلسطينيون ضد إسرائيل ، فكان السوريون موافقين على أن يشمل التهديد إسرائيل شريطةأن لايؤدى ذلك إلى اندلاع حرب حقيقية أو إلغاء الحجج الثورية للنضال لذلك فقد عارضوا عملية تصالح عبد الناصر مع حسين .

ولكن عبد الناصر كان فى حاجة إلى حياد الولايات المتحدة لكى تحمل إسرائيل على التفاوض –وكان السوفيت أيضاً لايعارضون بالمرة المساعى الحميدة – المبذولة فى هذا الاتجاه وشجعوا عبد الناصر على القيام بمناورات للردع فى بداية الأزمة لإنقاذ نظام الحكم السورى ، وكان السوفيت أيضاً يريدون إبلاغ واشنطن بطريقة أو بأخرى أنهم لن يتحملوا دون أى رد فعل هجومهم ضد أصدقائهم وحلفائهم .

وقد ساهم الضغط السوفيتى بالفعل فى منع الأمريكيين من التدخل لإعادة فتح مضيق تيران بالقوة ، ولكن السوفيت من ناحية أخرى أصبحوا يخشون الآن أن يتمادى العرب فى موقفهم مما يدخلهم فى مواجهة لايريدونها مع الولايات المتحدة ومن هنا راح السوفيت يدعون إلى التصالح :

غير أن الاندفاع الكلامى قد استمر فى الدول العربية وبرز الشقيرى

عندما قال أن الحرب القادمة لن تترك أحياء وأعلن أنه من الممكن بل ومن المحتمل أن يطلق الجيش الأردنى الرصاصة الأولى وهو ما ادهش كل من عبد الناصر والملك حسين اللذين أخذا بسياسة الترقب ولم تشر الصحافة الأردنية إلى تصريحات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، واضطر الشقيرى نفسه إلى نفى جزء من هذه التصريحات .

وكان الخلاف على الجانب العربى لايزال مستحكما بالرغم من انضمام العراق إلى معاهدة الدفاع الأردنية المصرية مساء يوم ٤ يونية إذ كانت دمشق مازالت تستنكر هذه المعاهدة التى لم تشر إليها الصحافة السورية وأشارت على العكس إلى وجود قلاقل فى الجيش الأردنى حيث أبدت عناصر ثورية استياءها من عداوة الملك حسين لسوريا .

كما استنكر الجزائريون هذه المعاهدة التى أبرمت مع ملك موال للغرب مما لطخ نقاوة الحركات الثورية العربية .

واستاءت المملكة العربية السعودية هى الأخرى من هذه المعاهدة لأسباب مخالفة واوقفت إمداد الملك الهاشمى بالسلاح والذخائر إذ اعتبرته حليفا غير مستقر انضم إلى اعدائها .

وفرض الأمريكيون الذى يمولون نصف الميزانية الأردنية نفس العقوبات على الملك حسين .

أما عبد الناصر فكان الضغط لايزال مستمرا عليه حيث خشى جزء من الجيش قيام إسرائيل بتوجيه الضربة الأولى ، ففى المؤتمر العسكرى السياسى الذى عقد مساء يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ أعلن عبد الناصر عن تحول الاستراتيجية المصرية إلى استراتيجية دفاعية بحته وطلب من العسكريين الاستعداد لتلقى الضربة — التى توقع أن تكون فى خلال يومين — واتخاذ مايلزم لتقليل الخسائر حتى « يمكننا بعدئذ توجيه ضربة رادعة ضد العدو » وهنا ساد الوجوم غرفة الاجتماع واعترى العسكريين نوع من الصمت والقلق وأعلن قائد

القوات الجوية أن التحول إلى الدفاع سيؤثر على القوات الجوية وأن الفرق سيكون كبيراً فى الحالين ، ثم ذكر المشير عبد الحكيم عامر أسباب هذا التحول فى الاستراتيجية من الهجوم إلى الدفاع ، وكان القدر متربصا برجال القوات الجوية فى مصر(١) ، وكثيراً ما شهد التاريخ مواقف مماثلة كانت فيها القرارات السياسية ذات أثر ضخم على مجريات الأحداث العسكرية وسيحكم التاريخ فى يوم ما على ضوء ما دار فى هذا المؤتمر ، وأن المؤرخ المنصف هو من يصدر حكمه مراعيا الظروف السائدة كلها .

وفى الأردن كان الملك حسين هو الآخر يعرب عن مخاوفه فى أن يستغل الإسرائيليون فترة تخف فيها اليقظة ، غير أن الملك حسين كان يعتقد أن هذا الخطر مازال بعيدا بعض الشئ — بعكس عبد الناصر الذى توقع هجوم إسرائيل خلال يومين — وقد دفع هذا الاعتقاد الخطأ الملك حسين إلى عدم التفكير فى الهجوم .

وجاءت فترة القلق لعبد الناصر وأصبح لايثق أبدا فى حلفائه العرب وخاصة سوريا والأردن على السواء .

فالسوريون يعتقدون أن بإمكانهم الحصول على مكاسب هامة عن طريق العمل الدبلوماسى دون التخلى عن حرب العصابات ويبدو أن وزير الخارجية السورى قد تباحث مع عبد الناصر فى إطار هذا المفهوم .

والملك حسين اعتقد أن خطر الهجوم الإسرائيلى مازال بعيدا وبالتالى فإنه لم يفكر فى الهجوم .

ومن هنا ضاعف عبد الناصر من مساعيه الدبلوماسية معتقدا أنه إذا وصلت الأزمة إلى هذا الحد الكبير من التعقيد والخطورة فإن إسرائيل ستخاف

---

(١) اللواء طيار محمود شاكر عبد المنعم لماذا حدثت نكسة ٥ يونيو فى آخر ساعة العدد ٢١٤١ القاهرة ٥ نوفمبر ١٩٧٥ .

وستقدم تنازلات ، وهو ما جعل عبد الناصر فى هذه الفترة —خصوصا— يركز على المزايدة ، فكان أن تقدم — المندوب المصرى فى مجلس الأمن منذ أيام قليلة بمشروع حاول فيه استغلال الوضع للتوصل إلى تسوية عامة وحث إسرائيل على إحياء لجنة الهدنة المصرية الإسرائيلية المشتركة بناء على طلب يوثانت على أن يكون مقرها فى منطقة العوجة وهى المنطقة القديمة المنزوعة السلاح التى احتلتها إسرائيل فى عام ١٩٥٥ .

وقد قصد عبد الناصر بهذا الباب المفتوح العودة إلى الظروف التى تلت حرب عام ١٨٤٨ مع اعتراف عملى بإسرائيل ، غير أن ذلك كان يعنى أيضاً الموافقة على الأمر الواقع فى تيران ، وعارضت الولايات المتحدة والدول الغربية على السواء هذا المشروع ، وهنا أدرك عبد الناصر أنه طلب الكثير وأن أقصى ما يمكن أن يطالب به هو إتفاق يترك له بعض المكاسب من حركة إغلاق المضيق أى أن تحفظ السيادة المصرية عليه من حيث المبدأ .

وفى القاهرة كان تشارلس يوسست مبعوث جونسون قد توصل إلى إتفاق مبدئى سرى(١) مع وزير خارجية مصر ، وهكذا تقرر استمرار العمل الدبلوماسى — وطرح النزاع بشأن مضيق تيران على محكمة العدل الدولية بلاهاى وذلك على حد ما ذكره أحد الباحثين(٢) .

وفى هذه الفترة تقرر إيفاد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية فى مصر إلى وشنطن للتفاوض بشأن حل وسط .

وأبدت مصر استعدادها لتسمح بعبور البترول فى تيران واكتفت بتحريم مرور المواد الاستراتيجية فيه .

وغادر تشارلس يوسست مبعوث جونسون القاهرة يوم ٢ يونيو وهو

---

(١) Rodinson Maxime : op. clt. P. 170-171.

(٢) Ibid.

يؤكد أن إسرائيل لن تهاجم طالما استمرت المساعى الدبلوماسية ، وأبلغت موسكو وتل أبيب المحاولات المبذولة للتوصل إلى حل وسط .

ولكن عبد الناصر ومحاولاته الديلوماسية كانوا فى وادى والمؤسسة العسكرية الإسرائيلية فى وادى آخر تماما ، وبينما كان الجيش وسلاح الطيران الإسرائيليان متأهبين للهجوم كان زعمـــاء إسرائيل يتحدثون عن السلام والمحافظة على الوضع القائم وحتى موشى ديان كان يتحدث بطلاقة عن « السلام » والمفاوضات ففى حديثه مع المراسلين العسكريين يوم ٣ يونيو أعطى انطباعا بأنه يؤمن كل الإيمان بجهود الأمم المتحدة لحل المشكلة ، كما قال أنه ينبغى منح « الوسائل الدبلوماسية » الفرصة الكاملة :

ووجه إليه أحد المراسلين السؤال التالى : هل تعتقد أنك تستطيع الانتصار لو قامت الحرب فى هذه المرحلة أم أن تأجيلها أفضل للحصول على النصر ؟ فأجاب ديان :

« لو وقعت الحرب فى بحر شهر فلاأدرى النتيجة ، ولكن إذا وقعت الآن فأنى أعتقد أننا ننتصر ، وإنى أفرح بقولى فى « بحر شهر » إذ أننى لا أتصور(١) وقوع أية تغييرات رئيسية فى بحر شهر أو شهرين أو ستة أشهر ، ولكننى أعتقد أننا نستطيع أن ننتصر ، وإننى حقا مندهش من توجيهك هذا السؤال »

ومن الغريب أنه بالرغم من المساعى الدبلوماسية — حتى الفرنسية والبريطانية منها — لتخفيف حدة الأزمة ، فإن الرأى العام العالمى كان يخشى هجوما عربيا ضد إسرائيل غير أن الدبلوماسيين الذين كانت لديهم معلومات أدق كانوا يخشون عملا عسكريا إسرائيليا بصورة أكبر .

وتضاعفت مظاهرات التأييد لإسرائيل فى كل من لندن ونيويورك

---

(١) جيروزالم بوست الطبعة الأسبوعية ٤ يونيو ١٩٦٧.

وباريس وغيرها من العواصم ، واقتنع الرأى العام العالمى أن تدمير إسرائيل وذبح سكانها أصبح وشيكا نتيجة لتهديدات الشقيرى والرسوم الكاريكاتورية السورية واستبدت الحمى بالرأى العام الإسرائيلى والعربى على السواء وكان الصدام العدوانى يظهر أن الحرب أمر لا يمكن تفاديه .

وأعتقدت الحكومتان المصرية والسورية أن إسرائيل ستذعن ولن تقدم على الهجوم نتيجة لحرب الأعصاب ولعزلتها الدبلوماسية وكانت المشكلة الوحيدة هى مدى التنازلات التى يمكن الحصول عليها .

وجنبا إلى جنب مع هـــذا كله جاءت صراعات المقاومة الفلسطينية والتى كانت دائرة قبل ذلك بسنوات — جاءت هذه الصراعات فى نهاية مايو ١٩٦٧ لتجعل المناخ ملائما تماما لاسرائيل كى تقوم بعدوانها وباندفاع شديد على الحرب ، وقد سبق ذلك صراع المنظمات المتطرفة مع بعض الدول العربية الراديكالية إلى جانب الدول العربية المحافظة(١) ثم الخلاف بين المقاومة ككل والدول العربية كلها(٢) ثم الخلافات داخل المقاومة نفسها بعد أن تعرضت منـــذ عام لازمة القيادة (٣) حيث أسلوب الشقيرى كان — أوتوقراطيا ، وقد طلبت مكاتب المقاومة فى بيروت ، دمشق أن يكون لها نصيب من السلطة وكان منافسا الشقيرى هما شفيق الحوت (مدير مكتب بيروت) واللواء وجيه المدنى (رئيس أركان حرب الجيش الفلسطينى) وقد أدت الأزمة إلى قيام الشقيرى بحل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وتشكيل « مجلس الثورة » الذى سيقوم بإعداد معركة تحرير فلسطين ، ثم زادت حدة المعارضة للشقيرى وإبتداء من نهاية فبراير وأوائل مارس ١٩٦٧ بدأت القواعد الفلسطينية تطالب بقيادة جماعية ، ومن ثم تراجع

---

(١) Ivorn Yair : The Middle East op. cit. P. 200.

(٢) Jabber, Fuad, The palestine Resistance and inter-Arab Politics, Rand corporation, 1971 P. 15.

(٣) Ibid.

الشقيرى وأعلن عن تشكيل لجنة تنفيذية جديدة لكن الانقسام لم يتوقف وفى خلال فترة الاندفاع نحو الحرب هذه فى النصف الثانى من مايو ١٩٦٧ أصدر الشقيرى قرارا بنقل شفيق الحوت إلى مكتب نيودلهى ، لكن الحوت رفض وانتقد القرار علانية مؤكداً أنه يرجع إلى رغبة الشقيرى فى إبعاد كل العناصر التى تطالب بالقيادة الجماعية واستمرت الأزمة خلال حرب يونيو وبعدها حتى استقال الشقيرى (١) .

وهكذا جاء التضليل الإسرائيلى للعرب ملائماً تماماً لكى تقوم بعدوانها وكان هذا فى الواقع نتيجة طبيعية لجهل الرأى العام العربى بطبيعة العدو وإمكانياته المادية والعلمية والبشرية وكان نتيجة لجهل مقابل فى هذه الجوانب نفسها فيما يختص بنا أنفسنا ، وليس هذا خطأ الرأى العام العربى والجماهير العربية ، ولكنها حقيقة تاريخية تفسر ولو تفسيراً جزئياً ضعف الجماهير العربية حيث تعودت — فى معظمها — على انتصارات سياسية متراكمة دون الاحساس بضرورة المشاركة الفعلية ودون الشعور بضرورة التضحية من أجل كل انتصار ، ومن أجل الحفاظ على كل انتصار ، ولا يعنى هذا التحليل أن الجماهير العربية عاشت فى واد وقيادتها المخلصة فى واد آخر . والواقع أن الجماهير استجابت بحماس وتأييد لكل انجاز وقدرت والتفتت حول قيادتها المخلصة ، لكن هذه الجماهير لم تأخذ فى معظم هذه الانتصارات زمام المبادأة السلوكية ، أو كما قال (٢) نهاد صفوان اليهودى المصرى الأصل والأستاذ بجامعة هارفارد :

« أن الجماهير العربية كمثل المتفرجين فى السيرك فإذا أحسن لاعبوا السيرك فى أداء أدوارهم ، حيتهم هذه الجماهير ، وصفقت وهتفت بحياتهم أما إذا أساء اللاعبون فربما يحدث صفيرا واستهجان ، ينفض بعده المتفرجون إلى بيوتهم فى انتظار لاعبين أفضل » .

---

(١) Ibid.

(٢) تصريح لنهاد صفران نشر فى تقرير لمجلة التايم الأمريكية — يونيو ١٩٦٧ .

وربما كانت هذه مبالغة ومع ذلك فهي تصف بعض الحقيقة قبيل حرب ١٩٦٧ وخصوصاً فى الفترات السابقة التى سبقت الاندفاع نحو الحرب على الجانب العربى فى العلاقة بين الجماهير العربية وقيادتها .

ولا شك أن عامل المفاجأة الإسرائيلية وتحطيم السلاح الجوى العربى كان عاملا من عوامل اندحار الجيوش العربية . ولكن الحقيقة تبقى حية رغم مرارتها وهى أنه حتى ولم يكن عامل المفاجأة موجوداً ودخلنا مع اسرائيل فى حرب نظامية بدايتها معروفة للطرفين مثل مباراة رياضية فانه طبقا لجهاز المخابرات الأمريكية (CIA) فان أجل الحرب كان سيطول ربما شهراً أو شهرين وكانت إسرائيل ستصاب بدمار أكبر وخسارة بشرية أعلى ولكن النتيجة ما كانت لتتغير نوعياً .

ويرجع هذا بالدرجة الأولى إلى الأغراض الاستراتيجية لكل من العرب وإسرائيل ولعبت الاستراتيجية العسكرية العربية دوراً هاماً فى اندحار الجيوش العربية وذلك باعتبارها أحد أساليب تحقيق الأغراض الاستراتيجية (١) القومية على الجانب العربى وذلك حسب رأى أحد القادة العسكريين المصريين فيما بعد إذ قال (٢) :

« ترتبط الاستراتيجية العسكرية لأى دولة بسياستها ، وقد فوجئت القوات المسلحة يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ برفع استعدادها الكامل للقتال وتنفيذ التعبئة وبدء حشد القوات فى سيناء اعتباراً من ١٥ مايو ١٩٦٧ لوضع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا كما أعلن ذلك للرأى العام — موضع التنفيذ . . ومعنى ذلك أنه كان على القوات المسلحة أن تقوم بعمليات تعرضية ضد إسرائيل فى حالة قيامها بالاعتداء على سوريا .

---

(١) دكتور محمد فاروق الهيثمى : فى الاستراتيجية الإسرائيلية م. ت. ف. م. أ. بيروت ١٩٦٨ ص ٨٥ .

(٢) الفريق الأول : محمد عبد الغنى الجمسى : حقائق خطيرة عن حرب ١٩٦٧ فى : الأخبار القاهرة ٢٩-٥-١٩٧٥ .

ولتنفيذ هذا القرار السياسى كان يجب اخطار القيادة العامة للقوات المسلحة – مسبقا – للتحضير سرا لتنفيذ هذه المهمة وبالتالى كان يمكن تخصيص المهام للقوات المسلحة وتنفيذ التعبئة والحشد بما يتناسب ويتمشى مع التخطيط الموضوع لها وهو مالم يتم :

وفى يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ فوجئت القوات المسلحة بقرار سياسى آخر وهو سحب قوات الطوارئ الدولية وجاء فى هذا الأمر أنه من الضرورى سحب هذه القوات من بعض النقط فى نفس الليلة ، كى يتضمن ذلك سحب قوة الطوارئ الدولية بشرم الشيخ وهذا كان يتطلب إرسال قوات لتأمين شرم الشيخ لمنع العدو من السيطرة عليها بدون قتال بصرف النظر عن موضوع قفل خليج العقبة من عدمه :

ثم صدر قرار سياسى آخر وهو قفل مضيق تيران ، وكان تنفيذ هذا القرار يتطلب التجهيز له من الناحية العسكرية ووضع الخطة اللازمة لمواجهة الاحتمالات المختلفة التى قد يتبعها العدو رداً على ذلك . . وترتب على ذلك إرسال قوات مظليين إلى شرم الشيخ جواً يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ واستمرار تدعيمها بالقوات إلى يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ حتى تكون قادرة على تنفيذ مهمتها بالإضافة للالتزامات التى وضعت بسرعة على القوات الجوية نتيجة للوصول إلى قرار تأمين شرم الشيخ ليلة ١٩ – ٢٠ مايو ١٩٦٧ الأمر الذى يوضح أنه لم يكن هناك تخطيط سابق لتحقيق الهدف السياسى . . . وعلى الرغم من استمرار الهدف السياسى للدولة دون تغيير فإن القرارات الإستراتيجية العسكرية بدأت تتحول اعتبارا من ٢٨ مايو ١٩٦٧ – لتتخذ طابعاً خاصاً يجمع فى نفس الوقت بين تخطيط تعرضى هجومى ، وتخطيط دفاعى جزئى الأمر الذى ترتب عليه غموض المهام المحددة للتشكيلات والوحدات وتسبب فى ضياع وقت ثمين فى تخطيط عمليات حربية غير مؤكد العزم على تنفيذها وكذلك حشد قوات ضخمة لا تتمركز بما يخدم متطلبات خطة منسقة واحدة ، وزاد من عواقب غموض الهدف الاستراتيجى على

نتائج المعركة مما أدى إليه هذا الغموض من عدم تحقيق اتزان الأوضاع الدفاعية فى مسرح العمليات الحربية لمقابلة صد وتدمير هجوم – معاد رئيسى ولا تمركز التشكيلات فى أوضاع مناسبة تخدم خطة تعرضية ، وقد أدى – كل ذلك إلى عدم وضوح الرؤية لأجهزة القيادة العامة للقوات المسئولة عن التخطيط والإعداد والتنسيق للعمليات .

أبعاد الكارثة ومؤشرات التواطؤ :

يبدو أن العسكريين العرب لم يتعلموا من أمثولتى ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ . ففى عام ١٩٥٧ كان هناك أيضا ذلك الافتقار إلى التعاون الذى ساد عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ ، ونفس مظاهرات الوحدة التى حدثت فى الدقيقة الأخيرة ، ونفس الافتقار إلى المبادرة وإلى الروح الهجومية الحقيقة .

ولقد كانت جميع الخطط العربية للمعركة عام ١٩٦٧ ،(هذا إذا افترضنا بأنه كانت لدى أى جيش عربى قناعة حقيقية باحتمال اشتباكه بحرب مع إسرائيل(١) تقوم على أساس افتراض الاشتباك بحرب دفاعية ترتكز على إيقاع العدو فى شرك من أجهزة دفاعية جبهوية ، بينما تبقى قواته المدرعة احتياطا فى الخطوط الخلفية ، وكانت التحصينات التى إقامتها بعض الجيوش العربية كما فى سورية مثلا ، تعطى شعوراً بالأمن للقوات المتمركزة فى هذه التحصينات الجيدة ، وتفقدها أية رغبة فى الخروج من هذه المواقع المريحة نسبيا للقيام بعمليات فى أمكنة مكشوفة . وهكذا فإنه عندما دفع السوريون سرايا قليلة إلى إسرائيل ، لم يكن هجومها حماسيا ولم تمض فيه إلى النهاية .

ليس هناك من ينكر طبعا أن السبب الرئيسى فى عدم قدرة القوات العربية على الخروج المكشوف كان التفوق الإسرائيلى الجوى الكامل . ومع

---

(١) راجع : لطفى الخولى : ٥ يونيو – الحقيقة والمستقبل – القاهرة دار الكاتب العربى ١٩٦٨ (فى المعركة) ص ص ٣٥–٣٨ .

هذا فلو أن — القادة للعرب كانوا مصممين ، من ناحية أخرى ، على تحمل الخسائر المحتملة والاشتباك مع القوات الإسرائيلية من مدى قريب ، فإن فعالية السلاح الجوى الإسرائيلى كانت ستنخفض إلى حد كبير : لأن هناك مدى محدودا لعمليات الدعم الميدانى . ولو أن القوات المدرعة الأردنية والسورية تحركت فورا فى عمل هجومى بعد الهجوم على مصر ، فان أسوأ ما كان يمكن أن يحدث هو أن تدمر المدرعات (كما حدث على أى حال) على أرض العدو حيث كان بإمكانها على الأقل أن تحدث بعض الخسائر . وهذا ماتفعله الجيوش العالية الكفاءة ، التى لاتنهزم إلا بعد أن تقع منها خسائر باهظة ، وبعد أن تصيب العدو بأذى شديد وتحمله ثمنا غاليا لإقتصاده .

ومن المحتمل أن يكون ثمة سوء تقدير للتأثير الذى تركه للتفوق الجوى فى معنويات الجنود ، لكن المرء لا يمكن أن يقر بأنه كان أفضل لو أن سورية أرسلت أكثر من سرية من الحرس الوطنى عند تل دان مثلا .

وعموما فقد حاقت بالعرب فى خلال هذه الأيام الستة كارثة يظهر ثقل مداها كلما تحققت أرقام الخسائر التى أسفرت عنها . لقد ترك العرب بين يدى عدوهم مساحات واسعة من الأرض هى الضفة الغربية لنهر الأردن ومدينة القدس القديمة ومنطقة غزة وشبه جزيرة سيناء وشريط عريض من الأرض على طول الحدود السورية ، لقد تمكنت إسرائيل بذلك من مضاعفة مساحة الأرض التى تشغلها أربع مرات فى خلال أسبوع واحد . وكانت الخسائر فى الأرواح (حوالى ٣٠ ألفا) فادحة إذا ما أخذ فى الاعتبار مقدار القوات التى استخدمت المدة التى استغرقتها الحرب وهذا بيانها :

عشرة آلاف قتيل من بين الخمسين ألف مقاتل الذين يتكون منهم الفيلق العربى .

وعشرون ألف قتيل على الجبهة المصرية لا يدخل ضمنهم العدد الذى لاحصر له من الجنود الذين ماتوا عطشا فى سيناء ؛ وهم يحاولون العودة إلى

القناة بعد أن تفككت وحداتهم . فى مقابل هذه الأرقام المذهلة يندهش المرء لتواضع مقدار الخسائر التى لحقت بالإسرائيليين ، فقد بلغ عدد قتلاهم ٦٧٦ — منهم أكثر من ٢٠٠ أثناء الهجوم على مدينة القدس القديمة — عدا ٢٥٠٠ جريح(١) ، وكانت الحكومة الإسرائيلية قد قدرت أن فى حالة وقوع حرب قد يصل عدد القتلى من المدنيين والعسكريين إلى أربعين ألف قتيل .

إن المقارنة بين هذه الأرقام لتبين بجلاء التفوق الضخم الذى يتميز به الإسرائيليون وكذا الفرق بين المفهوم العسكرى لدى كلا من الطرفين المتحاربين .

أما كميات المعدات التى حطمتها إسرائيل أو استولت عليها فضخمة جداً وهذا بيانها (٢) .

٤٤١ طائرة ، وأكثر من ٧٠٠ دبابة منها ١٠٠ دبابة تم الاتفاق عليها سليمة ، ٥٠٠ قطعة مدفعية وعشرة آلاف سيارة وغواصة واحدة ووحدات بحرية أخرى كثيرة وقاعدة للصواريخ السوفيتية من النوع الذى يطلق من الأرض إلى الجو طراز « SA – 2 » وجدت متروكة فى سيناء وقد قدر ثمن هذه المعدات فى مجموعها بعشرة مليارات من الفرنكات ، أما ثمن المعدات التى استولى عليها الإسرائيليون فيقدر بمليار من الفرنكات .

على أن هذه الخسارة(٣) فى المعدات العسكرية لم تكن تمثل غير جزء

---

(١) تقدير عدد القتلى والجرحى من بين الإسرائيليين مستمد من المصادر الإسرايلية ولا ينتظر أن تكون هذه المصادر منصفة .

Le Monde, Paris 5–7–1967.

(٢) Lacouture, Jean. The Changing Blance of Forces in the Middle East: Jrl. of Palestine Studies, vol. 2 No. 4, (Summer 1973) PP. 25-32.

(٣) تبعاً للبيانات التى ذكرها المعهد البريطانى للدراسات الاستراتيجية وهو من المعاهد ذات الإطلاع الدقيق بوجه عام — بلغت الخسائر التى منى بها العرب الأرقام الآتية : ٤٣٠ طائرة ، ١٠٠ دبابة منها خسائر مصر : ٣٤٠ طائرة ، ٦٠٠ دبابة ، ومنها خسائر الأردن : ٢٠ طائرة ، ١٥٠ دبابة ومنها خسائر سورية ٥٠ طائرة ، ٥٠ دبابة ، ومنها خسائر العراق . ٢٠ طائرة ، أما الخسائر التى لحقت باسرائيل فهى حسب تلك البيانات : ٤٠ طائرة ، ١٠٥ دبابة .

يسير من الكارثة المالية الفادحة التى أصيب بها العرب من جراء الحرب سواء بطريقة مباشرة من جراء تكاليف العمليات وتحطيم المعدات المدنية وتوقف السياحة ، أو بطريقة غير مباشرة من جراء أعمال الانتقام التى اتخذت ضد الغرب مثل وقف ضخ البترول لعدة أسابيع ، ووقف تصدير البترول وإغلاق قناة السويس .

ومن وجهة النظر الأدبية ، وجد العرب فى الهزيمة التى لحقت بهم الدليل على عجزهم عن الصمود فى حرب حديثة ، وأن انخفاض مستواهم بالنسبة للاسرائيلين إنما يرجع لأسباب عميقة يتعذر عليهم اجتيازها ويطول أمامهم طريق التغلب عليها . ذلك أن التفوق الفردى لدى المقاتل لم يكن هو العامل المؤثر فى الانتصار الذى حققه الإسرائيليون ؛ فلقد حاربت القوات العربية عموم والأردنية منها خصوصا ؛ وإنما العامل المؤثر حقا هو القيمة المهنية والخلقية بطبيعة الحال لدى العسكريين وقدرتهم على التحكم فى إحداث الأساليب التكتيكية ومن الملاحظات ذات المغزى فى هذا الصدد أن السلاحين فى الجيش الإسرائيلى اللذان كان لهما أكبر نصيب فى تحقيق النصر هما الطيران والخدمات الخاصة وهما اللذين يستخدمان الأساليب التى لها أكبر نصيب من العلم .

والنظرة الواقعية إلى الموقف تؤدى بصاحبها إلى الخروج بنتيجة واضحة وهى أن الجانب العربى لم يحسن القتال فى تلك الحرب ، فلا أحد ينكر أن التنسيق كان ضعيفا بين الدول العربية المشتركة فى الحرب (١)، كما لم تكن هناك خطة عمل موحدة بالرغم من الخطوات التى اتخذت قبل الحرب مباشرة . كذلك كانت القوات العربية تفتقر إلى دوريات كثيرة ، وأيضا يجب أن نتذكر أن أكثر من ٦٥٪ من الجيش الإسرائيلى يتكون من يهود بيض قادمين من أوربا وأمريكا وكندا . يقترن بهذا حقيقة أن الإسرائيليين كانوا يخططون لتلك الحرب منذ وقت طويل .

---

(١) إن لم يكن هناك أى تنسيق فعلى .

وقد سأل الأخوان تشرشل – وهما يعدان كتابهما «حرب الأيام الستة» أحد القادة الإسرائيليين عن سبب نجاحهم فأجاب الجنرال هود وهو من أعضاء القيادة الإسرائيلية العليا :

« ان ستة عشر عاما من التخطيط قد انصبت كلها فى الثمانين دقيقة – التى بدأت بالحرب – لقد كنا نعيش مع الخطة وننام معها ونأكل معها ، لقد أتقناها (١) كذلك رأت مجلة تايم هذا الرأى حين قالت :

« ان اصطياد ذلك العدد الكبير من الطائرات العربية فى حظائرها وهى متراصة ومتلاصقة تدل على أن إسرائيل لا بد أن تكون قد خططت بعناية للضربة الأولى(٢) » .

أيضاً ، نقل الاخوان تشرشل عن مدير عمليات المخابرات الإسرائيلية وقتئذ وهو الجنرال عيزرا وايزمان قوله :

« لقد كان لدينا منذ البداية خطة لكل شىء حتى [للاستيلاء على القطب الشمالى » ويعلق الأخوان تشرشل بإعجاب على تلك الاعترافات التى يتباهى بها أصحابها فيقولون :

أن إسرائيل مثلها فى ذلك مثل راعى البقر فى براوى الغرب القديمة لم تنتظر عدوها حتى يهاجمها – لقد لمحت البريق فى عين عبد الناصر فهاجمته(٣).

وفى مقابل تخطيط إسرائيل للحرب بتصميم وكفاءة كان الموقف العربى الأخرق على النقيض من ذلك تماما ، وهذا يرجع إلى التأكيدات الدبلوماسية

---

(١) Churchill, Randolph S. & Winston S. : The Sex day war, op. cit., P. 91.

(٢) مجلة تايم ١٦ يونيو ١٩٦٧ .

(٣) Churchill, Randolph S. and Winston L. , op cit., P. 92.

التى قدمتها الدول الكبرى فجعلت العرب يستكينون إلى الاعتقاد بأن الأزمة ستمر كغيرها من الأزمات التى شهدها تاريخ المواجهة العربية الاسرائيلية ، وهكذا تفاعل العرب ولو أنه ثبت إنه تفاؤل مميت ، ولقد لاحظ ذلك الإتجاه مراسل بريس ترست الهندية حيث بعث من القاهرة قبل الحرب بيوم واحد يقول :

أن القاهرة لا تريد الحرب ، ومن المؤكد إنها غير مستعدة لها » .

ويؤيد هذا التقييم الواقعى لاتجاهات القاهرة الإستراتيجية التى أتبعها العرب فى جبهة القتال ، أنه قد ثبت أن معظم الأسلحة والعتاد العربى فى سيناء وغيرها كان منتشرا على الجبهة بهدف الدفاع فقط . والأنباء التى كانت تأتى من مصادر موالية لإسرائيل عادة أكدت أن الدبابات المصرية التى كانت فى الصحراء إنما وقعت فى قبضة الإسرائيليين لأنها موضوعة فى حفر كى تستخدم كمدفعية . ومن الواضح إن أى إنسان لا يعد لحرب هجومية بتثبيت أسلحته فى أماكن لاتبرحها ، ويمكن اعتبار هذا الموقف مؤسفا فى إدراج الواقع من جانب القيادة العربية العليا ، ولكنه يظهر بالتأكيد أن العرب لم يخططوا لحرب ضد إسرائيل .

وهكذا كان الاسرائيليون أذكى من العرب بكثير ومن ناحية أخرى فإن الكارثة أوضحت بدرجة أكثر أهمية بطلان ما كان يقوله أنصار إسرائيل عن ميول العرب — العدوانية ، كذلك يمكن الاستدلال على أن دعاوى إسرائيل من وراء إغلاق خليج العقبة والتصريحات شبه الحربية للقادة العرب وإستعدادات الدفاع المشترك بين بعض الدول العربية — كل تلك الدعاوى لم يكن لها شأن بهجوم إسرائيل الذى جرى تخطيطه بعناية منذ شهور إن لم يكن منذ سنين . وكل ما أسمته إسرائيل أعمالا إستفزازية من جانب العرب إنما وقع قبل الحرب بأقل من أسبوعين فى حين أن إستعدادات إسرائيل لتلك الحرب بدأت قبلها بشهور .

ونذكر بادىء ذى بدء أن المراقبين الغربيين الذين بحثوا فيما يسمى بنجاح إسرائيل فى الحرب يحسنون صنعا لو تذكروا أحداث التاريخ الحديث(١) والمعاصر .

غير أنه ينبغى أن لا نتجاهل أن إسرائيل قد لقيت فى سبيل ذلك النجاح مساعدة نشيطة وتأييدا من أصدقائها الغربيين : فإسرائيل تلقت عددا ضخما من الطائرات ومن الطيارين الغربيين ذوى التدريب العالى كما حصلت على معلومات قيمة جمعتها مصادر التجسس وحصلت أيضاً على أشد الأسلحة فتكا وأكثرها تطورا .

وبسبب ميزة الضربة الأولى التى يرجع أكبر الفضل فى اتاحتها إلى الكلام المضلل الذى صدر من دولة كبرى — استطاعت إسرائيل أن تدمر معظم القوة الجوية للعرب فى الساعتين الأوليين من هجومها ؛ كذلك يمكن ارجاع كثير من النجاح الإسرائيلى إلى تركيز إسرائيل على استخدام قنابل النابالم التى تحرمها جميع الاتفاقيات والقوانين الدولية ، وأن الطريقة التى حارب بها العرب ضد تلك الظروف العسكرية تتضح من حقيقة أن أكثر من ١٥٠٠ جندى أردنى وفلسطينى أسلموا أرواحهم دفاعا عن القدس وحدها .

ولقد ذكر الأخوان تشرشل فى كتابهما نقطة هامة أخرى حين قالا :

« وبطبيعة الحال كانت روسيا ومصر وإسرائيل تعلم منذ البداية أن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الأيدى إذا تعرضت إسرائيل للدمار (٢) » ، وبهذا أمكن لإسرائيل أن تمضى قدما فى تنفيذ خططها العدوانية إذ كانت تعلم

---

(١) فألمانيا استطاعت أثناء الحرب العالمية الثانية وبنفس طريقة الحرب الخاطفة أن تستولى على ما يزيد عن مساحة أراضيها بتسعين ضعفاً ، كما استطاعت اليابان بالطريقة نفسها أن تستولى على ما يزيد عن مساحة أراضيها بـ ١٥٠ ضعفاً ، ولكن الأيام التالية أظهرت أن ذلك النجاح العدوانى لم يستطع البقاء طويلا وهو ما أثبتته بالفعل حرب أكتوبر ١٩٧٣ . « الباحث »

(٢) Ibid

أنه مهما يحدث فان واشنطن ستحميها دائما وذلك بعد أن خططت معها هذا العدوان منذ سنوات » (١)

ونصل الآن إلى جانب من جوانب كارثة ١٩٦٧ قد يكون أكثر الجوانب خلافا وإثارة للجدل ، إنه الجانب الخاص بمدى التأييد الغربي لإسرائيل فى تلك الكارثة التى حاقت بالجانب العربى ، ولقد قيل وكتب فى هذا الموضوع الشئ الكثير ، ومن الواضح أن لهذا الموضوع وجهين ، أحدهما يختص بالتواطؤ الحقيقى على العدوان والآخر يتعلق بالمساعدة التى نالتها إسرائيل بالوسائل السياسية والدبلوماسية ، وكلا الوجهين متساويان الأهمية تقريبا فى حروب هذا العصر .

وفيما يختص بالتواطؤ العسكرى الفعلى فإن اتهامات كثيرة قد وجهت عن اقتناع قوى ولكنها فندت أيضا بالقوة نفسها . ومن المعروف تماما لدى المؤرخين فى مثل تلك الأمور أنه يكاد يكون مستحيلا إثبات أى شيء إلا بواسطة شاهد قوى شارك فى تلك الأحداث ، وعلى هذا سيظل الموضوع دائما موضع جدل كثير .

والأكثر من هذا أنه ليست هذه هى المرة الأولى التى يثير فيها العرب شبهة التواطؤ ، ففى العدوان الثلاثى منذ سنوات بذلت جهود جبارة بواسطة أجهزة الإعلام الغربية لدحض اتهامات العرب للبريطانيين والفرنسيين بالتآمر على الهجوم على مصر متذرعين بحماية قناة السويس . ولم يمكن اثبات صحة اتهامات العرب بالدليل القاطع إلا فى السنوات الأخيرة عندما نشرت بعض الكتب لمؤلفين مثل موشى ديان وأنتونى ناتنج ، وبالمثل فقد ينقضى وقت طويل حتى تثبت اتهامات العرب ثبوتا كاملا .

---

(١) وهو ما أكده الرئيس أنور السادات فيما بعد فى مذكراته من أن عدوان ١٩٦٧ كان مدبراً ضد مصر وعلى وجه التحديد منذ عام ١٩٦٥ « حيث بدأت إسرائيل الإعداد لحرب ١٩٦٧ بالاتفاق مع جونسون الذى كان مستسلماً تماماً للمراكز الصهيونية .

مذكرات الرئيس السادات فى الأهرام ٢٤-١٠-١٩٧٥ إلى ٢٥-١١-١٩٧٥ .

ومع هذا فإن شواهد قليلة بارزة تشير إلى حقيقة أن إسرائيل لم تكن لتجرؤ على المبادرة بالهجوم ولم تكن تستطيع تحقيق ذلك النجاح الذى حققته لولم تحصل على مساعدة نشيطة من أصدقائها الغربيين وعلى الأخص أمريكا(١).

ويكفى أن نسوق مثالا على تلك الشواهد، سفينة الاتصالات الأمريكية « ليبرتى » بما فيها من أجهزة رادار عالية الكفاءة يمكن استخدامها فى توجية الطائرات إلى أهدافها . فقــد شوهدت تلك السفينة تجوب البحر المتوسط على مقربة من الساحل المصرى . كذلك يوجد دليل على أن طائرة أمريكية قامت فى مطلع شهر يونيو بنشاط استطلاعى كبير على الساحل المصرى للبحر الأبيض المتوسط لرصد مواقع المدفعية والرادار المصرية — وليس من المستغرب أن يكون طيارون « ضيوف » قد قدموا إلى إسرائيل للاشتراك فى عمليات ٥ يونيو .

ولقد كانت السفينة « ليبرتى » على بعد ١٥ ميلا فقط من ساحل سيناء، عندما ضربتها طائرة إسرائيلية بالقنابل عن طريق الخطأ ولما كانت « ليبرتى » مزودة بأقوى أجهزة التشويش فإنها كانت فى ذلك الوقت تتداخل فى المراسلات الصادرة للقوات البرية المصرية فى سيناء والواردة منها ، حتى مجلة تايم (٢) حين نشرت تقريرا عن الحرب فى عددها المصادر فى ١٦ يونيو لم تستطع أن تغفل ذكر الشك القوى القائم فى أمريكا نفسها . من أن السفينة « ليبرتى » قد دمرت عن عمد لمسح أى أثر للتواطؤ الأمريكى الإسرائيلى إذا جرى تحقيق فى المستقبل .

كذلك كان وزير الخارجية الإسرائيلى أبا ايبان قد قال قبيل الحرب بعشرة أيام : « أن الولايات المتحدة أكدت لى تأييدها للاجراءات التى تتخذها إسرائيل لفتح خليج العقبة » . وفى الوقت نفسه اذاعت وكالة يونيتد برس انترناشونال أن حاملة الطائرات « أمريكا » و« سار اتوجا » تقومان بدوريات فى شرق البحر الأبيض المتوسط . وفى الوقت نفسه نشرت صحيفة

Dranath, Dewan Berin : op. cit, PP. 73-4 (١)

(١) تقرير عن حرب يونيو ١٩٦٧ نشر فى مجلة تايم فى ١٦ يونيو ١٩٦٧ .

ديلى ميل اللندنية أن الإسطول السادس الأمريكى « فى حالة طوارئ » ، ولقد تغيرت فجأة مواقع سفنه واقتربت على غير العادة من مسرح الحرب .

كذلك قامت طائرات النقل الأمريكية بنقل مهمات ضخمة من قاعدة هويلس فى ليبيا ، واستمرت تلك القاعدة تؤدى دورا نشيطا حتى بعد أن بدأ القتال .

وأيضا نشرت الصحافة العالمية أنباء — موثوقا بها تفيد أن الطائرات الأمريكية كانت تطير من القواعد الليبية إلى أسبانيا حيث يعاد طلاؤها بلون الصحراء .

كذلك لم ينكر أحد أن طائرات التجسس الأمريكية قامت بعمليات تصوير واسعة النطاق للمراكز الدفاعية فى مصر ، وقد كان من السهل توصيل نتائج تلك العمليات الاستطلاعية للطيارين وقد وجد مع الاسرى كثير من تلك الخرائط (١) كما وجدت معهم وثائق من اعداد وزارة الحرب البريطانية تحتوى على معلومات عسكرية كثيرة وهؤلاء الطيارون كانوا أما أعضاء فى سلاح الجو الأمريكى أو البريطانى أو رعايا لتلك الدولتين قدموا لإسرائيل بحجة « قضاء أجازة استجمام » .

وحتى البريطانيين لم يكونوا بعيدين عن المسرح فمثلا نشرت صحيفة ديلى ميل البريطانية أن الولايات المتحدة وبريطانيا بدأتا فعلا حشد سفنهما الحربية فى البحر الأبيض المتوسط استعدادا للتدخل ، وأضافت الصحيفة أن الحشد يقوم على جانبى القناة (أى فى البحر الأحمر والبحر المتوسط) وأن بريطانيا استدعت حاملة الطائرات هيرمز من المحيط الهندى (٢) » ، وفى ذلك الوقت كانت الأوامر قد صدرت للاسطول البريطانى ليكون مستعدا لآية

---

(١) وهو ما شاهده الباحث بنفسه مع أحد الطيارين الاسرائيليين عقب اسقاطه بالقرب من فايد .

(٢) ديلى ميل — لندن ، ٣١-٥-١٩٦٧ .

تطورات جديدة ، كما كان الأسطول السادس الأمريكى فى حالة طوارىء

وحتى صحيفة محافظة متزمته مثل صحيفة صنداى تلجراف صرحت بأن شحنات ضخمة من الأسلحة نقلت بطريق الجو من لندن إلى تل ابيب فى الأيام الأخيرة (١)». ومن خلال التقييم الواقعى للهجوم الجوى الإسرائيلى يتضح أن إسرائيل استخدمت فى عمليات الهجوم ضد العرب ٦٠٠ طائرة على الأقل بينما المعروف طبقا للمصادر الغربية أن قوة إسرائيل الجوية تتراوح بين ٣٥٠ ، ٤٠٠ طائرة ، بل لقد قيل أن ٤٠٠ طائرة إسرائيلية استخدمت فى الجبهات المصرية والسورية والعراقية بينما استخدمت ٢٠٠ طائرة فى الجبهة الأردنية فى نفس الوقت .

كذلك تجد اتجاهات العرب الخاصة بالتواطؤ الغربى لأسرائيل — مايؤيدها من تصريحات قادة إسرائيل فمثلا نشرت مجلة ى . س . نيوز الأمريكية قبيل الحرب مباشرة حديثا أجرته مع رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى أشكول أدلى فيه بملاحظات هامة ، فعندما سألته المجلة عما إذا كان يتوقع مساعدة من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى حالة وقوع هجوم على إسرائيل ، أجاب ليفى أشكول « بالتأكيد » نحن نتوقع تلك المساعدة وخصوصا إذا أخذنا فى الأعتبار جميع الوعود والتأكيدات التى أعطيت لإسرائيل ، لقد تلقينا تلك التأكيدات عندما طلبنا أسلحة من الولايات المتحدة فقيل لنا :

(وفروا أمولكم طالما كنا موجودين وطالما كان الأسطول السادس هناك) .

وكتبت صحيفة الجارديان كلاما له دلالته حين قالت : « لقد وجهت الاتهامات ضد بريطانيا وفرنسا فى عام ١٩٥٦ ونفت حكومتا البلدين تلك

---

(١) ديلى تيلجراف : لندن ، ٢٨-٥-١٩٦٧ .

الاتهامات بقوة ، ومع هذا فقد ثبتت بعد ذلك صحتها ، وعلى أية حال فلقد كان واضحا منذ البداية الأولى للازمة أن الولايات المتحدة ستتدخل عسكريا فى جانب إسرائيل إذا نجح العرب فى نقل المعركة إلى الأرض الأسرائيلية(١)».

كذلك أيدت صحيفة التايمز الرأى القائل بأن « الظروف لن تسمح للعرب بأن يحققوا نصرا دون أن تضطر الدول الغربية إلى التدخل ، ومثل هذا التدخل لن يكون بغرض مساعدة إسرائيل على العدوان ، كما أنه لن يحدث عندما تكون الجيوش الإسرائيلية تحارب خارج حدود بلادها ، وبناء عليه فإن هذه حرب لن يسمح للدول العربية بكسبها فى النهاية دون تدخل الدول الكبرى(٢) ، وربما كان النصر الوحيد الذى أحرزته إسرائيل هو العامل الوحيد الذى جعل التدخل الأمريكى المباشر غير ضرورى .

ومما يكشف أيضا عن مدى اهتمام البيت الأبيض بفرص إسرائيل فى تلك الحرب ما نشرته مجلة نيوزويك الأمريكية بعد وقوع الهجوم الإسرائيلى بحوالى عشرة أيام حيث قالت « فى الاسبوع السابق على الحرب تلقى الرئيس الأمريكى تقريرا مؤكدا من الجنرال ابرل هويلر رئيس هيئه أركان الحرب تنبأ فيه بأن الإسرائيليين سيكسبون الحرب خلال ثلاثة أو أربعة أيام إذا قاموا بالضربة الجوية الأولى بنجاح ، وكان آرثر جولد بيرج سفيرا فى الأمم المتحدة متشككا فى ذلك التقرير مما جعل الرئيس الأمريكى يرسل هويلر إلى ريتشارد هايمز رئيس وكالة المخابرات المركزية ليراجع تقريره ، وقد صدق هيلمز على ذلك التقرير . » (٣)

وعلى هذا فإن الرئيس جونسون كان يعلم تماما أن هجوما إسرائيليا على وشك الوقوع ، وفى تلك اللحظة نفسها كان يؤكد للعرب تصميم أمريكا

---

(١) جارديان ، لندن ، ٧-٦-١٩٦٧ .

(٢) التايمز ، لندن ٤ - ٦ - ١٩٦٧ .

(٣) نيوزويك الأمريكية ١٩-٧-١٩٦٧ .

على وقف العدوان أيا كان مصدره . ومن الواضح أنه كان يشعر باهتمام كبير بنتيجة الحرب التي كانت الاستعدادات تجرى لها وراء الستار .

وبصرف النظر عن المساعدة الأمريكية العسكرية فقد أمد الأمريكيون إسرائيل بتأييد صريح غير محدود فى الجبهة الدبلوماسية ، ولقد سبق أن رأينا كيف عرقلت السياسة الأمريكية الجهود الرامية إلى السلام قبل الحرب ، كما بحثنا الدور الذى لعبته أمريكا لمنع صدور قرار عادل بوقف إطلاق النار ، وعلى رأس ذلك كله لعبة الخداع الدبلوماسية التى لعبها الأمريكيون على العرب كى يخدروهم ويجعلوهم يستسلمون لشعور زائف بالإطمئنان ، ومن أمثلة ذلك الخداع تكرار تصريح كندى الذى يضمن سلامة أقطار الشرق الأوسط كلها ووحدة أراضيها قبل نشوب الحرب بأيام قليلة . وأن تصميم أمريكا بعد الهجوم الاسرائيلى الخاطف لدليل ناطق على السياسة الأمريكية ذات الوجهين فى مجال الدبلوماسية والأخلاق وهى السياسة التى تورطت فيها أمريكا منذ بداية الصراع الراهن ، وكما أوضح ه . ك جانسن فى صحيفة ستيتسمان فان « أمريكا كانت تتخذدائما الموقف نفسه وكانت إسرائيل تكرر خرقها لوقف إطلاق النار وتكسب أرضا جديدة فى كل مرة(١)

وأكثر ما يكشف انحياز أمريكا إلى العدوان الاسرائيلى الملاحظة الصريحة العارضة التى أبداها المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة آرثر جولد برج — وهو نفسه يهودى وذو عقيدة صهيونية قوية ، فبينما كان يرد على طلب سوفيتى بوقف إطلاق النار فى الحال يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ قال : « إنهم يريدون اجتماعا الآن لأن أصدقاءنا ينتصرون » . (٢)

وفى إسرائيل سرعان ماتغيرت السياسة الإسرائيلية تماما فى أعقاب النصر ، فلقد ساد الإعتقاد على نحو واسع بين الإسرائيليين بأنه طالما يتم التدليل بوضوح على التفوق العسكرى «الإسرائيلى» فسوف يبادر العرب إلى الادراك

---

(١) ستيتسمان ، نيودلهى ٧ يونيو ١٩٦٧ .

(٢) أوف انديا » نيودلهى ٩ يونيو ١٩٦٧ .

والاقرار بعقم الماضى فى معارضتهم لإسرائيل ، وتقوم مفاوضات مباشرة بين الطرفين ، وبعد إجراء بضعة تعديلات للحدود ، سوف توقع جميع الاطراف المعنية على معاهدة صلح دائمة » .

ومما تجدر ملاحظته أن التعديلات الضرورية فى الحدود لم يفصح عنها صراحة فى البداية ، بل تركت مفتوحة أمام المفاوضات بين المسئولين الإسرائيليين والعرب (١) .

وفى أيام نشوة السعادة التى أعقبت الإنتصارات العسكرية الأولى ، دعا الزعماء الإسرائيليون إلى عقد مفاوضات مباشرة مع الدول العربية ، دون المبادرة فى البداية إلى تحديد مطالبهم القصوى بالنسبة للاستيلاء على الأراضى أو التنازلات السياسية : وإذا كان العرب على استعداد للسلام ، فلا سبب هناك يحول دون موافقتهم على التحادث معنا بشأنه ، أما إذا كانوا لا يرغبون فى السلام فإن وساطة الاطراف الثالثة لن تكون سوى شعار تحتمى خلفه الدول العربية لمتابعة سياستها فى عدم الاعتراف بإسرائيل والمضى فى موقفها « العدوانى » تجاه إسرائيل . . .

« . . هناك دلائل اليوم تشير إلى أن قسما من الزعماء العرب على الاقل أخذ يدرك عقم المحاولات الرامية إلى العودة للاوضاع التى لا يمكن الاحتفاظ بها والتى سادت فى هذه المنطقة طيلة سنوات عديدة ، أنهم — مثلنا نحن — يفضلون على الأرجح رؤية « برنامج جديد » لشئون الشرق الأوسط (٢).

ولم يظهر أنه من الضرورى تحديد هذه المطالب بصورة واضحة عندما تبدت عيوب العسكريين العرب ونقائص الحكومات العربية فى أجلى مظاهرها .

ويبدو أن معظم الإسرائيليين كانوا يعتقدون بأن العرب إذ يتصرفون

---

(١) بيان آبا ايبان أمام مجلس الأمن فى الأمم المتحدة بتاريخ ٦ يونيو ١٩٦٧ .

(٢) بيان ليفى أشكول بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٦٧ .

بعقلانية أمام القوة ، سوف يقتنعون فى نهاية المطاف بأنه ليس هناك من بديل أخر أمامهم سوى الجلوس وجها لوجه إلى مائدة المفاوضات والدخول فى معاهدة صلح تعترف بسيادة إسرائيل .

ونشأ شعور بين فئات الرأى العام الإسرائيلى بان الملك حسين ملك الأردن ، من بين كل الزعماء العرب ، سوف يكون فى المتناول ورهن الإشارة ، فازاء الإنهيار الذى منيت به سمعة عبد الناصر ومكانته بسبب خسارة الحرب ، سوف يسهل الأمر كثيراً على حسين التفاوض مباشرة حتى ولو رفض عبد الناصر الإقدام على ذلك ، كما شعر الكثيرون بأن سقوط عبد الناصر أصبح أمراً وشيك الحدوث ، وبعد إستقالة عبد الناصر الأولية ، تظاهر الإسرائيليون فرحين فى شوارع تل أبيب بينما تعالت صيحات المصريين فى شوارع القاهرة فى ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ مطالبة بعودته ، حقاً : لقد توقعوا قبولا من جانب العرب بالتفوق الإسرائيلى بينما جاءت حقيقة الواقع لتبين أن النصر الإسرائيلى كشفته عن مواطن الضعف لدى الحكومات العربية أدى بالتالى إلى تشجيع حركة المقاومة الفلسطينية وتعزيز نشاطها القوى وهو أمر طبيعى خصوصاً بعد أن اقترنت الكارثة بهجرة جديدة للسكان ، فقد فر حوالى مائتى ألف من الفلسطينيين من الضفة الغربية وعبروا نهر الأردن إلى ضفته الشرقية ، كما غادر عشرات الآلاف من السوريين المنطقة التى إحتلتها إسرائيل .

وفى تقرير قدمه أوثانت للأمم المتحدة قدر عدد الأنفس الذين طردوا من بيوتهم بسبب الحرب بما مقداره ٣٢٣٫٠٠٠ نفس فى مجموعهم ، منهم ١١٥٫٠٠٠ كانوا من قبل العمليات الحربية فى وضع اللاجئين فعلا ، وهذه الأرقام تتفق تقريباً مع الأرقام المستقاة من مصادر أخرى والتى تقدر عدد الأشخاص الذين غادروا الضفة الغربية لنهر الأردن بما يقرب من ٢٥٠٫٠٠٠ نفس ، منهم ٢٠٠٫٠٠٠ نزحوا فى الفترة مابين ٥ يونيو - ٤ يوليو ، ٦٠٫٠٠٠ نزحوا من مواطنهم بعد تاريخ

٤ يوليو ، ومن هذا العدد ١٠٠ر٠٠٠ كانوا من قبل فى وضع اللاجئين ، أما من الأراضى السورية المحتلة فيقدر عدد الأشخاص الذين غادروها بما يقرب من ١٠٠ر٠٠٠ نسمة منهم ١٥ر٠٠٠ كانوا من قبل لاجئين (١).

ويتساءل أحد الباحثين فى مغزى هذه الأعداد الضخمة من النازحين ، وكيف نسى العرب المآسى التى يعيش فيها لاجئو عام ١٩٤٨ الذين مازالوا يكابدون الويلات فى المخيمات ، ولماذا لم تمنع حكومة الأردن ولم تمنع حكومة سورية هذه الهجرة الكثيفة .

والإجابة على هذه الأسئلة بسيطة للغاية حيث أن هذا هو الأمر الذى لايدرك كنهه أحد ، فلقد فقدت الأردن بفعل الهزيمة نصف ما كان لديها من أراضى زراعية ، فضلا عن عجزها عن إطعام هذا السيل الجارف من المهاجرين ،ولا يقتصر الضرر الذى لحق بالعرب على هذا ، ولكنهم فوق ذلك قد ضحوا عامدين بواحدة من الوسائل التى تفيدهم والتى بقيت فى يدهم بعد الهزيمة ، تلك هى ميزة كان من شأنها أن تكفى لصد إسرائيل عن كل فكرة تساورها فى ضم تلك المناطق إلى أراضيها .

وعلى أية حال فسرعان ماتضح أن الحرب قد خلفت من المشاكل — حتى لإسرائيل وأصدقائها — أكثر مما حلت .

---

(١) تقرير منظمة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة UNICEF المنشور فى :
Le Mond. Paris. 4-8-1967.

فصل ختامى
فى
نتائج الحرب على صعيد المشكلة الفلسطينية

نشاط مجلس الأمن :

اجتمع مجلس الأمن فى صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ فى جلسة مستعجلة طارئة بناء على دعوة من مندوب مصر قال فيها أن إسرائيل ارتكبت عدوانا غادرا ومدبرا على بلاده وهاجمت قطاع غزة وسيناء ومطارات القاهرة وقد جاء فى تلك الدعوة أيضا بأن مصر قررت الدفاع عن نفسها (١).

وقد استمع المجلس أول ما استمع إلى تقرير من الأمين العام يوثانت حول الهجوم الواسع الذى قامت به إسرائيل ، وقال الأمين العام — بناء على ما تلقاه من معلومات — أن الطائرات الإسرائيلية هاجمت سيارات الأمم المتحدة وأن الأنباء الأولية تشير إلى أن ثلاثة جنود هنود من قوات الطوارىء الدولية قتلوا وأصيب عدد غير معروف بجروح .

وأنهى يوثانت تقريره بإعلانه أنه يدعم بقوة فكرة إعلان القدس مدينة مفتوحة وذلك لحماية الأماكن الدينية فيها والتى لا تعوض .

وتكلم مندوب الهند فقال ان الهجوم الإسرائيلى الذى وقع على الجنود الهنود هو عمل طائش وغير مسئول ، وطلب من المجلس أن يندد به ، ثم رفعت الجلسة على أساس أن يعطى المندوبون وقتا للتشاور خارج اجتماعات المجلس حول الوصول إلى مشروع قرار بخصوص الوضع فى الشرق الأوسط .

وقد بوزت عدة إتجاهات خلال تلك المشاورات ، كان هناك إتجاه يقول بأن على المجلس أن يصدر نداء عاجلا إلى الجانبين المتحاربين لإعلان وقف إطلاق النار فورا ، وترك جميع القضايا الأخرى للبحث فيها فى وقت لاحق . وتزعمت هذا الاتجاه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكان هناك إتجاه آخر يقول بأن على المجلس أن يطالب بشجب العدوان

---

(١) المحاضر الكاملة لمناقشات مجلس الأمن: Security council وثيقة رقم S/7926 بتاريخ ١٩٦٧/٦/٥ ، وتوجد مجموعة غير كاملة من هذه الوثائق فى مكتب الأمم المتحدة بالقاهرة.

الإسرائيلى وبأن يتضمن أى مشروع قرار لوقف إطلاق النار طلبا بأن ينسحب الجانبان إلى المواقع التى كانا يحتلانها قبل اندلاع القتال . وقد تزعم هذا الإتجاه الاتحاد السوفييتى . وكان هناك إتجاه ثالث يقول بأن طلب وقف إطلاق النار يجب أن يقترن بدعوة الفريقين للانسحاب إلى المواقع التى كانا فيها قبل الخامس من يونيو دون أن يحدد المجلس أيا من الجانبين كان المعتدى . وقد تزعمت هذا الإتجاه الهند ومعظم الدول الأفرو-آسيوية . وكانت هناك دول أمريكا اللاتينية التى ساند معظمها موقف الولايات المتحدة الأمريكية .

وتصلبت الولايات المتحدة فى موقفها لدرجة أن المشاورات التى طالت مدة يومين كانت خلالها إسرائيل تحتل المزيد من الأراضى العربية . وبعد أن تبين أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تنثنى عن عزمها ، اجتمع مجلس الأمن وأيد وجهة النظر الأمريكية باقراره مشروع قرار يدعو الحكومات المعنية - كخطوة أولى إلى إتخاذ إجراءات فورية لوقف اطلاق النار ووقف كل نشاط عسكرى فى المنطقة(١) .

وفى ٨ من يونيو ، عاد المجلس إلى الإنعقاد ، فتقدم المندوب الأمريكى بمشروع قرار تضمن مطالبة جميع الفرقاء بالتزام وقف إطلاق النار والدخول فى مباحثات لسحب قواتهم على أن تتم تلك المباحثات بصفة عاجلة و بمساعدة فريق ثالث وهو الأمم المتحدة .

أما الإتحاد السوفييتى ، فقد شن مندوبه حملة عنيفة على إسرائيل متهما إياها بارتكاب العدوان ، وبأنها تتحدى الأمم المتحدة وميثاقه ، ثم قدم مشروع قرار مضادا للمشروع الأمريكى ، طالب فيه المجلس بشجب مجلس الأمن انتهاك إسرائيل القرارين سابقين لوقف إطلاق النار وانتهاكها ميثاق الأمم المتحدة :

وفى الاجتماع الذى عقده المجلس فى التاسع من يونيو ، تقدم مندوب

---

(١) المرجع السابق : وثيقة رقم S/Res/233 (1967) بتاريخ ١٩٦٧/٦/٦

الولايات المتحدة بمشروع قرار جديد هو تعديل لمشروع قراره السابق ، وقد دعا فيه مجلس الأمن أن يطلب من رئيس المجلس ومن الأمين العام يوثانت إتخاذ الخطوات الفورية سعيا وراء ضمان الانصياع لوقف اطلاق النار ، ورفع تقرير إلى المجلس عن ذلك خلال أربع وعشرين ساعة .

وعندما اجتمع المجلس فى العاشر من يونيو ، كان الأطراف المعنيون جميعاً قد قد قبلوا بقرار وقف إطلاق النار . وقد أبلغ الأمين العام مجلس الأمن أن كلا من سوريا وإسرائيل بعد مصر والأردن ، وافقت على ترتيبات اقترحها أودبول كبير مراقبى الهدنة لتنفيذ قرار وقف إطلاق النار ، غير أن إسرائيل لم تنفذ بالفعل وقف إطلاق النار ، بل استمرت فى قصف المواقع السورية ، مما دعا مندوب الاتحاد السوفيتى أن يطلب اجتماعا لمجلس الأمن فى ساعة متأخرة من الليل للنظر فى خرق إسرائيل الفاضح لقرارات المجلس . وقد تقدم مندوب الولايات المتحدة بمشروع قرار جديد طلب فيه من مجلس الأمن أن يشجب كل انتهاك لوقف إطلاق النار وأن يجرى الأمين العام تحقيقا شاملا فى جميع تقارير انتهاك وقف إطلاق النار مع دعوة جميع الحكومات المعنية إلى إصدار تعليمات مشددة إلى جيوشها بوقف إطلاق النار وسائر الأعمال العسكرية(١) »

وفى اجتماعه فى الحادى عشر من يونيو ، تلقى مجلس الأمن مشروع قرار سوفيتى مضاداً طلب فيه الاتحاد السوفيتى أن يشجب بشدة العدوان الإسرائيلى واحتلال إسرائيل المستمر لقسم من أراضى مصر والأردن وسوريا . كما طلب مشروع القرار من مجلس الأمن أن يطلب سحب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة وأن تدفع إسرائيل تعويضات كاملة للدول العربية وقد طلب مندوب الاتحاد السوفيتى أن يصار التصويت فوراً على مشروع قراره . غير أن عملية التصويت بينت أن المشروع السوفيتى قد فشل ، وعند ذلك سحب المندوب الأمريكى مشروع قراره ولم يطلب التصويت

(١) المرجع السابق : وثيقه رقم S/7871 بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٠ .

عليه ، وقبل انفضاض الاجتماع تلقى المجلس مشروع قرار قدمته الارجنتين والبرازيل وأثيوبيا ، وكان من أهم نقاطه هى دعوة حكومة إسرائيل إلى تأمين سلامة وأمن سكان المناطق التى جرت فيها عمليات حربية وتسهيل عودة هؤلاء السكان الذين فروا من هذه المناطق منذ نشوب القتال إلى منازلهم وأن تحترم الحكومات المعنية المبادئ الإنسانية الخاصة بمعاملة أسرى الحرب وحماية الأشخاص المدنيين فى زمن الحرب كما تنص على ذلك اتفاقيات جنيف(١) ، وقد صار التصويت على هذا المشروع فى ١٤ يونيو ونال الموافقة بالإجماع . وبعد ذلك رفعت جلسات مجلس الأمن إلى أجل غير مسمى ؛ وكان الاتحاد السوفيتى قد طلب قبل ذلك بيوم واحد عقد دورة طارئة خاصة للجمعية العامة لتنظر فى العدوان الإسرائيلى على الدول العربية ، وتصفية نتائج ذلك العدوان ، بعد أن تبين للاتحاد السوفيتى بأن مجلس الأمن لن يخرج عن نطاق العمل ضمن إطار وقف إطلاق النار ، وأنه لن يتخذ قرارا لسحب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها بعد الخامس من يونيو ، كما كان مفروضا فيه أن يفعل ، مما خلق سابقة خطيرة فى العلاقات الدولية ، ألا وهى تمكين المعتدى من الاحتفاظ بأراضى احتلها بقوة السلاح .

الدورة الطارئة للجمعية العامة :

عقدت الجمعية العامة دورة طارئة للنظر فى العدوان الإسرائيلى على الدول العربية ، بناء على دعوة(٢) وجهها أندريه جروميكو ، وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ووافق عليها أكثرية الأعضاء وقد جاء فى دعوة الاتحاد السوفيتى أنه بالنظر لتحدى إسرائيل لقرارات مجلس الأمن فى ٦ ،

---

(١) وهو ما تنص عليه اتفاقيات جنيف الصادرة فى ١٢ أغسطس ١٩٤٩ ، المرجع السابق : وثيقة رقم S/7968 بتاريخ ١٤/٦/١٩٦٧ .

(٢) المرجع السابق : وثيقة رقم S/6717 بتاريخ ١٣/٦/١٩٦٧ .

٧ ، ٩ يونيو لوقف إطلاق النار ، فان إسرائيل استولت على المزيد من الأراضي التي تخص مصر والأردن وسوريا ، وجاء في الدعوة أن في رأي الاتحاد السوفيتي يجب عقد دورة للجمعية العامة للنظر في الوضع الذي نشأ في الشرق الأوسط ، وأن تتخذ قرارا يهدف إلى تصفية نتائج العدوان والانسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة .

وقد ابتدأت الدورة الطارئة للجمعية العامة في التاسع من يونيو واشترك في مناقشتها تسعة وستون وفداً (١)

كذلك نظرت الجمعية العامة في سبعة مشـــاريع قرارات قدمت من الاتحاد السوفيتي(٢) وألمانيا(٣) والولايات المتحدة الأمريكية(٤) وقدمت سبع عشر دولة أفريقية أسيوية هي الأخرى مشروع القرار الرابع أطلق عليه مشروع القرار اليوغسلافي الأفريقي الآسيوي(٥)؛وقدمت عشرون دولة أمريكية لاتينية مشروع القرار الخامس وأطلق عليه مشروع قرار دول أمريكا اللاتينية(٦) ، كذلك تقدمت ست وعشرون دولة أخرى مشروع قرار أطلق عليه مشروع قرار الدول الست العشرين(٧) أما المشروع السابع فكان مشروع قرار الباكستان(٨) .

ومن خلال مشاريع القرارات(٩) هذه وكيفية التصويت عليها تبين

---

(١) المرجع السابق : وثيقة رقم A/L. 519 بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٩ .

(٢) المرجع السابق : وثيقة رقم A/L. 520 بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٥ .

(٣) المرجع السابق : وثيقة رقم A/L. 521 بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٦ .

(٤) المرجع السابق : وثيقة رقم A/L. 522 بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨ .

(٥) المرجع السابق : وثيقة رقم A/L 523 بتاريخ ١٩٦٧/٦/٣٠ .

(٦) المرجع السابق ، وثيقة رقم : A/RES/2252 (ES-V) بتاريخ ١٩٦٧/٧/٤ .

(٧) المرجع السابق ، وثيقة رقم A/RES/2253 (ES-V) بتاريخ ١٩٦٧/٧/٤ .

(٨) انظر تفصيل هذه المشاريع في : الكتاب السنوي القضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ .

(٩) منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية–بيروت ١٩٦٩ ص ص ١٠٢٤–١٠٢٨ .

للمرء الاتجاهات التى سادت مناقشات الجمعية العامة وكانت المشكلة الرئيسية التى تواجه الجمعية هى : هل تتخذ الجمعية العامة قرارا بسحب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها إلى المواقع التى كانت فيها قبل الخامس من يونيو دون قيد أو شرط ، أم هل تأخذ قراراً بحل المشاكل الإسرائيلية العربية ومن بينها مشكلة سحب القوات ؟ والجدير بالملاحظة هنا هو أن جميع المندوبين دون استثناء قد طالبوا بسحب القوات الإسرائيلية ، ولكن بالرغم من هذا ، فان الجمعية العامة فشلت فى اتخاذ قرار يدعو القوات الإسرائيلية إلى الإنسحاب .

ولعل من المستحسن إعطاء فكرة عن أهم الاتجاهات التى ظهرت خلال المناقشات التى دارت فى الجمعية . فقد تكلم اليكسى كوسيجين رئيس حكومة الاتحاد السوفيتى فقال : إن مجرد تحقيق وقف إطلاق النار يشكل نجاحاً مؤكداً للقوى المحبة للسلام ، وفخراً كبيرا لمجلس الأمن الدولى ، حتى وإن أخفق بالقيام بالتزاماته كاملة ، بموجب الميثاق ، وأعلن أيضاً بأن العدوان لايزال قائما ، ولا تزال القوات الإسرائيلية تواصل احتلالها لمناطق فى سوريا ومصر والأردن . ومادامت القوات الاسرائيلية تحتل أرضاً استولت عليها ، وإذا لم تتخذ إجراءات عاجلة لتصفية آثار العدوان ، فإن الحرب قد تتجدد فى أى قت ، وسيزداد اتساعها ، وقال بأن النظر إلى قضية الشرق الأوسط يجب أن يكون ضمن إطار الوضع العالمى وليس كصدام محلى فقط .

أما أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل ، فقد خاطب الجمعية العامة ودعا إلى إجراء مفاوضات مباشرة بين مصر وإسرائيل والدول العربية ، وتعهد بأن بلاده ستعرض حلولا دائمة وعادلة تنسجم مع مصالحها وكرامتها ، ثم قال بأن اقتراح العودة بكل شئ إلى ما كان عليه قبل الخامس من يونيو غير مقبول إطلاقاً . وهاجم إيبان الأمين العام يوثانت واتهمه بأنه أخذ قرار سحب قوات الطوارئ الدولية دون أن يستشير مجلس الأمن والجمعية العامة ودون أن يتقيد بالإجراءات التى كان قد وضعها الأمين العام السابق ،

هو شلد من قبل ، ودون أن يلتفت إلى الاعتراضات التي قدمها أعضاء مجلس الأمن الدائمين .

وانتقاد أبا إيبان للأمين العام ، حمل هذا الأخير على الرد بعنف ، فقال أنه يرحب بالانتقاد عندما يكون على أساس الواقع ، ولا يطمس الحقائق الأساسية ثم قال بأن إسرائيل ، خلافا لمصر التي وافقت على أن يشكل جنود الأمم المتحدة حاجزا على جانبها من خط الهدنة ، لم تبد مثل هذا التعاون على الرغم من أن قرار الجمعية العامة قبل عشر سنوات كان يهدف إلى إقامة هؤلاء الجنود على جانبي الخط ، وذكر يوثانت أنه قبل أن يتسلم طلب مصر لسحب القوات الدولية ، وقبل أن يعطى الجواب ، أثار مع مندوب إسرائيل احتمال وضع قوات الأمم المتحدة على الجانب الإسرائيلي من خط الهدنة ، ولكنه أبلغ بأن هذه الفكرة غير مقبولة إطلاقاً عند إسرائيل .وصرح يوثانت أيضاً بأن الجنود الإسرائيليين طوال عشر سنوات كانوا يقومون بانتظام بأعمال الدورية على جانبهم من خط الهدنة ، وكانوا بين الحين والآخر يقومون بأعمال استفزازية ، وخلص إلى القول بأن الحكومة المصرية لم تقبل إطلاقاً أي تحديد أو تقييد لسيادتها بشأن وجود قوات الطوارئ الدولية في أراضيها .

ثم تكلم آرثر جولدبرج مندوب الولايات المتحدة ، فقال بأن الموقف الأساسي للولايات المتحدة أوضحه الرئيس جونسون في خطابه الذي القاه في ١٩ يونيو في مؤتمر للسياسة الخارجية في واشنطن (١) ، وقد قال الرئيس جونسون في خطابه بأن لإسرائيل حقاً أساسياً في الحياة ، ولكن يجب الوقت نفسه أن لا تسمح إسرائيل لنجاحها العسكري بأن يعميها عن أن لجيرانها حقوقاً ومصالح . وقال بأن الخطوة الأولى التي يجب اتخاذها لتخفيف أزمة الشرق الأوسط هي وضع حد لسباق التسلح في المنطقة ، وبعد أن أيد حل

---

(١) أنظر مبادىء جونسون الخمسة في ١٩ يوليو ١٩٦٧ في :
« Jasues » Bv U.S.A. Department of Foreign Affiars.

مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وحق إسرائيل بالمرور بحرية فى المياه الدولية قال بأن العودة إلى الوضع الذى كان سائدا قبل الخامس من شهر يونيو لاتشكل علاجا للسلام ، وإنما تشكل دافعا جديداً لتجدد القتال ، وقد وصف آرثر جولدبرج هذه العودة بـ « روشتة طبية » لاشتعال الحرب من جديد فى الشرق الأوسط . ثم رفض مندوب الولايات المتحدة باسم بلاده مشروع القرار السوفيتى وقال أن على الجمعية العامة أن تدعو الدول العربية وإسرائيل إلى العمل معا لإيجاد سلام مستقر ودائم فى الشرق الأوسط . ووصف مشروع القرار الذى تقدم به بأنه يشجع الأطراف المتحاربين على العيش معا فى سلام ، وعلى الحصول على مساعدة دولية لتحقيق ذلك الهدف ، وقد استند مشروع القرار الأمريكى إلى المبادئ الخمسة التى كان قد أعلنها جونسون والتى تتلخص فى أن لكل دولة فى المنطقة حقا أساسيا فى العيش ، وأنه يجب الوصول إلى تسوية لاحقاق الحق بالنسبة إلى اللاجئين ، وأنه يجب احترام حقوق الملاحة كما يجب على جميع الدول أن تتجنب سباق تسلح فى الشرق الأوسط ، وأنه من الأهمية بمكان احترام الاستقلال السياسى ووحدة أراضى جميع دول الشرق الأوسط (١).

أما وجهة نظر بريطانيا فقد عرضها وزير خارجيتها جورج براون أمام الجمعية العامة فاقترح إيفاد ممثل للامم المتحدة فورا ، وعلى مستوى عال ، إلى المنطقة لينظر فى إنشاء نوع جديد من الوجود العسكرى للامم المتحدة ، وفى تعزيز الجهاز الحالى لمراقبة الهدنة . ثم قال بأنه يرى أن الحرب يجب أن لاتؤدى إلى توسع إقليمى ، وطلب من الحكومة الإسرائيلية أن تتوقف عن اتخاذ أية خطوات بشأن القدس تتعارض مع هذا المبدأ ، وأعلن : « أننى أقول لتلك الحكومة — الإسرائيلية بكل حرية ، أنها إذا كانت تنوى ضم المدينة القديمة أو إصدار تشريع بضمها ، فإنها تتخذ بذلك خطوة ستعزلها عن الرأى العام العالمى » .

---

(١) Ibid

ثم عرض جورج براون أربعة مبادىء يجب أخذها بعين الاعتبار فى تسوية أزمة الشرق الأوسط :

المبدأ الأول : مشكلة اللاجئين وإغاثتهم ، وهى مشكلة تتطلب جهداً دولياً كبيرا للتخفيف من حدتها .

المبدأ الثانى : الاعتراف بحق جميع دول المنطقة بالوجود .

المبدأ الثالث : احترام حق حرية المرور البرىء فى الممرات الدولية لسفن جميع الدول .

المبدأ الرابع : عقد اتفاق بين الدول المصدرة للأسلحة إلى الشرق الأوسط لتحديد الأسلحة للحد من السباق على التسلح فى المنطقة .

أما وجهة النظر العربية فقد عرضها الدكتور محمود فوزى مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية فى مصر ، فأبلغ الجمعية العامة بأن حكومته تعارض الاقتراح الأمريكى الداعى إلى عقد محادثات بين الدول العربية وإسرائيل بمساعدة فريق ثالث ، ووصف المشروع الأمريكى بأنه يبين المعالجة غير النزيهة وغير المقبولة وغير العادلة من جانب الولايات المتحدة للوضع كله . وقال الدكتور فوزى بأن مشروع القرار السوفيتى الذى يدعو إلى إدانة إسرائيل وسحب القوات الاسرائيلية من الأراضى العربية التى أحتلتها خلال القتال الأخير ، هو عادل وبناء . ثم أضاف بأن إسرائيل قامت بالعدوان بينما كان مجلس الأمن يبحث فى الوضع ، وبينما كان عدد من كبار المسئولين المصريين سيصلون إلى واشنطون ، وانتقل الدكتور فوزى بعد ذلك إلى الكلام عن دور أمريكا وبريطانيا فى حرب الخامس من يونيو ، فقال أنه قبل وأثناء العدوان كان الأسطول السادس الأمريكى المدجج بشرور ورائحة وكالة الاستخبارات المركزية ، يقف

بصورة منذرة بالسوء ، ليس بالقرب من أماكنه المعتادة ، ولكن بالقرب من الشواطىء العربية ، واستطرد الدكتور فوزى يقول بأن إسرائيل ارتكبت فظائع تكاد لا تصدق فقد قصفت مستشفى فى العريش وقتلت المدنيين كما قصفت مدنا بقنابل النابالم ، وتركت جنودا جرحى ومدنيين يهيمون على وجوههم دون طعام أو ماء فى صحراء سيناء(١) .

وتكلم موريس كوف دومورفيل ، وزير خارجية فرنسا ، فأشار إلى الإطار العالمى للوضع وقال أنه ما دامت الحرب مستمرة فى فيتنام فان احتمالات السلام فى الشرق الأوسط ستبقى مقفلة ، ثم ذكر بأن الأمر الواقع بالنسبة إلى الحدود الإقليمية ووضع المواطنين لدى الأطراف المعنيين لا يمكن إعتباره نهائيا ، وبعد أن أشاد بعلاقات فرنسا مع العرب ووصفها بعلاقات علمانية تقوم على أساس إحترام العرب وكرامتهم ، وعلى أساس الإدراك بأن حاجتهم الأولى هى تأكيد شخصيتهم القومية وتنميتهم الاقتصادية والإنسانية ، خلص إلى القول أنه يجب تفادى اللجوء إلى القوة كوسيلة لتسوية الخلافات فى الشرق الأوسط ، وان مشكلة اللاجئين باتت الآن مشكلة إنسانية .

هذه بعض وجهات النظر وبعض المواقف التى ظهرت من خلال مناقشة الجمعية العامة فى دورتها الطارئة لازمة الشرق الأوسط حيث انفجرت النشاطات الطنانة فى دهاليز الأمم المتحدة ، وهى الخاصية التى يتميز بها هذا النوع من الاجتماعات .

وعند التصويت على مشاريع القرارات كانت النتيجة كالآتى :

(ا) بالنسبة لمشروع قرار الاتحاد السوفيتى فقد طرح رئيس الجمعية العامة المشروع على التصويت فقرة فقرة ولكنها سقطت جميعها ، لأنها لم

---

(١) الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٢٠٣١ .

تنل أكثرية الثلثين المطلوبة ، وهكذا اعتبر أن مشروع قرار الاتحاد السوفيتى قد فشل بأكمله .

(ب) بالنسبة لمشروع قرار الولايات المتحدة الأمريكية فقد رأى الوفد الأمريكي عند فشل المشروع السوفيتى أن لا يطلب التصويت على مشروع قراره وهكذا أعتبر أن هذا المشروع قد سحب .

(د) بالنسبة لمشروع القرار اليوغوسلافى الإفريقى الأسيوى فقد فشل أيضا لأنه لم ينل أكثرية الثلثين المطلوبة .

(ه) بالنسبة لمشروع قرار دول أمريكا اللاتينية فقد فشل أيضا لأنه لم ينل أكثرية الثلثين المطلوبة .

(و) أما مشروع قرار الدول الست والعشرين فقد نجح القرار بأكثرية مائة وستة عشر صوتا واستنكاف دولتين اثنتين هما كوبا وسوريا(١) .

(ز) وعند طرح رئيس الجمعية العامة لمشروع القرار المقدم من الباكستان وغينيا وإيران ومالى ونيجر وتركيا والمتعلق بالقدس ، على التصويت ، نجح بأكثرية ٩٩ صوتا ضد لا شيء واستنكاف عشرين دولة عن التصويت(٢) .

وهكذا حققت إسرائيل بذلك لنفسها نصراً دبلوماسيا هاماً حيث أن الأمر لم يقتصر على إبعاد المشاريع التى كانت تخشى إعتمادها فحسب ، بل أن المشروع الأخير الذى كانت لها فيه فائدة نال عددا أكبر من الأصوات، وهكذا اختلف الأمر كثيرا عما كان عليه على أثر العدوان الثلاثى منذ عشر سنوات حينما طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ٧٤ صوتا فقط بانسحاب القوات الاسرائيلية فوراً وبغير قيد أو شرط إلى ما وراء الحدود .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) Ibid

وعلى أثر هذا الفشل قررت الجمعية العامة للأمم أن تمنح نفسها مهلة للتفكير ثم عادت إلى الإنعقاد يوم ١٢ من يوليو ، ولقد كان من نتيجة الحوادث المتكررة التى وقعت على طول قناة السويس ، والتى كانت نتائجها دائماً فى غير صالح العرب ، أن اضطر الإتحاد السوفييتى إلى إتباع أسلوب الإعتدال فى المناقشات . فاتصل ممثلوه بممثلى الولايات المتحدة وأعد الجانبان معاً مشروع قرار إستعاداً فيه على وجه التقريب النص الذى إقترحته من قبل الدول اللاتينية الأمريكية ، أى المطالبة بسحب القوات الإسرائيلية إلى القواعد التى انطلقت منها مع نزول العرب الوقت نفسه عن حالة الحرب .

على أن هذا التعاون بين السوفييت والأمريكيين ، الذى لم تشهد المنظمة الدولية أمثلة كثيرة له من قبل ، لم يؤد لسوء الحظ إلى النتيجة المرجوة منه ، إذ أدت المعارضة الصاخبة من جانب العرب ، كما أدت المعارضة الهادئة رغم قوة تأثيرها من جانب إسرائيل إلى التخلى عن هذا المشروع المشترك (١) .

وقد توقفت جلسات الجمعية العامة لمدة أسبوع إبتداء من يوم ٥ يوليو . وعادت إلى الإنعقاد يوم ١٢ يوليو حيث استمعت إلى تقرير من السكرتير العام عن مدى تنفيذ القرارات السابق ذكرها .

ولم يكن التقرير يحتوى إلا على خطاب وصل إلى يوثانت من أبا إيبان يوضح فيه أن حكومته لاتنسى الغاء الإجراءات التى اتخذتها بشأن القدس . وفى يوم ٢١ يوليو إتخذ قرار ثان بخصوص القدس يأسف لفشل إسرائيل فى تنفيذ القرار الأول ويطالبها مرة أخرى بالغاء جميع الإجراءات التى سبق إتخاذها والإمتناع عن القيام بأى عمل من شأنه تغيير وضع القدس .

---

(١) Aleum, : Juifs et Arabes, op. cit. pp. 441-442.

واتخذت الجمعية فى اليوم نفسه أيضاً (٢١ يوليو) قراراً إجرائياً بتحويل المسألة مرة أخرى إلى مجلس الأمن.

وفى هذه الأثناء أوضحت إسرائيل مراراً – خلال بيانات عديدة لقادتها – أنها لاتفكر قط فى قبول أى من قرارات الأمم المتحدة. وقد بلغ الصلف الاسرائيلى تجاه جهود الأمم المتحدة؛ للمحافظة على مظهر حكم القانون فى المجتمع الدولى؛ الحد الذى جعل أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل يقول أنه حتى لوقرر ١٢١ عضواً من الأعضاء ال ١٢٢ فى الأمم المتحدة أن تخلى إسرائيل القدس فأننا لن نفعل ؟ وقد أكدت البيانات التالية لقادة إسرائيل – الخوف من أن إسرائيل لاتريد الإحتفاظ بالقدس فقط بل بجميع المناطق التى إختطفتها أثناء حرب يونيو، وبمعنى أخر فقد أصبح واضحاً أن إسرائيل لن تقبل أقل من رطلها من اللحم (١) المتمثل فى جميع المناطق التى احتلتها فى حرب عام ١٩٦٧ ومزيداً من الحقوق فى قناة السويس وخليج العقبة مع نبذ الدول العربية لمطالب اللاجئين الفلسطينيين.

ولما صدم بعض أصدقاء إسرائيل المخلصين بعجرفتها أضطر بعضهم مثل المعلق الأمريكى المشهور جوزيف السوب إلى إعادة النظر فى سياسة الرعاية والتشجيع التى دأبت عليها حكوماتهم داخل إسرائيل. ولقد كتب «السوب» فى صحيفة «هيرالدتربيون» يقول: «أن إسرائيل باعمالها المتدرجة من موقف عدم المطالبة بأى أرض جديدة إلى موقف المطالبة بالقدس ثم المطالبة بتعديل ضئيل فى الحدود الأردنية ثم المطالبة بحدود آمنة مع الأردن – إسرائيل بهذا تكون قد ذهبت بعيداً جداً وسريعاً جداً».

واستمر «السوب» يقول: أن مجرد إتفاق رسمى مع العرب على

---

(١) تعنى بذلك الإشارة إلى حكاية رطل اللحم فى رواية تاجر البندقية لشكسبير.
«الباحث»

عدم العدوان والحصول على ضمانات بخصوص مسائل كالملاحة فى مضايق تيران — وقناة السويس — لم يعد يرضى الإسرائيليين ... أن زعماء إسرائيل لا يستسيغون التفكير فى مشكلة إحتواء أمبراطوريتهم الجديدة على مليون آخر من العرب بالإضافة إلى الثلاثمائة الف الذين لديهم والذين يستطيعون طردهم (١) » ، كذلك تسببت نزعة إسرئيل العدوانية فى وقوع

تغيير ملحوظ فى موقف الحكومة الفرنسية ومن ثم إلى حدوث إنشقاق كبير فى السياسة الغربية تجاه الشرق الأوسط وهى السياسة التى كانت حتى ذلك الحين سياسة موحدة على أية حال .

وكان الرئيس شارل ديجول قد حذر إسرائيل مرارا من محاولة الحصول على مكاسب نتيجة للعدوان حيث قال : « بالنسبة للحكومة الفرنسية فإنه واضح جدا أن الأمر الواقع لا يمكن أن يعتبر نهائيا سواء فيما يختص بالحدود أو بأوضاع مواطنى الدول المعنية (٢) » .

وفى الأمم المتحدة أحس يوثانت بخيبة مساعية فى اقناع إسرائيل بقبول أقل قدر ممكن من القواعد التى تحكم سلوك أعضاء المجتمع الدولى ، وانفض اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة فى يوم ٢١ يوليو بعد ان أحالت الموضوع برمته إلى مجلس الأمن . وكان فى ذلك — من قبلها — دليل على عجزها قلما شوهد له مثيل من قبل (٣) .

ضم مدينة القدس وردود الفعل :

بمجرد أن تم إحتلال مدينة القدس اندفع اليهود من جميع انحاء إسرائيل زرافات ووحدانا إلى المدينة العتيقة ، ولما وصل وزير الدفاع الإسرائيلى إلى

---

(١) « Heral Tribune », Paris 13-9-1967.

(٢) « Guardian », London 22-6-1967.

(٣) Àleum : Juits ct Arabes, op. cit. p. 442.

حائط المبكى فى السابع من يونيو أعاد الصيحة الصهيونة يقوله « الحائط لنا » وبعد أيام قرئت لوحة كتبت على الجدرانه « بيت كنيست » — أى أصبح معبدا .

ويرى بعض الباحثين (١) أن غزو إسرائيل للقطاع العربى من القدس وبقية الضفة الغربية فى يونيو ١٩٦٧ — ربما لم يكن ليحدث أبدا لولا الذريعة التى أعطتها المدفعية الأردنية صبيحة الخامس من يونيو ، ومن جهة أخرى يبدو واضحا أن الحكومة الإسرائيلية والجيش الإسرائيلى ، ما أن أتاح لهما القصف الأردنى تلك الفرصة حتى أستبدت بهما الرغبة الشديدة لإغتنامها إلى أقصى درجة ممكنة .

ويقال (٢) أنه فى اعقاب الغارات الجوية الإسرائيلية الأولى ضد مصر صبيحة الخامس من يونيو ؛ اتصل رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى اشكول مع الملك حسين عن طريق هيئة الرقابة الدولية ، متعهدا بأن إسرائيل لن تكون البادئة فى أشعال الإشتباكات ولدى تسلم حسين الرسالة كان اطلاق النار من أسلحة صغيرة قد بدأ ، لتقوم المدفعية الإردنية بعد ذلك فى زمن قصير بفتح نيرانها على القدس الإسرائيلية وعلى منطقة تل أبيب ، وكأنها بذلك تشير إلى رد الملك حسين ، أن تركيز القوات الإسرائيلية الرئيسية على الجبهة المصرية وعدم التأكد مما سوف يحدث هناك كان من شأنه أصلاأن يجعل القيادة العسكرية الإسرائيلية حريصة على عدم التورط مع الأردن .

وتبعا لما ورد فى تقارير الصحفين ، لاسيما الكلام (٣) الذى نقله الأخوان

---

(١) Churchill, Ranolph and Winston S. The Six day war, Boston, 1967, p. 127.

(٢) Ben Ellissar, Ilahu aad Schiff, zeev : Le Guerre Israelo Arabe, op. cit. pp. 130–183.

(٣) Churchill, Randolph S. and Winston S. The Sixeday War, op. cit. p. 128.

تشرشل عن فكرة الجنرال الإسرائيلى عوزى ناركيس فإن هيئة الأركان العامة الإسرائيلية وضعت قوات محدودة جداً تحت أمرة ناركيس ولم تسمح له بعبور خطوط الهدنة حتى بعد ظهر الخامس من يونيو ، أى عقب مضى ساعات على بدء القصف الإردنى وبعد التأكد من نجاح الهجوم الجوى على مصر .

أن أحدى الكتيبتين من المظليين الذين اجتاحوا المدينة القديمة فى السابع من يونيو كانت معدة أصلا لانزال جوى فى سيناء .

ولئن كان الرأى العام الإسرائيلى فى البداية لايتوقع القتال فى القدس فمن المؤكد أنه ما كان ليعوز الرأى العام الإسرائيلى الحماس للعملية بحد ذاتها ، فلم تكد تسقط القنابل الإردنية الأولى بعد الساعة التاسعة صباحا بقليل ، حتى نقل على لسان الجنرال ناركيس الهتاف التالى موجها إلى المحافظ تيدى كوليك : «ليس مستبعدا أنك سوف تصبح محافظا القدس الموحدة (١) » .

وعندما أقدم الجنرال حاييم بارليف نائب رئيس الإركان بتخويل الجنرال جور نهائيا صلاحية الهجوم على المدينة القديمة يوم السابع من يونيو ، قال بارليف مايلى :

« هناك ضغوط علينا لايقاف أطلاق النار . وصلنا إلى القناة ، نقطع المصريين أربا أربا — لاندع المدينة القديمة باقية كرقعة معزولة وسط أراضينا(٢) » .

ولقد صرحت مصادر موثوقة لدى الحكومة الأمريكية بصورة شفهية أنه عند الساعة الثانية من فجر ٦ يونيو — عندما كان الإندفاع الإسرائيلى الرئيسى نحو الأراضى الأردنية فى بدايته الأولى — طلب الملك حسين إلى الولايات المتحدة أن تحاول الحصول على تعهد من إسرائيل بوقف اطلاق

---

(١) Ibid. d. 136.

(٢) Ibid p. 138.

النار — وكأنه يذعن لنداء أشكول فى اليوم السابق ، غير أن أشكول رفض هذه المرة بقوله : « أن إسرائيل لا مصلحة لها فى بقاء عرش الحسين »(١) .

وهكذا تابع الإسرائيليون تقدمهم دون أى رادع أو وازع لاحتلال ما أمكنهم احتلاله من الأراضى الأردنية — وفى طليعتها البارزة ، القدس العربية ، ومع النجاح الصاعق الذى أحرزته إسرائيل فى مصر ، لم يعد الأردنيون يشكلون خطرا استراتيجيا ، ثم مع توسل الملك حسين بطلب وقف اطلاق النار فإنهم ماعادوا — يشكلون حتى خطر اقلاق راحة الأمن . بيد أن اعتبارات أخرى أخذت تلعب دورها ، وانعكس الأمر فى التصريح الذى أدلى به الجنرال ناركيس عند منتصف ليل ٥ — ٦ يونيو الحاخام الأكبر للجيش الأسرائيلى الجنرال جورين ، قائلا : « إن رجالك يصنعون التاريخ — وما يجرى الآن فى سيناء هو لاشىء بالنسبة لهذا الأمر » . ولقد فهم ناركيس الموضوع فنصح جورين بتهيئة بوقه — المكون من قرن الحمل : الشوفار (Shofar) — وحالما وصلت القوات الإسرائيلية إلى حائط المبكى (البراق) فى صبيحة السابع من يونيو ، تجمع هناك نفر من الزعماء الإسرائيليين وترأس الصلوات الحاخام جورين .

وهكذا بدأت النتيجة الاشد مغزى فى عقول ومشاعر الإسرائيليين واليهود الآخرين — ليست قابعة فى القدس (١) .

ومنـــذ يونيو ١٩٦٧ كان الاهتمام الرئيسى للحكومة الإسرائيلية يتجه نحو التأكيد على إدعاءاتها فى السيطرة على القدس العربيـــة سيطرة دائمة وتامة ، فقد تعرضت المدينة لأعمال القتل والإعتقال والتدمير والنهب مما

---

(١) Ben Elissar, Ilahu and Schiff, Zeev : La Guerre Israelo-Arabe, op. cit. pp. 184-185.

(٢) مما تجدر ملاحظاته هنا موضوع كتاب والتر لاكور : الطريق إلى القدس (The Road to Jerusalem)=

أدى إلى نزوح حـــوالى خمسة آلاف من المدنيين معظمهم من اللاجئين الفلسطينيين سابقاً . وكان الإجراء الثانى لتسهيل عملية تهويد القدس هو سلسلة من أعمال الهدم ونسف الأملاك العربية داخل السور وخارجة بدأت فى ١٩٦٧/٦/١١ - أى بعد الاحتلال بأربعـــة أيام فقط ، وفى أقل من أسبوع أزيل من الوجود العربى ١٣٥ داراً فى حى المغاربة يسكنها ٦٥٠ شخصا ، ومسجدان فى ذات الحى ، ومصنع للبلاستيك قرب حى الأرمن كان يعمل به ٢٠٠ عامل وعاملة يضاف إلى ذلك ما يقرب من ٢٠٠ منزل فى المناطق الحرام ، كما نسف الجيش الإسرائيلى ١٤ دارا بحجة الانتقام من أعمال المقاومة : ١٤ دارا بحجة توسيع وكشف إمتداد الحائط الغربى للحرم الشريف الذى يسمونه المبكى ، وكان من نتيجة الهدم والتدمير والنسف تشريد ما يقرب من ألف شخص آخرين من سكان القدس .

وقد وضح الآن أن الهدف هو تهويد القدس تماما ، لكن المتطلبات التكتيكية لتحقيقه تنوعت ، فقد أرسى الإطار القانونى والإدارى للسياسة الإسرائيلية فى يومى ٢٧ ، ٢٨ يونيو ١٩٦٧ - أى بعـــد مرور ثلاثة أسابيع تقريباً على قيام القوات الإسرائيلية بعبور خطوط الهدنة إلى القدس ففى ٢٧ يونيو استصدر الكنيست قانونا على شكل إضافة فقرة إلى قانون إسرائيلى اسمه قانون الإدارة بالنظام لسنة ١٩٤٨ وقد خولت تلك الفقرة حكومة إسرائيل ضم القدس إلى أرض إسرائيل وتخويل وزير الداخلية صلاحية إعلان التوسيع فى الحدود البلدية ، وتطبيق السيادة القانونية والإدارية التى يسرى مفعولها فى إسرائيل نفسها على أقسام معينة من المناطق المحتلة . وفى اليوم التالى بادر وزير الداخلية إلى إتخاذ مثل هذه الخطوة بالنسبة للقدس العربية والمناطق المحيطة بها مما أدى إلى دمجها تحت إدارة محافظ المدينة اليهودية تيدى كوليك .

= الصادر بنيويورك عام ١٩٦٨ ، إن محتويات هذا الكتاب تركز بصورة كلية تقريباً على تصاعد أزمة مايو بين إسرائيل ومصر وتطورات تلك الأزمة لكن دخول إسرائيل للقدس العربية لا يجرى بحثه إطلاقاً .

وفى نفس اليوم (٢٨ يونيو ١٩٦٧) اصدر سكرتير حكومة إسرائيل أمراً أطلق عليه (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧) أعلن فيه أن مساحة أرض إسرائيل المشمولة فى الجدول الملحق بالأمر هى خاضعة لقانون قضاء وإدارة الدولة الإسرائيلية ، ويضم هذا الجدول منطقة تنظيم أمانة مدينة القدس التى تقع تحت الحكم الإدارى العربى وهى تقع ما بين المطار وقرية قلندية شمالا وحدود الهدنة غربا وقرى صور باهت وبيت صفافا جنوبا ، وقرى الطور العيسوية وعنانا والرام شرقا ويقطنها حوالى مائة ألف من السكان العرب .

وفى اليوم التالى اصدر جيش الدفاع الإسرائيلى أمراً يقضى بحل مجلس أمانة القدس العربى المنتخب من سكان القدس وبطرد أمين القدس السيد روحى الخطيب من عمله وبالحاق موظفى وعمال أمانة المجلس ببلدية القسم المحتل من المدينة .

وقد نفذت السلطات العسكرية الإسرائيلية المحتلة هذه القرارات والأوامر بشدة ، فاستولت على جميع ممتلكات الحكومة الأردنية (١) وأثاثها وأجهزتها وسجلاتها وألحقتها بدوائرها ومحاكمها وبلديتها الإسرائيلية وألغت جميع القوانين والأنظمة الأردنية واستعاضت عنها بالقوانين والأنظمة الإسرائيلية وفرضت بالقوة جهازاً عسكريا إسرائيلياً واخضعت جميع السكان العرب لسلطته وجبروته .

وقد اعترض عرب القدس وعرب الضفة الغربية والحكومة الأردنية على هذه الإجراءات التى هى من طرف واحد ، وأشارت الحكومة الأردنية إلى أنه بموجب القانون الدولى للحروب والذى عبر عنه ميثاق لاهاى فى ١٩٠٧ ينبغى لسلطات الاحتلال أن تلتزم بالحفاظ على التركيب القانونى

---

(١) المرجع السابق .

والإدارى القائم فى المناطق المحتلة ، وهذا ما فعلته إسرائيل فى المناطق الأخرى من الضفة الغربية — وأيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة وجهة نظر الأردن فى قرارين جرى إتخاذهما دون معارضة فى يومى ٤ ، ١٤ يولو ١٩٦٧ على التوالى واعتبرت جميع إجراءات إسرائيلى باطلة وطالبتها بالغائها والعدول فورا عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير الوضع القانونى للقدس من جانب واحد (١).

وقد أجابت إسرائيل بالصلف والتحدى نفسهما ، فلم تقتصر عن الاستمرار فى إتخاذ خطوات إدماج القدس بشكل تام ونهائى بل أعلنت صراحة أنها لاتنوى الاصغاء إلى أى نداء من الضمير العالمى وحتى قبل صدور قرارات الأمم المتحدة أعلن أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل فى حديث مع صحيفة جيروزالم بوست « أنه حتى اوصوت ١٢١ عضوا من أعضاء الأمم المتحدة على انسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل الحرب فان إسرائيل سترفض ذلك القرار (٢).

وبالفعل فقد سارعت السلطات الإسرائيلية إلى تطبيق قانون أموال الغائبين العرب على القسم المحتل الجديد ، وفتحت فيما بعد مكاتب حكومية لها بالقدس وباشرت بتسجيل جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة تخص التى هؤلاء الغائبين ، وبموجب هذه العملية الجديدة وضعت سلطات إسرائيل يدها على مساحات واسعة مما تبقى لعرب القدس من أراضى وأملاك ، كما حجزت ما وصل إلى علمها من أموال منقولة وأسهم شركات تخص أولئك الغائبين وتحول كل ذلك إلى أملاك يهودية أوواقعة تحت تصرف إسرائيل .

---

(١) أنظر نص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بالقدس فى ٤ يوليو سنة ١٩٦٧ ، وقرار الجمعية العامة للامم المتحدة الخاص بالقدس أيضاً فى ١٤ يوليو سنة ١٩٦٨ فى : ملف وثائق فلسطين — مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية ، مرجع سابق ص ص ١٥٦٥-١٥٦٧ .

(٢) Jerusalem Post ، Jerusalem 18-6-1967.

كذلك سارعت سلطات الاحتلال بوضع أيديها فيما بعد على جميع المدارس الحكومية وأعلنت اختصاصها لبرامج التعليم المطبقة فى المدارس العربية فى المنطقة المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وقد رفض مدير التربية ومساعدوه والجهاز التعليمى التعاون مع السلطات الإسرائيلية لأنهم كانوا يرون فى تنفيذ برامج التعليم الإسرائيلية التفسير بقبولهم عملية ضم القدس لإسرائيل ، وكان رد سلطات الاحتلال الإسرائيلية هو اعتقال المدير ومساعديه وسجن كل منهم ثلاثة أشهر .

ولاحكام عملية الضم والتهويد أقامت سلطات الاحتلال منذ الأيام الأولى لهذا الإحتلال عدداً من مراكز الحدود العسكرية والبوليسية والجمركية على الطرق والمنافذ التى تربط بين القدس والمدن والقرى العربية الملاصقة لها واعتبرت القدس منطقة أجنبية بالنسبة لتلك المدن والقرى يقتضى الوصول إليها والخروج منها الحصول على تصريح عسكرى .

وفيما بعد قامت السلطات الإسرائيلية بتهويد الاقتصاد والقضاء وعمل هويات إسرائيلية بدلا من تلك الهويات العربية للسكان العرب(١) ، وهناك أنباء عن أن الإسرائيليين أقدموا على إستخدام المقبرة الإسلامية فى عين كارم كمرحاض(٢) ، ومن الغريب أن الإسرائيليين قد بذلوا جهدا عظيما لتغليف صيغة عملهم بعبارات فنية تختلف عن عبارات الضم الصريح ، على أن النتيجة العملية لم تتبدل فعلا فقد تحاشوا إستخدام الفاظ من طراز « الضم » و « الامتداد الإقليمى » و« السيادة » وتحدثوا فى البديل عن « إعادة توحيد المدينة » وعن توسيع نطاق الصلاحيات الإدارية لمحافظة المدينة الإسرائيلية . أى القدس الشرقية ، كما يسمونها الآن وهى « تؤلف جزءا متكاملا من مدينة

---

(١) المرجع السابق .

(٢) هذه الواقعة وغيرها من الحالات هى التى ذكرها ايفان م. ويلسون ، القنصل العام للولايات المتحدة سابقاً فى القدس .

إسرائيلية موحدة ، لكن الأمر الذى لم يتضح تماما هو ما إذا كانت تعتبر جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل بالذات .

فهل يكون السكان العرب فى القدس الشرقية من المواطنين الإسرائيليين ، وهل يجب عليهم التخلى عن مواطنيتهم الأردنية ؟ أيحق لهم الاقتراع فى الانتخابات الإسرائيلية العامة ، وهل يستطيعون السفر إلى الخارج بجوازات إسرائيلية ؟ وهل يحق لهم المطالبة باملاك فى إسرائيل فقدوها عام ١٩٤٨ طالما أنهم ماعادوا من الغائبين » .

ولاشك أن الأجوبة على جميع هذه الأسئلة هو بالنفى . والأسباب الكائنة وراء هذا الالتباس الفنى هى بديهية ، فالحكومة الإسرائيلية من جهة ، لم ترغب فى إضاعة أى وقت قبل إقامة دمج القدس العربية كأمر واقع ، لكى تجعل هذا الأمر بمنأى عن المباحثات الدولية وقبل أن يتسنى للضغوط الدبلوماسية أن تتكاثر .

ومن جهة أخرى ، أرادت إسرائيل أن تتجنب الوقوع فى وضع من الانتهاك الصريح والمباشر للقانون الدولى ، فلم ترغب فى أحداث ثغرة بالنسبة لصدق أهتمامها المعلن فى التفاوض على السلام مع الأردن ، بأن تبادر الى إغلاق الباب بعنف أمام أنظار الرأى العام العالمى كله ، فالسيطرة الإسرائيلية على القدس الشرقية يجرى إعلانها غير قابلة للتفاوض ، أما الإطار القانونى الدقيق لتلك السيطرة فيبقى نظريا على الأقل خاضعا لنوع من التسوية التى تحفظ للأردنيين كرامتهم ، وحتى إذا ما وافقوا على مفاوضات صلح كامل ، وبذلك تستطيع إسرائيل المضى فى إدعائها المعلن ، كما قد يمضى البعض فى تصديقها بأن « جل ما تريده إسرائيل هو السلام »

وفى تلك الأثناء وعلى صعيد الفعل العملى فى القدس بالذات ، أظهرت السياسة الإسرائيلية الخليط إياه : فى تنفيذ الأمر الواقع من جهة والاتيان —

بمبادرات تنم عن الاعتدال بين الحين والآخر من شأنها الحيلولة دون عرقلة هذا الأمر الواقع من جهة ثانية(١) .

فقد تدفق الإسرائيليون على المدينة القديمة بالآلاف للتسوق والتفرج على الأماكن وزيارة الحائط وبقايا الحي اليهودي القديم ، بالإضافة إلى إقامة الإتصالات مع السكان المعادين ، ثم أفتتح القطاع اليهودي في تلك الأثناء بوجه للعرب وأحيطت فكرة « إعادة التوحيد » بهالة من الدعاية الواسعة ، وكذلك مسألة الإتصال الودي بين العرب اليهود على شاكلة أبناء العمومة الذين التقوا بعد طول ضياع .

ومع إتمام شكليات «توحيد البلدى ، تلت خطوات أخرى ، فالموظفون الإداريون في القطاع الأردني من المدينة ، من ذوى الدرجات والرتب التي تأتي دون العليا ، جرى إدماجها في بيروقراطية المدينة الإسرائيلية ، والخدمات الإجتماعية الإسرائيلية وشبكات المياه والهاتف والكهرباء . . . الخ ، جرى إيصالها وتمديدها الى القطاع العربي ، ثم كان حل مجلس بلدية القدس العربية ودعوة أعضائه لاتخاذ مقاعدهم في المجلس الإسرائيلي الأوسع بكثير ، (رفضوا -العرب- التجاوب مع هذه الدعوة بالطبع) والمدارس العربية وضعت في المنزلة نفسها كالمدارس الإسرائيليه ، ثم أخضعت لمناهج وزارة التربية الإسرائيلية وأنظمتها الأخرى واقتصاد الضفة الغربية فصل منه اقتصاد القدس الشرقية لكي يربط باقتصاد إسرائيل وخضع عرب القـــدس للضرائب الإسرائيلية والأنظمة التجارية النافذة في إسرائيل ، كما حلت العملة الإسرائيلية محل الأردنية ، وأغلقت المصارف الأردنيـــة لكي يصار إلى افتتاح فروع للبنوك الإسرائيلية ، ثم جرى اخضاع التجارة مع الضفة الغربية وحصرها بقيود الاستيراد ، بينما أصبحت التجارة داخل إسرائيل

---

(١) مالكولم هـ. كير : الوضع السياسي المتدبر للقدس في : دكتور ابراهيم أبو لغد تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ٣٨٤ .

مفتوحة السبيل ، وألزم أصحاب المهن بالحصول على رخص إسرائيلية لمزاولة أعمالهم والتقيد بالأنظمة السائدة فى إسرائيل فصار هذا الأمر بالنسبة للمحامين يعنى إكتساب المقدرة على تعلم اللغة العبرية بطلاقة ، أما بيوت وأملاك بعض العرب الذين هربوا أو تغيبوا أثناء القتال فقد تم وضعها تحت سيطرة الحارس الإسرائيلى لأملاك الغائبين :

وتبعت ذلك تغييرات أخرى ، فهناك مدرسة إسلامية للبنات فى المدينة القديمة أصبحت مقرا للمحكمة الحاخامية العليا ، ومستشفى أصبح مركزا للشرطة الإسرائيلية(١) وقد عمد الإسرائيليون أيضاً إلى نزع ملكية ٨٣٨ أكرا من الأراضى الأردنية سابقا ثم بادروا عقب ذلك بوقت قصير إلى إعلان خطط ترمى لتطويرها من جديد ، ومن جملة هذا التطوير إسكان أعداد كبيرة من المقيمين اليهود ، أن قسما من هذه المساحة كان يشمل الحى اليهودى قبل عام ١٩٤٨ داخل المدينه القديمة والقسم الأكبر منها شمل أراضى تبعد عن الحى إلى الشمال وتقع بين المدينة اليهودية القديمة وجبل سكويس فأصبح توزيع حقوق ملكية هذه الأرضى موضوعا للجدل فى الأمم المتحدة بين مندوبى الأردن وإسرائيل(٢) .

وقد تبدو هذه الإجراءات كلها غير ملتبسة فى تصميمها وتأثيرها ، ألا وهو : توطيد دعائم الوجود الإسرائيلى فى القدس العربية وجعلها نظاميا بحيث لا يعود مستندا إلى مجرد احتلال عسكرى وإلى إدعاء دبلوماسى مشكوك

---

(١) مالكولم هـ. كير ، مرجع سابق ص ٣٨٥ .

(٢) يقول الأردنيون أنه من أصل مجموع مساحة هذه الأراضى والعقارات هناك ٩١./ تعود ملكيتها إلى الأفراد العرب والمؤسسات العربية ، ٨ ./ من الأملاك العامة ، بينما ١ % فقط كان يملكه اليهود ، وحتى الأرض فى الحى اليهودى القديم كانت ملكيتها تعود دوماً للعرب ، أما الإسرائيليون فزعموا أن ثلث مجموعة المساحة هو ملك للعرب والثلث من أملاك الدولة بينما تعود ملكية الثلث المتبقى إلى اليهود : أنظر تفصيل ذلك فى جلسة مجلس الأمن فى ٣ مايو ١٩٦٨ فى : U. N. Monthly Chroncle, V. Juine 1968 pp. 8-15.

فيه لكن الإدارة الإسرائيلية رأت من الأفضل مصالحة الرأى العام العربى مع الترتيبات الجديدة وتحاشى ردود الفعل القابلة للانفجار وعلى سبيل المثال فإن معدلات الضرائب الإسرائيلية التى صدرت مراسيمها عقب الضم كانت ستبدو مرهقة الغاية فيما لو جرى تطبيقها بحذافيرها ؛ بينما جاء تنفيذها على الصعيد العملى إلى حد جزئى فقط ، وعلى نحو مماثل فقد أثيرت المخاوف لدى المسلمين منذ البداية بشأن قداسة مقاماتهم الدينيه وحرمات مساجدهم من إجراء التصرفات غير اللائقة التى صدرت عن بعض الإسرائيليين فى أعقاب الحرب بزمن قصير ومنها الاساءة البالغة إلى المشاعر الإسلامية التى بدت من الجنرال جورين الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلى بإقامة الصلوات بجوار الحرم الشريف مباشرة وهو ملاصق لقبة الصخرة ، وبحديثه عن بناء هيكل هناك ولقد احتج الزعماء المسلمون على دخول الجمهور الإسرائيلى بصورة غير محتشمة ؛ ولامبالية إلى المساجد خلال أوقات الصلاة ؛ فالمؤسسات الإسلامية وضعت فى البداية تحت سلطة وزارة الشئون الدينية فى إسرائيل وهى الوزارة التى يقوم على رأسها عضو الحزب القومى الدينى زيراح فاوهفتيج ، ثم جرى نقلها فى وقت لاحق لسلطة وزارة الداخلية .

وقد أثر الضم تأثيرا بالغ السوء على السكان الأصليين فى القدس وهو ما انعكس على الصعوبات الاقتصادية التى عانى منها عرب القدس مثل خسارة الأعمال واغلاق البنوك العربية وقطع المبادلات مع الضفة الشرقية الأردنية والدول العربية الأخرى والأسعار المرتفعة التى تسود فى إسرائيل والضرائب المرتفعة وضياع مجالات الإستخدام أمام أصحاب المهن ، فالى أى مدى كانت السياسة الإسرائيلية مرسومة بالفعل بقصد مناقشة بعض هذه المشكلات أو التقليل من حدتها ؟ هذه مسألة رجعت إلى خلاف فى الرأى ، وقد نشأت حالات عديدة من الدعاوى المتصلة بمحلات أعمال عربية تكبدت ضرائب على السلع الموجودة لديها إلى درجة توازى المصادرة ؛ وعن وكالات ومكاتب السفر العربية التى توقفت أعمالها بسبب المنافسة الإسرائيلية المدبرة وهلم جرا ، وذكر أصحاب المهن من العرب والذين ينتمون إلى فئات الدخل العليا من المثقفين ثقافة رفيعة

أن هناك سياسة إسرائيلية تهدف إلى تشجيعهم على مغادرة القدس بغية حرمان السكان العرب من قياداتهم التجارية والاجتماعية إلى جانب الزعامة السياسية .

كما لوحظ أنه من بين ١٤٠٠ نازح أو حوالى ذلك من النازحين العرب عام ١٩٦٧ والذين أعيدوا لاحقا فى الصيف إلى الضفة الغربية ؛ كانت قلة ضئيلة جداً من سكان القدس ، مما يبقى على إقصاء ٨ أو ١٠ ٪ من سكان القدس العرب الذين غادروا المدينة أو كانوا بعيدين عنها أثناء القتال ، لذا كان من الطبيعى للعرب الاشتباه ، وهم بالتأكيد مصيبون فى ذلك – بأن الاسرائيلين يتطلعون بسرور إلى الاستمرار فى هذا النزوح (١) .

وثمة شىء واحد لم يتساهل نحوه الاسرائيليون فى ظل شكل توحيدهم للمدينة ، وهو وجود زعامة سياسية للعرب ، لمنظمة وقائمة بذاتها ، فحل المجلس البلدى فى أمانة القدس العربية وتسريح أمين المدينة (المحافظ) من منصبه ، ثم رفض أعضاء المجلس أن يشغلوا المقاعد التى عرضها الاسرائيليون عليهم فى المجلس الموحد – كل هذا ترك الجماعة العربية فى المدينة دون أية بنية سياسية معترف بها ، وعقب بضعة أسابيع على الضم قامت فئة من الأعيان تضم الأمين السابق لمدينة القدس روحى الخطيب ورئيس محكمة الاستئناف الشرعية عبد الحميد السائح بتشكيل هيئة اتخذت لنفسها صفة التحدث باسم عرب المدينة ، فاحتجت الهيئة المذكورة بشدة ضد إجراءات الضم الاسرائيلية ونظمت إضراباً ليوم واحد ، لكن سلطات الاحتلال عمدت إلى ترحيل روحى الخطيب والشيخ عبد الحميد السائح وأثنين غيرهما بينما عومل نفر من المضربين بصورة عنيفة على يد الاسرائيليين ؛

كذلك عمد الاسرائيليون إلى حصر إجراءات الأمن فى القطاع العربى

---

(١) مالكولم هـ. كيرفى : تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ٣٨٦ .

فقط لقمع مسيرات الإحتجاج والإضرابات والصدامات بين المواطنين العرب والإسرائيليين(١) .

ولم يهتم الإسرائيليون بتوضيح سلطاتهم الكاملة على الجماعة العربية فى القدس فحسب ، بل لقد بذلوا جهدا ، لأسباب مختلفة بغية إستبعاد أى دور تدعيه الأمم المتحدة وهيئة الرقابة التابعة لها ، بدليل الأحداث التى وقعت فى مقر هيئة الرقابة الدولية أثناء حرب يونيو وبعدها فالقوات الأردنية يوم الخامس من يونيو إحتلت لفترة قصيرة الموقع المحيط بدار الحكومة ، خارقة بذلك وضعها المجرد من السلاح ، حتى جاءت قوات الجيش الاسرائيلى لتطردها من هناك ، واقتحمت القوات الإسرائيلية مبنى الحكومة بالقوة ، لكى تحتجز كبير المراقبين ، أودبول ، ومساعديه وتنقلهم فيما بعد تحت الحراسة إلى المنطقة الاسرائيلية حيث سمح لهم بانشاء مقر موقت ، وأمضى الجنرال أودبول والأمين العام للأمم المتحدة يوثانت الشهرين التاليين فى محاولة التفاوض مع الحكومة الإسرائيلية لإرجاع الأملاك إلى سلطة الأمم المتحدة ، فنجحا بعد لأى فى أغسطس ١٩٦٧ بالحصول على المبنى وجزء يسير من الأراضى المحيطة به ، غير أن المدة الفاصلة أتاحت أمام السلطات الإسرائيلية فرصة كافية لنبش الملفات السرية داخل المقر وتصويرها ، ومن المفترض مثلا أنها تحتوى على وقائع مباحثات سرية بين يوثانت وعبد الناصر(٢) .

كذلك فقد قوبلت الخطوات التى كانت الحكومة الاسرائيلية قد اتخذتها فى يومى ٢٧ ، ٢٨ يونيو باستنكار صريح ، وقد أثار هذا نقاشا هاما أمام

---

(١) للاطلاع على دراسة ممتازة للمواقف والظروف السائدة بين عرب القدس بعد انقضاء الحرب يرجع إلى :

Michael C. Hudson, « A city Still Divided » Mid-East, VIII, (Sebtember, 1968), pp. 20-25.

(٢) مالكولم هـ. كير ، مرجع سابق ص ٣٨٧ .

الجمعية العامة للأمم المتحدة التى أصدرت فى النهاية باجماع يكاد يكون كاملا - ٩٩ صوتا ضد لا شيء وإمتناع عشرين صوتا ، ثم أدى رفض إسرائيل للقرار إلى التوكيد عليه مجدداً من جانب الجمعية العامة فى قرار ثان بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٦٧

وجاءت ردود الفعل العالمية تعارض صراحة ما اتخذته إسرائيل من إجراءات خاصة بالقدس ، فبالرغم من أن الولايات المتحدة ذاتها كانت تؤيد إسرائيل تماما فى عدوانها ، فقد امتنعت عن التصويت على هذين القرارين الصادرين عن الجمعية العامة وأيضا على قرار مجلس الأمن وأعلن ممثلها فى الأمم المتحدة جولد برج أن هذا الامتناع ليس له من سبب غير صياغة القرار وأن حكومته سبق لها أن بنيت موقفها فى مسألة القدس وأبدت إنشغالها الجدى بها ، ولكن هذا الوضع الأمريكى السابق الذى أشار إليه جولد برج كان فى صالح تأميم مدينة القدس وفضلا عن هذا فقد أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية معارضتها صراحة لما إتخذته إسرائيل من إجراءات خاصة بالقدس (١) فعقب إجراءات الضم مباشرة أشارت وزارة الخارجية الأمريكية إلى ما أقدمت عليه إسرائيل من « خطوة إدارية متسرعة » وأعلنت أن « الولايات المتحدة لم تعترف أبدا بمثل تلك الإجراءات من طرف واحد والمتخذة من جانب أية دولة فى المنطقة على اعتبار انها إجراءات تتحكم بالوضع الدولى للقدس (٢).

وصرح المبعوث الأمريكى جولد برج أيضا أمام الجمعية العامة فى ١٤ يوليو بما يلى « نحن نصر على أن الإجراءات المتخذه لا يمكن أعتبارها غير إجراءات لفترة فاصلة ومؤقتة ، ولا يجوز لها استباق الأمور والتأثير فى الوضع النهائى والدائم للقدس » ، بيد أن جولد برج فى شرحه لامتناع وفد

---

(١) Le Monde, Paris, 30-7-1967.

(٢) Department of state, Bulleten, Le VII, 1967, p. 60.

بلاده عن التصويت تابع قوله على سبيل التضمين بأن إجراءات إسرائيل يمكن القبول بها حقا كاجراءات موقته فحسب ، وليس بمثابة ضم صريح (١) .

وكان من شأن قرار الأمم المتحدة بالغاء كافة الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل وبالإمتناع عن أى عمل يكون من شأنه تغيير الوضع القائم فى مدينة القدس ، كان من شأن ذلك أن طلب من سكرتير عام الأمم المتحدة أن يقدم تقريراً إلى الجمعية العامة وإلى مجلس الأمن حول هـذا الوضع وحول مدى تنفيذ إسرائيل لقراو الأمم المتحدة فى شأنه وقام يوثانت — تنفيذاً لهذا القرار — بارسال أحد الدبلوماسيين السويسريين هو مستر ثالمان فى مهمة خاصة إلى القدس ، وبعد عودة هـذا المبعوث قدم تقريرة إلى السكرتير العام الذى أطلق عليه وعلى التحقيق الذى أجراه ثم أحال الموضوع إلى الأمم المتحدة يوم ١٢ من سبتمبر ١٩٦٧

أما البابا فقد أعلن من جانبه تأييده لفكرة تدويل الأماكن المقدسة وفى أوائل شهر يوليو أرسل مندوباً من جانبه إلى القدس هو المونسنيور أنجلو فلتش لمناقشة هذا الموضوع مع السلطات الإسرائيلية ، ولكن الحكومة الإسرائيلية أصمت أذنيها تماماً عن كافة المساعى التى بذلت لديهـا ولم تستجب لشيء منها . وأعلنت استعدادها لمناقشة أية ترتيبات يراد وضعها للأماكن المقدسة بحيث ترضى كل الديانات مع تأكيدها على عدم إمكان الرجوع عن القرار الخاص بضم المدينة القديمة إلى أراضيها وأن سيادة إسرائيل على تلك المنطقة لا يمكن أن تكون موضوعاً لأية مفاوضات وهو رأى سبق أن اكده مستر ثالمان فى تقريره الذى قدمه من قبل إلى سكرتير عام الأمم المتحدة فى شهر سبتمبر ١٩٦٧ (٢) .

---

(١) United Nation Monthly Chronicle, V. (Juue 1968) p. 21.

(٢) Aleum, Jean Pierre : Juifs et Arabes, op. cit. p. 443.

وبمناقشة المزاعم الإسرائيلية فى القدس فاننا نجد أن الوضع القانونى لمدينة القدس كان وضعا معقدا منذ انتهاء الإنتداب البريطانى على فلسطين فايجاد النظام الدولى الخاص لم يحدث أبداً ، وترسخت كل من السيطرة الإسرائيلية والأردنية على قطاعى المدينة .

ويطرح حائط المبكى مشكلة ذكريات الحى اليهودى التقليدى قبل ١٩٤٨ داخل المدينة القديمة لأن شدة التعلق اليهودى بهذه الأمكنة اتضحت على نحو مثير للغاية فى الأيام التى أعقبت حرب ١٩٦٧ . وهذه المشكلة وقفت كعقبة ضخمة فى وجه أى استعداد من جانب إسرئيل للتخلى عن السيطرة التى كسبتها على المدينة القديمة ، ومن جهة ثانية فان وجود المكان الإسلامى المقدس عند المسلمين بمحاذاة حائط المبكى والمعروف بساحة الحرم الشريف — إذ تضم هذه — المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة ، وتؤلف أولى القبلتين وثالث الحرمين فى الإسلام بعد مكة والمدينة — يشكل أيضاً عقبة كأداء أمام إذعان المسلمين لسيطرة إسرائيل .

كذلك ، فالظروف التاريخية التى أحاطت بالأماكن المقدسة والأحداث التى حصلت أثر حرب يونيو مباشرة كلاهما يبين صدام المشاعر الذى ينطوى عليه هذا الأثر . فالحرم الشريف يقوم فى المكان الذى يعتبر تقليديا موقع هيكل سليمان ، حيث يعتقد أن حائط المبكى (وفى لغة اليهود : الحائط الغربى) هو ما تبقى من الهيكل المذكور . ومنذ القرن السابع للميلاد كانت هذه المنطقة بكاملها تحت سلطة إسلامية ، فالحائط بالذات ليس موضع إجلال من جانب المسلمين ، لكنه يقع ضمن مكان يجله المسلمين ، وكان طيلة قرون عديدة يؤلف جزءا من أملاك وقف إسلامى خيرى — للمسلمين وحدهم الحق العينى فيه ، حيث اشتمل هذا الوقف على البيوت المحيطة به عن قرب فى حى المغاربة وعاش سكان الحى على خيرات الوقف المذكور (١).

---

(١) يرجع فى تفصيل ذلك إلى

فالحائط إذن تعود ملكيته إلى مؤسسة إسلامية ، وقد درج القيمون على الاوقاف تقليديا على السماح لأفراد اليهود بالمجىء إلى هنا للصلاة ولكنهم قاوموا بعناء شديد تلك الجهود التى يبذلها السكان اليهود المتزايدون بسرعة فى التاريخ المعاصر لإرساء الحق فى العبادة الجماعية المنظمة عند الحائط ، ناهيك عن حق ملكية هذا الحائط .

إن مقاومتهم نبعت جزئيا من قرب مكان الحرم الشريف ، لئلا تتعرض للخطر قداسة هذا الحرم ومكانته الرفيعة من جراء تطور مكان للعبادة العامة فى وسطة ، وهو مكان منافس غير إسلامى ، كما نبعت هذه المقاومة جزئيا من الإخضاع التقليدى للاماكن الدينية اليهودية والمسيحية بفلسطين للحراسة الكريمة التى كانت السلطات الإسلامية المحلية قيمة عليها — فقد جرت العادة مثلا ، أن تكون بأيدى المسلمين مفاتيح كنيسة القيامة وغيرها عن الأماكن المسيحية المقدسة (١)

ولقد تعود أهل المنطقة وكذا الهيئات الدينية والإسلامية — منذ عهد طويل — على وجود عدد صغير من المتعبدين اليهود فى وسطهم وعلى أساس المنة من جانبهم ، أنما ليس على أساس الفكرة القائلة بأن الحائط أو جواره كان يخضع لاية مطالب منافسة فى حق السيطرة أو التسلط ، هكذا نجد أنه طيلة سنوات الإمبراطورية العثمانية وابان عهد الإنتداب البريطانى لم يحق لليهود عند الحائط فى جلب المقاعد للجاوس عليها أو فى نفخ البوق ، وخلال الفترة الممتدة من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧

= عارف العارف ، النكبة ، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧–١٩٥٥ ، بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ص ص ١٩٧–١٩٩ .

(١) عارف العارف : النكبة ، نكبة بيت القدس والفردوس المفقود ، مرجع سابق ص ١١٩ دكتور اسحق موسى الحسينى : محاضرات عن القضية الفلسطينية أنقاها على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية — يناير ١٩٦٧ ، معالم القضية الفلسطينية ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧ ص ٤٤–٧٧ .

فإن معظم الإسرائيليين لم يشاهدوا الحائط أو المدينة القديمة أبدا ، كما أن الكثيرين منهم كانوا غير متدينين ، إنما رغم ذلك استحوذت على عقولهم عبارات توارتية من طراز « أن نسيتك يا أورشليم تنسى يمنى » ، والذين مازالوا يتذكرون عهد الإنتداب البريطانى لفلسطين والفترة السابقة له ، باستطاعتهم أن يتذكروا جيدا أن الحائط ، مثل أرض فلسطين بالذات ، كان ذلك المكان الذى يتوقع لليهود الذهاب إليه فقط بناء على منه سلطة أجنبية ، ولقد كان ذلك رمزا متبقيا على تزعزع الشتات وتعرضه للخطر ، وأن ماجعل هذه الرمزية ذات معنى فى يونيو ١٩٦٧ هو الناحية النفسية للازمة فضلا عن ذكريات الماضى فى التاريخ اليهودى الحديث .

لم يتمكن اليهود من زيادة الحائط على الاطلاق فالذين سكنوا منهم الحى فى المدينة القديمة جرى ترحيلهم عبر خط الهدنة إلى إسرائيل ، ومع أن اتفاقية الهدنة نصت على حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة من الجانب الاسرائيلى فان الأردنيين لم يوفوا بأحكام هذا الألتزام .

كذلك فإن مراسم الإحتفالات عند حائط المبكى والتخلص العاجل من حى المعاربة ، وضم القدس العربية ، هذه كلها تبدو أنها كانت تمثل فى عقول الإسرائيليين ليس مجرد التعبير عن شعور دينى فحسب ، بل مثلت كذلك ، إعلانا ثانيا من الأستقلال السياسى والعاطفى يضاهى أعلان قيام الدولة الإسرائيلية فى مايو ١٩٤٨ ،

أن الرأى العام الإسرائيلى وبصورة جامعة تقريبا ضرب بالتعقل عرض الحائط حيث أعتبر الضم عملا لا يقبل التفاوض ، وبغض النظر عن توزيع السكان فى القدس ومتطلبات القانون الدولى فضلا عن صعوبات اقناع العرب بعقد الصلح — كانت الحكومة الإسرائيلية هى الآخرى تسير فى مقدمة الرأى العام الإسرائيلى ذاته بهذا الخصوص (١) .

---

(١) مالكولم هـ. كير ، مرجع سابق ص ٣٩٤ .

وفى ميدان الصراع السياسى مع إسرائيل يبدو أنه من سوء حظ العرب فى الأزمنة الحديثة إنهم ملكوا قدرة ضئيلة على تدبر أمر القوة بنجاح أو على التخلى عن حقوقهم ودعواهم .

أن مدينة القدس ككل تضم أكثرية يهودية ـ٧٥ ٪ ـ ومعظمها مارس وظيفته منذ عام ١٩٠٩ كعاصمة (١) لإسرائيل ، وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ والمدينة تقع تحت السيطرة الإسرائيلية التامة ، عسكريا واداريا ، إن النظام فيها ـ وسط المدينة القديمة وغيرها من المناطق الواقعة خارج الأسوار ، هو عربى متجانس فى سكانه وكان يؤلف المركز الإقتصادى الطبيعى للضفة الغربية ، ولهذه الأسباب فإنه ينتمى منطقيا إلى السيادة الفلسطينية ، لكن وجود «المزار» الأبلغ أهمية بنظر اليهودية فى قلب المدينة القديمة يجعل السيادة العربية مسألة غير واردة اطلاقا بالنسبة لإسرائيل .

أن المطلب العربى بالعودة إلى حدود ماقبل ١٩٦٧ فى القدس طالما له ما يبرره التبرير التام ، كذلك فإن الترتيبات التى كانت قائمة قبل ١٩٦٧ انطوت على معنى أفضل بكثير على صعيد الحقوق السياسية لجمع الأطراف المعنية مما فرضته إسرائيل بعد ذلك الحين .

أن تقسيم المدينة ـ على حد قول أحد الباحثين (٢) الغربين ـ حتى فى قيام الحواجز الفاصلة والأسلاك الشائكة لايسيء إلى المشاعر من الناحية الإخلاقية وهو لا يماثل على نحو ما اقتراح الملك سليمان بشق الطفل إلى قسمين فحسب بل أنه يصبو إلى وضع فئات مختلفة من المخلوقات البشرية ، كل بيئتها الطبيعية الفريدة . وإذا كانت بعض المشكلات العائدة إلى ماقبل ١٩٦٧ تستدعى التصحيح دون ريب مثل تعذر وصول اليهود إلى حائط المبكى ،

---

(١) دكتور عز الدين فودة : قضية القدس ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٦٧ ص ص ٥٦ : ٧٣ .

(٢) مالكولم هـ. كير ، مرجع سابق ص ٣٩٥ .

الآن مافعلته إسرائيل يفوق ذلك بكثير وبالإضافة إلى ماسبق أن عرضناه فقد قام الجيش الإسرائيلى بتدنيس كنيسة القديس المخلص الأرمنية على جبل صهيون ودير «دور ميشين» .

أن العرب فى توسلهم لالتزام الأمم المتحدة ومجلس الأمن بقضية تدويل القدس – لن يحدث ذلك فارقا كبيرا ، فلو أخذنا بعين الاعتبار أعاقة إسرائيل العنيدة لموقف الأمم المتحدة منذ بداية وجودها كدولة – حتى عندما كانت مصالحها فى المدينة اقل بكثير مما هى عليه بعد الاحتلال الإسرائيلى للقدس كلها عام ١٩٦٧ ، ومركزها الدولى أضعف كثيرا مما هو عليه اليوم .

كذلك فلم يشعر الرأى العام المسيحى العالمى دوما بالاطمئنان للطريقة التى عوملت بها الأماكن المقدسة المسيحية من جانب إسرائيل ولذا بات الوجود الدولى – طبقا لآراء(١) أحد الباحثين الغربين – هو الوسادة الناعمة لتلطيف العلاقة ، فوجود الأمم المتحدة على شكل هيئة للرقابة الدولية للهدنة قبل ١٩٦٨ – رغم تواضعه كان مصدرا لطاقة نافعة دون ريب .

كذلك ظهرت بعد حرب ١٩٦٧ مشروعات تدعو إلى خلق رقعة دولية محدودة وسط المدينة ، وهذا المشروع المقترح يعيد إلى الذاكرة مشروعا تقدمت به إلى الجمعية العامة لجنة التوفيق الدولية لفلسطين عام ١٩٤٩ ، لكن الأمم المتحدة وضعته على الرف فى حينه دون التصويت عليه ، حيث أوصت اللجنة المذكورة بالأبقاء على القدس منقسمة بين سلطة إسرائيلية وأخرى أردنية إنما قيام مبعوث الأمم المتحدة يساعدة مجلس استشارى يتألف بالتساوى من العرب واليهود بالاشراف على تجريد المدينة من السلاح وضمان الحماية وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع الديانات .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩٦ .

ومما يجدر ذكره أن الدبلوماسية الأمريكية قد اعتبرت قضية القدس أصعب قضية مفردة تنطوى عليها جهودها الرامية لتشجيع الوصول إلى تسوية سلمية بين إسرائيل والأردن واقناع إسرائيل بمثل هذا المشروع يتطلب بدون شك شيئا من النصيحة الأمريكيه القوية بشكل جدى، ... من ذلك النوع الذى استخدمه الرئيس ايزنهاور مع رئيس وزراء إسرائيل بن جوريون فى الأيام التى تلت هجوم السويس عام ١٩٥٦ .

على أنه لكى يحق السلام نحتاج إلى الإتفاق ،ولكن لكى تسود العدالة لاتحتاج إلى مجرد الكلمات فحسب ، بل إلى أعادة الحقوق فعلا إلى أولئك الذين حرموا منها وهم هنا عرب فلسطين .

الحوادث على جبهة القتال وردود فعلها :

سواء تعلق الامر بتسوية النزاع برمته أو بحل مشكلة القدس بالذات لم تكن لقرارات الامم المتحدة أية أهمية أو أثر ، خصوصاً وأن إسرائيل كانت تبدى حيال ذلك كله انصرافا كاملا واستهتارا أكيدا . وقد أخذ أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل منذ يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ يعلن أن اسرائيل قد أثبتت من قبل قدرتها على رفض الانصياع لاى قرار يصدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة كما راح ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل يؤكد بعد ذلك ببعضة أسابيع أن حل المشكلة القائمة بين إسرائيل والعرب يجب أن يتم بين الأطراف المعنية نفسها وخارج نطاق الامم المتحدة .

وكانت إسرائيل لا ترى حل المسائل المعلقة إلا عن طريق مفاوضات منفصلة ومباشرة مع كل من الدول العربية التى يعنيها الأمر . وقد أعرب أشكول عن هذا الموقف فى يوم ٢١ من شهر يونيو حينما أعلن عن إستعداداه لمقابلة أى رئيس دولة من الرؤساء العرب ، كما أن هذا الموقف هو الذى حدد التعليمات التى صدرت – لأبا إيبان حينما ذهب ليمثل إسرائيل لدى الأمم المتحدة .

غير أن هذا الطلب الاسرائيلى لم يكن واقعيا فى الظروف وبالطريقة التى قدم بها(١) وقد أدى فى الواقع من الأمر إلى سلسلة متصلة من الحوادث الخطيرة خصوصا على جبهة قناة السويس دأبت إسرائيل — تمشيا مع سياستها السابقة — على خرق وقف أطلاق النار فى جبهة قناة السويس .

وجاءت أولى هذه الحوادث فى الأيام الأول والثانى والثالث من شهر يوليو وفى نقطة رأس العش إلى الجنوب من مدينة بور فؤاد حيث حاولت إسرائيل أيضاً تحسين مواقعها بالقطاع الشمالى من الضفة الشرقية للقناة ؛ فتقدمت قواتها بغرض الوصول الى بلدة بور فؤاد وتحقيق إتصال مباشر معها . وقد تصدت بعض العناصر الصغيرة من القوات المصرية فى منطقة رأس العش ، وتمكنت من أحباط هذه المحاولة التى إستخدمت فيها القوات الإسرائيلية الدبابات والعربات المدرعة .

وعلى حد قول أحد الباحثين(٢) — فقد تبودلت الاتهامات من كلا الجانبين ، فأخذ المصريون يوجهون الاتهام إلى الإسرائيليين بأنهم كانوا يريدون الاستيلاء على مدينة بور فؤاد المحاصرة فى الجانب الشرقى من القناة ، وكانت قد ظلت باقية فى أيدى المصريين يستطيعون منها أن يراقبوا حركة الملاحة ، كما أخذ الإسرائيليون يوجهون الاتهام إلى المصريين بأنهم حاولوا نظرا لقرب ميعاد الاقتراع أمام الأمم المتحدة أن يثبتوا الأخطار المترتبة على قيام الاحتلال العسكرى ، وعادت الحوادث تتجدد فى نفس هذه المنطقة فى يوم ٨ من يوليو ، الأمر الذى اضطر معه مجلس الأمن إلى أن يطلب من يوثانت أن يبعث بمراقبين من قبل الأمم المتحدة على طول جبهة قناة السويس . وفى يوم ١٠ من يوليو جاءت قطع من الأسطول السوفييتى وألقت مراسيها فى داخل مينائى الاسكندرية وبور سعيد .

---

(١) راجع لطفى الخولى ٥ يونيو — الحقيقة والمستقبل : القاهرة ، دار الكاتب العربى ١٩٦٨ (فى المعركة) .

(٢) Aleum, Jean Pierre : juifs et Arabes, op. cit, p. 445.

وإذ وافقت كل من مصر وإسرائيل على فكرة وضع المراقبين على طول القناة أسرع الجنرال أودبول إلى إرسال بعض الضباط كبعثة مسبقة للمراقبين ، وبمجرد وصولهم حضروا فى يومى ١٤، ١٥ من يوليو موقعة حامية استمرت يومين واشتركت فيها أسلحة المدفعية ، والدبابات والطيران والبحرية ومن كلا الجانبين . وكانت الخسائر جسيمة حيث بلغ عدد القتلى فى الإسماعيلية ١٠٦(١) من الأنفس ، أما سبب القتال فكان هذه المرة جديدا تماما ، ذلك أن الإسرائيليين حاولوا – تعويم بعض قطعهم البحرية فى قناة السويس ، واعترض عليهم المصريون فى ذلك .

وقد أدت هذه الاشتباكات والحوادث العسكرية إلى اقتراح الأمين العام للأمم المتحدة تعيين مراقبين على الهدنة على جانبى القناة ، وقد بدأ هؤلاء أعمالهم فى ١٧ يوليو(٢) ، ومن جهة أخرى انضمت مدمرة سوفيتية إلى قطع الأسطول السوفييتى الراسية فى مينائى الاسكندرية وبور سعيد فى زيارة ودية لمصر(٣) وبهذه المدمرة أصبح عدد القطع البحرية السوفيتية فى الميناءين المصريين ١٣ قطعة(٤) .

وعموما فقد اتضح أن هدف إسرائيل من تصعيد العمليات على جبهة قناة السويس هو ضرورة الاعتراف بالمبدأ القائل بوجود عائماتها فى قناة السويس وهو ما أكده صراحة ليفى أشكول فى ١٨ من يوليو بقوله : « لكى تثبت إسرائيل فى المستقبل حقها فى حرية الملاحة فى قناة السويس » ، وكان البون شاسعا بين هذا الموقف والموقف الذى كان موشى ديان قد اتخذه فى أثناء الحرب ، حينما أوقف قواته على بعد بضعة كيلو مترات من قناة

---

(١) Ibid

(٢) الأهرام ١٦-٧-١٩٦٧ .

(٣) الأهرام ١٨-٧-١٩٦٧ .

(٤) وقد غادرت هذه القطع البحرية الشواطىء المصرية فى ١٨ أغسطس ١٩٦٧ .

السويس لكيلا يضفى « الصفة الدولية » على النزاع وقد صرح ديان فى ذلك بقوله : القناة ليست من شأننا » غير أنه عاد فى شهر يوليو يؤكد : « إذا تعذر علينا استخدام قناة السويس فلن يستخدمها أحد أبداً » وتأكيداً لقوله فقد أنزل ديان فى يوم ٤ من سبتمبر عائمات فى قناة السويس بغرض القيام بدوريات « رونينية » وجاء رد الفعل المصرى سريعاً إذ نشأ قتال عنيف قام أثناءه الإسرائيليون بضرب مدينتى السويس وبور توفيق فأحدثوا فيهما إثنين وأربعين قتيلا ومائة وستين جريحاً بين الأهالى المدنيين(١) .

وفى يوم ٢١ ، ٢٢ من سبتمبر فى اللحظة التى كانت تفتتح فيها الدورة الثانية والعشرون لمنظمة الأمم المتحدة اشتعلت جبهة قناة السويس مرة أخرى وحدثت مواجهات قصيرة بين المشاة والدبابات تخلف عنها مقتل بضع عشرات من الرجال فى كلا الجانبين .

وخلال شهر أكتوبر عادت إسرائيل تتحرش بالقوات المصرية فى منطقة بور سعيد بإرسال بعض قطعها البحرية لاختراق المياه الإقليمية المصرية وفى ٢١ أكتوبر من عام ١٩٦٧ قامت البحرية المصرية بإطلاق صواريخها على المدمرة الإسرائيلية « إيلات » فأغرقتها داخل المياه الإقليمية المصرية وحاولت إسرائيل أن تنتقم ، فوجهت نيران مدفعيتها المركزة إلى أهداف مدنية ، واختارت معامل تكرير البترول فى مدينة السويس لتكون هدفاً لمدفعيتها فأصابتها بأضرار كبيرة .

وبينما كانت شواطئ القناة خلال خريف ١٩٦٧ مسرحا للعمليات العسكرية العنيفة والقاتلة بالنسبة للمدنيين على الأقل ، كانت خطوط وقف إطلاق النار على الجهات الأخرى هادئة . ولم يكن يخلو الأمر من بعض المناوشات على طول نهر الأردن بين الدوريات الأردنية والإسرائيلية ، ولكنها لم تكن تتعدى تبادل إطلاق النار من الأسلحة الخفيفة ، من غير

---

(١) Aleum, Jean Pierre : Juifs et Arabes. op. cit. p. 446.

أن يترك ذلك نتائج جسيمة ؛ بل كانت هذه المنطقة هي التي ظهرت فيها أول بادرة للتساهل الإسرائيلي على حد قول بعض الباحثين (١).

اللاجئون الفلسطينيون بعد حرب يونيو :

فيما عدا إبادة القاسمانيين ، لايعرف التاريخ الحديث حالة جرى فيها استبدال السكان الأصليين في بلد ما بأجناس من الدخلاء غير ماجرت محاولته في فلسطين منذ مطلع القرن العشرين (٢) .

وعلى أية حال فقد رفض قادة إسرائيل بصلابة أي طلب لأولئك الذين أغتصبت إسرائيل أراضيهم وممتلكاتهم في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ . وجميع نداءات إسرائيل « بعقد محادثات سلام مع الدول العربية من خلال مفاوضات مباشرة » تستبعد على وجه التحديد إمكان إجراء أية محادثات مباشرة مع الفلسطينيين المطرودين أنفسهم ، ولا يمكن أن يقال أن اللاجئين الفلسطينيين لم يعد لهم الآن وضع سياسي أو أنهم أصبحوا ولا أهمية لهم لدرجة أنه لا يمكن إجراء محادثات رسمية معهم ، فمن النواحي المدهشة حقاً في الموقف أن الشخصية الفلسطينية مازالت قائمة وكاملة جداً فعلى الرغم من بقاء اللاجئين مطرودين خارج ديارهم عشرين عاماً وأكثر فانهم — حتى من ولد منهم بعد المأساة — لم يتخلوا أبدا عن الأمل في العودة والتصميم عليهما ، وقد يبدو هذا القول خيالياً بل وغير معقول بالنسبة لمن هم خارج المنطقة ، ولكن موقف الفلسطينيين يبدو طبيعياً ومعقولا تماما لأي إنسان عليم بقوة العاطفة الوطنية التي ألهبت قلب الإنسانية آلافا من السنين وأضافت أروع الصفحات إلى تاريخ البشرية ولم يكن قط من واجب

---

(١) Ibid p. 447.

(٢) جانيت أبو لغد ، التحول الديموجرافي لفلسطين ، في : دكتور ابراهيم أبو لغد ، تهويد فلسطين ، مرجع سابق ص ص ١٥٥-١٨٢ .

الضحية أن تقبل الظلم ، وإنما فاعل الخطأ هو الذى يجب أن يطالب باصلاح خطئه .

وإذا تحدثنا بأسلوب الحقائق والأرقام فإن المشكلة لاتبدو أقل حدة وتعقيداً ، ففى نهاية مايو عام ١٩٦٧ وصل عدد اللاجئين المسجلين فى معسكرات وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينين إلى ٧٥٦ ر٣٤٤ر١ موزعين على النحو التالى(١) : ٦٨٧ر٧٢٢ فى الأردن ، ٧٧٦ر٣١٦ فى غزة ، ٧٢٣ر١٦٠ فى لبنان ، ٣٩٠ر١٤٤ فى سوريا .

وقد نجمت مشكلة إضافية عن احتلال إسرائيل خلال عدوانها المسلح فى يونيو ١٩٦٧ لقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء والضفة الغربية للأردن ومرتفعات جولان ومنطقة القنيطرة فى سوريا حيث كان يعيش نصف اللاجئين الجدد الذين سجلوا فى معسكرات وكالة الأمم المتحـــدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينين ، ومرة أخرى أصبح هؤلاء اللاجئين الجدد بلا منازل .

وقد تزايدت قائمة ضحايا عرب فلسطين فى ٣٠ يونيو ١٩٦٧ ، فطبقاً لتقرير المفوض العام لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين المقدم إلى الجمعية العامة عن الفترة المنتهية فى ٣٠ يونيو — قال المفوض العام للوكالة فى تقريره بأن عدد اللاجئين الذين نزحوا من المناطق التى احتلتها إسرائيل وصل ما بين ٠٠٠ر٣٥٠ — ٠٠٠ر٤٠٠ لاجىء ، ثم قال بأن الأشخاص الذين بقوا فى المناطق التى احتلتها إسرائيل أصبحوا بحاجة للاغاثة أكثر من ذى قبل ؛ وذلك بسبب زعزعة اقتصاد المنطقة ، وذكر التقرير ، بأن عدد اللاجئين فى شرق الأردن أصبح الآن ٠٠٠ر٥٧٧ لاجىء منهم ٠٠٠ر٢٤٥ أصبحوا لاجئين نتيجة الحرب الأخيرة ،

(١) Dranath, Dewan Berin : po. eit. p. 174.

ويستطرد المفوض العام للوكالة فيقول فى تقريره بأن مائتين أو ثلاثمئة شخص يعبرون كل يوم الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ، وأن أكثر هؤلاء يأتون من منطقة غزة ، وأنه يجب إعادة هؤلاء إلى الأماكن التى نزحوا منها ، حيث تؤمن وكالة الإغاثة لهم المأوى والمراكز الصحية والمدارس والتسهيلات الأخرى .

أما عن اللاجئين السوريين ، فيقول التقرير بأن عددهم نحو مائة ألف لاجىء وأن الحكومة السورية بمساعدة منظمة الأغذية العالمية تساعد هؤلاء .

وفيما يخص مصر ، فان وكالة الاغاثه كانت تساعد حوالى ٤٠٠٠ شاب نزحوا إلى مصر من منطقة غزة ، ولكن الحرب الأخيرة قد رفعت عدد اللاجئين فى مصر إلى نحو ٦٠٫٠٠٠ أو عدد ٧٠٫٠٠٠ لاجىء ، وأن بين هؤلاء حوالى ٧٠٠٠ لاجىء فلسطينى جاءوا من منطقة غزة ، وأن حكومة مصر طلبت من وكالة الإغاثة مساعدة اللاجئين الذين هم من أصل فلسطينى فقط .

ثم قال المفوض العام لوكالة الإغاثة فى تقريره بأن ثلثى عدد اللاجئين فقط يحصلون على الإغاثة ، وبأنه أضطر مؤخراً أن يرفض تسجيل ٢٤٨٫٠٠٠ لاجىء فى جدول المستفيدين من الإغاثة لعدم وجود كميات الإعاشة اللازمة لهم (١) .

وهكذا تزايدت قائمة ضحايا عرب فلسطين ، فمن الضفة الغربية لنهر الأردن فر مائتا ألف لاجىء فلسطينى إلى الضفة الشرقية ، وقد

---

(١) أنظر تفصيل تقرير الأمين العام لوكالة الأمم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، فى : الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية — منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية — بيروت ١٩٦٩ ص ص ١٠٦٣—١٠٦٦ .

أمكن إنزال مائة وخمسة وسبعين ألفاً من هذا العدد فى داخل المخيمات ، ولكن هؤلاء وغيرهم كانوا يعيشون فى حالة شديدة من البؤس ، وكان الكثيرون منهم مهددين بالموت ، مالم تتخذ إجراءات جادة لإنقاذهم قبل حلول الشتاء ، ولقد اقترحت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى يوم ٤ من يوليو على « قرار إنسانى لمصلحة هؤلاء اللاجئين ، ولكن لم يكن قرارها هذا غير مظهر هزيل لضميرها الفاسد ، على قول أحد الباحثين ».

أما السلطات الأردنية فقد قامت بجهد فى هذا السبيل يفوق جهد الأمم المتحدة ممثلة فى جمعيتها العامة ، حيث تعاونت مع وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ومع منظمة الصليب الأحمر الدولية ومع ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة ، نيلزجوران جوسنج — غير أن عمل السلطات الأردنية فى هذا الصدد كان أعجز من أن يسد الحاجات الضرورية لهؤلاء اللاجئين ، واتضح أن الحل الوحيد الفعال هو عودة هؤلاء النازحين المطرودين إلى قراهم أو إلى معسكراتهم . وكان مجلس الأمن قد أصدر فى يوم ١٤ من يونيو قراراً بهذا المعنى ، وقد نزلت الحكومة الإسرائيلية عن عنادها بعد إلحاح شديد من جانب الرأى العام العالمى وقبلت الإنصياع جزئياً على الأقل لهذا القرار ، فقرر مجلس الوزراء الإسرائيلى فى يوم ٢ من يوليه أن اللاجئين الذين لا يمثلون خطراً على الأمن سوف يسمح لهم حتى يوم ١٠ من أغسطس بالعودة إلى منازلهم ، وفى الواقع كان من شأن قصر المهلة التى فرضتها السلطات الإسرائيلية وكون السماح بالعودة لم يمنح إلا لأولئك اللاجئين وحدهم الذين تلقوا وملأوا كشفاً بالأسئلة أرسلت لهم تلك السلطات — كان من شأن ذلك أن جرد هذا الإجراء من جانب كبير من الفائدة التى كانت مرجوة منه ، ولقد بلغت العقبات التى أثيرت فى وجه اللاجئين الراغبين

فى العودة إلى ديارهم — بالرغم من الجهود التى بذلتها هيئة الصليب الأحمر الدولية — بلغت هذه العقبات حداً جعل العودة أمراً معدوم الأثر تماماً حتى يوم ١٠ من أغسطس ، وتقرر مد الأجل الممنوح حتى حتى يوم ٣١ من أغسطس ، وبدأ رجوع اللاجئين إلى ديارهم يوم ١٨ من أغسطس ، وفى ذلك اليوم شهد العالم منظراً عجيباً ، إذ التقى اللاجئون الذين اتجهوا عائدين إلى قراهم سالكين جسر الملك حسين بطابور من إخوانهم ممن كانوا يغادرون تلك القرى فارين منها ، وفى يوم ٣١ من أغسطس حينما أعلنت الحكومة الاسرائيلية إنهاء عملية العودة ، لم يكن غير أربعة عشر ألفاً فقط — طبقاً لأحسن التقديرات (١) — قد تمكنوا من الدخول إلى الضفة الغربية للأردن من بين المائة وخمسة وسبعين ألفاً الذين طلبوا العودة إلى بلادهم وكان جل العائدين من النساء والأطفال والعجزة إلى جانب ذلك أعلنت سلطات الإحتلال الاسرائيلى فى القدس أنها سوف تنظر فى السماح لفريق آخر من اللاجئين بالعودة ، منهم الستة آلاف والخمسمائة شخص الذين قبلت طلباتهم من قبل غير الحالات الأخرى التى تستدعيها عملية لم شمل الأسر التى تفرقت .

غير أن هذا الإتفاق قد ألغى تماماً من جانب إسرائيل يوم ١٩ من سبتمبر على أثر بعض الصعاب التى أثارتها إسرائيل مع الأردن ولم تؤدى الضغوط التى مارستها الولايات المتحدة تجاه اسرائيل إلى حمل هذه الأخيرة على التزام الإعتدال فى هذا الصدد .

---

(١) Ibid, p. 448.

أما الكاتب الهندى ديواه بيرن درانات فيرى إن الذين عادوا من الضفة الشرقية لنهر الأردن لا يزيد عن ١٣٫٠٠٠ إلى ديارهم قبل أن تغلق سلطات الاحتلال الاسرائيلى الطريق نهائياً فى وجوههم هذا بينما الخروج ما زال مستمر .

Dranath, Dewan Berin : op. cit, p. 174.

ومن الثابت – لسوء الحظ – أن النازحين فى مجموعهم لن يستطيعوا العودة إلى ديارهم(١) .

أطماع اسرائيل والصهيونية بعد حرب يونيو :

ظلت الجمعية العامة للأمم المتحدة تناقش وتجادل لمدة تزيد عن الشهر ثم انفضت من غير أن تتخذ أى قرار لحل الأزمة ، فقد كانت إسرائيل تعلن مؤكدة فى حزم المنتصر واطمئنانه ، أنها لن تتنازل عن شبر واحد من الأرض العربية إلا بعد أن تتوصل إلى ابرام مفاوضات مرضية مع كل الدول المعنية .

وأن المؤرخ ليجد نفسه فى حيرة عندما يدرك أنه لايستطيع أن يجد فى طلبات إسرائيل طلباً واحداً « أساسياً » أو « نهائياً » وقد وضح هذا فى بيانات إسرائيل بعد حرب عام ١٩٦٧ ، ولنأخذ مثلا على ذلك تعقيبات ظهرت فى صحيفة إسرائيلية شبه رسمية فى يومين متعاقبين :

ففى يوم ٦ من يونيو أى بعد أن بدأت الحرب بيوم واحد وعندما كانت إسرائيل غير متأكدة من انتصارها قالت صحيفة جيروزالم بوست فى مقال افتتاحى « أن الإنسان لايستطيع الآن أن يتكهن بنتيجة المعركة ، ولكن هدفنا منها هو الدفاع عن إسرائيل وليس كسب الأراضى ، أننا لم نسع قط إلى أكثر من هذا ولن نقبل أقل منه » .

وفى يوم ٧ يونيو عندما استولت إسرائيل على مساحات واسعة من الأراضى العربية منها مدينة القدس ، قالت الصحيفة نفسها فى تعقيب لها : « أن إسرائيل لا يمكنها الاعتماد على وعود غير مؤكدة من الأمم المتحدة بأن توفر لها حق الدخول إلى القدس القديمة » .

---

(١) وحتى الجزء الأكبر منهم .

وقد سجل جوزيف ألسوب — أحد المراقبين السياسيين — أن قادة إسرائيل كانوا قبل العدوان يتحدثون فقط عن رغبتهم فى أن يعيشوا فى سلام فى « عشهم الصغير » وقد تغيرت هذه النغمة تغيرا جذريا عندما قال له ليفى أشكول رئيس الوزراء فى مقابلة جرت بينهما بعد الحرب بأيام قليلة:

اذا طلبت منى أن اختار من بين المخاطر الكبرى التى تواجه بلدنا فانى أقول الأمن أولا ، والحدود الآمنة لإسرائيل يجب أن تكون نهر الأردن(١) » .

وقبل ذلك بأيام قليلة كان أشكول يخطب فى جيش الاحتلال الإسرائيلى فى شرم الشيخ « فحدد » حدود بلاده بقناة السويس كأحد حدودها الطبيعية ، لأن إسرائيل يجب أن تحمى نفسها من جيرانها العرب » .

فكيف يستطيع المؤرخ أن يفسر تسلط فكرة التوسع على إسرائيل ؟

لنتتبع هذا الموضوع من وجهة النظر الإسرائيلية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ وحتى نهاية العام .

ففى ١٢ يونيو حذر موشى ديان الجيش الإسرائيلى من أن المعركة قد انتهت لكن الحرب مازالت قائمة مع الدول العربية ودعا ديان إلى الاستمرار فى التيقظ والاستعداد لمواجهة العرب (٢) .

وفى ١٦ يونيو صرح مناحم بيجين ، الوزير بدون وزارة ، وزعيم حزب حيروت الذى يعد من أبرز الصهيونيين الذين ينادون بقيام دولة إسرائيل الكبرى « من النيل إلى الفرات » بأنه إذا لم تعقد اتفاقية صلح بين الدول العربية وإسرائيل فإن الأخيرة لن تتخلى عن أى جزء من الأراضى التى احتلتها القوات الإسرائيلية ، وأضاف بيجين موجها كلامه إلى السوفييت

---

(١) Herald Tribnne, Paris, 13-9-1967.

(٢) Jerusalem Post, Jerusalem 13-6-1967.

الذين طالبوا إسرائيل بأن تعود إلى خطوط هدنة عام ١٩٤٩ قائلا : (أننا شعب جديد لن يحنى رأسه أمام أية قوة فى العالم) (١) .

وفى ١٩ يونيو أعلن رئيس وزراء إسرائيل السابق بن جوريون آراءه حول الوضع الناشىء عن حرب يونيو فى بيان وزع على الصحف أنه لا يرى أى أساس لإجراء مباحثات بشأن مستقبل القدس التى أدعى بأنها كانت عاصمة إسرائيل أيام داود ، وستبقى كذلك لمدى الحياة ، وعرض بن جوريون فى بيانه على الأردن عقد اتفاق صلح مع إسرائيل (٢) .

وفى ٢١ يوليو صرح إسرائيل جاليلى ، الوزير بدون وزارة ، والمسئول عن الإعلام فى حكومة أشكول ، بأن إسرائيل لن تنسحب من الأراضى التى احتلتها حتى تحصل على تأكيدات حازمة بالنسبة لسلامتها وأمنها ، وأدعى بأن الاعتداء على إسرائيل من جانب الدول العربية أزال من الوجود خطوط الهدنة السابقة(٣) .

وعشية عقد الجلسة الطارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، شن وزير الخارجية أبا إيبان حملة سياسية قائلا أننا مصممون على أن لا نضيع ماحصلنا عليه فى المعركة وأن نحول انتصار إسرائيل العسكرى إلى حقيقة سياسية جديدة تؤكد لإسرائيل أمرين : الأمن والسلام « وقال أنه يرى أن الوضع بين إسرائيل ، من جهة ، ومصر وسورية من جهة أخرى يمكن تسويته ضمن نطاق الأعراف الدولية ، أما بالنسبة للاردن فان الوضع أكثر تعقيدا حيث يوجد سكان « كانوا يشكلون فى السابق جزءا من فلسطين » ورفض إيبان أن يوضح موقف الحكومة الإسرائيلية بالنسبة لمستقبل الضفة الغربية من

---

(١) Ibid 18 – 6 – 1 967,

(٢) أنظر تفصيل هذا البيان فى : الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨ مرجع سابق ص ص ٤٠٩–٤١٠ .

(٣) Jerusalem Post, Jerusalem, 20 – 6 – 1967.

الأردن . وأضاف أبا إيبان موضحا أنه لولا موقف الولايات المتحدة المؤيد لإسرائيل لكانت إسرائيل فى نفس الوقت الذى كانت فيه بعد حرب سيناء عندما اتفقت الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى فى الضغط عليها للانسحاب ، ولمح إيبان إلى ضرورة عدم تكرار هذا الوضع(١) .

وفى الجلسة الأولى للدورة الطارئة للجمعية العامة(٢) للأمم المتحدة تكلم إيبان مباشرة بعد الرئيس السوفييتى كوسيجين ، فقال ان جميع متاعب إسرائيل تزداد بسبب سياسة الإتحاد السوفييتى فى منطقة الشرق الأوسط ثم دعا إلى إجراء مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والدول العربية ، وقال أن الاقتراح الخاص بأن يعود كل شيء إلى ما كان عليه قبل يوم ٥ يونيو ليس مقبولا على الاطلاق » . وحاول إيبان أن يجد مبررا للعدوان الإسرائيلى فقال انه يرجع إلى تهديدات الدول العربية(٣) .

ويبدو أن إسرائيل اعتبرت عدم تبنى أى قرار من قبل الجمعية العامة يدينها ويطلب إنسحابها فوراً بأنه نصر سياسى لها ، وقد كرر إشكول بأن شروط إسرائيل لن تبحث إلا على طاولة المفاوضات ، وأضاف قائلا « أننا نتكلم الآن إلى جيراننا العرب لا كمنتصرين فحسب وإنما كشركاء أيضا(٤) .

وبعد عودته من الأمم المتحدة ، القى أبا إيبان خطابا أمام الكنيست فى ٢٩ يوليو ١٩٦٧ كرر فيه ما سبق وقاله من أن إسرائيل لا ترضى بأن يعود الوضع بينها وبين الدول العربية إلى ما كان عليه فى السابق ، وأشار إلى أن هناك امكانيتين : أما أن يستمر الوضع على ما هو عليه أى أن تبقى إسرائيل فى الأراضى المحتلة أو — إستبدال هذا الوضع بالسلام .

---

(١) Ibid 18-6-1967.

(٢) Jewish Observer, Loudon 23-6-1967.

(٣) Keesing's contemporary Archives 22-29-7-1957, pp. 22154-22156.

(٤) Jewish Observer, London 14-7-1967.

أما وزير الدفاع موشى ديان فأعلن فى ٩ أغسطس ، انه على الرغم من القيمة الاستراتيجية التى تعلقها إسرائيل على سيناء ومرتفعات الجولان السورية ومضايق تيران ، فإن المرتفعات الغربية لنهر الأردن تعتبر ذات أهمية كبيرة، لأنها تقع فى صميم التاريخ اليهودى ، وتحدث ديان عن مشكلة اللاجئين الفلسطينين فقال بأن مسئوليتها لا تقع على إسرائيل وحدها ، وأنه يجب معالجتها على أساس أقليمى ، لأنه لا يوجد فى إسرائيل متسع لحوالى مليون نسمة من السكان العرب(١)

وعلى أثر زيارة الرئيس اليوغسلافى تيتو إلى المنطقة ومساعيه لإيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط . أعلن وزير الخارجية أبا إيبان بأن إسرائيل ترفض أى مجهود يقوم به الرئيس تيتو للتوسط بين إسرائيل والدول العربية(٢).

وفى مؤتمر للصحفيين الأجانب عقد فى ١٤ أغسطس صرح إيبان مجددا بأن البديل الوحيد للوضع الحالى الخاص بوقف إطلاق النار هو حدود جديدة تحفظ الأمن والسلام فى المنطقة يتفق عليها بحرية عن طريق المفاوضات ، وأعلن أن خريطة الشرق الأوسط التى كانت قائمة قبل الخامس من يونيو قد أزيلت من الوجود ولن تعود أبدا ، وأضاف بأن المشاكل القائمة بين إسرائيل والدول العربية تختلف من دولة إلى أخرى ، فبالنسبة إلى مصر قال بأن المشكلة الأساسية هى تأمين مرور السفن الإسرائيلية عبر قناة السويس ومضايق تيران ، والتأكد من أن منطقة سيناء لن تعود مرة أخرى ، قاعدة للاعتداء العسكرى على إسرائيل ، أما بالنسبة لسورية ؛ فليس هناك مشاكل ممرات مائية دولية بل مشاكل أمن ومشاكل أراضى ومياه تشمل منابع مياه نهر الأردن ، وادعى إيبان بأن الدول العربية هى التى اجهزت على إتفاقيات الهدنة السابقة(٣) .

---

(١) Jerusalem Post, Jerusalem, 10–8–1967.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid, 15–6–1967.

وعقب انتهاء مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى الخرطوم أصدر أشكول بيانا فى ٣ سبتمبر أعرب فيه عن أسفه للقرار الذى اتخذه المؤتمر بعدم الاعتراف بإسرائيل أو الصلح أو المفاوضة معها .

كذلك قام عدد من أعضاء الحكومة الإسرائيلية بالادلاء بتصريحات تستهدف الرد على مقررات مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم ، ففى ٥ سبتمبر ، أعلن وزير الدفاع موشى ديان بأنه يتوجب على إسرائيل أن تقف فى وجه جميع الضغوط الإقتصادية أو غيرها — وألا تتراجع عن موقفها ، وقال ديان بأن الضفة الغربية من الأردن يجب أن تبقى فى أيدى إسرائيل على الرغم من معارضة سكانها .

وصرح موشى كارمل وزير النقل — فى نفس اليوم — بأن إسرائيل يجب أن تحافظ على الأراضى التى احتلتها(١)

وفى ٢٥ سبتمبر تحدث وزير العمل إيجال آلون أمام المؤتمر الإقليمى الآسيوى الثالث للهندسة الإنشائية الذى عقد فى كلية تختيون فى حيفا فاعترف بأن إسرائيل قد اتخذت دورا هجوميا فى حرب يونيو ، وقال بان إسرائيل لا تستبعد نهائيا أجراء بعض التسويات الجزئية مع الدول العربية وذكر أن من بين هذه التسويات الجزئية حرية الملاحة للسفن الإسرائيلية فى قناة السويس(٢) .

وفى إكتوبر أعلن موشى ديان بأن حدود إسرائيل الحالية باستثناء حدودها مع لبنان تعتبر مثالية وأوضح قائلا : « أن عبورنا لقناة السويس يجعلنا على مشارف القاهرة ، كما أن عبورنا لنهر الأردن يؤدى بنا إلى عمان ، وتقدمنا من القنيطرة يعنى وصولنا إلى دمشق » وقال أنه من الممكن أن تحصل حرب أخرى ، يكون من الضرورى فيها لإسرائيل أن تحتل العواصم

---

(١) Jewish Observer, London 3-9-1967.

(٢) Jerusalem Post, Jerusalem 26-9-1967.

العربية فى محاولة لفرض قرار نهائى ، ومن هذه الوجهة يمكن اعتبار خطوط وقف إطلاق النار مثالية . وأما بالنسبة لمستقبل دولة إسرائيل ، فقال ديان بأنه يعتقد شخصيا بأن من الضرورى أن تبقى إسرائيل « دولة يهودية » وأن تبقى « الأكثرية يهودية » بدون منازع (١) .

وفى ١٥ أكتوبر صرح نائب رئيس الكنيست ونائب اللجنة التنفيذية لحرب حيروت آريه بن اليعيزر بأن حزب حيروت يعارض أن تتضمن مفاوضات السلام المقترحة مع الدول العربية مدينة القدس العربية والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان ، وأضاف أنه يعتقد بأن الأراضى القابلة للمفاوضة هى صحراء سيناء وقناة السويس فقط (٢) .

وفى ٣٠ أكتوبر ألقى أشكول خطابا فى الجلسة الافتتاحيه للدورة الكنيست الجديدة قال فيه أن إسرائيل تسعى إلى تثبيت قدمها فى « الحدود » الجديدة وأنها ستحتفظ بمعظم الأراضى العربية التى تحتلها الآن ، وأدعى أشكول أن المنطقة التى كانت تحت الاحتلال الأردنى (الضفة الغربية) ومنطقة غزة التى كان يحكمها المصريون لم تكونا تابعتين لهم عن حق ، بل بالقوة نتيجة عدوان واحتلال عسكريين .

وأثناء انعقاد مجلس الأمن فى منتصف شهر نوفمبر ١٩٦٧ لايجاد صيغة قرار لحل أزمة الشرق الأوسط عادت الحكومة الإسرائيلية تكرر بأنها لن تقبل بأى حل غير المفاوضات المباشرة مع الدول العربية ، وعقب صدور قرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر الخاص بحل أزمة الشرق الأوسط أكد إسرائيل جاليلى وزير الأنباء الإسرائيلى أن القرار لا يغير شيئا من قرار إسرائيل بشأن المحافظة على خطوط وقف الطلاق النار الحالية .

وفى أول ديسمبر أعلن أشكول لرؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية عن

---

(١) Ibid 2-10-1967.

(٢) Jerusalem Post, 17-10-1967.

مشروع سلام من خمس نقط ، وأطلق فكرة سوق مشتركة إقليمية على غرار السوق الأوروبية المشتركة وحدد أشكول النقاط الخمس من المشروع وهى :

١ — يجب أن يكون السلام بين إسرائيل وجيرانها دائما .

٢ — يجب أن يتم السلام بالمفاوضات المباشرة .

٣ — حرية المرور للسفن الإسرائيلية عبر قناة السويس ومضائق تيران شرط لهذا السلام .

٤ — إقامة حدود آمنة ومعترف بها بين إسرائيل وجيرانها غير ممكنة إلا فى اطار معاهدات سلام .

٥ — استقرار السلام فى الشرق الأوسط والتعاون الإقليمى الذى سيتبع سيتيحان المجال لحل مشكلة اللاجئين فى اطار إقليمى ودولى معا(١) .

وفى ٩ ديسمبر أعلن أسحق رابين فى خطاب القاه فى المؤتمر الوطنى للجباية اليهودية فى نيويورك أن إسرائيل سترتكب « غلطة تاريخية » إذا هى تخلت عن المكاسب الإقليمية التى حققتها فى حرب يونيو(٢) .

وفى ٢٨ ديسمبر أعلن أشكول أن على إسرائيل أن تكون مستعدة لعشرين سنة أخرى من النزاع ، لأنه لايوجد فى الجانب الآخر من يمكننا التباحث معه حول السلام(٣) .

وعموما فإنه يمكن تلخيص الموقف العام للحكومة الإسرائيلية بالنسبة لمستقبل الأراضى العربية المحتلة حتى نهاية عام ١٩٦٧ فى الآتى :

١ — رفض العودة إلى خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ ، أى رفض الانسحاب كليا من الأراضى العربية المحتلة .

---

(١) Jewish Observer, 8-12-1967.

(٢) Jewish Observer 15-12-1967.

(٣) Jerusalem Post 29-12-1976.

٢ ــ اشتراط إجراء مفاوضات صلح مـع الدول العربية قبل أى « إنسحاب » من أراضى عربية محتلة .

٣ ــ المطالبة « بحدود آمنة » مع الدول العربية تكون مواقعها فى « مكان ما » بين خطوط وقف إطلاق النار الحالية وخطوط الهدنة لسنة ١٩٤٩ .

٤ ــ اعتبار مدينة القدس غير قابلة للمفاوضة وضمها ــ وقد ضمت فعلا ــ إلى الأراضى العربية التى احتلت فى عام ١٩٤٨ .

٥ ــ اعتبار مرتفعات الجولان قسما من إسرائيل ووجوب ضمها إليها .

٦ ــ المطالبة بأن تكون « الحدود الآمنة » الجنوبية لإسرائيل على بعد عدد معين من الكيلومترات من قناة السويس بحيث يضم قطاع غزة وشرم الشيخ إلى إسرائيل وتمنح السفن الإسرائيلية حرية المرور بقناة السويس .

٧ ــ ضم بعض أقسام الضفة الغربية لنهر الأردن إلى إسرائيل وتشجيع قيام « كيان فلسطينى » فى الأراضى المتبقية من هذه الضفة ، على أن يكون هذا الكيان تحت السيطرة الإسرائيلية عسكريا وخارجيا .

٨ ــ عدم البحث فى أى حل لمشكلة اللاجئين العرب إلا فى نطاق مباحثات إقليمية ودولية وبعد توقيع صلح .

٩ ــ عدم القول بأى حل أو تسوية من شأنها ألا تؤثر بأى شكل من الأشكال فى المستقبل على أمن وسلامة إسرائيل .

١٠ ــ المحافظة على بقاء إسرائيل دولة يهودية ، أى على أن تكون أكثرية سكانها دائما من اليهود وذلك بعد أن احتلت أراضى يقيم بها سكان عرب كثيرون .

أما بخصوص موقف الصهيونية العالمية وأطماعها هى الأخرى ــ فان معالجة هذه النقطة تحتاج إلى وقفة للتفسير والتعليل خاصة وقد برزت بعد

حرب يونيو ١٩٦٧ – بعض الاتجاهات الواقعية فى الأوساط الصهيونية ذاتها والتى رأت فى موقف إسرائيل خطراً يهدد الصهيونية العالمية بسبب ماأصاب إسرائيل من اهتزاز فى صورتها أمام العالم حيث برز تعنتها ، بينما حقوق العرب واضحة بعد أن أدرك الرأى العام العالمى مدى ما لحق بالعرب من أجحاف .

غير أن هذا الوضع لاينسينا أن دولة إسرائيل قد قامت لأن الحركة الصهيونية العالمية أرادت لها الوجود كتجسيد سياسى « قومى » لهذه الحركة . واستطاعت بمهارة إقناع كثير من حكومات الدول الكبرى فى العالم بأهمية هذا الوجود ، بل وجعلتها أيضاً تريده وتسعى إلى تحقيقه ، وقد بلغ ذلك الإقتاع حدا جعل بعض هذه الحكومات تعمل أولا على فرض الدولة ثم على دعمها وتقويتها وضمان بقائها بعد ذلك . وهناك عامل آخر برز بعد قيام الدولة وساهم مساهمة فعالة فى نجاح إسرائيل طوال سنوات وجودها ، هو الاتحاد الفريد والتنسيق المتكامل بينها وبين الحركة الصهيونية العالمية ، الذى تمخض عن قيام كيان صهيونى يمكن أن يسمى « بالحكومية القومية العليا(١) » ، وقد قام هذا الجهاز المتكامل بين المنظمة الصهيونية العالمية وإسرائيل بدور فعال فى التأثير على الجاليات اليهودية المنتشرة فى أنحاء العالم ، وتنظيم أعمالها الرامية إلى دعم إسرائيل بشريا وماديا وللتأثير على الحكومات والرأى العام العالمى . وقد حدد إيجال آلون فى مجال حديثه عن دور « اليهودية العالمية » الدور العام لهذة القوى والآفاق الموجهة نحوها قائلا : « فى عمق الاهتمام بقيام الدولة اليهودية والروح المعنوية العالية التى تفتخر بقوتها الذاتية ، قد أثار موجات من المشاركة والجهد والاستعداد لأعمال حقيقة ، ويجب توجيه هذه الرغبة إلى آفاق نافعة مثل : توسيع مجالات الهجرة ، وضمان استمرار سيل الاستثمارات الاقتصادية ، فهما بمثابة ينبوع الحياة

---

(١) Davis, John : The Evasive Peace : op. cit. p. 87.

بالنسبة لإسرائيل وأحد الوسائل الرئيسية لتقويتها . والعمل بكل جدية على تعميق الوعى السياسى لمشاكل الدولة عند يهود المهجر، وعلى زيادة استعدادهم لفرض تأثيرهم فى عواصم العالم من أجل رعاية مصالح واحتياجات إسرائيل، وفى لحظات القرارات السياسية المصيرية (١) ».

وقد شكلت إسرائيل مع المنظمة الصهيونية العالمية اتحاداً « قومياً » واسع النطاق ، بقصد الوصول إلى اليهود المنتشرين فى أنحاء العالم من خلال العمل عن طريق المنظمات والجمعيات اليهودية التى تمارس نشاطها فى الدول المختلفة والتى يعتبر أعضاؤها والعاملون فيها من اليهود المواطنين فى تلك الدول(٢) .

وهكذا فإن الاتجاه نحو دولة يهودية عالمية فى شكل اتحاد إسرائيلى صهيونى تكون إسرائيل هى المحور الذى يدور حول هذا الاتحاد — قد هيأ لإسرائيل جهازاً عالمياً فريداً يعمل على تدعيم قواها السياسية والاقتصادية والعسكرية فى مواجهة الدول العربية المجاورة لها (٣) .

وعموماً فقد ظهرت فاعلية هذا التنظيم المحكم بصورة واضحة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ حيث مكن إسرائيل من سرعة استمالة الرأى العام الغربى إلى جانبها والفوز بتأييده والنجاح فى تجنيد قوة بشرية إضافية تعمل فى إسرائيل، استطاعت بعد نهاية الحرب باستخدام هذا الكيان « القومى » فى إبراز وجهة نظرها وتفسيراتها للأحداث والتطورات فى الشرق الأوسط . وقد بلغت هذه العملية من الضخامة حداً كانت معه قادرة على أن تنافس عواصم العالم الكبرى ، فى شغل أجهزة الإعلام العالمية ، واحتلال مكان بارز فيها . وظل هذا الكيان قبل الحرب وبعدها مباشرة ، يخدم إسرائيل على أفضل وجه فى

---

(١) ايجال آلون : « الوجود السوفييتى والصداقة الأمريكية » فى : صحيفة معاريف الإسرائيلية يناير ١٩٦٨ .

(٢) Davis, H. Johm : The Evasive Peace, op. cit. p. 89.

(٣) Ibid.

النداءات التي كانت توجه للحصول على مزيد من الأموال والسلاح (١).

إن هذا الكيان قد وحد أساليب التعبير عن الفكر الصهيوني و أهدافه على نحو جعل صورة إسرائيل أمام العالم — عندما نشب القتال في يونيو ١٩٦٧ — تبدو وكأنها تخوض صراعاً عادلا يعبر عن رغبتها في البقاء ، ذلك البقاء الذى سبق للعالم أن اقتنع بضرورته وأهميته طوال السنوات الماضية .

غير أن هذا العدوان قد أظهر بصورة واضحة — مدى وأبعاد المخطط الصهيوني الواسع ، الذى وضع منذ سنوات بعيدة ، وأعدت لتنفيذه سياسات دقيقة استطاعت أن تحشد له أقصى القدرات النسبية التي يمكن أن تحققها دولة ، وأن تهيىء له كافة الطاقات التي يمكن أن يوفرها ذلك الجهاز الصهيوني الضخم المنتشر في أنحاء العالم ، وفى أعقاب النصر الذى حققته إسرائيل في هذه الحرب ، شاهد العالم مظهراً واضحاً من مظاهر فاعلية الاتحاد الإسرائيلى الصهيوني في تعبئة الرأى العام وتشكيله وحثه على جمع المزيد من الأموال و بذل المزيد من التأييد لإسرائيل .

كذلك أعطت حرب يونيو حافزاً جديداً لنداء الهجرة ، وبالفعل سجلت الهجرة اليهودية بعض الزيادة النسبية في النصف الأخير من عام ١٩٦٧ ، غير أن مردود حافز الحرب ظهر على صعيد جمع المزيد من الأموال أكثر مما ظهر على صعيد الأجهزة . وقد تكون إحدى دلائل فشله النسبي في الحث على الهجرة كون الحمية التي أثارها دفعت العديد من الشباب اليهودى في الخارج إلى « التطوع » في خدمة إسرائيل ، دون أن تقنعهم « بالاستيطان في « أرض الميعاد » كما كانت تطمع الوكالة اليهودية . وبعد انقضاء خمسة أشهر على انتهاء الحرب ، حمل بن جوريون ، حملة لاذعة على الحكومة الإسرائيلية لكونها ، طيلة هذه الفترة ، لم تعمل شيئاً لبعث سيل الهجرة ، واعتبر بن جوريون أن البديل الوحيد لذلك في رأيه ، هو في خلق « زيادة دراماتيكية في نسبة الولادة

(١) Ibid.

اليهودية » فى إسرائيل (١) .

وتدليلا على ان حرب يونيو ١٩٦٧ لم تمط خلال عام ١٩٦٧ ثمارها المرجوة من إسرائيل فى حقل تهجير يهود الغرب ، نشرت مجلة « الجويش أوبزرفر » فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧ تقريرها لموفدها إلى الولايات المتحدة وكندا ، أكد فيه أنه لم يطرأ أى فتور على نشاط اليهود الأمريكيين والكنديين فى سبيل إسرائيل ، وأن هناك (تجاوباً حسناً) على صعيد جمع المزيد من الاموال لاسرائيل بعد أن ازيل اى تهديد لوجود اسرائيل ويضيف تقرير «الجويش اوبزرفر » انه فى المقابل « لا يوجد بعد أى تحسن بالنسبة لقضية الهجرة » ورد تقرير المجلة هذا الأمر إلى « عدة عوامل » أهمها كون « النظرة المادية للحياة » فى الولايات المتحدة وكندا « لا تميل إلى تشجيع الهجرة لدولة لا يتوقع المهاجر إليها سوى مستوى للمعيشة هو دون المستوى الذى اعتاده» ،وكون « الإعلام » بشأن مشاكل الاستقرار فى إسرائيل صعبة المنال ، خاصة وأن الأوضاع فى إسرائيل « يمكنها ان تتغير بسرعة ، نوعاً ما » (٢) .

وفى أواخر عام ١٩٦٧ نشرت « الجروزالم بوست » نقلا عن وزارة التجارة الأمريكية ، إحصاءات عن ميزان المدفوعات الأمريكية خلال العام نفسه ، تظهر أن اليهود الأمريكيين أرسلوا أموالا لإسرائيل عام ١٩٦٧ تفوق أى وقت مضى ، وقالت الإحصاءات الأمريكية أنه فى الفترة الممتدة بين بدء الحرب فى يونيو ونهاية سبتمبر ١٩٦٧ زادت الحوالات المالية لإسرائيل بما لا يقل عن ٢١٠ ملايين دولار (٣) .

المعتدلون والمتطرفون من بين العرب :

كم من الترتيبات دبرت ؟ وكم من الاتهامات تبودلت ؟ وكم من الخلافات نشبت أثناء تلك الفترة بين جدران السياسة العربية ؟ .

---

(١) Jewish Observer : 24-11-1967.

(٢) Jewish Observer : 22-12-1967.

(٣) Jerusalem post : 24-11-1967.

ففى اليوم التالى مباشرة لبدء القتال ، وقعت المناورة الأولى - على حد قول أحد الباحثين الغربيين(١) - إذ بادر كل من الرئيس عبد الناصر والملك حسين إلى اتهام الأمريكيين والبريطانيين بأنهم ساهموا إلى جانب الإسرائيليين فى المعركة الجوية ، وطبقاً لهذا الرأى أيضاً فإن كلا من عبد الناصر والملك حسين قد رغبا فى انقاذ ماء الوجه على أثر كارثة اليوم الأول من القتال ، وقد فقدا فيه سلاحيهما الجويين بأكملهما تقريباً .

وتشير إحدى الدراسات الإسرائيلية(٢) إلى تذرع عبد الناصر بما أسماه : التدخل المسلح البريطانى الأمريكى إلى جانب إسرائيل ، وقد أذاع الإسرائيليون يوم ١٨ يونيو حديثاً من راديو القدس جرى بين عبد الناصر وحسين اتفق فيه الرجلان على اختلاق الاتهام الذى أطلقوه بعد ذلك بساعات ، غير أن الملك حسين قد اتهم أعداءه بأنهم قد اصطنعوا هذا التسجيل بطريق التزوير الأمر الذى لا يمكن معه اعتبار هذا التسجيل (٣) دليلا قاطعاً .

وطبقاً للروايات الإسرائيلية (٤) فان هذا الحديث قد تم على الوجه الآتى :

عبد الناصر : هل سنتحدث عن الولايات المتحدة وبريطانيا أم فقط عن الولايات المتحدة ؟

حسين : عن الولايات المتحدة وبريطانيا .

عبد الناصر : هل لدى بريطانيا حاملات طائرات ؟

حسين : (جاء الرد غير مسموع) .

عبد الناصر : حسناً ، يدلى الملك حسين بتصريح وأنا كذلك سأدلى بتصريح ، شكراً أحمد ، ولا تقلق وكن قوياً .

---

(1) Aleum, op. cit. pp. 448-449.

(2) Ben Elissar, elahu and Schiff, Zeev : op. cit, p. 232.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

حسين : يا سيادة الرئيس إذا كان لديك أمراً ما أو رأياً .. فى أية لحظة ... نتعرض لبعض المتاعب فهذا يهون أمره وسوف نتغلب على هذه المتاعب ... الله معنا ... هل ستدلى جلالتكم بتصريح بشأن اشتراك الأمريكان و الانجليز .

حسين : (جاء الرد غير مسموع) .

عبد الناصر : آلو ، إنى أقول بأنى سأدلى بتصريح وعليك أن تدلى بتصريح وسنعمل على أن يدلى السوريون هم أيضاً بتصريح يقولون فيه بأن طائرات أمريكية وبريطانية انطلقت من حاملات الطائرات واشتركت فى المعركة ضدنا وسوف نذيع بياناً لإبراز هذه النقطة والتركيز عليها .

حسين : حسناً ، انى موافق على ذلك .

عبد الناصر : هل يوافق جلالتكم على ذلك ؟

حسين : (جاء الرد غير مسموع) .

عبد الناصر : شكراً لك ألف مرة ، لا تستسلم إننا معك وسنرسل اليوم طائراتنا ضد إسرائيل ، إن طائراتنا تقصف منذ صباح هذا اليوم المطارات الإسرائيلية .

حسين : شكراً لك ألف مرة ، أرجو لك صحة طيبة (١) .

وقد سبق أن أوضحنا أن الملك حسين قد اتهم الإسرائيليين بأنهم اصطنعوا هذا التسجيل بطريق التزوير فضلا عن أن الفحص الدقيق لمحتوياته يثبت الإدعاءات الكاذبة الإسرائيلين شكلا وموضوعاً غير أن هناك اتصال هاتفى تم بالفعل بين عبد الناصر والملك حسين ولكن الواضح هنا أن إسرائيل نشرته بصورة محرفة (٢) . الأمر الذى لا يمكن معه اعتبار هذا التسجيل دليلا قاطعاً .

---

(١) Ibid.

(٢) الملك حسين : حربنا مع إسرائيل ، مرجع سابق ص ص ٦٤-٦٩ .

وعموماً فإن هذه الاتهامات لم تلبث أن تحقق زيفها تماماً بعد ذلك ببضعة أيام واعترف الملك حسين نفسه بهذه الحقيقة وأعلن اقتناعه بصحة التكذيبات التى صدرت من جانب الدولتين االتين وجه اليهما الاتهام ، غير أن مؤشرات التواطؤ الغربى لإسرائيل — وقد سبق أن أوضحنا معالمها فى موضع سابق من هذه الدراسة — تتضح للباحث من عدة شواهد بارزة تشير إلى حقيقة أن إسرائيل ما كانت أبداً لتجرؤ على المبادرة بالهجوم ، ولم تكن تستطيع تحقيق ذلك النجاح الذى حققته لو لم تحصل على مساعدة نشيطة من أصدقائها الغربيين وعلى الأخص أمريكا .

ثم علق العرب الآمال على هذا السلاح السحرى وهو سلاح البترول ، وإنهم إذ ما حرموا الأمريكيين والانجليز من بترولهم فسوف يضطر أولئك وهؤلاء إلى الانصراف عن مناصرة إسرائيل .

أوقفت العراق ضخ البترول ، وأوقفت جميع الدول العربية بما فيها إمارات الخليج العربى توريد البترول إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا الغربية أيضا ، وأغلقت سوريا خطوط الأنابيب المارة فى أراضيها ، وعطلت لبنان العمل فى موانيها البترولية ، واقترنت هذه الإجراءات بانتقام دبلوماسى فقطعت مصر والجزائر والعراق وسوريا والسودان وموريتانيا علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة ، ومن كان من هذه الدول على علاقة ببريطانيا قطع علاقته ببريطانيا أيضاً .

وعموماً فقد وضح للدول العربية مرة ثانية بعد يونيو ١٩٦٧ ضرورة توحيد جهودها ولزوم العودة إلى العمل الجماعى العربى ، وعبر عن هذه الأوضاع عبد الناصر فى رسالته التى بعث بها للملك حسين فى ١٩٦٧/٦/٢٢ حيث قال : « إن من ألزم الأمور الآن ألا تدخر جهداً فى تجميع طاقة عمل عربى موحد يقدر على أداء دوره بالنسبة للخطر الداهم على الأمة كلها وعلى مصير شعبها وحتى على قادتها مهما اختلفت الآراء بينهم(١) » .

---

(١) الوثائق الفلسطينية العربية ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٤٠٩ .

وبعث الملك حسين برده على رسالة عبد الناصر فى نفس اليوم فقال :
« لقد آلمني معك ذلك التردد فى مواجهة المسئولية والواجب من قبل بعض إخواننا العرب ، ولكنني سعيد أن ألتقى مع أخى على الإيمان بضرورة تجميع الطاقات لعمل عربى جماعى ، لا من أجل السعى لرفع آثار العدوان اللئيم ومحوه فحسب وإنما لوضع المنطقة العربية الشاملة لدرء الخطر المحدق بوجودنا وكياننا ومستقبلنا(١) » .

وصدرت عن سوريا فى ١٩٦٧/٦/٢٤ دعوة تقول « نحن بالتأكيد مع وحدة العمل العربى ومع وحدة الجهد العربى ...، يجب أن يكون الرد هو التكتل العربى (٢) » .

وأيد الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى لأن ذلك يتعلق « ... بتصفية الجو العربى وتقوية وحدة الصف والمصير المشترك فى القضية الفلسطينية(٣) » .

غير أن الدول العربية جميعها لم تسلك هذا الطريق بحماس واحد بطبيعة الحال . فمن بينها دول كانت مدركة أن سياسة كهذه ما كانت لتؤدى إلا إلى نتائج أكثر خطورة ، وفى هذا الميدان كما فى الميدان الآخر الأعم ، مبدأ السياسة الواجب اتباعها حيال إسرائيل ، انقسم العالم العربى بين اتجاهات أربعة ، فبعض الدول العربية لم تكن تحس بنفسها معنية إلا قليلا بالنزاع مع إسرائيل ، تلك كانت العربية السعودية والمغرب وليبيا ، وفريق آخر من الدول العربية اتخذ لنفسه طريق الاعتدال وهى تونس والسودان ويمكن أن يضاف إليهما الأردن أيضاً وذلك بالرغم من المواقف الحماسية من الملك حسين وقتئذ .

(١) المرجع السابق ص ٤١٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢٠ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٣١ .

أيضاً ذهب فريق ثالث من الدول العربية مذهبا مخالفا لمذهب هؤلاء وراح يدعو إلى إتخاذ الوسائل القصوى معلنا رغبته فى معاودة القتال ضد إسرائيل وتلك كانت سوريا والجزائر ، وفى الفترة الأولى ، العراق وأخيراً تأتى مصر التى اتخذت لنفسها موقفاً على أبعاد متساوية بين المعتدلين والمتطرفين ، ذلك أن عبد الناصر — كان من الحصافة والواقعية بحيث لا ينساق فى تيار المتطرفين ، ومن الحرص على ضرورة إنقاذ سمعته ونفوذه على العقول بحيث لا ينقاد إلى المعتدلين(١) .

وقــد برزت الخلافات بين العرب فى « مؤتمر القمة الصغير » الذى انعقد فى القاهرة فى الفترة مابين ١٠ ، ١٧ من يوليو ، واجتمع فيه الملك حسين والرؤساء عبد الناصر والأتاسى وعارف وبومدين ، ثم أنضم إليهم الرئيس السودانى الأزهرى ، ولوكان الوقت غير هذا الوقت لضرب المؤتمر عرض الحائط بالآراء المعتدلة التى ينادى بها الملك حسين ، ولكن الأمور قد تبدلت وبدأ الملك حسين وكأنه رئيس الدولة التى تلقت أقصى صدمه والتى حاربت على خير وجه ، أما المتطرفون منهم فإنهم يحاربوا قط ، فلم يكن لديهم اذن من الوسائل مايعنيهم على التمسك بسياستهم وكانوا هم يعلمون ذلك كما كان الرأى العام العالمى كله يعلمه ، وعلى ذلك انفض الاجتماع — كما يحدث كثيراً فى ختام الاجتماعات العربية — من غير أن يتخذ المؤتمر أى قرار . وصدر بلاغ مقتضب فى نهاية الاجتماع قال أن رؤساء الدول الممثلة فى المؤتمر « تفقوا على القيام بالإجراءات الفعالة من أجل أزالة آثار العدوان الصهيونى والإمبريالى على الشعوب العربية » وأنهم قرروا عقد مؤتمرين عربيين احدهما يجتمع فى الخرطوم ويضم وزراء الخارجية العرب ، والثانى يجتمع فى بغداد ويقوم وزراء الاقتصاد العرب بوضع السياسة البترولية المشتركة . وبعد ذلك أنطلق الرئيسان بومدين وعارف من القاهرة طائرين إلى

---

(١) Aléum, op. cit. p. 451.

موسكو على أمل أن يجدا لدى الاتحاد السوفيتى العون والتشجيع اللذين منعهما عنهما أخوانهم العرب .

مؤتمر القمة العربى الرابع فى الخرطوم (٢٩/٨ - ٢/٩/١٩٦٧)

ظروف إنعقاده وردود فعله

طبقاً لما تقرر فى « المؤتمر الصغير » الذى عقد على هيئة قمة فى القاهرة انعقد مؤتمر وزراء الخارجيه العرب فى مدينة الخرطوم فى أوائل شهر أغسطس من أجل وضع جدول أعمال المؤتمر الكبير الذى تقرر انعقاده فى نهاية ذلك الشهر .

وبعد خمسة عشر يوماً من ذلك التاريخ اجتمع فى بغداد وزراء الاقتصاد والمالية والبترول لتقديم اقتراحات مشتركة فى المجال الاقتصادى ولم يمكن الاتفاق على الاقتراح العراقى القاضى بوقف ضخ البترول وقفاً تاماً لمدة ثلاثة أشهر كذلك لم يمكن الإتفاق على الاقتراح السورى القاضى بوقف كل تعامل مع الدول الأنجلوسكسونية . وفى النهاية اتفق الوزراء على عشر توصيات ، اعتبرت فى حكم السرية نظريا ، خاصة بكيفية استخدام « سلاح البترول » وبسحب الأموال العربية عند الاقتضاء من بنوك البلاد الموالية لإسرائيل ، وإنشاء صندوق مشترك للتعمير بين الدول العربية . . . إلى آخر التوصيات(١) ، وكلها توصيات تقرر عرضها هى الأخرى على مؤتمر القمة فى الخرطوم .

---

(١) أنظر تكملة هذه التوصيات والمشروعات المختلفة التى كانت قد قدمت إلى المؤتمر فى : « الجمهورية » - بغداد ١٦-٨-١٩٦٧ وأيضاً : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ مرجع سابق الوثيقة رقم ٤٢٩ ص ٥٨٤ ، الوثيقة رقم ٤٣٨ ، ٤٤٠ ص ص ٥٩٦ - ٦١٠ وأيضاً : الأهرام ، القاهرة ١٨ ، ١٩-٨-١٩٦٧ .

وهكذا برزت أهمية المؤتمر المقرر انعقاده فى الخرطوم ، غير أن النقاش عاد مرة أخرى ولفترة من الوقت حول انعقاد هذا المؤتمر بناء على طلب الجزائرين والسوريين الذين خشوا أن يقتصر عمله على التصديق على المقترحات المقدمة من المؤتمرين اللذين سبقت الإشارة إليهما ، وهى مقترحات جد متواضعة فى نظر هاتين الدولتين ؛

وأخيرا قبل الأتاسى وبومدين أن يبعثا بمندوبيهما إلى المؤتمر فى الخرطوم لتمثيلهما فيه عند افتتاحه يوم ٢٩ من أغسطس وربما كان ذلك تحت تأثير من جانب الرئيس تيتو الذى كان قد قام قبل ذلك بأسبوعين بجولة فى الشرق الأوسط سعيا منه وراء إعداد مشروع للسلام .

وهكذا ، وبعد حوالى شهرين ونصف الشهر من المداولات ، وثلاثة شهور على الهزيمة فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، افتتح فى العاصمة السودانية مؤتمر القمة العربى الرابع ، كان ذلك يوم ٢٩ أغسطس وكان أمام المؤتمر مشروع جدول أعمال مقسم إلى قسمين : الأول سياسى ويشتمل على توصيات وزارة الخارجية العرب والآخر اقتصادى ويشتمل على توصيات مؤتمر المال والاقتصاد والنفط العربى ؛

وقد حضر المؤتمر ملوك ورؤساء ثمانى دول عربية ، وممثلا ملك المغرب وملك ليبية وممثلوا رؤساء تونس والجزائر وسورية ، ولكن المندوب السورى غادر المؤتمر عائدا إلى بلاده فى اليوم التالى لافتتاح المؤتمر مباشرة بناء على تعليمات من حكومته (١) ، ووصفت الصحف السورية الرسمية المؤتمر بأنه « المنبر الأخير لدعاة تصفية قضية فلسطين (٢)

---

(١) صحيفة الثورة السوررية ٣٠-٨-١٩٦٧ .

(٢) الثورة السورية ٣١-٨-١٩٦٧ .

وكان الملك الحسن الثانى قد بعث برسالة إلى المؤتمر أعرب فيها عن أمله فى أن يسفر المؤتمر عن « قرارات فعالة ونتائج إيجابية تنير أمامنا السبيل لخوض المعارك القادمة التى لا يستثنى منها جانبها السياسى(١) كما بعث برسالة خاصة إلى الرئيس جمال عبد الناصر أكد له فيها أنه يؤيد أى قرار يتخذه المؤتمر لازالة اثار العدوان (٢) .

ولدى وصوله إلى العاصمة السودانية ألقى عبد الناصر خطابا فى الجماهير السودانية أعلن فيه أنه ليس هناك من مكان لا يذهب إليه من أجل اتاحه المجال أمام أية محاولة » تلوح من ورائها بادرة أمل فى أن تكون للقوة العربية فعاليتها الحقيقية والمطلوبة (٣) .

كان هذا المؤتمر الرابع للقمة الذى يعقده العرب هو مؤتمر الهزيمة وقد افتتح فى جو مشحون ، خصوصاً على أثر الشائعات المقلقة التى انتشرت حول الأوضاع فى القاهرة ولسبب تأجيل وصول عبد الناصر ساعة بعد أخرى حيث علم بعد وصوله أن مؤامرة كانت قد اكتشفت فعلا فى القاهرة وأن عبد الناصر كان قد ألقى القبض على أقرب أصدقائه وزملائه اليه ، المشير عبد الحكيم عامر (٤) ، وسادت المؤتمر الانقسامات بين الثوريين والرجعيين العرب ثم زادت عليها المنازعات بين مصر والسعودية بخصوص اليمن حيث تم فى الليلة ما بين ٣٠ ، ٣١ من أغسطس توقيع اتفاق جديد سويت به المسألة اليمنية بين عبد الناصر وفيصل وقد بدا أنهما قد تصالحانظرياً — على حد قول أحد الباحثين(٥) — وحل بينهما الوفاق ، ولكن المشكلة الأساسية أمام المؤتمر ظلت هى مشكلة إسرائيل .

---

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ، وثيقة رقم ٤٧٠ ص٦٤٨.

(٢) الحياة ٣٠-٨-١٩٦٧ .

(٣) الأهرام ٣٠-٨-١٩٦٧ .

(٤) أنظر المعلومات القيمة بهذا الخصوص فى : محاضر المحاكمات المصرية للضباط المتهمين بالتآمر لقلب نظام الحكم .

(٥) Aleum. op. cit. p. 455.

لقد كان الطابع المميز لهذا المؤتمر العربي الرابع الذى انعقد على مستوى القمة هو أن فريقاً من الرؤســـاء العرب تحدثوا للمرة الأولى من قبل هذه الاجتماعات العليا ، بلغة الحقيقة والواقع ، من غير أن تثير كلماتهم الحنق والاستنكار من جانب زملائهم . حقاً لقد قام الرئيس بورقيبة فى المــاضى ولمرات عديدة يلقى عبارات التعقل والروية فى شجاعة نادرة وجرأة زائدة ، ولكن خبر الشـــتائم والإهانات التى لحقت به من جراء تدخله هذا أمر معروف مشهود :

وفى المؤتمر – الذى اقتصر اجتماعه على الملوك والرؤساء ووزراء الخارجية والسيد أحمد الشقيرى ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية تلا الرئيس الأزهرى – رئيس المؤتمر ، رسالة من الرئيس التونسى ، الحبيب بورقيبة ، يعتذر فيها عن الحضور متمنياً للمؤتمر كل النجاح (١) ، كما تليت رسالة الملك الحسن الثانى ورسالتان من رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الكيسى كوسيجين والرئيس السوفيتى نيكولاى بودجورنى يتمنيان للمؤتمر النجاح ، ويعربان عن تأييد الاتحاد السوفيتى للشعوب العربية فى كفاحها لإزالة آثار العدوان (٢) .

وفى الخرطوم استطاع كل من الرئيس عبد الناصر والملك حسين أن يقدما صورة صادقة للوضع وأن يؤكدا أن على العرب أن يسعوا إلى إيجاد الحل السياسى الشريف بالعمل على اكتساب الاهتمام المقرون بالاحترام من جانب غالبية دول العالم إن لم يكن من المستطاع الحصول على موافقتها جميعاً .

---

(١) وكانت السفارة التونسية قد أذاعت فى عمان بياناً فى ٢٨ أغسطس نفت فيه تصريحات نسبتها وكالات الأنباء للرئيس التونسى فى خطاب إلقاه أمام الطلبة التونسيين يوم ٢٣ أغسطس بشأن كيفية مواجهة الموقف للناتج عن العدوان دعا فيها الدول العربية إلى الاعتراف بوجود إسرائيل وإنهاء حالة العداء بين الدول العربية وإسرائيل وأن تحرير فلسطين – بعد الاتفاق الأمريكى السوفيتى – أصبح مستحيل التحقيق – العمل ٢٥–٨–١٩٦٧ .

(٢) الأهرام ٣٠–٨–١٩٦٧ .

ولم يخف عبد الناصر خطورة الأزمة الاقتصادية التى تهدد مصر بعد حرمانها من عائدات قناة السويس ومن موارد السياحة ومن بترول سيناء مقروناً ذلك كله بكارثة محققة فى محصول القطن(١) وقد اختتم عبد الناصر كلمته بالدعوة إلى بناء القوة العسكرية العربية، وأنه «لابد من خطة مدعمة يتم وضعها(٢)».

وقد ذكر أن الرئيس عبد الناصر أعلن فى خطابه أن الوقت الحالى «ربما لم يكن الوقت المناسب للنظر فى القيام بمغامرة عسكرية جديدة ضد إسرائيل وأن مصر مستعدة لمتابعة النزاع ولكن من الأهمية أن تسبق ذلك وحدة عربية تامة (٣).

غير أن الحالة القائمة لم تكن تبيح التفكير فى مواجهة جديدة لم يعد يملك لها لا الوسائل العسكرية ولا الوسائل المالية، وزاد عبد الناصر قوله إن الحالة فى الأردن تفوق مصر سوءاً، وأنه يتعين إطلاق الحرية الكاملة أمام الملك حسين ليستطيع البحث عن الحلول التى تتيح له الخروج من المأزق الذى تردى فيه. واقترح عبد الناصر من أجل الحيلولة دون اضطرار الأردن إلى الدخول فى مفاوضات منفصلة، أن يوافق المؤتمر على المقترحات الحكيمة التى كان الرئيس تيتو قد أبداها فى أثناء زيارته الأخيرة، وهى أن تقبل الدول العربية قراراً من الأمم المتحدة بضمان الحدود فى الشرق الأوسط وأن يقبلوا حرية الملاحة فى خليج العقبة وفى مقابل ذلك يتم الجلاء عن الأراضى المحتلة وكان ذلك اعترافا واقعيا لا شك فيه بإسرائيل.

أما الملك حسين فهو لم يتردد فى إعلان أن نصف بلاده قد تهدم فعلا وأن بلاده لن تلبث أن تنهار تماماً إذا لم يتم الوصول سريعاً إلى حل إيجابى وقال أن ظروفه هذه تجعله على استعداد للتقدم بطلب إلى إسرائيل يعرض عليها فيه إنهاء حالة الحرب، ولم يتردد الملك حسين فى ختام خطابه أن يعلن

---

(١) الحياة ٣١-٨-١٩٦٧.
(٢) الأهرام ٣١-٨-١٩٦٧
(٣) الحياة ٣١-٨-١٩٦٧.

أن أسباب الكارثة ترجع إلى غوغائية الزعماء العرب وعدم إحساسهم بالمسئولية

ولم يعترض على هذا الكلام من بين الحاضرين غير السيد / بوتفليقة ممثل الجزائر والسيد أحمد الشقيرى ، وقام الأول يحذر أعضاء المؤتمر من خطر الاستسلام للسير فى طريق التنازلات .

أما الشقيرى فقد تقدم بمذكرة إلى المؤتمر (حيث لم يكن هناك محاضر لجلسات المؤتمر) ركز فيها على موضوعات : (إزالة آثار العدوان) ومقاومة الاحتلال الإسرائيلى ، ووضع خطة عربية شاملة سياسية واقتصادية وعسكرية وتنظيمية ومالية لبحث الوضع العربى بعد يونيو ١٩٦٧ .

وبالرغم من النزق واللامبالاة وهما العادتان اللتان جبلا عليهما الشقيرى — كما يرى البعض — فإننا سوف نتعرض لمدى مابذله الشقيرى فى هذا المؤتمر خصوصاً على صعيد العمل الفلسطينى .

فقد قال (١) الشقيرى أمام المؤتمر أنه يعرض خطة دخول وحدات من جيش التحرير الفلسطينى أمام المؤتمر إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ، بحيث تتمركز فى أماكن متفق عليها ، على أن تؤلف هيئة أركان مشترك فيها ضباط من جيش التحرير الفلسطينى وبعض ضباط القيادات العربية وأن يكون مقرها عمان لإمداد القادمين فى الداخل بالرجال والسلاح والمهمات والتدريب والخطط من وقت لآخر .

ويقول الشقيرى أن الملك حسين قد ثار على خطته ، حيث قال « أما

---

(١) جميع المعلومات والمقتطفات الواردة هنا مصدرها :
أحمد الشقيرى : ذكريات عن مؤتمر القمة فى الخرطوم فى مجلة شئون فلسطينية — إصدار مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية — بيروت ١٩٦٧ العدد رقم ٤ ص ص ٩٠-٩٩ ومقابلة شخصية مع الإستاذ أحمد الشقيرى — القاهرة ٨-١-١٩٧٥ .

كفانا ما حصل ، لنتعظ ؛ أتدعونا للحرب وقد انهزمنا بالأمس ؟ وما نزال نتكلم عن الكفاح وعن السلاح ، أنا أرى أن البحث عن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي خيانة عظمى ، يجب أن نبحث عن حل سلمى وأسلوب سياسى لإزالة الاحتلال عن أهالى الضفة الغربية » .

ورد الشقيرى على الملك حسين قائلا أنه مقتنع تماماً أنه لا حل سلمى للقضية لأن إزالة آثار العدوان لن تتم إلا بالقتال والسلاح والكفاح .

ويكشف الشقيرى عن أن اللاءات الثلاثة (لا تفاوض ، لا اعتراف لا صلح مع إسرائيل) هى من صنعه هو ، وأن مؤتمر القمة فى الخرطوم قد أقرها تحت ضغط منظمة التحرير وتهديد وفدها بالانسحاب وأن الفضل يعود إلى الرئيس عبد الناصر فى تثبيت لا (لا صلح) بعد أن أمر الملك حسين على حذف هذه اللاء (١) .

ويضيف الشقيرى أن هذه اللاءات كانت مصحوبة بلاء أخرى تنص على ألا تنفرد أية دولة عربية بقبول أية تسوية للقضية الفلسطينية كما اقترح الشقيرى أنه إذا طرح حل للقضية الفلسطينية يمكن أن توجه الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى تحضره منظمة التحرير الفلسطينية ، فإذا وافق المؤتمر على هذا الحل بالإجماع يؤخذ به وإذا رفضه المؤتمر يسقط .

وحيث لم يوافق مؤتمر الخرطوم على ألا تنفرد أية دولة عربية بقبول أية تسوية للقضية الفلسطينية ، ولم يوافق على اقتراح الدعوة إلى مؤتمر قمة عربى للنظر فى أية حلول مقترحة انسحب الشقيرى ووفد منظمة التحرير الفلسطينية من المؤتمر ورفضوا كافة محاولات إعادتهم ثانية .

وبالطبع لم تشترك «فتح» فى مؤتمر القمة العربى الرابع لأن منظمة التحرير الفلسطينية كانت الصيغة الفلسطينية المعترف بها من قبل مؤتمرات

---

(١) مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد الشقيرى ، القاهرة ، ٨-٢-١٩٧٥

القمة العربية وجامعة الدول العربية والدول العربية ، كذلك فإن « فتح » لم تتقدم بأية مذكرة لهذا المؤتمر(١) .

كذلك فقد بحث المؤتمر النتائج التى أسفرت عنها مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الاستثنائية لبحث أزمة الشرق الأوسط وتضافر جهود الدول العربية لازاله آثار العدوان المستتر وراء إسرائيل ، واستمرار سياسة وقف ضخ البترول العربى للدول التى ساندت العدوان وتصفية القواعد العسكرية فى الأرض العربية ووضع خطة شاملة بعيدة المدى سياسيا وعسكريا واقتصاديا لدعم التضامن العربى وتحقيق المبادئ السابقة(٢) .

وفى البيان الختامى أقر المؤتمر ضرورة تحقيق وحـــدة الصف العربى ووحدة العمل الجماعى وتصفيته من جميع الشوائب ، وضرورة التمسك بميثاق التضامن العربى الذى أصدره مؤتمر القمة العربى الثالث وتطبيقه ، كما قرر المؤتمر سرعة تصفية القواعد الأجنبية فى الدول العربية ، وبخصوص قضية ضخ البترول العربى وتصديره إلى الدول التى ساعدت إسرائيل فى عدوانها على البلاد العربية مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، فقد انتهى المؤتمر خلافا لما أوصى به وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب ، إلى أنه : « بعد دراسة الأمر مليا اتضح أن الضخ نفسه يمكن أن يستخدم كسلاح إيجابى باعتبار البترول طاقة عربية يمكن أن توجه لدعم اقتصاد الدول العربية التى تأثرت مباشرة بالعـــدوان ولتمكينها من الصمود فى المعركة » .

وبالفعل فقد اتخذ المؤتمر قرارا منفصلا ، لم يرد البيان الرسمى

---

(١) فواز الشرقاوى ، حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » ١٩٦٥–١٩٧١ رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ص ص ٣٥٥–٣٥٦ ، ص ص ٤٠١–٤٠٣ .

(٢) الحياة ١–٩–١٩٦٧ .

التزمت السعودية بمقتضاه بدفع مبلغ ٥٠ مليون جنيــه استرليني سنويا ، والكويت ٥٥ مليون جنيه استرليني سنويا وليبيا ٣٠ مليون جنيه استرليني سنويا ، بحيث يتم تحويل هذه الإلتزامات إلى دول المواجهة (استحوذت مصر على الجزء الأكبر من هذا الدعم ، وكذلك الأردن ، ولكن سوريا لم ينلها نصيب) على أقساط ربع سنوية تبدأ منذ منتصف أكتوبر ١٩٦٧ حتى إزالة آثار العدوان الإسرائيلي(١) .

كما اتخذ المؤتمر قرارين في غاية الأهمية : فقد « ... قرر المؤتمر ضرورة تضافر جميع الجهود لإزالة اثار العدوان على أساس أن الأرض المحتلة أرض عربية يقع عبء استردادها على الدول العربية جمعاء » و « ... اتفق الملوك والرؤساء العرب على توحيد جهودهم في العمل السياسي على الصعيد الدولي والدبلوماسي لإزالة اثار العدوان وتأمين انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلتها بعد الخامس عن يونيو ، ذلك في نطاق المبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدول العربية وهي : عدم الصلح مع إسرائيل أو الاعتراف بها وعدم التفاوض معها والتمسك بحق الشعب الفلسطيني في وطنه(٢) » .

وهناك من يقدم(٣) صحيفة أخرى لهذه المبادئ الأساسية بحيث تقول « لا تفاوض ، لا اعتراف ، لا صلح مع إسرائيل ، لا تفريط بحق الشعب العربي الفلسطيني وهي ما عرفت بلاءات (جميع لا) الخرطوم(٤) .

---

(١) السياسة الدولية ، العدد ١٠ ، أكتوبر ١٩٦٧ ، ص ص ٢١١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤ .

(٢) ج. ع. م. الهيئة العامة للاستعلامات : ملف القضية الفلسطينية ، جـ ٢ ، مرجع سابق ص ١٥٧٥ .

(٣) الأستاذ أحمد الشقيري : مقابلة شخصية .

(٤) نفس المصدر السابق .

وعموما فإن قيمة مؤتمر القمة العربي فى الخرطوم — رغم ما عكر صفوه(١) — فى أن قراراته ومبادئه الأساسيه اتخذت أساساً لكل التحركات العربية ـ جماعية أو فردية ـ حول التعامل فى مشكلة فلسطين أو ما أصبح يعرف بأزمة الشرق الأوسط .

وقد اختلفت ردود فعــل مؤتمر القمة العربي فى الخرطوم ، فالبعض يرى أن العرب قد عجزوا وهم ممزقون بين احلامهم ومصالحهم عن أن يقبلوا فى قراراته الختامية التعبير عن الواقعية التى انطبعت بها مداولاتهم ومناقشاتهم والقرارات العملية التى اتخذوها ، وبالتالى فإن إسرائيل لم تكن لتجد وضعا أفيد لها من هذا الوضع ، ذلك أنها وقد تخلصت من التهديد بالحرب الذى كان يوجهه إليها خصومها ، لم تعد اليوم تخشى شيئاً قدر خشيتها من الإعتدال لدى هؤلاء الخصوم خصوصا وأن العرب فى مؤتمر الخرطوم قد تخلوا عن طريق التفاوض تاركين بذلك الفرصة لإسرائيل لتتصاعد بمطالبها وتزداد تشبثا بموقفها كلما مرت الأسابيع .

بينما يرى فريق آخر من الباحثين أن مؤتمر الخرطوم ومؤتمرات القمة العربية عموما قد جاءت لتؤكد فى جانب منها ، صعوبة تفويض السلطة فى النظم العربية — على اختلافها — واستحالة وصول المستوى الأدنى منها لقرارات ملزمة وأنها جاءت أيضاً تلبية لأوضاع متأزمة،وما من مؤتمر قمة دعى لرسم سياسة إيجابية بحته(٢) أضف إلى : ذلك أن جميع قرارات القمة

---

(١) وقد حدث حادثان فى المؤتمر عكرا صفوه . الأول المشادة الكلامية العنيفة بين الشقيرى والملك حسين وقد أشرنا اليها فى المتن : والحادث الثانى بين الملك حسين والسيد محمد أحمد محجوب رئيس حكومة السودان وقد أدت هذه المشادة إلى انسحاب الشقيرى وعدم توقيعه على مقررات المؤتمر الذى اتخذ قراراً بتجميد منظمة التحرير الفلسطينية «حتى اشعار آخر» ، النهار ٢-٩-١٩٦٧ ، الحياة ٣-٩-١٩٦٧ ، الأهرام ٢-٩-١٩٦٧ .

(٢) دكتور سيد نوفل : الدبلوماسية العربية فى خمسة وعشرين عاماً ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، العدد الثانى ، فبراير ١٩٧١ ص ص ٣١-٦٤ .

هشام شرابى ، المقاومة الفلسطينية فى وجه أمريكا ، ترجمة انعام رعد ، بيروت ، دار النهار ١٩٧٠ ص ص ٩١-٩٤.

شكلت إرتباطات شخصية ، غير أن هذا الطابع لا ينفى عنها طابع الإلزام وإنما جعلها لا تمثل موقف الدولة بقدر ما تمثل موقف الزعماء وبالتالى فان أى تبديل فى القيادة أنطوى دائما على تبديل فى الارتباطات وبالرغم من ذلك فان مؤتمرات القمة قد شكلت الأساس الضرورى لوضع استراتيجية عربية سياسية وهو ما إتضح بصورة أكثر تبلورا فى مؤتمر بالخرطوم حول التعامل مع المشكلة الفلسطينية .

كذلك يعتبر من ردود فعل مؤتمر القمة العربى الخرطوم ما حدث بعد مضى حوالى ثلاثة أشهر من محاولة جديدة لعقد مؤتمر قمة عربى خامس ولم يكتب النجاح لهذه المحاولة ، ففى ٢٢ نوفمبر أقر مجلس الأمن قراره المنتظر المتعلق بحرب يونيو وأزمة الشرق الأوسط ، وقد كان هـــذا القرار سببا لدعوة جديدة وجهت لعقد مؤتمر قمة عربى اخر .

أيضاً ، يعتبر السباق مع الزمن — الذى دخلته الدول العربية لتحسين موقفها العسكرى بعد الهزيمة — أحد ردود الفعل الجوهرية لمؤتمر الخرطوم فقد انصرفت الجيوش العربية بكل قواها إلى إعادة بناء كيانها ودعم فاعليتها وتنمية قدراتها على الصمود ، بينما استمرت القوات الإسرائيلية تتمتع بمزايا عسكرية واستراتيجية ضخمة ، وجاء مؤتمر الخرطوم ليطور ويحرك عناصر الموقف العربى ويضع الأسس العامة لاتجاهات السياسة العربية فى صراعها مع إسرائيل ويعطى دفعة إضافية لقدره الصمود العربى (١) :

وفى أعقاب ذلك أصدر مجلس الأمن قراره الشهير رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وهو ما يقتضى وقفه خاصة للتفسير والتعليل ،

---

(١) فواز الشرقاوى ، مرجع سابق .

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ :

ظروف صدوره وردود فعله :

كان مجلس الأمن قد أجل اجتماعاته فى الرابع عشر من شهر يونيو إلى أجل غير مسمى ، وفى الثامن من يوليو عاد . للاجتماع بناء على طلب مصر لينظر فى الشكوى المصرية ضد إسرائيل(١) بأن الجنود الإسرائيليين قد قاموا برمى قنابلهم على بور فؤاد والتينة ورأس العش والكاب فى منطقة القناة المكتظة بالسكان ، وقد جابهت إسرائيل شكوى مصر بشكوى مقابلة(٢) .

وقد قدم الأمين العام للأمم المتحدة تقريره إلى مجلس الأمن مقترحا وضع مراقبين دوليين فى منطقة القناة ووافق المجلس على ذلك وما لبث أن ازداد عدد المراقبين إلى ستة عشر ثم إلى أربعة وعشرين وزعوا على جانبى القناة وذكر الأمين العام فى تقريره أيضاً بأن السلطات العسكرية الإسرائيلية قد أعادت دار الحكومة بالقدس — وهى مقر هيئة مراقبة الهدنة — إلى الأمم المتحدة وأن الأمين العام أمر كبير مراقبى الهدنة ومعاونيه بالعودة إليها ، وأنه ابتداء من الرابع والعشرين من أغسطس أصبح علم الأمم المتحدة يرفرف فوق دار الحكومة .

وفى الرابع والعشرين من شهر أكتوبر اجتمع مجلس الأمن لينظر فى الشكوى الثانية التى قدمتها مصر ضد إسرائيل لارتكاب هذه الأخيرة أعمالا بربرية بضربها مدينة السويس وإشعال مصفاة البترول وهدم مصنع للأسمدة وعدم تمييز إسرائيل بين الأحياء الآهلة بالسكان والمناطق الصناعية(٣) ،

---

(١) المحاضر الكاملة لمناقشات مجلس الأمن ، مرجع سابق بتاريخ ٨-٧-١٩٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، وثيقة رقم S/8044 بتاريخ ٨-٧-١٩٦٧ .

(٣) المرجع السابق ، وثيقة رقم S/8207 بتاريخ ٢٤-١٠-١٩٦٧ .

وكعادتها فى كل مرة قدمت اسرائيل شكوى مضادة للشكوى المصرية تتلخص فى أن القوات البحرية المصرية هاجمت المدمرة الإسرائيلية « إيلات » وأغرقتها مما نتج عنه مقتل تسعة عشر شخصا وفقدان ثمانية وعشرين وجرح واحد وتسعين(١) .

وقد ناقش مجلس الأمن هذين الشكويين ونتج عن هذه المناقشة أن قدم كل من مندوبى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة مشروع قرار إلى مجلس الأمن ثم مشروع قرار معدل من مندوب نيجيريا وقد أخذ به مجلس الأمن ويتلخص فى ضرورة الامتثال لقرارات وقف إطلاق النار والتعاون مع هيئة مراقبى الهدنة(٢) .

غير أن مجلس الأمن عقد سلسلة من الاجتماعات ابتدأت فى التاسع من شهر نوفمبر لينظر فى شكوى مصر ، ولهذه الاجتماعات أهمية خاصة إذ نتج عنها قرار مجلس الأمن فى الثانى والعشرين من نوفمبر الذى بموجبه تم تعيين الدبلوماسى السويدى جونار يارنج ليجد — عبثا — حلا لمشكلة الشرق الأوسط .

وعلى أى حال فقد نظر مجلس الأمن خمسة(٣) مشاريع قرارات قدمت إليه خلال هذه الاجتماعات وهو مشروع قدمته الهند ومالى ونيجيريا وإثنين آخرين قدمهما الاتحاد السوفيتى ، ومشروع قرار قدمته الولايات المتحدة الأمريكية ، أما مشروع القرار الخامس والأخير فقد قدمته بريطانيا وهو المشروع الذى وافق عليه مجلس الأمن بالإجماع . وقد نص مشروع القرار البريطانى على ما يأتى(٣)

---

(١) المرجع السابق ، وثيقة رقم S/8208 بتاريخ ٢٤-١٠-١٩٦٧ .

(٢) وهو القرار رقم (S.RES,249,1957) .

(٣) أنظر تفصيل هذه المشاريع فى : الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، ص ص ١٠٥٣-١٠٥٦ .

(٤) المحاضر الكاملة لمناقشات مجلس الأمن وثيقة رقم (S,REs/242.1967) .

إن مجلس الأمن :

– إذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر فى الشرق الأوسط ،

– وإذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على أراضى بواسطة الحرب ، والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة أن تعيش فيه بأمان ،

– وإذ يؤكد أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقا للمادة الثانية من الميثاق :

أولا : يؤكد أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط وبموجب المبدأين التاليين :

(أ) سحب القوات الأسرئيلية من أراضى احتلتها فى القتال الأخير ،

(ب) إنهاء جميع إدعاءات أو حالات الحرب واحترام سيادة ووحدة أراضى كل دولة فى المطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسى وحقها فى العيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد أو أعمال القوة .

ثانيا : يؤكد أيضاً الحاجة إلى :

(أ) ضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية فى المنطقة ،

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح .

ثالثاً : يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص للذهاب إلى الشرق الأوسط كى يقيم ويجرى اتصالات مع الدول المعنية . بغية إيجاد اتفاق

ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً للنصوص والمبادئ الواردة في مشروع القرار هذا

رابعا : يطلب من الأمين العام أن يرفع تقريراً إلى مجلس الأمن حول تقدم جهود الممثل الخاص في أقرب وقت ممكن(١) .

والملاحظ أن بريطانيا قد لعبت دوراً دبلوماسيا بارعا فأخذت من جميع المواقف المتناقضة ومن جميع الاتجاهات التي سادت الأمم المتحدة حتى نوفمبر ١٩٦٧ عناصر زانتها ببراعة ودقة فائقتين ، وركبت منها الصيغة السابقة بحيث لا تقبل الزيادة أو النقصان ، وتضمن موافقة جميع الأطراف ، حتى الإبهام الذي ساد بعض النقاط في المشروع كان إبهاما مقصوداً ويشكل جزءاً لا يتجزأ من القرار ككل إذ أنه لولا ذلك الإبهام لما وافق عليه مجلس الأمن بالإجماع .

فبخصوص صياغة وغايات(٢) القرار ، تجلت في صياغته كل الخصائص الدبلوماسية البريطانية من غموض ومراوغة وحنكة ، بحيث وافق عليه مجلس الأمن بالإجماع غير أن التفسيرات حوله قد وصلت ليس إلى الإختلاف فحسب بل إلى حد التنافس أيضا .

ويحاول القراران يلقى إلتزامات متوازنة على الجانبين (العرب إسرائيل ولكنها التزامات غامضة (٣) . صحيح أنه طالب بانسحاب القوات الاسرائيلية ولكنه لم يوضح هـل هو إنسحاب من « كل الأراضي » وفقا للنص الفرنسي والسوفيتي والأسباني ، وحسب التفسير العربي ، أم أنه يطالب بانهاء حالة الحرب واحترام السيادة والحدود الأقليمية والإستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في العيش بسلام في نطاق حدود

---

(١) الكتاب السنوى للقضية الفلسطينيه لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ص ١٠٥٥-١٠٥٦.

(٢) الدكتور بطرس بطرس غالى : القضايا العشر في تسوية أزمة الشرق الأوسط في : السياسة الدولية ، العدد ٢٤ أبريل ١٩٧١ ، مؤسسة الأهرام ص ص ٤-١٢ .

(٣) فواز الشرقاوى ، مرجع سابق .

آمنة ومعترف بها ، محمية من التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ولكنه لم يوضح ما هو المقصود بالحدود الآمنة ، فالعرب يرون أنها عودة إسرائيل إلى خطوط ماقبل يونيو ١٩٦٧ فى حين ترى إسرائيل أن حدودها الآمنة لا تتحقق بعودتها إلى خطوط ما قبل يونيو ١٩٦٧ وتطالب بإجراء تعديلات أقليمية وتغيرات فى الحدود .

ثم ينتقل القرار إلى تأكيد ضرورة « تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين » ولكنه لم يوضح هل تتم هذه التسوية بالعودة إلى توصية الأمم المتحدة رقم١٩٤ لعام ١٩٤٨ الداعية إلى عودة اللاجئين الفلسطينين الراغبين فى العيش بسلام فى وطنهم وتعويض غير الراغبين فى العودة ، أم تتم كما ترى إسرائيل بعقد مؤتمر يضم دول الشرق الأوسط والدول التى تعمل على إغاثة اللاجئين الفلسطينين والوكالات المتخصصة للأمم المتحدةويقوم بوضع حل لمشكلة اللاجئين يرتكز على توطينهم فى البلاد العربية وتنظيم حملة تمويل أقليمية وعالمية لتنفيذ هذه الخطة ، على أن يتم ذلك فى إطار سلام نهائى ودائم فى منطقة الشرق الأوسط .

وطالب القرار من أجل ضمان الحرمة « المناعة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دول المنطقة بانشاء « مناطق منزوعة السلاح » ولكنه لم يوضح هل تكون هذه المناطق على جانب واحد أم على جانبى الحدود العربية « الإسرائيلية » .

وهناك العديد من التساؤلات حول المهمة التى كلف بها الدكتور يارنج : هل هى وساطة أم هى جهود من أجل جمع الأطراف المعنية على مائدة مفاوضات وهل تجرى المفاوضات مباشرة — كما ترى إسرائيل — ؟ أم هل تجرى عن طريق غير مباشر — كما يرى العرب ؟ .

وهل يجرى الانسحاب أولا ثم يأتى الاعتراف ، أم الاعتراف أولا ثم يجرى الانسحاب ؟ وما هى القوة الإلزامية للقرار أزاء الأطراف المعنية ؟ وغيرها من التساؤلات الناجمة عن الغموض .

وهكذا تجسدت دلائل الخبث والدهاء والحسابات الدقيقة من جانب بريطانيا فى صياغة قرار مجلس الأمن (١) ، إذ قالت بريطانيا أنها تريد إلقاء أعباء متساوية على الجانبين فى حل النزاع العربى الإسرائيلى تكون أكثر ديمومة وتقوم على أساس عادل ولكن الغموض اكتنف القرار ، ففى حين أنه أكد عدم جواز ضم الأراضى عن طريق الحرب ، وأعلن ضرورة أنسحاب القوات الإسرائيلية ، عاد فلم يبت فى مسألة هل سيكون الأنسحاب من « أراضى عربية احتلت فى النزاع الأخير » وذلك بدون إضافة « ال » التعريف إلى كلمة « أراضى » كما ورد فى النص الانجليزى أم سيكون الأنسحاب من « الأراضى العربية . . . » أى أن « الأراضى » أصبحت معرفة كما ورد فى الترجمات الفرنسية والروسية والأسبانية للقرار ؟ !

وقد تجنب رئيس وفد بريطانيا فى الأمم المتحدة أى التزام محدد فى رده على المندوب الهندى — الذى حاول استيضاح هذه النقطة — وقال لورد كارادون أن مشروع القرار يجب أن ينظر إليه ككل وكما هو .

نقطة غامضة أخرى هى أنه فى الوقت الذى طالب فيه القرار بانسحاب القوات الإسرائيلية من أراضى عربية . . . ، طالب القرار أيضاً بانهاء حالة الحرب والاحترام والاعتراف بسيادة ووحدة أراضى كل دولة فى المنطقة وكذلك استقلالها السياسى وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها — ولكن القرار لم يوضح أى الخطوتين يجب أن تسبق الأخرى فى التنفيذ ، ولم يحدد كذلك ما هو المقصود بالحدود الآمنه .

نقطة ثالثة غامضة أيضاً هى أن القرار طالب من السكرتير العام للأمم المتحدة أن يعين ممثلا خاصا له فى الشرق الأوسط كى يقوم

---

(١) شحادة موسى : علاقات إسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧—١٩٧٠ ، سلسلة كتب فلسطينية رقم ٣٣ ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ص ص ١٠٤—١٠٨ .

ويحتفظ باتصالات مع الدول المعنية بغية تحقيق اتفاق والمساعدة فى الجهود المبذولة للوصول إلى تسوية سلمية مقبولة .ولكن القرار لم يبين هل على ممثل السكرتير العام أن يقوم بالوساطة بين العرب وإسرائيل دون أن يلتقى الطرفان ، أم أن عمل الممثل الخاص ما هو إلا خطوة تمهيدية تعد لمفاوضات مباشرة بين الطرفين المتنازعين ؟ "

ولا شك أن هذه النقاط الغامضة وغيرها تمثل قمة نجاح الدبلوماسية البريطانية المرنة والمراوغة حيث استطاعت أن تجمع أعضاء مجلس الأمن على قبول القرار بالاجماع فى حين أن القرار عسير التنفيذ وإذا نفذ فستحكمه التوازنات الدولية . ورغم كل الجهود التى بذلت فى التقدم بمشروعات لتنفيذ القرار عقب ذلك وما جرى من محادثات واتصالات ثنائية وجماعية ومؤتمرات دولية — إلا أن الحقيقة التالية : بقيت ماثلة :

لقد وضع هذا القرار كى يطبق على أساس التوازنات التى ستكون عليها الأوضاع العربية والاسرائيلية والدولية حين تطبقه ، ولكن ليست الدول الكبرى ولا العرب ولا إسرائيل راغبين فى تنفيذه بصدق .

ولقد أثار القرار ردود فعل مختلفة بين فئات الرأى العام العربى خاصة ، فمصر والأردن ولبنان أعلنوا قبولهم لقرار مجلس الأمن ، أما سوريا فقد تطور موقفها من الرفض المطلق إلى عدم الممانعة إلى القبول بهذا القرار . وقد بررت الدول العربية التى قبلت القرار قبولها بأنه عودة جميع الأراضى العربية التى احتلتها إسرائيل نتيجة لعدوان يونيو ١٩٦٧ ، وبأنه يضمن احترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى وطنه .

أما العراق والجزائر وحركة المقاومة الفلسطينية فقد أعلنت رفضها المطلق لقرار مجلس الأمن واستندت جبهة الرفض ومنتقدو القرار فى إبراز مخاطر القرار

على الوضعين العربي والفلسطيني في استخلاص النتائج الآتية (١).

١ — أن إنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل تعني السماح لإسرائيل بالمرور في الممرات المائية العربية ، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل، صحيح أن المادة ٦ من ميثاق الأمم المتحدة تقول أن إنهاء حالة الحرب لا يتطلب بالضرورة إنهاء المقاطعة الاقتصادية ، ولكن الواقع يثبت أن المقاطعة ستتأثر كثيرا بقدر ارتباط بعض الدول العربية بالتكتلات الاقتصادية الدولية والتي ستكون إسرائيل طرفا فيها (مثل السوق الأوروبية المشتركة) وفي هذه الحالة تنتفي المقاطعة عمليا .

كما يجب أن يترتب على إنهاء حالة الحرب التفريج عن الاقتصاد الإسرائيلي بعد ضيق وفتح الباب أمام غزو المنتجات الإسرائيلية للأسواق العربية بغض النظر عن وجود أو عدم وجود اتفاقات اقتصادية .

٢ — أن احترام السيادة والحدود الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دول منطقة الشرق الأوسط وتمتعها بحدود آمنة معترف بها محمية من التهديد باستخدام القوة أو استخدامها يعني :

(ا) — الاعتراف باسرائيل ، إن لم يكن رسميا قانونيا ، فهو بالتأكيد واقعيا . وهذا يعني الاعتراف بشرعية استيلاء إسرائيل على الأراضي الفلسطينية التي اكتسبتها عامي ٤٨ ، ١٩٤٩ وهو ما سعت إلية إسرائيل دوما منذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ، إلى العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ إلى العدوان الإسرائيلي على الدول العربية عام ١٩٦٧ .

(ب) — الحفاظ على أمن إسرائيل يعني منع الدول العربية من القيام في المستقبل بأي عمل عسكري ضد إسرائيل — كما يعني ضرب العمل الفدائي

---

(١) جورج ديب : قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ في : الثقافة العربية ، العددين ٨ ، ٩ آب (ايلول) ١٩٧٠ ، النادي الثقافي العربي ، بيروت ص ص ٢٦٦—٢٨٨ .

الفلسطيني وايقاف حركة المقاومة الفلسطينية والحيلولة دون الشعب العربي الفلسطيني والرأى العام العربي من تحقيق الواجب القومي المقدس في تحرير فلسطين من الوجود الصهيوني الأمبريالي(١) ».

٣ ـ أن اقامة سلام دائم بين العرب وإسرائيل يمكن أن يجلب نتائج خطيرة على الجانب العربي، فهو سيفتح الباب أمام هجرة يهودية كبيرة من شتى انحاء العالم وسيتيح الفرصة أمام إسرائيل لاكتساب الإعتراف والتعامل مع دول صديقة للعرب، وسيضر بقضية الوحدة العربية الجزئية والكاملة نظرا لوجود إسرائيل كحاجز يفصل بين الشرق والغرب وسيقطع على حركة التحرر العربي والفلسطيني أهدافها نحو التحرر والتقدم الاجتماعي والوحدة وعدم الانحياز. والقرار يعني التصفية النهائية لقضية فلسطين كأرض وشعب، وهو قد يعطى الأمة العربية بعض أو كل الأرض ولكنه لايعيد لها كرامتها وثقتها بنفسها، وهو يعطى الدول الكبرى الحق في التحكم بمصير الدول العربية، وهو قد يخلق وهما لدى الدول العربية بأنها آمنة إلى أن تحين الظروف فتوجه إسرائيل ضربة جديدة وتحقق مكاسب اقليمية».

أما حركة المقاومة الفلسطينية ممثلة في الدورات المتعاقبة للمجلس الوطني الفلسطيني فقد أعلنت عن رفضها لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ولكل الصيغ التنفيذية المنبثقة عنه أو المرتبطة به (٢).

وكان رد الفعل المصرى لرفض المقاومة الفلسطينية القرار رقم ٢٤٢ هو أن مصر . . . . (٣) تقدر موقف منظمات المقاومة في رفضها لقرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذى قبلت به مصر

(١) راجع فؤاد الشرقاوى، مرجع سابق .

(٢) أنظر : منظمة التحرير الفلسطينية، المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في القاهرة من ١٠-١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ص ص ٥١-٥٢، قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السابعة المنعقد بالقاهرة من ٢٩-٥ إلى ٤-٦-١٩٧٠ .

(٣) الأهرام، القاهرة ٣-٢-١٩٦٩ .

نفسها ، لقد كان من حق منظمات المقاومة الفلسطينية أن هذا القرار قد يكون كافيا لمواجهة آثار العدوان الذى تم فى يونيو ١٩٦٧ ، ولكن هذا لقرار ليس كافيا بالنسبة للمصير الفلسطينى ، ونحن نرفض كل تفسير لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يحصرها فى نطاق الأحسان والشعور الإنسانى . أن قضية اللاجئين ليست على هذا المستوى وحده ، ولن تكون كذلك لأنها قضية وطن . . . ولست أجد فى هذا الموقف من ج . ع . م تناقضا مع قبول قرار مجلس الأمن (١) . . . » .

وقد أعلن عبد الناصر أن مصر تقدم للمقاومة الفلسطينية كل عون مادى ومعنوى بغير حدود وبغير تحفظات(٢) .

إن هدف المقاومة الفلسطينية من رفضها لقرار مجلس الأمن هو إنها ترغب فى تحرير كامل التراب الفلسطينى وإعادة تأسيس الوجود الوطنى الموحد للشعب الفلسطينى واقامة دولة فلسطينية ديموقراطية بعد تحطيم كيان إسرائيل التوسعى العنصرى المرتبط بالاستعمار والامبريالية ، ومن هنا فإن قرار مجلس الأمن يتعدى بكثير أن يكون مجرد ازالة لآثار العدوان الإسرائيلى فى عام ١٩٦٧ بل أن يتعلق بمستقبل المقاومة الفلسطينية والمشكلة الفلسطينية برمتها .

أما رد الفعل الدولى للقرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ فقد اختلف من دولة لأخرى .

فقد ذكر مندوب الهند فى الأمم المتحدة بأن حكومته فهمت القرار على أنه يعنى سحب القوات الإسرائيلية من جميع أراضى سيناء ومن غزة ومن القدس القديمة ومن الأراضى الأردنية والسورية .

أما المندوب الأمريكى فقد كان غامضا هو الآخر واكتفى بقوله بأن

---

(١) نفس المصدر السابق .
(٢) نفس المصدر السابق .

مشروع القرار البريطانى ينسجم كليا مع سياسة حكومته ، ولهذا ، فهو لايطلب طرح مشروع قراره على التصويت ، كذلك سحب المندوب السوفيتى مشروع قراره ، وقال بأن مفهومه لمشروع قرار بريطانيا ينطبق تماما على مفهوم الهند له ، وصرح بأنه سيصوت إلى جانب القرار. (١)

كذلك أعلن مندوب مالى بأنه يفهم مشروع القرار البريطانى على النحو الذى فهمته الهند لذلك فهو يصوت إلى جانب القرار ، أما مندوب فرنسا فقد أعلن بأن مفهومه لمشروع القرار البريطانى لايترك مجالا للشك أنه يجب سحب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضى التى احتلتها .

وعندما قدم اللورد كارادون ، مندوب بريطانيا ، مشروع قراره إلى مجلس الأمن قال بأن القرار كان وليد مشاورات قام بها مع جميع الدول الأعضاء فى مجلس الأمن وأنه لايمكن أدخال أى تفسير عليه مهما كان ذلك التغيير ضئيلا ، فالقرار أما أن يقبل كما هو برمته ، أو لا يقبل على الإطلاق (٢) .

وهكذا وافقت عليه جميع الدول الأعضاء فى مجلس الأمن ، وقد كان هذا القرار سببا لدعوة جديدة وجهت لعقد مؤتمر قمة عربى آخر . ورغم أن حكومات المغرب والسودان والعراق كانت قد أيدت رغبتها بعقد مؤتمر قمة جديد فى مناسبات مختلفة بين انفضاض مؤتمر القمة العربى الرابع وتاريخ صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (٣) إلا أن الموضوع أثير بصورة جدية عندما أعرب عبد الناصر عن اعتقاده بوجوب انعقاد مؤتمر قمة عربى جديد لتدارس الموقف الناتج عن قرار مجلس الأمن وذلك فى خطابه بمناسبة افتتاح دور الانعقاد الخامس لمجلس الأمة المصرى فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ ، فقد أكد

---

(١) الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ١٠٦٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٩٦٢ .
(٣) الأهرام ٢٥-١١-١٩٦٧ .

عبد الناصر على تمسكه بمقررات مؤتمر الخرطوم كما دعا إلى افساح المجال أمام فرصة أخرى للعمل العربي الموحد الذى ثبتت فاعليته فى الخرطوم مؤكدا أن ذلك سوف يؤدى إلى ولادة نظام عربي جديد (١) .

وقد ذكرت صحيفة الاهرام فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ أن سبع دول عربية وافقت على عقد اجتماع جديد للقمة وهى مصر ، العراق ، الأردن ، السودان اليمن ، المغرب ، ولبنان . واعتبرت الصحيفة المؤتمر المقترح مجالا جديدا لاستمرار . . . التعاون فى المرحلة الهامة والخطيرة التى تتبع صدور قرار مجلس الأمن (٢) .

وقد ظل الموقف السورى كما هو فى عدم الممانعة إلى القبول بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بعد أن كانت ترفضه رفضاً مطلقا ؛ وبخصوص عقد مؤتمر قمة جديد لتدارس هذا القرار فقد قال عضو فى القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكى فى سورية بأن : « عقد مؤتمر جديد للقمة يشكل تمييعاً للقضية الفلسطينية وتأييداً للمشروع البريطانى (٣) » .

وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧ وبمناسبة ذكرى تقسيم فلسطين قال رئيس الدولة فى سوريا أن « مؤتمرات القمة » . لا تستطيع أن تكون فى مستوى المسئولية بعد وقف إطلاق النار . . وإننا لا نريد أن نشارك فى عمل فيه تضليل للشعب ... ولذلك ... لم نشترك ولن نشترك فى مؤتمرات القمة أبدا » (٤) .

وفى ٣٠ نوفمبر ذكرت صحيفة الأهرام أن هناك دولتين (لم تذكرهما) تدعوان إلى التريث فى تحديد موعد للمؤتمر ، ريثما تنضج نتائج زيارة جونار

---

(١) المصدر نفسه ٢٤-١١-١٩٢٧

(٢) المصدر نفسه ٢٥-١١-١٩٦٧

(٣) الحياة ٢٨-١١-١٩٦٧ .

(٤) البعث ٣٠-١١-١٩٦٧ . أنظر « الوثائق الفلسطينية العربية » لعام ١٩٦٧ مرجع سابق ، وثيقة رقم ٦٧٤ ص ٩٦٠ .

يارنج مبعوث يوثانت للشرق الأوسط ، وإن دولة واحدة هى العراق دعت إلى المؤتمر فى القاهرة فى حين وافقت « أغلبية » الدول العربية على عقده يوم ٩ ديسمبر فى الرباط (. أما صحيفة الحياة فقد أشارت إلى أن تونس دعت إلى التريث فى عقد المؤتمر بانتظار مهمة يارنج(٢) .

وعموماً فقد طوى عام ١٩٦٧ أيامه بقبول الرأى العام العالمى فى معظمه لتلك التسوية التى قدمتها المنظمة العالمية ؛ أما إسرائيل فقد رفضتها وأعلنت صراحة أنها لا ترغب فى أية مفاوضات تجرى عن طريق الأمم المتحدة . وقد أشارت تل أبيب مرارا إلى رفضها الاشتراك فى أية مناقشة تتضمن « طرفا ثالثاً » وبهذا تكون إسرائيل قد أغلقت الباب فعلا فى وجه الجهود التى بذلتها الأمم المتحدة لإحلال السلام فى المنطقة وترى إسرائيل فى تدخل الأمم المتحدة عقبـة فى سبيل خططها فبينما عرضت إسرائيل إجراء « مفاوضات مباشرة » مع الدول العربية فإنها رفضت تماماً إجراء أى محادثات مع ممثلى عرب فلسطين وقد تجاهل القادة الإسرائيليون تماماً القول المأثور فى التوراة « أن من يغزو بالسيف يسقط بالسيف أيضا » وهو الأسلوب الذى سوف ينهجه العرب بعد ذلك بسنوات تجاة إسرائيل . . « وبعض السم ترياق لبعض » .

---

(١) الأهرام ٣٠-١١-١٩٦٧ .

(٢) الحياة ٣٠-١١-١٩٦٧ .

المراجع

أولا : الوثائق العربية

أ ـ الوثائق غير المنشورة :

ـ محفوظات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت ـ الوثائق أرقام ١ ، ٢ ، ٤ ـ ٨

وثائق الملحق ذات الأرقام : ١ ـ ٣ ، ٥ ـ ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ـ ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ـ ٤٠

ـ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر :
صور وثائق منقولة من الأرشيف السرى لوزارة الخارجية المصرية
ملف رقم : ٢٠٥ / ٧ / ج .

وعدد من وثائق عابدين

ـ د/ إسحق موسى الحسيني وثائق نصوص .القاهرة :جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٧ . (مذكرات غير منشورة)

ـ إسرائيل (قوانين) « قانون سلطة الإذاعة الإسرائيلية ، لسنة ٥٧٢٥ ـ ١٩٦٥ « الوقائع الإسرائيلية ـ كتاب القوانين ، ع ٤٥١ (١٧ آذار ١٩٦٥)

ـ إسرائيل (قوانين) » قانون وضع الجمعية الصهيونية العالمية ـ الوكالة اليهودية ـ لايرنس بسرائيل لسنة ٥٧١٣ ـ ١٩٥٢ « الوقائع الإسرائيلية ـ كتاب القوانين) ١١٢ ، (١٩٥٢)

ـ جامعة الدول العربية ـ الأمانة العامة ـ إدارة الإعلام : تقرير النشاط المعادى للعرض على اللجنة الدائمة للإعلام فى دور الإنعقاد ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦

ب : الوثائق المنشورة :

١ ـ الإتحاد السوفيتى والشرق الأوسط . مشاكل السلام والأمن ١٩٥٦ ـ ١٩٧١ وثائق ومواد : دار نشر وكالة نوفوستى موسكو ١٩٧٢ .

٢ – الأمم المتحدة : قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين ، « ١٩٤٧ – ١٩٧٢ بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٣ .

٣ – تقرير ليونيد بريجنيف بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين لثورة أكتوبر الإشتراكية العظمى (وكالة أنباء نوفوستى) ١٩٦٧ .

٤ – تهانى سلامة هلسه : أوراق فى القضية الفلسطينية ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧ .

٥ – جامعة الدول العربية – الأمانة العامة : بعثة وسيط الأمم المتحدة لحل مشكلة فلسطين ، المطبعة الأميرية ، ١٩٤٨ .

٦ – جامعة الدول العربية – الأمانة العامة : تقرير مؤقت إلى سكرتير عام الأمم المتحدة من وسيط الأمم المتحدة لفلسطين ، ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٨ القاهرة

٧ – جامعة الدول العربية – الأمانة العامة – إدارة شئون فلسطين : الهجرة اليهودية إلى فلسطين : القاهرة مطبعة أطلس ، ١٩٦٥ .

٨ – جامعة الدول العربية : إدارة شئون فلسطين إنتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان فى المناطق المحتلة القاهرة ، ١٩٧٣ .

٩ – جامعة الدول العربية « الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ – ١٩٧٤ .

١٠ – جميل الشقيرى : مجموعة الشهادات والمذكرات المقدمة إلى لجنة التحقيق الأنجلوا أمريكية المشتركة حول قضية فلسطين مع تواصى اللجنة . يافا : مطبعة النجاح التجارية ، ١٩٤٦

١١ – خطاب أ . ن كوسيجين فى الدورة الإستثنائية الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٩ يونيو ١٩٦٩ (وكالة أنباء نوفوستى ١٩٦٧)

١٢ – قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين يونيو ١٩٤٥ ومارس ١٩٦١ الأمانة العامة – القاهرة ١٩٦١ .

١٣ – الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية فى الأعوام ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ بيروت – مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

١٤ – لينين ، ف . أ : نصوص حول المسألة اليهودية ، ترجمة جورج طرابيشي . بيروت دار الطليعة ، ١٩٧٣ .

١٥ – مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر – القسم الأول ١٩٥٢، ١٩٥٨ مصلحة الاستعلامات ، القاهرة ، بدون تاريخ إصدار .

١٦ – محاضر الكنيست : نصوص مختارة من محاضر الكنيست السادس. القاهرة، مؤسسة الأهرام – مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، ١٩٧١

١٧ – محاضر المحاكمات المصرية للضباط المتهمين بالتآمر لقلب نظام الحكم – القاهرة ١٩٦٨

١٨ – مصر فى هيئة الأمم المتحدة ١٩٤٧ – تقرير عن أعمال الدورة العادية الثانية لهيئة الأمم المتحدة المعقودة بنيويورك (١٦ سبتمبر – ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧)

١٩ – مضابط مجلس الشيوخ المصرى لسنة ١٩٤٨

٢٠ – مضابط مجلس النواب المصرى

٢١ – المكتب العربى ، القدس : القدس ومشكلة فلسطين . . المواد التى عرضها المكتب العربى بالقدس على لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية للنظر فيها خلال شهر آذار سنة ١٩٤٦ .

٢٢ – ملف وثائق فلسطين (المجلدين الأول والثانى) مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية – وزارة الإرشاد القومى – القاهرة بدون تاريخ إصدار الهيئة العامة .

٢٣ – الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥ – جمع وتحرير منذر فائق عنبتاوى ، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٦ .

٢٤ – الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٦ ، جمع وتصنيف جورج خورى نصر الله – بدون تاريخ إصدار – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت

٢٥ — وثائق الجمعية العامة للأمم المتحدة — الدورة الاستثنائية الطارئة الأولى من ١ — ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ .

٢٦ — وزارة الخارجية — إدارة شئون فلسطين : تصريحات المسئولين الإسرائيليين عن المدة من مايو إلى ديسمبر ١٩٦٧ . ١٩٦٨

٢٧ — وزارة الخارجية المصرية — نشرة صحفية حول انسحاب إسرائيل من سيناء والعقبة ابريل سنة ١٩٥٧ .

٢٨ — اليوميات الفلسطينية ، المجلد الأول ١ / ١ / ١٩٦٥ — ٣ / ٦ / ١٩٦٥ م . ت . ف بيروت ١٩٦٦ .

اليوميات الفلسطينية المجلدين الرابع والخامس ١ / ٧ / ١٩٦٦ — ٣٠ / ٦ / ١٩٦٧ بيروت م . ت . ف ١٩٦٧ .

اليوميات الفلسطينية المجلد السادس ١ / ٧ / ١٩٦٧ — ٣١ / ١٢ / ١٩٦٧ بيروت م . ت . ف ١٩٦٨

ثانياً – وثائق باللغة الأجنبية

(1) American Jewish Year Book 1968, American Jewish Committe and Jewish Publication Society of America.

(2) Cahiers de l'Orint Countemporaire, Le Documentatio Francaise. Paris.

(3) Exchange of Notes Between Premier Bulganin and prime Minister David Ben Gurion, in Middle Eastern Affairs, Voi, VIII, No. 1, January 1957.

(4) Great Britain Colonial office – Palestine : Statement of Information relating to Acts of violence CMD 5873.

(5) Hurewitz, J. C. : Diplomcy in the Near and Middle East. A Documentary Records 1914-1956. (Princeton, New York, 1958).

(6) International Documents of Palestine 1967, The institue for Palestine Studies.

(7) State of Israel Government Yearbook, Central office of Information, Prime Minister's officc, Israel (1953/1964 – 1967/1968).

(8) Keesing's Contamporary Archives. London.

(9) Military Balance 1966-1967, 1967-1968, The institute for strategic studies, London.

(10) Report of the Anglo-American commity of enquairy. Department of state U.S.A. 1946.

(11) Servey of Palestine 1939-1946, 2 vols London 1946.

(12) The Soviet Union and the Jews During World War II The position of jews in the U. S. S. R.

British Foreign Office Documents, in : Soviet Jewish Affairs, Vol. 3 No. 1.

(13) The U. S. S. R. and the Arab Belligency, « Ministry for Foreign Affairs, Israel.

U. N. I. C.E. F. : تقرير منظمة غوث اللاجئين للأمم المتحدة

في : Le Monde, Paris 4 8–1967.

المحاضرات الكاملة لمناقشات مجلس الأمن عام ١٩٦٧

Security Council

ـ القاهرة مكتب الأمم المتحدة (بالإنجليزية) .

S/7926 - S/Res/233 - S/7971
S/7968 - S/6717 - A/L 519 A/L 523
A/RESv2252 (es-v) - A/RES/2256 (Es-v) - S/8044 -
S/30208 - S/8207.

(14) The U.S.S. R. and the Middle East, Problems of Peace and Security, 1967–1971 (Documents and other Materials) Moscow : Novosti Press Agency Publishing house 1972.

(15) The U. S. S R. and the Middle East, Documents and other Materials (Moscow 1972,.

(16) U. N. General Assembly, A/PV, 1938, June 1967.

(17) United States Policyin the Middle East, September 1956, June 1957. Decuments (Departement of State 1957).

(18) U.S.S.R. Serverance of Diplomatic Relations with Israel: Text of Soviet Note. Statement by Prime Minister David Ben Ourion in the Konessit. in : Middle Eastern Affairs. Vol IV. no. 4 April 1953.

(19) Year book of the United Nations, New York United Nations, Department of Public Information 1946/1947 – 1967/1968.

ثالثا : المراجع العربية

١ ـ د / إبراهيم أبولغد : محرر . تهويد فلسطين . ترجمة أسعد رزوق . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، ١٩٧٢ .

٢ ـ ابراهيم العابد : دليل القضية الفلسطينية : أسئلة وأجوبة ، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ١٩٦٩ .

٣ ـ الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين : ندوة فلسطين العالمية ، الثانية ، القاهرة فبراير ١٩٧١ .

٤ ـ أحمد بهاء الدين : إسرائيليات وما بعد العدوان ـ القاهرة ـ دار الهلال ١٩٦٩ .

٥ ـ أحمد بهاء الدين اقتراح دولة فلسطين ، وما دار حوله من مناقشات ، بيروت : دار الآداب ١٩٦٨ .

٦ ـ د . أحمد سويلم العمرى : دراسات سياسية : الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين ـ القاهرة مكتبة الأنجلو ، ١٩٥٤ .

٧ ـ أحمد الشقيرى : أربعون عاما فى الحياة العربية والدولية . بيروت ، دار النهار ١٩٦٩ .

٨ ـ أحمد الشقيرى : على طريق الهزيمة ، مع الملوك والرؤساء . بيروت ، دار العودة ١٩٧٢ .

٩ ـ أحمد الشقيرى : من القمة إلى الهزيمة ، مع الملوك والرؤساء . بيروت دار العودة ١٩٧١ .

١٠ ـ أحمد فراج طايع : صفحات مطوية عن فلسطين ـ القاهرة ، دار مطابع الشعب .

١١ ـ أحمد محمد غنيم وأحمد أبوكف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧ القاهرة ، دار الهلال .

١٢ - اديب ديمترى ، الماركسية والدولة الصهيونية (الوجود والكيان) ، بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر (يناير) ١٩٧١ ؛

١٣ - ارسكين تشيلدرز : الطريق إلى السويس - ترجمة حسين الحوت وعبد الفتاح البكرى (كتب سياسية العدد ٢٦٩) ؛

١٤ - اسراعيلان وآخرون : سياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية (ترجمة دار التقدم - موسكو ١٩٦٧) .

١٥ - د. أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى : دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى . بيروت منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث ١٩٦٨ ؛

١٦ - د. أسعد رزوق : فى المجتمع الإسرائيلى . القاهرة : جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١ .

١٧ - د. إسماعيل صبرى عبد الله : فى مواجهة إسرائيل . القاهرة : دار المعارف ١٩٦٩ .

١٨ - د . اسماعيل صبرى مقلد: العلاقات السياسية الدولية -دراسة فى الأصول والنظريات ، مطبوعات جامعة الكويت : كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ١٩٧١ ؛

١٩ - أكرم زعيتر . القضية الفلسطينية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٥

٢٠ - ألون ، إيجال : ستار من الرمال ، إسرائيل والعرب بين الحرب والسلام (دون بيانات نشر) القسم الثانى

٢١ - إلياس سعد الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة . بيروت . منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٦٩ .

٢٢ - إلياس مرقص ، تاريخ الأحزاب الشيوعية فى الوطن العربى ، بيروت دار الطليعة ، تشرين الثانى ١٩٦٤

٢٣ - إلياس مرقص: المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن، بيروت : دار الحقيقة للطباعة والنشر ، ١٩٧١

٢٤ ـ اميل توما : جذور القضية الفلسطينية . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٧٣ .

٢٥ ـ أمين شاكر وآخرون ، حقيقة الشيوعيين ، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ إصدار سلسلة (اخترنا لك ـ ١١)

٢٦ ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة : ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ١٩٧٢

٢٧ ـ أنيس صايغ : الزعامة السياسية : من فيصل إلى جمال عبد الناصر بيروت المكتبة العصرية .

٢٨ ـ د . أنيس صايغ : فلسطين والقومية العربية، بيروت م . ت : ف ، م . أ ١٩٦٦

٢٩ ـ د . أنيس صايغ الهاشميون وقضية فلسطين . بيروت : جريدة المحرر ، ١٩٦٦

٣٠ ـ إيفانوف ، يورى : احذروا الصهيونية : دراسة حول أيديولوجية وتنظيم وممارسة الصهيونية . موسكو نوفوستى : ١٩٦٩

٣١ ـ بولشاكوف ، ف ، معاداة الشيوعية مهمته العدائية ، موسكو مطبوعات وكالة أنباء نوفستى للنشر ، ١٩٧٢ .

٣٢ ـ تقرير لجنة التحقيق النيابية فى قضية فسطين : بغداد ، مطبعة الحكومة ١٩٤٩ .

ن ٣٣ ـ د / جلال يحيى : العالم العربى الحديث منذ الحرب العالمية الثانية القاهرة دار المعارف ١٩٦٦ .

٣٤ ـ د . جلال يحيى مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، الاسكندرية منشأة المعارف ١٩٦٥

٣٥ ـ جلوب ، جون باجوت : جندى مع العرب . ترجمة عفيفى حسن الصدى . بيروت دار النشر للجامعيين ، د . ت

٣٦ – د/حامد سلطان : المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين . القاهرة : جامعة الدول العربية – معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٧ .

٣٧ – د / حامد سلطان ، د . عبدالله العريان – أصول القانون الدولى ، القاهرة ١٩٥٣ .

٣٨ – د . حامد عبدالله ربيع : فلسفة الدعاية الإسرائيلية ، بيروت . مركز الأبحاث الفلسطينية ١٩٧٠

٣٩ – حبيب قهوجى : العرب فى ظل الاحتلال الإسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث ، ١٩٧٢ .

٤٠ – د . حسن صبرى الخولى : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين ، مج ٢ وثائق ونصوص القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٠ .

٤١ – الملك حسين : حربنا مع إسرائيل ، بيروت ، دار النهار للنشر ١٩٦٨ .

٤٢ – خيرى حماد : التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين . القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤

٤٣ – روحى الخطيب : تهويد القدس . عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٧٠ .

٤٤ – رودنسون ، مكسيم : إسرائيل والرفض العربى . القاهرة : وزارة الإعلام هيئة الاستعلامات ، د . ت (كتب مترجمة – ٧٠٢) .

٤٥ – ساطع الحصرى : أبحاث فى القومية العربية . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤

٤٦ – سامى الحكيم : طريق النكبة ، القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٦٩

٤٧ ــ سامى هداوى : الإعلام العربى والقضية الفلسطينية . بيروت . منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٦٩ .

٤٨ ــ سامى هداوى – قضية فلسطين فى الأمم المتحدة القاهرة ، دار مطابع الشعب ١٩٦٥

٤٩ ــ سامى هداوى : ملف القضية الفلسطينية . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٦٨ .

٥٠ ــ سايكس ، كريسوفر : مفارق الطرق إلى إسرائيل . ترجمة خيرى حماد ، بيروت دار الكتاب العربى ١٩٦٦

٥١ ــ ستالين الماركسية والقضية القومية ، ترجمة رابطة الكتاب التقدميين ، بيروت : منشورات دار النهضة الحديثة ، بدون تاريخ إصدار .

٥٢ ــ د ، سعد الدين إبراهيم ، فى سيوسيولوجية الصراع العربى الإسرائيلى . بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣

٥٣ ــ سعد جمعة : المؤامرة ومعركة المصير ــ بيروت بدون تاريخ إصدار .

٥٤ ــ سوريا ، القيادة العامة للجيش والثورة المسلحة : إسرائيل . دمشق : ١٩٦٥

٥٥ ــ د / سيد توفل : الدبلوماسية العربية فى خمسة وعشرين عاما فى « مجلة معهد البحوث والدراسات العربية (فبراير ١٩٧١) .

٥٦ ــ السيد ياسين الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلى والمفهوم العربى القاهرة : مؤسسة الأهرام ــ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٧٤

٥٧ ــ شحادة موسى : علاقات إسرائيل مع دول العالم ، ١٩٦٧ – ١٩٧٠ . بيروت مركز الأبحاث الفلسطينية

٥٨ ــ شفيق الرشيدات ــ فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً ــ القاهرة . دار الكتاب العربى (فى المعركة)

٥٩ – شفيق الرشيدات : القضية الفلسطينية والقانون الدولى : القاهرة ، اتحاد المحامين العرب ؛ ١٩٧٠

٦٠ – شاومر نيكودون : ما قبل ساعة الصفر « قصة الأحداث التى سبقت حرب الأيام الستة ، تل أبيب ١٩٦٨ (عبرى) ترجمة خاصة ، القاهرة الهيئة العامة للاستعلامات .

٦١ – صلاح بسيونى : مصر وأزمة السويس (دار المعارف القاهرة ١٩٧٠)

٦٢ – صالح مسعود بويصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، بيروت : دار الفتح الطباعة والنشر ١٩٦٩

٦٣ – طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ – ١٩٥٢) القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢

٦٤ – صبرى جريس : العرب فى إسرائيل . بيروت منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٦٦ – ١٩٦٧ .

٦٥ – د . صلاح العقاد : العرب والحرب العالمية الثانية ، القاهرة : جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٦

٦٦ – د / صلاح العقاد : قضية فلسطين : المرحلة الحرجة ، ١٩٤٥ – ١٩٥٦ القاهرة : جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ .

٦٧ – د . صلاح دباغ : الاتحاد السوفيتى وقضية فلسطين : بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٦٨

٦٨ – الفريق / صلاح الدين الحديدى : شاهد على حرب ١٩٦٧ ، بيروت ، دار الشروق بدون تاريخ إصدار .

٦٩ – عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية : القاهرة ١٩٧٠ (رسالة للماجستير مقدمة لقسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة القاهرة) .

٧٠ – عارف العارف : تاريخ القدس . القاهرة دار المعارف ، ١٩٥١ ،

٧١ – عارف العارف : النكبة . نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ – ١٩٥٥ بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢

٦٢ ـ عاصم الدسوقى (الدكتور) مصر فى الحرب العالمية الثانية (رسالة ماجستير غير منشورة ـ معهد الدراسات العربية ١٩٧٠) .

٧٣ ـ عباس مراد : الدور السياسى للجيش الأردنى ـ بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث .

٧٤ ـ عبد الله التل : كارثة فلسطين . القاهرة : دار العلم ، ١٩٥٩

٧٥ ـ د . عبد الحميد متولى : نظام الحكم فى إسرائيل . القاهرة : جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٣ .

٧٦ ـ عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ تاريخنا القومى فى ٧ سنوات : الأساتذة / الجامعيون ، بيروت : المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر آب (أغسطس) ١٩٥٩ .

٧٧ ـ د . عبد الملك عودة ، إسرائيل وأفريقيا : دراسة فى العلاقات الدولية . القاهرة جامعة الدول العربية ـ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٤ .

٧٨ ـ عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث . بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٠

٧٩ ـ د . عدنان العمد : الشيوعية الغربية وقضية فلسطين . سلسلة حقائق وأرقام ٣٩ ـ بيروت م ت ف . أ / ١٩٧١

٨٠ ـ د . عزالدين فودة : الإحتلال الإسرائيلى والمقاومة الفلسطينية فى ضوء القانون الدولى العام ببيروت . منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز البحوث ، ١٩٦٩ (دراسات فلسطينية ـ ٦٢)

٨١ ـ د. عزالدين فودة قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية . بيروت منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ، ١٩٦٩ .

٨٢ ـ د . على الدين هلال : تكوين إسرائيل : دراسة فى أصول المجتمع الصهيونى ؛ بدون تاريخ إصدار ـ القاهرة دار الهلال .

٨٣ – عودة بطرس عودة : القضية الفلسطينية فى الواقع العربى . القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة . ١٩٧٠

٨٤ – عيسى سفرى : فلسطين العربية بين الإنتداب والصيونية ، يافا ، مطبعة مكتبة فلسطين الجديدة ، بدون تاريخ إصدار .

٨٥ – د. فايز صايغ : الإستعمار الصهيونى فى فلسطين . ترجمة عبد الوهاب الكيالى بيروت مركز الأبحاث الفلسطينية ، ١٩٦٥

٨٦ – د . فايز صايغ : الدبلوماسية الصهيونية ، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث ، ١٩٦٧ .

٨٧ – فواز الشرقاوى : حركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح) ١٩٦٥ – ١٩٧١ رسالة ماجستير فى العلوم السياسية مقدمة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، القاهرة ١٩٧٤ .

٨٨ – كامل إسماعيل الشريف. الأخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، القاهرة دار الكتاب العربى .

٨٩ – كوهين ،أهرون : إسرائيل والعالم العربى القاهرة ١٩٦٩ ٣ ج ترجمة غير منشورة) .

٩٠ – لاكور والتر ، الإتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين ، بيروت : المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر .

٩١ – لطفى الخولى ٥ يونيو – الحقيقة والمستقبل – القاهرة . دار الكاتب العربى ١٩٦٨ (فى المعركة)

٩٢ – لنشوفسكى ، جورج ، الشرق الأوسط فى الشئون العالمية ، ترجمة جعفر خياط بغداد ، دار الكشاف ، بدون تاريخ إصدار .

٩٣ – لورى ، زفى : فرقة وإتحاد ، تحقيقات ومقالات حول مشاكل الشعب اليهودى القاهرة . ترجمة خاصة (غير منشورة)

٩٤ – لينين ، مسائل السياسة القومية والأممية البروليتارية ، موسكو دار التقدم ١٩٦٩

٩٥ – ماركس كارل ، المسألة اليهودية ، ترجمة محمد عيناني ، بيروت : مكتبة المعارف ١٩٥٦

٩٦ – محمد أحمد سليم – مشروعات تحويل نهر الأردن ، القاهرة ، جمعية المهندسين المصريين ١٩٦٤ .

٩٧ – د . محمد أنيس / تاريخ القضية الفلسطينية ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٢ .

٩٨ – د . محمد أنيس ، د . السيد رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر – القاهرة – دار النهضة العربية ١٩٦٧

٩٩ – د . محمد حافظ غانم : الأصول الجديدة في القانون الدولي العام – القاهرة ١٩٥٤ .

١٠٠ – د . محمد حافظ غانم : تقرير مقدم لندوة قضية خليج العقبة ؛ القاهرة ، ٢٩ مايو ١٩٦٧ القاهرة : الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع ١٩٦٧ .

١٠١ – د . محمد حافظ غانم المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي : القاهرة . جامعة الدول العربية . معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٦٥

١٠٢ – محمد رفعت – قضية فلسطين – القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٧

١٠٣ – د . محمد طلعت الغنيمي : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، الإسكندرية ١٩٦١ .

١٠٤ – محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة : صيدا : المكتبة العصرية ١٩٦٠ .

١٠٥ ـ محمد عزة دروزة : فلسطين وجهاد الفلسطينين فى معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية العالمية ، ١٩١٧ – ١٩٤٨ ، القاهرة مطابع دار الكتاب العربى ١٩٥٩ .

١٠٦ ـ محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها بيروت : المطبعة العصرية ١٩٦٠ ، ٢ ج

١٠٧ ـ محمد فيصل عبد المنعم فلسطين والغزو الصهيونى . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧٠

١٠٨ ـ محمد كمال يحيى / الإتحاد السوفيتى وفلسطين حتى قيام إسرائيل . رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣

١٠٩ ـ محمد نصر مهنا : سياسة التمييز العنصرى فى إسرائيل وجنوب أفريقيا : دراسة مقارنة القاهرة : ١٩٦٩ . رسالة ماجستير مقدمة لمعهد البحوث والدراسات العربية .

١١٠ ـ محمد نصر مهنا : تنظيم تعاونيات الاصلاح الزراعى فى مصر مع دراسة مقارنة فى إسرائيل . رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية التجارة ـ جامعة عين شمس ١٩٦٧ .

١١١ ـ مكتب إستعلامات الهند بالقاهرة : الهند وفلسطين ـ تطور سياسة

١١٢ ـ من الفكر الصهيونى المعاصر : بيروت . منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز ـ الأبحاث ، ١٩٦٨

١١٣ ـ موسسة الأهرام ـ مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية العسكرية الصهيونية القاهرة : ١٩٧٢ – ١٩٧٤ ، ٢ ج

١١٤ ـ ناجى علوش : الثورة الفلسطينية أبعادها وقضاياها ، بيروت دار الطليعة ١٨٦ ـ الحركة الوطنية الفلسطينية أمام القيود والصهيونية ١٨٨٢ – ١٩٤٨ . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ، الكويت : رابطة الأدباء ١٩٧٤

١١٥ – ناجى علوش : الماركسية والمسألة يهودية ١٨٤٤ – ١٩٦٨ بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ١٩٦٩

١١٦ – نجيب صدقة : قضية فلسطين . بيروت ، دار الكتاب ١٩٦٤

١١٧ – نيكيتينا ، جالينا ، دولة إسرائيل ، خصائص التطور السياسى والاقتصادى القاهرة دار الهلال ، د . ت

١١٨ – هشام شرابى ، المقاومة الفلسطينية فى وجه أمريكا وإسرائيل ترجمة أنعام وعد ، بيروت ، دار النهار للنشر ١٩٧٠

١١٩ – هنرى أزو ، فخ السويس – ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات القاهرة بدون تاريخ إصدار

١٢٠ – د / هنرى كتن ، فلسطين فى ضوء الحق والعدل ، ترجمة وديع فلسطين . بيروت مكتبة لبنان ، ١٩٧٠ .

١٢١ – الهيئة العربية العليا لفلسطين ، رأى . فى بيان الرئيس الأمريكى أيزنهاور بشأن سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط – القاهرة ١٩٥٧

١٢٢ – الهيئة العربية العليا لفلسطين ، قضية فلسطين العربية . القاهرة مطبعة السفارة ، ١٩٤٨

١٢٣ – وليم فهمى ؛ الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة . القاهرة ، جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١

١٢٤ – وولتر لاكور . الطريق إلى السويس – القاهرة – الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٦٩ – (كتب مترجمة ٦٦٣)

١٢٥ – يعقوب خورى ، حقوق الانسان فى فلسطين المحتلة ، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٦٨ سلسلة (حقائق وأرقام – ١٥)

رابعاً ـ الكتب الأجنبية :

(1) Abdalah, king of Jordan, my memories. London : 1954.

(2) Alum, jeam [Pierre juifs et arabes, 3000 Ans d'Histoire, Paris : De Seuil 1967.

(3) Atlas of Israel. Jerusalem : Ministry of labour, Survey of Israel-Amsterdam. Elsevur Publishing Co., 1970.

(4) Avineri, Shlomo, ed. Israel and the Palestinian Reflect-ions on the clash of Two National Movements. New York: Martin's Press 1971.

(5) Avnery Uri - Israel without Zionism. New York: Callier Books, 1971.

(6) Azeau. Le Peige de Suez. Paris, A. Rauard, 1964.

(7) Andics, Hellmut. Histoire de l'Antiséwitism. Paris : De seul, 1959.

(8) Avineri, Shlomo, ed. Israel and the Palestiniaus : Refle-etions on the clash of Two National Movements. New York : Martin's Press 1971.

(9) Bar Zahar, Michael, The Armed Prophet, London Arther Borker Ltd. 1959.

(10) Begin, Menahem. The Revolt. Trans. by Kartz, London: W. et Allen, 1951.

(11) Ben Elisser, Elahu & Schiff Zeev. La Guero Israelo Arabe : Paris A. Fayard 1968.

(12) Ben Gurion, David. Israel : Years of challenge, N. Y. Holt Rienhart, Winston 1963.

(13) Ben Gurion, David and Pearlman Moshe : Ben Gurion looks back in talks with Moshe Pearlman New York 1966.

(14) Ben Gurion, Daxid. Rebirth and Destiny of Israel. New York : Philosophical Library, 1964.

(15) Berger, Earl. The conventant and the Sword. Arab Israeli Relations, 1948-1956, London Routledge and Kegan Paul, 1965.

(16) Berger, Elmer who knows Better Must say So. NewYork. American Council for judaism, 1955.

(17) Burns, Lt. General E. L. M. Between Arabs and Israel. London Harrap. 1962.

(18) Cattan, Henry, The Dimensious of the Palestinian Problem 1967, Beirut : The Institute for Palestine Studies.

(19) Cattan Henry, To whom does Palestine Belong, Beirut : The Institut for Palestine Studies.

(20) Churcill, Randolphs and Winston The Six day war ؛ London, Highnam 1967.

(21) Cohen, Israel : A short History of Zionism. London : Fredrich Muller, 1951.

(22) Cohen, Aharon, Israel and the Arab World. New York : Funk and Wagnall . 1976.

(23) Crossman, Richard. A Nation Reborn ، The Israel of Weizmann, Bevin and Ben Gourion, London : Hamish Hamiltaon, 1960.

(24) Cattan Henry, The Dimensious of the Palestinian Problem 1967, Birut : The Institute for Palestiue studies.

(25) Crossman, Richard, Palestine Mission, a personal record. London : Hamisk Hamilton, 1947.

(26) Dagan, Avigdor, Mosco and Jerusalem. Twenty Years of Relations between Israel and Soviet union, New York Abd lard - schuman, 1970.

(27) Dallin, Alexander, The Soviet Union at the United Nations, An Inquiry into Soviet Natives and Objectives, Lodon : Methuod Co. Ltd. 1662.

Dallin, David J. Soviet Foreign Policy after Stalin, London : Methuen Co. Ltd. 1960.

(28) Davis, John H. The Evasive Peace : A study of Zionist Arab Problem, London, John Murry, 1968.

(29) Dayan, Moshe, Journal de la camagne de Sinai Paris, A Fayard 1966.

(30) Dib, G. M., « The Arab Block in the United Nations » Amesterdam, International Educational Publication House. 1956.

(31) Dranath, Dewan Berin : War and Peace in west Asia, New Delhi, India 1968

(32) Draper, Theodor. Israel and World Politics ; Roots of the Third Arab Israeli War. London Secher & Warburx, 1968.

(33) Eban, Abba, Voice of Israel, New York Horrizon Press. 1958.

(34) Etan, Walter : The first ten years : a diplomatic of Israel, London N. Y. Simon, schuster 1958.

(35) Eisenstadt, S. N. Israel Society, London, Weideufeild and Nicolson, 1967.

(36) Elath, Eliahu. The Bedouin of the Negev : in Journal of the Royal Central Asian Society. XLV : par II (April 1958).

(37) Elon, Amos, The Israelis: Founders and sons, New York: Holt Rinchart and Winston, 1971.

(38) Fncycolopedia Judaica. Jerusalem : Keter, and New York : Macmillan, 1971-1972. 16 vols.

(39) Encyclopedia ef Zionism and Israel. ed, by Raphael Patai, New York : Herzl and McGraw Hill, 1971.

(40) Fein, Leonard I. Politics ın Israel, Boston Little Irown, 1967.

(41) Grandos, Gracia : The Establishment of Israel New. York. 1948.

(42) Gabby, Rony E. A political Study of the Arab-Jewish Conflict : [The Arab Refugee proDlem, A case study. Genevi : Dooz 1959 .

(43) Great Britain Colonial office, Palestine Government Ga-zettez, 1919-1948. C. O. 742 Pubiic Record Office, London.

(44) Glub John : A soldier with the Arabs, London 1951.]

(45) Glick. B. Edward. Laten America and the Palestine Problem.

(46) Hurewitz, J. O. The struggle for Palestine, New York. W. W. Vorton, 1950.

(47) Hitte, Philip: A History of Syria, New York, Macmillan Comany, 1951.

(48) Hutchiso, eh : Violent truce 1951-1955 New York 1955.

(49) Israel, Prime Minister's Office. Central Office of Information, Israel Government Year Books Jerusalem: 1949-1968.

(50) Jabber Fuad, The Arab Regimes and the Palestinian Revolution : 1967-1971 Jrl of Palestine Studies. Vol. 2. no. 2. (Autumn 1972).

(51) Jabbour, George. Settler Colonialism in southern Africa and Middle East. Beirut, P. L. O. Rescarch Genter 1970.

(52) Jwish Agency The Jewish Plan for Plcstine : Memo-randa and Statements Presented by the Jewish Agency for Palestine to the United Nations Special Committee. On palestine Jerusalem 1947.

(53) Joseph, Bernard Birtish Rule in Palestine, Washington : Public Affairs Press 1948.

(54) Kirk, George. The Middle East 1945-1950 : Survey on International Affairs ed. by Arnold Toynbae. London : Oxford Univ. Press 1945.

(55) Koehan, Lionel. The Jews in Soviet Russia since 1917. London : Oxford University Press 1979.

(56) Kinche, John : Seven Fallen Pillars, New York Praeger 1953.

(57) Kessing's Contemporaey Archives. London 1957.

(58) Kadi, Leila S. Easie Paltical Doeuments of the Armed Palestinian Resistance Movement. Beirut : P. LO Resea-roh Center 1959 (Palcstine Cooks 27).

(59) Khouri, Fred J. The Arab - Israeli - dilemma. Syracuse Uniu Press, 1968.

(60) Kimiche, John and Bawly, Dan : The Sand storn, The Arab - Israeli War of 1967. Loudon Weidenfeild and Nicolson, 1958.

(51) Kreinin, Mordechai. Israel aud Africa A Study Ia Technical Co-operation, New York Preager, 1964.

(62) Lanzawshi, George, The Middle East in Wold Affairs, « Egvpt and the Soviet Eyodus » eurrent History Vol. 64, 50 377 (Jen, 1973).
New York Casmel' Saiversity Press. 1962.

(63) Lilanthal, Alfred, What price Israel ? Chicago : Henry Regnery. 1953.

(64) Lilian thal Alfred. The Otcr Side of the coin, New York Devin Adair, 1955.

(65) Laquer, Walter, The Israel Arab Reader, A Doumentary History of the Middle East, London : The citadel Press 1968.

(66) Laqeur. Walter, The Road to war, London, The Citadel Press 1967.

(67) Lorcq, Natauel. The Edge of thc sword : Israel's war of Independence 1947–1949 N. Y. : Pretauam, 1961.

(68) Laudau, Jacob M. The Arabs in Israel : A political study, London : Oxford Univ. Press 1969.

(69) Machonald, Robert W. The Legue of Arab States : A study in the Dynamics of Regional Organizatiou, Priuceton University Press 1965.

(70) Marasm Judah. Social change in Israel, Ciccgo : Aldine Publishiug Co. 1965.

(71) Menuhim, Moshe. The Decadence of Judaism in our time, Beirut, Institne of Palestine studies 1969.

(72) Martin Ebon: Commantst Tactics iu Palestine iu Foeeign Affairs Vol. 28, July 1945.

(73) Michael C. Hudson. A city still divided in Middle East. VIII, Sptember 1968.

(74) Macdouald, James ; My Mission to Israel. New York 1951.

(75) Patai, R. « Israel Betwecn East and West, 2nd, ed. London : Greenwood Publishing Co-operation 1970.

(76) Peretz, Don. The Middle East, N. Y : Holt, Rinechat and Winston 1963.

(77) Perlmutter, Amos, Military and Poliiics in Israel: Nation-Bulping and Role Expansion. New York, Frederick and praeger 1969.

(78) Pritti, Trence, Eshkol : The Man and the Nation, New York : Pitman 1929.

(79) Palestine Arab Refagee Office, Perseeution of the Arabs in Israel. New York 1956.

(80) Palesiine. Chief. Secretary. A Survey of Palestine Jerusalem : Government printer, 1946.

(81) P. L. O. Research Center, The Holy laod under Israel occupation, 1967-1969 Palestine Essays 18.

(82) Rodinson, Maxime. Israel et la Refus Arabe, 75 Ans d'Histoire. Paris De Seuil, 1968.

(83) Rodinson Maxime. Israel : A colenical settler state. New York Monad Presr 1973.

(84) Report of the Anglo-American Committe of enqulry Department of state. U. S. A. 1946.

(85) Report of the General Assembly by U.N.S.C.O. pointed Nations special committe an palestine officeal.

(86) Kobert J. Donovan. Six Days in June Israel's Fight Surviavl.

(87) Sacher, Israel, Esiablishment of State, London 1949.

(88) Safran, Nadav. From war to war, The Arab-Israeli Confrontation 1945-1967. Western publishing Company, Inc. New York 1959.

(89) Safran Nahay. The United States and Israel, Cambridge, Massachusettes : Harvard University press, 1963.

(90) Savegy Fayez. Zionist Coioniolism in Palesiine Beirut : P. L. O. Research center 1965.

(91) Schwarz, Solomou, The Jews in the Soviet Union, Syracuse University, Press 1951.

(92) Shabtai, Levy : Isrneli Armlstice agreements with the Arabs state; Tel Aviv 1951.

(93) Soviet Principle Versus Arab Practice, Jerusalem Ministry for Foreigen Affairs, 1956.

(94) Stalen, Joseph, Martism and the National and Coloneal Qiestion, Moscow, Co-operative Publishing society 1633.

(95) Stentringer, John, Truman, The Jewish Vote and the Creation of Israel, London Harver Institution stunies «19» 1974.

(96) Stevens, S. Richard, Maerican Zionism and U. S. Foreign Policy 1942-1947, New York 1962.

(97) Sykes, Christopher, cross Roads to Israel, London Collins, 1965.

(98) Sykes, Christopher, Order Wingute, London, Collius 1956.

(99) Talnon, J. L, « Israel and the Arab World : A Siew from within » The Jewish Suaitevly, Vol. [17 No. 3, (Wete', 1959).

(100) Truman, Harry S. Memoirs. Garden City N. Y. Doub-leday 1955-1956.

(101) U. - General Assembly. Resolution No. 194, Sec. 11, Session III. Dec. 11. 1948.

(102) Weingord, Alex, Israel, Group Relatioas in a New So-ciety, London : Pall Mau press 1965.

(103) Weizman. Chaim. Naissanee d'Israel, Paris 1957.

(104) Weizman Chaim. Trail and Error. The Autobiography of chaim Weizmaun philadelphia : Jewish publication society 1949.

(105) West Benjamiu. Struggle of a genecation, Tel Aviv : Massadah Publishiug Co. 1959.

(106) Willner, Dorothy Nation-Buildiug and Coummunity in Israèl, New Jersy, Priuceton Univ press 1969.

(107) Yaacov. Ro'i Soviet Israel Relations 1947–1954 in M. coufiuo, S. Shamir (eds) The USSR and thc Middle East, Jerusalem, Israel Uuiversity Press 1973.

(108) Valdbery B. Z. Thc Jewish Problem iu the Soviet Un-iou, New York Crawn Publishers, 1967.

(109) Yehoshua A. Giboa, The 1948 Zionist wave Zionist wave in Moscow iu · Soviet Jewish Affairs, No. 2, Novembet 1971.

(110) Zua'itcr. Akram, The Palestinian question. Damascus : Palestine Arab Refugces Institution 1966.

خامسا : الدوريات ووكالات الأنباء

(أ) الصحف والمجلات باللغة العربية

- آخر ساعة « القاهرة »
- الاتحاد « حيفا »
- الأحد « بيروت »
- الأخبار « القاهرة »
- أخبار فلسطين « غزة »
- أخبار اليوم « القاهرة »
- الأنوار « بيروت »
- الأهرام « القاهرة »
- البعث « دمشق »
- الثورة « دمشق »
- الثورة العربية « بغداد »
- الجريدة « بيروت »
- الجمهورية « بغداد »

- القدس « القدس »
- المرصاد « تل أبيب »
- المصور « القاهرة »
- القبس « الكويت »
- شئون فلسطين « بيروت »
- الوطن المحتل ، منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة شئون الوطن المحتلة .
- صوت فلسطين ، جيش التحرير الفلسطينى
- إدارة الشئون العامة والتوجيه المعنوى
- الوعى الثورى ، حزب البعث العربى الاشتراكى
- المكتب الثقافى فى القيادة النظرية للتنظيم الفلسطينى الموحد
- العاصفة ، حركة التحرير الفلسطينى « فتح »

- الجمهورية « القاهرة »
- الجهاد « القدس »
- الحرية « بيروت »
- الحوادث « بيروت »
- الحياة « بيروت »
- الدستور « عمان »
- الرأى العام « الخرطوم »
- السياسة « الكويت »
- السياسة الدولية « القاهرة »
- الصياد « بيروت »
- الطليعة « القاهرة »
- العلم « الرباط »
- فلسطين (ملحق المحرر) « بيروت »
- فلسطين (نشرة الهيئة العربية العليا لفلسطين) بيروت .
- الاخوان المسلمون « القاهرة »
- الثورة الفلسطينية ، حركة التحرير الوطنى الفلسطينى ، فتح الاعلام المركزى
- فلسطين الثورة ، منظمة التحرير الفلسطينية دائرة الإعلام والتوجيه القومى
- روز اليوسف ، القاهرة
- الثائر العربى - جبهه التحرير العربية مكتب التنظيم والتوصيه

ب – الصحف والمجلات باللغة الأجنبية

- Al Hamshmar « Tel Aviv ».
- Daily Express « London ».
- Daily Star « Beriut ».
- Daily Telegraph « London ».
- Davar « Tel Aviv ».
- The Economist « London ».
- The Statesman « New Delhi ».
- L'Express « paris «.
- Le Figaro « Paris ».
- Flight International « London ».
- Guardian « London ».
- Haaratz » Tel Aviv «.
- Hatzofe « Tel Avtv ».
- Hayom « Tel Aviv ».
- Herald Tribune « Paris ».
- L'Humanit « Paris ».
- Israel Digest « Jerusalem ».
- Izvestiya « Moscow ».
- Jerusalem Post « Jerusalem ».
- Jewish Chronicle « London ».
- Jewish Observer « London ».
- Le Jour « Beirut ».
- Kol Hoam « Tel Aviv ».
- Middle Feast Journal » Washinton ».
- Le Monde « paris ».

- New Out Look « Tel Aviv ».
- New York Times « New York ».
- New Middle Fast « London ».
- Observer « London ».
- L'Orient « Berient ».
- Pekiug Review « Peking ».
- The People « Peking ».
- Pravda « Moscw ».
- Sunday Telegraph « London ».
- Suday Times « Londen ».
- Timcs « London ».
- Yediot Aharonot « Tel Aviv ».
- U. N. Monthly Chroniclc.
- Arab Palestine Resistnnce. P. L.O. Palestine Liberation.
- Faith, Palestine National Liberation, Movement.
- Information office.
- Times « New Delhi ».
- The Jewish Standard.

(جـ) الاذاعات ووكالات الأنباء العربية

- إذاعة بغداد
- إذاعة دمشق
- إذاعة عمان
- إذاعة مكة
- إذاعة الجزائر
- إذاعة القاهرة
- إذاعة الكويت
- وكالة أنباء الشرق الأوسط
- وكالة للأنباء العربية السورية
- وكالة الأنباء العراقية
- وكالة الصحافة الجزائرية

(د) الاذاعات ووكالات الأنباء الأجنبية

- إذاعة إسرائيل
- إذاعة لندن
- وكالة الاسوشيتدبريس
- وكالة أنباء نوفوستى
- وكالة تاس
- وكالة اليونايتدبرس
- إذاعة موسكو
- إذاعة صوت أمريكا
- وكالة الأنباء الإسرائيلية
- وكالة الأنباء اليهودية فى واشنطن
- وكالة رويتر

سادساً : أحاديث ومقابلات وندوات

١ - اتصالات وأحاديث شخصية مع عديد من الشخصيات الفلسطينية بمختلف اتجاهاتهم السياسية .

٢ - مقابلات شخصية مع الإخوة فى منظمة التحرير الفلسطينية سياسيين وإعلاميين وعسكريين - القاهرة صيف عام ١٩٧٤ .

٣ - مقابلة شخصية من الأستاذ / أحمد الشقيرى فى ١٠ / ١ / ٧٥ - القاهرة .

٤ - مقابلة شخصية مع الأستاذ / أحمد فراج طايع فى ١٩٧٥/١/٢٠

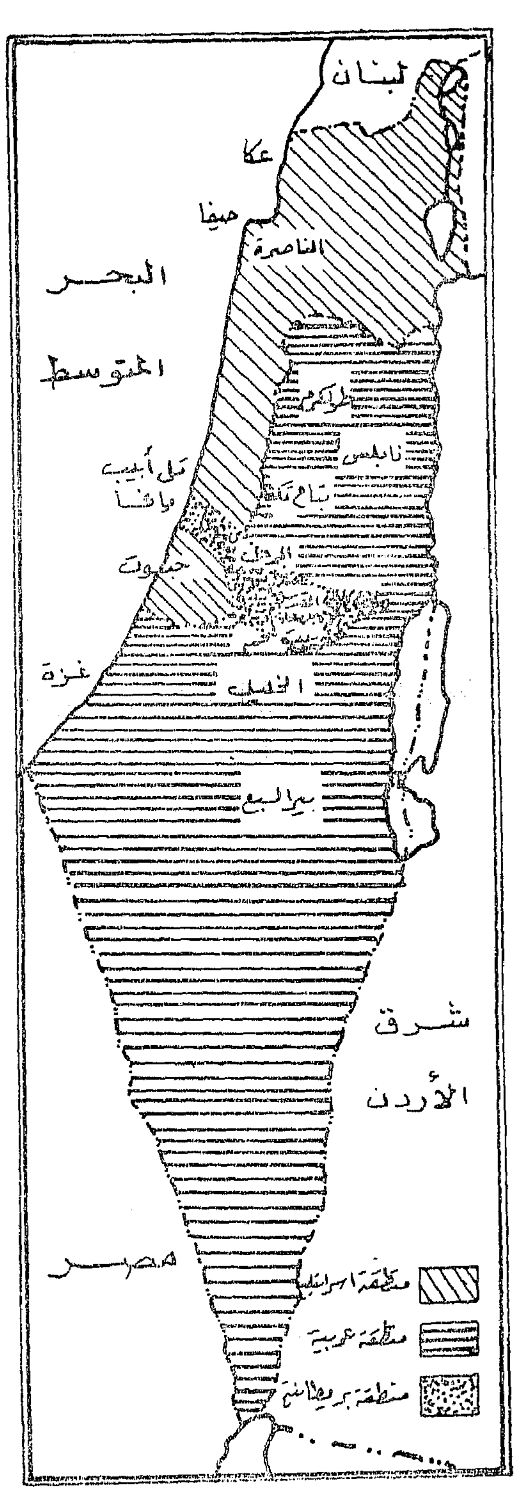
٥ - مقابلة شخصية مع الدكتور / جورج جبور المستشار بديوان رئاسة الجمهورية العربية السورية - القاهرة - مارس ١٩٧٤ .

٦ - مقابلة شخصية مع اللواء الركن / محمود شيت خطاب (عراقى) القاهرة - فبراير ١٩٧٤ .

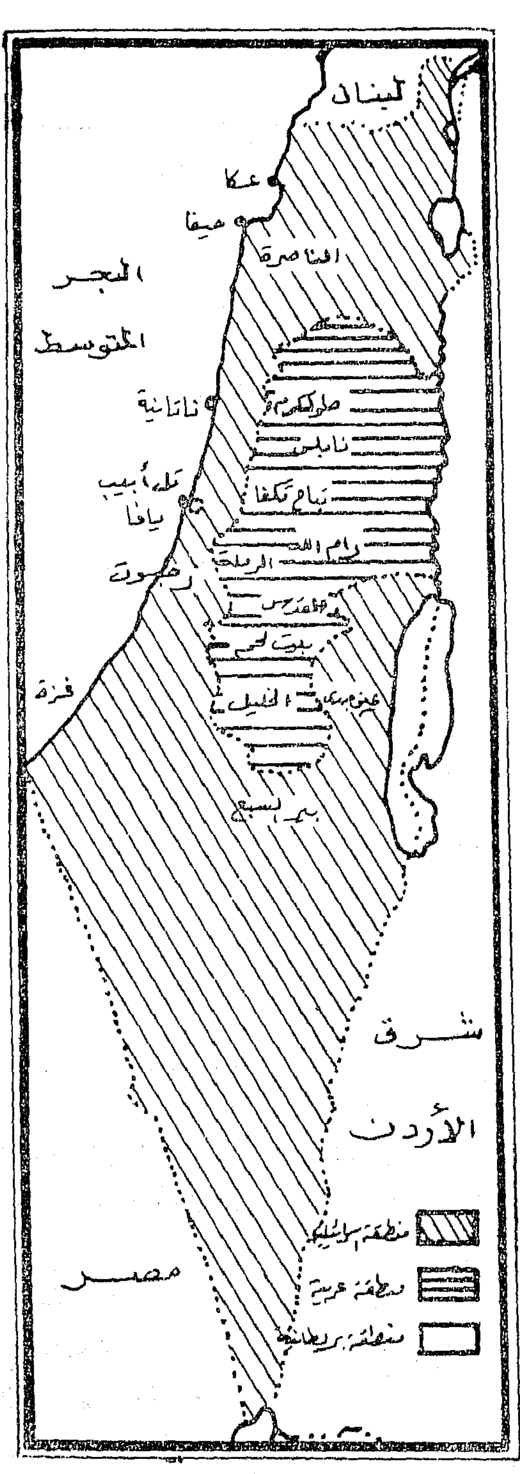
٧ - مقابلات شخصية مع قطاعات عريضة من العسكريين فى القوات المسلحة المصرية .

٨ - الندوة الدولية لحرب أكتوبر - القاهرة - جامعة القاهرة ٧٥/١٠/٢٥ - ١٩٧٥/١٠/٣٠ .

الصراع العربى الاسرائيلى ، فترة الدراسة
فى خرائط



مشروع التقسيم الذى قدمته
اللجنة الأنجلو – أمريكية ١٩٤٥



المشروع الذى قدمته الوكالة اليهودية لتقسيم فلسطين
رداً على المشروع الأنجلو- أمريكى سنة ١٩٤٥

لبنان

سوريا

صفد

بحيرة طبريا

حيفا

نابلس

الأردن

تل أبيب

يافا عربية

اللد

الرمله

القدس

الفالوجا

غزه

البحر الميت

بيرسبع

سدوم

العوجه

ج.ع.م

ايلات

شفاف يبين

فلسطين

حسب مشروع تقسيم ١٩٤٧

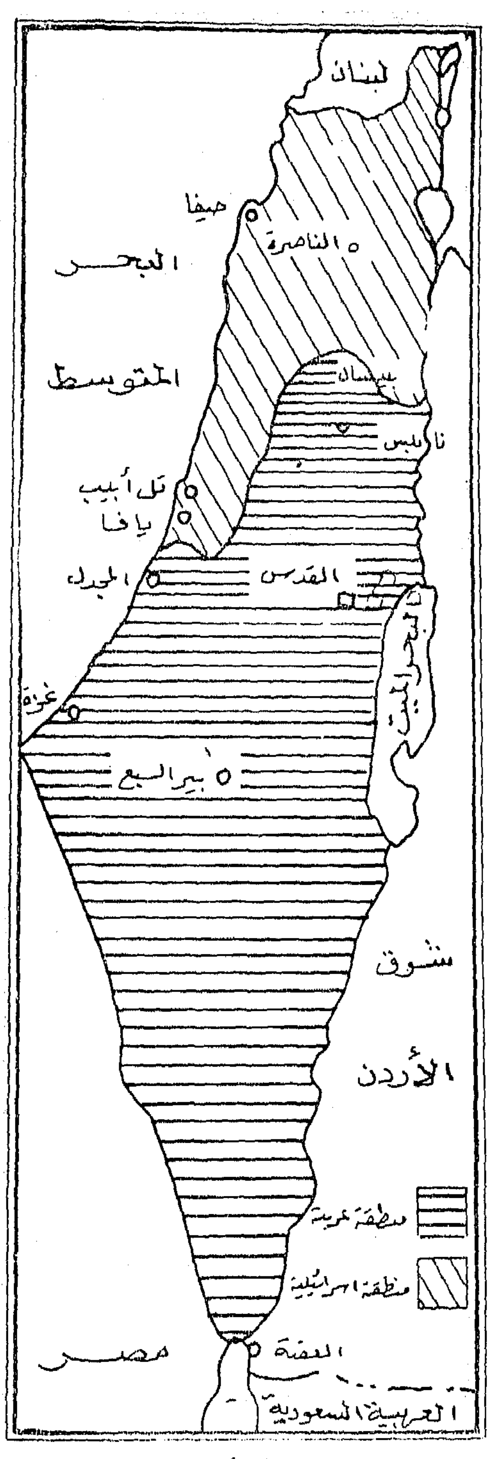
اصطلاحات

المنطقة العربيه

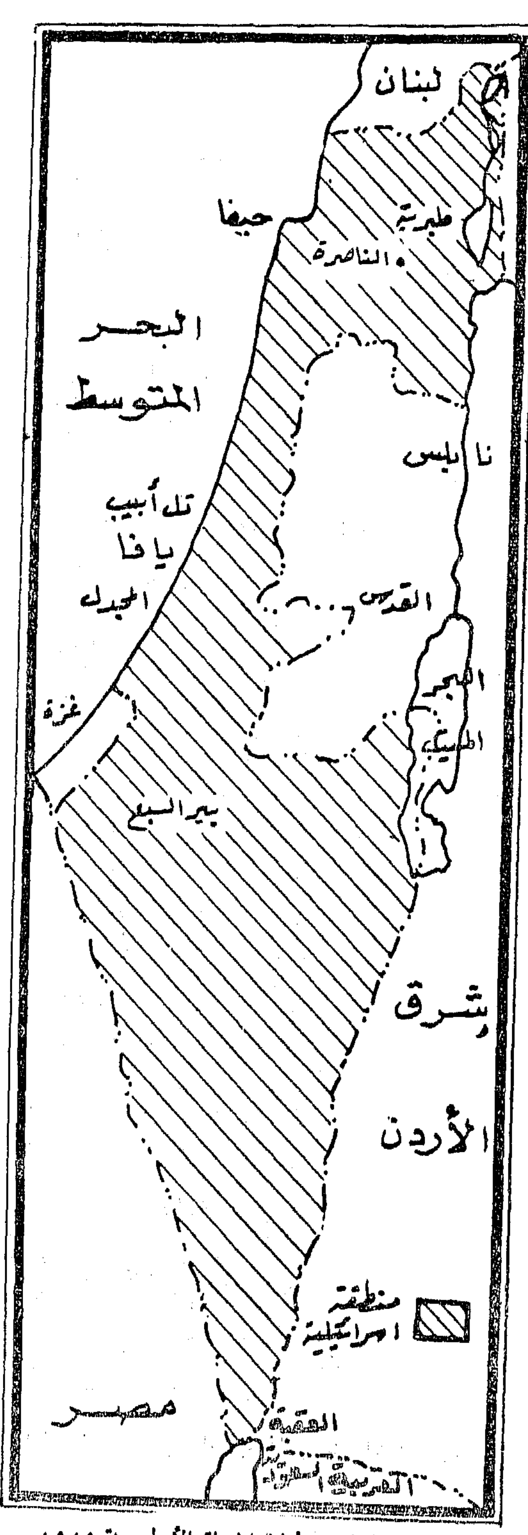
« اليهودية

منطقة القدس الدولية

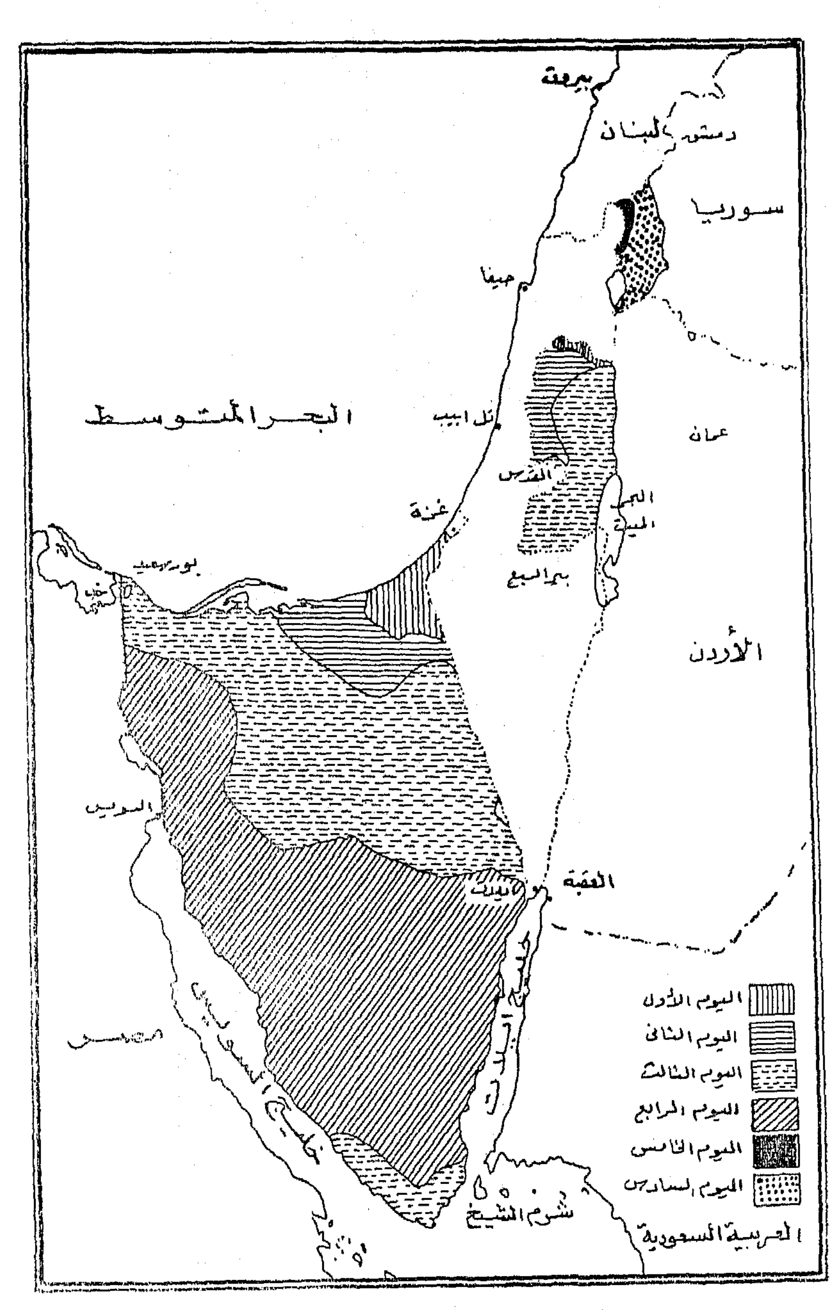
فلسطين عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ مع توضيح الاحتلال اليهودى لأراضى فلسطين
بين ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وحتى انسحاب بريطانيا فى ١٤ مايو ١٩٤٨



مشروع الوسيط الدولى الكونت فولك برنادوت
لتقسيم فلسطين يونيو ١٩٤٨ (خلال الهدنة الأولى)



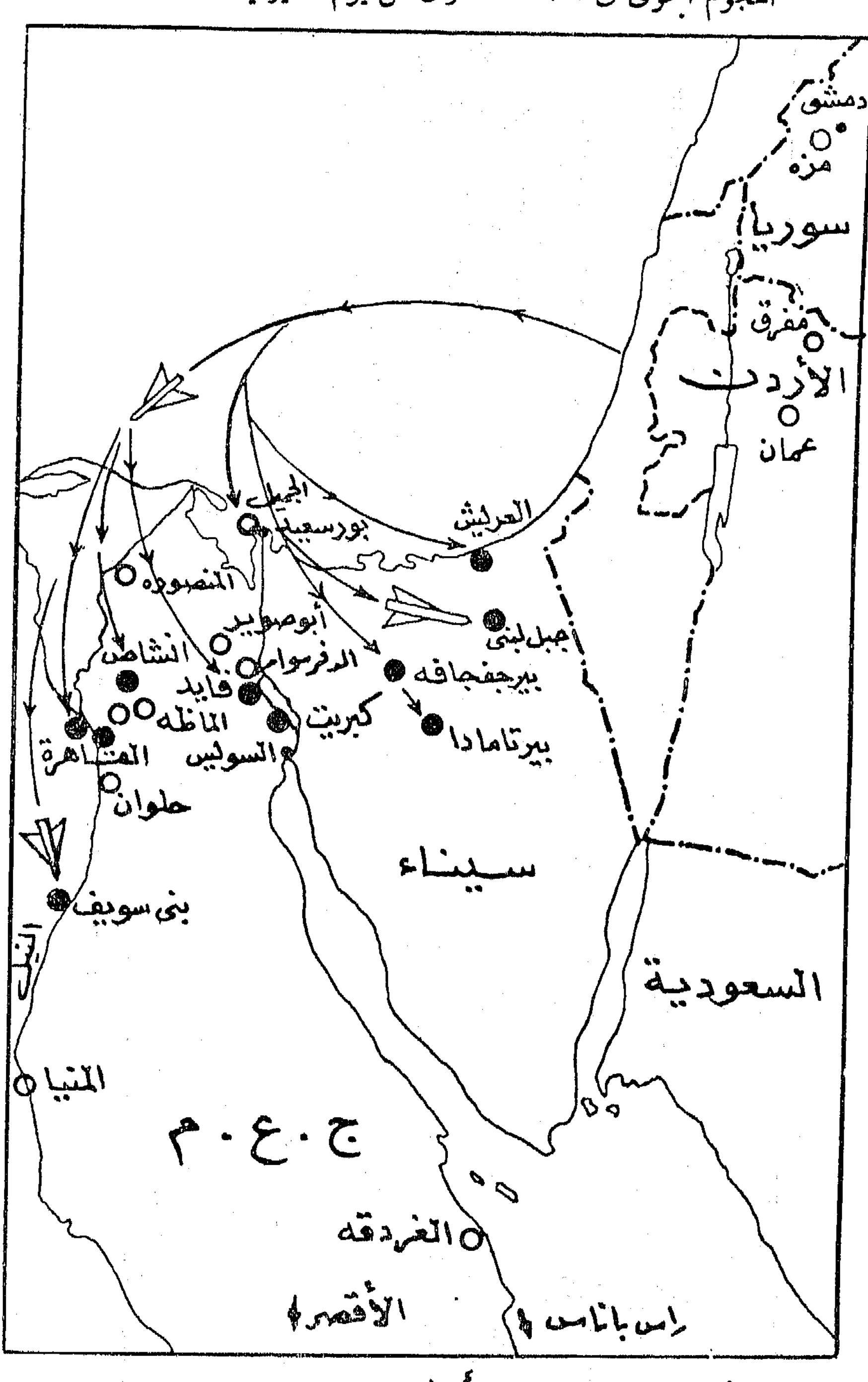
إسرائيل بعد نهاية الجولة الأولى سنة ١٩٤٩



الهجوم الإسرائيلى – الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة صيف ١٩٦٧

حركة الأسطول السادس يوم ١٩ مايو ١٩٦٧

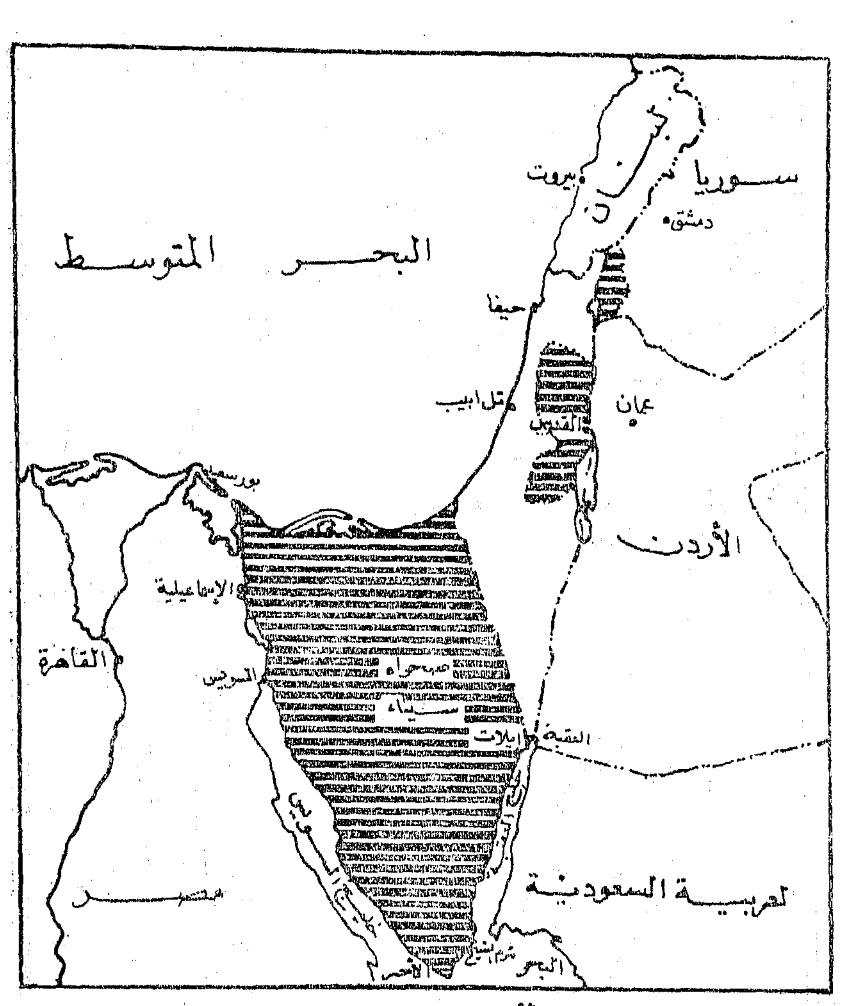
الهجوم الجوى فى الساعات الأولى من يوم ٥ يونية ١٩٦٧



● خلال الطلعة الأولى

○ « « الثانية

الهجوم الإسرائيلى – الجولة العربية الإسرائيلية الثانية – خريف ١٩٥٦ م



إسرائيل والأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧
بعد الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة

فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

الفصل الثاني :

قصور نظام الهدنة وحوادث الحدود

الفصل الثالث :

العدوان الثلاثي ونتائجه على الصراع العربي الاسرائيلي

صفحة

صفحة



رقم الإيداع ٥٣٠٦ لسنة ١٩٧٩

مطابع سجل العرب

٩ شارع عماد الدين / القاهرة ت ٩٢٢٧٠٦





